

# العقيدة وعلم الكلام

من أعمال الإمام محمد زاهد الكوثري

نظرة قافية في تراجم من يذكر نزول ميثي قائل السلام قبل الآخرة  
عنه عليه السلام  
للإمام الكوثري

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يهمل  
للصالحين أبي بكر بن العقب البغدادي المتوفى ٤٧٧ هـ

وإليه  
رفع مشبهه التشبيه

وذلك عبد الرحمن بن محمد البغدادي المتوفى ٥٧٧ هـ

وإليه  
رفع مشبه من مشبهه ومكرر وأسب ذلك إلى أشبه أكمل الآدم لمحمد  
وذلك عبد الرحمن بن محمد البغدادي المتوفى ٥٧٧ هـ

وإليه  
السيف الضيق في الرد على ابن زريق

وذلك عبد الرحمن بن محمد البغدادي المتوفى ٥٧٧ هـ

وإليه  
العالم والشمس والفقهاء الأبطال والفقهاء الأكبر

ورسالة أبي حنيفة إلى عثمان بن عيسى

ووصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد

وذلك عبد الرحمن بن محمد البغدادي المتوفى ٥٧٧ هـ

وإليه  
بستان

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان



# العقيدة وعلم الكلام

من أعمال الأمام محمد زاهد الكوثري

تمتدح عليك  
نظرة غاية في نزاهة من ليكر نزول هيب عليه السلام قبل الآخرة  
للإمام الكوثري

والانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للقاضي أبي بكر بن الطيب البغدادي المتوفى ٤٠٢ هـ

وبليغ

دفع شبهة التشبيه

للإمام عبد الرحمن بن عاصم الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ

وبليغ

دفع شبهة من شبهة وعمرد ونسب ذلك إلى السيد جميل الأمام أحمد

للإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد المصنبي المتوفى ٨٢٩ هـ

وبليغ

السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل

للإمام تقي الدين علي بن عبد الغني السبكي المتوفى ٧٥٢ هـ

وبليغ

العالم والمتعلم والفقير الأبسط والفقير الأكبر

ورسالة أبي حنيفة إلى عثمان البيهقي

ووصية الأمام أبي حنيفة في التوحيد

تمت تصحيحه

للإمام محمد بن تقي الكوثري

المتوفى ٧٧١ هـ

مستودع

دار الكتب العلمية

بيروت

١٤٠٠

تحت إشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright  
All rights reserved  
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة  
لدار الكتب العلمية ببيروت لبنان.  
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تصيد الكتاب كاملاً أو  
مجزأً أو تسجيله على أي وسيلة كاسيت أو إكسالة على الكمبيوتر  
أو برمجته على أي صيغة إلكترونية (إلا بموافقة الناشر خطياً)

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-Ilmiah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,  
reproduced, distributed in any form or by any means,  
or stored in a data base or retrieval system, without the  
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-Ilmiah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale  
d'imprimer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur  
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production  
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation écrite  
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريرف - شارع الحصري -ناية مفارقت  
الإبارة المعصك هرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية  
مخالف وفلكس / 11/12/13 / 804810 (5 961 +)  
مستوفى بريد: ٩١٩١ - ١١ بيروت - لبنا

Dar Al-Kotob Al-Ilmiah

Beirut - Lebanon

Ramf Al-Zarif, Bohory Str. Melkari Bldg 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-Ilmiah

Beyrouth - Liban

Ramf Al-Zarif, Rue Bohory, Imn. Melkari, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imn. Dar Al-Kotob Al-Ilmiah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISEN 2-7451-4364-6



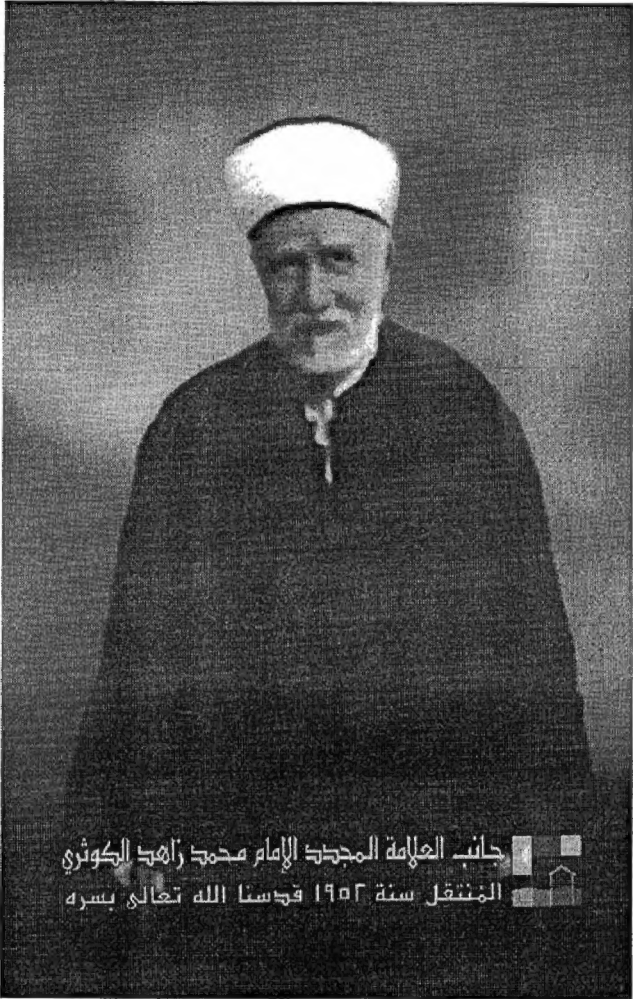
9782745143648

<http://www.al-ilmiah.com/>

e-mail: [sales@al-ilmiah.com](mailto:sales@al-ilmiah.com)

[info@al-ilmiah.com](mailto:info@al-ilmiah.com)

[baydoun@al-ilmiah.com](mailto:baydoun@al-ilmiah.com)



جانب العلامة المجدد الإمام محمد زاهد الكوثري  
المنتقل سنة ١٩٥٢ قديسنا الله تعالى بسره





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الإمام الكوثري

بقلم الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة  
وكيل كلية الحقوق وأستاذ الشريعة بجامعة القاهرة  
(رحمهما الله تعالى)

١ - منذ أكثر من عام<sup>(١)</sup> فقد الإسلام إمامًا من أئمة المسلمين الذين عَلَمُوا بأنفسهم عن سَفَافِ هذه الحياة، واتجهوا إلى العلم اتجاه المؤمن لعبادة ربه، ذلك بأنه عَلِمَ أن العلم عبادة من العبادات يَطْلُبُ العالمُ به رضا الله لا رضا أحدٍ سواه، لا يَبْغِي به عُلُوًّا في الأرض ولا فسادًا، ولا استطالةً بفضلِ جاه، ولا يُرِيدُهُ عَرَضًا من أعراض الدنيا، إنما يَبْغِي به نُصْرَةَ الحق لإرضاء الحق جَلَّ جلاله. ذلكم هو الإمامُ الكوثري، طُيِّبَ اللهُ ثراه، وَرَضِيَ عنه وأرضاه.

لا أعرفُ أنْ عالِمًا ماتَ فَخْلًا مكانَهُ في هذه السنين، كما خلا مكانُ الإمام الكوثري، لأنه بَقِيَّةُ السلفِ الصالح الذين لم يجعلوا العلمَ مُرْتَقًا ولا سُلْمًا لغاية، بل كان هو مشهَى الغايات عندهم، وأسمى مطارحِ أنظارِهِم، فليس وراءَ علمِ الدين غايةً يَبْغِيها مؤمن، ولا مُرْتَقَى يَصِلُ إليه عالم.

لقد كان رَضِيَ اللهُ عنه عالِمًا يَتَحَقَّقُ فيه القولُ المأثورُ «العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ» وما كان يرى تلك الوراثةَ شَرَفًا فقط، ليفتخرَ به وَيَسْتطِيلَ على الناس، إنما كان يرى تلك الوراثةَ جِهَادًا في إعلانِ الإسلام، وبيانِ حقائقِهِ، وإزالةِ الأوهامِ التي تَلْحَقُ جوهرَهُ فَيُبِيدُها للناسِ صافِيًا مُشْرِقًا منيرًا، فَيَعْشُو الناسُ إلى نُورِهِ، ويهتدون بهديه، وأنْ تلك الوراثةُ تتقاضى العالمَ أن يُجاهِدَ كما جاهدَ النبيون، وَيَصْبِرَ على البأسِ والضراءِ كما صَبَرُوا، وأنْ يَلْقَى العنتَ ممن يدعوهم إلى الحقِّ والهدايةِ كما لَقُوا، فليست تلك الوراثةُ شَرَفًا إلا لمن أَخَذَ في أسبابِها، وقام بحققِها، وعزف الواجب فيها، وكذلك كان الإمامُ الكوثري رَضِيَ اللهُ عنه.

٢ - إنْ ذلك الإمامُ الجليل لم يكن من المتحللين لمذهبٍ جديد، ولا من الدعاةِ إلى أمرٍ بديءٍ لم يُسَبِّقْ به، ولم يكن من الذين يَسْمَعُهم الناسُ اليومَ بِسَمَةِ التجديد، بل كان يَنْفِرُ

(١) توفي الإمام الكوثري رحمه الله عام ١٣٧١ هـ.

منهم، فإنه كان مُتَّعِمًا، ولم يكن مُتَّيِدِعًا، ولكنني مع ذلك أقول: إنه كان من المجدِّدين بالمعنى الحقيقي لكلمة التجديد، لأنَّ التجديد ليس هو ما تعازفُه النَّاسُ اليوم من خَلْعٍ للرِّبَّةِ وَرَدُّ العهدِ النَّبَوِيِّ الْأوَّلِيِّ، إنما التجديد هو أن يُعَادَ إلى الدين رِزْوَانُهُ وَيُرْزَأَ عنه ما عَلِقَ به من أوهام، وَيُيَسَّرَ للنَّاسِ صَاقِيَا كَجَوْهَرِهِ، نَقِيًّا كَاصِلِهِ، وإِنَّه لَمِنَ التَّجْدِيدِ أَنْ تُحْيَا السُّنَّةَ وَتَمُوتَ الْبِدْعَةُ وَيَقُومَ بَيْنَ النَّاسِ عَمُودُ الدِّينِ.

ذلك هو التجديدُ حَقًّا وَصَدَقًا، ولقد قام الإمام الكوثري بإحياء السنة النبوية، فَكَشَفَ عن المحبِّوة بين ثنابا التاريخ من كُتُبِهَا، وَيَسَّرَ مَنَاهِجَ رُؤَايِهَا، وَأَعْلَنَ للنَّاسِ فِي رَسَائِلِ دَوْنِهَا وَكُتُبِهَا أَلْفَهَا سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، من أقوالٍ وأفعالٍ وتقريرات، ثم عَكَّفَ على جهودِ العلماءِ السابقين الذين قاسوا بالسنة ورعواها حتى رعايتها، فنشر كتبهم التي دُوِّنَتْ فيها أعمالهم لإحياء السنة والذِّينُ قد أَشْرَبَتْ النَّفُوسَ حُبُّهُ، وَالغُلُوبَ لَمْ تُرْتَقِ بِفَسَادِ الْعُلَمَاءِ لَمْ تُشْغَلْهُمِ الدُّنْيَا عَنِ الْأَجْرَةِ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي رِكَابِ الْمُلُوكِ.

٣- لقد كان الإمام الكوثري عالِمًا حَقًّا، عَرَفَ عِلْمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنِ أَدْرَكَ جِهَادَهُ، وَلَقَدْ عَرَفْتُهُ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ أَلْقَاهُ، عَرَفْتُهُ فِي كِتَابَاتِهِ الَّتِي يُشْرِقُ فِيهَا نُورُ الْحَقِّ، وَعَرَفْتُهُ فِي تَعْلِيْقَاتِهِ عَلَى الْمَخْطُوطَاتِ الَّتِي قَامَ عَلَى نَشْرِهَا، وَمَا كَانَ وَاللَّهِ عَجِيبِي مِنْ الْمَخْطُوطِ بِقَدْرِ إِعْجَابِي بِتَعْلِيْقِي مِنْ عَلَقَى عَلَيْهِ، لَقَدْ كَانَ الْمَخْطُوطُ أحيانًا رسالة صغيرة. ولكن تعليقات الإمام عليه تجعلُ منه كتابًا مقروءًا، وَإِنَّ الْاِسْتِيعَابَ وَالْاِطْلَاعَ وَاتِّسَاعَ الْأَفْقِ، تُظْهِرُ فِي التَّعْلِيْقِ بَادِيَةَ الْعِيَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَعَ طَلَاوَةِ عِبَارَةٍ، وَلَطْفِ إِشَارَةٍ، وَقُوَّةِ نَقْدٍ، وَإِصَابَةِ لِلْهَدَفِ، وَاسْتِيْلَاءِ عَلَى التَّكْثِيرِ وَالتَّعْبِيرِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَجُولَ بِخَاطِرِ الْقَارِئِ أَنَّهُ كَاتِبٌ أَعْجَمِي وَليْسَ بَعْرَبِي مُبِينٍ.

ولقد كان لِقَرَّطِ تَوَاضِعِهِ لَا يَكْتَبُ مَعَ عِنْوَانِ الْكِتَابِ عَمَلُهُ الرَّسْمِيُّ الَّذِي كَانَ يَتَوَلَّاهُ فِي حَكْمِ آلِ عَثْمَانَ، لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَرَى رِضِيَّيَ اللَّهِ عَنْهُ أَنْ تُرْفَعَ الْعَالِمُ يَنَالُهُ مِنْ عَمَلِهِ الرَّسْمِيِّ وَإِنَّمَا يَنَالُهُ مِنْ عَمَلِهِ الْعِلْمِيِّ، فَكَانَ بَعْضُ الْقَارِئِينَ - لِسَلَامَةِ الْمَبْنِيِّ مَعَ دَقَّةِ الْمَعْنَى وَالْإِشْرَاقِ الدِّيَابِجَةِ وَجِزَالَةِ الْأَسْلُوبِ - لَا يَجُولُ بِخَاطِرِهِ أَنَّ الْكَاتِبَ تُرْكِيٌّ بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَلِذَلِكَ عَرَبِيًّا، وَعَاشَ عَرَبِيًّا، وَلَمْ تُظَلِّهِ إِلَّا بَيْتُهُ عَرَبِيَّةٌ.

ولكن لا عَجَبُ فَإِنَّهُ كَانَ تُرْكِيًّا فِي سُلَالَتِهِ وَفِي نَشَأَتِهِ، وَفِي حَيَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي عَاشَهَا فِي الْأَسْتَانَةِ، أَمَا حَيَاتُهُ الْعِلْمِيَّةُ فَقَدْ كَانَتْ عَرَبِيَّةً خَالِصَةً، فَمَا كَانَ يَقْرَأُ إِلَّا عَرَبِيًّا، وَمَا مَلَأَ رَأْسَهُ الْمَشْرِقُ إِلَّا النُّورَ الْعَرَبِيَّ الْمُحَمَّدِيَّ، وَلِذَلِكَ كَانَ لَا يَكْتُبُ إِلَّا كِتَابَةً نَقِيَّةً خَالِيَةً مِنْ كُلِّ الْأَسَالِيبِ الدَّخِيلَةِ فِي الْمَنَاجِ الْعَرَبِيِّ، بَلْ كَانَ يَخْتَارُ الْفَصِيحَ مِنَ الْاِسْتِعْمَالِ الَّذِي لَمْ يَجْرِ خِلَافٌ حَوْلَ فَصَاحَتِهِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ اِطْلَاعِهِ عَلَى كِتَابِ اللُّغَةِ مَتْنًا وَنَحْوًا وَبِلَاغَةً، ثُمَّ هُوَ فَوْقَ ذَلِكَ يَقْرِضُ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ فَيَكُونُ مِنَ الْحَسَنِ.

٤- لقد اِحْتَصَّ رِضِيَّيَ اللَّهِ عَنْهُ بِمَزَايَا رَفَعْتُهُ وَجَعَلْتُهُ قُدُورَةً لِلْعَالِمِ الْمُسْلِمِ، لَقَدْ عَلَا بِالْعِلْمِ عَنِ سُوْقِ الْاِتِّتِجَارِ، وَأَعْلَمَ الْخَافِقِينَ أَنَّ الْعَالِمَ الْمُسْلِمَ وَطْنُهُ أَرْضُ الْاِسْلَامِ، وَأَنَّهُ لَا يَرْضَى



بالذنية في دينه، ولا يأخذ من يذل الإسلام بهوَافة، ولا يجعل لغير الله والحق عنده إرادة، وأنه لا يصبح أن يعيش في أرض لا يستطيع فيها أن يتطوّل بالحق، ولا يُعَلِّي فيها كلمة الإسلام، وإن كانت بلدة الذي نشأ فيه، وشذا وترعرع في معانيه، فإن العالم يحيا بالروح لا بالمادة، وبالحقائق الخالدة، لا بالأعراض الزائلة، وحسبُه أن يكون وجهها عند الله وفي الآخرة، وأما جاة الدنيا وأهلها فظلّ زائل، وعرض حائل.

٥ - وإن نظرة عابرة لحياة ذلك العالم الجليل، تُرينا أنه كان العالم المخليص المجاهد الصابز على البأساء والضراء، وتنفّله في البلاد الإسلامية والبلاء بلاء، ونشره النور والمعرفة حشما حلّ وأقام. ولقد طوّف في الأقاليم الإسلامية فكان له في كل بلد حل فيه تلاميذ نهلوا من منهله العذب، وأشرقت في نفوسهم رُوحه المخلصة المؤمنة، يُقدّم العلم صفوا لا يُرتفه براء ولا التواء، يُمضي في قول الحق قُدما لا يهْمُه رِضي الناس أو سخطوا ما دام الذي بينه وبين الله عامرا.

ويظهر أن ذلك كان في دمه الذي يجري في عروقه، فهو في الجهاد في الحق منذ نشأ، وإن في أسرته لتقوى وقوة نفس وصبر واحتمال للجهاد، إنه من أسرة كانت في الفرقاز، حيث المنعة والقوة وجمال الجسم والروح، وسلامة الفكر وعمقه.

ولقد انتقل أبوه إلى الأستاذة فولد على الهدى والحق، فدرّس العلوم الدينية حتى نال أعلى درجاتها في نحو الثامنة والعشرين من عمره، ثم تدرّج في سلّم التدريس حتى وصل إلى أقصى درجاته وهو في سنة صغيرة، حتى إذا ابتلي بالذين يريدون فصل الدنيا عن الدين، لشحكّم الدنيا بغير ما أنزل الله، وقف لهم بالمرصاد، والعود أخضر، والآمال متفتحة، ومطامح الشباب متحفزة، ولكنه آثر دينه على دنياهم، وآثر أن يدافع عن بقايا الإسلامية على أن يكون في عيش ناعم، بل آثر أن يكون في نصب دائم فيه رضا الله، على أن يكون في عيش رافه وفيه رضا الناس ورضا من بيدهم شؤون الدنيا، لأن إرضاء الله غاية الإيمان.

٦ - جاهد الاتحاديين الذين كان بيدهم أمر الدولة لما أرادوا أن يضيّفوا مذى الدراسات الدينية ويقصّروا زمنها، وقد رأى رضي الله عنه في ذلك التقصير نقضا لأطرافها، فأعمل الجيلة ودبر وقدر، حتى قضى على رغبتهم، وأطال المدّة التي رغبوا في تقصيرها، ليتمكن طالب علوم الإسلام من الاستيعاب وهضم العلوم، وخصوصا بالنسبة لأعجمي بلسان عربيّ سبين.

٧ - وهو في كل أحواله العالم الثرة الأنف الذي لا يعتمد على ذي جاه في ارتفاع، ولا يتملّق ذا جاه لنيل مطلب أو الوصول إلى غاية مهما شرفت، فإنه رضي الله عنه كان يرى أن معالي الأمور لا يوصل إليها إلا طريق سليم ومنهاج مستقيم، ولا يُمكن أن يصل كريم إلى غاية كريمة إلا من طريق يَصون النفس فيها عن الهوان، فإنه لا يوصل إلى شريف إلا شريف مثله، ولا شرف في الاعتماد على ذوي الجاه في الدنيا، فإن من يعتمد عليهم لا

يكون عند الله وجيهاً.

٨ - سعى رضي الله عنه بجده وعمليه في طريق المعالي حتى صار وكيل مشيخة الإسلام في تركيا، وهو ممن يعرف للمنصب حقه، لذلك لم يُفرض في مصلحة إرضاء لذي جاء مهما يكن قوياً مسيطراً، وقيل أن يُعزل في منصبه في سبيل الاستمساك بالمصلحة. والاعتزال في سبيل الحق خير من الامتثال للباطل.

٩ - عُزل الشيخ عن وكالة المشيخة الإسلامية، ولكنه بقي في مجلس وكالتها الذي كان رئيساً له، وما كان يرى غصاً لمقامه أن ينزل من الرياسة إلى العضوية ما دام سبب النزول رقيقاً، إنه الغلو النفسي لا يمنع العامل من أن يعمل رئيساً أو مرؤساً، فالعزة تُستمد من الحق في ذاته، ويُباركها الحق جل جلاله.

١٠ - ولكن العالم الأبي العف الثقي يُمتحن أشد امتحان، إذ يرى بلده العزيز وهو دار الإسلام الكبرى، ومناط عزته، وخط آمال المسلمين يسوده الإلحاد، ثم يُسيطر عليه من لا يرجو لهذا الدين وقاراً، ثم يُصبغ فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر، ثم يجد هو نفسه مقصوداً بالأذى، وأنه إن لم ينتج ألق في غيابات السجن، وجيل بينه وبين العلم والتعليم. عندئذ يجد الإمام نفسه بين أمور ثلاثة: إما أن يبقى مأسوراً مقيداً، ينطفئ علمه في غيابات السجون، وإن ذلك لعزير على عالم تعود الدرس والإرشاد، وإخراج كنوز الدين ليعلمها الناس عن بيته، وإما أن يمتلق ويداهن وُعاليه، ودون ذلك خراط القناد بل خز الأعناق، وإما أن يُهاجر ويلاذ الله واسعة، وتذكر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

١١ - هاجر إلى مصر ثم انتقل إلى الشام، ثم عاد إلى القاهرة، ثم رجع إلى دمشق مرة ثانية، ثم ألقى عصا التسيار نهائياً بالقاهرة، وهو في رحلته إلى الشام ومقامه في القاهرة كان ثوراً، وكان منكنه الذي كان يسكنه ضؤل أو أشع مدرسة تأوي إليها طلاب العلم الحقيقي، لا طلاب العلم المدرسي، فيتهدي أولئك التلاميذ إلى ينابيع المعرفة، من الكتب التي كُتبت وسوق العلوم الإسلامية رائجة ونفوس العلماء عامرة بالإسلام، فرد عقول أولئك الباحثين إليها ووجههم نحوها، وهو يُفسر المغلق لهم، ويبيض بغزير عليه وثمار فكره.

١٢ - وإن كاتب هذه السطور لم يلق الشيخ إلا قليل وفاته بنحو عامين، وقد كان اللقاء الروحي من قبل ذلك بسنين، عندما كنت أقرأ كتاباته، وأقرأ تعليقه على ما يُخرج من مخطوط، وأقرأ ما أُلّف من كتب، وما كنت أحسب أن لي في نفس ذلك العالم الجليل مثل ما له في نفسي، حتى قرأت كتابه «حسن التقاضي في سيرة الإمام أبي يوسف القاضي» فوجدته رضي الله عنه خصني عند الكلام في الجيل المنسوبة لأبي يوسف بكلمة خير. وأشهد أنني سمعت ثناء من كبراء وعلماء، فما اعترزت بشيء كما اعترزت بشيء ذلك الشيخ الجليل، لأنه وسام علمي ممن يملك إعطاء الوسام العلمي.

سَعَيْتُ إِلَيْهِ لِالِقَاءِهِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَجْهَلُ مَقَامَهُ، وَإِنِّي لِأَسْبِرُ فِي مَيْدَانِ الْعَنْبَةِ الْخَضْرَاءِ، فَوَجَدْتُ شَيْخًا وَجِيهًا وَقَوِيًّا، الشَّبَابُ يَبْشُرُ مِنْهُ كَثُورَ الْحَقِّ، يَلْبَسُ لِبَاسَ عُلَمَاءِ الثَّرِكِ، قَدْ التَّفَّ حَوْلَهُ طَلَبَةٌ مِنْ سُورِيَّةٍ، فَوَقَّعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ الشَّيْخُ الَّذِي أَسْمَى إِلَيْهِ. فَمَا أَنْ زَائِلٌ تَلَامِيذُهُ حَتَّى اسْتَفْسَرْتُ مِنْ أَحَدِهِمْ: مِنَ الشَّيْخِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ الشَّيْخُ الْكُوْثَرِيُّ، فَاسْرَعْتُ حَتَّى التَّقِيْتُ بِهِ لِأَعْرِفَ مَقَامَهُ، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ نَفْسِي، فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ مِنَ الرِّغْبَةِ فِي الِالِقَاءِ مِثْلَ مَا عِنْدِي، ثُمَّ زَرْتُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ فَرَّقَ كُتُبَهُ، وَفَرَّقَ بُحُورَهُ، وَأَنَّهُ كَثُرَ فِي مِصْرَ.

١٣ - وَهَذَا أُرِيدُ أَنْ أَبْدِيَ صَفْحَةً مِنْ تَارِيخِ ذَلِكَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ، لَمْ يَعْرِفْهَا إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ: لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ يَغْمُ نَفْعُهُ، وَأَنْ يَتِمَّ كُنْ طَلَابُ الْعِلْمِ مِنْ أَنْ يَرُدُّوا وَرَدَّهُ الْعَذْبَ، وَيَتَفَعَّلُوا مِنْ مَثَلِهِ الْغَزِيرِ، لَقَدْ اقْتَرَحَ قَسْمَ الشَّرِيعَةِ عَلَى مَجْلِسِ كَلِيَّةِ الْحَقُوقِ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ: أَنْ يَنْدَبَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ لِلتَّدْرِيسِ فِي دِبْلُومِ الشَّرِيعَةِ، مِنْ أَقْسَامِ الدِّرَاسَاتِ الْعَلِيَا بِالْكَلِيَّةِ، وَوَأَقْبَلَ الْمَجْلِسُ عَلَى الْاِقْتِرَاحِ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ الْأَعْضَاءُ الْأَجْلَاءُ مَكَانَ الشَّيْخِ مِنْ عِلْمِهِ الْإِسْلَامِ، وَأَعْمَالِهِ الْعِلْمِيَّةِ الْكَبِيرَةِ.

ذَهَبْتُ إِلَى الشَّيْخِ مَعَ الْأَسْتَاذِ رَيْسِ قَسْمِ الشَّرِيعَةِ إِذَا ذَلِكَ، وَلَكِنَّا فَوَجَدْنَا بِاعْتِدَارِ الشَّيْخِ عَنِ الْقَبُولِ بِمَرَضِهِ وَمَرَضِ زَوْجِهِ، وَضَعْفِ بَصَرِهِ، ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى الْاِعْتِدَارِ، وَكَلَّمْنَا الْحَحْنَ فِي الرَّجَاءِ لَعَجْ فِي الْاِعْتِدَارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْ جَدْوِي رَجُونَاهُ فِي أَنْ يُعَاوَدَ التَّفَكِيرَ فِي هَذِهِ الْمُعَاوَنَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تَرْقِيهَا وَنَتَمَّاسَا، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ مَتَفَرِّدًا مَرَّةً أُخْرَى، أَكْرَزُ الرَّجَاءِ وَالْحَيْفَ فِيهِ، وَلَكِنَهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَ مَعِي صَرِيحًا، قَالَ الشَّيْخُ الْكَرِيمُ... إِنَّ هَذَا مَكَانٌ عِلْمٌ حَقًّا، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُدْرَسَ فِيهِ إِلَّا وَأَنَا قَوِيٌّ الْقِي دُرُوسِي عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُحِبُّ، وَإِنْ شِئِخُوْحَتِي وَضَعْفَ صَحْتِي وَصِحَّةَ زَوْجِي، وَهِيَ الْوَحِيدَةُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، كُلُّ هَذَا لَا يُمْكِنُنِي مِنْ آدَاءِ هَذَا الْوَاجِبِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرْضَاهُ.

١٤ - خَرَجْتُ مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ وَأَنَا أَقُولُ أَيُّ نَفْسٍ عُلوِيَّةٌ كَانَتْ تُسْجِنُ فِي ذَلِكَ الْجِسْمِ الْإِنْسَانِي، إِنَّهَا نَفْسُ الْكُوْثَرِيِّ.

وَإِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْكَرِيمَ الَّذِي ابْتَلِي بِالشَّدَائِدِ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهَا، ابْتَلِي بِقَعْدِ الْأَحْبَةِ، فَفَقَدَ أَوْلَادَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَقَدْ اخْتَرَمَهُمُ الْمَوْتُ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ، وَمَعَ كُلِّ قَعْدٍ لَوْعَةٌ، وَمَعَ كُلِّ لَوْعَةٍ نُدُوبٌ فِي النَّفْسِ وَأَحْزَانٌ فِي الْقَلْبِ. وَقَدْ اسْتَطَاعَ بِالْعِلْمِ أَنْ يَصْبِرَ وَهُوَ يَقُولُ مَقَالَةً يَعْجُوبُ: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» وَلَكِنْ شَرِيكَتُهُ فِي السَّرِّ وَالضَّرِّ أَوْ شَرِيكَتُهُ فِي بَأْسِ هَذِهِ الْحَيَاةِ بَعْدَ تَوَالِي النِّكَبَاتِ، كَانَتْ تُحَاوِلُ الصَّبْرَ فَتَنْصَبِرُ، فَكَانَ لَهَا مُوَاسِيَا، وَلِكُلُّوْمَا مُدَاوِيَا، وَهُوَ هُوَ نَفْسُهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى دَوَاةٍ.

وَلَقَدْ مَضَى إِلَى رَبِّهِ صَابِرًا شَاكِرًا حَامِدًا، كَمَا يَمْضِي الصُّدَيْقُونَ الْأَبْرَارَ، فَرَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

## ترجمة الإمام الكوثري<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذه نبذة مختصرة جامعة عن مؤلف هذا الكتاب .

هو الإمام العلامة المحدث المحقق الفقيه الأصولي المؤرخ الصوفي المتكلم الشيخ محمد زاهد بن حسن بن علي الكوثري الحنفي .

وُلد يوم الثلاثاء ٢٧ أو ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٦ في قرية الحاج حسن<sup>(٢)</sup> أفندي وتلقى مبادئ العلوم على والده وعلى شيوخ دوزجة .

ثم انتقل إلى الآستانة سنة ١٣١١ فأخذ العلم عن كبار علمائها مثل : الشيخ العلامة إبراهيم حقي الأكني المتوفى سنة ١٣١٨ ، والشيخ العلامة علي زين العابدين الأصبوني المتوفى سنة ١٣٣٦ ، والشيخ حسن القسطنوني المتوفى سنة ١٣٢٩ ، والشيخ العلامة يوسف ضياء الدين التكوشي المتوفى سنة ١٣٣٩ ، وعمدته والده العلامة حسن بن علي الكوثري المتوفى سنة ١٣٤٥ عن مائة سنة رحمهم الله جميعاً .

وقد تولى عدة مناصب منها التدريس بجامع الفاتح وآخرها وكالة المشيخة الإسلامية في الدولة العثمانية .

وعندما أطيح بالخلافة العثمانية وتولى عدو الله كمال أتاتورك سلطنة الدولة كان الشيخ من أشد المعارضين حتى حُكِمَ عليه بالإعدام ففرّ بدينه وهاجر إلى مصر ووصل إلى الإسكندرية سنة ١٣٤١ دون أن يودع أهله وسكن في القاهرة ثم رحل إلى الشام قبل أن يتم ستة الأولى من حين وصوله إلى مصر ، ثم زارها مرة أخرى في سنة ١٣٤٧ وكان مدة

(١) للتوسع في ترجمته انظر الترجمة الوافية بعنوان «الإمام الكوثري» للاستاذ أحمد خيرى في آخر مجموع «الفقه وأصول الفقه» من أعمال الإمام محمد زاهد الكوثري .

(٢) وهي قرية أنشأها والد المترجم رحمه الله وتقع على بُعد خمس مراحل شرق الآستانة ، وتعرف الآن ببلدة دوزجة .

قيامه في الزيارتين بدمشق ما يقرب من سنة وعكف فيهما على المكتبة الظاهرية ينقب عن نفائس مخطوطاتها .

ثم ألقى عصا السيار بمصر حتى توفي بها في يوم الأحد ١٩ من ذي القعدة سنة ١٣٧١ هـ رحمه الله رحمة واسعة .

وقد أجازته كبار علماء عصره من أمثال :

- ١ - العلامة الشيخ يوسف الدجوي وقد سمع عليه المرطاً وقد توفي سنة ١٣٦٥ .
- ٢ - والمحدث العلامة الشيخ أحمد رافع الطهطاوي المتوفى سنة ١٣٥٥ .
- ٣ - والمحدث العلامة الشيخ محمد جعفر الكتاني وقد سمع منه «الشمال المحمدية» بدمشق في رحلته الأولى سنة ١٣٤٢ . وقد توفي سنة ١٣٤٥ .
- ٤ - والعلامة المحدث الشيخ عبد الحي الكتاني المتوفى سنة ١٣٨٢ .
- ٥ - ومن كبار مشايخ الأزهر العلامة محمد سالم الشرقاوي المعروف بالنجدي المتوفى سنة ١٣٥٠ .

٦ - والشيخ العلامة محمد حبيب الله الشنيطي المتوفى سنة ١٣٦٣ .

٧ - وأخوه العلامة مفتي المدينة المنورة محمد الخضر الشنيطي المتوفى سنة ١٣٥٣ .

٨ - ومولانا الشيخ العلامة حكيم الأمة محمد أشرف علي التهانوي المتوفى سنة ١٣٦٢ . وغيرهم من العلماء رحمهم الله جميعاً .

وقد عُرف عن المترجم رحمه الله تعالى التواضع وسعة الأطلاع والحافظة القوية والإيثار والزهة والقوة في الحق، والرد على المبتدعة، وصون جَمَى الدين .

وتتلمذ عليه خلق لا يحصون قبل هجرته وبعدها واستجازته كبار معاصريه في العالم الإسلامي كما كان له سند عالٍ .

وقد ترك رحمه الله تعالى مؤلفات كثيرة من شتى العلوم تشهد بعلمه وفضله، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو قيد الطبع :

- ١ - تأنيب الخطيب فيما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب .
- ٢ - النكت الطريفة في التحدث عن ردود ابن أبي شيبه على أبي حنيفة .
- ٣ - إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق .
- ٤ - الإشفاق على أحكام الطلاق .
- ٥ - نظرة عابرة في مزامع من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة . وهو ضمن هذا المجموع الذي بين أيدينا .

٦ - من عبّر التاريخ .

٧ - صفحات البرهان على صفحات العدوان .

٨ - محقّ القول في مسألة التوسّل .

٩ - حُسن التقاضي في سيرة أبي يوسف القاضي .

- ١٠ - بلوغ الأمان في سيرة محمد بن الحسن الشيباني.
  - ١١ - الإمتاع بسيرة الإمامين محمد بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع.
  - ١٢ - لمحات النظر في سيرة الإمام زفر.
  - ١٣ - الحاروي في سيرة أبي جعفر الطحاوي.
  - ١٤ - الاستبصار في التحدّث عن الجبر والاختيار.
  - ١٥ - تذهيب التاج اللجيني في ترجمة البدر العيني.
  - ١٦ - أقوم المسالك في رواية مالك عن أبي حنيفة وأبي حنيفة عن مالك.
  - ١٧ - التحرير الوجيز فيما يتغيه المستجير. وهو ثبته.
  - ١٨ - نبراس المهتدي من اجتلاء أنباء العارف بالله دمرdash المحمدي.
  - ١٩ - إرغام المرید في شرح النظم العتيد لتوسل المرید.
  - ٢٠ - المتقى المفيد من العقد الفريد في علو الأسانيد.
  - ٢١ - مقدمات وتعاليق وتقاريط الإمام الكوثري ويحوي هذا الكتاب ما يقرب من ٦٠ مقدمة للشيوخ على مختلف الكتب.
  - ٢٢ - البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية. وغيرها من الكتب.
- وأما كتبه المخطوطة : فمنها ما هو في حكم المفقود ومن أهم تلك الكتب :
- ١ - المدخل العام لعلوم القرآن وهو من أهم كتبه.
  - ٢ - إبداء وجوه التعدي في كامل ابن عدي.
  - ٣ - نقد كتاب الضعفاء للعقيلي.
  - ٤ - التعقب الحثيث فيما ينفيه ابن تيمية من الحديث.
  - ٥ - رفع الريبة عن تخططات ابن قتيبة.
  - ٦ - الاهتمام بترجمة ابن الهمام.
  - ٧ - تحذير الخلف من مخازي أذعياء السلف.
  - ٨ - فصل المقال في تمحيص أهدوءة الأوعال.
  - ٩ - عتب المغترين بدجاجلة المعترين.
- وقد جمعت مقالاته التي كتبها في بعض المجلات ضمن كتاب «مقالات الكوثري» وهي حوالي ١١٧ مقالة.
- كما حقق رحمه الله تعالى ما يقرب من ٤٠ كتابًا حلاها بتعليقه الوافية الممتعة. وللتوسع في ترجمته انظر الترجمة الوافية التي كتبها العلامة الأديب البحائة الأستاذ: أحمد خيرى رحمه الله في كتابه «الإمام الكوثري»<sup>(١)</sup>.

(١) وهذا الكتاب موجود في آخر مجموع «الفقه وأصول الفقه» من أعمال الإمام محمد زاهد الكوثري.

ومعنى ترجم له :

- ١ - عزت العطار الحسيني في مقدمة تأنيب الخطيب .
- ٢ - أحمد إبراهيم السراوي في مقدمة «طبقات ابن سعد» من الطبعة المصرية سنة ١٣٥٨ .
- ٣ - الشيخ عبد الله الغماري في كتابه «سبيل التوفيق من ترجمة عبد الله بن الصديق» ذكره ضمن شيوخه .
- ٤ - الأعلام لخير الدين الزركلي رحمه الله ، وقد دُس من بعض المنزهين المعروفين بالُدس في كتب العلماء من ترجمة الإمام بعد وفاة المؤلف الزركلي رحمه الله جملة وتناوله بعض الفضلاء بالنقد في كتاب «الكوثري وتعليقاته» .
- ٥ - الأستاذ زكي مجاهد رحمه الله في «الأخبار التاريخية» .
- ٦ - محمود سعيد ممدوح في تراجم مشايخ الشيخ الغاداني «تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع» ، إلا أنه غمز الشيخ رحمه الله تبعاً لمشايعه المغاربة المعروفين بذلك .  
وأما الذين أثنوا على الإمام واعترفوا بعلمه وفضله فخلق لا يحصون غيروا عن ذلك باللسان والبنان فمن الذين أثنوا عليه :
- ١ - الشيخ العلامة محمد يوسف البنوزي رحمه الله تعالى في أول «مقالات الكوثري» .
- ٢ - الشيخ الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله في أول «المقالات» كذلك وترجمته له أثنائها في أول هذا الكتاب .
- ٣ - الشيخ إسماعيل عبد رب النبي واعظ القاهرة في أول المقالات .
- ٤ - شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله في كتابه العظيم «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين» .
- ٥ - الشيخ العارف بالله سلامة العزامي الشافعي رحمه الله في «البراهين الساطعة» و«فرقان القرآن» ، بين صفات الخالق وصفات الأكوان» .
- ٦ - والعلامة الفقيه الشيخ أبو الوفا الأفغاني في بعض كتبه . رحمه الله .
- ٧ - والشيخ عبد الرحمن المعلمي في مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .
- ٨ - الشيخ عبد الغني عبد الخالق في مقدمة «مناب الشافعي وآدابه» لأبي حاتم الرازي .
- ٩ - والعلامة محمد يوسف موسى رحمه الله في بعض كتبه .
- ١٠ - وتلميذه الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله في كثير من كتبه .
- ١١ - والشيخ توفيق يحيى إسلام في مقدمة كتاب «قانون التأويل» للإمام الغزالي .
- ١٢ - الشيخ العلامة مولانا نجم الدين الكردي النقشبندي ، في مقدمته لكتاب شيخه «فرقان القرآن» من الطبعة الثانية .
- ١٣ - والعلامة الشيخ محمد عبد الرشيد النعماني في مقدمة كتاب «التعليم» لمسعود بن أبي شيبة رحمه الله .

- ١٤ - والشيخ رضوان محمد رضوان في فهارس البخاري .
- ١٥ - الأستاذ حسام الدين القدسي في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب «تبيين كذب المفتري» .
- ١٦ - محمد منير الدمشقي رحمه الله في كتابه «نموذج من الأعمال الخيرية» .
- ١٧ - الدكتور محمود الطناحي في كتابه «تاريخ نشر التراث» .
- ١٨ - الدكتور العلامة طه الدسوقي الحيشي في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن جهيل الذي رَدَّ به على أغلاط ابن تيمية في الفتوى الحموية .  
وقد كتبت بحوث في سيرته وعلمه منها :
- ١ - رسالة دكتوراه تقدم بها الطالب «حامد إبراهيم محمد» من الأزهر الشريف نوقشت في شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٨ هـ ونال بها الطالب درجة الدكتوراه وكانت بعنوان «محمد زاهد الكوثري وجهوده الكلامية» .
- ٢ - بحث قدّمه الطالب في الدراسات العليا محمد بن سعيد حَوَّى إلى جامعة الأردن بعنوان «الكوثري محدثاً» .
- ٣ - رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الإلهيات في أنقرة بعنوان «الكوثري محدثاً» .  
إلى غير ذلك من مآثر هذا الإمام العظيم التي لا ينكرها إلا من أصابته غشاوة أو عدمت بصيرته .



نظرة عابرة

في منراعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة

للإمام الكوثري



## فتوى الشيخ محمود شلتوت في وفاة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، ورفعہ ونزوله منقولة عن كتابه «الفتاوى» ص ٥٢ - ٧٥

### رفع عيسى عليه السلام

ورد إلى مشيخة الأزهر الجلييلة من حضرة عبد الكريم خان بالقيادة العامة  
لجيوش الشرق الأوسط سؤال جاء فيه:

هل (عيسى) حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة؟ وما حكم  
المسلم الذي ينكر أنه حي؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة  
أخرى؟

وقد حُوِّل هذا السؤال إلينا فأجبت بالفتوى التالية التي نشرتها مجلة الرسالة في  
سنتها العاشرة بالعدد ٤٦٢.

القرآن الكريم ونهاية عيسى:

أما بعد، فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه  
مع قومه في ثلاث سور:

١ - في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ  
أَنْصَابِي إِلَى اللَّهِ فَأَلِ الْوَارِثِينَ لِيُنصَبُوا مِنِّي وَأَنْصَبُوا اللَّهُ عَامِنًا بِاللَّهِ وَآشَهِدُوا بِنَا سُبْحَانَ اللَّهِ  
رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَيْنَا الرَّسُولَ فَكَتَبْنَا مَعَ النَّبِيِّينَ ﴿٥٢﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ  
وَاللَّهُ خَبِيرٌ الصَّادِقِينَ ﴿٥٣﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَسْمِعَ إِلَىٰ مَتَرِفِكَ وِدَائِكَ إِنَّكَ وَمَنْ يَمْشِي مَعَكَ مِنَ الْإِنسَانِ  
كَاذِبُونَ ﴿٥٤﴾ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْوَيْدَانَةِ ثُمَّ إِنَّكَ تَرَىٰ كُفْرًا  
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٥].

٢ - وفي سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ مَا لَكُم مِّنْ بَدِيعٍ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَلَائِقُونَ ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَضَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

٣ - وفي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي دُونِ اللَّهِ قُلُوبًا مَّا يُكُونُ لِيَ أَنْ آتُواكَ مَا يَتَّبِعُونَ ﴿١٧١﴾ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُوا أَمْرًا مِّنْ نَّفْسِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿١٧٢﴾ وَمَا قُلْتُ لَكُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتُنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيَّ شُهَدَاءَ مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

هذه هي الآيات التي عرض القرآن فيها لنهاية شأن عيسى مع قومه.

والآية الأخيرة (آية المائدة) تذكر لنا شيئاً آخرورياً يتعلق بعبادة قومه له ولأمه في الدنيا وقد سأله الله عنها. وهي تقرر على لسان عيسى عليه السلام أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢] وأنه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن توفاه الله.

معنى التوفى:

وكلمة (توفى) قد وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرّفها عن هذا المعنى المتبادر: ﴿قُلْ بِتَوَفَّيْكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] توفته رسلنا. ومنكم من يتوفى. حتى يتوفاهن الموت. ﴿تَوَفَّىٰ مُسْلِمًا وَالْحِفْظِي بِالصَّلَاحِيِّينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ومن حق كلمة ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧] في الآية أن تُجمل هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس، ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد. وإذن فالآية لو لم يتصل بها غيرها في تقرير نهاية عيسى مع قومه، لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حي لم يموت.

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء، وأنه سينزل منها آخر الزمان، لأن الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان وهم قوم محمد بانفاق لا قوم عيسى.

معنى ﴿رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وهل هو إلى السماء؟

أما آية النساء فإنها تقول: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقد فرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ويقولون: إن الله ألقى على غيره شبهه، ورفعه بجسده إلى السماء، فهو حي فيها وسينزل منها آخر الزمان، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويعتمدون في ذلك:

أولاً: على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال، وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينهما، وقد نصّ على ذلك علماء الحديث، وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحمار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام وقد عرفت درجتها في الحديث عند علماء الجرح والتعديل.

ثانياً: على حديث مروى عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى وإذا صحّ هذا الحديث فهو حديث آحاد. وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات.

ثالثاً: على ما جاء في حديث المعراج من أن محمداً ﷺ حينما صعد إلى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية. وكفينا في توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث في شأن المعراج وفي شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء، وأنه كان اجتماعاً روحياً لا جسمانياً. «انظر فتح الباري وزاد المعاد وغيرهما».

ومن الطريف أنهم يستدلون على أن معنى الرفع في الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج بينما ترى فريقاً منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى في المعراج كان اجتماعاً جسدياً بقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وهكذا يتخذون الآية دليلاً على ما يفهمونه من الحديث حين يكونون في تفسير الحديث، ويتخذون الحديث دليلاً على ما يفهمونه من الآية حين يكونون في تفسير الآية.

## الرفع في آية آل عمران:

ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُؤَيَّدُكَ وَرَافِعُكَ إِنَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] في آيات آل عمران مع قوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] في آيات النساء وجدنا الثانية إخباراً عن تحقيق الوعد الذي تضمنته الأولى، وقد كان هذا الوعد بالتوفية الرفع والتطهير من الذين كفروا، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير، واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله، فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر في الأولى جمعاً بين الآيتين.

والمعنى أن الله توفي عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا.

وقد فسر الألوسي قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُؤَيَّدُكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] بوجوه منها - وهو أظهرها - إني مستوفي أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك، وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام، لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك.

وظاهر أن الرفع الذي يكون بعد التوفية هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله: ﴿وَمَطَّحْنَاهُ مِنكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم.

وقد جاء الرفع في القرآن كثيراً بهذا المعنى: ﴿فِي يَوْمٍ أُذِنَ أَن تَرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]، ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَابٍ﴾ [الأنعام: ٨٣]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، ﴿وَرَفَعْتَهُ مَكَانًا عِظًا﴾ [مریم: ٥٧]، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١١] الخ...  
وإذن فالتعبير بقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِنَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] كالتعبير في قولهم لحيق فلان بالرفيق الأعلى وفي ﴿إِنَّكَ اللَّهُ مَنَّانٌ﴾ [التوبة: ٤٠] وفي ﴿وَإِنِّي لَمَلِكٌ مُّقَدِّيرٌ﴾ [القمر: ٥٥]، وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس. فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة ﴿إِلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]؟

اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآني الواضح خضوعاً لقصاص وروايات لم يقم على الظن بها - فضلاً عن اليقين - برهان ولا شبه برهان!

القهم المتبادر من الآيات:

ويعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبه قومه العدا، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه، فالتجأ إلى الله شأن الأنبياء والمرسلين

فأنقله الله بعزته وحكمته وخبث مكر أعدائه. وهذا هو ما تضمنته الآيات ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَصَاوِرَ إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] إلى آخرها، بين الله فيها قوة مكره بالنسبة إلى مكرهم، وأن مكرهم فى اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله فى حفظه وعصمته، إذ قال: ﴿يَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ وَدَاعُكَ إِنَّا وَمَطْلُوكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] فهو يشره بإنجانه من مكرهم ورد كيدهم فى نحورهم وأنه سيقضى أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه.

وهذا هو ما يفهمه القارىء للآيات الواردة فى شأن نهاية عيسى مع قومه متى وقف على سعة الله مع أنبيائه حين يتألب عليهم خصومهم، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فى القرآن، ولست أدري كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم ورفعه بجسده إلى السماء مكرأ؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شيء ليس فى استطاعتهم أن يقاوموه، شيء ليس فى قدرة البشر.

الا إنه لا يتحقق مكر فى مقابلة مكر إلا إذا كان جارياً على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه. وقد جاء مثل هذا فى شأن محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنُوا بِذَلِكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

رفع عيسى ليس هقيدة يكفر منكرها:

والخلاصة من هذا البحث:

١ - أنه ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رُفع بجسده إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض.

٢ - أن كل ما تفهده الآيات الواردة فى هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه.

٣ - أن من أنكر أن عيسى قد رُفع بجسده إلى السماء وأنه فيها حي إلى الآن وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكرأ لما ثبت بدليل قطعي، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين يُصلى عليه كما يُصلى على المؤمنين ويُدفن فى مقابر المؤمنين، ولاشية فى إيمانه عند الله والله بعباده خبير بصير.

## مناقشة

بعد نشر هذه الفتوى في مجلة «الرسالة» السنة العاشرة العدد ٤٦٢ قامت ضجة أحدثها قوم جمدوا على القديم، وأذعوا الغيرة على الدين.  
وقد رددنا على شبهات هؤلاء بالحجج العلمية الدامغة ونشرت ذلك «الرسالة» في الأعداد ٥١٤، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩ من السنة الحادية عشرة.  
وفيما يلي خلاصة لهذا الرد:

مبادئ مسلمة عند العلماء:

١ - حدّد الشارع العقائد، وطلب من الناس الإيمان بها، والإيمان هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل.  
ومن الواضح أن هذا الاعتقاد لا يحصله كل ما يسمى دليلاً، وإنما يحصله الدليل القطعي الذي لا تعتره شبهة.  
٢ - وهذا الدليل القطعي يتمثل في شيئين:

الأول: الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الحس والضرورة، فهذا - باتفاق - يفيد اليقين، ويحقق ذلك الإيمان المطلوب.

الثاني: الدليل النقلى إذا كان قطعياً في وروده، قطعياً في دلالاته.

ومعنى كونه قطعياً في وروده: ألا يكون هناك أي شبهة في ثبوته عن الرسول، وذلك كالقرآن الكريم الذي ثبت كله بالتواتر القطعي، وكالأحاديث المتواترة عن الرسول، إن ثبت تواترها.

ومعنى كونه قطعياً في دلالاته، أن يكون نصاً محكماً في معناه، وذلك إنما يكون فيما لا يحتمل التأويل.

٣ - فإذا كان الدليل النقلى بهذه المشابة أفاد اليقين، وصلح لأن تثبت به

العقيدة.



ومن هنا نستطيع أن نقرر أن العليّيات التي لم ترد بطريق قطعي أو وزّدت بطريق قطعي، ولكن لابسها احتمال في الدلالة، فاختلف فيها العلماء، ليست من العقائد التي يكلفنا بها الدين، والتي تعتبر حداً فاصلاً بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون.

٤ - هذه المبادئ التي ذكرنا تنير سبيل البحث لمن يريد معرفة الحق فيما هو من العقائد وما ليس منها، وهي مبادئ مسلمة عند العلماء يعرف كل مطلع على كتبهم ومناقشاتهم أنه لا نزاع فيها<sup>(١)</sup>.

وعلى ضوء هذه المبادئ نستقبل قول الذين زعموا «أن رفع عيسى ونزوله آخر الزمان ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع».

ولنا في ذلك نظرات ثلاث: نظرة فيما ذكروا من آيات، ونظرة فيما ساقوا من أحاديث، والنظرة الثالثة فيما ادّعوا في هذا المقام من إجماع.

نظرة فيما ساقوا من آيات:

فأما الآيات التي تذكر في هذا الشأن فنحن نرجعها إلى ثلاثة أنواع:

التنوع الأول: آيات تذكر وفاة عيسى ورفعه، وتدل بظاهرها على أن الوفاة قد وقعت، وهذه الآيات هي:

١ - قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَبْعَثُ إِلَيَّ رَسُولًا وَإِلَيْكَ إِيَّاكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٥].

٢ - قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٥٧] إلى قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

٣ - قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿قَلَّمَا نَوْفَلْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الْأَرْقَبُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

وقد تناولنا هذه الآيات في الفتوى ودرسناها دراسة علمية واضحة، وعرضنا إلى آراء المفسرين فيها، وبيّنا أنه ليس فيها دليل قاطع على أن عيسى رفع بجسمه إلى السماء، بل هي - على الرغم مما يراه بعض المفسرين - ظاهرة بمجموعها في أن

(١) راجع فصل «طريق ثبوت العقيدة» من كتابنا «الإسلام عقيدة وشريعة».

عيسى قد توفي لأجله، وأن الله رفع مكانته حين عصمه منهم، وصانه وطهره من مكرهم. ولسنا في حاجة إلى أن نعيد شيئاً مما ذكرناه<sup>(١)</sup>.

النوع الثاني: آيات ما كان ليخطر بالبال أن لها صلة بموضوع البحث، فلذا لم نفكر فيها، وحبنا الآن أن نمثل لهذا النوع بما قال أحدهم:

«ولك أن تضم إلى ما ذكرناه قوله تعالى عنه عليه السلام: ﴿وَجِئَها فِي الأُذُنِيا وَالْأَجْرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]. ففي قوله: ﴿وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ إشارة إلى رفعه إلى محل الملائكة المقربين».

والشيخ يريد السماء طبعاً، وهو لى للكتاب غريب، فقد وردت كلمة «المقربين» في غير موضع من القرآن الكريم: ﴿وَالسَّمَوَاتِ السَّبْعُونَ ﴿١٦﴾ أُنزِلَتْكَ الْمَلَأُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٣٣﴾ فَرَوْحٌ وَرُوحٌ وَجَنَّتْ نَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]، ﴿حِينَ يَقْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المطففين: ٢٨]، وإذن فليس عيسى وحده هو الذي يعيش بجسمه في السماء، بل معه أفواج من عباد الله يعيشون فيها ويزداد عددهم يوماً بعد يوم. وهكذا فليكن المنطقاً

ثم يقول: «بل في قوله تعالى: ﴿وَجِئَها فِي الأُذُنِيا وَالْأَجْرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥] إشارة إلى ذلك، لأن الوجيه بمعنى ذي الجاه، ولا أدل على كونه ذا جاه في الدنيا من رفعه إلى السماء».

(١) غير أنهم تمسكوا بقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَیْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] بعد قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ یَقِیْنًا﴾ [النساء: ١٥٧] فقالوا: إن الرفع بعد نفي القتل هو رفع الجسم حتماً، وإلا لما تحققت المنافاة بین ما قبل «بل» وما بعدها، ونحن نقول لهم إن المنافاة متحققة، لأن الغرض من الرفع رفع المكانة والدرجة بالحيلة بينهم وبين الإيقاع به كما يريدون. والمعنى: أن الله عصمه منهم فلم يمكنهم من قتله بل أحبط مكرهم وأنقله وثرفاه لأجله فرجع بذلك مكانته. وقد قلنا في الفتوى: إن الآية بهذا تتفق تماماً مع ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَلِّئُكَ وَأَصْلُكَ إِلَیَّ وَمَتَلَّهْتُكَ مِنْكَ أَلَدَيْهِ كَصَفْرًا﴾ [آل عمران: ٥٥] وهذا احتمال قوي في الآية يمنع الزعم بأنها نص أو ظاهر في رفعه بجسمه حياً. ويقول الإمام الرازي في تفسيره: «ومظهرك: مخرجك من بينهم ومفروق بينك وبينهم. وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه أخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير، وكل ذلك يدل على المبالغة في إعلاء شأنه وتعظيم منزلته». ويقول في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَجِئُكَ مِنَ السَّمَاءِ نُزُوراً﴾ [آل عمران: ٥٥] القول الثاني المراد من هذه الفوقية الفوقية بالحجة والبرهان» ثم يقول: واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه في قوله: ﴿وَجِئَها فِي الأُذُنِيا﴾ [آل عمران: ٥٥] هو رفع الدرجة والمنتبة لا بالمكان والجهة، كما أن الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة اهـ.

وهذا كلام لا يقال، فإن وجاهة عيسى في الدنيا هي الرسالة المؤيدة بالمعجزات البينات ﴿وَمَعْلَمَةُ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةُ وَالنُّورُ وَالْإِنْجِيلُ ۝ وَرَسُولًا إِكْبَرًا مَنَاسِكًا أَتَىٰ قَدَّ جُنُودِكُمْ وَيَا قَوْمِ ثَبَرُوا إِنَّمَا أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَلِمَةً مُّبِينًا﴾ [آل عمران: ٤٨، ٤٩] فكيف تذكر بجانب هذه الوجاهة قصة الرفع إلى السماء التي يرغمون هذه الآية على إفادتها أو الإشارة إليها؟ وكيف يكون وجهياً في الدنيا من غادر الأرض وترك أهلها الذين يحسون وجاهته؟ وهكذا ينتزع القوم من كل عبارة إشارة أو تلميحاً ليؤيدوا ما زعموا أنه عقيدة يكفر منكرها؟

النوع الثالث: آياتان قد اختلفت آراء المفسرين في بيان المراد منهما، وجاء في بعض ما قيل: إنهما تدلان على نزول عيسى وهما:

١ - قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا لَلَّيْمِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٦].

٢ - وقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا فِي نهارٍ وَلاَّ لَيْلٍ وَإِذْ يَرْفَعُ السَّمَاءَ بِأَيْدِيهِ وَإِذْ يَسْجُدُ الْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالأَنْبِيَاءُ سَبْحًا لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الزخرف: ٦١].

ما غاب عنا، وقت أن كتبنا الفتوى، النظر في هاتين الآيتين وفي درجة دلالتهما على نزول عيسى، وما غاب عنا ما ذكره المفسرون من الآراء والأفهام المختلفة فيهما، وما كنا نحسب - ونحن بصدد البحث عن دليل قاطع يُحكّم بالكفر على مخالفه - أن أحداً يعرض لهاتين الآيتين وقد رأى فيهما ما رأينا من أقوال المفسرين المختلفة في ذاتها، والمختلفة في ترجيحها، فيقول إنهما نَصَانِ قاطعان في نزول عيسى ولذلك أثرتنا إذ ذاك أن نترك الكلام عليهما اكتفاء بظهور درجتهما في الدلالة لكل من يقرأ شيئاً من كتب التفسير. ولكنهم أبوا إلا أن يذكرنا هاتين الآيتين ويذعموا أنهما تدلان دلالة قاطعة على نزول عيسى، فلنسا نجد بدأ من أن نضع بين يدي القراء خلاصة لآراء المفسرين فيهما. ثم نقفي على ذلك بما نرى ليتين الحق وأضحاً:

### الآية الأولى:

للمفسرين في هذه الآية آراء مختلفة وأشهرها رأيان:

الأول: أن الضمير في ﴿به﴾ و﴿موته﴾ لعيسى. والمعنى: ما من أحد من أهل الكتاب يهوديهم ونصرانيهم إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى. قالوا: أخبرت هذه الآية أن أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل موته، وهم لم يؤمنوا به إلى الآن على الوجه الذي طلب منهم، فلا بد أن يكون عيسى إلى الآن حياً، ولا بد أن يتحقق هذا الإيمان به قبل موته، وذلك إنما يكون عند نزوله آخر الزمان.

الثاني: أن الضمير في «به» لعيسى، وفي «موته» للكتابي. والمعنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى. والإخبار بإيمان أهل الكتاب على هذا الوجه لا يتوقف على حياة عيسى الآن، ولا على نزوله في المستقبل، لأن المراد أنهم يؤمنون عند معايتهم الموت بأنه نبي الله وابن أمته.

هذان رأيان مشهوران في الآية عند المفسرين. ولكل منهما من يرجحه. وقد ساقهما ابن جرير، وذكر الآثار التي تدل لكل منهما ثم قال: «وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى. وإنما قلنا ذلك لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه والحق صغار أولاده بحكمه في الملة، فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب ألا يرث الكتابي إذا مات إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام.. وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره. لأن من مات مؤمناً بعيسى فقد مات مؤمناً بمحمد.. وقد أجمع أهل الإسلام على أن كل كتابي مات قبل إفراره بمحمد صلوات الله عليه، وما جاء به من عند الله فمحكوم له بحكم ما كان عليه أيام حياته غير منقول شيء من أحكامه في نفسه وماله وولده صغارهم وكبارهم بموته عما كان عليه في حياته، فدل هذا على أن المعنى: إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وإن ذلك عند نزوله»<sup>(١)</sup>.

ويريد ابن جرير بهذه العبارة أن الإيمان بعيسى يلزمه الإيمان بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما، لأن رسالة محمد مما جاء به عيسى، وعليه يكون من آمن بعيسى مؤمناً بمحمد فيكون مسلماً له أحكام المسلمين في التوارث والصلاة عليه وغسله ودفنه في مقابر المسلمين.. الخ وهذا يخالف إجماع المسلمين على عدم ثبوت شيء من هذه الأحكام للكتابي الذي يموت، وإذا كان هذا يخالف الإجماع فقد بطل أن يكون معنى الآية ما ذكر، وكان أولى الأقوال بالصحة والصواب» في نظر ابن جرير هو الرأي الأول الذي لا يترتب عليه مصادمة الإجماع.

إلى هنا، وقبل مناقشة ابن جرير فيما رجح به، ليس في الأمر أكثر من أن مفسراً من بين المفسرين قد اختار رأياً من رأيين حكاهما عن أهل المأثور ورجح ما اختاره بما رأى، ولكن القوم تلتفوا هذا عن ابن جرير دليلاً قاطعاً على ما يزعمون من نزول عيسى. ونحن نلخص ردنا عليهم في النقط الآتية التي غفلوا أو تغافلوا عنها.

(١) عن ابن جرير ببعض تصرف.

١ - أن ابن جرير يذكر احتمالين في الآية، ويذكر الآثار الدالة لكل منهما ويصل بالرأي الثاني إلى ابن عباس ومجاهد وغيرهما، فكيف يعد نصاً قاطعاً غير محتمل لأكثر من معنى ما خالف فيه ابن عباس ومجاهد وغيرهما؟

٢ - أن ابن جرير كما وجه الرأي الذي اختاره وجه الرأي الثاني أيضاً «بأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه» وهذا فيما أرى هو الذي جعل ابن جرير يقتصد في التعبير عن ترجيح ما اختاره فيقول: «وأولى الأقوال» بدل أن يقول مثلاً: والرأي الصحيح.

٣ - إن يكن ابن جرير قد رجح أحد المعنيين فقد رجح غيره من العلماء المعنى الآخر ومنهم الإمامان: النووي والزمخشري وغيرهما. قال ابن حجر في فتح الباري: «ورجح جماعة هذا المذهب - يريد الثاني - بقراءة أبي بن كعب: «إِلا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ» أي أهل الكتاب، قال النووي: معنى الآية على هذا ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان في تلك الحالة كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْكُفْرَانُ بِأَنَّ يَدْعُوا بِإِلَهِاتِهِمْ كَمَا دَعَا آبَاؤُهُمْ وَأَنَّ كَانُوا إِذْ يُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلا أَن يَكْفُرُوا﴾ [النساء: ١٨] ثم قال: وهذا المذهب أظهر، لأن الأول يخص الكتابي الذي يدرك نزول عيسى، وظاهر القرآن عمومته في كل كتابي في زمن نزول عيسى وقبَّله».

وقد ذكر صاحب الكشاف قريباً من هذا وأطال فيه ونقله عنه الإمام الرازي في تفسيره فليرجع إليهما من شاء.

بهذا يتبين:

١ - أن هذه الآية ليست نصاً في معنى واحد حتى تكون دليلاً قاطعاً فيه.

٢ - أن ما تمسك به ابن جرير في ترجيحه للرأي الأول غير مسلم له، فقد بناء على أن المراد بالإيمان في الآية هو الإيمان المعتبر الذي ينفع صاحبه وترتب عليه الأحكام، مع أنه إيمان - كما قرره العلماء، ومنهم ابن جرير نفسه - لا يعتد به ولا يُقَامُ له وزن ولا ترتب عليه أحكام لأنه إيمان جاء في غير وقته.

٣ - أن من ينظر فيما تمسك به أصحاب المذهب الثاني: من العموم الواضح في قوله: ﴿وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] ومن قراءة أبي «إلا ليؤمنن به قبل موتهم» ومن أن إيمان المعاينة لا ينفع صاحبه عند الجميع، لا يسعه إلا أن

يخالف ابن جرير فيما ذهب إليه وأن يقول مع النووي عن المذهب الثاني: «وهذا المذهب أظهر».

والنتيجة الحتمية لهذا كله أن الآية ليست ظاهرة فيما يقتضي نزول عيسى فضلاً عن أن تكون قاطعة فيه  
الآية الثانية:

للمفسرين في هذه الآية أيضاً آراء مختلفة، ومن هذه الآراء أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَيَلْمُ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] راجع إلى محمد ﷺ أو إلى القرآن، ولكننا نستبعد هذا ونرى أن الضمير راجع إلى عيسى كما يراه كثير من المفسرين، وذلك لأن الحديث في الآيات السابقة كان عن عيسى. ومع ذلك نجد خلافاً آخر يصوره لنا بعض المفسرين بقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَيَلْمُ لِلسَّاعَةِ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي عيسى ﴿لَيَلْمُ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] أي إنه بنزوله شَرَطَ من أشراتها، أو بحدوثه بغير أب، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك يتبين أن في توجيه كون عيسى علماً للساعة ثلاثة أقوال:

الأول: أنه بنزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة.

الثاني: أنه بحدوثه من غير أب دليل على إمكان الساعة.

الثالث: أنه بإحيائه الموتى دليل على إمكان البعث والنشور.

ولقد كان في احتمال الآية لهذه المعاني التي يقرها المفسرون كفاية في أنها ليست نصاً قاطعاً في نزول عيسى، ولكننا لا نكتفي بهذا بل نرجح القول الثاني (وهو أن عيسى بحدوثه من غير أب دليل على إمكان الساعة) معتمدين في هذا الترجيح على ما يأتي:

١ - أن الكلام مسوق لأهل مكة الذين يتكرون البعث ويعجبون من حديثه، وقد عنى القرآن الكريم في كثير من آياته وسوره بالرد عليهم، واقتلاع الشك من قلوبهم. وطريقته في ذلك أن يلفت أنظارهم إلى الأشياء التي يشاهدونها فعلاً أو يؤمنون بها ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْآيَاتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نَّبَإٍ﴾ [الحج: ٥]، ﴿وَيَرَى الْأَرْضَ هَائِلَةً فَإِنَّا أَنزَلْنَاهَا عَلَيْهَا أَلَمْ نَكُنْ رَءِيفًا﴾ [الحج: ٥]، ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ هَاتِرِ رَحْمَتِ

(١) تفسير أبي السعود.

اللَّهُ كَتَبَ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِي إِنَّ ذَلِكَ لَمَعْنِي الْمَوْتِ ﴿٥٠﴾ [الرُّوم: ٥٠] وقد عرضت سورة الزخرف التي وردت فيها هذه الآية إلى هذا المعنى في أولها: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ، بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ﴿١١﴾﴾ [الزخرف: ١١].

وهذه هي الطريقة المستقيمة المنتجة في الاستدلال المقتلعة للشك. أما أن يلفت أنظارهم إلى أشياء يخبرهم هو بها كنزول عيسى، وهي أيضاً في موضع الشك عندهم، ويطلب منهم أن يقتلعوا بهذه الأشياء ما في قلوبهم من شك فذلك طريق غير مستقيم، لأنه استدلال على شيء في موضع الإنكار بشيء هو كذلك في موضع الإنكار!

٢ - ومما يؤيد هذا قول الله تعالى تفرغاً على أن عيسى علم للساعة: ﴿فَلَا تَعْتَرِكُ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] فإنه يدل على أن الكلام مع قوم يشكون في نفس الساعة، والعلامة إنما تكون لمن آمن بها وصدق أنها آتية لا ريب فيها، أما الذي ينكر وقوعها أو يشك فيها فهو ليس بحاجة إلى أن يتحدث معه عن علامتها، بل لا يصح أن يتحدث في ذلك معه، وإنما هو بحاجة إلى دليل يحمله على الإيمان بها أولاً ليتمكن أن يقال له بعد ذلك: هذا الذي آمنت به علامته كذا.

٣ - ثم إنه من الأصول المقررة في فهم أساليب اللغة العربية أن الحكم إذا أسند في اللفظ إلى الذات، ولم نصح إرادتها معنى، قدر في الكلام ما كان أقرب إلى الذات وأشد اتصالاً بها. فإذا طبقنا هذه القاعدة على قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ لِنَافَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] وعلمنا أن ذات عيسى من حيث هي لا يصح أن تكون مرادة هنا، وأنه لا بد من تقدير في الكلام، ثم وازنا بين النزول، والخلق من غير أب، وإحياء الموتى، فلا شك أننا نجد الخلق من غير أب أقرب هذه الثلاثة إلى الذات، لأنه راجع إلى إنشائه وتكوينه لا إلى شيء عارض له، وحينئذ يتعين الحمل عليه ويكون معنى الآية الكريمة: (لا تشكوا في الساعة، فإن الذي قدر على خلق عيسى عن غير أب قادر عليها).

وبهذا يتبين:

أولاً: أن الإخبار بنزول عيسى لا يصلح دليلاً على الساعة يقتلع به ما في نفوس المنكرين لها من شك ويصح أن يقال عقبه: ﴿فَلَا تَعْتَرِكُ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

وثانياً: أن جعل عيسى بنزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة لا يستقيم هنا، لأن الحديث مع قوم منكرين للساعة فهم بحاجة إلى دليل عليها، لا مع قوم مؤمنين بها حتى تذكر لهم علاماتها.

وثالثاً: أن أقرب ما تحمل عليه الآية هو المعنى الثاني الذي بيّنا.

\* \* \*

أما بعد فهذه هي الآيات التي أوردوها في شأن عيسى من رفعه أو نزوله. ولا شك أن القارئ المنصف بعد عرضها على هذا النحو وتطبيقها على المبادئ التي ذكرنا لا يخامرهم شك في أنه (ليس في القرآن الكريم ما يفيد بظاهرة غلبة ظن بنزول عيسى أو رفعه فضلاً عما يفيد القطع الذي يكون العقيدة، ويكفر مُشكِّره كما يزعمون).

النظرة الثانية في الأحاديث:

والنظرة الثانية فيما ساقوا من أحاديث:

وموجز ما نقول فيها: أنها لا تخرج عن كونها أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد مهما صححت لا تفيد يقيناً يثبت عقيدة بكفر منكرها.

وإنه ليؤسفني أن أرى قوماً تظاهروا بالانتساب إلى الدين والغيرة على أحاديث الرسول استباحوا لأنفسهم - في سبيل أغراضهم الدُّنيا - أن يصطنعوا كل أساليب التليس والتمويه في شأن أحاديث عيسى التي لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء في تحققه، وهي مع أحاديثها بكثرة وشدة في معظمها ضعف الرواة واضطراب المتن ونكارة المعاني، فتراهم يقولون هي متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين، وذكرت في كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين، فإذا رأوا في بعضها ضعفاً أو اضطراباً أو نكارة حاولوا التخلص من ذلك فقالوا: إن الضعيف فيها منجبر بالقوي، وإن العدالة لا تشترط في رواية المتواتر. وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة لا رغبة في علم ولا غيرة على حق، ولكن مكابرة وعناداً، وإصراراً على التضليل، وليقال على السنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ وإنهم محدثون!

\* \* \*



بقي بعد هذا أمر لا بد من تقريره: وهو أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها: وقد جاء في شرح المقاصد بعد أن قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراف الساعة آحادية ما نصه: ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة... وأول بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز بالعلم والهداية سيما الفقه الحجازي، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك، وفتنة الدجال بظهور الشر والفساد، ونزول عيسى عليه السلام باندفاع ذلك وتُدوُّ الخير والصلاح.. الخ».

ومن ذلك نرى أن السعد - صاحب المقاصد - لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعي الدلالة الذي يمتنع تأويله، وإنما يقرر بصريح العبارة «أنه لا مانع من حملها على ظواهرها» فيعطي بذلك حق التأويل لمن انفتح في قلبه سبب للتأويل. ثم يحدث عن بعض العلماء أنهم سلكوا سبيل التأويل في هذه الأحاديث فعلاً، وبيّن المعنى الذي حملوها عليه، ولا شك أن هذا لم يكن منه إلا لأنه يعتقد - كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله - أن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها فمن أذاه نظره إلى أن يؤمن بظواهرها فله ذلك، ومن أذاه نظره إلى تأويلها فله ذلك شأن كل ظني في دلالته.

ومما تقدم يتبين جلياً «أنه ليس في الأحاديث التي أوردوها في شأن نزول عيسى آخر الزمان قطعية ما، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها».

### النظرة الثالثة في الإجماع:

بقي أن ننظر النظرة الثالثة فيما زعموا من إجماع في هذا المقام.

وأحب أن أشير هنا إلى أن «الإجماع» الذي اشتهر بين الناس أنه أصل من أصول التشريع في الإسلام قد اختلفت فيه المذاهب والآراء اختلافاً بعيداً:

اختلفوا في حقيقته، واختلفوا في إمكانه، وتصور وقوعه.

ثم اختلفوا في حجتيه. الخ مما يتبين لنا به أن حججة الإجماع في ذاتها غير معلومة بدليل قطعي فضلاً عن أن يكون الحكم الذي أثبت به معلوماً بدليل قطعي فيكفر منكروه.

ثم نقول: إن الذين ذهبوا إلى حجية الإجماع لم يتفقوا على شيءٍ يحتاج به فيه سوى الأحكام الشرعية العملية، أما الحسيات المستقبلية من أسرار الساعة وأمور الآخرة فقد قالوا: «إن الإجماع عليها لا يعتبر من حيث هو إجماع لأن المجمعين لا يعلمون الغيب، بل يعتبر من حيث هو منقول عن بطلعه الله على الغيب، فهو راجع إلى الإخبارات فيأخذ حكمها، وليس من الإجماع المخصوص بأمة محمد ﷺ لأن الحسي المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه، فإن ورد به نص فهو ثابت به ولا احتياج إلى الإجماع، وإن لم يرد به نص فلا مسأغ للاجتهاد فيه»<sup>(١)</sup> وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التي تتحدث عن أسرار الساعة ومن بينها نزول عيسى إلى مبدأ قطعية النصوص وظنيها في الوجود والدلالة.

#### خلاف قديم وحديث في المسألة:

وعلى فرض أن أسرار الساعة مما يخضع للإجماع الذي اصطلاحوا عليه نقول: إن نزول عيسى قد استقرّ فيه الخلاف قديماً وحديثاً:

أما قديماً فقد نصّ على ذلك ابن حزم في كتابه «مراتب الإجماع» حيث يقول: «واتفقوا على أنه لا نبي مع محمد ﷺ ولا بعده أبداً، إلا أنهم اختلفوا في عيسى عليه السلام: أيأتي قبل يوم القيامة أم لا؟ وهو عيسى ابن مريم المبعوث إلى بني إسرائيل قبل مبعث محمد عليه السلام»، كما نصّ عليه أيضاً القاضي عياض في شرح «سلم»، والسعد في شرح المقاصد، وقد سقنا عباراته قريباً وهي واضحة جلية في أن المسألة ثلثية في ورودها ودالاتها

وأما حديثاً فقد قرر ذلك كل من الأستاذين المغفور لهم: الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا، والأستاذ الأكبر الشيخ المراغي.

فالشيخ محمد عبده رضي الله عنه يذكر وهو بصدد تفسير آية آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي جَعَلْتُكَ رَافِعًا وَأَنزَلْتُكَ فِي مَقَامٍ مَّا تَخْتَارُ﴾ [آل عمران: ٥٥] «أن للعلماء هنا طريقتين: إحداهما وهي المشهورة أنه رُفِعَ بجسمه حيّاً وأنه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى... والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها، وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر منه وهو الإمامة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو

رفع الروح... الخ» ثم يذكر «أن لأهل هذه الطريقة في أحاديث الرفع والنزول تخريجين: أحدهما أنها آحاد تتعلق بأمر اعتقادي، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي وليس في الباب حديث متواتر، وثانيهما تأويل النزول» بنحو ما سبق نقله عن شرح المقاصد<sup>(١)</sup>.

وقد ورد على المغفور له السيد رشيد رضا سؤال من «تونس» وفيه «ما حالة سيدنا عيسى الآن؟ وأين جسمه من روحه؟ وما قولكم في الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَلِّئُكَ وَرَأَيْتُكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] وإن كان حياً يُرزق كما كان في الدنيا فمِمَّ يأتيه الغذاء الذي يحتاج إليه كل جسم حيواني كما هي سنة الله في خلقه؟ فأجابه السيد رشيد إجابة مفصلة عما سأل عنه نقتطف منها ما يأتي:

قال بعد أن عرض للآيات وآراء المفسرين فيها «وجملة القول إنه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى رُفِعَ بروحه وجسده إلى السماء حياً حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء فيتوجه سؤال السائل عن غذائه، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وإنما هي عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام بشها في المسلمين» ثم تكلم عن الأحاديث وقال: «إن هذه المسألة من المسائل الخلافية حتى بين المتقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء»<sup>(٢)</sup>.

أما المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي فقد كتب بمناسبة السؤال الذي رفع إليه وكان سبباً في فتوانا، إجابة جاء فيها: «ليس في القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسده وروحه، وعلى أنه حي الآن بجسده وروحه. وقول الله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَحْيَىٰ إِنِّي مُتَوَلِّئُكَ وَرَأَيْتُكَ إِكَّ وَمَطَهَّرْتُكَ مِنَ الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: ٥٥] الظاهر منه أنه توفاه وأماته ثم رفعه، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله كما قال في إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْتَهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مریم: ٥٧] وهذا الظاهر ذهب إليه بعض

(١) الجزء الثالث من تفسير المنار.

(٢) الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار.

علماء المسلمين فهو عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية ثم رفع درجاته عنده، فهو حي حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء. لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو حي الآن بجسمه وروحه، وفسروا الآية بهذا بناءً على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذي يسوغ تفسير القرآن بها» ثم قال: «لكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر» ثم قال: وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حي بجسمه وروحه، والذي يخالف في ذلك لا يعد كافراً في نظر الشريعة الإسلامية».

هذه نصوص صحيحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديماً وحديثاً أن مسألة عيسى مسألة خلافية، وأن الآيات المتصلة بها ظاهرة في موته عليه السلام موتاً عادياً، وأن الأحاديث الواردة فيها أحاديث آحاد لا تثبت عقيدة، وهي مع هذا تحتل التأويل وأنه لا يكفر المسلم بإنكار رفع المسيح أو نزوله، فأين مع هذا كله ما يدعون من إجماع<sup>(١)</sup> ١٩

انتهت فتوى الشيخ محمود شلتوت

(١) من المهم مراجعة ما كتبناه عن ثبوت العقيدة بالقرآن والسنة والإجماع في فصل «طريق ثبوت العقيدة» من كتابنا «الإسلام عقيدة وشريعة».

## مجمل ما تضمنته فتوى الشيخ محمود شلتوت من آراء

تضمنت:

- ١ - أن توفية الله لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] توفية موت وانتهاء حياة.
- ٢ - أن رُفِعَ سيدنا عيسى عليه السلام ﴿وَرَأَيْكَ إِكًّا﴾ [آل عمران: ٥٥] معناه رُفِعَ المكانة لا رُفِعَ الجسد إلى السماء.
- ٣ - أن الأحاديث الواردة في رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء: (روايات مضطربة، مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال فيه للجمع بينها، وقد نُصِّ على ذلك علماء الحديث، وهي فوق ذلك: من رواية وهب بن مُثَبِّب، وكُتِبَ الأخبار، وهما من أهل الكتاب...).
- ٤ - أن علماء المسلمين القائلين بالرفع الذاتي لسيدنا عيسى عليه السلام: (اعتمدوا على حديث مَرْوِيٍّ عن أبي هريرة، اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صُحَّ هذا الحديث فهو حديث آحاد، وقد اجتمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تُفِيدُ عقيدة، ولا يَصِحُّ الاعتمادُ عليها في شأنِ المُعَيَّنات).
- ٥ - أنهم اعتمدوا (على ما جاء في حديث المعراج من أن محمداً ﷺ، حينما صعد إلى السماء، وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة، ففتَحَ له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية. وكفينا في توهين هذا المُسْتَبَدِّ ما قرره كثير من شُراح الحديث في شأنِ المعراج، وفي شأنِ اجتماعِ محمد ﷺ بالأنبياء، وأنه كان اجتماعاً رُوجِيًّا لا جسمانيًّا).
- ٦ - أن الإجماع في الشريعة الإسلامية غير واقع ولا حاصل... .
- ٧ - أن (إجماع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تُفِيدُ عقيدة، ولا يَصِحُّ الاعتمادُ عليها في شأنِ المُعَيَّنات).
- ٨ - وغير هذا من التناقض والنهاتر والآراء الزائفة... .

واليك من بعد هذا

كتاب الإمام الكوثري رداً على هذه الفتوى



## نظرة عابرة

في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة

وهو كتاب الإمام الكوثري

رداً على فتوى الشيخ محمود شلتوت

التي وردت في الصفحات السابقة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

أما بعد فإن مما يُحزُّ في نفس كل غيور على الدين الإسلامي أن يُرى من تُنذِقُ  
عليه الأمة كلُّ خير، ليقوم بحراسة الدين وجُفع كلمة المسلمين، يَسْتَعِي بكل ما أُوتِي  
من قوّة البيان، في التشكيك فيما توارثته الأمة في المسائل الاعتقادية والعملية والخلقية  
من صدر الإسلام إلى اليوم، وتشتيت كلمتهم بمُفاجأتهم بما يدعُهم حيارى بين الأخذ  
بالجديد والاستمرار على القديم، متهامين فيما بينهم بما لا يُرضي الله ورسوله.

وهو يَحْسَبُ أنه في سبيل التجديد، ظناً منه أن كلَّ تجديد يرفع شأن الأمة، مع  
أن التجديد النافع هو اكتشاف أمور جديدة من أسرار الكون واستخدامها في مرافق  
الحياة، وإصلاح شؤون المجتمع بإزالة أسباب الانحلال المُخلقي والتذبذب الديني.

وهذا هو الذي يُعلي شأن الأمة حقاً، ويُغنيها عن أن تكون عالة على أمة سوى  
نفسها، فيجعلها تقطع شوطاً بعيداً في سبيل استعادة مجد الأجداد، فلا تجد من  
يُعاكس مثل هذا النهوض، بل يُلقي كلَّ تشجيع وتقدير وثناء في كل ناد. وأما بسأس  
دين الأمة والأحكام العملية والاعتقادية المستقرة من صدر الإسلام إلى اليوم، بتحويل  
وتغيير، باسم الإصلاح أو التجديد بين حين وآخر، فلا يكون وسيلة خير أصلاً.

وكتاب الله محفوظ كما أنزل، وسُنَّة رسولِهِ محفوظة بسبباج من عناية الحُفَظ في  
كل قرن، ومسائل الوفاق والخلاف مدونة في كتب خالدة في جميع الطبقات، لا  
يُحوِّج شيء إلى شيء، غير بعض عناية بالأطلاع، وهكذا جميع العلوم المتصلة  
بالقرآن الحكيم.

فدينٌ يكون كتابه، وسُنَّة رسولِهِ، ومسائله، ومؤلفاته كما وصفناه لا يحتاج إلى  
«لوثية»، ومن ظنَّ خلاف هذا فقد جهل تاريخ دين الإسلام وتاريخ الدين النصراني،

وأساء المقارنة بينهما، وليس التلاعب بالمعتقد والأحكام العملية مما يرفع رأس الأمة عالياً، بل يُنكس رأسها، ويجعلها تَدُوقُ مرارة الانحلال في الاعتقاد والعمل والخلق.

فليعمل دُعاة التجديد في الدين (معروفاً) مع أنفسهم، ومع الأمة، وليقلعوا عن المياس بأحكام الدين، وكفاهم أن يتوسعوا في العلوم الإسلامية، ويحافظوا على التراث كما هو، غير ملموس بالتحوير والتغيير، فينالون بذلك كلِّ الثناء وكلِّ الشكر.

وليس الدين مما يُبدل كل يوم، وإن أجزأ إلا تبدل الشعار، وتغيير الأحكام العملية والاعتقادية، بشئ الوسائل، تبعاً لأهواء المهوسين، فلا تتأخر عنهم نعمة الله ومقت المسلم.

وقد سبق أن تناول بعض المشايخ على كثير من الأسس القويمة قبل عام<sup>(١)</sup> فرذ عليه أهل العلم بما يرجع الحق إلى نصابه، والآن يُعيد الكثرة! ويصير على إنكار رفع عيسى عليه السلام حياً ونزوله في آخر الزمان، على خلاف معتقد المسلمين، بمقالات ينشرها في مجلة الرسالة، يزداد فيها بعداً عن الجادة، وعن أسس العلم، وتشكيكاً للعامة في العمل والاعتقاد.

ولا أدري أي حاجة كانت تدعوه إلى ذلك الإنكار، أم أي فائدة كان يتصور أن تجنيها الأمة من وراء جنائبه على اعتقادهم! فإن كانت يبت مخالفتهم رغم قيام الأدلة ضد رأيه، كان في إمكانه الإسراؤ بقنياه إلى المستفتي كما فعل شيخه<sup>(٢)</sup>، وأما بعد أن جاهر بها وأعلن وأصر واستكبر، فلا نعد أن نبقى في عداد الشياطين الخرس عن إبطال الباطل، فترُد في فصول على تلبساته وتشكيكاته بإذن الله سبحانه، وهو ولي التوفيق.

(١) هو الشيخ محمود شلتوت، المررد عليه بهذا الكتاب، فقد كتب أكثر من مقال في مجلة الرسالة بعنوان (شخصيات الرسول)، خلط فيه وبلطاً فرذ عليه الإمام الشيخ الخضر حسين، شيخ الأزهر فيما بعد، وغيره من العلماء، فيشير الإمام الكونري هنا إلى مزلق الشيخ شلتوت في تلك المقالات وأمثالها.

(٢) هو الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر آنذاك.

## أما سئموا من النزول؟!!

إصرارُ فاضٍ على فُتْنًا زائفةً له في إنكار نزول عيسى عليه السلام، أوجبَ مُناصرةَ عقيدةَ المسلمين في المسألة، ولولا هذا لكنا في غُنية عن هذا الحديث في مثل هذه الظروف.

ومن الناس من لا يجدُ موطىءَ قَدَمٍ يَقْوَى على خُمْلِ أثقالِهِ، فلا يزدادُ إلا نُزولاً وتورُطاً كلما حاول النهوضَ من حيث كُتِبَا، مثل الأستاذِ المتهجمِ، فإنك تراه يزدادُ تورُطاً وتخبُطاً وانكسافاً وانخسافاً، كلما حازَلَ الدفاعَ عن خروجِهِ على المتوارثِ في العمل والعقيدة.

فها هو ذا قد كَتَبَ مقالاً في العدد (٥١٤) من مجلة الرسالة، يظهرُ منه أنه يريد أن يشغل الناسَ - إلى نزول عيسى عليه السلام - برأيه الشاذِّ في النزول، بعد أن أمانتهُ حُجَجَ أهلِ الحقِّ وأقْبِرْتُهُ، والدجَالُ الأعورُ لا يتأخَّرُ عن الاعترافِ بنزولِهِ عليه السلام، حين يرى نُزولَهُ بعينه السليمةِ مع عدم اعترافِهِ بالوحي.

ومن أسوأ ما يُصابُ به المرءُ أن لا يَشْفَعَرَ بما مُنِيَ به في مُناهضةِ عقيدةِ الجماعة، فيزدادُ سُقوطاً بتمزيوهِ واستكبارِهِ عن قبولِ الحقِّ، ويرفِيهِ جماعةُ أهلِ العلمِ بدائِهِ، قاعداً تحت المَثَلِ السائر: «أوسغتهم سباً وأوذوا بالإبل»، وهو مطمئنٌ إلى أننا لا نستطيعُ أن نُساجِلَهُ في ذلك، وله الحقُّ في هذا الاطمئنان.

ومما يدل على مبلغ تهيجِ أعصابِهِ إزاء وطأة الحقِّ قولُهُ عن حُجَجِ أهلِ الحقِّ الرادين على باطلِهِ: إنها إنما نُبِرت في مجلاتٍ وصُحفٍ لا تَقَعُ عليها غيرُ عالم!! كلمةٌ ما أسخفها!! وبذلك يكون أقرُّ على نفسه بأنه غيرُ عالم، لأنه من كُتَابِ مجلةٍ نكُتُبُ فيها، وكم كُتِبَ فيها واثني عليها، ورأى الردودَ على شطحاته فيها، فحاولَ الجوابَ عنها، فهو يراها ثم يراها إلى أن تقومَ قيامتُهُ، وهذا الإقرار منه حُجَّةٌ قاصرةٌ لا تتعدى شخصَ المُقَرَّر، وله أن يُقَرَّرَ على نفسه بما يشاء.

وبعد أن اعترف هكذا بأنه غير عالم، كيف يزج نفسه في مضايق البحوث العلمية؟ أم كيف يبيح لنفسه أن يحكم على أناس بأنهم جهلة؟! وليس الحكم على أناس بأنهم جهلة من شأن الجاهل، والجاهل إنما يعلم جهلة العالم، بيد أن الجاهل جهلاً مكعباً - بجهله للشئ، وبعجزه لجهله له، وبجسابه مع ذلك أنه يعلمه فوق علم كل عالم - لا يتحاشى عن تجهيل الأمة بأسرها من صدر الإسلام إلى اليوم، في مسألة أجمعت الأمة عليها، وشذ هو فيها عن جماعة أهل الحق.

وأما إن كان العالم في نظره هو من يستلهم الفقه من (لاهاي)، ويستوجي العقيدة من (لاهور)<sup>(١)</sup>، فلتلك المجلات والصحف كل الفخر إذا لم تقع عليها عين مثل هذا العالم.

وقد أنطقه الله في مفتتح مقاله آية تنطبق كل الانطباق على شخص الشاذ نفسه، لو فُكر وتدبر.

الصحابة والتابعون وأئمة الفقه والحديث والتفسير والتوحيد كلهم في جانب، يؤيدهم الكتاب والسنة والإجماع، وذلك المتحامل في جانب يعضده متنبئ المغول في (قاديان)، وفيلسوف (طرة) في سابق الأزمان! منظر ما أرزعه! ومع ذلك كله يعد نفسه هو المحق التقى النقي الصالح الورع الوديع الحكيم، ويفرض أن جماعة علماء المسلمين على توالي القرون هم المبطلون المنتظعون الحشوية! فاعجب أن يتحدث بثله عن المحجة والبرهان، وقد داس تحت رجليه معايير العلم وموازين الفهم! فسبحان قاسم المواهب.

فيجب أن يعلم أن إحالة من أحال المسألة عليه - كما فعل مثل ذلك في حمليه على التجرد على السنة - لا تبرر موقفه من حجاج الشرع في نزول عيسى عليه السلام، فها نحن أولاء نتعقبه ياذن الله سبحانه خطوة فخطوة، في جميع ما يئديه ويعيد، من انحرافاته عن الجادة، وتريه بتوفيق الله وتسيديه ما دام للحق سلطان، كيف يكون رُهوق الباطل تحت قوارع الحجج؟ إلى أن يقتنع بالحق.

رجلٌ يقول: إن الشيطان ليس بكائن حي عاقل، بل هو قوة الشر المنبئة في العالم! - كما هو رأي الباطنية - ويُقسّم السنة إلى أقسام، تمهيداً للانسلاخ من معظمها بل كلها، تقريباً إلى اللاهوتية نقاة السنة، ويستسهل إلغاء فريضة الظهر لمن صلى العبد

(١) يعني بلد القادياني، الذي جاءت فتوى الشيخ شلتوت على وفق دعواه!

يوم الجمعة علناً جهاراً - تشكيكاً للعامّة في المتوازيّ، ويدعو إلى القول بموت عيسى وعدم نزوله في آخر الزمان - موافقةً ومناصرةً للأحمدية أتباع منبىء المغول في قاديان.

(ولم ينسّ الناسُ بعدُ، ذلك الحديث المنشورُ لشيخه في (الصاعقة) و(الجامعة الإسلامية) و(الفتح) وتلك الفقراتِ في (تقرير البعثة الهندية، عنهم!).

ويُحِيلُ زملاءه باسم الدين الإسلامي على تجويز إعادِ معبودِه على ظَهْرِ بُعْوضَةٍ، وإثباتِ القعودِ والقيامِ والمشي والحركةِ والتنقلِ والاستقرارِ المكانيّ والمحدِّ والجهةِ والمكانِ والبُعدِ المكانيّ له تعالى، كما هو معتقدُ الخُسرَةِ.

(صغيرُهُم) يفعلُ ذلك كله، ولا يخجلُ مما اقتَرَفَ، بل يَجْرؤُ على نَشْرِ ذلك المقالِ المكتنِظِ بالمُعدوانِ على أهلِ الحقِّ، ويُسمَحُ له أن يَنالَ من أُسسِ الدينِ، باسمِ جِراسَةِ الدينِ، ويُكافأُ مكافأةَ الخُرّاسِ الأمانِ، ويُحمَلُ فوقَ الأكتافِ هذا ما يَبِينُهُ في تعليقه العَقْلُ في بلدِ يكونُ العِلْمُ سائلاً فيه.

وقد بَلَّغَتْ به الجُرأةُ إلى خَدِّ أن يُشْهدَ على ما عندَ الله سبحانه - كأنه رسولٌ من عندَ الله - فيقولُ فيمن يَنْفِي زَفْعَ عيسى حياً، ونزولَهُ في آخِرِ الزمانِ: إنه لا يَبِينُهُ في إيمانِهِ عندَ الله. فيكونُ ما عليه الجماعةُ من الاعتقادِ المتوازيّ على ضِدِّ من ذلك طَبْعاً، وهذا قَلْبٌ للأوضاعِ فطِيعٌ، وَجَهْلٌ بأصولِ الاستدلالِ الشرعيِّ شَنِيعٌ. ولا أدري من أين أتاه هذا الوَحْيُ ضِدَّ اعتقادِ جماعةِ المسلمين؟

وإني أوصي ذلك المتحامِلَ أن لا يَدَهْلَ عن مداولاتِ الألفاظِ التي يُوَجِّهها إلى قُرّةِ عُيونِ المجاهدينِ، وسيفِ المناظرينِ، العلامةِ الأوحيدِ مولانا شيخِ الإسلام<sup>(١)</sup> - أمتعَ الله المسلمين بعلومه، وأطالَ بقاءَهُ في خيرٍ وعافية - وأن يبتعدَ عن إرسالِ الكلامِ جُزافاً نَحْوَهُ، لأنَّ سماحتَهُ ليس من الطرازِ الذي تعودُ صاحبُ المقالِ التجرؤُ عليه، وهو القائمُ بالحجةِ في هذا العصرِ، كما كان البُرهانُ الأبنائِيُّ يقولُ ذلك في ابنِ الهُمامِ، فيَدُوبُ أمامَ صَوْلَتِهِ العلميةِ كُلِّ مُبْطِلٍ، فَلَطَمَةَ أديبَهُ منه تَدْعُ هذا المتهجمُ مَثَلًا في الآخرينِ.

(١) يعني به: شيخ الإسلام مصطفى صبري، آخر شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، وقد سكن مصر مهاجراً إليها، ورد على بعض شذوذات الشيخ محمود شلتوت بقلمه البلغ الرفيع.

وما لصاحب المقال ولذلك المجهول في الجماعة؟! وهو نفسه غريبٌ إلى (شوشته) في مخاضة لا يستطيع الخلاص منها، ولا النهوض حيث وقع. فأول واجب عليه أن يخلص نفسه مما تورط فيه من الزيغ الممين، لا أن يدافع جفاح الفضولي ويشهد بالنفي! عن مجهول يعلم نفسه ويعلّمه غيره، ولا شأن له به.

وطائفة لا تأتي الانصياع لتقرير يكتبه بطل الخروج على كل متوازت، عن كتاب «التفص» المكتظ بوثنيات مشروحة في العديدين (٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠) من مجلة - الإسلام، وتقرّر بإباحة نشره، وأن لا شيء في تداوله: لا محلّ لاستبعاد أن يوجد بينهم من يقول: «إن قوله تعالى: ﴿وَنَاثَرَ الْبُرُوجَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] عرّضة الاحتمالات العشرة!! وحديث «لا نبي بعدي» خير آحاد لا يفيد العلم، والإجماع في إمكانه ووقوعه وإمكان نقله وحجّيته: كلام!.

مع أن التقعّر بالاحتمالات العشرة لا يمتّ إلى أيّ إمام من أئمة الدين بأيّ صلة، وإنما هو صنّع يد بعض المبتدعة، وتابغه بعض المتفلسفين من أهل الأصول، فسائر هذا الرأي مسايرون من المقلّدة، كما مخصّ ذلك في موضعه، والقول بظنية الدليل اللفظي مطلقاً: باطل، لأدلة مشروحة في موضعه.

ومن لا يكون له الإمام بالسنة، ويكون له هوى في إبطالها بكل وسيلة، يسهل عليه أن يقول في كل ما ثبت بالتواتر المعنوي: هذا خير آحاد، كما يقول الشيخ في حديث نزول عيسى عليه السلام، وغيره في حديث «لا نبي بعدي»، مع أن طرُقهما في غاية الكثرة عند أهل العلم بالحديث.

وقد نصّ على تواتر حديث نزول عيسى عليه السلام، ابن جرير والأكبري وابن عطية وابن رُشد الكبير والقرطبي وأبو حيان وابن كثير وابن حجر وغيرهم من الحفاظ، وهم أصحاب الشأن، وكذا صرح بتواتره الشوكاني وصديق خان والكشميري في مؤلفاتهم.

وسهل أيضاً على كل من يسير وراء الهدّامين من اللامذهبية أن يقول في المسائل الإجماعية: إن الإجماع في إمكانه ووقوعه وإمكان نقله وحجّيته كلام! كما سبق، فإذن لا كتاب ولا سنة ولا إجماع، فليتقرّر من يشاء ما يشاء، كل يوم باسم الشرع!

وليس انتقاد بطل الإسلام<sup>(١)</sup> لأناس إلا بُعد أن وَضَعَ إصبعه المشخصة على نصوص كلامهم، فلا يمكن لهم أن ينقلوا من يده، حيث يَبْنِي رُدودَهُ على الحقائق الملموسة - وفي كتابه الخبر اليقين -.

والضغينة التي يتخيلها بطلُ الشذوذ في كلام سماحيته، ما هي إلا بُغْضٌ في الله، وليس يحومُ حولَ فكره السامي طائرُ العنصریات والإقليميات وسائرُ وجوه الجهالات، التي وَضَعَهَا المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - تحت قَدِيمِ الشريفة، لأن الإسلام لا يَعْرِفُ عنصراً ولا إقليمياً، وإنما يَعْرِفُ إخاءً شاملاً على مبادئ سامية، وهكذا العلمُ لا يَخْصُ بلبداً ولا قبلاً، بل هو نُورٌ شامل.

ولذا تجذُ سماحيته من أبرأ الناس من مثل تلك الجاهلية الجهلاء، بل يَعُدُّ المبطلَ مبطلاً كائناً من كان، والباطلَ باطلاً حيثما كان، وإلا ما تَحَدَّثَ عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بما تَحَدَّثَ به عنه، لأنه تُرْكَمَانِي الدم - من بني جنبيه - كما كان الشيخُ نفسه يُصْرُخُ بذلك، ومن شهود هذا التصريح صاحبُ «المنار» في المجلد الثامن (ص ٣٧٩)، ومعالي الوزير الحكيم الشيخ مصطفى عبد الرزاق باشا في مقدمة «العروة الوثقى».

وأما الشيخُ محمد عبده فله مميزات معروفة، وكان نادرةً بين شيوخ عصره في الكتابة والإدارة وتصريف الشؤون، والقيام ببعض ما يَعُوذُ على المجتمع بخير، وقد أثنى عليه صديقه اللورد كرومر، بسعة العلم واستنارة الذهن، كما أثنى على مُريديه بأنهم: «جديرون بكل تشجيع ومساعدة، يمكن إمدادهم بهما، لأنهم خُلَفَاءُ المصليح الأوروبي الطبيعيين»!

وقال عن الشيخ عبده: «كان أخذَ زعماءِ الفتنَةِ العُرابية، فلما جثتْ مصر سنة ١٨٨٣ كان مغضوباً عليه، ولكن الخديو توفيق عفا عنه بما فُجِرَ عليه من مكارم الأخلاق، وانقياداً لتشديد الإنكليز عليه في ذلك، وعيَّنه قاضياً (أهلياً)، فاحسن العملِ وأدى الأمانة حقها».

وقال أيضاً: «إنني قَدِمْتُ لمحمد عبده كلَّ تنشيط استطعته مدةً سنين كثيرة... لسوءِ الحظ كان على خلافٍ كبير مع الخديو، ولم يتمكن من البقاء في منصب الإفتاء، لولا أن الإنكليز أئدوه بقوة»!

(١) يعني به: سماحة الإمام شيخ الإسلام مصطفى صبري.

وصدَّق اللورد كرورم قول المستشار القضائي في الشيخ: «قام لنا بخدمٍ جزيلة لا تُقدَّرُ، في مجلسِ سُوزي القوانين، في مُعظَم ما أحدثناه أخيراً من الإصلاحات المتعلقة بالمواد الجنائية وغيرها، من الإصلاحات القضائية»<sup>11</sup>

وقال اللورد أيضاً: «وفي سنة ١٨٩٩ رُفِّي إلى منصبِ الإفتاء الخطيرِ الشأن، فأصبحتْ مُسَوَّرَتُهُ ومُعَاوَنَتُهُ في هذا المنصبِ ذات قيمة ثمينة، لتضلُّعِهِ من علوم الشرع الإسلامي، مع ما به من سعةِ العقل واستنارةِ الذهن»، ثم دَكَر كمثل فتواه في تسمير الأموال في صناديق التوفير.

وقد طال أمدُ الصداقة بين الشيخ وبين اللورد كرورم، فعَرَفَ كُلُّ منهما صاحِبَهُ، فإذا انتَقَدَ بِمَثَلُهُ بعضُ نواجي الانتقاد في الشيخ، لا يُتَّهَمُ بِفَرَض، بل يُعَدُّ منصفاً، ما غَطَّتْ صداقَتُهُ على حقيقةِ أمرِ صديقه، فدونك ما يقوله في «مصر الحديثة»، على ما نجد في المجلد الحادي عشر من المنار (ص ٩٤):

«وأخسى أن يكون صديقي محمد عبده في حقيقة أمره (لا أذرياً) ولو أنه يستاء منه لو نُيِّبَتْ إليه. ثم يأخذُ علي حديقته مع جمال الدين بشأن الخديو إسماعيل كما في (ص ٩٦) من المجلد المذكور. وأقربُ الناس إلى الشيخ ما كان يُنكِرُ تساهلَ الشيخ في الإفتاء، ويأخذُ عليه أنجبُ تلاميذِهِ المنفلوطي في «النظرات» ففتحَ لبابِ التأويل على مصراعيه<sup>12</sup>، بل يستبعد كثير من الناس التجرؤ على المسائل المتوارثة ممن يرى قداسة الشرع.

والواقع أن للشيخ أطواراً في العلم والعمل والاتجاه، فوجهتُهُ في عهد «العروة الوثقى» غير وجهته بعد اتصاليه بزعيمه، كما ذكره مصطفى عبد الرازق باشا في «الشباب». واتجاههُ يومَ رفعِ اللائحة إلى شيخ الإسلام العثماني غير اتجاهه فيما بعد، وقد ذكرتُ صفحةً منها في العدد (١٩ - ١٣٦٢هـ) من مجلة الإسلام، ومن طالعِ «الواردات» و«العقيدة المحمدية» و«حاشية اللؤثاني على العضدية» و«فتاواه» وما نُقِلَ عنه في التفسير، و«رسالة التوحيد»، لا يصعبُ عليه فهمُ أطواره.

وتصوُّرُهُ الخطابِ إلى الحس في دين، وإلى القلب في دين آخر، وإلى العقل في دين الإسلام فقط: خيالٌ شاعر ياباه قوله تعالى: ﴿وَيْلِكَ حُجَّتًا أَتَيْتَهَا لِإِيْمَةٍ﴾ [الأنعام: ٨٣] وغيره من الآيات، بل كلُّ دينٍ إلهي إنما يكون الخطابُ فيه إلى العقل

(١) انظر في الجزء الأول من «النظرات» مقالة (يوم الحساب) فيها نقد المنفلوطي لشيخه محمد عبده بأسلوب أدبي لاذع.



الذي سلطانه على المشاعر الظاهرة والباطنة على حدّ سَوَاء، ورأيه في تطوّر الأدب ان شازُ جدل اليوم في الجامعة.

ولم يتحدث سماحة شيخ الإسلام إلا عن العلماء الذين تقاعسوا عن القيام بواجبهم، ولا تكلم عن المجلات والصحف عامة، بل عن الصحف والمجلات المنحرفة عن الثقافة الإسلامية.

فإن كان كاتب المقال يجهل وجود انحراف عن الثقافة الإسلامية، في صحف ومجلات تُنشرُ هنا وهي بين يديه، ويكتبُ في بعضها، - وصلةً بمنبر آرائه بإسماعيل أذهم<sup>(١)</sup> لا تزال ماثلة في الأذهان - فذلك لا يهمننا، وليس جهلُ ذلك بناع علينا، وما الجري وراء الخُرص والتظنن والتشويه إلا شأنٌ غيرنا.

وأما تقرُّبُ كتاب معالي هبكل باشا مع نفيه المعجزات الكونية، ومع ردّه الاحتجاج بالسنة، فيجعل المؤلف والمقرِّظ في صف واحد، وبيان حال المقرِّظ في العدد (٤٢ - ١٣٦١هـ)، على أن المعجزات كلها قاهرة، وقصُر المعجزة القاهرة على القرآن الحكيم نفي لسائر المعجزات!

ومن الغريب أن صاحب المقال كلما تحدّث عن السُّنة يُعطي الراذيين عليه حُججاً جديدة، تدل على بُعده الشاسع عن معرفة علوم الحديث، وليس هو على علم من أن المُخَبَّر الذي تكثرُ رواته في كل طبقة، بحيث تُصلُّ إلى حدّ التواتر، لا يَنْقُصُ للجرح والتعديل شأن في رجال أسانيدهِ اتفاقاً بين أهل العلم بالحديث، وليس القول بأن هذا ضعيف منجبر، أو حسن، أو صحيح، إلا بالنظر إلى سُنْدِ خاص ورواية خاصة، وأما الحديث الذي يرويه نحو ثلاثين صحابياً بطرق كثيرة تَبْلُغُ حدّ التواتر في كل طبقة، فيَغْلُو من أن تنال يدَ النقدِ طُرُقُهُ واحدةً واحدةً، بعد ثبوت التواتر بالنظر إلى مجموع الأسانيد والروايات.

فهذا البيان يُعلِّمُ أن هُرْةَ الشيخ في الكلام عن سبعين حديثاً - أربعون منها صحاحٌ وحسان، والباقي منجبر<sup>(٢)</sup> - لا يَجِدُ مَوْرداً، فَيَرْتَدُّ إلى مُصدِّره، ومُجاملَةُ أهل الحق لا تَنْتَظِرُ ممن تُعوِّدُ مُجاملَةَ أهل الباطل.

(١) الملحد الزنديق، وداعية الإلحاد في تأليف كتاب له خاص بالإلحاد. وانظر ترجمته في (الأعلام) للزركلي.

(٢) انظر في هذا كتاب إمام العصر محمد أنور شاه الكشميري، واسمه: «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، وهو مطبوع في الهند ولبنان، وهو غاية الغايات في موضوعه.

وإذا رأيت من ظَهَرَتْ للعلامة مُسَابِرَتُهُ لأهواءِ أهل عصره يقول في الأباة الكرام الراديين على باطله، القائمين بالذب عن دين الله يومَ خَذَلَهُ حُرَّاسُهُ: «فتلك شَيْثِينَةٌ عَرِفَتْ من أمثالِ هؤلاءِ الذين مَنِيَ الإسلامُ بهم في كل عصر، وراوا أنَّ مسابرةَ الجماهير في أهوائهم وعقائدهم أجْدَى لهم وأسْبَغَ للنعمة عليهم! وعَرَفَتْ دعوتَهُ ودعوتهم، وخَبِرَتْ مَحْيَاةَ وَمَخْيَاهِمَ: عَرَفَتْ مبلغَ توخِّي الصديق في قلمه، وهكذا يكون الأذْبُ الرَاقِي! ولَسْنَا نعيش في كُرَّةِ البَرِيخِ حتى تَجْهَلُنَا الأُمَّةُ.

وأما تَوْهُمُهُ اتصالاتِ بِشَائِهِ فَصُنْعُ خيَالِهِ! وَمُنَاصَرَةُ أهلِ الحقِّ للحقِّ في مثلِ هذا البلدِ الأمينِ لا تُحَوِّجُ إلى اتصالات، لكنَّ المُرِيبَ يكون وهاماً، رَضِيَ اللهُ عن الذين يُناصرون الحقَّ حيثما كانوا.

وليس الشيخُ بموفقٍ حتى في ضَرْبِهِ الأمثالِ وذكرِهِ النظائر، على أَمَلٍ أن تُخَفَّفَ الرِوَاةُ عنه، وهو كثيرُ الأغلطِ فيها أيضاً، فلكونها غريبةً عن الموضوع، لا نشتغلُ بتبيين تلك الأغلطِ هنا، حيث لا نَسْمَعُ له أن يَسْرَحَ في خارجِ البحثِ، إلى أن يَتَّفِدَ ما في جَفْبِيَّتِهِ في الموضوع. ونكتفي بِلَفْتِ نظيره إلى أنه لا تُنْقِذُهُ من ورطتِهِ مُوَافَقَةُ طائفةٍ من غير المسلمين له، فليَقُلْ ما يوافقُه عليه المسلمون كائناً ما كان قولُه، وفاقَهُ اليهودُ مثلاً أم لم يوافقوا، لكن ليحذَرُ كُلَّ الحذرِ مما يُخَالِفُهُ فيه المسلمون كماالتنا هذه، وهناك الطائفة.

## العقيدة الدينية وطريق ثبوتها

بهذا العنوان مقال أيضاً في العدد (٥١٦) يُوسَع فيه كاتبه - بعد مقدمة غريبة عن الموضوع - دائرة البحث الجاري بينه وبين الذَّابِّين عن عقيدة أهل الحق في نزول عيسى عليه السلام، فيتحرَّرُ فيه ما لا صلة له به من آراء تكشف الغطاء عن علم الكاتب وفهمه واتجاهه أكثر من ذي قَبْل، وتنبئة شهرة، لكن بما لا يرضاه لنفسه، وقد انفرد بفهم معنى (العقيدة)، وباكتشاف طريق ثبوتها في الإسلام، وإن تأخر هذا الفهم وهذا الاكتشاف إلى القرن الرابع عشر الهجري!! فلا بأس أن نستعرض هنا بعض آرائه الطريفة، لئلا يشغف عن مزمى كاتب المقال ووجهه.

فمنها قوله: «إن ما يجب الإيمان به يرجع إلى الأصول التي اشتركت فيها الأديان السماوية»، فعلى هذا لا يعترف الكاتب بعقيدة خاصة في الإسلام، ولا يقر بعقيدة فيه ما لم تكن متوارثة من الأديان السابقة!! فيكون هذا خجراً الزاوية في بناء توحيد الأديان!! بل وُضِعَ أساس للاستغناء عن اللاحق بالسابق!!

مع أنه لا مُضَلَّرٌ يُوثَقُ به في الاطلاع على جليلة أحوال الأديان السابقة غير القرآن الحكيم والسنة النقية البيضاء. وقوله تعالى: ﴿سَرَّحْ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ﴾ [الشورى: ١٣] وقوله تعالى: ﴿تَسْأَلُوا إِنْ كَلِمَةً سَلَّمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] للشدْرَج بالمخاطبين إلى الدعوة المحمدية بحكمة. وليس الاشتراك في بعض الأسس يُوجب الاشتراك في الجميع.

ومنها قوله: «إن الإيمان هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل». وهذا رأي ساقط، لأن اعتقاد العامة لا عن دليل، فيكونون غير مؤمنين على هذا الرأي!.

ومنها قوله: «إن الدليل العقلي يفيد اليقين، ويُحقِّقُ الإيمان المطلوب بالاتفاق بين العلماء»، فيختصُّ بأن يكون مُضَلَّرَ العقيدة، لأنها لا تُؤخَذُ مما اختلف فيه عنده، والدليل العقلي مختلف فيه في نظره كما سيأتي منه.

ومنها قوله: «إن الأدلة النقلية لا تُفيد اليقين، ولا تُحصلُ الإيمانَ المطلوب، ولا تُثبتُ بها وحدها عقيدةً عند كثير من العلماء، والذين ذهبوا إلى أنها تفيد اليقين، وتُثبتُ العقيدة، شَرَطُوا في الدليلِ النقلِيِّ أن يكونَ قطعيًّا الورود، قطعيًّا الدلالة»، وذكرَ أمثلةً للنوعين على رأي الفريق الثاني، ثم قال: «ولا بد أن يَعْمَ العلمُ بالعقائد جميعَ الناس، ولا يختصُ بطائفةٍ دونَ أخرى... ومن مقتضيات هذا العلم العامُّ بها أن لا يَقَعَّ خلافٌ بين العلماءِ في ثبوتها أو نفيها، والعلمانياتُ المختلفُ فيها ليست من العقائد».

فعلى هذا لا يكونَ أحدٌ سالمَ العقيدةِ والإيمانِ ما لم يعتدِّ جميعَ الناس ما اعتقدَهُ هو، وما لم تعلمَ كافةُ البشرِ ما علمَهُ هو، فلا يُمكنُ للأشعرية أو الماتريدية مثلاً أن يتفردوا بعقيدة تكون حقاً، ما لم يُشاركهم باقي الفِرَقِ فيها، فتكونُ النُحلُ كُلُّها على قَدَمِ المساواة، وتزوُّلُ الحواجزِ بينها، ويرتفعُ الغمُّ مع الذئابِ في مرتعٍ واحداً! فتكونُ النُحلُ موحدةً بفضلِ هذا الاجتهادِ الجديد!!

ومنها قوله: «إن ما اختلفَ فيه العلماءُ في بابِ العقليات، والعلمانيات، كاختلافِ الفقهاءِ في العملياتِ، في عدمِ التضليلِ والتفسيقِ، فضلاً عن التكفيرِ». والعلماءُ في نظره أعمُّ من علماءِ أهلِ الحقِّ وزُعماءِ سائرِ الفِرَقِ من أيِّ نوعٍ كان يدعُتهم.

وهو يفرضُ أن الدليلَ القطعيَّ البينَ عند هذا، يكونُ بيناً معلوماً عند الجميع، وأنَّ الناسَ كُلَّهُم سَوَابِيغَةٌ في العلمِ والفهم!! فتبَّمتُ بتلك المبادئِ تصفيةً كتبِ العقائدِ في الإسلام، وتنزيلُ مسائلها إلى عَشْرِ مِئْثَاتِهَا!! وفي ذلك الاقتصادُ التامُّ في العقيدة، والاقتصادُ مطلوبٌ في كلِّ شيءٍ!!

هذا هو مَنزِعُ صاحبنا، فما يجبُ اعتقادهُ في نظره هو ما اتَّفَقَ عليه أربابُ النُحلِ، ويكونُ الناسُ أحراراً في اعتقادِ ما يشاؤون، في مواضعِ الخلافِ بين الفِرَقِ بدونِ أيِّ لومٍ وتثريبٍ!! وقد سَبَقَ منه تنويحُ السُّنةِ إلى أنواعٍ<sup>(١)</sup>، لا يكونُ للوحيِّ شأنٌ إلا في الثُّرَيِّرِ اليسيرِ منها، فَتَسْقُطُ أغلبُ السُّنةِ من أن تصلحَ للاحتجاجِ بها في بابِ العملِ، فضلاً عن بابِ الاعتقادِ، رَغْمَ ما يُقرُّهُ فخرُ الإسلامِ في ذلك، مع افتتانِ الكاتبِ بالنقلِ عنه فيما يهواه.

(١) وذلك في مقالاته التي كتبها بعنوان (شخصيات الرسول).

وهنا يضع قاعدةً تمنع من أخذ الاعتقاد من مورد الخلاف، وإفادة الدليل اللفظي اليقينَ مختلفَ فيها، فلا يصحُّ أن تؤخذ من الدليل اللفظي عقيدةً، على هذه القاعدة التي استقدها هنا، فيسقط الكتابُ من مقام الحجَّة في باب الاعتقاد، كما تسقط أغلبُ الشئ من مقام الاحتجاج بها في باب العملِ عنده.

فمن يكون مُلبِّماً بتاريخ الأديان والتَّخْلِج والمذاهبِ، لا يتردُّ لحظةً أنه لا توجدُ طائفةٌ تَرى مجموعَ تلك الآراء، فيظهُرُ أنه ليس من طائفةٍ من الطوائف المعروفةِ في كتب التَّخْلِج، وإنما هو أمةٌ وخذةٌ، لا يُعْتَلُّ بكلامه طائفةٌ من تلك الطوائف، بل يُعْتَلُّ نفسه فقط، كما قال الأستاذ العقاد في الأستاذ زكي مبارك.

ولا أرى بأساً في أن أتحدِّث هنا عن الدليل اللفظي، وعن المُخْطِئ، وعن العِلْمِيَّاتِ، لخطورة ما فاه به كاتبُ المقال بشأنهما.

أما الدليلُ اللفظي فيفيدُ اليقينَ عند توازُد الأدلةِ على معنى واحد، بطرقٍ متعددةٍ وقرائنٍ منضمةٍ عند الماتريديَّة، كما في «إشارات المزام» للبيضاوي وغيره، وإلى هذا ذهب الأبيدي في «الأبكار»، والسعدُ في «شرح المقاصد» و«التلويح»، والسيدُ في «شرح المواقف».

وعليه جَرَى المتقدمون من أئمة هذه الأمة وجماهير أهل العلم من كل مذهب، بل الأشعريُّ يقول: إن معرفة الله لا تكونُ إلا بالدليل السمعي. ومن يقول هذا يكون بعيداً عن القول بأن الدليل السمعي لا يفيد إلا الظن، فيكونُ من عَزَا المسألة إلى الأشعرية مطلقاً، متساهلاً بل غالباً غلطاً غير مستساغ.

والواقعُ أن القول بأن «الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمورٍ عشرةٍ ودون ذلك خَرُطُ القناد»: تَقَعَّرُ من بعض المبتدعة، وقد تابعه بعضُ المتفلسفين من أهل الأصول وجرى وراءه بعضُ المقلدة من المتأخرين، وليس لهذا القول أي صلة بأبي إمام من أئمة أهل الحق، وحاشاهم أن يضعوا أصلاً يُهدمُ به الدين، وتُخَدُّ معولاً بأيدي المشككين، والدليل اللفظي القطعي الثبوت، يكون قطعي الدلالة في مواضعٍ مشروحةٍ في أصول الفقه.

وأما ما أجمله الفخر الرازي في «المحصل» فقد أوضحه في «المحصل» و«نهاية العقول»، واعترفَ فيهما بأن القرائن قد تعيَّن المقصود، فيفيدُ الدليلُ اللفظي اليقين، فتبَلَّتْ بذلك من أيدي المشككين إمكانُ التمسك بقول الرازي في «المحصل» في باب

التشكيك في القرآن الحكيم، بل القول بمجرد الدليل العقلي في علم الشريعة بدعة وضلالة.

بل الأصل في علم التوحيد والصفات هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق السنة والجماعة في المباحثة مع الذين أقروا برسالة النبي ﷺ، وإنما يُستعمل الدليل العقلي وحده مع غيرهم كما يقوله فخر الإسلام وغيره، فلا يُعول عند أهل الحق على اعتقاد لا يُقره الكتاب والسنة، فمن سعى في إبعادهما عنه فقد أبتد في الضلال.

وأما عدّ كاتب المقال لمسائل الخلاف في علم أصول الدين بمنزلة الخلاف في مسائل الفقه في عدم التائيم: فنزوع منه إلى رأي عُبيد الله بن الحسن العنبري في تصويب المختلفين في العقائد. ومبلغُ شناعة رأيه في ذلك يظهر مما ينسبهُ ابن قتيبة في «مخيلف الحديث» ص ٥٥.

وقد توسّع أئمة الأصول في نقض خيال الجاحظ في عدم تائيم المختلفين في العَلَمِيَّاتِ وَالْعَمَلِيَّاتِ بعدَ بذل الجهد منهم، مع كون الصواب واحداً عنده في النوعين، كما توسّعوا في التشنيع على العنبري في تصويب المختلفين مطلقاً.

قال الغزالي في «المستصفى»: مذهب العنبري شرٌّ من مذهب الجاحظ، فإنه أقزُّ بأن المصيب واحد، ولكن جعل المخطئة معذوراً، بل هو شرٌّ من مذهب السوفسطائية، لأنهم نفّوا حقائق الأشياء، وهذا أثبت الحقائق ثم جعلها تابعة للاعتقادات، فهذا لو وُزِدَ به الشرع لكان مُحالاً، بخلاف مذهب الجاحظ.

وقد استبشع إخوانه من المعتزلة هذا المذهب فأنكروه وأؤلوه وقالوا: «أراد به اختلاف المسلمين في المسائل الكلامية التي لا يلزم فيها تكفير، كمسألة الرؤية، وخلق الأعمال، وخلق القرآن، وإرادة الكائنات، لأن الآيات والأخبار فيها مُتشابهة، وأدلة الشرع فيها مُتعارضة، وكل فريق ذهب إلى ما رآه أوفق لكلام الله وكلام رسوله عليه السلام، واليق بظلمة الله سبحانه وثبات دينه، فكانوا فيه مصيبين ومعذورين».

ثم قال الغزالي: «إن زعم أنهم فيه مصيبون، فهذا مُحالٌ عقلاً، لأن هذه أمور ذاتية لا تختلِفُ بالإضافة، فلا يُمكنُ أن يكون القرآن قديماً ومخلوقاً أيضاً، بل أحدهما، والرؤية مُحالاً وممكناً أيضاً، والمعاصي بإرادة الله تعالى وخارجة عن إرادته، أو يكون القرآن مخلوقاً في حق زيد قديماً في حق عمرو».

وإن أراد أن المصيبَ واحدٌ لكنَّ المُخطىءَ معذورٌ غيرُ أثم، فهذا ليس بمُحال عقلاً، لكنه باطلٌ بأدلةٍ سمعيةٍ ضرورية، واتفاقٍ سلفِ الأمةِ على ذمِّ المبتدعةِ ومُهاجرتهم، وقَطْعِ الصحبةِ معهم، وتشديدِ الإنكارِ عليهم، مع تركِ التشديدِ على المختلفين في مسائلِ الفرائضِ وفروعِ الفقه، فهذا من حديثِ الشرعِ دليلٌ قاطعٌ . . . ولم ينتهِ الغموضُ في الأدلةِ إلى حدِّ لا يُمكنُ فيه تمييزُ الشبهةِ من الدليلِ اهـ.

ولذا قال السعد في «التلويح»: «وإنما قال - يعني صَدَرَ الشريعة - (المخطىءُ في الاجتهاد لا يُعاقبُ) لأن المخطىءَ في الأصولِ والعقائدِ يُعاقبُ، بل يُضَلَّلُ أو يُكْفَرُ، لأنَّ الحقَّ فيها واحدٌ إجمالاً، والمطلوبُ هو اليقينُ الحاصلُ بالأدلةِ القطعية، إذ لا يُعقلُ حدوثُ العالمِ وقِدْمه، وجوازُ رؤيةِ الصانعِ وعَدْمه، فالمخطىءُ فيها مخطىءٌ ابتداءً وانتهاءً، وما نُقِلَ عن بعضهم من تصويبِ كُلِّ مجتهدٍ في المسائلِ الكلامية، إذا لم يُوجبِ تكفيرَ المخالف، كمسألةِ خلقِ القرآن، ومسألةِ الرؤية، ومسألةِ خلقِ الأفعال: فمعناه نُفِيَ الإثم، وتحقَّقَ الخروجُ عن عَهْدَةِ التكليفِ لا حَقِيَّةُ كُلِّ من القولين اهـ.

يريد بمنتَهَى كلامه الإشارةَ إلى رأيِ العنبري على تأويلِ إخوانِهِ المعتزلة، وقد قُدِّه الغزالي كما سبق.

وقال القاضي عياض في «الشفاء»: «اجتمعَ فِرْقُ الأُمَّةِ سواء - يعني العنبري - على أنَّ الحقَّ في أصولِ الدينِ واحد، والمخطىءُ فيه أثمٌ عاصٍ فاسقٌ، وإنما الخلافُ في تكفيره»، وتوسَّعَ القاضي هناك في نقلِ نصوصِ أهلِ العلمِ في المسألة، ومنتزلةً القاضي عياض في علومِ الروايةِ والدرايةِ غيرَ مجهولةٍ عند من أطلقَ على كتبه، أو طالعَ «أزهار الرياض».

فثبتَ أنَّ الخلافَ في العقائدِ ليس كالخلافِ في الفروع، في عدمِ تأثيمِ المخطىءِ، وعلى هذا اتفاقُ أهلِ الحقِّ خلفاً عن سلف، بل اتفاقُ الفِرْقِ كُلِّها، على ما سبق من القاضي عياض.

وأما ما وقع في كلامِ العز بن عبد السلام، ففي مثلِ زيادةِ الصفات، وحُكْمِ ذلك مشروعٍ في شَرْحِ الدُّرَانِي على «العُضْدِيَّة»، وفي كلامِ عبيدِ الحكيمِ على «الشَّفِيَّة»، وغيرهما من الكتبِ المتداولَةِ بأيدي طلبةِ العلم، وكذا مسألةُ الاستطاعةِ قَبْلَ الفعلِ مُبَيَّنَةٌ في كلامِ عبيدِ الحكيمِ على «المقدمات الأربع». وهكذا أوضح علماءُ العقائدِ في كتبهم ما يكونُ التنازُعُ فيه خطيراً أو غيرَ خطير، فلا يُبَيِّحُ ذلك إرسالَ الكتابِ الكلامِ على عَوَاهِيهِ في عدمِ تأثيمِ المختلفينِ في العقائدِ إطلاقاً.

على أن ابن عبد السلام له شطحات تسرّنت إليه من مطالعة بعض كتب ابن حزم، التي أتى بها محيي الدين بن عربي إلى الشام، فلا تزيد تلك الشطحات على أن تكونَ وهلةً منه، فلا يصحُّ اتخاذها حجةً، بل نرجو الله سبحانه أن يسامحه عليها.

وأما ابن حزم فعلى بعض ميلٍ منه إلى رأي الجاحظ في المسألة، يرى إكفاز المعانيد بعد إقامة الحجة عليه ولو بخبر الآحاد، فلا يُلقي صاحبُ المقالِ بُعِيثَهُ عنده بل عند العنبري فقط، وقد أُقيمتُ الحجةُ بتوفيق الله وتسديده على كاتب المقال، من كتاب الله وستة رسوله المتواترة وإجماع أهل الحق.

وسبق أن أشرنا إلى أن الاحتمالات غير الناشئة من الدليل لا تُجَلُّ بكونِ دلالة النصوص قطعياً، وذكرنا بعض ما أُلّف في إثبات تواتر حديث النزول، ونقلنا بعض نصوص أصحاب الشأن في تواتره وفي الإجماع على نزوله، والمعاندُ بعد هذا يكونُ في موقفٍ أخطَرَ من التائم فقط، ولذا صرّخ السيوطي بتكفير منكري النزول في «الإعلام» المطبوع في ضمن «الحاوي» له ٢: ١٦٦٠، وهو على القاعدة في إنكار ما تواتر في الشرع.

وليس أئمة هذه الأمة وعلمائها من الصدر الأول إلى اليوم، يجهلون معنى «العقيدة»، وهم قد ذوّنوا مسألة النزول في كتبهم في العقائد على توالي القرون، قبل أن يُخلُق صاحبُ «الجوهر» وصاحبُ «الخريدة» بدهور، زَعَمَ أنف كلِّ مكابر.

على أن مسألة نزول عيسى عليه السلام ليست من المسائل التي جُرّت إليها المناقشات مثل الاستطاعة، وخلق القرآن، وزيادة الصفات، بل هي ثابتةٌ بنصوص الشرع مباشرةً، فلا يُمكنُ لمن يدينُ بالكتابِ والسنةِ والإجماع أن يُنكرها، فيكونُ لفُ الكتابِ ودَوْرانُهُ واستقاعدهُ لقواعِدَ وصنوفِ مغالطاتِهِ إطالةٌ للكلام بدونِ جدوى غير انكشافِ حالِهِ كلِّ الانكشاف عند الجميع.

وحدثنا عن بضع تشكيكاته في الآيات يكونُ في فصل مفرد إن شاء الله تعالى، وليس جهلُ الكاتبٍ لدليل المسائلِ مما يُوجبُ أن يجهله العالمون، وتبجّحه بفهم معنى «العقيدة» لا يَكْبِهُ قُخراً بعد أن جهلَ الدليل، وجهلَ حصولَ العقيدِ الجازمِ بالبرهان مرةً، وبالادلةِ الإقناعية، أو خبرِ الآحاد أو التقليدِ مرةً أخرى.

قال علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري في «شرح أصول فخر الإسلام البزْدَوِي»: «اعتقادُ القلبِ فضّلُ على العلم، لأنَّ العِلْمَ قد يكونُ بدونَ عَقْدِ القلبِ،



كعلم أهل الكتاب بحقيّة النبي عليه السلام مع عدم اعتقادهم بحقيّته . . . ، والعقد قد يكون بدون العلم أيضاً، كاعتقاد المقلد، وإذا كان كذلك جاز أن يكون خير الواحد موجباً للاعتقاد الذي هو عمَل القلب، وإن لم يكن موجباً للعلم.

قال أبو اليسر: الأخبار الواردة في أحكام الآخرة من باب العمل، فإن العمل نوعان: عمَل الجوارح، واعتقاد القلب، فالعمل بالجوارح إن تعدّز لم يتعدّر العمل . . . العمل بالقلب اعتقاداً اه وذلك عند شرحه لقول فخر الإسلام: «وفيه ضرب من العمل أيضاً وهو عقد القلب عليه، إذ العقد أفضل عليه».

فظهر أن خير الأحاد الصحيح قد يفيد اعتقاداً جازماً في أناس، ولا يفيد البرهان العلمي اعتقاداً في آخرين، فواحد يعتقد اعتقاداً جازماً بنزول عيسى عليه السلام، بمجرد أن سمع حديثاً واحداً في ذلك من صحيح البخاري مثلاً، وآخر لا يعتقد ذلك ولو سمعته سبعين حديثاً، وثلاثين اثراً من الصحاح والسُنن والمسانيد والجوامع وسائر المدونات في الحديث، مما يحصل التواتر بأقل منها بكثير، فالناجي هو ذلك الواحد دون الآخر. ووجه الفرق بين الأنبياء والعلماء والعامة من ناحية الجزم الحاصل لهم، وطريق حصول الجزم لكل منهم: مشروحان في «تأنيب الخطيب»، فليراجع هناك.

## آيات في الرفع والنزول

وفي العدد (٥١٧) بعنوان «آيتان...» مقال يتناسى فيه كاتبه ما قرره في العدد السابق، من أن مورد الخلاف لا يصلح أن يتخذ مضدراً للعقيدة، وأن الدليل النقلي لا يُفيد اليقين عند كثير من العلماء، والذين قالوا بإفادته اليقين شرطوا شروطاً إلى آخر ما ذكره في النوعين على رأي الفريق الثاني.

وأما الآن فيقول في مفتتح هذا المقال: إنه كان قرّر فيما سبق «أن القرآن كله قطعي الثبوت، وأنه في دلالته نوعان: قطعي لا يحتمل التأويل، وغير قطعي يحتمل معنيين فأكثر». فيتراجع هكذا عن القول بعدم إفادة الدليل النقلي اليقين عند كثير من العلماء، فيتهاثر.

ولم أذ بين الذين في أنفسهم مَرَضُ الخروج على الجماعة: من لا يتهاثر، فإذا اعترف هكذا أنه يوجد بين الأدلة التقليدية كثير مما يُفيد اليقين، فقد انهزم ما بناه، واضطر إلى الرجوع لقول الجماعة بدون أن تنفع تمهيداته المهلهلة في شيء من مقاصده.

وقوله: «قطعي لا يحتمل التأويل» يدل على أنه غاب عنه أن احتمال التأويل احتمالاً غير ناشئ من الدليل: لا يخلُ بكون الدلالة قطعية اتفاقاً بين أهل العلم، على ما هو مشروح في «المستصفي» و«التلويح» و«ميراة الأصول» وغيرها.

كما أن قوله: «وغير قطعي يحتمل معنيين فأكثر» يدل على أنه لا يميز بين المُجْمَلِ المحتمل لمعنيين على قَدَمِ المساواة، وبين الظاهر المحتمل لمعنيين يكون أحدهما راجحاً بنفسه أو بدليل، والآخر مرجوحاً في حكم القَدَمِ عند انتفاء ما يوجب الاعتدال به، كما لا يميز بين أقسام الوضوح التي إنما يكون احتمال التأويل في بعضها، مع كون جميعها قطعية الدلالة عند عدم دليل يعضد الاحتمال الآخر اتفاقاً.

وتلك الأقسام من الظاهر والنص والمفسر والمُحكّم متداخلة، وتأثيرها بالمفهوم عند المتقدمين، والتباينُ المعتبَرُ بينها عند المتأخرين مشروحٌ في محلّه، ولا شأنٌ لنا به هنا.

وظنّيّة الظاهر إنما هي عند وجود ما يدلُّ على الاحتمال الآخر، وإلا فحكمه حكمُ النصِّ في القطع بالمراد منه، بل عند تضافر الظواهر الظنيّة على معنى، يحصل القطعُ بذلك المعنى، كما هو الحال في خبر الأحاد المفيد للظن؛ فإنَّ الأخبار إذا تواردت على معنى حصل اليقين بذلك المعنى.

ثم الظاهر: إما ظاهرٌ بالوضع، وإما ظاهرٌ بالدليل، كما في «التمهيد» لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوازي، فتبين أن الظاهر ليس بقطعي مطلقاً، ولا ظني مطلقاً، وأنَّ الظواهر في الرفع والنزول قطعيّة لتضافر الأدلة وعدم وجود ما يدلُّ على الاحتمال الآخر.

وبعد هذا الاستطراد اليسير أعودُ فأقول: إنَّ الأساتذة القائمين بالذب عن عقيدة الجماعة، لم يدعوا قولاً لقاتل في تبين وجوه دلالة كتاب الله على المسألة، فجزاهم الله عن العلم خيراً، لكنَّ الشيخ لما رأى أنَّ قلمه طوعُ بتأنيهِ لا يتمرّد عليه فيما يريد أن يُودعه الطروس، ولسانه لا يعاكسه فيما يشاء أن يقوّه به، والجماعة أطوع له من ظله: أصرَّ على مخالفة الأمة، فأخذ يستربل ويكُتب ويتكلّم بكل حاجة في نفسه، ظناً منه أنَّ الأعزل من الحجّة يكسب في مغمعة الجحاج شيئاً غير الموت الأدبي، وأنه يتمكن - ولو إلى حين - من تغطية الحق وترويج الباطل بين فئام عهد انخداعهم بشقيه ومغالطته.

لكن خاب خدسه، وضاع نَفْسُهُ وسفِيهُهُ في إظهار عقيدة المسلمين المتوارثة، بمظهر اعتقاد الجماهير الجهلة الطغام، وتصويره للذابين عنها بصورة عبدة المادة الثفجيين المُجارين لأهواء العائمة الجهلة، مما يدلُّ على أنه ممن يَرَوْن دينا للعامّة، وديناً للخاصة، وأنه إنما يحكي للناس عما يرى في مرآة ينظرُ هو فيها، ولسنا نعيش في غير هذه الكثرة حتى تجهلنا الأمة وتجهلّه.

يكون المناضل عن عقيدة الجماعة على ضلال!! والخارج عليها المنشق على هدى!! فسبحان الفتاح العليم، هكذا يكون المنتصف صاحب الضمير الحي، والمضليح الموجة للنشر!! ولسنا نطمع في سكوته عن الباطل. وإسكاته بيد الله القاهر، وإنما نريد صون المجتمع من تشكيكاته، وقد فعلنا بتوفيق الله سبحانه.

ولا نزال نمضي على مُناصرة الحق بإذنه جَلُّ شأنه، رَغَمَ كل صعوبة قائمة، حتى ظَهَرَ للملأ أنه لو ابْتَغَى نَفَقاً في الأرض أو سُلماً في السماء، ليأتي برواية صحيحة، عن أحد من علماء أهل الحق من صدر الإسلام إلى عهد متنبئ؛ المغول، يَنْفِي ما يَنْفِي كاتِبُ المقالِ لَمَّا وَجَدَ إلى ذلك سبيلاً، لِيَقَالَ: إِنَّ له زميلاً في الشذوذ، فضلاً عن أن يَتَصَوَّرَ احتمالُ أن يكون الحقُّ في جانبه ولو بمقدارِ نسبةِ الواحدِ إلى الألف.

فِيكْفِي في سُقُوطِ كلامِهِ ظُهُورُ أنه قال ما لم يَقُلْه أَحَدٌ من العالمين رَجَمَ الله الإمامَ رَفَرَبْنَ الهُدَيْلِ حيث قال: «إني لا أَنَاظِرُ أَحَدًا حتى يَسْكُتَ، بل أَنَاظِرُهُ حتى يُجَنِّ، قالوا: كيف ذلك؟ قال: يقول بما لم يَقُلْ به أَحَدٌ»، كما رواه الصَّيغِرِيُّ وغيره عنه.

وأكتفي في الحديث عن الآيات التي نحن بصدد بيانها، بلمحة سيرة إليها هنا، حيث أَعْتَى عن التوسع فيها ما سَبَقَ توضيحُه بقلم الأساتذة الراديين على باطله، فأقول: إِنَّ قوله تعالى: ﴿... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿[النساء: ١٥٧، ١٥٨] نَصُّ في الرفع الجسي، لأن حقيقة الرفع هي النقلُ من السُّفْلِ إلى العُلُوِّ، كما يقول أبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط»، ولا صارَفَ عن الحقيقة حتى يَجُوزَ حَمْلُ الرفع هنا على رَفْعِ المكانةِ مجازاً، فيكون احتمالُ المجاز احتمالاً غَيْرَ ناشئٍ من دليل، فيكون ﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] نَصًّا في الرفع الجسي بَل في الآية ما يَزِدُّ احتمالَ المجازِ زِدًّا باتاً من وجوه:

أما أولاً فَإِنَّ السياقَ في تقرير بطلان ما قاله اليهودُ مِن قتلِهِ، ببيان أنهم إنما قَتَلُوا الشَّيْبَةَ، فبرُفْعِهِ الجسي يكونُ إنقاداً شخِصِهِ منهم، فينْسَجِمُ بذلك ما قُبِلَ «بل» بما بَعْدَهَا، وَرَفْعُ المكانةِ مما لا يُنَافِي القَتْلَ، وكم من نَبِيِّ قُتِلَ وهو رفيعُ المكانةِ، فلا يَصِحُّ دخول «بل» بينهما، لانتفاء التضادِّ بينهما.

وقد أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم في «تفسيره» بسند صحيح إلى ابن عباس، أنَّ عيسى رَفِعَ من رُوزَنَةِ في البيت، وساق ابنُ كثير السندَ في «تفسيره» ١: ٥٧٤ وهذا ليس مما يُعَلِّمُ بالرأي، فيكونُ في حكم المرفوع عند جماعة أهل العلم.

وأما ثانياً فَإِنَّ حَمْلَ الرفع هنا على رَفْعِ المكانةِ لا يَظْهَرُ له وَجْهٌ اختصاصٍ بهذا الموقف، لأنَّ أولي العزم من الرُّسُلِ يكون كلُّ واحد منهم رفيعُ المكانةِ دائماً.

وأما ثالثاً فإنَّ ذِكْرَ مُنْتَهَى لِرَفْعِ شَخْصٍ بِوَضْعِ ﴿رَفَعَهُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٥٨] بلفظ (إلى)، يقضي على احتمال المجاز بحمله على رفع المكانة، لأنَّ رَفَعَ المَكَانَةَ يُنَاقِبُهُ ذِكْرُ مُنْتَهَى لَهُ قِطْعاً، وإدخالُ (إلى) على ضمير المتكلم من قبيل الإضافة للتشريف، والمعنى إلى سَمَائِي وَمَنْزِلِ مَلَائِكَتِي، كما يقول أبو حيان وغيره.

وأما رابعاً فإنَّ رَفَعَ المَكَانَةَ لَا يَخُصُّ عَيْسَى حَتَّى يَمْتَنِّزَ اللَّهُ بِهِ هُنَا، بَلْ يُعْمَةُ وَسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، بَلْ وَسَائِرُ الْأَبْرَارِ وَالْأَخْيَارِ.

وأما خامساً فإنَّ حَمَلَ الرَّفْعِ عَلَى رَفْعِ رُؤُوسِهِ، بِحَذْفِ الْمُضَافِ - كما وقع في قُتْبِ الشَّيْخِ - أَمْرٌ لَا يَخُصُّ عَيْسَى أَيْضاً، مَعَ كَوْنِ الْحَذْفِ خِلَافَ الْأَصِيلِ، فَلِذَا يَكُونُ الرَّفْعُ لِشَخْصِهِ، فَيَشْمَلُ الرُّوحَ وَالْجَسَدَ مَعاً، وَأَنْتَ لَا تَجِدُ أَحَدًا مِنَ الْمَفْسَرِينَ يَحْمِلُ الرَّفْعَ هُنَا عَلَى رَفْعِ المَكَانَةِ، أَوْ رَفْعِ الرُّوحِ فَقَطْ، لِظَهْوَرِ دَلَالِيهِ الْقِطْعِيَّةِ عَلَى الرَّفْعِ الْجَسَدِيِّ هُنَا.

وهذا كله مع قُطْعِ النَّظَرِ عَنِ تَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ فِي الرَّفْعِ وَالنُّزُولِ، وَإِلَّا فَمَنْ اسْتَدْرَكَ تَوَاتُرَ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ، لَا يَسْعُهُ أَنْ يَتَشَكَّكَ لِحِظَّةً فِي هَذَا الْأَمْرِ وَلَوْ لَمْ يَسْتَحْضِرْ وُجُوهَ دَلَالَةِ الْكِتَابِ عَلَى الرَّفْعِ وَالنُّزُولِ، فَكَيْفَ وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَوَارِدَةٌ مُتَضَافِرَةٌ عَلَى عَقِيدَةِ الْجَمَاعَةِ فِي ذَلِكَ.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ مُتَوَفِّيكَ وَرَدَّكَ إِلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٥٥] فَتُحْصَى أَيْضاً فِي الرَّفْعِ الْجَسَدِيِّ حَتْمًا، لِأَنَّ ﴿إِلَيْنَا﴾ تَمْنَعُ مِنَ اِحْتِمَالِ الْمَجَازِ بِحَمْلِهِ عَلَى رَفْعِ المَكَانَةِ كَمَا سَبَقَ، يَثَلُّ مَنَعٌ ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] مِنْ أَنْ يَكُونَ ﴿طَائِرًا﴾ [الأنعام: ٣٨] مَجَازًا عَلَى مَا قُضِيَ فِي مَوْضِعِهِ.

وكلمة الفخر الرازي في بعض الوجوه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَجِبُ الْأَرْبَابَ أَنْبُوكَ قَوْلَ الْأَرْبَابِ كَرَوًا﴾ [آل عمران: ٥٥] لَا تَكُونُ إِلَّا سَبَقَ قَلَمٍ مِنْهُ، لِظَهْوَرِ بَطْلَانِ ذَلِكَ رِوَايَةً وَدَرَايَةً، بِمَا فَضَّلْنَاهُ أَنْفَاءً. وَكَمْ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِنْ وَجُوهِ لَا وَجْهَ لَهَا فِي النُّقْلِ وَلَا فِي الدَّرَايَةِ، عَلَى أَنَّهُ يَجْزَمُ مَعَ بَاقِي الْمَفْسَرِينَ بِالرَّفْعِ وَالنُّزُولِ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِلآيَاتِ كُلِّهَا، فَمَاذَا عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا لَوْ غَلَبَ فِي وَجْهِ؟ سَبْحَانَ مَنْ لَا يَسْهُوُ وَلَا يَغْلُظُ.

وأما ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] فَمَنْ التَّوَفَّى وَهُوَ الْقَبْضُ وَالْأَخْذُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ، وَيُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِي مَعْنَى الْإِمَانَةِ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» لِلزَّمْخَشَرِيِّ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: إِنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ وَرَائِعُكَ إِلَى سَمَائِي. وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ مَوْتِ.

وهذا المعنى منسجم مع باقي الآيات والأخبار فيكون نصاً أيضاً في رُفْعِهِ حَيًّا، لأن احتمال المجاز لم ينشأ من دليل، فَيَبْقَى قطعِي الدلالة على الوجه الذي شرحناه، ولو فرضنا اشتراك التوفّي بين الأخذ والإماتة والإقامة لكان لِحَقِّقَةِ البَيَانِ بقاطِعٍ من الآيات الأخرى، فيكون قطعِي الدلالة على الرفع الجسدي والأخذ من غير موت.

ولو فرضنا عذَمَ لحوقِ بَيَانٍ لا يتأتى خَفْلُهُ على الموتِ هنا، لأن اسمَ الفاعل حقيقةً في الحال، ومجازاً في الاستقبال عندهم، فلو حملناه على الحقيقة يكون المعنى: إني مُمَيِّتُكَ الآن. فيكون قَضُ اليهودِ حاصلًا، وقد نُصَّ القرآنُ الكريم على أن قَضَهُمْ لم يَحْضَلْ. ولو حملناه على الاستقبال مجازاً لا يكون مستقبل أوّلَى من مستقبل إلا بدليل، فيتعيّن المستقبل الذي حَدَدَهُ باقي الأدلة، وهو ما بَعْدَ نزولِهِ إلى الأرض.

«الواو» لا تفيد الترتيب، فيكون هذا من بابِ تقديم ما هو مؤخّر في الوقوع، لأجل التقرّيع على مدّعي ألوهيته، ببيان أنه سيموت، وإليه ذهب قتادة والفراء وعليه يُحتمَلُ ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، جُمعاً بين الأدلة.

على أن ابن أبي طلحة لم يُدرك ابنَ عباس اتفاقاً، وقد قال فيه يعقوب بن سفيان: ضعيف الحديث منكره، ليس محمود المذهب، لا هو متروك، ولا حجة. فيكون مختلفاً فيه، وإن انتفى مُنْليم بعض حديثه.

ومعاوية بن صالح الحضرمي الراوي عنه، لم يكن يحيى بن سعيد القطان يرضاه، وقد قال أبو حاتم: لا يُحتجُّ به، وإن انتفى مسلم بعض حديثه.

وعبدُ الله بنُ صالح كاتب الليث الراوي عن الحضرمي، كثيرُ الغلط، فلا يُبَيِّث بمثل هذا السُّنْدِ هذا التفسير عن ابن عباس.

وَوَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ هو الذي يقول بموتيه، ثم رُفِعِهِ، ثم إحيائه في السماء، لكنه كثيرُ الرواية عن كُتُبِ أهل الكتاب، فلا يُعوَّلُ على ما لا يرويه عن المعصوم عند أهل العلم.

وقد صرّح محمد بن إسحاق بأن القول بموتيه قولُ النصارى، وليس بين قول من قال: إنامته ثم رُفِعَهُ، وقول من قال: قبضه من الأرض ورُفِعَهُ حياً إلى السماء، كبير فرق، فيكون قولُ ابن خزم في «المُحَلَّى» بموتيه، ثم رُفِعِهِ، ثم إحيائه ونزوله، مما لا تُعْضَدُهُ رواية ولا دراية بل تكرير إيقاع الموت عليه مما يتأقبه النص.

وفي «العُثَيْبِيَّة» عَزَّو وَفَاتِهِ ثُمَّ نَزُولِهِ إِلَى مَالِكٍ، وَلَعَلَّ ابْنَ حَزْمٍ انْخَدَعَ بِذَلِكَ. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ شَرَحْنَا حَالَ «العُثَيْبِيَّة» فِي الْعَدَدِ (٣٤) ١٣٦١هـ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ كَبِيرُ خَطْوَرَةٍ غَيْرُ ضَعِيفِ مُدْرِكِ الْوَفَاةِ، حَيْثُ كَانَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْإِيمَانِ بِالنَّزُولِ، كَمَا ضَرَّحَ بِذَلِكَ فِي «الفِضْلِ» وَ«المَحَلِّ».

وقال الآلوسِيُّ: وَالصَّحِيحُ كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَهُ مِنْ غَيْرِ وَفَاةٍ وَلَا نَوْمٍ، وَهُوَ اخْتِيارُ الطَّبْرِيِّ، وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ هـ.

وقال ابنُ جريرٍ بَعْدَ نَقْلِهِ رَوَايَاتٍ تَفْسِيرَ التَّوْفِيِّ بِالنَّوْمِ أَوْ الْقُبُضِ أَوْ الْمَوْتِ: «وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّحَّةِ عِنْدَنَا قَوْلُ مَنْ قَالَ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنِّي قَابِضُكَ مِنَ الْأَرْضِ، وَرَفَعْتُكَ إِلَيَّ، لِتَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ سَأَقُ أَحَادِيثَ فِي النَّزُولِ، ثُمَّ رَدُّ رَدًّا مُثْبَعًا عَلَيَّ مِنْ زَعْمِ تَكَرُّرِ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.»

وليس في قوله «وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّحَّةِ» مَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَيَّ أَنْ تَلِكِ الْأَقْوَالُ مَشْتَرِكَةٌ فِي أَسْلِ الصَّحَّةِ، كَيْفَ وَقَدْ ذَكَرَ بَيْنَهَا مَا هُوَ مَعْرُوفٌ إِلَى النَّصَارَى، وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَصِيحَ ذَلِكَ فِي نَظَرِهِ، بَلْ كَلَامُهُ هَذَا مِنْ قِبَلِ مَا يَقَالُ: «فَلَا أَدْرِي مَنْ جِمَارٌ، وَأَفْقَهُ مِنْ جِدَارِهِ»، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ عَادَةِ ابْنِ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ نَقْلِهِ لِرَوَايَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، كَائِنَةً مَا كَانَتْ قِيمَتُهَا الْعِلْمِيَّةُ، وَقَدْ يَكُونُ بَيْنَهَا مَا هُوَ بَاطِلٌ حَتْمًا، فَلَا يَكُونُ لِصَاحِبِ الْمَقَالِ إِمْكَانُ التَّمَسُّكِ بِمِثْلِ تِلْكَ الْعِبَارَةِ فِي تَقْوِيَةِ الرُّوَايَاتِ الْمَرْدُودَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَوَلَّيْتَنِي﴾ [الْمَائِدَةُ: ١١٧] فَبِمَعْنَى قَبْضَتَيْنِي بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا يَقَالُ: تَوَلَّيْتُ الْمَالَ إِذَا قَبَضْتَهُ، وَرُوِيَ هَذَا عَنِ الْحَسَنِ وَعَلِيهِ الْجُمْهُورُ، وَرُوِيَ عَنِ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ الْمُعْتَزَلِيِّ - وَهُوَ مِنْ أَجْرَاهِمَ فِي الشَّدُوذِ - أَنَّ الْمَعْنَى (أَنْتَبَيْتِي)، وَأَدْعَى أَنْ رَفَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ كَانَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ النَّصَارَى كَمَا قَالَ الْآلُوسِيُّ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «قِيلَ: هَذَا يَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَوَفَّاهُ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَهُ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ تَظَاهَرَتْ بِرَفْعِهِ، وَأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ حَيٌّ» هـ.

وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ حَقِيقَةِ التَّوْفِيِّ بِحَيْثُ لَا يَدْعُ أَدْنَى رَيْبَةٍ. وَمَا يَقَالُ مَنْ أَنَّ الْمُتَبَادِرَ مِنَ التَّوْفِيِّ هُوَ الْمَوْتُ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُسَلَّمَ ذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْيَوْمِ، لَكِنْ تَطَوَّرَ اللَّغَةُ فِي زَمَنِ مُتَأَخَّرٍ إِلَى مَعْنَى، لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى مَفْهُومًا مِنَ اللَّفْظِ فِي تَخَاطُبِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى مَفْهُومًا مِنَ لَفْظِ التَّوْفِيِّ إِذْ ذَاكَ، لَكَانَ ﴿جِيئَ مَوْجِعًا﴾ [الزُّمَرُ: ٤٢] لَعْنًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ

يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ جِنَّةً مَوْجِبَةً ﴿٤٢﴾ [الرؤس: ٤٢]، وجلّ كلامُ الله من أن يَقَعَ فيه لغو. ولا تعويلُ في تفسير كتاب الله على تخاطب اليوم بل على التخاطب في عهد التنزيل كما لا يخفى.

والرسالةُ مثلاً تُستعملُ بمعنى الواجب اليوم، استعمالاً شائعاً منذ زمنٍ غير بعيد، فحاشا أن نفهم من الرسالة الواردة في نصوص الكتاب والسنة هذا المعنى بتلك المناسبة، فتلغيني معنى الوحي والرسالة من الله سبحانه، لأنّ مُسايرة التطوُّر في اللغة في تطوير معاني الكتاب الحكيم، تكوُّن تحريفاً للكليم عن مواضعه حتماً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ مِنْ أَهْلِ الْكَلْبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْجِبَةٍ﴾ [النساء: ١٥٩]، فالضميران في ﴿به﴾ و﴿موجبه﴾ يعودان على عيسى، لأنه المتحدّث عنه في السياق، ولأنّ عوْدَ أحدهما على غير ما يُعوْدُ عليه الآخرُ فيه تشتتٌ للضمائر، وهذا مما ينزه عنه الكتابُ الكريم، ولذا قال أبو حيان - وأنت تعرف منزلته في العربية - «والظاهر أنّ الضميرين في به، وموْجبه عائدان على عيسى، وهو سياق الكلام، والمعني: من أهل الكتاب: الذين يكونون في زمان نزوله» اهـ ولا صارف عن الظاهر.

وقال ابن كثير: «وهذا القول هو الحقُّ كما سنبينه بالدليل القاطع إن شاء الله تعالى، لأنه المراد من سياق الآي في بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى ورضيحه وتسليم من سلّم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما سُبّه لهم، فقتلوا السبّه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه زلّعه إليه وأنه باقٍ حيٌّ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلّت عليه الأحاديث المتواترة» اهـ. ثم ساق أحاديث كثيرة في النزول، في (١ - ٥٧٨) كما فُعل يشلّ ذلك في باب الملاحم والفتن في أواخر «تاريخه» في القسم غير المطبوع منه<sup>(١)</sup>.

وكلامُ ابن جرير واضحٌ جداً في تعيين إرجاع الضميرين إلى عيسى روايةً ودرايةً، وكذا ما ذكرناه في العدد (٣٤ - ١٣٦١هـ) في هذا الصدد.

وقد ضحّ عن أبي هريرة في «الصحيحين» إرجاعهما إليه، كما ضحّ عن ابن عباس في رواية محمد بن بشار، عن ابن مهدي، عن الثوري، عن أبي حصين، عن ابن جبير، عنه عند ابن جرير وابن كثير، وهذا سنَدٌ كالجبل في الصحة، بل الرواية مستفيضة عنه بطرق أخرى.

(١) ثم طبع هذا القسم من تاريخ ابن كثير باسم «النهاية» لابن كثير.



وأين هذا من سندٍ فيه غثابٌ بنٌ بشير، وحُصَيْف، أو سندٍ فيه أبو هارون القنوي إبراهيم بن العلاء وعكرمة، أو جُزَيْبٍ والضحاك، أو محمد بن حنيد وأبو ثَمِينَةَ يحيى بن واضح وحُسين بن واقد وعكرمة، أو أبو حُدَيْفَةَ موسى بن مسعود وشبَلٌ وعَبْدُ اللهِ بن أبي نَجِيح؟

ولا يُلْتَفَتُ في باب الرواية إلى غير الصحيح عند وجود الصحيح، كما لا يُلْتَفَتُ إلى ما يوجب تركَ مُوجبِ السياق أو إخراج اللفظ عن مدلوله الظاهر حيث لا صارف، فَعَلِمَ أن الاحتمالَ هنا لم ينشأ من دليل، فلا يُخْلُ بِكون الآية نصًّا في النزول.

ومِثْلُ الزمخشري إلى غُزْدِ ضمير ﴿مُؤَيَّه﴾ [سَبَا: ١٤]، على الكتابي، إنما نشأ من رواية شَهْر بن حَوْشَبِ عنده ظناً منه أنها صحيحة، لأنه لا تعويل على الرأي والدراية عند ثبوت الرواية عن المعصوم، أو عمن تلقى من المعصوم، لأنه إذا جاء نَهْرُ اللهِ بِظَلِّ نَهْرٍ مُغْبِلٍ عند أهل الدين. ولو عَلِمَ أَنَّ روايةَ محمد بن السائب الكلبي عن شَهْرٍ مردودةٌ عند أهل النقد لما عَرَّجَ عليها.

ثم قولُ النووي تعويلاً على قراءة أبي بن كعب، مخالفتٌ لعذبه في القراءة الشاذة. وقراءة أبي هذه في سَنَدِهَا عَثَابٌ بنٌ بشير وحُصَيْف، وكلاهما ضعيف، والقراءة الشاذة ما لم يصحَّ سَنَدُهَا لا يُحْتَجُّ بها في باب التفسير عند أهل العلم.

ثم ترجيحُ إرجاع الضمير إلى الكتابي في ﴿مُؤَيَّه﴾ [سَبَا: ١٤] لما في ذلك من المحافظة على عموم الإيمان لكل كتابي، ففيه هَدْمٌ مِضْر، لبناءٍ قَضْر! لأنَّ فيه إخراجَ كلمةٍ ﴿قَبَلٌ﴾ من معناها، بِخَلِّ الإِيمان هنا على الإيمان أثناء الموت لا قَبْلَهُ، وخَمَلُ الإِيمان على خلاف المعنى المتبادر منه وهو الإيمانُ النافع، على أن ما لا يَنْفَعُ لا يُسَمَّى إيماناً في الشرع، والغاى ما أقسَمَ اللهُ عليه بقوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ [النساء: ١٥٩].

وأما تركُ العام على عمومهِ هنا، فمن عَدَمِ التدبُّرِ في الملابسات، لأنَّ لَمْ جوابُ القسم ونونُ التأكيد مما يُمَحَضُّ الفعلُ للاستقبال، فكيونُ ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ [النساء: ١٥٩] بمعنى: أنه يُؤْمِنُ كُلُّ كتابيٍّ موجود في زمنٍ خاصٍّ من أزمنةِ المستقبل، يُعْبَهُ تقييدهُ بلفظِ ﴿قَبَلٌ مُؤَيَّه﴾ [النساء: ١٥٩]، فيكونُ الكلامُ مصروفاً إلى ما بعدَ نزولِ عيسى، كقوله عليه السلام: «يَنْزَلُ فِيكُمْ عيسى ابنُ مريم»، فإنه بمعنى: أنه يَنْزَلُ في الأُمَّةِ الموجودينَ بعدَ النزول، لا الموجودين في زمنه عليه السلام.

والتخصيصُ بالقرائنِ والملابساتِ في الكتابِ والسنةِ في غايةِ الكثرة، فَعَلِمَ أن الروايةَ والدرايةَ تطابقتا على إرجاع الضميرين إلى عيسى عليه السلام.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لِمَلَمَ لِسَانَهُ﴾ [الزخرف: ٦١] فقد اعترف بطلان الخروج على المتوازات بعزود الضمير فيه على عيسى، وعدم احتمال عوديه على غيره، لكن ظن أنه يجد في السياق ما يمكنه من صرفه عن وجهته، ولم يعلم أن كون الخطاب للمشركين وأهل الجاهلية يضره ولا ينفعه، لأنهم لا يقرون بحدوث عيسى بدون أب، ولا بإبراهيم الأكنة والأبرص، وإحيائه الموتى بإذن الله. وإنما هذا وذلك مما نص عليه القرآن الكريم وهم لا يؤمنون به، فكيف يتصور إقامة الحجة عليهم بما لا يقرون به؟ فتعين أن عود الضمير إلى عيسى، باعتبار أن نزوله من أشراف الساعة، فأصبح نصاً في النزول لا يعدل عنه.

وقراءة «العلم للساعة» بفنحتين قراءة عدة من الصحابة والتابعين كما في «البحر» وغيره، لكن تغاضى عنها الشيخ مع صحة سندها، حيث لم تكن هذه القراءة على هواه، لأنها تُعين عود الضمير إلى عيسى باعتبار أن نزوله من أشراف الساعة، مع أنه كان شديد التمسك بالقراءة المنسوبة إلى أبي بن كعب، مع الضعف في سندها كما سبق، لأنه كان يُعدها من صالحه، وهكذا يكون الهوى!

وقد جاء في صحيح ابن جبان بسند صحيح بطريقي مضدع، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لِمَلَمَ لِسَانَهُ﴾ [الزخرف: ٦١] قال: نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة.

فهل يمكن لمن يخضع لمعايير العلم أن يتعنت بعد هذا كله في رد ما عليه الجماعة؟ وقد فهم أهل التفسير أمثال الزمخشري من إشارات آيات بيوى ما تقدم رُفِعَ عيسى ونزوله، فهما يدل على بَقَلَة بالغة. وفي إيضاح مداركهم طول نستغني عن الخوض فيها بصرائح الآيات المتقدمة.

فظهر مما سبق كل الظهور بطلان قول الشيخ: «ليس في القرآن الكريم ما يُفيد بظايره غلبة الظن بنزول عيسى أو رفعه، فضلاً عما يُفيد القطع الذي يكون عقيدة ويكفر مُنكره كما يزعمون».

واتضح أيضاً أن نصوص القرآن الحكيم وحدها تُحتم عليه القول برفع عيسى خياً، ونزوله في آخر الزمان، حيث لا اعتداد باحتمالات خيالية لم تنشأ من دليل، كيف والأحاديث قد تواترت في ذلك، واستمررت الأمة خلفاً عن سلف على الأخذ بها، وتدوين مؤجبهها في كتب الاعتقاد من أقدم العصور إلى اليوم، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

## السنة وثبوت العقيدة

وفي العدد (٥١٨) مقال بهذا العنوان يقول كاتبه في مفتحه: إنه بين فيما سبق أنه «ليس في القرآن الكريم ما يُفيد بظاهره غلبة الظن برفع عيسى ونزوله، فضلاً عما يُفيد البين».

وقد علّم القارئ الكريم بما قرّرناه في الفصل السابق بطلان هذا الزعم من كل ناحية، وأثبتنا أن في القرآن الحكيم نصوصاً قاطعة تدل على الرفع والنزول، وعلى هذا الفهم فزج أئمة الأئمة وعلماؤها ولا سيما المفسرين على تعاقب الدهور، وإنما روي موثقة ثم رُفَعُ عن وهب بن منبه ومحمد بن إسحاق، وهما إنما حكيا ذلك عن أهل الكتاب، وذلك من ضرورة قولهم بقتله وصلبه.

وقد كذب القرآن ذلك، فلم يبق إلا قول أهل الحق: إنه رُفِعَ حيّاً، وسينزل قبل يوم القيامة، ومن حُفِلَ التوفي على الموت، مثل فتادة والفراء جعل قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُؤَقِّبُكَ وَإِيَّاكَ إِلَىٰ﴾ [آل عمران: ٥٥] من باب تقديم ما هو مؤخر في الوقوع، لنكتة، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْمَىٰ وَذَكَرَىٰ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وأما ابن حزم فقد قال بموته، ثم رفيع، ثم نزوله اغتراراً منه بما في «العنينة» المشروح حالها في العدد (٣٤ - ١٣٦١هـ) من مجلة الإسلام، وما فيها من عزو موته إلى مالك رواية ساقطة عند أهل النقد، وحُفِلَ التوفي على الموت إخراجاً للكلمة عن وضعها، كما يُعَدُّ من كلام ابن قتيبة وابن جرير والزمخشري وغيرهم.

وبعد هذا الحُفْل لا بُد من الحمل على التقديم والتأخير كما فَعَلَ فتادة والفراء، جمعاً بين الأدلة، لأن الراوي لا يُفِيد الترتيب، ونسبة إنكار رفعه حيّاً إلى المعتزلة مطلقاً تساهل، وإنما هو قول الجبالي، وهو كثير الشذوذ، ومن جملة شذوذه أنه يرى عدم جواز الأخذ بخبر الآحاد عقلاً، فإذا أخذ كاتب المقال برأيه هذا يخلص من أخبار الآحاد بكرة واحدة.

وما لفرزد لا يصح أن ينسب إلى جماعته، وها هو خطيب المعتزلة ولسانهم الناطق تراه في «الكشاف» يُقرُّ بالرفع والنزول على طول الخط، وكذا الإمامية عند دفاعهم عن خروج المهدي، فلا يكون مُكَبَّرُ الرفع والنزول إلا مفارقاً للجماعة، جازياً مع الهوى، مُنَابِذاً للكتاب والسنة، وتبذ ما عليه الجماعة، المُسْتَمَدُّ من الكتاب والسنة، والغيل إلى رأي مستمد من أهل الكتاب: إبعاد في الشذوذ، وقد قال ابن أبي عتبة: الرأي الشاذ إنما يحمله الرجل الشاذ.

ثم ذكر الكاتب الفرق بين خبر الآحاد والخبر المتواتر، بإطالة مستغنى عنها، ونقل كلمات بعض أهل العلم في ذلك بيتر وتزويد، على أمل أن يجد فيها ما يغطي على شذوذه، والواقع أن من قال: إن خبر الآحاد يُعيد العمل فقط، يُريد بالعمل ما يشمل عمل الجوارح وعمل القلب - وهو الاعتقاد - كما نص على ذلك البرزدي نفسه، حيث قال في آخر مبحث خبر الآحاد:

فأما الآحاد في أحكام الآخرة فمن ذلك ما هو مشهور، ومن ذلك ما هو دونه، لكنه يوجب ضرباً من العلم، على ما قلنا، وفيه ضرب من العمل أيضاً، وهو عقد القلب عليه، إذ العقد أفضل على العلم والمعرفة، وليس من ضروراته، قال الله تعالى: ﴿رَوَّعَدُوا بِهَا وَأَسْقَيْنَهُمْ غُلًّا مَوْجُودًا﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فصح الابتلاء بالعقد، كما صح الابتلاء بالعمل بالبدن.

وبذلك يعلم وجه تدوين أخبار الآحاد في كتب الحديث في المُعْتَبَاتِ وأُمُورِ الآخرة، كما يعلم أنه لا يوجد تلازم كلي بين العلم والاعتقاد على ما سبق تفصيله، فالآن قد ظهر من يفهم معنى «العقيدة» ومن لا يفهمه حقاً. ومن تزوب قبل أن يتحصّر، يلقي ما يلقاه من تزعم قبل أن يتعلم.

ثم من قال: إن خبر الآحاد لا يُؤيد العلم، يُريد خبر الآحاد من حيث هو بالنظر إلى رأي جماعة، وإلا فخبر الآحاد الذي تلقته الأمة بالقبول يقطع بصدقه، كما نص على ذلك أبو المظفر السمعاني في «القواطع».

وقد حكى السخاوي في «فتح المغيب» عن جماعة من المحققين: إفادة خبر الآحاد العلم عند احتفائه بالقرآن، بل قال جماعة: إن ما أتفق عليه البخاري ومسلم يُبيد في غير مواضع التقيد منه العلم، لاحضاره بالقرآن، ومنهم الغزالي.

ثم العملُ بخبرِ الآحادِ ثابتٌ بالدليل القطعيِّ المفيدِ للعلم، كما نصَّ على ذلك أبو الحسن الكرخي، والسمعاني في «القواطع»، والغزالي في «المستصفي»، وعبد العزيز البخاري في «شرح أصول فخر الإسلام».

والاعتقادُ عملٌ قلبي يُؤخَذُ من خبرِ الآحاد، كما سبقَ من فخر الإسلام، فيكون إنكارُ أخذِ الاعتقادِ من خبرِ الآحادِ إنكاراً للدليل القطعيِّ المفيدِ للعلمِ الموجِبِ للعملِ بخبرِ الآحاد، أعمُّ من أن يكونَ عملُ الجوارح، وعملُ القلبِ - وهو الاعتقاد - ماذا يكون موقفُ الكتابِ إزاء هذا؟ حتى على فرضِ أن خبرَ النزولِ خبرُ آحادٍ؟

فيُتَلَمَّ أن حُفَاطَ الأُمَّةِ ما كانوا عابثين في تدوينهم لأخبارِ الآخرةِ والأمورِ الغيبيةِ في كتبهم، ولا كان الأئمةُ لاعيين في تدوينهم السمعياتِ في كتب العقائد، زعمَ خيالِ هذا الكتابِ.

ثم تأويلُ الغزاليِّ لِقَوْلِ بعضِ المُحدِّثين: «إنَّ خبرَ الآحادِ يُفيدُ العلمَ» بالعلمِ بوجودِ العملِ به، لا يُمكنُ تأويلُ كلامِ ابنِ حزمِ به، لأنه يُنافي صريحَ كلامِهِ في «الإحكام» ١: ١٢٤، حيث قال بعد سردِ مقدّمات: «وإذا صحَّ هذا فقد ثبتَ يقيناً أنَّ خبرَ الواجدِ العدلِ عنِ بَشِيرِهِ مُتَلَفَعاً إلى رسولِ الله ﷺ حقٌّ مقطوعٌ به، موجبٌ للعلمِ والعملِ معاً». ومعه في هذا الرأي أناسٌ ذكرهم هناك، والعالمُ البعيدُ عن الهوى لا يقتصرُ في النقلِ على ما يحسبه نافعاً له بدونِ تمحيص، بل يرى الحقُّ هو النافعُ حينما كان.

وحديثُ نزولِ عيسى على فرضِ أنه خبرُ آحادٍ، مما اتَّفَقَ البخاريُّ ومسلمٌ عليه بدونِ تكبيرٍ من أحدٍ من حيثِ الصناعةِ الحديثيةِ، وتلقاهُ الأُمَّةُ بالقبولِ خلفاً عن سلفِ، واستمرَّ علماءُ الأُمَّةِ على اعتقادِ مدلولِهِ على توالي القرونِ، فيحتمُ الأخذُ به.

هذا إذا فرضَ أنه خبرُ آحادٍ، فكيف وهو متواترٌ قطعاً، على ما ذكرنا من نصوصِ أهلِ الشأنِ في ذلك، فيكونُ إنكارُ ذلكِ بعد الإلمامِ بأطرافِ الحديثِ بالغِ الخطورةِ، نسألُ اللهَ السلامةَ.

والمتحقِّقُ في مسألةِ الرفعِ والنزولِ هو الخبرُ المتواترُ. وقد نصَّ البزدويُّ في آخرِ بحثِ المتواترِ، على أنَّ مُتَكَبِّرَ المتواترِ ومُخَالَفَهُ يَصِيرُ كَافِراً، ودَكَرَ في صددِ التمثيلِ للمتواترِ «وذلكِ بِمِثْلِ القرآنِ، والصلواتِ الخمسِ، وأعدادِ الركعاتِ، ومقاديرِ الزكواتِ، وما أشبهَ ذلكِ». ونزولُ عيسى ليس بأقلَّ ذكراً في كتبِ الحديثِ من مقاديرِ الزكواتِ.

ثم قال البزْذَرِيُّ: «ومن الناس من أنكر العلمَ بطريق الخَيْرِ أصلاً، وهذا رجلٌ سَفِيهٌ لم يَعْرِفْ نَفْسَهُ، ولا دِينَهُ، ولا دُنْيَاهُ، ولا أُمَّهُ، ولا أباه». فَيَعْلَمُ من ذلك مَبْلَغُ إِبْعَادِ الكَاتِبِ في الشُّجْعَةِ حيث يَقُولُ: «وهكذا تجدُ نصوصَ العلماء من متكلميهم وأصوليين مُجْتَمِعَةً على أن خَيْرَ الآحَادِ لا يُفِيدُ اليقين، فلا تَثَبُّتُ به العقيدة»، ونجدُ المحقِّقين من العلماء يَصِفُونَ ذلك بأنه ضروريٌّ، لا يَصِحُّ أن يُنَازَعَ أحدٌ في شيءٍ منه، وَيَحْمِلُونَ قَوْلَ من قال (كابن حزم في حسابِ الكاتب): «إنَّ خَيْرَ الواحدِ يُفِيدُ العلم» على أن مرادَهُ العِلْمُ بمعنى الظن، كما وَزَدَ، أو العِلْمُ بوجودِ العَمَلِ».

وأين اجتماعُ نصوص العلماء مع قولِ أمثال أبي حامد الإسفيريّ، وأبي إسحاق الإسفيريّ، والقاضي أبي الطيّب، وأبي إسحاق الشيرازي، وشمس الأئمة السرخسي، والقاضي عبد الوهاب، ورواية ابن خُوَيزِ مَثَدَادِ عن مالك، وقولِ أبي يعلى، وأبي الحَطَّاب، وابن الزاغوني، وابن فُوزَك، وغيرهم فيما اتَّفَقَ عليه البخاريّ ومسلم، وفي الخَيْرِ المحتفُّ بالقرآن، أو خَيْرِ الآحَادِ مُطْلَقاً كما سَبَقَ.

والواقعُ أنَّ قَرِيْباً قال: إنَّ خبر الآحاد إنما يُفِيدُ العَمَلَ. وهو مذهبُ الجمهور، لكن من جملة العَمَلِ اعتقادُ القلب، وقَرِيْباً قال: إنه يُفِيدُ العِلْمَ والعَمَلَ من غير شرط، كابن حزم، وقَرِيْباً قال: إنه يُفِيدُهُما جميعاً عند احتفائه بالقرآن، وليس قولُ فريقٍ منهم في صالح كاتب المقال لو تدبَّر، لأنهم متفقون على أنه يُفِيدُ العَمَلَ القَلْبِيَّ - وهو الاعتقاد - وإفادته العَمَلَ مقطوعٌ بها، والكاتبُ يُنكر هذه الإفادة القطعية.

ثم إنَّ المكلفَ إذا جَزَمَ بخبرِ آحادٍ يَسْمَعُهُ في أمر اعتقادي، فقد تَمَّ إيمانهُ المُتَّجِي في الآخرة، لأن المطلوبَ منه هو الاعتقادُ الجازمُ كائناً ما كان طريقُ حصولِ ذلك له، ولا يَسْتَوْجِبُ ذلك أن لا يكون في ذلك الأمرُ أدلَّةٌ سواه، ولا هو بِمُلْزِمٍ أن يكون هو القائمُ بالحُجَّةِ في عَصْرِهِ، وإن كان لكلِّ مسألةٍ اعتقاديةٍ حُجَجٌ قطعية، وقد قال عبد العزيز البخاري في «شرح أصول البزْذَرِيِّ»: «ذَهَبَ أَكْثَرُ أصحاب الحديث إلى أن الأخبار التي حَكَمَ أهلُ الصنعة بصحتها تُوجِبُ عِلْمَ اليقين، بطريق الضرورة، وهو مذهبُ أحمد بن حنبلٍ» اهـ.

وقولُ الإمام الشافعي رضي الله عنه: «أتراني خَرَجْتُ من الكنيستهِ أو تَرَى علي زُنَّاراً؟» لمن سألَهُ أتأخذُ بهذا الحديث؟ - في حديث من أخبار الآحاد - يَدُلُّ على تَبْلُغِ تشدُّدِهِ فيمن يُعْرِضُ عن الحديث، كما صَحَّ ذلك عنه بأسانيدٍ في كثيرٍ من الكتب.

وأما تأويل الغزالي لقول من قال من بعض المَشَارِقَة: «إِنَّ خَيْرَ الْوَاحِدِ يُفِيدُ الْعِلْمَ»، فلا يَمْتَنِي فِي تَوْجِيهِهِ كَلَامَ ابْنِ حَزْمٍ، لِأَنَّهُ مَخَالِفٌ لِصَّرِيحِ قَوْلِهِ كَمَا سَبَقَ، وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ حَدِيثَ نَزُولِ عَيْسَى خَيْرٌ أَحَادٍ كَمَا يَزْعُمُ الْكَاتِبُ، وَإِلَّا فَتَوَاتُرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَمْرٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ، بِنُصُوصِ أَهْلِ الشَّانِ، وَالْمَحْتَفُّ بِالْقَرَائِنِ قَبِيحٌ لِخَبِيرِ الْوَاجِدِ عِنْدَ الْغَزَالِيِّ.

وَأَذَعَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُ الشَّيْخِ الْمَتَهْجَمِ: «وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَا قَلْنَا فِي الْفَتَاوَى مِنْ (أَنَّ أَحَادِيثَ الْأَحَادِ لَا تُفِيدُ عَقِيدَةً وَلَا يَصْحُحُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهَا فِي شَأْنِ الْمَغْيِبَاتِ) قَوْلٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَنَابَتْ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي لَا مَجَالَ لِلْخِلَافِ فِيهَا عِنْدَ الْعُقَلَاءِ».

هَكَذَا سَلَبَ الْعَقْلَ عَنْ جَمَاعَةِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ مَنْ يَرَى رَأْيَهُ، وَقَوْلُهُ هُنَا فِي فَتَايَاهُ بَاطِلٌ بِشِقِّيهِ، كَمَا أَنَّ تَعْلِيْقَهُ عَلَيْهِ هُنَا بَاطِلٌ بَطْلَانًا (مَرْكُزًا)، لِأَنَّ خَيْرَ الْأَحَادِ يُفِيدُ عَقِيدَةً اتِّفَاقًا، كَمَا ذَكَرْنَا نُصُوصَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ آتِفًا - وَهُمْ عُقَلَاءٌ وَمَنْ يَرْمِيهِمْ بِفَقْدِ الْعَقْلِ أَيْكُونُ هُوَ الْعَاقِلُ؟ - وَلَا يَنَافِي ذَلِكَ ثُبُوتُهَا بِأَدْلَةٍ سِوَاهُ.

وَلَوْلَا الْإِعْتِمَادُ وَالِاسْتِنَادُ عَلَى أَخْبَارِ الْأَحَادِ فِي بَابِ الْمَغْيِبَاتِ لَكَانَ حِفَاظُ الْأُمَّةِ لِأَجْبِيبٍ فِي تَدْوِينِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا فِي كِتَابِهِمْ، وَلَكَانَ عُلَمَاءُ التَّوْحِيدِ هَازِلِينَ حِينَمَا يَقُولُونَ فِي كِتَابِهِمْ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ: صَحَّ الْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ عَنِ الْمَعْصُومِ، وَلَا اسْتِحَالَةٌ فِي حَمْلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ.

لِأَنَّ مِنَ الْمَقْرُورِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ النُّصُوصَ تُحْمَلُ عَلَى ظَوَاهِرِهَا، مَا لَمْ يَمْتَنِعْ حَمْلُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا، فَإِذَا امْتَنَعَ ظَاهِرُ النَّصْرِ أَوَّلُ إِذْ ذَلِكَ فَقَطْ، فَيَذَكُرُونَ الْأَخْذَ بِالظَّاهِرِ مَا لَمْ يَمْتَنِعِ الْأَخْذُ بِهِ امْتِنَاعًا عَقْلِيًّا أَوْ شَرْعِيًّا.

ثُمَّ الْغَرِيبُ كُلُّ الْغَرَابَةِ أَنْ يَدَّعِيَنَّ عَنِ ذَلِكَ الْحُكْمِ الْبَاطِلِ بِشِقِّيهِ «أَنَّهُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ»، مَعَ كَوْنِهِ لَا يُعْبَرُ سَمْعًا إِلَى حُجِّيَّةِ الْإِجْمَاعِ، كَمَا يَعْلَمُ مِنْ كَلَامِهِ فِي الْعَدَدِ (٥١٩) فِي الرِّسَالَةِ. وَهَذَا مِمَّا تَضَحَّكَ مِنْهُ التُّكْلِيُّ لِظَهْوَرِ بَطْلَانِ الْأَصْلِ بِشِقِّيهِ، فَضْلًا عَنْ ثُبُوتِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ، بَلْ لَا يَصْحُحُ نَقْلُ أَخِي الشَّقِيْنَ عَنِ أَحَدٍ يَدَّعِي مَا يَقُولُهُ، بَلِ الْقَوْلُ «بِأَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي لَا مَجَالَ لِلْخِلَافِ فِيهَا عِنْدَ الْعُقَلَاءِ» لَا يَصُدُّ مَنْ يَزِنُ كَلَامَهُ.

ثم الغريبُ ممن لا يرى الحجَّةَ في أحاديثِ الصحيحين والسنن والمسانيد والجوامع والمصنفات، كيف يحتجُّ بأقوالِ أناسٍ من المتأخرين وبينهم من لم يتَّسَّفَ جَبْرًا ما كتَبَهُ بعد؟!! فابنُ الصلاح إن كان حجَّةً عنده فيما يقوله في المتواتر، يكوُنُ حُجَّةً أيضاً فيما يقوله في الصحيحين، وهو يقول في مقدمته بالقطع بصحة أحاديثهما، وحديثُ نزولِ عيسى مما اتَّفقا على روايته، فوَقَعَ الحقُّ ونَظَّلَ ما كانوا يعملون.

والواقعُ أنَّ قولَ ابن الصلاح إنما هو في الواتر اللفظي، فلا يَمَسُّ كلامُهُ كلامنا من قُرب ولا بُعد، ثم ظنُّهُ نُدرة التواتر اللفظي خِلافَ الواقع كما توسَّع في بيان ذلك الحُفَّاظُ بعده أمثالُ الزين العراقي وابن حجر والسخاوي والسيوطي وغيرهم، فأبانوا الدليلَ وأوضحوا السبيل، ونقُلْ نصوِّصهم هنا يُخْرِجُنا إلى التوسع فيما يعلمه صفاً طلبه العلم.

ولا يَسْتَطِيعُ أحدٌ أن يُنكِزَ كثرةَ التواتر المعنوي باشتراكِ الأحاديث في معنى خاص، والتواترُ في حديثِ نزولِ عيسى عليه السلام، تواترٌ معنوي حيث تشاركت أحاديثٌ كثيرةٌ جداً، بينها الصُّحاحُ والجسانُ بكثرةٍ في التصريح بنزولِ عيسى، مع احتمالِ كل حديثٍ منها على معاني أُخرى، وهذا ما لا يَسْتَطِيعُ إنكارُهُ أحدٌ ممن سَمَّ راحةً عِلْمَ الحديث.

وليس الاختلافُ في شروطِ التواتر أو الإجماع مما يُوهِنُ أمرَ أحدهما لأن الاختلافَ في شيءٍ لا يُوجِبُ عدَمَ الجزمِ بشيءٍ فيه، والاختلافُ بعقلٍ وبدونِ عقلٍ شأنُ البشر، وقد اختلفَ الناسُ في الله وفي رسوله وفي كل شيءٍ، ولم يَمنع ذلك من الجزمِ بالحقائق بعدَ تمحيصِ الأقوال.

فلاستنادُ في توهينِ أمرِ الإجماع أو التواتر، على الاختلافِ في شرطِ قبولِ كُلِّ منهما، لا يكوُنُ إلا من ضَيَّقَ العَطَنَ وجَمُودِ القرحة، وقد استقرَّ عند أهل العلم بأدلةٍ ناهضةٍ ملموسة، أنَّ التواترَ ليس في حاجةٍ إلى عَدَدٍ خاصٍ من خمسةٍ فما فوقها، بل إلى مُجرَّدِ زَوْدٍ الخبيرِ عن أناسٍ تُجِيلُ العادةُ تَواطؤَهم على الكذبِ في جميعِ الطبقات، وهذا النوعُ من الخبرِ في غايةِ الكثرةِ لكثرةِ طرقِهِ في دواوينِ الحديث.

وما نصَّ أهلُ الشأنِ على تواترِهِ يكوُنُ كثيرَ الطرقِ في كتبِ الصحاح والسنن والجوامعِ والمسانيدِ والمصنفاتِ والأجزاءِ والتواريخ، ويكوُنُ كياناً أسانيدِهِ من صحاحِ وجسانٍ وضعافٍ من جهةِ قلةِ الضبطِ منجبرٍ ضعفُها بأدلةٍ تدلُّ على ضَبْطٍ من رُبيِّ بقلةِ الضبطِ، بموافقةِ الثقاتِ الأثباتِ له في الرواية، فتكوُنُ الضعافُ مغمورةً بين تلك



الأخبار الكثيرة التي مُعظمها صحاح وجسان، وأما كثرة الطُرُق من أسانيد تالقة فقط، فلا تُفيدُ الحُسْنَ ولا الصحةَ فضلاً عن التواتر.

وأما ما نُصِّوا على أنه مُتواتر، فيبدأ تخريبه من الصحيحين وباقي السنن إلى سائر الصحاح والمسانيد والمصنفات، فمن لا يطمئن قلبه إلى مثله في الدين، لا يطمئن إلى شيء ولو تليث عليه الكتب المُتزلِّة كلها.

وليست كثرة وجود المتواتر تواتراً معنوياً موضع نزاع القوم، ولا هذا مُقابل قول ابن الصلاح، بل مُجرّد وجود الحديث في الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً، بطُرُق كثيرة تُجبلُ العادة تواطؤ رجالها على الكذب: يؤذُن بتواتر الخبر قطعاً عند كل حاطٍ بعقله، تواتراً لفظياً إذا اتَّفقتُ ألفاظهم، وتواتراً معنوياً إذا اختلفت ألفاظهم، مع اتفائها في معنى يكونُ قَدراً مُشترَكاً بين الجميع.

وهذا القسم هو الكثيرُ جدُّ الكثرة كما يظهرُ من كتبِ أهلِ الشأن، ومعنى اجتماع تلك الكتب على تخرجي الحديث - في لفظ بعضهم - اجتماعُ عَدَدٍ منها يحتوي تلك الطُرُق الكثيرة، التي هي مداؤ الحكم بالتواتر، لظهور بطلان خَلِّ الكلام على الاستفراق الحقيقي، لأن جمع كتب الحديث كلها غيرُ ميسور لأحد في دور من الأدوار، فكفَى جمعُ عَدَدٍ من الكتب المشهورة المتداولة، يحتوي تلك الطُرُق، لظهور أن التعليق بالمُحالِ ليس من عادة العلماء.

وكم من حديث لا يُوجدُ في الموطأ أو المنتقى لابن الجارود مثلاً، ويكون موجوداً في باقي الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع، بسبب أن الموطأ والمنتقى يقتصران على أحاديث الأحكام، مع كون باقي الكتب أشملَ في الرواية، والحديث المذكور لا يكون من باب الأحكام مثلاً.

وتخطئُ ابن الصلاح في دعوى ندرة التواتر مشروحةً في «الثبوت» وشرح الألفية للعراقي و«التدريب» للسيوطي وغيرها من الكتب المعروفة، بحُجج ملموسة. وعَدُّ الكاتب هذا القول أوسع المذاهب في المُتواتر غلط بل هو الذي حَقَّقته الدلائل الناهضة، ومذهب لا يشترط في عدد الرواة أكثر من خمسة يكونُ هو أوسع المذاهب في التواتر.

والظاهر أنه غاب عن كاتب المقال اختلاف الأقوال في الأعداد التي يجب تحقُّقها في التواتر، فيكون ما عليه الجماعة هو عدلُ الأقوال، فلا تقوم حُجَّة لسواه،

فمحاولة الكاتب التمسك باجتماع الكتب على تخريج الحديث، وعده لذلك أوسع المذاهب للتخلص من التواتر: مما يذهب هكذا أدراج الرياح عند من تدبر ما ذكرناه.

ثم دعواه الإسراف في الحكم بالتواتر قديماً وحديثاً، إبعاداً في التُّجعة، وليس مثل هذه الدعوى المجردة مما يُستَمَع من مثله، بعد أن ساق أهل الشأن الطرق التي بها يحكمون على الحديث بالتواتر من كتب الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع والمصنفات وغيرها.

والمزاعمُ المجردةُ عن الدليل لا يُهزَمُ بها حق، ولا يُنصَرُ بها باطل، بل ترتدُ إلى زاغِئها هزيماً كما صُدِر، ويقال لقاتلها: «ما هكذا تُورَدُ الإبلُ يا بطل!».

وإن دلت هذه الظاهرةُ منه على شيء، إنما دلت على أنه يريد التشكيك في السنة ودالاتها، كما فعل مثل ذلك في دلالة الكتاب الكريم، فنوصيه أن يُفْلِحَ عن هذا، ويحذَرُ من المخاطرة بنفيه فيما لا يُقْبَلُ له به، لأن الحق ظاهر لا يسْتُرُه التعمية عن الأبصار، والباطل مفضوح كأننا من كان ناجمه، وأوّلُ فَعْرِ لمن يقوم بالتدليل على تواتر خبر أن يسرد أسماء الصحابة الذين قاموا بروايته، ثم التابعين، ثم وثم طبقة طبقة، والاستيلاء من مثل هذا الجيشِ العرمرم، شأن من يكون في صفِّ الباطل وانهزم.

ولا أدري ما هو الداعي له إلى ذكر التعصّب المذهبي في خلع لَقَبِ التواترِ على خبر الآحاد في نظره، ونزول عيسى ليس اعتقاد أهل مذهبٍ فقط، بل المسألة إجماعية لا يوجدُ مذهبٌ يَنفِيها، فدونك «الفقه الأكبر» رواية حماد، و«الفقه الأبسط» رواية أبي مطيع، و«الرواية» رواية أبي يوسف، و«عقيدة الطحاوي»، يظهرُ منها أن اعتقاد نزول عيسى مذهبُ أبي حنيفة وأصحابه وأتباعهم، وهم شَطْرُ الأمة المحمدية.

وكذا مالك وأصحابه وأتباعه، والشافعي وأصحابه وأتباعه، وليس أحدٌ منهم يُنكِرُ نزولَ عيسى، ولاحمد بن حنبل كتابات بتت بها إلى أصحابه في بيان معتقد أهل السنة، وفي جميعها هذه المسألة، وتلك الرسائل مروية بأسانيدِها عند أهل العلم، مدونة في «مناقب أحمد» لابن الجوزي، وفي «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلَى وغيرهما، وكذا الظاهرية.

وتصريحُ ابن حزم بنزوله عليه السلام موجودٌ في ٢٤٩:٣ من «الفصل»، وفي ٩:١ وفي ٣٩١:٧ من «المحلى»، بل المعتزلة كذلك كما يظهرُ من كلام الزمخشري،

وكذلك الإمامية كما يظهر من كلامهم في الدفاع عن خروج المنتظر، فأين يكون التعصب المذهبي في مثل هذه المسألة، المُخْرِجِ دليها في الصحاح كلها والسُنَنِ كلها والمسانيد كلها، ودان بها جميع الفرق؟

نعم هنا قوة ثمبك للأمة بحكم قطعي، لا يتعنون عنه جزوا إلى شبه اليهود والنصارى في المسألة. ولا حجة في كلام بعض العصريين الذين تعودوا التساهل في كل شيء، لأنهم صحفيون قبل كل شيء، لا خبير عندهم بأدلة المسألة، ولا ورع يحجزهم عن الإفتاء فيما غاب عنهم دليها.

أبدني بربك ما هو الداعي هنا إلى ذكر الوضاعين، أو الأخبار الجارية على الألسن؟ وقد ألفت في القليلين كتب خالدة، يستفيد منها كل من يرغب في علوم السنة، وليس خير النزول من هذا الوادي ولا من ذلك الوادي كما سبق.

وطرق بحث المعجزات الحسية هنا تطوع من الكاتب في صف ثقاتها بدون أي مناسبة له هنا، غير توسيع دائرة البحث، لئبق وهو يتكلم، نفع كلامه أم لم ينفع، فإ نفاة المعجزات الحسية، اعملوا (معروفا) لا تفضوا على فخر الرسل - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم - بمعجزات أثبتها القرآن لسائر الأنبياء.

وقد أجاد ابن كثير في «تاريخه» سرد المعجزات الثابتة لفخر المرسلين، مما ثبت مثله للأنبياء قبله، وتبين أنه ما أوتي نبي قبله معجزة إلا وأعطي مثلها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وقد نص أهل العلم على ما تواتر منها مباشرة، وما تواتر القدر المشترك فيه فقط.

وإن كان كاتب المقال تسرب إلى فكره شيء من تشكيكات البرنس قيتانو الإيطالي، في تاريخه الكبير عن الإسلام، فدواء ذلك كتاب الشيخ شبل النعماني وزميله الشيخ سليمان النذوي في السير، وهما أجادا وأفادا.

والمعجزات الحسية يجدها الباحث في كتب الصحاح والسُنَنِ والسير مع تبيين مراتبها، كما يجدها في «الشفاء» و«سروجه»، و«المواهب» وشرحها إن كان يقتصد في البحث.

وأما تواتر أحاديث المهدي والدجال والمسيح، فليس بموضع ريبه عند أهل العلم بالحديث، وتشكك بعض المتكلمين في تواتر بعضها، مع اعترافهم بوجوب اعتقاد أن أشراف الساعة كلها حق، فمن قللة خبرتهم بالحديث، وهم معذورون في ذلك، ما لم يعاندا بعد إقامة الحجة عليهم في المسائل.

وكتاب «التوضيح في تواتر ما جاء في المتنظّر والدُّجَالِ والمسيح» للشوكاني، مطبوع في الهند، وقد نُقِلَ منه صديق خان جملةً صالحة في كتابه «الإذاعة لما كان وما يكون من أشراف الساعة»، وهو أيضاً مطبوع في الهند، وهما ممن أقر لهم كاتب المقال بالإمامة والقُدوة، بل هما من أئمة هذا الشاذ.

وليس إلى مثل الكاتب المتهجم التحدُّث عن مراتب الحديث، وله رجال وللتشفيب رجال. ورَمَى من أجاد جَمْعَ الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام، ونَقَعَ الأُمَّة بعليهِ، بالتمويه والرُّكْضِ وراء الارتزاق، مما لا يصدر من حرِّ سَليم قلبه من الدُّغْل.

ومما يُقْضَى منه العَجَبُ أن يُرْمَى بِمَنْ خَرَقَ الإجماعَ وفارقَ الجماعةَ في المسألة: مَنْ ناصَرَ معتقداً جماعة المسلمين بالمكابرة والعناد والإصرار على التضييل!!، ولا شك أن مَنْ عنده شيء من الوازع الديني أو الزاجر الخُلقي، يزيأ بنفسه أن يقف في مثل هذا الموقف.

ثم لما رأى الكاتب انهزامه من كل جانب، وتضييق الأدلة الخانقة لخبائمه أراد أن يسلك في المسألة ما سلكه في تأويل الشيطان فيما سبق! فقال: «إن حديث النزول ليس بمُحكَّم، لا يحتجُّ بالتأويل حتى يكون قطعي الدلالة». والمُحكَّم لا يمتاز عن أخواته من أقسام الموضوع إلا بعَدَمِ احتماله للنسخ، وأما الخَيْرُ فلا يحتجُّ بالنسخ، فكيون الظاهر والنص في هذا الموضوع في حُكْمِ المُحكَّم.

وأما احتمال التأويل فاحتمال خيالي لم ينشأ من دليل، فلا يُجْلُ بكون الدليل قطعي الدلالة كما سبق بيأته مرات، قال الغزالي في «المستصفى» ١: ٣٥٧ «أما الاحتمال الذي لا بعضده دليل، فلا يُخْرِجُ اللفظ عن كونه نصاً»، ومثله في «التلويح» و«مراة الأصول» وغيرها.

ثم قال الكاتب: «فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً، ولم يجدوا مانعاً من تأويلها».

لكن لا يوجد بين علماء أهل الحق من يؤوِّلُ النصوص ما لم تستجمل معانيها الظاهرة، ولذا تجد في كتب أهل الحق النص على أن «النصوص تحتمل على ظواهرها، والعدول عنها إلى معاني يدعيها أهل الباطن إلحاد وكفر، وزد النصوص كُفراً».

ثم نقل الكاتب عن «شرح المقاصد» نقلاً مبتوراً ما يُظنُّ به أنه يكون حُجَّةً له في تأويل ما ورد في أشراف الساعة، ولا سيما نزول عيسى عليه السلام، مع إغفال ما يُحقِّق المسألة من كلام السعد في مواضع من «شرح المقاصد»، فأنقل كلام السعد هنا مع إثبات ما أهملته الكاتب، ليظهر ما إذا كان قول السعد في صالحه أم لا.

قال السعد في «شرح المقاصد» ٢: ٢٢٦ «وبالجملة فالأحاديث في هذا الباب كثيرة، رواها العدول الثقات، وصحَّحها المحدثون الأثبات، ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة، لأنَّ المعاني المذكورة أمورٌ ممكنةٌ عقلاً.

وزعمت الفلاسفة أنَّ طلوع الشمس من مغربها مما يجب تأويله: بانعكاس الأمور وجريانها على غير ما ينبغي، وأوَّل بعض العلماء النَّازِ الخارجة من الحجاز: بالعلم والهداية بيِّما الفقه الجبازي، والنَّازِ الحاشرة للناس: بفتنة الأتراك، وخرُوج الدجال: بظهور الشرِّ والفساد، ونزول عيسى ﷺ: باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح...».

فصدَّر كلامه على القاعدة المثبِّة عند أهل الحق، من حمل النصوص على ظواهرها ما دامت معانيها أموراً ممكنة، ومؤول طلوع الشمس كما سبق لا يكون من أهل الشريعة، وكذلك مؤول الأشراف على ما سبق، لأنَّ تلك التأويلات بعيدة كلُّ البعد عن لغة التخاطب، فتكون من قبيل التأويلات للباطنية، وقد عرفت حكمتها، وليس شيء منها على قواعد التأويل المعروفة عند أهل العلم، راجع «قانون التأويل» للغزالي.

فكان الكاتب لم يدرُس شيئاً من كتب التوحيد عند أهليه، ليفهم مقرَّي كلام المتكلمين في السُّمعيَّات: هذه أمورٌ مُمكنةٌ في العقل. يَعتنون أنه ذلَّ السمع على ثبوتها، فوجب حملها عليها. ومنهم من يُعبرُ عن ذلك بقوله: لا يمتنع حملها على ظواهرها يعني عقلاً، فتعيَّن حملها عليها شرعاً، لا بمعنى أنه لا مانع من حملها على ظواهرها شرعاً ولا من عدم حملها.

وليس المقام يتسع لشرح الوجوب والامتناع والإمكان ووجه كون سلب الضرورة عن جانب العدم أعم من الوجوب في جانب الوجود، وهذا من مبادئ المعارف لمن يشتغل بعلم أصول الدين، ففهم الكاتب هنا يجلب إلى نفسه ضحك الضاحكين من صغار المتعلمين.

ومما يُحَقَّقُ عند القارىء مبلغُ بُعدِ الكاتب عن عِلْمِ الكلامِ قولُه تفرِيعاً على كلامِ السعد المذكور: «ومن ذلك نَزَى أَنْ السعد لا يُقَرَّرُ وجوبُ حَمْلِها على ظواهرها، حتى تكونَ من قطعِي الدلالةِ الذي يَمْتَنِعُ تأويلُه، وإنما يُقَرَّرُ بصريحِ العبارةِ أنه لا مانعَ من حَمْلِها على ظواهرها. قَبِعِطِي بذلك حَقُّ التأويلِ لمن انقَدَحَ في قلبه سَبَبٌ للتأويل».

وعادةُ المتكلمين أن يُفَرِّعُوا وجوبَ الاعتقادِ بمعنى الدليلِ الشرعيِّ على عدمِ استحالةِ معناه المؤديةِ إلى التأويلِ، وكَم تَرى السعدُ نَفْسُهُ يقولُ في السمعيات: «إنها أمورٌ ممكنةٌ تُطَقُّ بها الكتابُ والسنة، وانعقدَ عليها إجماعُ الأمة، فيكونُ القولُ بها حقاً، والتصديقُ بها واجباً»، ومثلهُ يتكرَّرُ في «شرحِ النافية»، وفي «التجريد» للنصير الطويبي، و«المواقف» للقاضي عَضُدِ الدين.

والدين ذَكَرَهم السعدُ هنا بَعْدَ قولِه: «عندَ أهلِ الشريعة»، لسوا من أهلِ الشريعةِ في نظره، كما هو ظاهر، والسعدُ هو الذي يقولُ في آخِرِ «شرحِ المقاصد»: «ذَهَبَ العظماءُ من العلماءِ إلى أن أربعةً من الأنبياءِ في زُمرَةِ الأحياءِ الخَضرِ والأياسِ في الأرضِ، وبيئسى وإدريسَ في السماءِ، عليهم الصلاةُ والسلام».

كما يقولُ في ٢: ١٩٨: «وأما استحلالُ المعصيةِ بمعنى اعتقادِ جِلِّها فكُفْرٌ، صَفيرةٌ كانت أو كبيرةً، وكذا الاستهانةُ بها بمعنى عدلها هَيْئَةً تُرْتَكَبُ من غيرِ مبالاة، وتَجْرِي مَجْرَى المباحاتِ، ولا خفاءَ في أن المرادُ ما ثَبِتَ بقطعِي، وحُكْمُ المبتدعِ - وهو من خالَفَ في العقيدةِ طريقةَ السنةِ والجماعةِ - ينبغي أن يكونَ حُكْمُ الفاسقِ، لأنَّ الإخلالَ بالعقائدِ ليس بأذونَ من الإخلالِ بالأعمالِ»، يعني فيما هو غيرُ مكثُر.

ثم قال: «وحُكْمُ المبتدعِ البُغْضُ والعداوةُ والإعراضُ عنه، والإهانةُ والطُّغْنُ واللُّغْنُ وكراهيةُ الصلاةِ خَلْفَهُ».

ثم قال: «وطريقةُ أهلِ السُّنَّةِ أن العالَمَ حادثٌ، والصانعُ قديمٌ متصفٌ بصفاتِ قديمة... لا شبيهةَ له، ولا صِدْدٌ، ولا بُدٌّ، ولا نهايةَ له، ولا صورةَ، ولا حَدٌّ، ولا يَحُلُّ في شيءٍ، ولا يَقُومُ به حادثٌ، ولا يَصِحُّ عليه الحركةُ والانتقالُ... وأثَّهُ ليس في حَيْزٍ ولا جهةٍ... وأنَّ أشرافَ الساعةِ من خُرُوجِ الدجالِ، وأجوجَ ومأجوجَ، ونزولِ عيسى، وطلوعِ الشمسِ من مغربها، وخُرُوجِ دَابَّةِ الأرضِ: حَقٌّ...» إلى آخرِ معتقدِ أهلِ السنةِ والجماعةِ المبسوطةِ هناك.

وبعد أن عَلِمَت نصوصَ كلام السعد، في شتى المواضيع من كتابه المذكور، تَعَلَّمُ عِلْمًا بَاتًا أَنْ مُرَادَهُ بِقَوْلِهِ: «ولا يمتنع حَمْلُهَا على ظواهرها» بعدَ تقريره لثبوت الأحاديث، لا يكونُ إلا بمعنى أنها أمورٌ مُمَكِّنَةٌ عقلاً دَلَّ السمعُ على ثبوتها، فيجب التصديقُ بها.

ولم يكتفِ الكاتبُ بما سَبَقَ منه من التحريفِ الشاينِ، حتى خَيَّرَ الناسَ في الإيمانِ بأحدِ طَرَفَيْ الثَّغْيِ والإثباتِ، وهذا هو الجهلُ بعينه في باب الاعتقاد - وإن كان له سابقةٌ في تقرير لزملائيهِ - وَخَتَمَ كَلَامَهُ بأنه تَبَيَّنَ جَلِيًّا مما تقدَّمُ «أنه ليس في الأحاديث التي أوردوها في شأنِ نزولِ عيسى آخِرَ الزمانِ قطعِيَّةٌ ما، لا من ناحيةٍ ورودها، ولا من ناحيةٍ دلالتها».

هكذا يَظُنُّ بنفسِهِ أنه تمكَّنَ من إبطالِ كتب السنة من صحاحِ ومسندِ ومسانيدِ وغيرها، بِشَطْبَةِ قَلَمٍ، كما تمكَّنَ في حساباته أيضاً من إلغائِ كُتُبِ الكلامِ والتوحيدِ وما حَوَتْهُ في المسألةِ من أولِ عهدِ إلى اليومِ، وَكُتِبَ السَّنَةُ لا تزالُ بخيرِ، وكذا كُتِبَ التوحيدُ ما دام للإسلامِ عِزٌّ يُنْبِضُ، وإنما الضائعُ من أضاعَ نَفْسَهُ بِمُناهِضَةِ الأُمَّةِ، حتى أصبحَ مُتَلًا في الآخِرِينَ. ولعل فيما ذكرناه في هذا الفصلِ كفايةً في نقضِ ما في المقالِ المذكورِ، والله سبحانه هو ولي الهداية.

## الإجماع وثبوت العقيدة

وبهذا العنوان كلمة أيضاً في العدد (٥١٩)، تناوَل فيها الكاتبُ ثالثَ حُجَجِ الشرع عند أئمة الدين، بالتشكيك بكل ما استطاع، وبه يكون أتمُّ رسالتُهُ في تهيؤين دلالة حُجَجِ الله من الكتاب والسنة والإجماع، في نفوسِ المُصنِّعين إليه من العائِمةِ وثبته العامة.

ولستُ أدري ما هو الداعي له إلى هذا اللف والدوران، وتعميد القواعدِ في النيل من الأدلةِ المُجمَعِ عليها بين أهل الحق، وكان يَسْتَطِيعُ بدون ذلك أن يقول: إنَّ في وفاة عيسى عليه السلام ونَفْيِ نزولِهِ في آخرِ الزمانِ النَّصُّ الفُلانِيّ من الكتاب يدلُّ على وفاتِهِ ونَفْيِ نزولِهِ، أو الدليلُ الفُلانِيّ من السنة أخرجهُ فلانٌ وفلان، يُخالِفُ ما اعتقَدَهُ الجماعةُ في ذلك، أو الروايةُ الفُلانِيَّةُ عن فلان من أئمة الدين، بالسندِ الفُلانِيّ تُفيدُ وفاتَهُ ونَفْيِ نزولِهِ، لو كان شيءٌ من ذلك موجوداً في دواوين العلم.

لكن لو أجلبتِ الكاتبُ بِخَيْلِهِ رَجْلِهِ ما استطاع سبيلاً إلى رواية في وفاتِهِ ونَفْيِ نزولِهِ عن أحدٍ لم ينخدع برواياتِ أهلِ الكتاب، فضلاً عن أن يَجِدَ سُبَّةَ دليل في الكتاب أو السنة، إزاء نصوصِ كتابِ الله وسنةِ رسولِهِ المتواترة وإجماعِ علماء المسلمين، الدالة على معتقِدِ الجماعة في ذلك.

وكم قلنا: إنَّ روايةَ ابنِ أبي طلحة، عن ابنِ عباس، غيرُ ثابتة، للانقطاع وللكلام في رجالِ سندها، بل صَحَّ واستفاض جِلَافُ ذلك عنه، فيجبُ حَمْلُ تلك الرواية على التقديم والتأخير، لئلا تُخالِفَ ما صَحَّ واستفاض عنه، إذا جَعَلنا لها شيئاً من القيمة كما هو رأيُ قتادة والفراء.

وقولُ وَهَبِ بْنِ مُتَبِّهِ بموته: لم يُسَيِّدْهُ إلى المعصوم، وإنما نَقَلَهُ من أهلِ الكتاب، وروايةُ محمدِ بنِ إِسْحاقَ تَنْصُصُ على أَنَّ القَوْلَ بموتِهِ قولُ النصارى، والجُبَّانِيّ منخدعٌ بروايةِ أهلِ الكتاب، وابنُ حَزْمٍ على عَظْمِهِ بعَدَمِ الفَرَقِ بين التوفِّي والوفاةِ مُصرِّحٌ باعتقادِهِ نُزولَهُ في آخرِ الزمان، حيث قال في «المحلَّى» في ٩: ١: «إنَّ عيسى



ابن مريم سينزل»، وساق بسنده حديث النزول هناك، وهكذا يقول أيضاً في ٣٩١:٧ فيهبون أمر خلافة، وإن كان واهن المذرك.

وإنما الخلاف الخطر هو نفى نزوله عليه السلام، وقد سبق منا بيان وجوه دلالة الكتاب على الرفع والنزول، مع نقل نصوص الحفاظ على تواتر حديث النزول، والإجماع على الاعتقاد بنزوله.

وممن قال ذلك الحافظ عبد الحق بن عطية الأندلسي وأبو حيان الحافظ في تفسيريهما، وفي «البحر المحيط» ٤٧٣:٢: «قال ابن عطية وأجمعت الأمة على ما تضمنته الحديث المتواتر، من أن عيسى في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان»، وفي «النهر الماد من البحر» ٤٧٣:٢ بالهامش: «وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام حي في السماء، وسينزل إلى الأرض، إلى آخر الحديث الذي صرح عن رسول الله ﷺ في ذلك»، وفي «البحر» أيضاً ٣٩١:٣: «وَبَلَّ وَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ [النساء: ١٥٨] هذا إبطال لما ادعوه من قتله وصلبه وهو حي في السماء الثانية، على ما صرح عن الرسول ﷺ في حديث الجعراج، وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله إلى الأرض».

ومتن خلقه الله من غير أب إذا عاش في السماء عيشة الملائكة بدون حاجة إلى الأغذية بإذن الله سبحانه إلى اليوم الموعود، ما استبعد ذلك مؤمن لا يكون في قلبه دغل.

وقد ذكر الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» عيسى عليه السلام في عداد الصحابة، حيث رآه ليلة المعراج وهو حي، وهكذا فعل ابن حجر أيضاً في «الإصابة» ولا يخدش في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في أن الإسراء كان مناماً، فإنه إنما رواه محمد بن إسحاق عن بعض آل أبي بكر رضي الله عنه بدون سند، وبالرواية عن مجهول بدون سند، لا يثبت شيء عن عائشة ولا غيرها.

ومن لغط بأن الإسراء كان نوماً لهذا الخبر بتى على غير أساس، وإطباق كتب العقائد من الصدر الأول إلى اليوم على الرفع والنزول، مما لا يدع مجالاً للتشكيك في الإجماع على ذلك، إلا عند من لا يبالى بالإجماع ولا بالمجموعين.

وليس الإجماع بالموضع الذي يراه فيه كاتب المقال، بل يقول فيه ابن حزم في «مراتب الإجماع»: «إن الإجماع قاعدت من قواعد الملة الحنيفية، يرجع إليه، ويُفزع نحوه، ويُكفر من خالفه»، مع كونه من أشد الناس كلاماً فيه، والخلاف في شيء

ليس مما يُزِيلُ حقيقة ذلك الشيء من الوجود، بل أهل البصيرة النافذة يُمحِصُونه بين ضَوْضَاءِ الْأَخْذِ وَالرَّدِّ، فيظهَرُ الْحَقُّ وَاضِحاً جَلِيّاً بَعْدَ التَّمَحِيصِ، لَمَنْ لَهُ قَلْبٌ أَوْ نَفْسٌ وَالسَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ.

ولعلَّ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ لَا يَعدو مَا قَلْتُهُ فِي «الإشفاق على أحكام الطلاق»، فِي صدد الرَّدِّ على من يقول من أبناء اليوم: إِنَّ الإجماعَ الَّذِي يَدْعِيهِ الْأُصُولِيونَ مَا هُوَ إِلَّا خَيَالٌ... وَلَا اسْتَقَرُّ رَأْيُ الْعُلَمَاءِ على قولٍ مَقْبُولٍ فِي معنى الإجماع - فِي نَفْسِهِ - وَكَيْفَ يُحْتَجُّ بِهِ وَمَتَى؟».

وَلَا يَأْسُ أَنْ أَسْوَقَ هُنَا بَعْضَ ذَلِكَ، دَفْعاً لِمَا عَنَى أَنْ يَغْلُقَ بَعْضُ الْخَوَاطِرِ مِنْ تَشْكِيكِ ذَلِكَ الْمَشْكُوكِ.

وَمَا قَلْتُ هُنَاكَ: «هَذَا كَلَامٌ لَا يَضُدُّ مَنْ يَعْقِلُ مَا يَقُولُ، وَإِنْ دَلَّ هَذَا الْكَلَامُ على شيءٍ، فَإِنَّمَا دَلَّ على أَنَّ قَائِلَهُ مَا دَرَسَ شَيْئاً مِنْ أُسُولِ الْفِقْهِ، وَلَوْ نَحَرُ «مِرَاةِ الْأُصُولِ»، أَوْ «التَّحْرِيرِ»، على وَاجِدٍ مِنَ الْمُبْرَزِينَ فِي الْعِلْمِ، فَضْلاً عَنِ كِتَابِ الْبَزْدَوِيِّ، وَشُرُوحِهِ، وَلَا اطَّلَعَ على «بَحْرِ الْبَدْرِ الزَّرْكَشِيِّ، وَلَا «شَامِلِ» الْإِنْتِقَانِيِّ، فَضْلاً عَنِ «تَقْوِيمِ» الدُّبُوسِيِّ، وَ«مِيزَانِ السَّمْرَقَنْدِيِّ»، وَ«فُصُولِ» أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ.

وَلَمْ يَطَّلِعْ أَيْضاً على «فُصُولِ» الْبَاجِيِّ، وَ«مَحْصُولِ» أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ...، وَلَا «بِرَهَانَ» ابْنِ الْجَوْنِيِّ، وَلَا «قَوَاطِعِ» السَّمْعَانِيِّ... وَلَا على «تَمْهِيدِ» أَبِي الْخَطَّابِ، وَ«رُؤُوسَةِ» الْمَوْثِقِ وَ«مَخْتَصِرِهَا» لِلطُّوفِيِّ، وَلَا «عَمَدِ» الْقَاضِي عَبْدِ الْجِبَارِ، وَ«مُعْتَمِدِ» أَبِي الْخُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ، وَلَا «مَحْصُولِ» الرَّازِيِّ، بَلْ «تَنْقِيحِهِ» لِلرَّفْرَافِيِّ، بَلْ اكْتَفَى فِي هَذَا الْعِلْمِ الْخَطِيرِ بِتَقْلِيْبِ صَفْحَاتِ كُتُبِ الشُّوكَانِيِّ أَوْ الْقَمُونِيِّ، شَيْخِي التَّخْبِطَاتِ فِي الْمَسَائِلِ فِي الدُّوَرِ الْأَخِيرِ...

أَزْ لَمْ يَعْلَمْ هَذَا الْمَقْبُولُ أَنَّ حُجِّيَّةَ الْإِجْمَاعِ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ فَفَهَاءُ الْأُمَّةِ جَمِيعاً، وَعَدُوهُ ثَالِثُ الْأَدْلَةِ، حَتَّى إِنَّ الظَّاهِرِيَّةَ على بُعْدِهِمْ عَنِ الْفِقْهِ، يَتَعَرَّفُونَ بِحُجِّيَّةِ إِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ، وَلِهَذَا لَمْ يَتِمَّكَّنْ ابْنُ حَزْمٍ مِنْ إِنْكَارِ وَقُوعِ الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ مَجْمُوعَةً، بَلْ تَابَعَ الْجَمْهُورُ فِي ذَلِكَ.

بَلْ قَدْ أَطْلَقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْقَوْلَ بِأَنَّ مَخَالَفَةَ الْإِجْمَاعِ كَافِرٌ، حَتَّى شَرَطَ لِلْمُفْتِي أَنْ لَا يَقْبَلِي بِقَوْلٍ يُخَالِفُ أَقْوَالَ جَمَاعَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَلِهَذَا كَانَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ عَنَايَةً خَاصَّةً بِمِثْلِ «مُصَنَّفِ» ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَ«إِجْمَاعِ» ابْنِ الْمُنْذَرِ، وَنَحْوَهُمَا مِنْ

الكتب التي تبيين بها مواطن الاتفاق والاختلاف في المسائل بين الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم.

وقد ذلّ الدليل على أنّ هذه الأئمة محفوظة من الخطأ، وأنهم عدولٌ شهداء على الناس، وأنهم خير أمةٍ أخرجت للناس، يأمرُونَ بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأنّ من تابعهم تابع سبيل من أناب، ومن خالفهم سلك سبيل غير المؤمنين، وناقض علماء الدين.

ولا أدري من أين أتت هذه الفوضى في التفكير، ومن أين تسرّبت هذه السموم الفاتكة إلى أذهان بعض المتفهمين في هذا العصر؟... فإذا ذكّر أهل العلم الإجماع، فإنما يريدون به إجماع من بلغوا رتبة الاجتهاد من بين العلماء، باعترافهم، مع ورجح يحجزهم عن محارم الله، لئلا يمكن بقاؤهم بين الشهداء على الناس.

فمن لم يبلغ مرتبة الاجتهاد باعتراف العلماء له بذلك، فهو خارج من أن يعتد بكلامه في الإجماع، ولو كان من الصالحين الزرعين، وكذلك من ثبت فسقه أو خروجه على معتقد أهل السنة، لا يتصور أن يعتد بكلامه في الإجماع، لسقوطه من مرتبة الشهداء على الناس.

على أنّ المبتدع كالخوارج وغيرهم لا يعتدون بروايات ثقات أهل السنة في جميع الطبقات، فكيف يتصور أن يوجد فيهم من العلم بالأثار ما يؤهلهم لدرجة الاجتهاد.

ثم أقل ما يجب على المجتهد المستجيب لشروط الاجتهاد، باعتراف العلماء: أن يدلني بحججه، ويصارع الجمهور بما يراه حقاً تعليماً وتدويناً، إذا رأى أهل العلم على خطأ في مسألة من المسائل، حسب ما يراه هو، لا أن يتفجع في داره، أو يتزوي في رأس جبل بعيد عن أمصار المسلمين، ساكناً عن بيان الحق، والساكت عن الحق شيطان أخرس، ناكثاً عهد الله وميثاقه في تبيين الحق، ومن نكث فإنما يكث على نفسه، فبمجرد ذلك يلتحق بالفاسقين الساقطين عن مرتبة قبول الشهادة، فضلاً عن مرتبة الاجتهاد.

ومن المحال في جاري العادة بين هذه الأئمة، نظراً إلى نشاط علماء المسلمين في جميع الطبقات لتدوين أحوال من له شأن في العلم، وتسابقهم في كتابة العلوم وتسجيلها، وإفشاء ما يلزم الجمهور علمه في أمر دينهم ودنياهم امتثالاً منهم لأمر

تليخ الشاهد للغائب، ووفاء بميثاق تبيين الحق: أن لا تكون جماعة العلماء في كل عصر يعلمون من هم مجتهدو ذلك العصر، الحائزون لتلك المرتبة العالية، القائمون بواجبهم؟.

فإذا ذاع رأي رآه جمهوره الفقهاء في أي قرن من القرون، من غير أن يعلم أهل الشأن مخالفة أحد من الفقهاء لهذا الرأي، فالعقل لا يشك في أن هذا الرأي مُجْمَع عليه، وهو الذي يُعَوَّل عليه المحققون من أئمة الأصول، وهذا مما لا يُمكن أن تُجرى حوله الشرثرة: بأن في الإجماع كلاماً من جهة حجتبه، وإمكانه، ووقوعه، وإمكان العلم به، وإمكان نقله كما لا يخفى.

وليس معنى الإجماع أن يُدَوَّن في كل مسألة مُجلدات تحتوي على أسماء بينة ألف صحابي مات عنهم النبي ﷺ ورضي عنهم، بالرواية عن كل واحد منهم فيها، بل تكفي في الإجماع على حكم صحة الرواية فيه عن جمع من المجتهدين من الصحابة، وهم نحو عشرين صحابياً فقط في التحقيق، بدون أن تصح مخالفة أحد منهم لذلك الحكم، بل قد لا تُضَرُّ مخالفة واحد أو اثنين منهم، في مواضع فصلها أئمة هذا الشأن في محله، وهكذا الأمر في عهد التابعين وتابعيهم.

وإن أحسن من أوضح هذا البحث بحيث لا يدع وجه شك لمتشكك، ذلك الإمام الكبير أبو بكر الرازي الجصاص، في كتابه «الفصول في الأصول»، وقد خص فيه لبحث الإجماع وخذه نحو عشرين ورقة من القطع الكبير، وهو كتاب لا يستغني عنه من يرغب في العلم للعلم، وكذا العلامة الإقناني في «الشامل» شرح «أصول» البزدوي، وهو في عشرة مجلدات، يذكر فيه نصوص الأقدمين بحروفها، ثم يناقشهم فيما تجب المناقشة فيه، مناقشة من له غوص.

وإن الإجماع ما يشترك فيه العائمة مع الخاصة، لعموم تلقاها، لإجماعهم على أن الفجر ركعتان، والظهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، ومنه ما ينفرد به الخاصة وهم المجتهدون، لإجماعهم على الحق الواجب في الزرع والثمار، وتحريم الجمع بين العمّة وبين الأخ، فلا تنزل مرتبة هذا الإجماع عن ذلك، لأن المجتهدين لا يزدادون حجة إلى حجتهم بانضمام العوام إليهم.

فمن ادعى أن من الإجماع ما هو قطعي يستغنى عنه بالكتاب المتواتر والسنة المتواترة، وما دونه يتسكع في الظن، فقد حازل رد حجية الإجماع، واتبع غير سبيل المؤمنين، وشزح ذلك في الكتب المبسطة، ولا يتحمل هذا الموضوع للإفاضة فيه.

وماذا على الإجماع من كون بعض أنواعه ظنيًا؟ وخذ ما هو يقيني منه كُفّر، وإنكار ما جرى مجرى الخبر المشهور منه ضلالًا وابتداعًا، وجاجد ما دُونَ ذلك كجاجد بعض ما صَحَّ من أخبار الأحاد على حدِّ سَوَاه.

أما قول محمد بن إبراهيم الوزير اليماني في الإجماع، فبعد عما يفقهه الفقهاء، وهو لَيْسَ النَّعْمَسَ في كتبه بالنسبة إلى أمثال المَقْبَلِي ومحمد بن إسماعيل الأمير والشوكاني من أذباله الهدامين، لكن مع هذا اللين تحيلُ كُتُبُهُ سُمًّا نَاعِمًا، وهو أول من شَوَّشَ فِيقَةَ العِثْرَةِ النبوية ببلاد اليمَن، وكلامُهُ في الإجماع يرمي إلى إسقاط الإجماع من الحجية، وإن لم يُصرِّح بتصريح الشوكاني في «جزء الطلاق الثلاث». انتهى ما نقلته من «الإشفاق».

وقول الشوكاني في جزئه المذكور «إن الحقَّ عدَمُ حجِيَّةِ الإجماع، بل عدَمُ وقوعِهِ، بل عدَمُ إمكانِهِ، بل عدَمُ إمكانِ العِلْمِ به، وعدَمُ إمكانِ نقلِهِ» مُتَابِعَةٌ لِلنَّظْمِ على طُولِ الخَطِّ: مما لا يُستَكثَرُ بين مثليه في التجرُّؤ على الأحكام، وهو الذي لا يَعْتَرِفُ بِعَدَمِ محدود في نكاح النساء، على خلاف الكتاب والسُّنَّةِ، كما في «وَيْلُ العَمَامِ» له. وتجدُ تفصيلَ الردِّ عليه في «تذكرة الراشد»، وإن كان هذا على خلاف ما في «نيل الأوطار»، وله مُراجَلُ في الدعوة إلى بدْعَتِهِ.

وقد علّقنا على مواضع من «مراتب الإجماع» لابن حزم برمز (م) في الغالب، ما يُعيدُ الحقَّ إلى نصائبه في مواضع انحرافِهِ عن الجادَّة، وهكذا فعلنا فيما علّقناه على «التَّبَدُّ» لابن حزم بتوفيق الله سبحانه.

وليس بين الأئمة المتبوعين كبيرُ خلاف في الإجماع، وما كلُّ من تحدّث فيه تحدّث بما يُقَامُ لكلامِهِ وِزْن، والحقُّ واضح لمن قرَّس الإجماع من جميع نواحيه، لكنَّ ضَعْفُ المناعةِ الفقهيَّةِ في متفحمة الأديار الأخيرة، جعلهم ضحايا للأراء الشاذَّة التي تُنَشَرُ هنا، بسنِّي من أصحاب غايات، وذلك ناشئة من القُرْصَى وقلَّةِ التبصُّر في مناهج تفقيهم وإن كان القائمون بالأمر يصعُبُ عليهم الاعترافُ بذلك، لكنَّ الأمر واقع، ما له من دافع.

ثم إنَّ أضيَّقَ المذاهبِ في الإجماع هو مذهبُ الظاهرية، المقتصرين على الصحابة في الإجماع، ونزولُ عيسى عليه السلام مما نصَّ عليه ثلاثون من الصحابة رضي الله عنهم، وأثارهم الموقوفة عليهم مُدَوَّنَةٌ في «التصريح» للكشيري كما سبق، ولم يصحَّ عن صحابيٍّ واحد القول بما يخالف ذلك.

وما أخرجه الطبراني في سنده مجالد، فإذا لم يكن مثله إجماعاً، فلا يوجد في الدنيا إجماع، ويقول أبو حامد الإسفراييني شيخ الطريقة العراقية في مذهب الشافعي - عن أن يقول بعض أهل الاجتهاد بقول، وينتشر ذلك في المجتهدين من أهل ذلك العصر، فيسكتوا بدون أن يظهر منهم اعتراف ولا إنكار - إنه إجماعٌ وحجةٌ مقطوعٌ بها. فلا يكون لكاتب المقال متمسكٌ بما نقله من «رسالة» الشافعي رضي الله عنه، حيث حملهُ ما لا يتحمُّله.

وزد ما يروى عن أحمد في الإجماع: في «السيف الصقيل» ص ١١٠، ثم الخلاف في الاحتجاج بالإجماع في العليّيات ليس مما يوهن أمر الإجماع في موضوع بحثنا، لأن ذلك في المسائل الغويصة التي تضطرب فيها العقول، وقد دللنا على أن الأبخاز في النزول متوازية، وثبوت تواترها ليس في حاجة إلى اعتراف صاحب المقال بتواترها، بعد أن نص أصحاب الشأن على تواترها. والإجماع اليقيني على ما ثبت بالتواتر، مما لا ينكره إلا مكابر.

ثم إن اعتقاد النزول عمّل القلب، فيكون التمسك بالإجماع هنا تمسكاً به في باب العمل، فيكون الأخذ بالإجماع في هذا الموضوع أمراً متفقاً عليه بين العلماء.

وما نقله كاتب المقال عن «التحرير» لابن الهمام، في أشراف الساعة وأمور الآخرة، من لزوم استنادها على النقل دون الإجماع، هو عين ما قاله صندُر الشريعة في «التوضيح»، لكن نظراً فيه السعد المحقق في «التلويح» وقال: إن الثقل قد يكون ظنيّاً فبالإجماع يصير قطعياً. وهذا كلام متين.

وابن الهمام هو الذي يقول في «المسائرة»، في العقائد المنجّية في الآخرة، في عداد المكفّرات: «وكذا مخالفة ما أجمع عليه، وإنكاره بتعدّ العلم به». والخلاف في كون الإجماع مدرّكاً مستقلاً هنا، لا في الاعتداد به إذا وقع، وتوازُد الأدلة على شيء مما يزيد قوة.

وقال في «المسايرة» أيضاً: وأشراف الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها حقاً فماذا بعد الحق إلا الضلال، وقول ابن رشد الحفيد في الفرق بين العليّيات النظرية والعليّيات في باب الإجماع: متزعج آخر، ليس هذا موضع بسطه.

وأما قول الكاتب: «وعلى فرض أن أشراف الساعة مما ينخضع للإجماع الذي اصطلمحو عليه، نقول: إن نزول عيسى قد استقر فيه الخلاف قديماً وحديثاً، أما قديماً فقد نص على ذلك ابن حزم في كتابه «مراتب الإجماع»، حيث يقول: اختلفوا في عيسى عليه السلام: أيأتي قبل يوم القيامة أم لا...؟. كما نص عليه أيضاً القاضي عياض في شرح مسلم، والسعد في «شرح المقاصد»، وقد سقنا عبارته في البحث السابق، وهي واضحة جليئة في أن المسألة ظنية في وُزُوْدِها ودلائلها. وأما حديثاً فقد قرّر ذلك...»:

فخُلُوْ من صلاحية التَّوْبِ به، فإن ابن حزم لم يحك نفي النزول عن أخذ من أهل الحق بسند صحيح، حتى يُقَامَ له وزن، وإنما هو توليدٌ واستنتاجٌ مما يحكى في موته، ثم رفعه، وقد مَحْضُنَا هذه الحكاية فيما سبق، بل قال ابن رشد الكبير بعد أن قال: لا بد من نزوله لتواتر الأحاديث بذلك: «فما ذكره ابن حزم من الخلاف في نزوله: لا يصح»، كما في «شرح الأبي على مسلم».

وأما لفظ القاضي عياض في «شرح مسلم» فهو «نزول عيسى عليه السلام، وقتله الدُّجَال: حقٌ وصحيحٌ عند أهل السنة، للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطئه، فوجب إثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية اه. وذلك البعض هو الجبائي. ولو علم تواتر الخبر لما خالف، على أن خلاف المتبعة لا يُخَلُّ بالإجماع في التحقيق كما سبق، وجمهرة المعتزلة منع أهل الحق في المسألة، على ما يظهر من كلام خطيبهم الزمخشري في «الكشاف».

وأما ما نقله السعد بعد ذكره قول أهل الشريعة، وتعدّ ذكره لزعم الفلاسفة: فبعد عن أن يكون نقلاً لخلاف يُعْتَدُّ به، بل هو قول بعض من سار سبيل الباطنية في التأويل كما سبق، ولذا أغفل ذكر اسمه، ومن طريقة تأويله يظهر أنه من المتبعة الذين لا يلتفت إليهم، والتأويل من غير داع عقلي ولا شرعي على خلاف لغة التخاطب: شأن الباطنية ومن سار سيرهم، هذا هو قديمه.

وأما حديثه فالدكتور محمد توفيق صديقي (في المجلد الحادي عشر من المنار ص ٣٦٧) ومن لف لفه، من أصحاب الصحافة، بالنظر إلى أن هؤلاء ليس عندهم من العلوم الضرورية، لمن يريد أن يتكلم في هذا الموضوع، ما يسوغ لهم الكلام فيه، فزينا عن ذكرهم صفحاً، على أن منازلهم في العلم والورع غير مجهولة عند الشعب الكريم.

وكَفَى في معرفة الدكتور مقالانهُ الصريحة في نفي الاحتجاج بالسنة مطلقاً، وقَصُر الاحتجاج على القرآن، ومن جملة ما قاله في (١١ - ٣٧٠): «واعلم أن المسلم لا يَجِبُ عليه الإيمان بأنه سيجيء يوم القيامة (هكذا) والظاهر أن هذه عقيدة سَرَتْ من النصارى إلى المسلمين، ولم يأت بها القرآن، والأحاديث لا يُؤخَذُ بها في العقائد إلا إذا تواترت، وليس في هذه المسألة حديث متواتر».

فيُغْلَمُ من ذلك أنه قُدوةُ كاتبِ المقال، كما أنه قُدوةُ الحداثاء الذين تحدثوا في المسألة على خلاف ما عليه الجماعة، ولكاتبِ المقالِ قُدوةٌ آخَرُ في الباب، وهو ابنُ هُوْدِ الدمشقي، وكان أصحابه يعتقدون فيه أنه المسيح ابنُ مريم، ويقولون: إن أمه كان اسمها مَرْيَمٌ.. ويعتقدون أن قولَ النبي ﷺ: «يُنزَلُ فيكم ابنُ مريم»، هو هذا، وأن رُوحانيَّةَ عيسى تُنزلُ عليه.

وابنُ تيمية بيَّن لهم فسادَ دعواهم بالأحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى، وأن ذلك الوصف لا ينطبق على هذا، وكان منهم من يُفسِّرُ طلوعَ الشمس من مغربها: بطلوعِ كلامهم، وبطلوعِ الشُّمسِ من البَدَن، وتُزولُ عيسى ابنِ مريم من السماء: بتزولِ رُوحانيَّتهِ أو جُزئيتيه على هذا الشخص.

فإذا وُضِلَ التقوُّلُ والتحريفُ إلى هذا الحد، نشكُرُ الله على سلامة الدين والعقل، ونسُكتُ، نسألُ الله الصون.

وبهذا يُعلَمُ من هو قُدوةُ صاحبِ «المنار» في قوله المنقول في مقالِ الكاتب «وليس فيه نصُّ صريحٌ بأنه ينزلُ من السماء، وإنما هذه عقيدة أكثرِ النصارى، وقد حاولوا في كلِّ زمانٍ من ظهورِ الإسلامِ بثُّها في المسلمين». انظر إلى هذا الرأيِ التالفِ وهذه الجرأةُ البالغةُ من صاحبِ «المنار»!!

والقولُ بتسفي النصارى في بثِّ تلك العقيدة في المسلمين من ظهورِ الإسلامِ إذا قُورِنَ بصحةِ نزولِهِ عليه السلامِ عَن الرسولِ ﷺ، على لسانِ ثلاثين من أصحابه رضي الله عنهم، بأسانيد في الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع والمصنفات وغيرها: عَليمٌ مبلِّغٌ إغفالِ قائلِهِ في الباطل، أينطقُ المُضطَّقى صلواتُ الله وسلامُهُ بما بثَّهُ النصارى وتزوُّجِ عليه؟ أم الصحابةُ يزوِّجُ عليهم هذا الدُّس؟ أم حُفَاطُ الأُمَّةِ وانتمها يزوِّجُ عليهم هذا البثُّ وهذا الدُّسُ فيروونها في كتبهم خالفاً عن سالفِ بطريق التواتر، ولا يتصوِّروا ما هو أبلَغُ من هذا المُرُوق، وما هي حُجَّةُ كاتبِ المقال!!



ومن يرى يثلّ هذا الرأي في أصحاب المصطفى ﷺ ورَضِيَ عنهم، وزواة السُّنَنِ عنهم طبقةً فطبعةً، وفي كُتُبِ الحديث من صحاحِ وسُنَنِ ومسانيدِ وجوامعِ ومصنِّفاتِ وكتبِ التفسيرِ بالروايةِ والدرايةِ وسائرِ الكتبِ: فقد كَشَفَ الثُّقَابَ عن وجهه، فلم يَدْعُ حاجةً إلى المُناقَشةِ معه، وليس شيخُ الكاتبِ بالأمسِ بحُجَّةٍ كشيخِهِ اليومِ. ﴿قُلْ كُلٌّ يَمَلُّ عَلَيَّ شَأْنِيهِمْ فَرَبَّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

وفي هذا القدر كفايةً إن شاء الله تعالى في تبيينِ الحقِّ في المسألة، وصلى الله على سيدنا محمد وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّم تسليمًا كثيرًا، وأجزُرُ ذغوانًا إن الحمدُ لله ربِّ العالمين. وكان جُتَامُ تحريره في يومِ الاثنين ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢هـ.



الانصاف

فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به

للمقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلافي

المتوفى ٤٠٣ هـ

تحقيقه

الامام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسنة بن علي الكوثري

المتوفى ١٣٧١ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال القاضي الإمام السعيد، سيف السُّنة، ولسان الأمة، أبو بكر: محمد بن الطيب بن محمد رضي الله عنه.

الحمد لله ذي القدرة والجلال، والعظمة والكمال. أحمدته على سوابغ الإنعام وجزيل الثواب، وأرغب إليه في الصلاة على نبيه محمد المختار وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار، والتابعين لهم بإحسان [إلى يوم القرار] (\*) .

أما بعد: فقد وقفت على ما التمسته الحرة الفاضلة الديّنة - أحسن الله توفيقها - لما تتوخاه من طلب الحق ونصرته، وتنكب الباطل وتجنبه. واعتماد القرية باعتقاد المفروض في أحكام الدين. واتباع السلف الصالح من المؤمنين، من ذكر جمل ما يجب على المكلفين اعتقاده، ولا يسع الجهل به، وما إذا تدين به المرء صار إلى التزام الحق المفروض، والسلامة من البدع والباطل المرفوض. وإني بحول الله تعالى وعونه، ومشيتي وطوله، أذكر لها جملاً مختصرة تأتي على البغية من ذلك، ويستغنى بالوقوف عليها عن الطلب، واشتغال الهمة بما سواه. فنقول وبالله التوفيق:

إن الواجب على المكلف:

١ - أن يعرف بدء الأوائل والمقدمات التي لا يتم له النظر في معرفة الله عز وجل وحقيقة توحيده، وما هو عليه من صفاته التي بان بها عن خلقه، وما لأجل حصوله عليها استحق أن يُعبد بالطاعة دون عباده. فأول ذلك القول في العلم وأحكامه ومراتبه، وأن حده: أنه معرفة المعلوم على ما هو به، فكل علم معرفة وكل معرفة علم.

٢ - وأن يعلم أن العلوم تنقسم قسمين: قسم منهما: علم الله سبحانه، وهو صفة لذاته، وليس بعلم ضرورة ولا استدلال، قال الله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا بِحُكْمٍ﴾

(\*) تنبيه: الكلمات الموجودة بين أقواس مربعة هي من نصيح الإمام الكوثري.

[النساء: ١٦٦] وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِنَا﴾ [فاطر: ١١] وقال: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِإِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤] فأثبت العلم لنفسه، ونص على أنه صفة له في نص كتابه.

والقسم الآخر: علم الخلق. وهو ينقسم قسمين: فقسم منه علم اضطرار، والآخر علم نظر واستدلال: فالضروري ما لزم أنفس الخلق لزوماً لا يمكنهم دفعه والشك في معلومه؛ نحو العلم بما أدركته الحواس الخمس، وما ابتدئ في النفس من الضرورات.

والنظري منها: ما احتج في حصوله إلى الفكر والرؤية، وكان طريقه النظر والحجة. ومن حكمه جواز الرجوع عنه والشك في متعلقه.

وجميع العلوم الضرورية تقع للمخلق من ستة طرق: فمنها: درك الحواس الخمس، وهي: حاسة الرؤية، وحاسة السمع، وحاسة الذوق، وحاسة الشم، وحاسة اللمس وكل مدرك بحاسة من هذه الحواس من جسم، ولون، وكون، وكلام، وصوت، ورائحة، وطعم، وحرارة، وبرودة، ولين، وخشونة، وصلابة، ورخاوة فالعلم به يقع ضرورة. والطريق السادس: هو العلم المبتدأ في النفس، لا عن درك ببعض الحواس، وذلك نحو علم الإنسان بوجود نفسه، وما يحدث فيها ويشطوي عليها من اللذة، والألم، والغم، والفرح، والقدرة، والعجز، والصحة، والسقم. والعلم بأن الضدين لا يجتمعان، وأن الأجسام لا تخلو من الاجتماع والافتراق، وكل معلوم بأوائل العقول، والعلم بأن الثمر لا يكون إلا من شجر، أو نخل، وأن اللبن لا يكون إلا من ضرع وكل ما هو مقتضى العادات.

وكل ما عدا هذه العلوم وهو علم استدلال لا يحصل إلا عن استئناف الذكر والنظر وتفكر بالنظر والعقل فمن جملة هذه الضرورات العلم بالضرورات الواقعة بأوائل العقول، ومقتضى العادات التي لا تشارك ذوي العقول في علمها البهائم، والأطفال والمتقصون؛ نحو العلم الواقع بالبديهة، ومتضمن كثير من العادات، ونحو العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الضدين لا يجتمعان، وأمثال ذلك من موجب العادات وبدائة العقول التي لا يخص بعلمها العاقلون.

٣ - وأن يعلم أن الاستدلال هو: نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الضرورة والحس، وأن الدليل هو: ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى معرفة ما لا يعلم باضطراره، وهو على ثلاثة أضرب: عقلي: له تعلق بمدلوله، نحو دلالة

الفعل على فاعله، وما يجب كونه عليه من صفاته. نحو حياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته. وسمعي شرعي: دال من طريق النطق بعد المواضعة، ومن جهة معنى مستخرج من النطق، ولغوي: دال من جهة المواطأة والمواضعة على معاني الكلام، ودلالات الأسماء والصفات وسائر الألفاظ، وقد لحق بهذا الباب: دلالات الكتابات والرموز، والإشارات والعقود، الدالة على مقادير الأعداد، وكل ما لا يدل إلا بالمواطأة والاتفاق. والدال هو ناصب الدليل: فالمحلول هو ما نصب له الدليل. والمستدل الناظر في الدليل، واستدلاله نظره في الدليل وطلبه به علم ما غاب عنه.

٤ - وأن يعلم أن المعلومات على ضربين: معدوم وموجود، لا ثالث لهما ولا واسطة بينهما. فالمعدوم: هو المتفق الذي ليس بشيء. قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَكُنْتَ تُكْ شَيْئًا﴾ [مریم: ٩] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَعَلَى الْإِنْسَانِ يَمِينٌ يَنْ أَلَّهْمُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكَورًا﴾ [الإنسان: ١] فأخبر أن المعدوم متفق ليس بشيء، والموجود هو الشيء الكائن الثابت. وقولنا «شيء» إثبات، وقولنا «ليس بشيء» نفي. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَعَلَى الْإِنْسَانِ يَمِينٌ يَنْ أَلَّهْمُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكَورًا﴾ [الأنعام: ١٩] وهو سبحانه موجود غير معدوم.

وقول أهل اللغة: علمت شيئاً، ورأيت شيئاً، وسمعت شيئاً، إشارة إلى كائن موجود، وقولهم: ليس بشيء هو واقع على نفي المعدوم، ولو كان المعدوم شيئاً كان القول ليس بشيء نفيًا لا يقع أبداً إلا كذباً، وذلك باطل بالاتفاق.

٥ - وأن يعلم أن الموجودات كلها على قسمين. منها: قديم لم يزل وهو الله تعالى، وصفات ذاته التي لم يزل موصوفاً بها ولا يزال كذلك. وقولهم: «أقدم، وقديم» موضع للمبالغة في الوصف بالتقدم وكذلك أعلم وعليم، وأسمع وسميع.

والقسم الثاني: محدث، لوجوده أول، ومعنى المحدث ما لم يكن ثم كان، مأخوذ ذلك من قولهم: حدث بفلان حادث. من مرض، أو صداع؛ وأحدث بدعة في الدين، وأحدث روشناً، وأحدث في العرصة بناء، أي فعل ما لم يكن من قبل موجوداً.

٦ - وأن يعلم أن المحدثات كلها على ثلاثة أقسام: جسم، وجوهر، وعرض. فالجسم في اللغة هو: المؤلف المركب. يدل على ذلك قولهم: رجل جسيم وزيد أجسم من عمرو، وهذا اللفظ من أبنية المبالغة، وقد اتفقوا على أن معنى المبالغة في الاسم مأخوذ من معنى الاسم؛ يبين ذلك أن قولهم: «أضرب» إذا أفاد كثرة الضرب

كان قولهم: ضارب مفيداً للضرب، وكذلك إذا كان قولهم: المؤلف المركب مفيداً كثرة الاجتماع والتأليف، وجب أن يكون قولهم جسم مفيداً كذلك.

والجوهر: الذي له حيز. والحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه يوجه فيه غيره.

والعرض: هو الذي يعرض في الجوهر، ولا يصح بقاؤه وقتين، يدل على ذلك قولهم: «عرض لفلان عارض من مرض، وصداع» إذا قرب زواله، ولم يعتقد دوامه. ومنه قوله عز وجل: ﴿تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَالَّذِي نُؤْتُوا بِهَا كَمِثْقَالَ حَبَّةٍ أَلْخِذْرَاءِ﴾ [الأنفال: ٦٧] وقوله: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَّرَأٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤] فكل شيء قرب عدمه وزواله، موصوف بذلك، وهذه صفة المعاني القائمة بالأجسام، فوجب وصفها في قضية العقل بأنها أعراض.

٧ - وأن يعلم أن العالم محدث، وأنه لا ينفك علويه وسفليه من أن يكون جسماً مؤلفاً، أو جوهرأ مفردأ، أو عرضأ محمولأ. وهو محدث بأسره. وطريق العلم بحدوث أجسامه وحدث أعراضه. والدليل على ثبوت أعراضه: تحرك الجسم بعد سكونه، وتفرقه بعد اجتماعه، وتغير حالاته، وانتقال صفاته، فلو كان متحركأ لنفسه، ومتغيرأ لذاته لوجب تركه في حال سكونه، وتغييره واستحالته في حال اعتداله، وفي بطلان ذلك دليل على إثبات حركته، وسكونه، وألوانه، وأكوانه، وغير ذلك من صفاته، لأنه إذا لم يكن كذلك لنفسه وجب أن يكون لمعنى ما تغير عن حاله واستحال عن وصفه.

والدليل على حدوث هذه الأعراض: ما هي عليه من التنافي والتضاد، فلو كانت قديمة كلها لكانت لم تزل موجودة، ولا تزال كذلك، ولوجب متى كانت الحركة في الجسم أن يكون السكون فيه، وذلك يوجب كونه متحركأ في حال سكونه، وميتأ في حال حياته، وفي بطلان ذلك دليل على طروق السكون بعد أن لم يكن، وبطلان الحركة عند مجيء السكون، والطارىء بعد عدمه، والمعدوم بعد وجوده محدث باتفاق؛ لأن القديم لا يحدث ولا يعدم، ولا يبطل.

والدليل على حدوث الأجسام: أنها لم تسبق الحوادث، ولم تخل منها، لأننا باضطرار نعلم: أن الجسم لا ينفك من الألوان، ومعاني الألوان من الاجتماع والافتراق، وما لا ينفك من المحدثات، ولم تسبقه كان محدثأ. لأنه إذا لم يسبقه كان موجودأ معه في وقته أو بعده، وأي ذلك وجد وجب القضاء على حدوثه، وأنه معدوم قبل وجوده.



٨ - وأن يعلم أن للعالم محدثاً أحدثه. والدليل على ذلك وجود الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم وتقدم المتأخر، ولا يجوز أن يكون ما تقدم منها وتأخر متقدماً ومتأخراً لنفسه، لأنه ليس التقدم بصحة تقدمه أولى من التأخر بصحة تأخره، فوجب أن يدل على فاعل فعله، وصرفه في الوجود على إرادته وجعله مقصوراً على مشيئته، يقدم منها ما شاء ويؤخر ما شاء. قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هُود: ١٠٧] قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ يَتَكُونُ﴾ [التحل: ٤٠] ويدل على علمنا بتعلق الفعل بالفاعل في كونه فعلاً كتعلق الفاعل في كونه فاعلاً بالفعل، فإن تعلق الكتابة، والصناعة بالكتاب والصانع كتعلق الكاتب في كونه كاتباً بالكتابة؛ فلو جاز وجود فعل لا من فاعل، وكتابة لا من كاتب بصورة وبنية محدثة لا من مصور، لجاز وجود كاتب لا كتابة له، وصانع لا صنعة له، فلما استحال ذلك وجب أن يكون اقتضاء الفعل للفاعل ودلالته عليه كاقضاء الفاعل في كونه فاعلاً. لوجود الفعل وحصوله منه، ومن صفات هذا الصانع تعالى أنه: موجود، قديم، واحد، أحد، حي، عالم، قادر، مرید، متكلم، سمیع، بصیر، باق<sup>(١)</sup> ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وسندل على ذلك فيما بعد إن شاء الله بعد البداية بفرائض المكلفين، وشرائع المسلمين مما يقرب فهمه ولا يتبغى جهله، ولا بد للمكلف من علمه والعمل [به] فإذا أتينا على هذه الجملة رجعنا إلى القول في التوحيد، وإثبات أسماء الله تعالى وصفاته، وذكر ما يجوز عليه وما يستحيل في صفته، وما توفيقى إلا بالله.

٩ - وأن يعلم: أن أول نعم الله تعالى على خلقه الحي الدراك خلقه فيهم إدراك اللذات، وسلامة الحواس، ونيل ما يتفنون به من الشهوات التي تميل إليها طباعهم، وتصلح عليها أجسامهم، ولو أحياءهم، وألمهم ومنعهم إدراك اللذات لكانوا مستضرين بالآلام، ومثابة الأحياء المعذبين من أهل النار، وهذه نعمة الله سبحانه على جميع الحيوان الحاس، العاقل منهم والناقص، والمؤمن والكافر.

١٠ - وأن يعلم أن أفضل وأعظم نعمة الله على خلقه الطائعين وعباده المؤمنين خلقه الإيمان في قلوبهم، وإجراؤه على ألسنتهم، وتوفيقهم لفعله، وتمكينهم بالتمسك به. وخلق الإيمان، والتوفيق له نعمة خص الله تعالى بها المؤمنين دون الكافرين، ولذلك قال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥]

(١) والبقاء ليس صفة حقيقة عند الباقلاني بل هو دوام الوجود (ز).

[٦٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَمَمَّتُمُ السَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ لَمِدِ أَبْهَامٍ﴾ [الثور: ٢١] وقال عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] فلو كانت هذه النعمة له على الكافرين لم يكن لتخصيصه بها المؤمنين وامتنانه على المؤمنين وجه، إذ كان قد أنعم بها على المردة والكفرة الضالين.

١١ - وأن يعلم: أن طرق المباین عن الأدلة التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه: (١) كتاب الله عز وجل و(٢) سنة رسوله ﷺ و(٣) إجماع الأمة و(٤) ما استخرج من هذه النصوص وبنى عليها بطريق القياس والاجتهاد، و(٥) حجج العقول. قال الله تعالى أمراً باتباع كتابه والرجوع إلى بيانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَّ قُلُوبٍ أَفْقَالَهَا ۗ﴾ [محمّد: ٢٤] وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ آخِذَاتِنَا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قُرْآنٌ يَلْقَىٰ مِنْ رَبِّكَ إِسْرَافًا﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال عز وجل في الأمر باتباع رسوله ﷺ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال: ﴿وَمَا يَخْلُقُ عَنِ السَّمْعِ ۗ﴾ [النجم: ٤٠٣] وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الثور: ٦٣].

وقال سبحانه في وصف عدالة أمة نبيه ﷺ والأمر باتباعها، والتحذير من مخالفتها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿وَمَنْ يُضَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَسَتَّعَ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۗ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال في الأمر بالقياس والحكم بالنظائر والأمثال: ﴿فَاصْبِرُوا بِأُولَى الْأَنْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَرَأَىٰ أَن يُرْسَلِ إِلَيْهِمْ أَتَى اللَّهُ لِقَاءَهُمْ فِي سَبِيلِهِمْ مِنْ يَوْمِ يُنْفَخُ الْأَسْمَانُ﴾ [النساء: ٨٣] وقال النبي ﷺ لقاضيه معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أنفذه إلى اليمن لإقامة الحدود واستيفاء الحقوق: «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله عز وجل. قال:

فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي وأحكم. فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضي الله ورسوله. فأقره على الحكم والاجتهاد وجعله أحد طرق الأحكام.

وقال عز وجل في الأمر باتباع حجة العقل: ﴿وَقَدْ أَنفِكَرْنَا أَقْلًا بُصِيرُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ٢١] وقال: ﴿أَنزَلْنَاهُمْ مِمَّا تَشْتُونَ ﴿٧٨﴾ مَا شَرُّ عَصْفَرُونَهُ أَهْمَ نَحْنُ لَافِقُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقال: ﴿وَصَرَبْنَا لَنَا مَنَآلًا وَوَسَّيْنَا خَلْقَهُ قَالَهُ مَنْ يُنْبِئُ الْبَاطِنَ وَهُوَ رَئِيسٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزوم: ٢٧] فأمرنا بالاعتبار والاستبصار ورد الشيء إلى مثله أو الحكم له بحسب نظيره، وهذا هو الحكم، المعقول والتفاسي إلى أدلة المعقول.

١٢ - وأن يعلم: أن فرائض الدين وشرائع المسلمين، وجميع فرائض المسلمين وسائر المكلفين على ثلاثة أقسام: ينقسم منها: يلزم جميع الأعيان وكل من بلغ الحلم وهو: الإيمان بالله عز وجل، والتصديق له، ولرسله، وكتبه، وما جاء من عنده، والعبادات على كل مكلف بعينه، من نحو الصلاة، والصيام، وما سنذكره ونفصله فيما بعد إن شاء الله.

والقسم الثاني: واجب على العلماء دون العامة، وهو القيام بالفتيا في أحكام الدين، والاجتهاد، والبحث عن طرق الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، وهذا فرض على الكفاية دون الأعيان، فإذا قام به البعض سقط عن باقي الأمة وكذلك القول في حفظ جميع القرآن، وما تنفذ به الأحكام من سنن الرسول عليه السلام، وغسل الميت، ومواراته، والصلاة عليه، والجهاد، ودفع العدو، وحماية البيضة وما جرى مجرى ذلك مما هو فرض على الكفاية. فإذا قام به البعض سقط عن باقي الأمة.

والقسم الثالث: من الواجبات من فرائض السلطان دون سائر الرعية: نحو إقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وقبض الصدقات، وتولية الأمراء، والقضاة، والسعاة، والفصل بين المتخاصمين، وهذا وما يتصل به من فرائض الإمام وخلفائه على هذه الأعمال دون سائر الرعية والعوام وليس في فرائض الدين ما يخرج عما وصفناه ويزيد على ما قلناه.

١٣ - وأن يعلم: أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد. النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة.

والثاني: من فرائض الله عز وجل على جميع العباد؛ الإيمان به والإقرار بكتبه ورسله، وما جاء من عنده، والتصديق بجميع ذلك بالقلب والإقرار به باللسان.

١٤ - وأن يعلم: أن الإيمان بالله عز وجل هو: التصديق بالقلب، بأن الله الواحد، الفرد، الصمد، القديم، الخالق، العليم، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والدليل على أن الإيمان هو الإقرار بالقلب والتصديق؛ قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] يريد بمصدق لنا. ومنه قوله عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢] أي تصدقوا. ويقال فلان يؤمن بالله وبالبعث؛ أي يصدق بذلك. وكذلك قولهم: فلان يؤمن بالشفاعة والقدر، وفلان لا يؤمن بذلك، يعني به التصديق، وينفي الإيمان به التكذيب. وقد اتفق أهل اللغة قبل نزول القرآن وبعث الرسول عليه السلام على أن الإيمان في اللغة هو التصديق دون سائر أفعال الجوارح والقلوب.

والإيمان بالله تعالى يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته، ونفي النقائص عنه الدالة على حدوث من جازت عليه.

والتوحيد له هو: الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد فرد معبود ليس كمثلته شيء؛ على ما قرر به قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كُفَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأنه الأول قبل جميع المحدثات. الباقي بعد المخلوقات، على ما أخبر به تعالى من قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] والعالم الذي لا يخفى عليه شيء والقادر على اختراع كل مصنوع، وإبداع كل جنس مفعول، على ما أخبر به في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

وأنه الحي الذي لا يموت. والدائم الذي لا يزول، وأنه إله كل مخلوق، ومبدعه ومنشئه، ومخترعه، وأنه لم يزل [مسمىاً] لنفسه [بأ] أسمائه، وواصفاً لها بصفاته، قبل

إيجاد خلقه، وأنه قديم بأسمائه وصفات ذاته، التي منها: الحياة التي بها بان من الموت والأموات، والقدرة التي أبدع بها الأجناس والذوات، والعلم الذي أحكم به جميع المصنوعات، وأحاط بجميع المعلومات، والإرادة التي صرف بها أصناف المخلوقات. والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات، والكلام الذي به فارق الخرس والسكوت وذوي الآفات، والبقاء الذي به سبق المكونات، ويبقى به بعد جميع الفانيات، كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ الْكِتَابَ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُكِّرُوا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ قَدْ آتَيْنَاهُ الْإِنشَاءَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِنَا﴾ [الشاء: ١٦٦] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِنَا﴾ [فاطر: ١١] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ يَتَنَّهُمْ قُوَّةً﴾ [الضلت: ١٥] وقوله: ﴿ذُرِّ الْقُوَّةِ الَّذِينَ هُمْ﴾ [الذاريات: ٥٨] فنص تعالى على إثبات أسمائه وصفات ذاته، وأخبره أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات، كما قال عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقال: ﴿وَرَبِّكَ وَمَنْ رَبُّكَ ذُرِّ اللَّكْلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] واليدين اللتين نطق بإثباتهما له القرآن، في قوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوثَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥] وأنها ليستا بجارحتين، ولا ذوي صورة وهينة، والعينين<sup>(١)</sup> اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام، فقال عز وجل: ﴿وَلَتَضَعَنَّ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ قَطَعًا﴾ [٢٩] و﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وأن عينه ليست بحاسة من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس، وأنه سبحانه لم يزل مريداً وشائياً، ومحباً ومبغضاً، وراضياً، وساخطاً، وموالياً، ومعادياً، ورحيماً، ورحماناً. ولأن جميع هذه الصفات راجعة إلى إرادته في عباده ومشيتته، لا إلى غضب بغيره. ورضى يسكنه طبعاً له، وحنق وغيظ يلحقه، وحقد يجده، إذا كان سبحانه متعالياً عن الميل والنفور.

وأنه سبحانه راض في أزله عن علم أنه بالإيمان يختم عمله ويوافي به. وغضبان على من علم أنه بالكفر يختم عمله ويكون عاقبة أمره، وقد قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [سورة: ١٠٧] و﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْإِسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الزلزال: ٢٧]

(١) وتشية العين لم ترد في الكتاب، وحديث الدجال ليس فيه إلا نفي النقص من الله سبحانه لا إثبات العينين له مع كونه خبر آحاد فنعين الانتصار على ما ورد في الكتاب وهو ما في الآيتين وإلا يكون في الأمر فتح باب التشبيه (ز).

[٤٠] وقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [الفائدة: ١١٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] في أمثال هذه الآيات الدالة على أنه شاء مريد، وأن الله جل ثناؤه مستور على العرش، ومستور على جميع خلقه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] بغير مماسة وكيفية، ولا مجاورة، وأنه في السماء إله وفي الأرض إله كما أخبر بذلك.

وأنه سبحانه يتجلى لعباده المؤمنين في المعاد، فيرويه بالأبصار، على ما نطق به القرآن في قوله: ﴿يَوْمَ يَمْيزُ أُمَّةً بآيَةٍ﴾ [١٣] ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِقٌ﴾ [١٣] ﴿الْقِيَامَةِ: ٢٢، ٢٣﴾ وتأكيده كذلك بقوله في الكافرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُودُونَ﴾ [المطففين: ١٥] تخصيصاً منه برؤيته للمؤمنين، والتفرقة فيما بينهم وبين الكافرين، وعلى ما وردت به السنن الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ، وما أخبر به عن موسى عليه السلام، في قوله: ﴿رَبِّ أَوْفَى أَنْتَظَرُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولولا علمه بجواز الرؤية بالأبصار لما أقدم على هذا السؤال.

١٥ - وأن يعلم: مع كونه تعالى سمياً بصيراً: أنه مدرك لجميع المدركات التي يدركها الخلق: من الطعوم، والروائح، واللين، والخشونة، والحرارة، والبرودة؛ بإدراك معين، وأنه مع ذلك ليس بذي جوارح وحواس توجد بها هذه الإدراكات. فتعالى [الله] عن التصوير والجوارح، والآلات.

١٦ - وأن يعلم: أنه مع إدراك سائر الأجناس [من] المدركات وجميع الموجودات، غير ملتذ ولا متألم بإدراك شيء منها، ولا مشقة [له منها] ولا نافر عنها، ولا متفجع بإدراكها [ولا متضرر] بها. ولا يجانس شيئاً منها، ولا يصادها، وإن كان مخالفاً لها.

١٧ - وأن يعلم: أنه سبحانه ليس بمغاير لصفات ذاته، وأنها في أنفسها غير متغايرات؛ إذ كان حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر بالزمان، والمكان والوجود والعدم. وأنه سبحانه يتعالى عن المفارقة لصفات ذاته، وأن توجد الواحدة منها مع عدم الأخرى.

١٨ - وأن يعلم: أن صفات ذاته [هي التي] لم تزل، ولا يزال موصوفاً بها. وأن صفات أفعاله هي التي سبقها، وكان تعالى موجوداً في الأزل قبلها.

ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبه ورضاه ورحمته وكرهيته وغضبه وسخطه وولايته وعداوته [كلها] راجع إلى إرادته، وأن الإرادة صفة لذاته غير مخلوقة، لا على

ما يقوله القدرية، وأنه يريد بها لكل حادث في سمائه وأرضه مما يتفرد سبحانه بالقدرة على إيجاده، وما يجعله منه كسباً لعباده، من خير، وشر، ونفع، وضر، وهدى، وضلال، وطاعة، وعصيان، لا يخرج حادث عن مشيئته. ولا يكون إلا بقضائه وإرادته.

١٩ - وأن يعلم: أن كلام الله تعالى صفة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفاً به وأنه قائم به ومختص بذاته، ولا يصح وجوده بغيره، وإن كان محفوظاً بالقلوب ومتلوّاً باللسن، ومكتوباً في المصاحف، ومقروءاً في المحاريب، على الحقيقة لا على المجاز<sup>(١)</sup> وغير حال في شيء من ذلك، وأنه لو حلّ في غيره لكان ذلك الغير متكلماً به، وأمراً ونهاياً.

ومخبراً وقائلاً: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاصْبِرْ﴾ [طه: ١٤] وذلك خلاف دين المسلمين، وأن كلامه سبحانه لا يجوز أن يكون جسماً من الأجسام، ولا جوهرأ، ولا عرضأ، وأنه لو كان كذلك لكان من جنس كلام البشر، ومحلثأ كهو: يتعالى الله سبحانه أن يتكلم بكلام المخلوقين.

٢٠ - [وأن] يعلم: أن كلامه مسموع بالأذان، وإن كان مخالفاً لسائر اللغات، وجميع الأصوات، وأنه ليس من جنس المسموعات، كما أنه [مرئي] بالأبصار، وإن كان مخالفاً لأجناس المرئيات، وكما أنه موجود مخالف لسائر الحوادث الموجودة، وأن سماع كلامه منه تعالى بغير واسطة ولا ترجمان. كجبريل، وموسى، ومحمد عليهم السلام حق، سمعه من ذاته غير متلو ولا مقروه، ومن عداهم ممن يتولى الله خطابه بنفسه إنما يسمع كلامه متلوّاً ومقروءاً، وكذلك قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿بَيْنَهُمْ مَن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وأن قراءتنا القرآن كسب لنا ثواب عليها، ونلام على تركها إذ وجبت علينا في الصلوات. وأنه لا

(١) لأن القرآن يطلق على ما قام بالله من الألفاظ العلمية النبوية - وهو غير مخلوق وغير حال في مخلوق - وعلى المكتوب بين الدفتين وعلى المحفوظ في القلوب من الألفاظ الذهنية، وعلى الملفوظ باللسن على سبيل الاشتراك اللفظي عنده، والقرينة هي التي تعين المراد منها في كل موضع، وما سوى الأول مخلوق، وهذا البحث أنضح عند المتأخرين من أئمة الأشاعرة، والتحقق: أن وصف القرآن بما سوى الأول وصف للمدلول بصفة الدال، كما في شرح المقاصد (ز).

يجوز أن يحكى كلام الله عز وجل ولا أن يُلفظ به<sup>(١)</sup> لأن حكاية الشيء مثله وما يقاربه وكلام الله تعالى لا مثل له من كلام البشر، ولا يجوز أن يلفظ به بتكلم الخلق لأن ذلك يوجب كون كلام الله تعالى قائماً بذاته قديم ومحدث وذلك خلاف الإجماع والمعقول، وأن كلام الله تعالى غير متبعض ولا متغاير، وأن الصفة هي ما قامت بالشيء وأن الوصف قول الواصف الدال على الصفة خلاف ما يذهب إليه القدرية.

وأنه مقدر لأرزاق جميع الخلق، وموقت لآجالهم، وخالق لأفعالهم، وقادر على مقدوراتهم، وإله ورب لها. لا خالق غيره، ولا رزاق سواه، كما أخبر تعالى في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [السورم: ٤٠] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزَّ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [التحل: ٢٠].

وأن بيده الخير، والشر، والنفع، والضر، وأنه مقدر جميع الأفعال، لا يكون حادث إلا بإرادته، ولا يخرج مخلوق عن مشيئة، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وأنه فعال لما يريد، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا هادي لمن أضله ولا مضل لمن هداه، كما قال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨] ﴿مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَسَاءَ هَادِيًّا لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وأنه موفق أهل محبته وولايته لطاعته، وخاذل لأهل معصيته، فدل ذلك كله [على] تدبيره وحكمته، وأنه عادل [في] خلقه بجميع ما يتلبيهم به ويقضيه عليهم من خير، وشر، ونفع، وضر، وغنى، وفقير، ولذة، وألم، وصحة، وسقم، وهداية، وضلال: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُمْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْكَلِيمَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وأنه سبحانه يعيد العباد، ويحيي الأموات، وأنه يقصد يوم القيامة لفصل القضاء، ويحيي الملائكة صفاً صفاً، و[يمد] الصراط، ويزن الأعمال، وأنه سبحانه قد خلق الجنة والنار.

(١) يعني لا يجوز أن يقال حكى كلام الله أو لفظ به في صدد الإنافة عن قراءته وتلاوته، لأن الحكاية توهم المحاكاة وفيها شائبة المماثلة وهو سبحانه منزّه عنها، وكذا اللفظ والتكلم بكلام الله لإيهام ذلك المشاركة، تعالى الله عن ذلك، على أن تلك العبارات مما لم يرد إذن من الشارع في إطلاقها على كلام الله (ز).



وما لا يتأتى الواجب إلا بفعله صار واجباً؛ كالطهارة مع الصلاة، والقراءة في الصلاة، وإمساك جزء من الليل في الصيام، وإدخال جزء من الرأس في غسل الوجه، إلى غير ذلك مما لا يمكن تحصيل الواجب إلا به صار واجباً.

## مسألة

وإذا صحَّ وجوب النظر فالواجب على المكلف النظر والتفكر في مخلوقات الله، لا في ذات الله، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ولم يقل: في الخالق، وأيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] فالنظر، والتفكر، والتكيف يكون في المخلوقات، لا في الخالق، وأيضاً قوله ﷺ: «تفكروا في الله»<sup>(١)</sup> وأيضاً قوله عليه السلام: «مثل الناظر في [قدر]»<sup>(٢)</sup> الله كالناظر في عين الشمس، فمهما ازداد نظراً ازداد حيرة. وأيضاً: فإن موسى عليه السلام لما سأله اللعين فرعون عن ذات الله، أجابه بأن مصنوعاته تدل على أنه إله ورب قادر، لا إله سواه. إذا نظر فيها وتأمل ولم يحدد له الذات فلا يكفيها؛ لأنه لما قال له: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] قال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥] إلى أن كرر عليه السؤال وأجابه بمثل الأول، إلى آخر الآيات (٢٥ - ٢٦ و ٢٨) كلها، فمهما سأله عن الذات أجابه بالنظر في المصنوعات التي تدل على معرفته.

وقيل: سئل بعض أهل التحقيق عن الله عزَّ وجل ما هو؟ فقال: إله واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر، فقيل له: أين هو؟ فقال: بالمرصاد. فقال السائل: ليس عن هذا أسألك؟ فقال: الذي أجبتك به هو صفة الحق، فأما غيره فصفة الخلق. وأراد بذلك أن يسأله عن التكيف، والتحديد، والتمثيل، وذلك صفة المخلوق لا صفة الخالق، ولأن المتفكر إذا تفكر في خلق السموات والأرض وخلق نفسه وعجائب صنع ربه، أذاه ذلك إلى صريح التوحيد؛ لأنه يعلم بذلك أنه لا بد لهذه المصنوعات من صانع، قادر، عليم، حكيم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية واللائكاني في شرح السنة بالفاظ متقاربة في المعنى (ز).

(٢) هكذا في الأثر ولم نجهه مرفوعاً فإذا كان النظر في قدر الله موجباً للحيرة فبالحري كون النظر في الله موجباً للحيرة ممنوعاً (ز).

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن العالم محدث؛ وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، والدليل على حدوثه: تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثاً، وقد بين نبينا ﷺ هذا بأحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة، لما قالوا له: يا رسول الله: أخبرنا عن بدء هذا الأمر؟ فقال: «نعم. كان الله تعالى ولم يكن شيء»، ثم خلق الله الأشياء، فأثبت أن كل موجود سواء محدث مخلوق. وكذلك الخليل عليه السلام، إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة؛ لأنه لما رأى الكوكب قال: هذا ربي، إلى آخر الآيات (٦ - ٧٦ - ٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت [على أنها] محدثة مفطورة مخلوقة، وأن لها خالفاً، فقال عند ذلك: ﴿وَجِئْتُ وَجْهِي لِلذَّيِّ فَكَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٩].

## مسألة

وإذا صح حدوث العالم؛ فلا بد له من محدث أحدثه، ومصور صورته، والدليل على ذلك: أن الكتابة لا بد لها من كاتب كتبها، والصورة لا بد لها من مصور صورها، والبناء لا بد له من بانٍ بناه. فإننا لا نشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كاتب، وصناعة لا من صانع، وحياسة لا من ناسج. وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها، ومحدث أحدثها، إذ كانت ألفت وأعجب صنفاً من سائر ما يتعذر وجوده إلا من صانع.

دليل ثان: ويدل على ذلك أيضاً: علمنا بتقدم الحوادث بعضها على بعض، وتأخر بعضها عن بعض، مع علمنا بتجانسها وتشاكلها، فلا يجوز أن يكون المتقدم منها متقدماً لنفسه؛ لأنه لو تقدم لنفسه لوجب تقديم كل ما هو من جنسه معه، وكذلك المتأخر منها، لو تأخر لنفسه وجنسه لم يكن المتقدم منها بالتقدم أولى منه بالتأخر، وفي علمنا بأن المتقدم من المتماثلات بالتقدم أولى منه بالتأخر، دليل على أن له مقدماً قدماً، وعاجلاً عجله في الوجود، مقصوراً على مشيئته.

ويدل على صحة ذلك أيضاً: علمنا بأن الصور الموجودة؛ منها ما هو مربع، ومنها ما هو مدور، ومنها شخص أطول من شخص، وآخر أعرض من آخر؛ مع تجانسها، ولا يجوز أن يكون المربع منها ربع نفسه، ولا المطول منها طول نفسه،

ولا القبيح منها قبح نفسه، ولا الحسن منها حسن نفسه، فلم يبقَ إلا أن لها مصوراً صوّرها؛ طويلة، وقصيرة، وقبيحة، وحسنة، على حسب إرادته ومشيته.

ويدل على صحة ما ذكرناه: أن الموجودات لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها، أنا وجدنا منها الموات والأعراض، أعني الجمادات التي لا حياة فيها، لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها ولا لغيرها، لأن من شرط الفاعل أن يكون حياً، قادراً، فبطل كونها محدثة لنفسها بل لها محدث أحدثها.

ويدل على صحة ذلك أيضاً: أنا وجدنا أنفس الموجودات في العالم، الحي القادر العاقل المحصل، وهو الآدمي، ثم أكمل ما تكون. تعلم وتحقق أنه كان في ابتداء أمره نطفة ميتة، لا حياة فيها ولا قدرة، ثم نقل إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم من حال إلى حال، ثم بعد خروجه حياً من الأحشاء إلى الدنيا. تعلم وتحقق أنه كان في تلك الحالة جاهلاً بنفسه وتكليفه، وتركيبه، ثم بعد كمال عقله وتصوره وحذقه وفهمه لا يقدر في حال كماله أن يحدث في بدنه شعرة ولا شيئاً، ولا عرقاً فكيف يكون محدثاً لنفسه ومتقلاً<sup>(١)</sup> لها في حال نقصه من صورة إلى صورة ومن حالة إلى حالة] وإذا بطل ذلك منه في حال كماله كان أولى أن يبطل ذلك منه في حال نقصه، ولم يبقَ إلا أن له محدثاً أحدثه، ومصوراً صوّره ومُنقلاً نقله؛ وهو الله سبحانه وتعالى.

### مسألة

وإذا ثبت أن للعالم صانعاً صنعه، ومحدثاً أحدثه، فيجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون مشبهاً للعالم المصنوع المحدث؛ لأنه لو جاز ذلك لم يخل: إما أن يشبهه في الجنس، أو في الصورة، ولا يجوز أن يكون مشبهاً له في الجنس؛ لأنه لو أشبهه في الجنس لجاز أن يكون محدثاً كالعالم المحدث، أو يكون العالم قديماً كهو. لأنه حقيقة المشبهين المتجانسين: ما سدّ أحدهما سد الآخر وناب منابه، وجاز عليه ما يجوز عليه، ولا يجوز أن يكون يشبه العالم في الصورة لأن حقيقة الصورة هي الجسم المؤلف، والتأليف لا يكون إلا من شيئين فصاعداً؛ ولأنه لو كان صورة لا تحتاج إلى مصور صوّره، لأن الصورة لا تكون إلا من مصور على ما قدمنا بيانه،

(١) هكذا في الأصل وهو بصيغة اسم الفاعل من التفعيل أي ناقلاً لها ومصلاً من حال إلى حال (ز).

وقد بين ذلك تعالى بأحسن بيان فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]  
وقد سئل بعض أهل التحقيق عن التوحيد ما هو؟ فقال: هو أن تعلم أنه ما بينهم  
بقدمه كما بينوه بحدوثهم.

وقال الجنيد رضي الله عنه: التوحيد إفراز القوم عن الحدوث، فاحكموا أصول  
العقائد بواضح الدليل ولا تخ الشواهد.

وقال أبو محمد الحريري رضي الله عنه: من لم يقف على علم التوحيد يشاهده  
من شواهد، زلت به قدم الغرور في مهواة التلف.

وقال الجنيد: أول ما يحتاج إليه المكلف من عقد الحكمة: أن يعرف الصانع  
من المصنوع، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث.

وسئل أبو بكر الزاهد رضي الله عنه عن المعرفة ما هي؟ فقال: المعرفة اسم  
ومعناه: وجود تعظيم في القلب، يمنعك عن التعطيل والتشبيه.

وقيل لأبي الحسن البوشنجي: ما التوحيد؟ فقال: أن تعلم أنه غير مشبه  
بالذوات ولا بنفي الصفات.

## مسألة

وإذا ثبت أن صانع الموجودات ومحدثها لا يجوز أن يكون يشبهها، فيجب أن  
تعلم أن محدث العالم قديم، أزلي لا أول لوجوده. ولا آخر لدوامه. والدليل على  
صحة ذلك: أنه لو لم يكن قديماً كما ذكرنا لكان محدثاً، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى  
محدث أحدثه؛ لأن غيره من الحوادث إنما احتاجت إلى محدث لأنها محدثة. ولو  
كان ذلك كذلك لاحتاج كل محدث إلى محدث آخر، إلى ما لا نهاية له ولا غاية،  
ولمّا بطل ذلك صح كونه قديماً أزلياً.

وبمثل هذا الدليل: يستدل على بطلان قول من زعم من أهل الدهر أن  
الحوادث لا أول لوجودها، فافهمه ترشد، إن شاء الله تعالى.

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن صانع العلم جلت قدرته واحد أحد؛ ومعنى ذلك: أنه  
ليس معه إله سواه، ولا من يستحق العبادة إلا إياه، ولا نريد بذلك أنه واحد من  
[جهة العدد] وكذلك قولنا أحد، وفرد وجود ذلك إنما نريد به أنه لا شبيه له ولا

نظير، ونريد بذلك أن ليس معه من يستحق الإلهية سواء، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [النساء: ١٧١] ومعناه: لا إله إلا الله.

والدليل على أن صانع العالم على ما قررناه: قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] والدليل المعقول مستنبط من هذا النص المنقول، فإننا نرى الأمور تجري على نمط واحد، في السموات والأرض وما فيهما من شمس وقمر وغير ذلك. ولو كانا اثنين أو أكثر فلا بد أن يجري خلاف أو تغير من أحدهما على الآخر، وقد بينه سبحانه وتعالى فقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَوْا إِلَىٰ بَنِي آدَمَ مِنَ سَبِيلِ ۗ﴾ [سبحته وتعالى عما يقولون علواً كبيراً] ﴿١٢٢﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣].

وأيضاً: فلو جاز أن يكونا اثنين أو أكثر فيريد أحدهما شيئاً ويريد الآخر ضده، فلا يخلو أن يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر، ولا يجوز أن يتم مرادهما؛ لأن في إتمام مراد أحدهما عجز الآخر، لأنه تم ما لا يريد، وفي ذلك تعجيز لكل واحد منهما؛ لأنه تم ما لا يتم مراد واحد منهما، فقد ثبت عجزهما أيضاً. ومن يكون عاجزاً فليس بالإله، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر؛ فالذي تم مراده هو الإله، والذي لم يتم عاجز ليس بالإله، فلم يكن إلا إله واحد كما ذكرنا.

فإن قيل: فيجوز أن يختلفا في الإرادة. قلنا: هذا القول يؤدي إلى أحد أمرين: إما أن يكون ذلك القول أحدهما للآخر لا ترد إلا ما أريد، فيصير أحدهما أمراً والآخر مأموراً، والمأمور لا يكون إلهاً، والأمر على الحقيقة هو الإله، أو يكون كل واحد منهما لا يقدر أن يريد إلا ما أراده الآخر ولو كان كذلك دل على عجزهما؛ إذ لم يتم مراد واحد منهما إلا بإرادة الآخر معه وإذا ثبت هذا بطل أن يكون الإله إلا واحداً على ما قررناه.

### مسألة

ويجب أن يعلم أن البارئ جلّت قدرته حيٌّ. وهذه المسألة أول مسائل قول الشيخ<sup>(١)</sup> «موصوف بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه فنقول البارئ بوصف بالحياة».

(١) أي أبا الحسن الأشعري، وقوله هذا نضج عن مسائل كما بسط المؤلف (ز).

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَىٰ آلِهَةٍ لَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ فاعل الأشياء ومنشئها، فوجب أن يكون حياً.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أنه تعالى قادر على جميع المقدرات.

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِنًا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [المائدة: ١٢٠] ولأننا نعلم قطعاً استحالة صدور الأفعال من عاجز لا قدرة له، ولما ثبت أنه فاعل الأشياء ثبت أنه قادر.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أنه تعالى عالم بجميع المعلومات.

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا يُوسُفَ﴾ [النساء: ١٦٦] وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [طه: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَذَا كِتَابًا وَعِلْمًا﴾ [هود: ١٤] إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى.

وأيضاً: فيدل على أنه عالم: صدور الأفعال الحكيمة المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب ونظام وإحكام وإتقان، وذلك لا يحصل إلا من عالم بها، ومن جوز صدور خط معلوم منظوم مرتب من غير عالم بالخط، كان عن المعقول خارجاً، وفي عمل الجهل والجبأ.

ويدل على صحة ذلك أيضاً: أنه حي، قادر، عالم، أنا لو جوزنا صدور أفعال محكمة متقنة من غير حي، عالم، قادر، لم ندر لعل جميع ما يظهر لنا من أفعال الناس من الكتابة والصناعة وسائر الصنائع لعلها لنا منهم وهم أموات عجزة جهلة، ولعل لنا في هذه المسألة المناظر عليها ميت عاجز.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الله مرید على الحقيقة لجميع الحوادث، والمرادات، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْإِسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْمُسْرَ وَرُحِّلُوا آلِيئَهُ رُحِّلُوا اللَّهُ عَلَنَ مَا قَدَرْتُمْ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨] وقد قيل في بعض الآثار: أنه تعالى يقول: يا ابن آدم؛ تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد.

ويدل على أنه مرید من جهة العقل: ترتيب الأفعال واختصاصها بوقت دون وقت، ومكان دون مكان، وزمان دون زمان، وكذلك يدل على أنه أراد أن يكون هذا قبل هذا، وهذا بعد هذا، وهذا على صفة، والآخر على صفة غيرها، وهذا من مكان، وهذا من مكان آخر، إلى غير ذلك.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أنه سميع لجميع المسموعات، بصير لجميع المبصرات.

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَسْئُرُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ يَرْمَعُونَ وَيَحْمِلُونَ لَنَا نَوْسًا كَذِبًا لَيْسَ لَدَيْهِمْ يُكْتَبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] وأيضاً: فإنه لو لم يوصف بالسمع والبصر لوجب أن يوصف بضد ذلك، من الصمم والعمى، والله يتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الله تعالى متكلم، وأن كلامه غير مخلوق ولا محدث. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يَنْهَاهُمْ مَنِ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَتِي رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٥]. وقوله ﷺ: «فضل كلام الله على كلام الخلق كفضل الخالق على المخلوق». ولا تصف بداية ولا نهاية؛ لأنه ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة العامة». ومحال أن يعوذ مخلوق بمخلوق، فثبت أنه عوذ مخلوقاً بغير

مخلوق، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار. ولأنه لو لم يكن متكلماً لوجب أن يوصف بضد الكلام؛ من الخرس والسكوت والعني، والله يتعالى عن ذلك.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الله سبحانه باق. ومعنى ذلك: أنه دائم الوجود. والدليل عليه قوله: ﴿وَبَقِيَ رَبِّي وَتِبْتُ رَبِّي﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٧] يعني ذات ربك. وأيضاً قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الْقَصَصُ: ٨٨] يعني ذاته، ولأنه قد ثبت قدمه وما ثبت قدمه استحالة عدمه.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الباري عالم بعلم قديم متعلق بجميع المعلومات، ولا يوصف علمه بأنه مكتسب ولا ضروري، وأنه قادر بقدرته قديمة شاملة لجميع المقدرات، مريد بإرادة قديمة متعلقة بجميع الكائنات سمع بسمع قديم متعلق بجميع المسموعات، بصير ببصر قديم متعلق بجميع المبصرات، متكلم وكلامه قديم متعلق بجميع الأمور والمنيات، والمخبرات. فعلمه سبحانه وتعالى لا يوصف بالضرورة والكسب؛ لأن ذلك صفات علم الخلق. وقدرته لا توصف بالاستطاعة؛ لأن ذلك صفات الخلق، وسمعته لا يوصف بأنه يقوم بالحواس كسمع الخلق، وبصره لا يوصف بأنه يقوم بالأمق كبصر الخلق، وكلامه لا يوصف بالجوارح والأدوات؛ لأن ذلك صفات كلام الخلق. بل صفات ذاته قديمة أزلية، لم يزل موصوفاً بها، ولا يزال كذلك، لا تشبه بصفات المخلوقين، ولا يقال إنها هو ولا غيره، ولا صفاته متغيرة في أنفسها.

والدليل على هذه الجملة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُؤًا أَحَدًا﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] فكما [أن] ذاته لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك علمه لا يشبه علم الخلق، ولا يوصف بصفة علم الخلق، وكذلك قدرته وإرادته: لا تشبه قدرة الخلق ولا إرادتهم، ولا يوصف شيء من صفاته بصفات الخلق، فاعلم ذلك وتحققه توفيقاً للصواب، بمشيئة الله تعالى.

والدليل على أن صفاته لا يقال لها هي هو: أنها لو كانت هي لو كانت خالقة فاعلة مثله، فلا يجوز أن يقال هي هو. ويدل على صحة هذا المعنى قول علي



عليه السلام في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق. لأنه لو جعله خالقاً كان إلهاً ثانياً مع الله، ولو جعله مخلوقاً لوجب أن يكون الباري موجوداً بلا كلام ثم خلق كلامه بعد، وذلك لا يصح؛ لأن صفات ذاته قديمة بقدم ذاته.

فإن قيل: فليس ثم إلا خالق أو مخلوق. قلنا: نعم ولكن خالق [قديم بصفات ذاته ومخلوق حادث] بصفات ذاته التي توجد بعد أن لم تكن، وتعدم بعد أن كانت، وصفات القديم لا تتصف بوجود بعد عدم، ولا بالعدم بعد الوجود، وإنما قلنا إن صفات ذاته ليست بأغيار له، ولا هو غير صفاته، ولا صفاته متغايرة في أنفسها؛ لأن حدّ الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر؛ إما بزمان أو بمكان، وهذا يستحيل تصويره في الله تعالى وصفات ذاته. فافهم وتزيد التحقيق، وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أمين يا رب العالمين.

### مسألة

فإن قيل: قد أثبتتم أنه حي عالم قادر سميع بصير متكلم، أفقولون: إنه يفضب ويرضى، ويحب، ويغضب، ويوالي، ويعادي، وأنه موصوف بذلك؟ قيل لهم: أجل، ومعنى وصفه بذلك: أن غضبه على من غضب عليه، ورضاه عن من رضي عنه، ووجه لمن أحب، ويغضه لمن أبغض، وموالاته لمن والى، وعداوته لمن عادى. أن المراد بجميع ذلك: إرادته إثابة من رضي عنه وأحبه وتولاه. وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه، لا غير.

ويدل على هذه الجملة: أنه يوصف بالفضب، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْأَلْ مُؤَمِّمًا مَّتَعِدًا فَجَازًاؤُهُ جَهَنَّمَ حَكِيلًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَيْسَةَ أَنَّ عَصَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشورى: ٩] إلى غير ذلك من الآيات.

ويدل على أنه يوصف بالحب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] إلى غير ذلك.

ويدل على أنه يوالي: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥] وقوله ﷺ: «يقول الله تعالى من أذى لي ولياً» إلى غير ذلك من الآيات والأخبار.

ويدل على أنه يعادي: قوله تعالى: ﴿فَارْتَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لِئَلاَّ يَكْفُرُوا﴾ [البقرة: ٩٨] وقوله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّيكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى غير ذلك من الآيات والآثار.

ويدل أنه يبغض: قوله ﷺ: «ثلاثة يبغضهم الله تعالى: شيخ زان؛ ورائع خلاف؛ وفقير محتال».

### مسألة

فإن قيل: فما الدليل على أن غضب الله سبحانه ورضاه، ورحمته، وسخطه، وحبه وعداوته، وموالاته وبغضه إنما هو إرادته لإثابة من رضي عنه وأحبه ورواه ونفعه، وأن غضبه، وسخطه، وبغضه، وعداوته إنما هو إرادة عقاب من غضب عليه وسخط وعادى وإيلامه وضرره؟  
قيل له:

الدليل على ذلك: أن الغضب والرضا ونحو ذلك لا يخلوا إما أن يكون المراد به إرادته النفع والضرر فقط، أو يكون المراد به نور الطبع وتغيره عند الغضب، ورقته وميله وسكوته عند الرضا، فلما لم يجز أن يكون الباري جلّت قدرته ذا طبع يتغير وينقر، ولا ذا طبع يسكن ويرق، وأن هذه من صفات المخلوقين، وهو يتعالى عن جميع ذلك: ثبت أن المراد ببغضه، ورضاه، ورحمته، وسخطه إنما هو إرادته وقصده إلى نفع من كان في معلومه أنه ينفعه، وضرر من سبق في علمه وخبره أنه يضره لا غير ذلك.

### مسألة

فإن قيل: فهل يجوز أن يوصف بالشهوة؟ قيل له:

إن أراد السائل بوصفه بالشهوة إرادته لأفعاله فذلك صحيح من طريق المعنى غير أنه أخطأ وخالف الأمة في وصف القديم بالشهوة؛ إذ لم يرد بذلك كتاب ولا سنة، لأن أسماء تعالى لا تثبت قياساً، وهو معنى قول الشيخ رضي الله عنه (لا مدخل للعقل والقياس في إيجاب معرفته، وتسميته، وإنما يعلم ذلك بفضله من جهته). يعني: إما بنص كتاب، أو سنة. وإن أراد هذا السائل أن يصفه بالشهوة التي هي [شوق] النفس وميل الطبع إلى المتافع واللذات فذلك محال ممتنع على القديم سبحانه وتعالى، بما قلنا ذكره من قبل.

## مسألة

ويجب أن يعلم: [أن كل ما] يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالله **تعالى** يتقدس عنه.

فمن ذلك: أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول، والانتقال، ولا القيام، ولا القعود؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُنُوهَا أَحَدًا﴾ [الإخلاص: ٤] ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث، والله تعالى يتقدس عن ذلك فإن قيل أليس قد قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] قلنا: بلى، قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة، لكن ننفي عنه أمانة الحدوث، وتقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار، ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان.

وقال أبو عثمان المغربي يوماً لخادمه محمد المحبوب: لو قال لك قائل: أين معبودك؟ ماذا كنت تقول له؟ فقال: أقول حيث لم يزل ولا يزول. قال: فإن قال: فأين كان في الأزل؟ ماذا تقول؟ فقال: أقول حيث هو الآن. يعني: إنه كما كان ولا مكان.

وقال أبو عثمان: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد وزال ذلك عن قلبي فكُتبت إلى أصحابنا: إني قد أسلمت جديداً.

وقد سئل الشبلي عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: الرحمن لم يزل ولا يزول، والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى.

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك؛ لأنه لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً، والله يتعالى عن جميع ذلك.

وقال بعض أهل التحقيق: (ألزم الكل الحدث، لأن القدم له، فهو سبحانه لا يظله فوق، ولا يقيه تحت، ولا يقابله حد، ولا يزاحمه [عداً]، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولا يظهره قبل، ولا يفنيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يوجد له كان، ولا يفقده ليس، باينهم مقدمه كما باينوه بحدوثهم. إن قلت متى: فقد سبق الوقت

كونه<sup>(١)</sup> وإن قلت: أين فقد تقدم المكان وجوده، فوجوده إثباته، ومعرفته توحيده (أن تميزه من خلقه ما تصور في الأوهام فهو بخلاف ذلك) كيف يحل به ما منه بدؤه. أو يتصف بما هو إنشائه، لا تمقله العيون، ولا تقابله الظنون، قربه كرامته، وبعده إهانتة، علوه من غير ترق، ومجيبته من غير تنقل، هو الأول، والآخر والظاهر، والباطن، والقريب البعيد، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الحوادث كلها مخلوقة لله تعالى، نفعها وضرها، إيمانها وكفرها، طاعتها، ومعصيتها.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦] وأيضاً فإن الله تعالى رد على الكفار لما ادعوا معه شركاء في الاختراع، فقال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُوا خَلْقَهُ قُلْ لِيُحْيِيَهُمُ اللَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَهُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ [الزمد: ١٦] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ وَالنَّحْيِ﴾ [يونس: ٢٢]، فأخبر تعالى أنه خالق لسيرنا؛ وهي الحركات والسكنات. وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] وقال النبي ﷺ: «الله خالق كل صانع وصنعتة». واجمعت الأمة على القول: بأن لا خالق إلا الله في الدارين، كما أجمعوا أن لا إله غيره.

### مسألة

ويجب أن يعلم أن الحوادث كلها تقع مرادة لله تعالى، وأنه لا يتصور أن يوجد في الدنيا والآخرة شيء لم يرده تعالى؛ من نفع، وضر، ورزق، وأجل، وطاعة، ومعصية، إلى غير ذلك من سائر الموجودات.

والدليل على ذلك: ما بيته من قبل، وأنه خالق لها، وإذا صح ذلك ترتب عليه أنه مرید لما خلق، قاصد إلى إبداع ما اخترع، ويدل على ذلك أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لَبِثَتْ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَضَلَّهُمْ يَجْعَلْ صَدْرَهُمْ صَدْرًا حَرَبًا كَأَنَّمَا يُصِغَرُ فِي السَّمَكِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْأَيْتِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

(١) أي وجوده (ز).



ومثال ذلك: أنه سبحانه وتعالى لم يزل راضياً عن سحرة فرعون، وإن كانوا في حال طاعة فرعون على الكفر والضلال، لكن لما آمنوا في المال؛ بأن تعالى لم يزل راضياً عنهم، وكذلك الصديق، والفاروق رضي الله عنهما لم يزل راضياً عنهما في حال عبادة الأصنام، لعلمه بمآل أمرهما وما يصير إليه من التوحيد ونصر الرسول والجهاد في سبيل الله تعالى.

وكذلك لم يزل ساخطاً على إبليس، ويلعم، ويرصيص، في حال عبادتهم؛ لعلمه بمآلهم وما يصير إليه حالهم.

وقد سئل الجنيد رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١] فقال: هم قوم سبقت لهم العناية في البداية، فظهرت لهم الولاية في النهاية.

## مألة

ويجب أن يعلم: أن العبد له كسب وليس مجبوراً<sup>(١)</sup> بل مكتسب لأفعاله؛ من طاعة ومعصية؛ لأنه تعالى قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] يعني من ثواب طاعة ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يعني من عقاب معصية. وقوله: ﴿يَمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الزُّمَر: ٤١] وقوله: ﴿وَمَا أَمْنَيْكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ يَمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ يَمَّا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِّن دَابْحَةٍ وَلَكِن بُوْجِرْتُمْ إِنَّ أَجَلَ تُسَمَّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَكُلَّ اللَّهُ كَانَ يِعْبَادُوهُ، بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

ويدل على صحة هذا أيضاً: أن العاقل منا يفرق بين تحرك يده جبراً وسائر بدنه عند وقوع الحمى به، أو الارتعاش، وبين أن يحرك هو عضواً من أعضائه قاصداً إلى ذلك باختياره، فأفعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى. فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق، وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق، وكما لا يقال لله تعالى إنه مكتسب، كذلك لا يقال للعبد إنه خالق.

(١) وبهذا يظهر أن كون العبد مجبوراً في أفعاله ليس من منفعب الأشعري وأول من نطق بعزو ذلك إليه هو الفخر الرازي، واهماً في التخريج، وادعاء، كونه مجبوراً من الخطورة بمكان (ز).

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن الاستطاعة للعبد تكون مع الفعل<sup>(١)</sup> لا يجوز تقديمها عليه ولا تأخيرها عنه، كعلم الخلق وإدراكهم، لا يجوز تقديم العلم على المعلوم، ولا الإدراك، على المنرك.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبًا لَا يَتَّخِذُونَ مَثَلًا﴾ [الكهف: ١٠١] يعني قبولاً عند الدعوة. يعني: أنه لم يكن لهم استطاعة عند مفارقة الدعوة، فيحصل معها القبول، وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي قِيَمًا مَّقْضِيَةً﴾ [إبراهيم: ٤٠] فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكان يقول: قد جعلتك مقيماً، ولم يكن لسؤاله معنى؛ لأنه سئل في شيء قد أعطيه وهو قادر عليه. وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لم يكن للسؤال فيها معنى، ولأن القدرة الحادثة لو تقدمت على الفعل لوجد الفعل بغير قدرة؛ لأنها عرض، والعرض لا يبقى، ولا يصح أن يوجد بعد الفعل. وأيضاً: لأنه يكون فاعلاً من غير قدرة، فلم يبق إلا أنها مع الفعل.

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن الرؤية جائزة عليه سبحانه وتعالى، من حيث العقل، مقطوع بها للمؤمنين في الآخرة؛ تشریفاً لهم وتفضلاً، لوعده الله تعالى لهم بذلك. والدليل على جوازها من حيث العقل: سؤال موسى عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبِّ أَوْفِنِي أَفْئِدَةً لِلَّهِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ويستحيل أن يسأل نبي من أنبياء الله تعالى

(١) ومنه ذلك: تجدد الأعراس، لكن دليل التجدد غير تام، ومنع أي حنيفة: تقدم الاستطاعة على الفعل؛ بمعنى سلامة الآلات الصالحة للفعل والترك، والمعتزلة مع أبي حنيفة في هذا، وحاول الفخر الجمع بين الرأيين: بأن القوة العضلية سابقة، والقدرة المستجمعة لشروط التأثير مع الفعل، فلا ينافي أحدهما الآخر في نظره، لأن مجرد القوة العضلية غير كاف في صدور الفعل ما لم يرده سبحانه اتفاقاً، وإرادته تعالى هي تركه العبد يرضي فيما اختاره، كما ذكره عبد القاهر البغدادي، فلا تكون في ذلك سمة جبر، ما دام فعل العبد مستنداً إلى اختياره نفسه، والقوة العضلية هي مدار التكليف، وهي صالحة للفعل والترك، والقدرة المستجمعة لشروط التأثير غير صالحة إلا لأحدهما، فيكون الوجوب في هذا من قبيل الضرورة بشرط المحمول، فلا يكون من الضرورة في شيء (ز).

مع جلالة قدره وعلو مكانه ما لا يجوز عليه سبحانه، ولولا أنه اعتقد جوازها لما سألمها، ولأنه تعالى علقها باستقرار الجبل، ومن الجائز استقرار الجبل، ويدل عليه أيضاً: أنه موجود، والموجود يصح أن يُرى.

وأما الدليل على ثبوتها من طريق الكتاب والسنة: قوله تعالى: ﴿يَحِثُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُمْ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] واللقاء إذا قرن بالتحية لا يقتضي إلا الرؤية. وأيضاً قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَسُنِّيْ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «الزيادة النظر إلى وجهه الكريم» وقد ذكر مرفوعاً عن رسول الله ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْتِيهِمْ نَافِئَةً ﴿١٧﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَافِئَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] والمراد بقوله «نافئة» أنها مشرقة، والمراد بقوله ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَافِئَةٌ﴾ أنها لربها رائية؛ لأن النظر إذا عدى بكلمة إلى اقتضى الرؤية نصاً، كقوله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى كَلَامِكَ وَحَرَابِكَ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: ١٧] وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله «وزيادة» قال: هي النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف. وأيضاً: فإن الصحابة لما سألوه ﷺ هل نرى ربنا؟ فقال ﷺ: «ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته». وروي «لا تضامون في رؤيته» وروي «لا يلحقكم ضرر ولا ضيم في رؤيته». ومعنى ذلك: أنه ﷺ شبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي؛ فكأنه ﷺ شبه الرؤية بالرؤية؛ وأن الرائي المعين للقمر ليلة البدر أربع عشرة لا يشك في أن الذي يراه قمر. فكذلك الناظر إليه سبحانه وتعالى في الجنة لا يشك أن الذي يراه سبحانه وتعالى بلا تكييف، ولا تشبيه، ولا تحديد، وهذا كما يقول القائل: أعرف صدقك كما أعرف النهار، ورأيت زيدا كما رأيت الشمس. ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ: «إن الله يتجلى للمخلوق عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة»<sup>(١)</sup>.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الطاعة ليست بعلة الثواب، ولا المعصية علة للعقاب، ولا يجب لأحد على الله تعالى، بل الثواب وما أنعم به على العبد فضل منه، والعقاب عدل منه. ويجب على العبد ما أوجبه الله تعالى عليه، ولا موجب ولا واجب على الله.

(١) لا يثبت، والمصنف كثيراً ما يورد أحاديث ضعيفة (ز).



والحسن ما وافق الأمر من الفعل، والقبیح ما وافق النهي من الفعل، وليس الحسن حسناً من قبل الصورة، ولا القبيح قبيحاً من قبل الصورة.

والدليل على الفصل الأول: أنه لا واجب عليه لأحد من الخليقة، وأن حقيقة الواجب ما استوجب من وجب عليه الذم بتركه، والرد تعالى عن الذم علواً كبيراً.

ويدل على صحة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضِيلَةٍ﴾ [الرؤم: ٤٥] فاعلم أن ذلك بفضل لا بالعمل. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النساء: ٨٣] وسئل النبي ﷺ «أيدخل أحد منا الجنة بعمله؟ فقال: لا. فقيل ولا أنت؟ فقال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، فقال له بعض الصحابة: فقيم العمل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وإنما وعد الله سبحانه بالشواب وأوعد بالعقاب، وقوله الحق ووعد الصدق، فنصب الطاعات أمانة على الفوز بالدرجات، والمعاصي أمانة على التردّي في الهلكات، وكل ذلك أمانة للخلق بعضهم على بعض، لا له سبحانه وتعالى؛ فإنه علم بالأشياء قبل كونها، كما قال بعضهم: «تفرد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون».

والدليل على الفصل الثاني: وهو: أن الحسن ما وافق الأمر، والقبیح ما خالف الأمر: أن لذة الجماع في الزوجة والأمة، صورتها في الفرج [الحلال] كصورتها في الفرج الحرام، إلا أن ذلك حسن في الملك بموافقة الشرع، قبيح في غير ذلك بمخالفة الشرع. وكذا القتل: وصورته في القصاص كهي في القتل من غير قصاص، إلا أن أحدهما حسن لمطابقة الشرع، والآخر قبيح بمخالفة الشرع. وكذا الأكل في آخر يوم من شهر رمضان، كصورة الأكل يوم الفطر، إلا أن أحدهما حسن لموافقة الشرع، والآخر قبيح لمخالفته، وكذلك بالعكس: إمساك يوم من شهر رمضان، كصورة الإمساك يوم الفطر، إلا أنه في أحدهما حسن للموافقة، وفي الآخر قبيح للمخالفة.

وجميع قواعد الشرع تدل على أن الحسن: ما حسنه الشرع وجوّزه وسوّغه. والقبیح: ما قبحه الشرع وحزّمه، ومنع منه، لا من حيث الصورة، فنفهم ذلك يخلصك من جميع ما يورده جهال القدرة من شبههم التي تضل عقول العوام. فإذا ثبت هذا وتقرر: جاء منه أن البارئ سبحانه وتعالى ليس فوقه أمر أمره، ولا ناهٍ نهاه؛ حتى تتصف أفعاله تارة بالحسن لموافقة الأمر، ولا بالقبیح لمخالفة الأمر، بل هو

المالك على الحقيقة، يتصرف في ملكه كيف يشاء، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن أرزاق العباد وجميع الحيوان من الله تعالى، فلا رازق إلا الله: حلالاً كان أم حراماً.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الزهد: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم: ٤٠]. وقد أجمع المسلمون على إطلاق القول «لا رازق إلا الله» كما أجمعوا على أنه «لا خالق إلا الله».

ويدل عليه أيضاً: أنه لو فرض نشوء صبي من حال كونه طفلاً إلى بلوغه بين اللصوص وقطاع الطريق وكان يتناول من طعامهم المسروق المنهوب، ثم من بعد إدراكه والبلوغ سلك مسلكتهم في السرقة والنهب والغارة إلى أن شاخ وهرم ولم يتناول لقمة من حلال قط، فلو قال قائل: إن هذا الشخص لم يرزقه الله رزقاً قط، ولا أكل له رزقاً، كان هذا القائل معانداً للنص الوارد، وخارقاً لإجماع المسلمين. فدلّت هذه الجملة: أن لا خالق إلا الله ولا رازق إلا هو.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وردّ الروح إلى الميت عند السؤال، ونصب الصراط، والميزان، والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين، كل ذلك حق وصدق، ويجب الإيمان والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل.

وكذلك يجب القطع بأن الجنة والنار مخلوقتان في وقتنا، وكذلك يجب القطع بأن نعيم أهل الجنة لا يتقطع، وأن عذاب جهنم مخلد للكفار، وإن من كان مؤمناً لا يخلد في النار.

والدليل على إثبات عذاب القبر: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]. قال أبو هريرة: يعني عذاب القبر. وإيضاً: قوله ﷺ:

«القبير إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». وقد قال تعالى: ﴿الْقَبْرِ بِمَرْضُوكَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، والغدو والعشي إنما يكون في الدنيا، وأيضاً ما روي عنه ﷺ أنه كان يقول: «أعوذ بالله من عذاب القبر».

والدليل على سؤال منكر ونكير قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] يعني وفي الآخرة عند سؤال منكر ونكير. وأيضاً: فإن النبي ﷺ لما دفن ابنه إبراهيم جلس عند رأس القبر، فتكلم بكلام، ثم قال: «ابني قل أبي»، وروي عنه أنه ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: «كيف بك يا عمر إذا جاءك فتانا القبر؟ فقال: أكون كما أنا الآن؟ فقال له: نعم. فقال له: إذا أكفياكهما». وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: رأيت أبي في النوم، فقلت له يا أبت؟ منكر ونكير حق؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، لقد جاءني فقالا لي: من ربك؟ فأخذت عليهما وقلت لهما: لا أخلي عنكما حتى تعرفاني من ربكما، فقال أحدهما للآخر: دعه فإنه عمر الفاروق سراج أهل الجنة.

وبدل على نصب الصراط: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكُرْهُ إِذًا وَارْتَعَابًا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١] قيل في التفسير: هو العبور على الصراط. وأيضاً قوله ﷺ: «ينصب الصراط على متن جهنم دحض مزلة والأنبياء يقولون: سلم. سلم. والناس يمرّون عليه، فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالجواد من الخيل. إلى آخره».

والدليل على نصب الميزان: قوله تعالى: ﴿وَنَعْبُ الْمَوَازِينِ الَّتِي نَقُطُّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله: ﴿فَلَا نُفِئُكُمْ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَبُّكَ﴾ [الكهف: ١٠٥] وأيضاً فإن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال لها: «أما عند مواطن ثلاثة فلا: الكتاب، والميزان، والصراط».

واعلم أن الموزون في الميزان هو صحائف الأعمال. وقيل في بعض الآثار: يشخص رجل يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيعرض عليه تسعة وتسعون سجلاً مملوءة سينات، فيقال له احضر وزنك، قيل: فيوضع في كفة قال: فيحار العبد، فيقال له: هل تعلم لك خبيثة أو حسنة؟ قال: فيدهش، فيقول: يا رب لا أعلم شيئاً. فيقول تعالى: بل لك عندي خبيثة، فيخرج له بقدر الإصبع، فيقول: ما تعني هذه في جنب هذه السجلات، فإذا فيها «لا إله إلا الله». اللهم ثبتنا عليها بحولك وقوتك.

والدليل على الحوض: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَافِرِ ۗ﴾ [الكوثر: ١] قيل في التفسير: هو الحوض. وأيضاً قوله ﷺ: «حوضي كما بين أئمة إلى مكة، له ميزابان من الجنة أكاويبه<sup>(١)</sup> كعدد نجوم السماء، شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من كذب به اليوم لم يصبه الشرب يومئذ».

والدليل على ثبوت الشفاعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] يدل على ثبوت الشفاعة لمن أراد سبحانه وتعالى، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿هَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وأيضاً قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وأيضاً: قوله ﷺ: «خيرت بين أن يدخل شطر أمي [الجنة] وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفا، أترونها للمؤمنين المتقين، لا، ولكنها للمؤمنين الخاطئين» وأيضاً: قوله ﷺ: «يقال للعباد يوم القيامة ادخل الجنة، ويقال للعالم قف أنت فاشفع لمن شئت».

والدليل على أن الجنة والنار مخلوقتان: قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] والمعد لا يكون إلا موجوداً مهيباً. وأيضاً قوله: ﴿إِنَّا أُنزَلْنَا بِهِم بِالْكَافِرِينَ تَرَائِفًا﴾ [الكهف: ١٠٢] إلى غير ذلك من الآيات. وأيضاً: قوله ﷺ: «عرضت علي ليلة الإسراء الجنة والنار» إلى غير ذلك من الأخبار.

والدليل على تخليد النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار: قوله تعالى في أهل الجنة: ﴿سَلَامٌ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨] والآي في ذلك كثير، وأيضاً قوله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش فيوقف بين الجنة والنار، فينظرون إليه فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم، هذا الموت، فيذبح، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة: خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».

والدليل على أنه لا يخلد في النار أحد من المؤمنين بذنب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا حَتَّىٰ أَنْتَهُبَهُمْ لَا تَقْتُلُوا بَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] وأيضاً: قوله ﷺ: «لا يبقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان» فإن الكفار لا ينفعهم إحسان مع الكفر، ولا يخرجون من النار، وكذلك الموحد: لا

(١) جمع الجمع لاكواب، هكذا في بعض الروايات، وفي بعضها أكوابه. وفي بعضها: آتية (ز).

تضره سبته مع إثبات التوحيد، ولا يخلد في النار. قيل: وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اني أطعك في أحب الأشياء إليك - وهو التوحيد، وقول لا إله إلا الله - ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك - وهو الشرك - فاغفر لي ما بين ذلك.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الإيمان على ضربين: إيمان قديم، وإيمان محدث، فالقديم إيمان الحق سبحانه وتعالى؛ لأنه سُمي نفسه مؤمناً، فقال: ﴿أَلَسْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُهَيَّبِينَ﴾ [الحشر: ٢٣] وإيمانه سبحانه وتعالى تصديقه لنفسه، لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] وكذلك تصديقه لأنبيائه بكلامه، وكلامه قديم، صفة من صفات ذاته.

والإيمان المحدث: إيمان الخلق؛ لأن الله تعالى خلقه في قلوبهم، بدليل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَرَكِبَ اللَّهُ حَبَّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَزَقْنَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧] ولأن إيمان العبد صفة للعبد، وصفة المخلوق مخلوقة، كما أن صفة الخالق قديمة، أعني صفة ذاته، وأيضاً: فإن حد القديم هو: الذي لا حد لوجوده، ولا آخر لدوامه، وحد المحدث: ما لم يكن ثم كان، فكما لم يجوز أن تكون صفة القديم محدثة، فكذلك لا تكون صفة المحدث قديمة، وكيف تكون صفة المحدث قديمة، وهي عرض لا يستقل إلا بحامل، ولا يمكن قيامها بنفسها، لأنه يستحيل وجود حركة من غير متحرك. وسكون من غير ساكن، وعلم من غير عالم. وسواد من غير أسود إلى غير ذلك من صفات المحدثين.

واعلم أن حقيقة الإيمان هو: التصديق. والدليل عليه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي بمصدق لنا وأيضاً: أن الرسول عليه السلام لما أخبر عن كلام البقرة والذئب، فقال: «أنا أومن به وأبو بكر وعمر» يريد أصدق. أيضاً: قول أهل اللغة: فلان يؤمن بالبعث والجنة والنار؛ أي يصدق به. وفلان لا يؤمن بعذاب الآخرة، أي لا يصدق به.

واعلم: أن محل التصديق القلب، وهو: أن يصدق القلب بأن الله إله واحد، وأن الرسول حق، وأن جميع ما جاء به الرسول حق، وما يوجد من اللسان وهو الإقرار وما يوجد من الجوارح وهو العمل، فإنما ذلك عبارة عما في القلب، ودليل

عليه. ويجوز أن يسمى إيماناً حقيقة على وجه، ومجازاً على وجه: ومعنى ذلك: أن العبد إذا صدق قلبه بما قلنا وأقر بلسانه، وعملت جوارحه فهو المؤمن الحقيقي عند الله وعندنا. وأما من كذب بقلبه وأقر بالوحدانية بلسانه وعمل الطاعات بجوارحه فهذا ليس بمؤمن حقيقة، وإنما هو مؤمن مجازاً، لأن ذلك يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا، لأنه مؤمن من حيث الظاهر، وهو عند الله غير مؤمن.

والدليل على صحة ذلك: قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّثُونَ قَالُوا تَسْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُ عَلِيمٌ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَتَسَدَّدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّثِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المساقفون: ١] فأخبر سبحانه بكذبهم، ونحن نعلم وكل عاقل أنه ما كذب إقرار استهم، وإنما كذب قلوبهم، حيث أبطنوا خلاف ما أظهروا، لأن الأخرس المصدق بقلبه إيمانه صحيح، وإن كان لا يقدر على النطق والإقرار بلسانه، وكذلك بالعكس من هذا، فإن المؤمن المصدق بقلبه مؤمن عند الله تعالى، وإن نطق بالكفر. يدل ذلك على صحة ذلك: قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] فأخبر أن نطق اللسان بالإيمان لا ينفع مع إصرار القلب على الكفر، وإقرار اللسان بالكفر لا يضر مع تصديق القلب.

واعلم: أننا لا ننكر أن نطلق القول بأن الإيمان عقد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وعلى ما جاء في الأثر<sup>(١)</sup> لأنه ﷺ إنما أراد بذلك أن يخبر عن حقيقة الإيمان الذي ينفع في الدنيا والآخرة، لأن من أقر بلسانه، وصدق بقلبه، وعمل بأركانه حكمنا له بالإيمان وأحكامه في الدنيا من غير توقف ولا شرط، وحكمنا له أيضاً بالثواب في الآخرة وحسن المنقلب، من حيث شاهد الحال، وقطعنا له بذلك في الآخرة، بشرط أن يكون في معلوم الله تعالى أنه يحبه على ذلك، ويميته عليه. ولو أقر بلسانه، وعمل بأركانه، ولم يصدق بقلبه، نفعه ذلك في أحكام الدنيا ولم ينفعه في الآخرة، وقد بين ذلك ﷺ حيث قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان في قلبه» وإذا تأملت هذا التحقيق وتدبرته وجدت بحمد الله تعالى. ومنه: أن الكتاب والسنة ليس فيهما اضطراب ولا اختلاف، وإنما الاضطراب، والاختلاف، والاختلاف في فهم من سمع ذلك، وليس له فهم صحيح، نعوذ بالله من ذلك.

وكذلك أيضاً: لا ننكر أن نطلق أن الإيمان يزيد وينقص. كما جاء في الكتاب والسنة؛ لكن النقصان والزيادة يرجع في الإيمان إلى أحد أمرين: إما أن يكون ذلك

(١) لم يصح مرفوعاً، وفي صحيح مسلم الإيمان أن تؤمن بالله الحديث... (ز).

راجعاً إلى القول والعمل، دون التصديق؛ لأن ذلك يتصور فيهما مع بقاء الإيمان، فأما التصديق فمتى انخرم منه أدنى شيء بطل الإيمان. وبيان ذلك: أن المصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام إذا ترك صلاة أو صياماً أو زكاة أو قراءة في موضع تجب فيه القراءة، أو غير ذلك من الواجبات لا يوصف بالكفر بمجرد الترك مع كمال التصديق وثباته عليه. وبالعكس من ذلك لو فعل جميع الطاعات. وأقر بجميع الواجبات، وصدق بجميع ما جاء به الرسول إلا تحريم الخمر أو نكاح الأم، ولم يفعل واحداً منهما، فإنه يوصف بالكفر، وانسلخ من الإيمان، ولا ينفع جميع ذلك مع انخرام تصديقه في هذا المحكم الواحد، فيجوز نقص الإيمان وزيادته من طريق الأقوال والأفعال، ولا يجوز من طريق التصديق، وقد بين ذلك ﷺ بقوله: «لا يكمل إيمان العبد حتى يحب لأخيه المسلم الخير» وكذلك قوله «حتى يأمن جاره بوائقه» وأراد بذلك الكف عن الأذى، ولم يرد التصديق، لأنه لو استحله أذاه لم يكن له إيمان لا زائد ولا ناقص. فافهم ذلك.

**والأمر الثاني:** في جواز إطلاق الزيادة والنقصان على الإيمان، يتصور أيضاً أن يكون من **حديث صحيح** الحكم لا من حيث الصورة، فيكون ذلك أيضاً في الجميع من التصديق والإقرار والعمل، ويكون المراد بذلك في الزيادة والنقصان راجعاً إلى الجزاء والثواب، والمدح والثناء، دون نقص وزيادة في تصديق، من حيث الصورة. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي يَنْكُرَ مَنْ أُنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكَ أَظْلَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ لَهُمُ النَّارَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحديد: ١٠] ولم يرد أن تصديق من آمن قبل الفتح يزيد على تصديق من آمن بعد الفتح؛ لأن كل واحد منهما من حيث الصورة مصدق بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام، لكن تصديق أولئك أكمل في الحكم والثواب، والدرجة، لأن هذا يصدق بشيء لا يصدق به الآخر.

وأما السنة: فقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» ومعلوم أن إنفاق مثل أحد ذهباً ما أنفقه أحد من الصحابة، لكن إيمانهم ونفقتهم في الحكم والثواب، والجزاء، والدرجة أزيد وأكمل من نفقة غيرهم، [فهو] وإن كانت في الصورة أكثر، لكنها أنقص من حيث الحكم، لا من حيث العين، فاعلم حكم ذلك وتحققه، ووازن هذا من أفعالنا اليوم، وأنها تنصف بالزيادة من حيث الحكم دون العين. أن من صلى صلاة الظهر في بلد من البلاد غير

مكة والمدينة، وأتى بجميع شرائطها، وآخر صلى بمكة والمدينة على الوجه الذي صلى عليه الآخر، لا يقال: إن أحد الصلاتين أزيد من الأخرى من طريق الصورة والعين، ولكن أحدهما أزيد من طريق الحكم؛ في تحصيل الفضل والثواب، ولهذا نظائر يطول تعدادها، وقد تكون الزيادة بكثرة دلائل التصديق لا في التصديق.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً، لأن معنى الإسلام الانقياد، ومعنى الإيمان التصديق، ويستحيل أن يكون مصدق غير منقاد، ولا يستحيل أن يكون منقاد غير مصدق؛ وهذا كما يقال: كل نبي صالح، وليس كل صالح نبياً.

ويدل على صحة هذه الجملة قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَمِ تُوِّبُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] فنفي عنهم الإيمان وأثبت أن ذلك منهم إسلام لا إيمان. وأيضاً: قوله تعالى: ﴿يَسْتَوُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسَلُوا قُلٌّ لَا تُسْأَلُونَ عَنْهُ إِسْلَمْتُمْ بِي اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧] فغاير بين الإسلام والإيمان.

ويدل على صحة هذا القول أيضاً أن الرسول عليه السلام فرق هو وجبريل بين الإسلام والإيمان حين سأله، فقال له ما الإيمان؟ فقال له ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره» فقال جبريل عليه السلام: صدقت. والمراد بجميع ذلك أن: تصدق بالله ورسوله، إلى آخر ما ذكر، ثم قال له: فما الإسلام؟ فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت وتتغسل من الجنابة» وهذا واضح في كونهما غيرين، وأن محل الإيمان القلب، وهو التصديق، ومحل الإسلام الجوارح، وهذا الحديث يقوي لك جميع ما ذكرت لك. وأن التصديق متى اختلف منه شيء انخرم الإيمان، والقول والعمل يزيد وينقص، ولا ينخرم الإيمان مع التصديق بجميع ما جاء به الرسل عليهم السلام، فعلى ما قررت لك لا يجوز أن نطلق. فنقول: إيمان أحدنا كإيمان جبريل، ولا كإيمان محمد ﷺ، ولا كإيمان الصديق رضي الله عنه<sup>(١)</sup>، بل نمنع من ذلك، ونريد به أن إيمان هؤلاء أفضل وأكمل

(١) ومن يجعلهم سواسية في الإيمان، يريد تساويهم في الاعتقاد الجازم لفظ (ز).



وأرفع، من طريق الحكم الذي بينت لك، ومن طريق آخر، وهو أنه قد بان لهؤلاء من دلائل الرشدانية أكثر مما بان لنا، فلا نطلق التسوية بين إيمانهم وإيماننا، ولا نريد بذلك أنا نصدق بعض ما جاء به الرسل عليهم السلام والصديق يصدق بالجميع، بل لا يصح لأحد إيمان حتى يصدق بالجميع، لكن إيمان الصديق أكمل وأفضل من الوجوه التي بينت لك.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أنه لا يجوز أن يقول العبد «أنا مؤمن حقاً» ويعني به في الحال، ويجوز أن يقول «أنا مؤمن إن شاء الله» ويعني به في المستقبل. فأما في الماضي وفي الحال فلا يجوز أن يقول «إن شاء الله» لأن ذلك يكون شكاً في الإيمان، ولأن الاستثناء إنما يصح في المستقبل، ولا يصح في الماضي، وقد بين ذلك سبحانه وتعالى في قوله لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايئِهِ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۗ ﴿٢٣﴾﴾ [آل أن يشاء الله] [الكهف: ٢٣، ٢٤] وكذلك قال ﷺ: «إننا غداً إن شاء الله نازلون بخفيف بني كنانة» ولأن المشيئة لله تعالى سابقة لكل موجود، فلولا المشيئة لما وجد الموجود، فكما لا يجوز أن يستثنى في الحال فلا يجوز أن يقطع في المستقبل. فاعلم ذلك وتحققه.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن الاسم هو المسمى بعينه وذاته، والتسمية الدالة عليه تسمى اسماً على سبيل المجاز.

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ أَنتم رَبَّكُمُ﴾ [الرحمن: ٧٨] ومعناه: تبارك ربك، وأيضاً قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ أَنتم رَبَّكُمُ﴾ [الأعلى: ١] ولا يشك عاقل أن المصحح هو الله تعالى، لا قول من يقول التسبيح، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاءُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الْبَينُ الْقَينُمُ وَلَكِن كَفَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] وقد علمنا أنهم ما كانوا يعبدون الأقوال والتسميات، وإنما كانوا يعبدون الأصنام. فأما قوله تعالى: ﴿رَبِّهِ الْأَسْمَاءُ الْكُتُوبُ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، فالعدد في ذلك راجع إلى التسميات التي هي عبارات الاسم، فالتسمية تدل على الذات حسب دلالة الكتابة على المكتوب، فمن لا يميز

بين الاسم والتسمية وبين الكتابة والمكتوب وما جرى هذا المجرى فلا يحل الله له أن يفتي في دين الله تعالى، نعوذ بالله من الجهل بالله تعالى وصفاته.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أنه يجوز لله تعالى إرسال الرسل وبعث الأنبياء، خلافاً لما تدعيه البراهمة.

والدليل عليه أيضاً: أنه مالك الملك يفعل ما يشاء، مع ما سبق من أنه ليس في إرسال الرسل استحالة، ولا خروج عن حقائق العقول، فدل على جواز ذلك.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات، وهي أفعال الله تعالى المخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء، وتحديدهم للامم بالإتيان بمثل ذلك.

يبين لك ذلك: أن موسى عليه السلام جاء في زمان سحرة وسحر، فتحداهم بقلب العصا حية، فعلم المحققون منهم في السحر، أن ذلك خارج عن قبيل السحر؛ لعجزهم عن ذلك، وخرقه لعادة السحر، فسارعوا إلى الإيمان، وهذا يدل على فضل العلم من أي نوع كان: فإنه أول من سارع إلى الإيمان السحرة، لعلمهم بالسحر، فكان في علمهم ذلك - وإن كان باطلاً - فضل كبير على غيرهم من قومهم ممن لا يعلم السحر.

وكذلك عيسى عليه السلام: جاء في زمان قوم طب ومداواة، فأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، فأتى بما هو خارج عن قبيل الطب. خارقاً للعادة فيه، لا يقدر عليه مخلوق.

وكذلك: نبينا ﷺ، جاء في وقت فصاحة وشعر وخطب ونظم ونثر، فأناهم بما هو خارج عن عاداتهم في النظم والنثر، وهو أفصح وأجزل وأوجز، وتحدهم بالإتيان بمثله، فوجدوا ذلك خارجاً عن نظمهم ونثرهم وخارقاً لعاداتهم، فعجزوا عنه فسارع من هداه الله إلى الإيمان به، والله الحمد والمآة، على الهداية والتوفيق.

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن نبينا محمداً ﷺ مبعوث إلى كافة الخلق، وأن شرعه لا ينسخ، بل هو ناسخ لجميع من خالفه من الملل.

والدليل على ذلك: ثبوت نبوته، وصدق مقاله، وقد أخبر بجميع ذلك.

واعلم أن أكبر معجزاته القرآن العربي، وفيه وجوه من الإعجاز:

أحدها: ما اختص به من الجزالة، والنظم والفصاحة الخارجة عن أساليب الكلام، وتحدى به فصحاء العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فمجزوا عن الإتيان بمثله، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، ولم يأت لهم ذلك في مدة ثلاث وعشرين سنة.

ومن وجوه الإعجاز في القرآن: اشتماله على قصص الأولين، وما كان من أخبار الماضين، مع القطع بأنه ﷺ كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ، ولم يعهد منه ﷺ في جميع زمانه تعاطي لدراسة كتب ولا تعلمها، وقد نفى عنه سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ. مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْتَفُؤْ بِرِسَالَةٍ إِذَا لَأَرْنَابَ الْمُبْتَلُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [التكوير: ٤٨].

ومن وجوه الإعجاز: [أن] اشتمال القرآن على [ما لا يحصى من] علم غيوب متعلقة بالمستقبل ظاهر جلي، مثل قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلشَّاقِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقوله تعالى: ﴿لَتَنذَرْنَكَ السَّيِّدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] ومثل قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَحْمَدَ أَنَا وَرَسُولِي﴾ [المجادلة: ٢١] إلى غير ذلك، من وجوه الإعجاز في القرآن كثير جداً.

وله ﷺ آيات ومعجزات سوى القرآن: كانشقاق القمر، واستئصال المطر، وإزالة الضرر من الأمراض، ونبع الماء من بين أصابعه، وتسييح الحصى في يده، ونطق البهائم، إلى غير ذلك من المعجزات والآيات الخارقة للعادة - ﷺ - رزقنا الله شفاعته، وحشرنا في زمرة.

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن نبوات الأنبياء صلوات الله عليهم لا تبطل، ولا تنخرم، بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة، بل حكمهم في حال خروجهم من الدنيا كحكمهم في حالة نومهم، وحالة اشتغالهم، إما بأكل أو شرب، أو قضاء وطر. والدليل عليه: أن حقيقة النبوة: لو كانت ثابتة لهم في حالة اشتغالهم بأداء الرسالة دون غيرها من الحالات، لكانوا في غيرها من الأحوال غير موصوفين بذلك.

وقد غلط من نسب [إلى مذهب] المحققين من الموحددين إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا. وليس ذلك بصحيح، لأن مذهب المحققين: أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة، وإنما صار رسولاً واستحق شرف الرسالة والنبوة بقول مرسله: وهو الله تعالى: أنت رسولي ونبوي. وقول الله تعالى قديم لا يزول ولا يتغير.

والدليل على صحة هذا أيضاً: أنه ﷺ سئل، فقيل له: متى كنت نبياً؟ فقال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فحاصل الجواب في هذا: أن شرف النبوة وكمال المنصب ثابت للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين الآن، حسب ما كان ثابتاً لهم في حال الحياة، لم ينلهم ولم ينتقص، سواء نسخت شرائعهم أو لم تنسخ، ومن راجع نفسه ولم يخالف حسه عرف وتحقق أن النبي ﷺ الآن لم يخاطب شفاهاً، ولا يأمرهم ولا يكلمهم من غير واسطة، لكن حكم شريعته وصحة نبوته ثابت لم ينتقص، لأجل خروجه من الدنيا، ولم تنزل مرتبته، ولا انخرمت رسالته، ولا بطلت معجزته فاعلم ذلك وتحققه.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومقدم خلق الله أجمعين، من الأنصار والمهاجرين، بعد الأنبياء والمرسلين: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لقوله تعالى: ﴿تَأْتِيكَ أَنتَ فِي هَٰذَا فِي الْكَافِرِينَ﴾ [الثورة: ٤٠] ولا أفضل من اثنين ثالثهما الله تعالى لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ مِن بَعْدِ فَوَقَّيْنَا اللَّهُ يَقُولُ هُوَ حُرِّمٌ عَلَيْكُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وهو الصديق وأصحابه، لما قاتل أهل الردة، ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] قيل في أصح التفاسير: الذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وصدق أبو بكر الصديق؛ يؤكد صحة هذا التفسير قوله ﷺ: «قال الناس لي كذبت، وقال أبو بكر صدقت» ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي يَنْكُرُ مَنْ أَفْتَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَتَطْمَئِنُّنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَأَقْتَتَلُوا وَمَا يَكْفُرُونَ إِلَّا فِي سَفَاهٍ﴾ [الحديد: ١٠] والصدق رضي الله عنه أول من أنفق على رسول الله ﷺ، يؤكد هذا قوله ﷺ: «إن آمن الناس علي في نفس ومال أبو بكر الصديق، ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر».

ويدل عليه قوله ﷺ لأبي الدرداء «أتمشي أمام من هو خير منك، والله ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر،

وليس في السماء ولا في الأرض بعد النبيين أو المرسلين خير من أبي بكر. وكان رضي الله عنه مفروض الطاعة، لإجماع المسلمين على طاعته وإمامته، وانقيادهم له، حتى قال أمير المؤمنين علي عليه السلام مجيباً لقوله رضي الله عنه لما قال: أقيوني، فليست بخيركم. فقال: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله ﷺ لدينا ألا نرضاك لدنيانا. يعني بذلك حين قدمه للإمامة في الصلاة مع حضوره، واستنابته في إمارة الحج فأمرك علينا. وكان رضي الله عنه أفضل الأمة، وأرجحهم إيماناً، وأكملهم فهماً، وأوفرهم علماً، وأكثرهم حِلماً، وبه نطق قوله ﷺ: «ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان أبي بكر على إيمان أهل الأرض».

ثم من بعده على هذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، لاستخلافه إياه، وقد ورد في فضائله رضي الله عنه من الأحاديث ما لا يحصى، ومن جملة ذلك: قوله ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر، إن الله ربط الحق بلسان عمر وقلبه» وأيضاً: قوله ﷺ: «كادت أنفاس عمر تسبق الوحي» لأنه كلمه في أسارى بدر، وأن تضرب أعناقهم، فنزل قوله تعالى: «مَا كُنَّا لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ بِدْرٍ، وَأَنْ تَضْرِبَ رِءُوسَ عَصَىٰ الذِّينَارِ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْأُخْرَىٰ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾» [الأنفال: ٦٧] فقال: «لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر» حين نزل قوله تعالى: «لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ مَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾» [الأنفال: ٦٨] وقال: لو حجبت نساءك فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب وقال: «صَوَّىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ» [التخريم: ٥] فنزلت الآية في ذلك، وفضله أكثر من أن يحصى.

وبعد: أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، لإجماع المسلمين أنه من جملة الستة الذين نص عمر عليهم. وقد قال ﷺ: «إن عثمان أخي ورفيقي في الجنة» وقال ﷺ: «لو كان لنا ثالثة زوجناكها يا عثمان» وقال ﷺ: «دعوت الله تعالى أن يرفع الحساب عن عثمان ففعل» وقال ﷺ: «من يزيد في المسجد أضمن له الجنة؟» فزاد فيه عثمان وقال: «من يشري رومة أضمن له الجنة» فاشترها عثمان وجعلها للمسلمين. وقال: «من يجهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان: تسعمائة وخمسين بعيراً، وأتمها ألفاً بخمسين فرساً.

وبعد أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وقد ورد عن النبي ﷺ في فضائله أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: «اللهم أدر الحق مع علي حيث ما دار» وقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وقال ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فأعطاهما لعلي عليه السلام.



قَالَ زَلَّ النَّكِيئَةُ عَلَيْهِمْ وَأَنْدَبَهُمْ فَتَمَّ قَرِيْبًا ﴿١٨﴾ [الفصح: ١٨] وقوله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران [على] اجتهاده فما ظنك باجتهد من رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ويدل على صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن عليه السلام: «إن ابني سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فأثبت العظم لكل واحدة من الطائفتين، وحكم لهم بصحة الإسلام. وأيضاً قوله ﷺ: «يكون بين أصحابي هنأت ونزغات يكفرها الله تعالى لهم ويشقى فيها من شقى». وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْتَصِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

### مسألة

ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عن الجميع وأرضاهم، ونقر بفضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهم، وأنهن أمهات المؤمنين، كما وصفهن الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع: خيراً، ونبذع، ونضلل، ونفسق من طعن فيهن أو في واحدة منهن، لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم، فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة نعوذ بالله من ذلك.

### مسألة

ويجب الكف عن ذكر ما شجر بينهم، والسكوت عنه، لقوله ﷺ: «إياكم وما شجر بين أصحابي» وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له: ما تقول فيما شجر بين الصدر الأول؟ فقال: أقول كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ لَنَا وَلَا إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِسْمِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] وسئل عن ذلك جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: أقول ما قال الله: ﴿عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَحِضُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]. وسئل بعضهم عن ذلك فقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلَوْنَ عَنْهَا كَانُوا يَمَلُونُ﴾ [البقرة: ١٣٤]. وسئل عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال: «تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أظهر منها لساني؟ مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها».

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن الإمامة لا تصلح إلا لمن تجتمع فيه شرائط.

منها: أن يكون قرشياً؛ لقوله عليه السلام: «الأئمة من قریش».

والثاني: أن يكون مجتهداً من أهل الفتوى؛ لأن القاضي الذي يكون من قبله يفتر إلى ذلك، فالإمام أولى.

والثالث: أن يكون ذا نجدة وكفاية وتهد لسياسة الأمور، ويكون حراً ورعاً في دينه. وهذه الشرائط كانت موجودة في خلفاء رسول الله ﷺ. وقال عليه السلام: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً» وكانت أيام الخلفاء الأربعة هذا القدر، وفقنا الله للصواب، وعصمنا من الخطأ والزلل بمئه ورحمته.

\*\*\*

## فصل

اعلموا رحمنا الله وإياكم: أن أهل البدع والضلال من الخوارج، والروافض والمعتزلة قد اجتهدوا أن يدخلوا على أهل السنة والجماعة شيئاً من بدعهم وضلالهم فلم يقدروا على ذلك، لذبح أهل العلم ودفع الباطل، حتى ظفروا بقوم في آخر الوقت ممن تصدى للعلم ولا علم له ولا فهم، ويستنكف ويتكبر أن يفهم وأن يتعلم؛ لأنه قد صار متصديراً معلماً بزعمه، فيرى بجهله أن عليه في ذلك عاراً وفضاضة، وكان ذلك منه سبباً إلى ضلاله وضلال جماعته من الأمة.

واعلم: أن أخيب من ذكرنا من المبتدعة، وأكثرهم شبيهاً وأعظمهم استجلاباً لقلوب العوام: المعتزلة، فجعلوا يتطلبون أن يضلوا من ذكرنا في مسألة القدر، فلم يقدروا، وكذلك في مسألة الرؤية، فلم يقدروا، وكذلك في مسألة الشفاعة والصراف والميزان، وعذاب القبر، وجميع ما أنكروه مما صحت فيه الآثار فلم يقدروا عليهم في شيء من ذلك، ولم يظفروا به، فجاؤوا إلى مسألة القرآن وعقدتهم فيه أنه مخلوق محدث موصوف بصفات المخلوقين، فما قدروا أن يصرحوا بكونه مخلوقاً، فما زالوا يحسنوا لهم أموراً حتى قالوا: بأن القرآن يتصف بصفات الخلق، وذلك أكبر عمدة لهم في كونه مخلوقاً، فرضوا منهم بأن يقولوا بخلق القرآن معنى وإن لم يصرحوا به نطقاً. وكان أكبر غرض هؤلاء الجهلة ممن يتصدى للعلم وليس من أهل ذلك، أن ينفروا العوام من أهل التحقيق والذين يعرفون مغزاهم في ذلك، حتى لا يسمع



كلامهم ولا يتعلم منهم حتى ينقضوا شيئاً فشيئاً ويتم لهم ما أرادوا في الجهال والعوام.

وأنا بحمد الله وعونه وحسن توفيقه أبين لك ذلك مسألة مسألة، وأذكر لك شبههم في كل مسألة، وهي أربع مسائل: مسألة القرآن وهي أهمها: (والثانية) مسألة القدر والجرح والتعديل (والثالثة) مسألة الرؤية (والرابعة) مسألة الشفاعة.

### مسألة

اعلم: أن الله تعالى متكلم، له كلام عند أهل السنة والجماعة، وأن كلامه قديم وليس بمخلوق، ولا مجعول، ولا محدث، بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته، كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذلك من صفات الذات. ولا يجوز أن يقال كلام الله عبارة ولا حكاية، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق، ولا يجوز أن يقول أحد لفظي بالقرآن مخلوق، ولا غير مخلوق، ولا أنني أتكلم بكلام الله، هذه جملة أنا أفضلها واحداً واحداً إن شاء الله تعالى.

### مسألة

فأما الدليل على كون كلام الله قديماً غير مخلوق، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَلْحِقُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فصل بين الخلق والأمر، فدل على أن الأمر غير مخلوق لأن كلامه أمر ونهي وخبر. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤] ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [التحل: ٤٠] ولو أن كلامه مخلوق لاحتاج في خلقه إلى قول يقول به «كن» واحتاج القول إلى قول ثالث، والثالث إلى رابع، إلى ما لا نهاية له، وهذا محال باطل، فثبت أن القول الذي تكون به الأشياء المخلوقة غير مخلوق، وهو كلامه القديم.

ويدل عليه من السنة: قوله ﷺ: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه». فلما كان فضل الله على خلقه بقدومه ودوامه؛ لأنه غير مخلوق وهم مخلوقون، فكذلك القول في كلامه، فوجب أن يكون غير مخلوق، وكلامهم مخلوقاً.

ويدل عليه أيضاً: أن أبا الدرداء لما سأل رسول الله ﷺ عن القرآن فقال: «كلام الله غير مخلوق».

يدل عليه أيضاً: إجماع الصحابة، وهو أن علياً عليه السلام لما أنكر عليه التحكم وكفر الخوارج فقال بحضرة الصحابة: والله ما حكمت مخلوقاً، وإنما حكمت القرآن. ولم ينكر ذلك منكر، فدل على أنه إجماع، ولأنه لو كان مخلوقاً: لم يخل أن يكون خلقه في نفسه أو في غيره أو في غير شيء، ولا يجوز أن يكون مخلوقاً في نفسه لأن ذاته لا تقوم بها المخلوقات والحوادث يتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ولا يجوز أن يكون خلقه في غيره، لأنه لو كان خلقه في غيره لكان ذلك الغير لهاً، أمراً، ناهياً قائلاً: ﴿يَتَوَسَّخِ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الثمل: ٩] وهذا محال باطل، ولا يجوز أن يكون خلقه في غير شيء، لأنه يؤدي إلى وجود كلام من غير متكلم وهذا محال. فإذا ثبت بطلان هذه الثلاثة الأقسام لم يبق إلا أنه مخلوق، بل هو صفة من صفات ذاته، قديم بقدمه، موجود بوجوده، موصوف به، فيما لم يزل وفيما لا يزال. ولا يجوز أن يباينه، ولا يزايله، ولا يحل في مخلوق، ولا يتصف بالحوال رأساً، فاعلم ذلك وتحققه.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزهد: ١٦] وربما قرر عليك هذا السؤال والدليل، كما قرره بشر المريسي على عبد العزيز المكي وهو: أنه قال له: أتقول إن القرآن شيء أو ليس بشيء؟ فقال: بل هو شيء فقال: يا أمير المؤمنين سلم أن القرآن مخلوق، لأن الله تعالى قال: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزهد: ١٦].

والجواب أن يقال: في أول [الأمر أي] شيء أردت بقولك إنه شيء [فإن أردت] أنه موجود ثابت فنعم، وإن أردت بقولك إنه شيء كالأشياء من حيث خروجه من العدم إلى الوجود كالأشياء الموجودة بعد العدم فلا نقول ذلك.

والموجود الثابت لا يدل على أنه مخلوق محدث، فإن الله موجود ثابت دائم الوجود ليس بمخلوق. وأما الجواب على جملة ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فالمراد به الخصوص دون العموم فإنه<sup>(١)</sup> بعضه [قطعاً] وأنه [غير] داخل في ذلك كما سمي نفسه، فقال: ﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢] ثم قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ولا تدخل نفسه في ذلك، وإنما المراد به كل نفس منقوسة مخلوقة كذلك قوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزهد: ١٦] يعني مما يصح فيه الخلق والحدث، وصفات ذاته قديمة بقدمه وموجودة بوجوده، فلم تدخل في ذلك. ومثل هذا في

(١) أي فإن المراد بعض الشيء (ز).

القرآن كثير، فإن الله تعالى قال فيما أخبر به عن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْتًا مَنِطِقًا أَلْفَيْهِ وَأُوتِيَتَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦] ولم يأتيا سماء ولا أرضاً، ولا شمساً ولا قمرأً ولا جنة، ولا ناراً، ولا ملائكة، ولا عرشاً، ولا غير ذلك، وإنما أراد أوتينا من كل شيء ينبغي لمثلنا. وكذلك قوله في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ غَنَابٍ﴾ [النمل: ٢٣] ومعلوم أنها لم توت النبوة، ولا تسخير طير، إلى غير ذلك؛ إنما أراد به الخصوص دون العموم، لأنها ما دمرت هودأ، ولا السماء، ولا الملائكة، ولا الجبال، إلى غير ذلك.

قال الشريف الأجل جمال الإسلام: ووقع لي جواب أخصر من هذا وأجود إن شاء الله وهو: أن يقول: الآية حجة عليكم، وأن القرآن ليس بمخلوق، وذلك أنه سبحانه وتعالى أفرد الخالق من المخلوق، فسوى نفسه خالقاً، وسوى كل شيء دونه مخلوقاً، فالخالق بجميع صفات الذات، غير مخلوق، لأن الاسم هو المسمى، على ما قررنا، وهذا صحيح، لأن الخالق هو الله العالم، القادر، المرید، المتكلم، وكلامه هو القرآن، فدل على أنه غير مخلوق، ولا داخل في الأشياء المخلوقة، والذي يفهم من ذلك؛ فإن كل عاقل يعلم أنه يصنع كل شيء غير ذاته بصفاتنا من قدرته، وحياته، وعلمه، وكلامه. وكذلك إذا قيل [آخذ] الملك اليوم كل أحد، وصغر كل صفة وحقرها ومعلوم [أن ذاته ما دخلت] في المفعولين ولا دخلت صفاته في التحقير والتصغير فكذلك قوله: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] يعني غير ذاته، وذاته قديمة غير مخلوقة بجميع صفاتها، فصح أن الآية حجة عليهم لا لهم.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فوصفه بالحدث والحدث هو الخلق. الجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الآية حجة عليهم، لأنها تدل على أن من الذكر ما ليس بمحدث، لأنه لم يقل ما يأتيهم من ذكر إلا كان محدثاً. ثبت أن من الذكر ما هو قديم ليس بمحدث، فيجب أن يكون القرآن؛ لأن الإجماع قد وقع على أن كل ذكر غيره مخلوق، فلم يبق ذكر غير مخلوق. غير كلامه، سبحانه وتعالى.

الجواب الثاني: أن الذكر هاهنا يراد به وعظ الرسول ﷺ لهم وتوعده لهم وتخويفه، لأن وعظ الرسل عليهم السلام يسمى ذكراً. يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَذَكَّرْنَا بِذِكْرِهِمُ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١] ويقال: فلان في مجلس الذكر، يعني في مجلس الوعظ. الذي يحقق ذلك؛ أن قریشاً لم تلعب عند سماع القرآن، ولكنها

كانت تفحم عند سماعه، حتى قال عتبة: والله لقد سمعت كلاماً ما هو بالشعر، وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمشمر، وإن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة. وفزعوا أيضاً أن تفتن عند سماعه نساؤهم وأولادهم، حين كان يقرأ أبو بكر رضي الله عنه.

الجواب الثالث: أنه أراد ما يأتيهم من نهي محدث مجدد بعد نبي إلا استمعوه وهم يلعبون، هل هذا إلا بشر، وقد سُمي الله تعالى رسوله ذكراً بقوله: ﴿رَسُولًا بَيِّنًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقد سُمي الله تعالى رسوله ذكراً بقوله: ﴿رَسُولًا بَيِّنًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقد سُمي الله تعالى رسوله ذكراً بقوله: ﴿رَسُولًا بَيِّنًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْضُوعًا﴾ [النساء: ٤٧] ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُونًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] فالجواب: أنه تعالى أراد عقابه وانتقامه من الكافرين ونصره للمؤمنين، وما حكم به وقدره من أفعاله، وهذا بمنزلة قوله: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَثْرُنَا﴾ [هود: ٤٠] يعني ما أمرنا به من زيادة الماء وإغراق الكافرين من قوم نوح عليه السلام، ولم يعن (قولنا) وكذلك أيضاً قال: ﴿وَمَا أَمْرٌ إِلَّا بِرِضَا رَبِّكَ﴾ [هود: ٩٧] يعني شأنه وأفعاله وطرائقه، ولم يرد (قوله) وهذا بمنزلة قول القائل:

فقلت لها أمري إلى الله كله وإنني إليه في الإياب لراجع

يعني سري وأفعالي، ولم يرد بذلك الأمر من القول، وجمع هذا أمور، وجمع الأمر من القول الأوامر، ولولا عجزهم وجهلهم لم يلجئوا إلى مثل هذا التموه على العوام والجهال مثلهم. ولو نظروا إلى قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غانر: ٤٤] تعالى أنه أراد أفعالي وأموري، دون أمره الذي هو قوله: ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ورجعوا إليه.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] والمجموع مخلوق، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي خلقنا؛ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن معنى ذلك: إنما سميناه قرآناً عربياً، والجعل يكون بمعنى التسمية، بدليل قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الْفُرْقَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] يعني سموه؛ فبعضهم سماه شعراً، وبعضهم سحراً، وبعضهم كهانة، إلى غير ذلك. ولم يرد أنهم خلقوه. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا مِنَ الْبَنَاتِ حِيَامًا لِّبَنَاتِهِنَّ يَتَحَفَّضْنَ لَهُنَّ حَقَّهُمْ وَيَرْهَوْنَ لَهُنَّ حُلُمًا وَمَا كُنَّ يَرْجُونَ خُلُقَهُمْ سَكَتٌ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] يعني سموهم وحكموا عليهم

بذلك، ولم يرد أنهم خلقوهم. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [إبراهيم: ٢٠] يعني سموا. وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُيُوتٍ وَلَا سَكَنَةٍ وَلَا مَجِيلَةٍ وَلَا حَائِرٍ وَلَاكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣] وفي القرآن مثل هذا كثير.

الجواب الثاني: أنه أراد: إنا جعلنا قراءته وتلاوته بلسان العرب، وأفهمنا أحكامه. والمراد به باللسان العربي، وتكون الفائدة في ذلك الفرق بينه وبين التوراة والإنجيل، لأنه جعل تلاوة الكتابين المذكورين وإفهام أحكامهما باللسان العبراني والسرياني، وجعل تلاوة هذا الكتاب وإفهام أحكامه والمراد به بلسان العرب، ولو عرفوا الفرق بين التلاوة والمثلو لم يمهوا بمثل هذا التمهوه.

والجواب الثالث: أن الجعل إذا عُدي إلى مفعول واحد كان ظاهره الخلق، وإذا عُدي إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسمية، في أكثر الاستعمال. ولذلك لا يجوز أن يقول القائل: جعلت النجم والرجل، ويسكت حتى يصله بقوله: جعلت النجم هادياً ودليلاً، وجعلت الرجل صديقاً وصاحباً. فلما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا جَعَلْتَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] نعدي إلى مفعولين، فيكون بمعنى الحكم والتسمية. فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا بَدَلْنَا هَآئِهِ مَكَّاتٍ هَآئِيًّا﴾ [التحل: ١٠١] وقالوا: ما يغير ويبدل فهو مخلوق لا محالة، قلنا: هذا جهل منكم أيضاً، وذلك أن التبديل والنسخ إنما يكون ويتصور في الرسم من خط أو تلاوة؛ أو في حكم، فيكون تقدير الكلام: وإذا بدلنا حكم آية أو تلاوة آية، دون المثلو القديم الذي لا يتصور عليه تبديل ولا تغيير، وقد بين ذلك سبحانه وتعالى وأخبر أن كلامه القديم لا يغير ولا يبدل.

دليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا بَدَلْنَا هَآئِهِ مَكَّاتٍ هَآئِيًّا﴾ [التحل: ١٠١] يعني حكم آية أو تلاوتها.

ودليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبَدَّلُ لِكَلِمَتِي إِلَهٌ﴾ [الأنعام: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِي﴾ [الأنعام: ١١٥] فأخبر تعالى أن التبديل يتصور في أحكام كلامه وتلاوة كلامه، دون كلامه القديم الذي هو صفة من صفات ذاته، ولو حققوا الفرق بين التلاوة والمثلو سلموا وجميع من وافقهم من الجهال الذين سلموا لهم وفق مذهبهم من خلق القرآن معنى، ومنعوه نطقاً، نعوذ بالله من الجهل. وسنين هذا الأمر إن شاء الله على الاستيفاء بالكمال، في مسألة الفرق بين التلاوة والمثلو، والقراءة والمقروء.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنذَهِقَ بِاللَّيْلِ أَوْحِيَّا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] وقالوا: ما جاز عليه الذهاب والعدم فإنه مخلوق.

فالجواب عن هذا السؤال مثل الجواب المتقدم؛ لأن الذهاب والعدم إنما يكون في الحفظ والرسم، دون المحفوظ الذي هو كلام الله تعالى. ويدل على هذا: أن ابن مسعود رضي الله عنه لما قال: استكثروا من قراءة القرآن قبل أن يرفع. فقيل له: كيف يرفع وقد حفظناه في صدورنا وأثبتناه في مصاحفنا؟ فقال: يُسرى عليه فيذهب حفظه من الصدور، ورسمه من المصاحف. وهذا صحيح، لأن حفظ المخلوق مخلوق مثله، وحفظه مخلوق مثله، فيتصور عليه الذهاب والعدم بالنسيان والمحو. وأما المحفوظ والمكتوب<sup>(١)</sup> الذي هو كلامه القديم، فلا يتصور عليه ذلك. فاعلم ذلك وتحققه.

فإن احتجوا بقول النبي ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم» قالوا: وما جاز أن ينتقل ويتحول ويسافر به فهو مخلوق. قلنا: كم هذا التمويه الذي تشبهون به على العوام وجهال الناس، لأن النبي ﷺ إنما أراد بهذا الكلام حمل المصحف الذي فيه كلام الله مكتوب، ولم يرد بذلك نفس كلامه القديم الذي هو صفة من صفات ذاته، وقد قرنه ﷺ بما يدل على أن المراد به المصحف دون غيره؛ ألا تراه قال: «مخافة أن تناله أيديهم» ومعلوم أن الذي تناله أيديهم إنما هو المصحف دون غيره، وقد بين عليه السلام ذلك في حديث آخر، وهو قوله ﷺ لبعض أصحابه: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر» يريد بذلك الصحف التي يكتب فيها القرآن، دون نفس القرآن الذي هو كلام الله تعالى، لأنه صفة من صفات ذاته، ولا يتصور على صفات ذاته اللمس ونيل الأذى.

فإن قالوا: أجمعنا على أن القرآن سور، والسور آيات، والآيات كلمات، والكلمات حروف وأصوات، وجميع ذلك يدل على كونه محدثاً مخلوقاً؛ لأن السور معدودة محسوبة؛ لها أول وآخر، وكذلك الآيات والحروف، وما دخله الحصر والعد وكان له أول وآخر فهو مخلوق، وهذه الشبهة التي سخمت وجوه من وافقهم في

(١) وصف القرآن القائم بالله سبحانه بالمكتوب، والمحفوظ والمتلو من قبيل وصف المدلول بوصف الدال مجازاً كما حققه الفخازاني في شرح المقاصد على ما سبق (ز).

مقاتلهم هذه من أهل السنة الجهال بطرق التحقيق؛ حيث سلموا لهم مع زعمهم أنه كلامه ليس بمخلوق، ما قرروه من هذه الشبهة، وقالوا مثل قولهم: إن كلامه حروف وأصوات، فإن لله وإنا إليه راجعون<sup>(١)</sup>.

والجواب عن هذه الشبهة: أن يقال لهم: أما ما ذكرتم من الحصر، والتحديد والتبويض، والحروف والأصوات، فجميع ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين دون كلام الله تعالى الذي هو صفة من صفات ذاته؛ لأن جميع ما ذكرتم يحتاج إلى مخارج من لسان، وشفتين، وحلق، والله يتعالى ويتزده عن جميع ذلك. بل نقول إن كلامه صفة له قديمة لا يحتاج فيه إلى أداة من صوت. أو حرف أو مخرج. يتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وكذلك ما ذكرتم من الحصر، والعدد، والأول، والآخر، إنما ذلك راجع إلى تلاوة المخلوقين لكلامه وكتبتهم لكلامه دون كلامه الذي هو صفة، وقد بين ذلك سبحانه وتعالى بآظهر بيان لمن كان له فهم صحيح، لأنه تعالى قال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكُتُبِي رَبِّي لَقَوِيَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كُنُوتُ رَبِّي وَلَوْ جَشْنَا بِسَيْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَدُدُّ مِنْهُ بَعْدَوه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كُتُبَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] ومعلوم أن الكاتب منا يكتب عدة مصاحف بمحبرة واحدة، ويثلو التالي منا عدة ختمات، فالمحصور والمعدود المحدود الذي يتصف بأول وآخر صفاتنا من تلاوتنا لكلامه،

(١) قال السعد في شرح المقاصد: (انتظم من المقدمات القطعية والمشهورة قياسان يتج أحدهما قدم كلام الله تعالى، وهو أنه من صفات الله وهي قديمة، والآخر حدوثه، وهو أنه من جنس الأصوات، وهي حادثة، فاضطر القوم إلى القدح في أحد القياسين ومنع بعض المقدمات ضرورة امتناع حقية التقيضين، فعمت المعتزلة كونه من صفات الله تعالى، والكرامية كون كل صفة قديمة، والأشاعرة كونه من جنس الأصوات والحروف، والحشوية كون المنتظم من الحروف حادثاً، ولا عبرة بكلام الكرامية والحشوية، فبقي النزاع بيننا وبين المعتزلة، وهو في التحقيق عائد إلى إثبات الكلام النفسي وتغيه، وأن القرآن هو أو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي أولاً. فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي ولا لهم في قدم النفسي لو ثبت) ثم قال السعد: (وعلى البحث والمناظرة في ثبوت الكلام النفسي وكونه هو القرآن ينبغي أن يحمل ما نقل من مناظرة أبي حنيفة وأبي يوسف ستة أشهر ثم استقر رأيهما على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر) وهما التحقيق هو مفتاح هذا البحث الطويل العريض. وقد أثبت المصنف الكلام النفسي بكل ما جلاه في موضعه، وحدث ما سواه مما في الأذهان والألسنة والخطوط جلبي واضح عند أرباب العقول فوق الحق ويظل ما كانوا يعملون (ز).

وخطنا لكلامه، وحفظنا لكلامه. فأما صفته التي هي كلامه على الحقيقة فلا تنصف بالزوال، والحصر، والعد، والأول والآخر على ما أخبر سبحانه وتعالى على مقتضى التحقيق. لأن كل ما اتصف بالبداية والغraig والحصر والعد فإنما هي صفة المخلوق لا صفة الخالق القديمة بقدمه الموجودة بوجوده، التي لا يجوز أن تتقدم عليه ولا تتأخر عنه. فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلم من ضلالة الفريقين وتخلص من جهل الطائفتين.

### مسألة

ويجب أن يعلم أن القراءة غير المقروء. والتلاوة غير المتلو<sup>(١)</sup> والكتابة غير المكتوب، وهذا إنما خالف فيه من لا حس له، ولا فهم، ولا عقل ولا تصور، ونحن بحمد الله نبين الفرق بين الأمرين من الكتاب والسنة ودليل العقول.

فأما الدليل من الكتاب فكثير جداً. أحدها: قوله: ﴿وَرَوَاهُ رَبُّنَا فَذُقْهُ إِنَّكَ عَلَى الْبَاطِلِ عَمَلٌ كَثِيرٌ﴾ [الإسراء: ١٠٦] فأخبر تعالى أن القرآن منه منزل موحى، وأن الرسول يقرؤه ويعلمه، فالمُوحى المنزل المقروء هو كلام الله تعالى القديم وصفة ذاته، والقراءة له فعل الرسول التي هي صفته. وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: ٦٧] ففعل الرسول البلاغ الذي هو القراءة. وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْرِدْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِنَّا سَخَّرْنَا الْقَيْطَانَ وَآسَافَةَ الْقَيْطَانَ فِي أَنْبِيَاءِهِمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُجْحِكُمْ اللَّهُ مَا يَلْبِغُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوهُ حَتَّى يَلَازِيَهُ﴾ [البقرة: ١٢١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَدْيَ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَكُلِّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩٢] فمعلوم أن هاهنا أمر أمر بشيئين، وهو الله تعالى، وأمور وهو الرسول، فأمره بالعبادة له، فحصل هاهنا أمر، وأمور، وأمور به، فالأمر هو

(١) اعلم أن المتلو في الحقيقة هو اللفظ، والمكتوب هو أشكال الحروف، والمحفوظ هو الحروف المتخيلة، والمسموع هو الصوت، وأما التلاوة، والكتابة والحفظ، والسماع بالمعاني المصدرة فإنما هي نسب بين التالي والمتلو، والكاتب والمكتوب، والحافظ والمحفوظ، والسماع والمسموع، فطرفاً كل من هذه النسب مخلوقان، وإنما القديم هو ما قام به سبحانه. وإلا فالتلاوة والمتلو والمحفوظ والمكتوب والمسموع ونحو ذلك على ما قام به سبحانه من قبيل وصف المدلول بصفة المدلل، كما ذكرت فيما علفت على الأسماء والصفات نص قول السعد في شرح المقاصد في ذلك (ز).



الله تعالى، والمأمور الرسول، والمأمور به العبادة، فالمعبود غير العبادة التي هي فعل الرسول، فكذلك التلاوة<sup>(١)</sup> غير المتلو، لأن التلاوة فعل الرسول وهو المأمور بها، والمتلو كلامه القديم، ولم يأمره أن يأتي بكلامه القديم؛ لأن ذلك لا يتصور الأمر به ولا يدخل تحت قدرة مخلوق، إنما أمر بتلاوة<sup>(٢)</sup> كلامه، كما أمر بعبادته، وعبادته غيره، فكذلك تلاوة كلامه غير كلامه، فحصل من هذا: تال. وهو الرسول عليه السلام وتلاوته صفة له. ومتلو: وهو كلام الله القديم الذي هو صفة له. ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [النحل: ٩٨]. ففرق بين القراءة والمقروء: وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَلِّمُوا مَا أُوحِيَ إِلَيْكُم مِّن كِتَابِ رَبِّكُم﴾ [الكهف: ٢٧] فذكر قراءة ومقروءاً، وتلاوة، ومتلوّاً، وعند الجاهل أن ذلك شيء واحد.

وأيضاً فإنه أمر بالتلاوة والقراءة، والأمر هو استدعاء الفعل، والفعل صفة المأمور لا صفة الأمر؛ ألا يرى أنه أمر بالعبادة، والعبادة صفة العابد لا المعبود. ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْتَفُونَ بِبَيِّنَاتٍ﴾ [الغنكوب: ٤٨] فأخبر تعالى أنه لم يكن تالياً، ثم جعله تالياً ولم يكن كاتباً، ولم يجعله أيضاً في الثاني كاتباً، وقد جعل غيره تالياً لكلامه كاتباً له، ومعلوم عند كل عاقل أن ما لم يكن ثم كان وهي التلاوة؛ صفة للرسول لم يكن موصوفاً بها ثم صار موصوفاً بها، غير كلام الله الذي هو صفة له لا يستحق غيره الوصف بها ولا يتصف بأنه لم يكن ثم كان، ومعلوم أن الرسول كان تالياً قبل أن تكون أمته تالية، وحافظاً قبل أن تكون أمته حافظة، ثم صارت أمته تالية حافظة لما أقرأها وحفظها، فتلاوته غير تلاوة أمته لتقدمها عليها وتلاوة أمته غير تلاوته لتأخرها عنها والذي تلاه بتلاوته فهو كلام الله القديم [وكذا] الذي تلتته أمته بتلاوتها. فلا يخفى على عاقل أن التلاوة غير المتلو، كما أن العبادة غير المعبود، والذكر غير المذكور، والشكر غير المشكور، والتسبيح غير المسبح، والدعاء غير المدعو إلى غير ذلك.

(١) ومما يجب الانتباه إليه هنا: أن التلاوة بالمعنى المصدرية لها طرفان كما سبق؛ جانب الفاعل وجانب الأثر المترتب عليه، الذي يقال له الحاصل بالمصدر المبني للمفعول، وهذا هو المتلو حقيقة. فالتالي والمتلو بهذا المعنى مخلوقان، وأما ما دل عليه هذا الصوت المكبف فهو صفة لله قائمة به وقديمة قدم باقي صفاته الذاتية الثبوتية، فليس مراد المصنف بالمتلو والمحفوظ والمكتوب ما هو أثر مترتب على المعنى المصدرية للتلاوة والحفظ، والكتابة بل مراده بها الصفة القائمة بالله التي لا ترتب ولا تقدم ولا تأخر فيها. وفي شرح المقاصد تفصيل ذلك (ز).

ويدل على صحة ذلك من السنة وأن القراءة والتلاوة صفة القارئ، والمقروء المتلو صفة الباري قوله ﷺ: «من أراد أن يقرأ القرآن غصاً فليقرأ على قراءة ابن أم عبد» يعني ابن مسعود، فأضاف القراءة إلى ابن مسعود، والمقروء صفة الله تعالى، والذي يدل على صحة هذا القول أنه يجوز أن يقال هذا الحرف قراءة ابن مسعود وليس قراءة أبي وغيره من القراء ولا يجوز أن يقال إن المقروء الذي يقرأه ابن مسعود غير المقروء الذي يقرأه أبي، لأن القراءة تكون غير القراءة والقرآن الذي يقرأه هذا بقراءته هو القرآن الذي يقرأه هذا أنه شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، وإن تغيرت القراءة له واختلفت. والذي يوضح لك هذا ويبيّن تبييناً مستوفياً أن عمر رضي الله عنه لما مر على بعض الصحابة وهو يقرأ سورة الفرقان على خلاف قراءة عمر فأنكر ذلك عليه وقال: قد قرأتها على رسول الله ﷺ على خلاف هذه القراءة ولبيته حتى أتى به إلى رسول الله ﷺ حتى قال: «خُلِّ عنه؛ اقرأ يا عمر، فقرأ فقال: هكذا أنزل، ثم قال للآخر: اقرأ، فقرأ بالقراءة التي سمعها عمر منه فقال: هكذا أنزل. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه». فأخبر ﷺ باختلاف القراءتين وأن كل واحدة منهما تؤدي إلى ما تؤدي إليه الأخرى، وهو المتلو المقروء القديم الذي لا يختلف ولا يتغير. وأيضاً ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من عدة طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن مادبة الله فاقبلوا مادبته ما استطعتم واتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول الم حرف، ولكن بالآلف عشر - الحديث...».

وروي عنه ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله» فأضاف القرآن إلى الله تعالى لأنه صفة من صفات ذاته، وأضاف التلاوة إلى التالي لأنها صفة يوجب عليها كما يوجب على جميع أفعال طاعته. وأيضاً قوله ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل» وهذا يدل على الفرق بين القراءة والمقروء، والتلاوة والمتلو، لأنه ﷺ حضهم على أخذ القراءة للقرآن عن هؤلاء الأربعة لأنهم قد باينوا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم في جودة القراءة وصحتها والعلم بها، وهذا المعنى صحيح لأن الغلط، واللحن، والتحريف، والتصحيح إنما يقع في القراءة والتلاوة التي هي صفة القارئ؛ فأما القرآن المقروء فهو كلام الله تعالى الذي قد أخبر أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأن القراءة تصوح فيقومها القارئ الماهر، لأنها يجوز عليها التعمير والتغيير؛ فأما كلام الله القديم فليس يوصف بالتعمير. دليله: قوله

تعالى: ﴿وَلَوْ يَجْمَلُ لَمْ يَمِثَّ ۗ﴾ [الكهف: ١، ٢] وأيضاً ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ وأنا معه، وأبو بكر؛ وعبد الله بن مسعود يقرأ؛ فاستمع لقراءته، فلما ركع - أو سجد - قال ﷺ: «سل تعطه، من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد». فأضاف القراءة إلى عبد الله، لأنها صفته وعبادته عليها يُثاب ويؤجر؛ والمقروء بها كلام الله القديم الأزلي، وقد روي: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً» وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: مرّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، وعمر وإني أقرأ سورة النساء، فكنت أسجلها سجلاً، فقال النبي ﷺ: «سل تعطه»، ومعلوم عند كل عاقل أن الرسول ﷺ إنما وصف بالفضاضة والطراوة والتسجيل قراءة ابن مسعود دون كلام الله تعالى المتلو المقروء، لأنه لا يوصف بالشيء وضده، فاعلم ذلك وتحققه؛ ولأن صفة القراءة تارة تكون غضة رطبة من قارئ دون قارئ، إنما ذلك راجع إلى صفات المحدثين الذين يتفاضلون في قراءتهم وأصواتهم فتكون قراءة بعضهم غضة رطبة، وقراءة بعضهم فجة سمجة، ويكون صوت أحدهم حاداً حسناً، وصوت آخر فجاً جهوراً عالياً، فأما القرآن المقروء المتلو فلا يختلف في ذاته بأي قراءة قرئ، وبأي تلاوة تلي، وبأي صوت سمع. بل الأدوات، والأصوات واللغات تختلف في الجودة والرداءة والخفاء والجهارة.

\*\*\*

## فصل

وقد روي من الأخبار والآثار عن سيد الأولين والآخرين وصحابته رضي الله عنهم في الفرق بين التلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء ما لا يحصى عدداً ونحن نذكر شيئاً من ذلك يقوي جميع ما تقدم.

فمن ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعجمي، والأعرابي. قال: فاستمع وقال: «اقرووه فكل حسن، سيأتي قوم يقومونه كما يقومون القدح، يتعجلونه ولا يتأملونه».

وعن سهل بن سعد الساعدي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقترىه يقرئ بعضنا بعضاً فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد فيه الأحمر والأسود اقرؤوا اقرؤوا قبل أن يجيء قوم يقومونه كما يقومون القدح، ولا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأملونه»، ففصل ﷺ في هذين الحديشين بين التلاوة والمتلو، والقراءة

والمقروء، لأنه ﷺ عنى بالأحمر العربي الفصيح، وبالأسود الأعجمي، فالعجمي يقع في قراءته اللكنة والتمتمة ويسلم من ذلك العربي الفصيح فاستمع ﷺ قراءتهم المختلفة وحثهم ورغبهم في القراءة وأخبر أن كتاب الله واحد ليس بمختلف ولا متغاير، ثم أعلمهم بمجيء قوم من بعدهم ممن يقوم القراءة تقويم القدر، فعلم كل عاقل أن كلام الله القديم الأزلي ليس مما يعوج فيقوم، وإنما العوج يقع في قراءة القارئ فيقوم.

ويدل عليه أيضاً قول ابن مسعود رضي الله عنه: عجبت للناس وتركهم لقراءتي وأخذهم قراءة زيد بن ثابت، وقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد بن ثابت غلام صاحب ذؤابة. فأضاف ابن مسعود قراءته إلى نفسه، وأضاف قراءة زيد إلى نفسه، وأخبر أن قراءته أكمل من قراءة زيد؛ لأخذه لها من في رسول الله ﷺ، فتغاير بين القراءتين، ومعلوم عند كل عاقل أن المقروء والمتلو الذي يقرأه عبد الله هو المقروء المتلو الذي يقرأه زيد، وإن كانت قراءة أحدهما غير قراءة الآخر.

ويدل عليه ما روي عن عمرو بن مرة قال: سمعت أبا وائل يحدث: أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود فقال: إني قرأت المفصل كله في ركعة فقال عبد الله: هذا كهذا الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما. وعنه أيضاً أنه قال له رجل: إني أقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: هذا كهذا الشعر، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ نفع. ومعلوم أن ابن مسعود رضي الله عنه لم يشبه كلام الله تعالى بهذا الشعر، وإنما شبه قراءة القارئ دون كلام الباري. وأيضاً قوله ﷺ: «من قرأ القرآن بإعراب فله أجر شهيد». وأيضاً ما روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن مثباً أو بإعراب كان له بكل حرف فضل أربعين حسنة». فكل عاقل يعلم ويتحقق أن القراءة المعربة غير القراءة الملحونة؛ لأن من صحح قراءة الفاتحة صحت صلاته، ومن ترك ذلك مع قدرته عليه بطلت صلاته. فأما كلام الله تعالى القديم فلا يتصف بالصحة وضدها بل هو صحيح على كل حال، وإن وقع الفساد في القراءة.

وأيضاً ما روي قتادة قال: قلت لأنس بن مالك كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ قال: يمد صوته مدأً. وأيضاً ما روى عبد الله بن مغفل قال: رأيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو على ناقته أو جملة وهو يسير وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة. فمعلوم عند كل عاقل عارف أن الترجيع والمد، واللين، إنما تقع في القراءة التي هي صفة القارئ دون كلام الله القديم الأزلي، ومن اعتقد أن الترجيع،

والمد، واللين الذي هو صفة القارئ، ومد صوته ولينه راجع إلى الكلام القديم الأزلي فقد جهل الله تعالى وصفات ذاته، وصرح بحدوث القرآن وخلقه. وأيضاً ما روى النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن» وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر في كتاب الله عبادة» وروى أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حفظها من العبادة، قالوا: يا رسول الله وما حفظها من العبادة؟ قال: قراءة القرآن نظراً، والاعتبار والتفكير فيه» وقال ابن مسعود: «النظر في المصحف عبادة» فقد اتضح بهذه الأخبار الفرق بين القراءة والمقروء، لأن الرسول ﷺ جعل قراءتنا عبادة منا، والعبادة مناصفتنا التي تثاب عليها ونؤجر، وذلك أن الله تعالى وصف عبادته على الأعضاء، وكل عضو من ابن آدم مخصوص بنوع من العبادة، فالقلب مخصوص بالعلم بالله تعالى وبمعرفته وبحفظ كلامه، والإيمان به وبكلامه، ثم المعرفة غير المعروف، والعلم غير المعلوم، والإيمان غير المؤمن به، والحفظ غير المحفوظ، لأن العلم صفة العبد، والمعلوم الرب تعالى، وكذلك الإيمان صفة للعبد، والمؤمن به هو الله تعالى. وكذلك الحفظ صفة العبد لم يكن يحفظ ثم صار حافظاً، والمحفوظ كلام الله القديم الذي لا يتصف بأنه لم يكن ثم كان بل قديم موجود بوجود الحق سبحانه وتعالى، موجود قبل الحفظ وبعده، واللسان مخصوص من العبادة بالذكر لله تعالى والتسبيح له والدعاء له، وقراءة كلامه، ثم الذكر صفة الذاكر، والمذكور هو الله تعالى، والتسبيح صفة المسيِّح، والمسيِّح هو الله تعالى، والدعاء صفة الداعي والمدعو هو الله تعالى. كذلك القراءة صفة القارئ التي هي له عبادة وطاعة، والمقروء كلام الله القديم الموجود قبل القارئ وقيل قراءته. فافهم إن كان لك فهم.

وعبادة العين: النظر في المصحف، والتفكير في الآيات من كلام الله تعالى، فالناظر إنما يثاب على نظره الذي هو صفة لا على المنظور فيه الذي هو صفة الله تعالى. ولهذا المعنى: أن من كان أكثر قراءة ونظراً وتفكيراً كان أكثر ثواباً ممن نظر أقل من نظره، وقرأ أقل من قراءته؛ فالزيادة والنقصان إنما يكونان في أفعال العباد التي تتصف بالشيء وضده فأما القديم الذي هو كلام الله فلا يتصف بالشيء وضده. فاعلم ذلك وتامله تهذ إن شاء الله.

ويدل على الفرق بين القراءة والمقروء، ما روي عنه ﷺ من طرق عدة: أنه قال: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل» ثم خصَّ عبد الله بن مسعود فقال: «من سره أن يقرأ القرآن

غضاً رطباً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد، يعني ابن مسعود. فالدليل من وجهين:

أحدهما: أنه ﷺ خصّ هؤلاء الأربعة بجودة القراءة دون غيرهم من الصحابة، وإن كان المقروء بقراءة هؤلاء هو المقروء بقراءة غيرهم، ففاضل ﷺ بين القراءة وقدم بعضها على بعض، وكلام الله القديم لا يجوز عليه الجودة والرداءة بل كله شيء واحد جيد لا يختلف، وإن اختلفت القراءة له.

الثاني من الدليلين: أن الرسول ﷺ أضاف القراءة إلى ابن مسعود دون القرآن الذي هو كلام الله تعالى فقال: «من سزّه أن يقرأ القرآن كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن مسعود». فقراءة ابن مسعود صفة له، والمقروء كلام الله صفة له لا لابن مسعود. وأيضاً فإنه وصف قراءة ابن مسعود بأنها غضة رطبة وهذه صفة لا تقع إلا على صفة المحدثين؛ لأن قراءة بعضهم تكون غضة رطبة، مستحسنة تميل إليها القلوب، وقراءة بعضهم فجة غليظة تنفر عنها الطبايع، والمقروء بهذه هو المقروء بهذه، وكذلك بعض القراءات مصححة معربة، وبعضها ملحونة معوجة مفسدة، والمقروء بهذه، هو المقروء بهذه لأن القديم لا يتصف بالصحة تارة وبالفساد تارة أخرى، إنما يتصف بالفساد تارة وبالصحة تارة أخرى صفة المخلوقين، وهي قراءتهم دون المقروء والمتلو الذي هو كلام الله القديم.

\* \* \*

## فصل

وأما الدليل على أن الحروف والأصوات من صفات قراءة القاريء، لا أنها من كلام الباري سبحانه وتعالى من الأخبار فكثير جداً، لكن إن شاء الله أذكر من ذلك ما يقع به الكفاية لكل عاقل محصل.

فمن ذلك: ما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل فقرأ يخفض طوراً ويرفع طوراً. وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً، فموضع الدليل من هذين الخبرين أنهما أضافا القراءة إليه ﷺ، وأضافا الخفض والرفع بتفسير الحروف حرفاً حرفاً إلى قراءة القاريء لا إلى كلام الباري، وكل حديث أذكره لك بعد هذين الحديثين فأنمله؛ فإني أذكرها سرّاً إن شاء الله، فتجد في كل حديث ما يدل على صحة ما أقول، وهو: إضافة الصوت، والحرف إلى قراءة القاريء لا إلى كلام الباري القديم الأزلي.

فيدل على صحة ذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية، ولو شاء العاد أن يعمدها أحصاها. وهذا يدل على أن القراءة تعدد وتنحصر، والمقروء القديم لا يبعد ولا ينحصر فافهم ذلك.

ويدل على ذلك أيضاً ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: أكان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن؟ قالت: ربما رفع وربما خفض. ويدل عليه أيضاً ما روي عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء باليتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه.

ويدل عليه أيضاً ما روي عن أنس أنه قال: ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه، وحسن الصوت وكان نبيكم ﷺ حسن الوجه وحسن الصوت إلا أنه كان لا يُرْجَع. وأيضاً ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما لك إذا قرأت لا ترفع صوتك» قال: إني أسمع من أناجي. وقال لعمار: «ما لك إذا قرأت ترفع صوتك جداً» قال: أوقف الوسنان وأنفر الشيطان. وقال لعمار: «ما لك إذا قرأت تأخذ من هذه السورة ومن هذه السورة؟ فقال: سمعنتي أخلط به ما ليس منه، قال رسول الله ﷺ: فكله طيب» فموضع الدليل: أن الرسول عليه السلام أضاف قراءة كل واحد وصوته إليه، وذكر أنها قراءة مختلفة، وأضاف إلى كل واحد صفته من القراءة والصوت، ولم يضيف إلى كلام الله تعالى شيئاً من ذلك فافهم.

وأيضاً ما روي عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ وأنا علي عريشي. وأيضاً ما روى جبير بن مطعم قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي بأصحابه المغرب، فسمعتة وهو يقرأ، وقد خرج صوته من المسجد: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٢﴾ [الطور: ٧، ٨] فكأنما صدع قلبي، ويقال إن هنا كان سبب إسلامه، لأنه جاء يكلم الرسول ﷺ في أسارى بدر، فلما سمع قراءة رسول الله ﷺ وحن صوته قال: فكأنما صدع قلبي، وكأنني بالعذاب قد أحاط بي، فصدقت وآمنت من ساعتني. وهذا الحديث أدل دليل على الفرق بين القراءة والمقروء، وأن الصوت صفة الصائت والقارئ دون كلام الباري، لأن الذي صدع قلبه وهداه إنما هو الذي فهمه من كلام الله تعالى الذي أوعده به المستكبرين؛ فعلو الصوت من قراءة رسول الله ﷺ صفة للرسول عليه السلام، والذي صدق به قلبه هو ما فهمه من كلام الله تعالى الذي سمعه بواسطة قراءة رسول الله ﷺ، وعلو صوته،

لأن الأصوات والحروف لا تهدي ولا تشقى، إذ لا تأثير لها في إحياء القلوب وإقبالها، إنما الذي يحيي القلوب ويهديها كلام الله القديم الأزلي يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِّي جَعَلْتُهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادَتَا﴾ [الشورى: ٥٢] فالهادي الشافي المقروء لا القراءة، والمفهوم من الصوت لا الصوت.

يدل على ذلك أيضاً ما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك واهن عبدك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله عزمي وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحاً» قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن» فبين لك ﷺ أن كلام الله الذي هو القرآن هو الذي يهدي ويشقي لا قراءة القارىء.

وأيضاً ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا في الجنة إذ سمعت صوت رجل بالقرآن فقلت من هذا؟ فقالوا: حارثة بن النعمان. كذلك البر. كذلك البر». وكان حارثة من أبر الناس بأمه، وأضاف ﷺ الصوت إلى الرجل الصايت دون القرآن. ولو أنني أتقصي الأخبار والآثار في الفرق بين التلاوة والتملؤ، والقراءة والمقروء لاحتاج إلى مجلدات عدة؛ لكن ذكرت من ذلك ما فيه كفاية بحمد الله لمن له عقل سليم وفهم صحيح، فإذا تقرر هذا صحح لك أن القراءة صفة القارىء، والمقروء على الحقيقة كلام الباري، وكذلك الحفظ صفة الحافظ، والمحفوظ كلام الله تعالى، وكذلك الكتابة صفة الكاتب وصنعه، والمكتوب كلام الله تعالى، كما أن الذكر صفة الذاكِر، والمذكور هو الله تعالى. وكذلك العبادة من الصلاة، والصوم، والحج صفة للمعبود وهي في أنفسها مختلفة الصفات متغايرة، والمعبود بها واحد أحد ليس بمختلف ولا متغاير وهو الله تعالى. وفي هذا كفاية لمن سلم له التصور والفهم.

وأما الدليل من جهة العقل هو: أن يعلم أن القراءة تارة تكون طيبة مستلذة، وتارة فجة تنفر منها الطبايع، وتارة رفيعة عالية، وتارة متخفضة خفية، وتارة يلحقها اللحن والخطأ، وتارة تصح وتقوم، وما جازت عليه الأشياء فلا يجوز أن يكون إلا صفة الخلق دون صفة الحق. وكذلك أيضاً الكتابة تارة تكون مرتبة جيدة حنة يمدح كاتبها. وتارة وحشية يذم كاتبها، والإنسان إنما يمدح ويُذم على فعله، فصح أن



الكتابة صفة الكاتب، والمكتوب بها كلام الله تعالى، وأيضاً فإن الكتابة يلحقها المحو يتصور عليها الغرق، والحرق، والتواء، والتلف، وكلام الله القديم لا يتصور عليه شيء من ذلك. وكذلك الحفظ، والسمع تارة يوجد، وتارة يعدم، وما يجوز عليه الوجود بعد العدم والعدم بعد الوجود فليس بصفة لله تعالى، وإنما هو صفة المخلوق المربوب، لكن المسموع من القرآن، والمحفوظ منه، والمقروء منه، والمكتوب منه كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق ولا مربوب. فافهم تصب إن شاء الله.

وأيضاً فإن من حلف بالطلاق الثلاث أن لا يقوم من مقامه حتى يفعل فعلاً يكون عبادة وطاعة لله تعالى؛ فقرأ عشر آيات من القرآن ثم قام ولم يفعل شيئاً غير ذلك لم يحث في يمينه بإجماع المسلمين، فصح أن قراءته فعله وعمله الذي صار به فاعلاً، عابداً، طائعاً. وأن المقروء بقراءته كلام الله تعالى القديم الذي ليس بفعل لأحد فافهم.

وأيضاً: فإن قراءة القاري تارة تكون طاعة وقرية، وتارة تكون معصية وذنباً. فأما الطاعة فهي إذا قرأها وهو طاهر غير جنب وغير مرئي بها أحداً من الخلق، ويكون معصية إذا قرأها وهو جنب مرئي، وما يكون تارة طاعة وأخرى معصية كيف يكون صفة الحق؟ - تعالى عن ذلك - بل هو صفة الخلق، لكن المقروء في الحالتين شيء واحد، وهو كلام الله تعالى القديم لا يتصف بالشيء وضده. فافهم، وفي بعض هذا مفتح لمن لم يكن يكابر الضرورات.

### مسألة

ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة<sup>(١)</sup> كما قال: ﴿إِنَّهُمْ لَكُرْبَىٰ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] وهو في مصاحفنا مكتوب على الوجه الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾﴾ [البُرُوج: ٢١، ٢٢] لكن نحن نعلم وكل عاقل أن كلام الله الذي هو مكتوب في اللوح المحفوظ هو القرآن المكتوب في مصاحفنا شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، وأن اللوح غير أوراق مصاحفنا، وأن الخط الذي فيه غير الخطوط التي في مصاحفنا، وأن القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ غير أقلامنا،

(١) عند من يرى وجود الشيء في الأعيان والأذهان واللسان والكتابة ونحوها حقائق يشترك بينها لفظ الوجود اشتراكاً لفظياً (ز).

وكذلك ما اختلف وغيره واختص بمكان دون مكان وزمان دون زمان، فهو مخلوق مربوب، وكل ما هو على صفة واحدة لا يختلف ولا يتغير ولا يجوز عليه شيء من صفات الخلق، فكذلك هو كلام الله تعالى القديم وجميع صفات ذاته [قديمة] وكذلك القرآن محفوظ بالقلوب على الحقيقة. كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُورِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الغنكبوت: ٤٩] لكن نعلم قطعاً أن زيدا الحافظ غير عمرو الحافظ، وأن قلب هذا غير قلب هذا، وأن حفظ هذا غير حفظ هذا. لكن المحفوظ لهذا يحفظه هو المحفوظ للآخر بحفظه، وهو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، إذ هو صفة الله تعالى قديم غير مخلوق، وكذلك نقول إنه مقروء بالاستئنا نتلوا بها على الحقيقة لكن نعلم أن زيدا القاري غير عمرو القاري، وأن لسان زيد غير لسان عمرو، وأن قراءة زيد غير قراءة عمرو، ولكن المقروء لزيد هو المقروء لعمرو شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، بل هو كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق ولا يجوز عليه صفات الخلق وهذا كما قال تعالى: ﴿أَنَّمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لَعَلَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْفُرُ بِهِ﴾ [هود: ١٤] زيد يعلمه ويعلمه عمرو بعلمه، ويعبده زيد بعبادته، ويعبده عمرو بعبادته، ويدعوه زيد بدعائه، ويدعوه عمرو بدعائه ويذكره زيد بذكره، ويذكره عمرو بذكره، ويسبحه زيد بتسبيحه، ويسبحه عمرو بتسبيحه، فزيد غير عمرو، وذكره غير ذكر عمرو، وعبادته غير عبادة عمرو، ولكن المعبود لهذا هو المعبود لهذا، والمذكور لهذا هو المذكور لهذا، والمسيح لهذا هو المسيح لهذا، والله تعالى القديم الواحد الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

### مسألة

ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى مسموع لنا على الحقيقة<sup>(١)</sup> لكن بواسطة وهو القاري.

دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَن أَعِدُّوا لَهُمْ نَارًا كَبِيرًا﴾ [التوبة: ٦] واعلم: أن المسموع فهو كلام الله القديم صفة لله تعالى قديمة موجودة بوجود قبل سماع السامع لها، وإنما الموجود بعد أن لم يكن هو سمع

(١) على القول بالاشترك بين الوجودات السابق ذكرها، وأما على القول بأن القرآن اسم للنظم الدال لا من حيث تعين من قام به فيكون واحداً بالنوع، كما هو قولهم في أسماء الكتب، فيكون المقروء هو بدون إشكال الحدوث والقدم، فما قام بالقديم قديم، وما قام بالحادث حادث (ز).

السامع وفهم الغامض لكلام الله تعالى يحدث الله تعالى له سمعاً إذا أراد أن يسمعه كلامه، وفهماً إذا أراد أن يفهمه كلامه، لأن المسموع لم يكن ثم كان عند السمع والفهم، وهذا كما أن الله موجود قديم بوجود قديم، وإذا خلق رجلاً أو امرأة لعبادته وسهل له العبادة التي لم تكن ثم كانت فإنه يصير عبداً لله تعالى، الذي هو موجود قديم دائم قبل العبادة وبعدها، وإنما الذي لم يكن ثم كان هو العابد والعبادة، فافهم الحق وحدوده.

### مسألة

فحصل من هذا: أن الله تعالى يسمع كلامه لخلقه على ثلاث مراتب: تارة يسمع من شاء كلامه بغير واسطة لكن من وراء حجاب، ونعني بالحجاب للمخلوق لا للحق كموسى عليه السلام أسمع كلامه بلا واسطة<sup>(١)</sup> لكن حجبه عن النظر إليه، وتارة يسمع كلامه من شاء بواسطة مع عدم النظر والرؤية أيضاً من ملك أو رسول أو قارئ، وهو استماع الخلق من الرسول عند قراءته للمصحابة وقراءة الصحابة على التابعين، وكذلك هلم جراً إلى يومنا هذا؛ يسمع كلام الله تعالى على الحقيقة لكن

(١) وفي شرح المقاصد: (اختصاص موسى عليه السلام بأنه كلمه الله تعالى، فيه أوجه، أحدها - وهو اختيار الغزالي - أنه سمع كلامه الأزلي بلا صوت ولا حرف، كما ترى ذاته في الآخرة بلا كم ولا كيف، وهذا على مذهب من يجوز تعلق الرؤية والسمع بكل موجود حتى الذات والصفات، ولكن سماع غير الصوت والحرف، لا يكون إلا بطريق خرق العادة، وثانيها: أنه سمعه بصوت من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة، وثالثها: أنه سمع من جهة لكن بصوت غير مكتسب للعباد على ما هو شأن سماعنا. وحاصله أنه أكرم موسى عليه السلام فأفهمه كلامه بصوت تولى بخلقه من غير كسب لأحد من خلقه، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي، وأبو إسحاق الإسفراييني، وقال الإسفراييني: اتفقوا على أنه لا يمكن سماع غير الصوت إلا أن منهم من بث القول بذلك، ومنهم من قال لما كان المعنى القائم بالنفس معلوماً بواسطة سماع الصوت كان مسموعاً، فالاختلاف لفظي لا معنوي. أما والصوت سواء كان من جهة أو الجهات كلها حادث مخلوق لا يقوم بالله سبحانه، وفي طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى عند ترجمة الإصطخري في صدد ذكر عقيدة أحمد: (روكلم الله موسى تكليماً من فيه، وتناوله التوراة من يده إلى يده) ومن هذا يعلم مبلغ ضلال هؤلاء المجسمة المستترين بالانتساب إلى أحمد زوراً وحاش لله أن يكون الإمام أحمد يثبت لله فعاً، وما إلى ذلك من وجوه الضلال في العقيدة المعزوة إليه هناك، كما ذكرت فيما علفت على الأسماء والصفات (ص ١٩٣) ولي إفاضة في ذلك في كثير من المواضع والله سبحانه هو الهادي (ز).

بواسطة، فتارة يسمع كلامه من شاء من الخلق بغير واسطة ولا حجاب، كتكليمه لنيبا عليه السلام ليلة المعراج. دليل الثلاثة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلًّا وَحَيًّا﴾ [الشورى: ٥١] وهو نبينا ﷺ أسمع الله تعالى كلامه ليلة المعراج من غير واسطة ولا حجاب، لأنه تعالى في تلك الليلة قال: ﴿فَأَرْحَمَ لَكَ عَيِّبِي مَا أَرَحَ ۝١٥﴾ [النجم: ١٥] ولا يحمل الرحي هاهنا على الإلهام بل على السماع والإفهام؛ أو من وراء حجاب، كموسى عليه السلام أسمع كلامه بلا واسطة لكن حجه عن الرؤية، أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فيسمع من يشاء كلامه بواسطة تبليغ الرسول أو قراءة القارئ. وهذه جملة بليغة في هذا المعنى إن شاء الله تعالى.

### مسألة

ويجب أن يعلم أن كلام الله تعالى منزل على قلب النبي ﷺ نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَنَزَّلَ رَبِّيَ الْعَلِيِّنَ ۝١٧١ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٧٢ عَلَيَّ قَلِيلًا لِيُتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٧٣ يَلْسَانَ هَرَوِيٍّ ثَبِينٍ ۝١٧٤﴾ [الشُعْرَاء: ١٧٢ - ١٧٥] فيجب أن نعتقدهما هنا أربعة أشياء هنا: منزل، ومنزل، ومنزل عليه، ومنزل به. فالمنزل هو الله تعالى لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النحل: ٤٤] والمنزل على الوجه الذي بيناه من كونه نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال كلام الله تعالى القديم الأزلي القديم بذاته، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَنَزَّلَ رَبِّيَ الْعَلِيِّنَ ۝١٧١﴾ [الشُعْرَاء: ١٧٢] والمنزل عليه قلب النبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿عَلَيَّ قَلِيلًا لِيُتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝١٧٣﴾ [الشُعْرَاء: ١٧٤] والمنزل به هو اللغة العربية التي تلا بها جبريل، ونحن نتلو بها إلى يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿يَلْسَانَ هَرَوِيٍّ ثَبِينٍ ۝١٧٤﴾ [الشُعْرَاء: ١٧٥] والنازل على الحقيقة المنتقل من فطر إلى قطر، قول جبريل عليه السلام. يدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَلَا أَمِمْ بِمَا تُبَيِّرُونَ ۝١٧٨ وَمَا لَا تُبَيِّرُونَ ۝١٧٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٨٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝١٨١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۝١٨٢ نَزِيلٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٨٣﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٣] وقوله تعالى: ﴿فَلَا أَمِمْ بِالْحَقِّ ۝١٨٤ الْكُتُبِ الْكُتُبِ ۝١٨٥ وَاللَّيْلِ إِذَا سَمَسَ ۝١٨٦ وَالنَّجْمِ إِذَا تَنَسَّ ۝١٨٧ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٨٨ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝١٨٩ شُلَعٌ نَّمَّ أَمِينٍ ۝١٩٠ وَمَا سَاجِدٌ يُسْجَدُ ۝١٩١ وَلَقَدْ رَمَاهُ بِالْحَقِّ الْكَلْبَيْنِ ۝١٩٢ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَلِيلٍ ۝١٩٣ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ۝١٩٤ تَأَنَّنَ تَذَهَبُونَ ۝١٩٥ لَنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝١٩٦ لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَعِيمَ ۝١٩٧ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٨﴾

[التكوير: ١٥ - ٢٩] وهذا إخبار من الله تعالى بأن النظم العربي الذي هو قراءة كلام الله تعالى قول جبريل لا قول شاعر ولا قول كاهن. وقالوا: ما هذا إلا قول البشر، فرد عليهم بهاتين الآيتين وكذلك رد عليهم أيضاً لما قالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرِّ لِمَا تُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ لِيُحْذِرُ إِنَّهُ أَضْحَكٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرَفٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] فحصل من هذا أن الله تعالى علم جبريل عليه السلام القرآن. دليله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ [الرحمن: ١، ٢] وجبريل عليه السلام علم نبينا ﷺ دليله قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝﴾ [النجم: ٥] وكان ﷺ يقرأ مع جبريل حال قراءته فزاعاً منه أن يذهب عنه حفظه حتى نهاه الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُحْضَرَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ويقوله: ﴿لَا تَعْزُوكَ بِهِ، لَسَانُكَ يَنْعَمَلُ بِهِ ۝﴾ [القيامة: ١٦] معناه لا تعجل بقراءتك حتى يفرغ جبريل عليه السلام. ثم طمئن قلبه ﷺ بأنه يحفظه إياه ويثبت حفظه في قلبه، فقال: ﴿إِنَّا صَيَّنَّا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝﴾ [القيامة: ١٧] يعني في صدرك حفظه. ووعده أن لسانه يقرؤه قراءة لا يحصل معها نسيان فقال: ﴿سَتُرْفَعُكَ فَلَا تَنْسَى ۝﴾ [الأعلى: ٦] يعني قراءة لا نسيان معها، فحاصل هذا الكلام أن الصفة القديمة كالعلم والكلام ونحو ذلك من صفات الذات لا يجوز أن تفارق الموصوف، لأن الصفة إذا فارتقت الموصوف انصفت بضدها، والله تعالى منزّه عن الصفة وضدها. فافهم ذلك. فجاء من ذلك أن جبريل عليه السلام علم كلام الله وفهمه، وعلمه الله النظم العربي الذي هو قراءته، وعلم هو القراءة نبينا ﷺ، وعلم النبي ﷺ أصحابه، ولم يزل ينقل الخلف عن السلف ذلك إلى أن اتصل بنا فصرنا نقرأ بعد أن لم نكن نقرأ، فالقراءة أغيار لأن قراءة جبريل عليه السلام غير قراءة نبينا عليه السلام، وقراءة نبينا عليه السلام غير قراءة أصحابه، وقراءة أصحابه غير قراءة من بعدهم، ثم كذلك هلم جراً إلى يومنا هذا، يعلم كل عاقل أن الرسول ﷺ قرأ قبل الصحابة، ثم قرأت الصحابة، ثم قرأ التابعون ثم كذلك إلى اليوم، لكن المقروء والمتلو هو كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق ولا يشبه كلام الخلق هو المقروء بقراءة الرسول عليه السلام وقراءة الجميع. وهذا أمر واضح إن شاء الله تعالى.

### مسألة

ويجب أن يعلم أن الله تعالى لا يتصف بكلامه القديم بالحروف والأصوات ولا شيء من صفات الخلق، وأنه تعالى لا يفتقر في كلامه إلى مخارج، وأدوات، بل يتقدس عن جميع ذلك، وأن كلامه القديم لا يحل في شيء من المخلوقات.

والدليل على ذلك: أنه قد صحّ وثبت أن من شرط الصفة قيامها بالموصوف، والدليل على صحة ذلك أولاً: أن حد القديم ما لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه، وأن القديم لا يدخله الحصر والعد، ونحن نعلم وكل عاقل أن هذه الأشكال من الحروف لم تكن قبل حركة الكاتب وإنما يحدثها الله مع حركة الكاتب شيئاً فشيئاً. ثم هي مختلفة الصور والأشكال، ويدخلها الحصر والحد، وتعدم بعد أن توجد، وكل ذلك صفة المحدث المخلوق لمن كان له عقل سليم. وأيضاً فإن حروف الكلمة يقع بعضها سابقاً لبعض فعند خط الكاتب «ها» قد حصلت وثبتت قبل خطه «سيناً» وكذلك السين حصلت وثبتت قبل خطه «ميمأ» وكذلك النطق إذا تلفظ بالباء حصلت قبل السين وما تقدم بعضه على بعض وتأخر بعضه عن بعض فهو صفة الخلق لا صفة الحق<sup>(١)</sup>: وكذلك الأصوات يتقدم بعضها على بعض ويتأخر بعضها عن بعض ويخالف بعضها بعضاً وكل ذلك صفة كلام الخلق لا صفة كلام الحق الذي هو قديم ليس بمخلوق. وأيضاً فإن القول بقدّم الأصوات والحروف يوجب القدم لجميع كلام الخلق، وأصوات الناطق والصامت، وهذا قول يؤدي إلى قدم جميع العالم أجمع، وأيضاً فإن الحروف التي يزعمون أنها قديمة وأنها صفة لكلامه تعالى لا يخلو إما أن تكون هذه الحروف التي تجري في كلام الخلق أو مثلها أو ضدها. فإن قالوا: إنها هي وجب قدم كلام الخلق، وكذلك إن قالوا مثلها وجب ذلك أيضاً، لأن حد المثليين ما سُدَّ أحدهما مسد الآخر وناب منابه وسارقه من جميع الوجوه.

وإن قالوا: بل هي مضادة لهذه الحروف فقد يقولون القول [من غير] أن يكون [له] معنى وهذا بين الفساد.

ويدل على أن كلام الله القديم لا يجوز أن يكون حروفاً وأصواتاً؛ ما روي عن ابن عباس أنه قال: لما سلط الله بختنصر على اليهود لما قتلوا يحيى عليه السلام سلطه عليهم فقتلهم وخرّب بيت المقدس وحرّق التوراة. قال عزير عليه السلام في جملة مناجاته: (يا رب سلط عليهم عدواً من أعدائك، بطر رحمتك، وأمن منكرك، وهدم بيتك، وحرّق كتابك) فأوحى الله تعالى إليه من جملة ما أوحى أن بختنصر إنما أحرّق

(١) قال المصنف في النقص الكبير - كما في الشامل لإمام الحرمين -: (من زعم أن السين من بسم الله بعد الباء، والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد خرج عن العقول وجحد الضرورة وأنكر البديهة. فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف بأوليته، فإذا ادعى أنه لا أول له فقد سقطت محاجته وتعين لحرقه بالسفسطة، وكيف يرجى أن يرشد بالدليل من يتوابع في جحد الضروري (هـ) راجع ما علقناه على السيف الصقيل (ص ٤٦٢) (ز).

من التوراة الخط، والحروف، والورق، والدفتر ولم يحرق كلامي، فأخبر تعالى أن كلامه ليس هو الحروف التي حرقت ولا أنه مما تناله الأيدي ولا تعتيده ولا يبلى ولا يتعدم، ويؤكد هذا قول النبي ﷺ: «لو جعل هذا القرآن في إهاب وألقي في النار لم يحترق» ولم يرد ﷺ أن الجلد، والمداد والحروف المصورة لا تحترق، وإنما أراد أن كلام الله تعالى هو القرآن لا يحترق في النار ولا يتصور عليه الحرق والعدم، إنما يتصور ذلك على الأجسام والأشكال. فأما الكلام القديم فلا. والذي يدل على صحة هذا أنه - ونعوذ بالله تعالى - لو أخذ اليوم جبار عاص لله مصحفاً فحرقه بالنار حتى صار رماداً، أنقول إن كلام الله القديم احترق وانعدم؟ أم نقول إن كلامه باقٍ ثابت لم يحترق ولم يتعدم، وإنما احترق الورق، والحروف المصورة بلا خلاف بين كل عاقل.

دليل آخر على حدث الحروف: وهو أن الأمة مجمعة على أن من قرأ كلام الله تعالى في صلاته لم تبطل صلاته، ولا خلاف أن من قرأ حروف التهجي في صلاته بطلت صلاته، فعلم بذلك أنها ليست بكلام الله تعالى.

دليل آخر على ذلك: وهو أن من قرأ القرآن وهو جنب أو امرأة حائض مع علمها بتحريم ذلك أنهما قد عصيا وفعلا ما لا يجوز لهما، ولو تهجى الجنب والحائض حروف الهجاء من أولها إلى آخرها لم يعصيا بذلك، فعلم بذلك أن الحروف غير كلام الله تعالى. وإنما هي آلة يكتب بها كلام الله تعالى ويتلى بها كلامه، وليست نفس كلامه. ويدل على ذلك أيضاً ما روى علي رضي الله عنه أنه قال في جواب مسائل سأله عنها اليهود فقال: إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بلا جوارح، ولا أدوات، ولا حروف، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه عن تكيف الصفات. وأيضاً ما روى عن علي عليه السلام أنه سئل هل رأيت ربك؟ وكان السائل له دعبيل فقال في جوابه: لم أعبد رباً لم أره. فقال له: كيف رأيت؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، بل رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويحك يا دعبيل! إن ربي لا يوصف بالبعد وهو [قريب] ولا بالحركة، ولا بقيام، ولا انتصاب، ولا مجيء، ولا ذهاب، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الأجلاء لا يوصف بالغلظ، رؤوف رحيم لا يوصف بالبرقة، أمر لا بحروف، قائل لا بألفاظ، فوق كل شيء ولا يقال شيء تحته، وخلف كل شيء، ولا يقال شيء قدامه، وأمام كل شيء، ولا يقال له أمام، وهو في الأشياء غير ممازج ولا خارج منها كشيء من شيء خارج، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ أَلْسِنَتَيْنِ﴾ [الأعراف: ٥٤] لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.

ويدل عليه قول شيخ طبقة التصوف الجنيد رحمه الله؛ فإنه قال: جلّت ذاته عن الحدود، وجلّ كلامه عن الحروف، فلا حد لذاته، ولا حروف لكلامه. ويدل عليه أيضاً ما حدّث به أبو بكر<sup>(١)</sup> النقاش في تفسيره عن آدم بن أبي إياس قال: رأيت في يد بكر بن خنيس كتاباً فزدت فيه حرفاً أو نقصت منه حرفاً: فقال لي بكر بن خنيس: يا آدم من أمرك أن تفعل هذا؟ أما علمت أن الله تعالى لما خلق الألف انتصبت قائمة، فلما خلق الباء أضجعت، وقيل للألف لم انتصبت قائمة؟ قالت: أنتظر ما أؤمر. وقيل للباء لم أضجعت؟ قالت: سجدت لربي. فقال بكر: فأيهما أجل؟ الذي فعل ما لم يؤمر به - يعني الباء سجدت ولم تؤمر بالسجود - أو الذي انتظر ما يؤمر - يعني الألف .. قال آدم بن أبي إياس: فكانه فضل الألف على الباء ودلالة هذا على وجهين:

أحدهما: أنه صرح في هذا بخلق الألف والباء.

والثاني: أنه فضل الألف على الباء، والقديم لا يجوز أن يفضل بعضه على بعض، ولا يوصف بالأبغاض وإنما الذي يبعض ويحدد تلاوة القديم لا نفس الكلام القديم؛ وأيضاً ما ذكره في تفسيره بإسناد رفعه إلى كعب الأحبار أنه قال: إن أول ما خلق الله تعالى من الحروف الباء، ويقال: كانت الألف والسين حرفين كاملين فرُفعت السين فرقع الله الألف عليها.

وأيضاً ما روي عن عبد الله بن سعيد أنه قال: عرضت حروف المعجم على الرحمن تعالى وتقدّس وهي تسعة وعشرون حرفاً فتواضع الألف من بينها فشكر الله تعالى له فجعله قائماً، وجعله أمام اسمه الأعظم - يعني الله - فإنه لم يسم به غيره.

ويدل عليه أيضاً: أن حروف التوراة مخالفة لحروف الفرقان في الهيئة والصورة والعدد، لأن حروف التوراة حروف عبرانية، وكذلك القول في حروب الإنجيل والمقروء بالكل منهما وإن اختلفت الحروف شيء واحد، لا يختلف ولا يتغير.

وأيضاً فإن الحروف تحتاج إلى مخارج، فحرف الشفة غير حرف اللسان، وحرف الحلق غيرهما، فلو كان تعالى يحتاج في كلامه إلى الحروف لاحتاج إلى المخارج وهو منزّه عن جميع ذلك سبحانه وتعالى عما يشركون.

(١) محمد بن الحسن صاحب شفاء الصدور الكذاب المشهور (ز).



وأيضاً فإن الحروف متناهية معدودة، وكلام الله تعالى قديم لا مفتوح لوجوده ولا نهاية لدوامه كعلمه، وقدرته، ونحو ذلك من صفات ذاته. وقد أكد تعالى ذلك بغاية التأكيد، وأن كلامه لا يدخله العد والحصر والحد، بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِي رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبِطْنٍ مَدَادًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَنَّا وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] فأخبر تعالى في هاتين الآيتين أنه لا نهاية لكلامه. إذ كل ما له نهاية له بداية، وإنما تتصور النهاية في حق من يتصور في حقه البداية. وبالجملته أن من خالف في هذا فلا أراه أهلاً للكلام معه، لأنه ينكر ما قد علم ضرورة ويكابح الحس ويعاند الحق، وفي هذا القدر كفاية ومقتنع.

### مسألة

ويجب أن يعلم أن القراءة<sup>(١)</sup> غير المقروء، وأنها صفة للقارئ، والمقروء بها غير مخلوق بل هو من كلام الباري وكذلك الحفظ صفة القلب والمحفوظ غير مخلوق، بل هو كلام الرب، وكذلك السمع صفة السامع والمسموع به غير مخلوق بل هو كلام الله تعالى؛ وكذلك الكتابة صفة الكاتب والمكتوب بها من القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولا صفة مخلوق، وهذا كما تقول: إن الذكر غير المذكور، لأن الذكر صفة الذاكر، والمذكور بذكرة هو الله تعالى، وكذلك العبادة صفة العابد من المخلوقين، والمعبود غير العبادة بل هو الله تعالى؛ وكذلك التسبيح صفة العبد المسيح، والمسيح هو الله تعالى، والذي يحقق هذه الجملة النفي، والإثبات، والوجود، والعدم. فإنك تقول: قرأ زيد أمس. فقراءته أمس معدومة اليوم، وقراءته اليوم غير قراءته أمس، والمقروء أمس بقراءته أمس هو المقروء بقراءته اليوم. ثم تنفي تارة أخرى فتقول: لم يقرأ زيد يوماً ولم يوجد منه قراءة، والمقروء موجود ثابت لا يتصور عليه العدم، بل هو ثابت قبل وجود زيد وقبل وجود قراءته، وموجود ثابت في حال قراءته وبعد قراءته على وجه واحد لا يتصور عليه الشيء وضده وهذا كما تقول: عبد زيد ربه اليوم ولم يعبده أمس، فعبادته اليوم غير عبادته أمس، وعبادته أمس

(١) ليكن على ذكر منك ما علقناه على مواضع من هذا الكتاب وغيره من أن وصف القرآن القائم بالله المقروء والمكتوب، والمخطوط، والمسموع من قبيل وصف المدلول بوصف الدال عند السعد وغيره من المحققين (ز).

ليست موجودة اليوم، لكن المعبود موجود قبل أس وفي اليوم لا يجوز أن يوصف بالشيء وضده. وعلى هذا نفس المحفوظ، والمسموع، والمكتوب، فإن الكتابة توجد بعد أن لم تكن، والحفظ يوجد بعد أن لم يكن، والسمع يوجد بعد أن لم يكن؛ ويتصور على الحفظ العدم بالنسيان. ويتصور على السمع العدم بالصمم؛ ويتصور على الكتابة العدم بالغسل بالماء وطول الزمان والحرق بالنار، لكن المحفوظ من كلام الله تعالى، والمكتوب، والمسموع لا يتصور عليه العدم بوجه من الوجوه، لأنه قديم كذاته تعالى في القدم، ولا تقول كذاته تعالى من جميع الوجوه، لأنه لو كان كذاته تعالى من جميع الوجوه لوجب أن يكون خالقاً رازقاً محياً ممبئاً.

\* \* \*

## فصل

[ويعلم من] جميع ما تقدم: أن القراءة تارة توصف بالصحة والحسن، وتارة بالفساد والقبح. فيقال: قراءة فلان حسنة صحيحة جيدة، ويقال: قراءة فلان قبيحة فاسدة، فالقراءة تنصف بالشيء وضده، لأنها صفة القارىء، والمقروء بها لا ينصف بالشيء وضده، لأنه صفة الباري. وكذلك أيضاً القراءة تكون تارة طيبة مستلذة، وتارة تأباها الطباع وتنفر عنها الأنفس، لكن المقروء والمتلو من كلام الله تعالى لا يختلف ولا يتغير بتغير غيره. وكذلك الكتابة تكون تارة بالذهب، وتارة بالفضة، وتارة بالمسك والعنبر، وتارة تنحت في الخشب، وتارة تكون بقطع الأجر، فكتابة الذهب غير كتابة الفضة، وكذلك كتابة المسك غير كتابة العنبر، لكن المكتوب وهو القرآن كلام الله بالذهب هو المكتوب بالفضة، وكذلك المكتوب بالمسك هو المكتوب بالعنبر، وما أعلم أحداً يخالف في هذا إلا أحد رجلين: إما جاهل غبي ليس له حس ولا تصور، وإما منافق مدهن، نعوذ بالله من الجميع ونسأله حسن التوفيق في الدنيا والآخرة.

[فتحقق من] جميع ما ذكرنا أن القراءة فعل من أفعال العباد، والمقروء والمتلو لا يجوز أن يكون فعلاً من أفعال العباد، ولا نقول أيضاً إنه من صفات الفعل لله تعالى بل هو من صفات الذات. يدل على صحة هذا القول أن رجلاً لو حلف بالطلاق لأقمت من موضعي هذا حتى أفعل فعلاً يكون طاعة من طاعات الله فقرأ آيات من القرآن ثم قام قبل أن يفعل شيئاً آخر أنه قد برّ في يمينه ولم يحنث، فعلم أن القراءة فعل القارىء الذي يُتاب عليها تارة ويُعاقب عليها أخرى، والمقروء في حال

الطاعة هو المقروء في حال المعصية، وهذا أمر قد اتضح بحمد الله تعالى لمن له أدنى عقل وتصور.

## مسألة

ويجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يقول أحد إنني أتكلم بكلام الله، ولا أحكي كلام الله ولا أعير كلام الله ولا أتلفظ بكلام الله، ولا أن لفظي بكلام الله مخلوق ولا غير مخلوق، بل الذي يجوز أن يقول: إنني أقرأ كلام الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [الضحك: ٩٨] وكما قال: ﴿فَأَقْرءُوا مَا يَتَرَىٰ بَيْنَهُ﴾ [المزمل: ٢٠] ويجوز أن يقول: إنني أتلو كلام الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ﴾ [الشم: ٩٢] ويجوز أن يقول إنني أحفظ القرآن كما قال ﷺ: «من حفظ القرآن ثم نسيه... الخيره». فكل ما نطق به الكتاب والسنة في القرآن جاز لنا أن نطلقه، وما لا ينطق به كتاب ولا سنة فلا نطلقه في الله تعالى، ولا في صفاته. فاعلم ذلك وتحققه.

وأيضاً فإن زيدا إنما يكون متكلماً بكلامه، ولا يجوز أن يكون زيد متكلماً بكلام عمرو، وكذلك لا يكون زيد أسود سواداً من عمرو، ومن عجيب الأمر أن المعجمة الحشوية لا يجوزون أن يتكلم زيد بكلام عمرو وعمرو مخلوق، وكلامه مخلوق، والمخلوق إلى المخلوق أقرب في الشبه والذات والصورة والحكم، ويجوزون أن يقولوا: نتكلم بكلام الله تعالى وكلام الله غير مخلوق ولا يشبه كلام الخلق في الذات والحكم.

## مسألة

ويجب أن يعلم أن الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس لكن جعل عليه أمارات تدل عليه، فثارة تكون قولاً بلسان على حكم أهل ذلك اللسان وما اصطالحوا عليه وجرى عرفهم به وجعل لغة لهم، وقد بين تعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ. لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] فأخبر تعالى أنه أرسل موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بلسان عبراني، فأفهم كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية، وبعث عيسى عليه السلام بلسان سرياني، فأفهم قومه كلام الله القديم بلسانهم، وبعث نبينا ﷺ بلسان العرب، فأفهم قومه كلام الله القديم القائم

بالنفس بكلامهم؛ فلغة العرب غير لغة العبرانية ولغة السريانية غيرهما، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، وقد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل خط، فيقوم الخط في الدلالة مقام النطق باللسان، وقد بين تعالى ذلك فقال: ﴿هَذَا كِتَابًا يُطَوعُ عَلَيْكُمْ وَالْحَقُّ بِآثَانًا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٩] فقام الخط مقام النطق، لما كان يدل على الكلام دلالة النطق، لكن الخطوط تختلف بحكم الاصطلاح والمواضع وقلة الحروف وكثرتها، فحرف الإنجيل والتوراة كل واحد منها خلاف الآخر، وكذلك حروف العرب وخطوطهم تخالف غيرها، وكذلك حروف الهند وخطوطهم تخالف الجميع، لكن لكل خط وحرف بين أهله يقوم لهم في الدلالة على الكلام القائم بأنفسهم مقام دلالة نطق ألسنتهم، ويختصون بذلك في الفهم والاصطلاح عند كلام اللسان، وعند رسم الحروف الخطوط، حتى لا يفهم غيرهم ذلك إلا أن يتعلم لغتهم وخطوطهم، فصح أن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره، وإنما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح ويجوز أن يسمى كلاماً إذ هو دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام، الحقيقي. وكذلك قد يدل على الكلام الحقيقي القائم بالنفس الرموز والإشارات، وقد بين تعالى بقوله في قصة زكريا عليه السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُكَ آلًا تُكَلِّمُ نَأْسًا تَلَكُّنَ آيَاتِي إِلَّا رَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤١] يعني أن لا تفهم الكلام القائم بنفسك باللسان، وإنما أفهمه بالرمز والإشارة ففعل كما أمره تعالى، فأخبر عنه فقال: ﴿لَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] فأفهم أمره الذي هو الأمر بالتنسيب القائم في نفسه بالإشارة دون نطق اللسان، وكذلك الأخرس الذي لا ينطق باللسان ولا يسمع الصوت، إنما يفهمنا كلامه القائم بنفسه، ونفهمه كلامنا القائم بأنفسنا بالإشارة دون نطق اللسان، فحصل من هذه الجملة أن حقيقة الكلام على الإطلاق في حق الخالق والمخلوق إنما هو المعنى القائم بالنفس لكن جعل لنا دلالة عليه تارة بالصوت والحروف نطقاً، وتارة بجمع الحروف بعضها إلى بعض كتابة دون الصوت ووجوده تارة إشارة ورمزاً دون الحرف والأصوات ووجودهما، فحقيق الكلام القائم بالنفس موجود عند الحرف والصوت، لكن الخلق بكلامهم مخلوق بهم وكلام الله ليس بمخلوق كهو، سبحانه وتعالى. ونريد بقولنا كهو أن صفات ذاته لا توصف بالخلق والحدث ولا بشيء من الخلق والحدث، كما أنه تعالى لا يوصف بالخلق والحدث. ولا بشيء من صفات الخلق

والحدث، ولا نريد بقولنا كهو أنها خالفة رازقة. فافهم هذا التحقيق، لأن المعتزلة تشنع وتقول: إذا كان الباري عالماً يعلم ومتكلماً بكلام والكل قديم<sup>(١)</sup> يجب أن يكون معه قدماء كثيرة في الأزل، وإذا كانت كهو فيجب أن تكون خالفة رازقة آلهة كهو، وهذا تمويه منهم على عقول العوام، حتى ينفروهم عن أهل التحقيق والسنة والجماعة، ويميلوا إلى باطلهم من نفي صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ حتى يوافقوهم في القول بخلق القرآن معنى، وإن لم ينطقوا به، وكذلك أن المعتزلة أكثر حجتهم على أن كلام الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن أنه بزعمهم حروف وأصوات فرضوا من هؤلاء العوام أن يصرحوا في كلام الله تعالى بما يوجب كونه مخلوقاً ضرورياً، وإن لم يقولوا إنه مخلوق نطقاً. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومما يدل على أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس من الكتاب والسنة والأثر وكلام العرب؛ ما نذكر<sup>(٢)</sup> فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ السُّنُوفُونَ قَالُوا لَقَدْ أَتَيْتَكُم بِرَسُولٍ إِلَهُكُمْ وَإِنَّكُمْ لَشُرَكَاءُ لَهُ فَأَلَّوْا بِأَعْقَابِهِمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ سَاقِطَةً كَمَا هِيَ لَئِن لَّمْ يَظُنُّوا أَنَّهَآ إِلَهُكُمْ فَآخَرُونَ﴾ [المنافقون: ١] ونحن نعلم وكل عاقل أنه تعالى ما كذب المنافقين في ألفاظهم، إنما كذبهم فيما تكنه ضمائرهم وتكنه سرائرهم. وأيضاً قوله تعالى مخبراً عن الكفار: ﴿وَيَقُولُونَ بَيْنَ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَتَّىٰ نَمُوتَ﴾ [المجادلة: ٨] فأخبر تعالى: أن القول بالنفس قائم وإن لم ينطق به اللسان، والقول هو الكلام، والكلام هو القول. وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ أَلْسِنًا وَنَحْفَىٰ﴾ [طه: ٧] قيل ما حدث به المرء نفسه مما يضر فيها من قول أو فعل. وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَخَذْنَاهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن أَكْثَرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأَيْمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] فأسقط تعالى تلفظ المنافقين بالشهادة لرسوله، وجعل حكم الكذب للقول الذي في النفس والكلام الذي في النفس دون نطق اللسان، وأسقط حكم الكفر عن المكروه على كلمة الكفر وجعل الحكم لصدق الكلام القائم في القلب؛ فدلّ بهذه الآيات وما جرى

(١) وقول القاضي عضد الدين في الواقف: (لا ثبت في غير الإضافة) حاسم للنزاع بين الفريقين عند من أحاط خبراً بما يقوله، وراجع حاشية الخيالي وعهد الحكيم على النسخة (ز).

(٢) لقد أحسن المصنف كل الإحسان في التدليل على الكلام النفسي بتوسع لا تجده في غير هذا الكتاب؛ والنزاع بين الفريقين في إثبات ذلك ونفيه كما سبق (ز).

مجراها أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس. وله الحكم في الصدق والكذب دون الحروف والأصوات التي هي أمارات ودلالات<sup>(١)</sup> على الكلام الحقيقي.

ويدل على ذلك من جهة السنة قوله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه». وهذا في حق المنافقين، فأخبر ﷺ أن الكلام الحقيقي هو الذي في القلب دون نطق اللسان، وأن الحكم للكلام الذي في القلب على الحقيقة وأن قول اللسان مجاز قد يوافق قول القلب وقد يخالفه. وأيضاً قوله ﷺ: «الندم توبة» فأخبر ﷺ: أن العاصي إذا نوى بقلبه الندم على المعصية منها أن ذلك حقيقة التوبة، وأن استغفار اللسان تبع لذلك، فصحح أن الكلام الأصلي الحقيقي المعنى القائم بالنفس.

وأيضاً قوله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه» فأثبت الذكر للنفس، فالذكر والقول، والكلام، واحد، فعلم أن حقيقة الكلام المعنى القائم في النفس.

ويدل على ذلك أيضاً قول عمر رضي الله عنه: زورت في نفسي كلاماً فأتى أبو بكر فزاد عليه. فأثبت الكلام في النفس من غير نطق لسان، وعمر كان من أجل هذا اللسان والفصاحة وهو أحد الفصحاء السبعة، والعربي الفصيح يقول كان في نفسي كلام، وكان في نفسي قول، وكان في نفسي حديث، إلى غير ذلك. وأنشد الأخطل:

لا تعجبينك من أثير خطبةً حتى يكون مع الكلام أصيلاً  
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

واعلم أن مذهب أهل الحق والسنة والجماعة أن كلام الله القديم ليس بمخلوق، ولا محدث، ولا حادث، ولا خلق، ولا مخلوق، ولا جعل، ولا مجعول، ولا فعل، ولا مفعول. بل هو كلام أزلي أبدي هو متكلم به في الأزل، كما هو متكلم به فيما لا يزال. لا أول لوجوده، ولا آخر له، وأنه لا يقال إن كلامه حكاية ولا عبارة ولا إني أحكي كلام الله، ولا إني أعبر كلام الله، بل نقول: نتلو كلام الله، ونقرأ كلام الله، ونكتب كلام الله، ونحفظ كلام الله، وأنه يجب التفرقة بين القراءة والمقروء، والتلاوة والملتو، والكتاب والمكتوب، والحفظ، والمحفوظ، ولا يجوز

(١) وهذا يعود إلى ما حققه السعد كما سبق (ز).

أن يطلق على كلامه شيء من أمارات الحدث من حرف ولا صوت، ولا يقال إن القديم يجوز حلولة في المحدث كحلول الشيء في الشيء. وقد قدّمنا الأدلة على جميع ذلك وحققناه، ومنعّب المشبهة الحلولية المجسمة؛ أن كلام الباري حروف وأصوات وأنه قديم، وأن الحروف والأصوات التي توجد في كلام الخلق كلها قديمة، لا أخصص بعضهما على بعض، وهذا قول يفضي إلى قدم العالم عند كل محقق، ومنهم من قال: بل الأصوات والحروف إذا ذكرنا الله تعالى بها أو تلونا به كلامه قديمة، فإذا ذكرنا بها غير الله وأنشدنا بها شعراً كانت محدثة، وهذا جهل عظيم وتخبط ظاهر، لأن الشيء عندهم على هذا القول تارة يكون محدثاً ثم يصير قديماً، وتارة قديماً ثم يصير محدثاً، وليس في الجهل أعظم من هذا وكفى به رداً لقولهم. ومنهم من يقول: أصواتنا وحروفنا بالقرآن قديمة وبغير القرآن محدثة، وهذا مثل القول الأول على الحقيقة وإن اختلفت العبادة، وقد بيّنا فساده، ومنهم من حدث في هذا الوقت وبان له فساد الأقوال المقدم ذكرها فقال بجهله: أقول إن القرآن بأصوات وحروف تكلم بها الله، وإن كلامه حروف وأصوات، لكن حروف قديمة وأصوات قديمة. لا تشبه هذه الحروف والأصوات المخلوقة التي تجري في كلام الخلق، وهذا أيضاً جهل من قائله، ويؤدي أن لا يكون في المصاحف القرآن. لأن الحروف التي تكتب بها المصاحف هي هذه الحروف التي تجري في سائر ما يكتب ويؤدي إلى أن القرآن الذي نقرؤه ليس بقرآن، لأن القرآن بحروف وأصوات قديمة، ولا تشبه هذه الحروف والأصوات، ونحن لا نسمع إلا صوتاً مثل هذه الأصوات، ولا نرى حرفاً ولا نسمعه إلا مثل هذه الحروف؛ وهذا القول يوجب أن لا يكون عندنا قرآن بالجملة أو يؤدي إلى أن يكون هذا القرآن بهذه الحروف والأصوات المعروفة غير ذلك القرآن الذي هو بحروف وأصوات قديمة، لا تشبه هذه الحروف والأصوات، والجميع فاسد باطل، وسيأتي بطلان مقالاتهم في هذا وغيره في جواب ما يزعمون أنه حجة لهم في هذا وغيره، إن شاء الله تعالى.

وزعمت المشبهة أن القراءة هي المقروء، والتلاوة هي المتلو، وزعموا أن القديم يحل في المحدث<sup>(١)</sup> ويختلط به، وتمسكوا في جميع ذلك بآيات وآثار زعموا أنها حجة لهم فيما صاروا إليه من هذه البدعة العظيمة التي جميعها يدل على أن كلام الله مخلوق محدث، فاحتجوا في التلاوة هي المتلو، وأن الله يسمى تالياً، ولا فرق

(١) كما هو رأي السالمية (ز).

عندهم في أن يقال نال أو متكلم. قالوا: والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿بَلَّغْ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ اللَّهُ تَلَوَّهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ويقوله تعالى: ﴿تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَحْمِ مَوْسَىٰ وَوَرَعَاتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [القصص: ٣]. قالوا: فسمى نفسه نالاً كما سمي نفسه متكلماً وقائلاً، والجواب عن هذا وما جرى مجراه من وجهين:

أحدهما: أنا نقول ما أنكرتم أن ما ذكرتم هو حجة عليكم، وأن هاتين الآيتين قد دلتا على الفرق بين التلاوة والمنلو، وأن التلاوة غير المتلو وذلك أنه قال: ﴿تَتْلُو عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] والحق هاهنا هو كلامه القديم الموجود بوجوده القديم بقدمه، والتلاوة لم تكن موجودة ثم أوجدها؛ والدليل على أن الحق هو كلامه القديم الموجود بوجوده قوله تعالى: ﴿أَمْرٌ يَقُولُونَ أَقْرَبَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يُسْمِعُ قَوْمًا مَا أَنْتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ٣] وأيضاً قوله تعالى: ﴿حَقٌّ إِنْ فَرَجَ عَنْ قَلْبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٢٣] فدل على أن الحق هو المتلو القديم، وأن التلاوة صفة لا فعل ذات. والذي يحقق ذلك قوله تعالى، قال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا﴾ [الغنكبوت: ٤٨] فنفى قبل أن يكون نالياً، ثم أحدث له تلاوة ولم تكن ثم كانت، فالحق الذي هو المتلو موجود ثابت لا يتصف بأنه لم يكن ثم كان.

والجواب الثاني: أن قوله «تتلوا» يريد به بأمر من يتلو عليك، وهو جبريل عليه السلام. إلا أن التلاوة لما كانت بأمره أضافها إلى نفسه، وهذا صحيح، يدل عليه الكتاب والمعنى الصحيح. فأما الكتاب، فالدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ مَا بَدَأَ اللَّهُ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١] وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٧٣﴾ عَلَيَّ قَلِيلًا لِيُكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٤﴾ يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] وصار هذا كقوله في قوم نوح: ﴿إِنَّا لَنَّا طَمَأْنَا أَنَّكَ مَعَكُنَا فِي الْبَابِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ١١] يعني السفينة، فأضاف الحمل في السفينة إلى نفسه، والحامل فيها نوح عليه السلام، إلا أنه لما كان بأمره أضاف الحمل إليه، والدليل على الحامل أنه كان نوحاً عليه السلام، قوله تعالى: ﴿قَلْنَا اجْعَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مَكْتُومٍ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠] وهذا أيضاً كقوله تعالى في قصة مريم عليها السلام: ﴿فَتَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الانبيا: ٩١] والنافخ كان جبريل عليه السلام إلا أنه لما كان نفخه بأمره أضاف ذلك إلى نفسه فلذلك أضاف التلاوة إلى نفسه لما فعلت بأمره. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَفَّاهُ اللَّهُ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ آيَاتِهِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ [النحل: ٢٦] وجبريل عليه السلام الذي كان أتى البنيان، لكن لما كان بأمره أضافه إلى نفسه



وكذلك قوله تعالى: ﴿رَلَقَدِ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْتَهُ عَلٰى عَلَيْهِ﴾ [الأعراف: ٥٢] والذي جاءهم بالكتاب هو النبي ﷺ، لكن لما كان مجيئه بالكتاب إليهم بأمره تعالى أضاف ذلك إلى نفسه، والقرآن من هذا مملوء إذا تتبع. إنه يضيف الفعل إلى نفسه وإن كان الفاعل له غيره، لما كان بأمره.

وأما الدليل من كلام العرب، فإنه يقال: نادى الأمير في البلد، فيضاف النداء إليه لما كان بأمره، وإن كان المنادي غيره، فصح ما قلناه.

ثم نقول لهم: ليس الله تعالى قال: ﴿مَنْ نَقَضَ عَهْدَكَ أَخَصَرَ الْقَصِيرَ﴾ [يوسف: ٣] أتقولون: إن الله تعالى قاص؟ هذا قول لا يجوزُه أحد من المسلمين؛ لكن لما قض عليه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى أضاف القصص إلى نفسه، لما كان بأمره، وقد بين ذلك بقوله: ﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣] فالقرآن كلامه وصفته، وقض جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ بالقرآن الذي تضمن قصص الأولين وأخبارهم. فإن احتجوا على أن القراءة هي المقروء بما روي عنه ﷺ أنه قال: ﴿قرأ الله ﷻ طه﴾ [١] و﴿يس ﷻ﴾ [١] قبل أن يخلق الخلق بالفي عام، فلما سمعت الملائكة قالوا: طوبى لامة ينزل هذا عليها قالوا: فأضاف القراءة إلى الله تعالى. فالجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنه ذكر أن القراءة وجدت قبل السموات والأرض بالفي عام، ودل على أنها لم تكن موجودة ثم وجدت، والمقروء القديم ليس لوجوده أولية، بل هو موجود بوجوده تعالى، فدل على الفرق بين القراءة والمقروء، لأن المقروء موجود بوجوده تعالى.

والجواب الثاني: أنه أمر بعض الملائكة أن يقرأ ﴿طه ﷻ﴾ [١] و﴿يس ﷻ﴾ [١] قبل أن يخلق السموات والأرض بالفي عام، فلما سمعت الملائكة ذلك قالوا: وأضاف القراءة إلى نفسه. لما كانت بأمره، فصار هذا كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَتَوَقَّ الْأَنْفُسَ جِنَّةً مَّوْتَهَا﴾ [الزمر: ٤٢] والمتوفى هو ملك الموت، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] لكن لما كان توفيه لهم بأمره أضاف ذلك إلى نفسه.

## فصل

ومما يقوي جميع ذلك من السنة: أن الفعل يضاف إلى الأمر به، وإن كان لم يفعله بنفسه، وإنما أمر بفعله؛ ما روي أن النبي ﷺ رجم ماعزاً؛ والنبي ﷺ لم يباشر الرجم بنفسه، لكن لما أمر الصحابة جاز أن يضاف إليه.

وأيضاً ما روي عنه ﷺ أنه قطع يد سارق ثوب صفوان ومعلوم أنه ﷺ ما باشر القطع، لكن أمر به، فأضيف الفعل إليه لما صدر عن أمره. وكذلك روي عنه ﷺ أنه جلد شارب الخمر أربعين، ولم يباشر الجلد بنفسه، لكن لما كان عن أمره جاز إضافة الفعل إليه. والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً. وأيضاً يقال: جبي عمر رضي الله عنه خراج العراق، ولم يباشر الجباية بنفسه، لكن لما جبي بأمره جاز إضافة الفعل إليه. وكذلك يقال: افتتح عمر رضي الله عنه الشام والأمصار، وهو لم يباشر ذلك بنفسه، لكن الصحابة والجنود بأمره، فصح بهذه الجملة أن التلاوة فعل التالي، لكن هي بأمر الله تعالى وإيجاده، فصح أن يضاف إليه القراءة والتلاوة على هذا الوجه، فأما المتلو والمقروء فليس بفعل لأحد بل هو كلامه القديم الذي هو صفة من صفات ذاته الذي ليس بمخلوق ولا يتصف بشيء من صفات الخلق.

\* \* \*

## فصل

ثم نقول لهؤلاء الجهلة الضالّاء: كيف يجوز لكم أن تقولوا إن القراءة هي المقروء، والتلاوة هي المتلو، والله تعالى قد فصل بينهما، وجعل القراءة فعل القارئ، والمقروء هو القرآن الذي هو كلام الباري، في غير موضع من كتابه.

أحدها: قوله تعالى: ﴿لِنَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [النحل: ٩٨] فأفرد القراءة عن القرآن، وأن القراءة فعل الرسول، والمقروء ليس بفعل لأحد، بل هو كلام الله القديم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ [آل عمران: ٤١] فأفرد الذكر عن المذكور، فالذكر فعل الذاكِر، والمذكور هو الله تعالى القديم الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وأيضاً قوله تعالى: ﴿فَاقْرَأُوا مَا نُنزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿أَتَلُّ مَا أُرْسِلُ بِكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الغنيبوت: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ [الشم: ٩٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩] وفي القرآن أكثر من ألف موضع يدل على الفرق بين التلاوة والمتلو، والقراءة والمقروء، لمن له حس سالم، وعقل ثابت. ومن القدر الذي قدمناه دليلاً:

أحدهما: أنه تعالى ذكر تلاوة، ومتلوأ، وقراءة، ومقروأ، فبطل بذلك زعمهم أنه شيء واحد.

الثاني: أنه أمر بالقراءة، والتلاوة، والأمر هو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه. والصفة القديمة التي هي المقروء، والمتلو لا يصح فيه الفعل ولا استدعاء الفعل، فصح أن المأمور به استدعى غير المقروء، والمتلو هي القراءة والتلاوة. فافهم هذا التقرير فإنه يوجب الفرق بين الأمرين، ضرورة الإشكال فيه. ثم نقول لهم: القراءة قد اختلفت وتنوعت أنواعاً، أفقولون إن المقروء الذي هو القرآن مختلف متنوع؟ فإن قالوا: نعم كفروا، وإن قالوا: لا فقد ثبت أن الذي جاز عليه الاختلاف والتنوع غير الذي لم يجز عليه ذلك، وأيضاً فإن كل قراءة منسوبة إلى قارئها، فيقال هذه قراءة أبي، وهذه قراءة ابن مسعود، وكذلك في سائر القراءات، ولا يجوز أن ينسب المقروء الذي هو القرآن إلى أحد من الخلق، فيقال هذا قرآن أبي ولا قرآن ابن مسعود، فصح أن القراءة فعل القارئ، فصح أن تنسب قراءة كل واحد إليه، لأنها فعله الذي يثاب ويمدح عليها تارة ويعاقب ويندم عليها أخرى، والمقروء بسائر القراءات كلام الله تعالى الذي ليس بفعل لأحد، فصح الفرق بين الأمرين.

\*\*\*

## فصل

ثم نقول لهم: ما تقولون فيمن قال: إن قرأت بقراءة أبي جعفر يزيد القعقاع - شيخ نافع - فعبدني حر، فقرأ بقراءة الجحدري عاصم، أيعتق عبده أم لا؟ ليس فيه خلاف بين المسلمين. ولو قال إن قرأت مقروء ابن كثير فعبدني حر، فقرأ بقراءة ابن عامر عتق عبده، لأن المقروء شيء واحد، وإن اختلفت القراءات.

\*\*\*

## فصل

ثم نقول: لو اجتمع مائة قارئ فقرأوا القرآن أليس عدة القراء مائة، كل واحد منهم يثاب على قراءته، فالثواب مائة ثواب على مائة قراءة، أفقولون: إن القرآن الذي قرؤوه بقراءتهم مائة قرآن أم قرآن واحد، فلا يقول عاقل إلا أنه قرآن واحد، لكن القراءات متعددة، فصح الفرق بين القراءة والمقروء.

\*\*\*

## فصل

ثم نقول لهم: إذا قرأ القارئ القرآن وحصل له الثواب، أحصل له الثواب على فعل فعله أو على غير فعل؟ فإن قالوا: على غير فعل فعله وجب أن يكون هذا الثواب يحصل للساكت كما حصل للقارئ، وهذا لا يقوله عاقل. وإن قالوا: على فعل فعله، صح أن الذي فعل القراءة، أو السماع إلى القراءة، والمقروء المتلو الذي هو كلام الله ليس بفعل لأحد، وكذلك المسموع ليس بفعل لأحد؛ فصح الفرق بين الأمرين. فافهم.

وأيضاً فإنه يجوز إذا أعرب القارئ القراءة، ومكن ما يجب تمكينه، ووقف فيما يجب الوقوف عليه، وبدأ بما يجوز البداءة به، وقطع ما يجوز القطع عليه، ووصل ما يجوز وصله، فجائز أن يقال فلان حسن القراءة، جيد القراءة، وإذا كان بالعكس من ذلك جاز أن يقال: فلان ليس بحسن القراءة ولا جيد القراءة، ولا يجوز أن يقال لمقروء غير حسن ولا جيد، بل المقروء حسن، سواء كانت القراءة حسنة أو غير حسنة. فافهم الفرق بين الأمرين.

ثم نقول لهم خبرونا: أليس الله تعالى فرض علينا القراءة في الصلاة؟ فإذا قالوا: بلى. قلنا: أفرض علينا شيئاً نفعله أو غير شيء نفعله؟ فإن قالوا: فرض علينا شيئاً نفعله. قلنا: وما هو هذا الشيء؟ فلا بد أن يقولوا: القراءة. قلنا: فقد صح أن القرآن موجود قبل القارئ له وقراءته في الصلاة، ثم أمره تعالى بأن يقرأ: أي يفعل فعلاً يسمى قراءة ففعل العبد صفة العبد لا صفة الرب، هذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٤١] أليس المذكور غير الذكر الذي هو فعل الناكر المأمور بفعله، فكذلك القراءة فعل القارئ والمقروء القرآن، ثم نقول لهم أليس كلام الله تعالى موجود بوجوده، قديم بقدمه قبل أن يخلق خلقاً، فلا بد من نعم. فنقول: فهل يصح وجود القراءة من القارئ قبل وجوده؟ فلا بد من لا. فنقول: ما كان موجوداً قبل القارئ فهو القرآن الذي هو كلام الله، وما وجد من القارئ بعد أمره بالقراءة فهو فعله لا محالة، وهذا قدر لا يخفى على بشر سليم العقل.

فإن احتجوا على أن الكلام القديم يوصف بالصوت والحرف، بقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] قالوا: والذي يسمع إنما هو صوت وحرف، وقد نسبه إليه، فدل على أنه متكلم بصوت وحرف. فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يقال لهم: ما أنكرتم أن تكون هذه الآية حجة عليكم، وذلك أن كل عاقل يقول: إن المشرك لا يسمع كلام الله بلا واسطة، وهي قراءة القارىء، فلا بد من وجود القراءة التي هي حروف وأصوات، فيحصل لهذا المشرك السماع حينئذ لكلامه تعالى، فحصل معنا عند ذلك مسمع أسمع كلام الله بإسماع أوجده، وهي قراءته التي هي حروف وأصوات، ومسموع وهو كلام الله تعالى الذي لا يجوز أن يكون حروفاً وأصواتاً، لأن الحروف والأصوات يتقدم بعضها على بعض، وصار هذا بمنزلة من أسمعنا الله بذكره، بأن قال: يا الله. قلنا: حصل معنا مسمع وهو الذاكر، وإسماع أسمعنا به المسموع، وهو المذكور، فالإسماع يقع بحروف وأصوات، فيجوز لكل أن يقول: إن الله المذكور هو حروف وأصوات<sup>(١)</sup>.

الجواب الثاني: أن المراد بهذه الآية ما هو سماع الحروف والأصوات إنما المراد بهذه الآية: حتى يتدبر كلام الله ويفهم ما فيه. لعله يرجع عن شركه ويهتدي، فالحروف والأصوات لا تهدي، إنما الذي يهدي هو القرآن الذي هو كلام الله تعالى. دليله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَوْسَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

جواب ثالث: وهو أن يقال لهم: إذا كان الكلام القديم أصواتاً وحروفاً.

والكلام المخلوق الذي من الشعر والخطب أصواتاً وحروفاً، فقد صار الكلام القديم كالكلام المخلوق، وهذا القول بوجوب أن يكون كل كلام قديم أو محدث [سواء] لأن الحرف والصوت في قول القائل إذ أخبر عن قول اللعين فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَقُ﴾ [التازعات: ٢٤] فاعبدون، فصورة الحروف في قول فرعون أنا ربكم، كصورتها في قراءة القارىء ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فصح أن الحروف والأصوات ليست [كلام] فرعون، ولا الرب تعالى، فالحرف والصوت يعبر به عن كلام فرعون، ويقرأ به كلام الله تعالى، فصح، أن الحرف والصوت أداة يقرأ بها الكلام القديم، لا أن الحرف والصوت نفس الكلام القديم.

جواب رابع: وهو أن يقال لهم: خبرونا عن قولكم إن الله تعالى متكلم بأصوات وحروف، أي هذه الحروف والأصوات الجارية الدائرة في سائر كلام الخلق، أو غيرها؟ فإن قالوا: هي هذه فقد جعلوا جميع كلام الخلق قديماً كله؛ وإن قالوا: بل هي غير هذه الحروف والأصوات الجارية في كلام الخلق. قلنا: فصح

(١) يعني الاسم لا المسمى (ز).

حينئذ أن قراءة القرآن بحروف وأصوات غير الحروف والأصوات التي تعنون؛ فإذن ليس عندنا كلام الله تعالى، بل هو غائب عنا، لأن أصوات القراء وحروفهم هذه هي المعمودة الجارية في كلام الخلق. وكذلك أيضاً يجب أن لا يكون في المصحف قرآن؛ لأن الحروف التي فيه هي الحروف المعمودة الجارية في خطوط الخلق، وكل هذين القولين باطل؛ فثبت أن الحروف والأصوات يقرأ بها الكلام القديم ويكتب بها الكلام القديم، لا أنها نفس الكلام. ثم يقال لهم: خبرونا: أيصح خروج حرف من غير مخارج؟ فإن قالوا: لا. قلنا: فتقولون إن الباري - تعالى عن قولكم - ذو مخارج من شفة للفء؛ وحلق للحاء؛ ولسان للشاء؛ وإن قالوا: نعم جسموا بإجماع المسلمين<sup>(١)</sup>؛ وإن قالوا: لا تحتاج الحروف إلى مخارج؛ فقد كبروا الحس والعيان مع قولهم بصحة الخبر المروري بزعمهم، وذلك أن كلامه منه خرج، وكلامه عندهم حروف، فيجب على قولهم أن يكون خروجها من مخارج؛ وكل هذا القول كفر وضلال، وسفه وحمق وجهل عظيم.

\*\*\*

## فصل

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿حَمَّ﴾ [غافر: ١، فصلت: ١، الشورى: ١، الزخرف: ١، الدخان: ١، الجاثية: ١، الأحقاف: ١] و﴿المر﴾ [البقرة: ١، آل عمران: ١، العنكبوت: ١، الروم: ١، لقمان: ١، السجدة: ١] ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور، وقالوا بالإجماع إن هذا كلام الله، فصح أن كلامه حروف، قلنا: الجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: إن أردتم بقولكم إنها كلام الله تعالى، بما تزعمون من الإجماع أن نفس صورة الألف، ولام، وميم نفس الكلام القديم، فلا قائل بهذا غير جهالكم الذين لا فهم لهم ولا عقل، لأن هذا القول منهم يؤدي إلى أن الكافر المشرك يقدر أن يوجد القديم ويفعل القديم، لأن كل كافر كاتب يقدر أن يكتب صورة ألف ويلفظ بألف، ومن عظيم الجهل أن يكون عبد مخلوق مبروب يقدر أن يوجد القديم ويفعل

(١) فتعساً لمن عزا إلى أحمد - كما سبق - سماع موسى التوراة من الله من فيه، كما في طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى في ترجمة الإصطخري؛ وذكره ابن بدران أيضاً في المدخل. نعوذ بالله من الخذلان (ز).

قديماً، هذا جهل ظاهر. وإن قلتم المفهوم من ﴿الْعَرَّ﴾ [البقرة: ١] و﴿حَدَّ﴾ [غافر: ١، فصلت: ١، الشورى: ١، الزخرف: ١، الدخان: ١، الجاثية: ١، الأحقاف: ١] ونحو ذلك هو كلام الله تعالى عند نظر الناظر إليها، وأن المسموع عند قراءة القارئ ﴿الْعَرَّ﴾ [البقرة: ١] و﴿حَدَّ﴾ [الشورى: ١] ونحو ذلك هو كلامه تعالى وهذا صحيح، وصح بذلك أن الكلام القديم يفهم بالحروف المنظومة، على اختلاف نظمها بين أرباب تلك الخطوط والأشكال كلام الله تعالى، فكذلك صح أن القراءة هي حروف وأصوات بها يسمع كلام الله القديم على حسب اختلاف اللغات بين أربابها، لا أنها نفس كلامه القديم. وقد اختلف المفسرون في هذه الحروف المقطعة في أوائل السور على ثمانية أقوال:

أحدها: أنها أسماء من أسماء القرآن، كالذكر والفرقان، وهذا قول قتادة وإبن

جريح.

الثاني: أنها اسم لكل سورة ذكرت في أولها، وهذا قول زيد بن أسلم.

الثالث: أنها يعبر بها عن اسم الله الأعظم، وهذا قول السدي، والشعبي.

والرابع: أنها أقسام أقسم بها الله تعالى، وبه قال ابن عباس، وعكرمة.

والخامس: أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال، فالألف من أنا، واللام من الله، والميم من أعلم. فكان معنى ذلك أنا الله أعلم. وهذا قول ابن مسعود، وسعيد بن جبير ونحوه عن ابن عباس أيضاً؛ والعرب قد تعبر عن الكلمة بحرف منها، كقول القائل: قلت لها قفي. قالت: قاف. أي وقفت، ومثله في كلام العرب كثير. وقد قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَيْهَيْتُمْ﴾ [مريم: ١] الكاف من كافي، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق.

السادس: أن كل حرف منها يدل على معان مختلفة، فالألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد، والألف آلاء الله، يعني نعمه، واللام ملكه، والميم مجده، والألف سنة، واللام ثلاثون سنة، والميم أربعون سنة، آجال ذكرها.

والسابع: أنها حروف من حساب الجمل، لما روي عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله قال: مر أبو ياسر [ابن أخطب] ورسول الله يتلو فاتحة الكتاب وسورة البقرة ﴿الْعَرَّ﴾ [ذَلِكَ الْكِتَابُ] [البقرة: ١ أو ٢] فأثاه أخوه حبي بن أخطب، فأخبره، فقال حبي بن أخطب: وأقبل على اليهود، فقال لهم: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم

أربعون، وهذه أحد وسبعون سنة، ثم [ذهب حيي مع هؤلاء نفر إلى رسول الله ﷺ و] قال رسول الله فهل معك غير هذه؟ قال نعم ﴿التَّصْرُ ١١﴾ [الأعراف: ١] قال: أثقل وأطول، والألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه أحد وستون ومائة سنة، ثم قال: هل معك غير هذه يا محمدا؟ قال: نعم، قال: ماذا؟ قال: ﴿الترُّ﴾ [يونس: ١، هود: ١، يوسف: ١، إبراهيم: ١، الحجر: ١] فقال: هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة، فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم ﴿الزَّعْدُ ١١﴾ قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة. قال: لقد التبس علينا أمرك حتى ما ندري أقليل أعطيت أم كثير. ثم قاموا من عند النبي ﷺ، فقال أبو يسار لأخيه حيي ولمن معه من اليهود: وما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومائة، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان، فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون سنة. قالوا: والله لقد تشابه علينا أمره، قيل فنزلت فيهم<sup>(١)</sup>: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ وَأَنْزَلَ مَتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَسْمَعُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

والثامن: أنها حروف هجاء، أعلم الله بها العرب حين نحداهم، أن تلاوة القرآن بحروف كلامهم هذه التي عليها بناء كلامهم، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج تلاوته عن مباني كلامهم.

جواب ثاني: وهو أنك تقول: إذا قلت أن الحرف المفرد إذا أتى به في تلاوة كلام الله هو نفس كلام الله، فما تقولون فيمن أسقط شيئاً من كلام الله، يجوز ذلك أم لا؟ فلا بد من أن يقولوا لا يجوز. فيقال لهم: خبرونا عن جماعة من القراء من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان الذين قرؤوا ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ١١﴾ [الفاتحة: ٤] وهم الأكثر، قد أسقطوا ألفاً هي في قراءة غيرهم. لأن غيرهم يقرؤون مالك بالألف. فإن قالوا: أخطؤوا فلا يجوز لهم ذلك. وهو القول الصحيح الصواب. قلنا: فصَحَّ أن الألف ليس نفس كلام الله القديم، لأنه لا يجوز لأحد أن

(١) والخبر ضعيف (ز).



يسقط منه شيئاً<sup>(١)</sup>، وإنما الألف صفة قراءة دون قراءة، فالمقروء مع إثبات الألف هو المقروء مع إسقاط الألف شيء واحد، لا يزيد بزيادة الحروف ولا ينقص بإسقاط الحروف، والقراءة تزيد بزيادة الحروف وتنقص بإسقاط الحروف، وقد قيل: إن من قرأ القرآن بقراءة ابن كثير كتب له أجر ختمه وثلاث، لأنه يزيد في الحروف أكثر من سائر القراء لأنه يقرأ لديه وإليه وعليه، والكسرة عندهم تقوم مقام حرف، وقرأ في التوبة ﴿يَجْتَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥ و٢٦٦، آل عمران: ١٥، ١٣٦، ١٩٥، ١٩٨] وهذا يوضح لك أن قوله ﷻ: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات» أن الحروف عائدة إلى القراءة. وطول حروفها دون المقروء الذي هو كلام الله تعالى لا يزيد ولا ينقص. وسنذكر ذلك في الجواب عن هذا الخبر إذا احتجوا إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

جواب آخر: وهو أنك تقول: خبرونا عن حروف كلام الله على زعمهم، أهي ثمانية وعشرون حرفاً أو أكثر أو أقل؟ فإن قالوا هي ثمانية وعشرون حرفاً فقد جعلوا القديم مما يحله الحصر والعد والافتتاح والانتهاج [وهي] صفة المخلوقات لا صفة القديم. وإن قالوا: أكثر. قلنا: أكثر إلى ما له حد أو إلى ما لا حد له؟ فأبي القولين قالوا كان باطلاً، لأن القرآن لا يخرج في الكتابة والتلاوة على أكثر من هذه الثمانية وعشرين حرفاً، فعلى قولهم يجب أن يكون معنا بعض القرآن لا كله، لأن القرآن عندهم حروف يزيد على هذه الحروف، ولعل الذي يكون معنا من القرآن أقله، لا سيما إن قالوا إن الحروف القديمة لا يدخلها حصر ولا عد، وهذا قول سافط وإه عند كل عاقل محصل، فلم يبق إلا أن الحروف والأصوات أدوات نكتب بها ونتلو بها الكلام القديم، وغير الكلام القديم، لا أنها نفس الكلام. فافهم ذلك.

وجواب آخر: وهو أن تقول لهم: خبرونا أليس قد قرأ سائر القراء غير نافع وابن عامر في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَيْءُ الْمَسِيدُ﴾ [الحديد: ٢٤] بإثبات الهاء والواو، وقرأ نافع وابن عامر بإسقاط الهاء والواو، فالذي أسقط من الهاء والواو كلام الله تعالى أو قراءة كلام الله تعالى، فلا يجوز لعاقل أن

(١) وإسقاط الألف وإثباتها متواتران، فيكونان كآيتين، ولم يسقطها قارىء بنفسه ولا أثبتها قارىء. آخر بنفسه، فلا تكون في الجواب رجعة كما سيأتي (ز).

يقول الهاء والواو كلام الله؛ لأن من أسقط شيئاً من كلام الله كفر<sup>(١)</sup> ولا خلاف بين المسلمين أنهما على الحق، وربما رجحوا قراءتهما على غيرهما، فلم يبقَ إلا أن الحروف آلة للقراءة نسقط تارة وتثبت أخرى، والمقروء المتلو ثابت لا يحتمل النقصان ولا الزيادة، لأنه قديم لكن المخلوق يجوز ثبوته تارة وإسقاطه أخرى.

\* \* \*

## فصل

فإن احتجوا على إثبات قدم الحروف، وأن كلام الله القديم يتصف بالحروف، بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

فالجواب: أنه لا حجة في هذا الحديث من وجوه عدة، لأنكم تخالفون هذا الحديث. لأن الرسول قال على سبعة أحرف، وأنتم على ثمانية وعشرين حرفاً، فقد أسقطتم متن هذا الحديث، ولم تقولوا به، فلا حجة لكم فيه.

جواب آخر: وهو أنه ﷺ قال: «أنزل على سبعة أحرف» ولم يقل تكلم الله بحرف، وأنتم إنما تريدون إثبات الحرف لكلامه، لا نزول كلامه فلا حجة لكم فيه.

جواب آخر: وهو أن قوله عليه السلام على سبعة أحرف، لم يرد بها حروف التهجي، وإنما أراد بها غير ذلك، بإجماع أهل العلم من الصحابة والتابعين، ولأنه روي عنه ﷺ أنه فسر ذلك بغير حروف التهجي، لأنه قال: «على سبعة أحرف» ثم فسرها فقال: «أمر، ونهي، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص» وقال بعض الصحابة والتابعين يعني على سبع لغات، مما لا يغير حكماً من تحليل ولا تحريم، مثل قوله تعالى: ﴿يَتَمَوَّعُ أَقْبَلُ وَلَا تَخَفُ﴾ [القصص: ٣١] فكانوا لا يفرقون بين قول التالي أقبل أو هلم، أو يقال: لأن معانيها متفقة وإن اختلفت اللغات فيها، وما جرى هذا المجرى، وكانوا في صدر الإسلام مخيرين فيها، فلما اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم عند جمع القرآن على أحدها، وهو قوله ﴿أَقْبَلُ وَلَا تَخَفُ﴾ منع هذا الإجماع من غير أقبل إلى هلم وتعال. ونحو ذلك، وقيل عن بعض الصحابة والتابعين: إن قوله على سبعة أحرف أراد بذلك على سبع لغات للعرب، في صيغة

(١) والإسقاط والزيادة في مثل هذه المواضع متواتران؛ فيكونان في حكم آيتين فلا رجاحة في هذا الجواب. وكفى باقي الأجوبة (ز).

الألفاظ في التلاوة وكيفية مخارجها ونقص حروفها وزيادتها ووجوه إعرابها، كالذي اختلف فيه القراءات، فقرأ بعضهم: ﴿وَسَاوِعًا إِنَّ مُمْرِرًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] بغير الواو، وقرأ آخرون بواو، وقرأ بعضهم «فيكون» بالنصب في مواضع، وقرأ آخرون فيكون بالرفع فيما نصبه الأولون، وقرأ بعضهم: ﴿قَلْبًا نَّادِمًا مِّن رَّبِّي كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] فنصب آدم ورفع كلمات وهو ابن كثير، وقرأ آخرون برفع آدم ونصب كلمات، إلى نحو هذا مما لا يحصى عدداً، فبطل احتجاجهم بالإجماع مما نقل عن الرسول والصحابة والتابعين أن أحداً منهم قال إنه أريد بالسبع حروف التهجي، وإنما المراد به اختلاف القراءات دون غيرها ما روي أن عمر رضي الله عنه مر ببعض الصحابة وهو يقرأ سورة الفرقان على خلاف القراءة التي أقرأها رسول الله ﷺ، قال عمر: فكذت أن أساوره، يعني أهجل عليه. فابطش به، ثم قال: لبيته حتى أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على خلاف القراءة التي أقرأتها فقال: خلّ عنه. ثم قال: اقرأ، فقرأ عليه القراءة التي سمعتها فقال: هكذا أنزل. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت عليه القراءة التي أقرأتها فقال: هكذا أنزل. ثم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، الكل شافٍ كافٍ فاقروا ما يسر منه» فأد هذا الحديث وجوهاً:

أحدها: أن الحروف واختلافه صفة القراءة التي يجوز فيها الاختلاف، لا كلام الله القديم الذي لا يجوز فيه الاختلاف<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن عمر ما أنكر عليه أن انقرآن المقروه بقراءته كلام الله، إنما أنكر عليه القراءة التي هي صفة القارئ وظن أن هذه القراءة فاسدة وقراءته أعلمه الرسول عليه السلام أن كل واحدة من القراءتين جائزة، وإن اختلفا، لأن المقروه بها لا يختلف لاختلافها.

الثالث: أن الرسول أخبر أن القرآن يقرأ على سبع قراءات، وأن تعدد القراءات لا يدل على تعدد القرآن؛ لأن السبع المقروه بها واحد، وهو كلام الله القديم، الذي لا يشبه كلام الخلق، ولا يختلف في حال من الأحوال، وإن اختلفت القراءات. فانهم التحقيق ترشد إن شاء الله تعالى.

\* \* \*

(١) كان أحمد يقول: القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق: فما نواتر من زيادة ونقص كلاهما أبعاض القرآن باعتبار الوجود العلمي، فلا جماعة في هذا الجواب (ز).

## فصل

فإن احتجوا على أن الله تعالى متكلم بحروف، بما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ألم حرف، لكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف» قالوا: فدل على [أنه] تكلم بحروف، فالجواب من وجوه:

أحدها: أن الحديث لا حجة فيه على ما تريدون، لأنه لم يقل تكلم الله بحروف، وإنما قال: من قرأ فله؛ وهذا لا حجة فيه.

جواب آخر: وهو أن الأجر إنما يقع على الطاعة التي هي القراءة، لا على القديم الذي هو كلام الله، ونحن نقول: إن الحرف عائد إلى القراءة لا إلى المقروء، والذي يحقق ذلك أنه إذا جلس اثنان حافظان لكلام الله تعالى وهما ساكنان؛ أليس كل واحد منهما معه كلام الله في صدره، كما أخبر تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي سُبُورِ الْقُرْآنِ أُوتُوا الْقُرْآنَ﴾ [الغنكبيوت: ٤٩] ولا يحكم بأن لكل واحد منهما حسنة، وإن كان كلام الله موجوداً معهما؛ فإذا قرأ أحدهما وسكت الآخر، أليس يحصل للقارئ بكل حرف عشر حسنات، لوجود القراءة منه، وليس للساكت منهما هذه الحسنات، وإن كان معه كلام الله القديم على الوجه الذي ذكرنا، وإنما زاد عليه هذا، بأن وجدت منه القراءة التي هي حروف وفعل منه يسمى طاعة، لقوله ﷺ: «أفضل عبادات أمتي قراءة القرآن» فصح أن الثواب على الفعل الذي هو طاعة، لا على الكلام القديم، فكان الحرف صفة التلاوة لا صفة المتلو.

جواب آخر: وهو أنه قد روي عنه ﷺ أنه أضاف الحرف إلى التلاوة، لا إلى كلام الله القديم، وهو ما روى عبد الله بن مسعود أن الرسول قال: «تعلموا القرآن فإنه مآذبة الله فتعلموه واتلوه فإنكم تؤجرون على تلاوته بكل حرف عشر حسنات». فأضاف الحرف إلى التلاوة لا إلى المتلو، فصح ما قلناه، وبطل ما توهم الجاهل أنه حجة له.

\*\*\*

## فصل

فإن احتجوا في إثبات الصوت لكلام الله تعالى، وأنه متكلم بأصوات، بما روي في الحديث: «إذا كان يوم القيامة نادى الله تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه

من قرب،<sup>(١)</sup> الخبر... قالوا: فقد أضاف الرسول عليه السلام الصوت إلى الله تعالى، فصح ما قلناه، الجواب من أوجه:

أحدها: أنك تقول أولاً لا حجة لكم فيه، لأنه ﷺ ما قال تكلم الله بصوت، ولا قال بصوت، ولا قال كلام الله أصوات، كما تزعمون بجهلكم؛ وإنما قال نادى الله بصوت، وليس الخلاف إلا أن كلامه أصوات، فلا حجة لكم فيه.

جواب آخر: وهو أن هذا الحديث قد روي فيه ما يدل على [أن] الصوت من غير الله بأمره، لأنه روي إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، يأمر منادياً فينادي، فصح أن النداء من غيره، لكن لما كان بأمره أضيف النداء إليه، كما يقال: نادى الخليفة في بغداد بكذا وكذا. ويقال: أمر الخليفة منادياً فنادى بأمره في بغداد بكذا وكذا، ولا فرق بين الموضعين، فإن كل عاقل يعلم أن الخليفة لم يباشر النداء بنفسه، لكن لما كان بأمره جاز أن يضيفه إلى نفسه، وأن يضاف إليه، وإن لم يكن **مُهمَّ** المنادي بنفسه، ويصح جميع ذلك القرآن، قال الله: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادُ الْمَوْتَى مَن كَانُوا قَرِيبًا ۗ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ۗ﴾ [ق: ٤١، ٤٢] فأضاف النداء إلى المنادي، فصح أن الصوت صفة المنادي لا صفة الأمر بالنداء؛ ومن عجيب الأمر أن الجهال لا يجوزون أن يكون النداء صفة المخلوق إذا كان رفيع القدر في الدنيا، كالخليفة والأمير، وينفون عنه ذلك ثم يجوزونه في حق رب العالمين.

جواب ثالث: وذلك أنا وكل محقق يقول: إن هذا الصوت ليس بموجود اليوم، وإنما يكون يوم القيامة، وكلام الله قديم بقدمه، موجود بوجوده، فصح أن هذا شيء لم يكن بعد، وإنما يكون يوم القيامة، ومن زعم أن صفة الله تعالى ليست بموجودة اليوم، وإنما توجد يوم القيامة فقد جعل كلام الله تعالى مخلوقاً لا محالة، فصح بهذه الجملة أن الصوت ليس بصفة لكلام الله تعالى، وإنما هو صفة للمنادي الذي يأمره الله تعالى بالنداء في ذلك اليوم.

(١) يريد به حديث جابر، وفي سننه عبد الله بن محمد بن حنبل، وهو ضعيف. وقد انفرد عنه القاسم بن عبد الواحد، وهو ممن لا يحتج بهم عند بعضهم، ولذا غلقه البخاري بقوله «ويذكر» على أن كون الأستاذ مجازياً متعين بحديث الدارقطني «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم». . الحديث. راجع ما علقناه على السيف الصغير (٤٥٣) (ز).

جواب آخر: وهو أن كل ما أضيف إلى الله تعالى لا يجب أن يكون صفة له، فمن زعم هذا فقد كفر وأشرك لا محالة، لأن الخبر قد جاء بقول الله تعالى: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، جعت فلم تطعمني، عطشت فلم تسقي، عريت فلم تكسني» فأضاف هذه الأشياء إليه في الخبر، ومن زعم أنه يجوع ويعطش، ويمرض ويعرى، فقد كفر وأشرك لا محالة. وكذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْعَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣] على قراءة من قرأ بالتون [المفتوحة] والنافخ إسرافيل. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذَوْنَ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] فأضاف الأذية إليه، ومن زعم أن الأذية من صفته فقد كفر لا محالة، فلم يبق إلا أن النداء والصوت حصل من الصايت المأمور، لا من الأمر، لكن لما كان بأمره جاز أن يضاف إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ﴾ [الأعراف: ٥٢] وإنما جاء به محمد عليه السلام بأمره. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ﴾ [القمر: ٢٧] والطامس جبريل، وميكائيل طمسا أعين قوم لوط، لكن لما كان بأمره أضافه إلى نفسه وكذلك يقال: رجم وجلد رسول الله ﷺ، وإنما الراجم والجلالده غيره، لكن لما كان بأمره حسن أن يضاف إليه. فافهم الحق لتبطل به الباطل.

فإن احتجوا بما روي: أن الله تعالى إذا تكلم الله بالوحي، وروي بالأمر من الوحي جاء له صوت كجر السلسلة على الصفا<sup>(١)</sup>. فالجواب عن هذا من وجوه عدة:

أحدها: أن هذا هو الحجة عليكم، لأن هذا الصوت خلاف ذلك الصوت الذي في الخبر الأول، لأن ذلك قال فيه «يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب» وهذا الصوت إنما يسمعه بعض الملائكة، فصح أن هذا الصوت خلاف ذلك الصوت، ولو كان الصوت صفة قديمة لما اختلف ولا تغير لأن القديم لا يجوز عليه الاختلاف، ولا التغير، فلما اختلف وتغير دل أن ذلك صفة الخلق لا صفة الحق. فافهم.

جواب آخر: وذلك أنه قال: إذا تكلم الله بالوحي، جاء له صوت، ولم يقل إذا تكلم الله بصوت فالوحي غير الموحي، لأن الموحي كلام الله تعالى، والوحي إنزال كلام الله، وإعلام كلام الله، والذي يدل على صحة ذلك القرآن. وذلك أن الله تعالى فصل بينهما فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا﴾ [الشورى: ٧] فالوحي إنزال القرآن،

(١) والمحمفوظ هو الموقوف، كما ذكره الدارقطني في الملل، ولا يحتج بالموقوف في باب الصفات، والسكري في (خلق الأفعال) مختلط لا يحتج به عند ابن أبي حاتم، وفي سند خير الصوت عننة الأعمش وهو مدلس. واجع ما ذكرناه فيما علقناه على الأسماء والصفات (ز).

وإعلام القرآن، وإفهام القرآن الذي هو كلام الله تعالى، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [النساء: ١٦٣] أي أنزلنا إليك وأفهمناك كلامنا القديم، كما أنزلنا وأفهمنا من قبلك كلامنا القديم فالإفهام لم يكن ثم كان. وأما المفهوم الذي هو كلام الله القديم فهو موجود ثابت قبل الإفهام وبعده على صفة واحدة، لا يختلف ولا يتغير.

جواب آخر: وهو أن هذا الحديث قد روي من طرق عدة، وأضيف إليه الصوت المشبه بجر السلسلة إلى الخلق، لا إلى كلام الحق، فمن ذلك ما روى النور بن سمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السموات منه رجفة شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخزوا سجداً، وأول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام؛ فتكلم الله من وحيه بما أراد، فيتبهي به جبريل عليه السلام على الملائكة، كلما مر بسماء سأل أهلها ماذا قال ربنا؟ فيقول جبريل الحق، وهو العلمي الكبير» فثبت أن الصوت المشبه بالسلسلة صوت رجفة السموات، لأنهم سمعوا صوت رجفة السموات لا كلام الله تعالى، ولهذا سألوا جبريل الله تعالى ماذا قال ربنا، فدل على أنهم لم يسمعوا كلامه، وإنما سمعوا صوت رجفة <sup>السموات</sup> المسكوات، التي شبهت بجر السلسلة، لأنهم لو سمعوا ما سمع جبريل لفهموا كما فهم جبريل.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان» فأضاف الرسول عليه السلام هذا الصوت المشبه إلى صوت أجنحة الملائكة، لا إلى كلام الله تعالى وحديث أبي هريرة هذا صحيح. أخرجه البخاري، وحديث النور أخرجه مسلم في كتابه، وروى أبو الضحى مسروق، عن عبد الله أنه قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان» وفي رواية: «سمع أهل السماء للسماء صلصلة» وليس في شيء من هذه الروايات إذا تكلم الله سمعوا من الله صلصلة، وإنما سمعوا من السماء إذا أحدث الله فيها رجفة، وجعل ذلك علامة لأهل السموات. يعلمون بها أن الله تعالى تكلم بالأمر، وأن المخصوص بسماع كلامه جبريل عليه السلام، ولهذا سألوه ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق. فيقولون: قال الحق. فيصفون الله تعالى بقول الحق، لا بالصلصلة والصوت، فصار هذا الحديث حجة عليهم لا لهم.

جواب آخر: وهو أنه قد روي من الأخبار والآثار ما لا يحصى عدداً أن الصوت مخلوق، وأنه صفة القاريء لا صفة الباري، فمن ذلك ما روى ابن جريج عن الزهري أنه قرأ بين يديه ﴿بَرِّدْ فِي كَلْفَيْ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١] فقال: هو الصوت الحسن. فقال الأوزاعي رحمه الله أنه قال: ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرائيل، قيل: فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات تبيحهم وصلاتهم. وقال أبو العالية: قال موسى ﷺ لقومه: قدسوا بأصوات حسنة، فإنه أسمع له، فأضاف الصوت إلى المقدسين لا إلى المقدس. وقال مالك<sup>(١)</sup> بن دينار في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَكَلِمًا وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢٥] قال: يقيم الله داود عليه السلام عند ساق العرش، فيقول: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم، فيقول: كيف أمجدك به وقد سلبتني في دار الدنيا؟ قال: فيقول جلّ وعز: إني أردت عليك. قال: فرده عليه، فيزداد صوته حسناً، فيأخذ في التمجيد، فيستفرغ داود نعيم الجنان؛ يعني يشغل أهل الجنة بحسن صوته عن نعيمهم.

فالصوت الحسن المردود المسلوب الرخيم صفة داود عليه السلام التي يمجدها بها ويقدس بها، والممجد المقدس هو الله تعالى الخالق لداود ولصوته ولسائر الأصوات.

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدي المهاجرين والأنصار. وقال أبو عثمان النهدي رضي الله عنه: صلى بنا أبو موسى صلاة الصبح فما سمعت بصوت ولا برنيط أحسن صوتاً منه. وتبين من هذه الآثار المروية عن رسول الله ﷺ أنه جعل الصوت صفة للقاريء لا لله تعالى، فقد روي عنه في هذا المعنى ما لا يحصى عدداً، فمن ذلك: ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: قام رجل من الليل فرفع صوته بالقرآن، فقال النبي ﷺ: «لقد أذكرني كذا. وكذا آية» قال أبو ذر: كان لي جار وكان يرفع صوته بالقرآن فشكوته إلى رسول الله ﷺ وكان يقال له ذو البجادين فقال: «دعه فإنه أواه» وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فقرأ ليلة وفرسه مربوط عند رأسه، وابنه نائم إلى جنبه، فدار الفرس في رباطه، فقرأ فدار الفرس في رباطه، فانصرف وأخذ ابنه وخشي أن يطأه الفرس، فأصبح فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ أسيد فإن الملائكة لم تنزل تسمع صوتك» وروي ابن سابط قال: أبطأت عائشة رضي الله عنها على

(١) لم يرفعه إلى المعصوم (ز).



رسول الله ﷺ فقال: «ما حبسك يا عائشة؟» قالت: يا رسول الله، سمعت رجلاً يقرأ ما سمعت من رجل يقرأ قراءة أحسن منها، فذهب رسول الله ﷺ لسمع صوته، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك». روي عنه ﷺ أنه سمع قراءة أبي موسى ذات ليلة فقال: «أبو موسى مزمار من مزامير داود» ومعلوم أنه شبه حسن صوته بالقراءة بالمزمار، لا كلام الله القديم الذي لا يشبهه شيء من أصوات الخلق ولا نعماتهم. وروي أن النبي ﷺ مرّ في ليلة هو وعائشة رضي الله عنهما، وأبو موسى يقرأ، فقاما فاستمعا لقراءته، ثم إنهما مضيا، فلما أصبح لقي رسول الله ﷺ، فقال لأبي موسى: «يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعني عائشة فاستمعنا لقراءتك» فقال أبو موسى: يا نبي الله، أما إني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيراً. قال: «لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود». وقال النبي ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن وإن كنت لم أر منازلهم حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار». وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه، وهو أكبر حجة في نفي الصوت عن كلام الله القديم، لأنه فصل الأصوات من القرآن، فأضاف الأصوات إلى الأشعرين ولم يصفها إلى كلام الله الذي هو القرآن.

وقال شهر بن حوشب: قدم أبو عامر الأشعري على رسول الله ﷺ في رهط من قومه، فقال ﷺ: «إنه ليدلني على حسن إيمان الأشعرين حسن أصواتهم بالقرآن» وفي هذه الأحاديث التي ذكرنا وأمثالها مما لا يحصى عدداً: أن الأصوات صفة الصائتين لا صفة كلام رب العالمين، وفي بعض ذلك مقنع وكفاية لمن أراد الله له الهداية.

\* \* \*

## فصل

فإن قالوا: ليس تقولون إن كلام الله مسموع بحاسة الأذان على الحقيقة؟ قلنا: بلى. فإن قالوا: فليس يجوز أن يكون مسموعاً على الحقيقة إلا ما كان صوتاً أو حرفاً.

فالجواب: أن هذا جهل عظيم، وذلك أن أهل السنة والجماعة قد أجمعوا على أن الله تعالى يرى بالأبصار على الحقيقة، ولا يجوز أن يرى على الحقيقة إلا ما كان جسماً وجوهرًا وعرضاً. أفقولون: إن الله تعالى جسم، وجوهر، وعرض؟ فإن قالوا:

نعم. فقد أقرروا بصريح الكفر للتشبيه، وإن قالوا: يرى وليس بجسم، ولا جوهر ولا عرض ولا يشبه شيئاً من المرئيات. قلنا: فكل ذلك كلامه قديم ليس بمخلوق ومسموع على الحقيقة، وليس بحروف ولا أصوات، ولا يشبه بشيء من المسموعات، فكما أنه يرى على الحقيقة ولا تكيف لكلماته. فاتقوا الله وقفوا عند حدوده، ولا تكونوا ممن قال فيهم: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثم نقول لهم: أليس الله تعالى قد سُمي نفسه بانياً، وهو بان على الحقيقة، لأنه قال: ﴿أَرَأَيْتُمْ بَنَاهَا ۖ رَبَّ سَكَنًا مَسْوَدًا ۝﴾ [التأزيغ: ٢٧، ٢٨] ولم تر بانياً على الحقيقة، إلا بألة من عدة وأجر، وحجر وخشب وغير ذلك: أفنتقولون إنه مفتقر في بناء السماء إلى ذلك، حتى يكون قد بنى على الحقيقة. فإن قالوا: نعم، كفروا لا محالة، وإن قالوا: هو بناء منه على الحقيقة ولا يفتقر فيه إلى آلة وعدة. قلنا: وكذلك كلامه مسموع منه على الحقيقة بواسطة وغير واسطة، ولا يفتقر في إسماعه إيانا إلى آلة من حروف وأصوات وغير ذلك.

\*\*\*

## فصل

فإن احتجوا بجهلهم أن الصفة القديمة تحل في الظروف والأوعية كحلول الشيء المخلوق في الشيء المخلوق. فتفسير هذا القول منهم - لو عقلوا - كان إقراراً منهم بخلق الله تعالى، لأن القديم لا يتصور عليه النقلة، والتحويل، وتفريغ مكان، وإشغال مكان، وأمكنة، وحصر، وعد، وإفصاح، وفراغ، فإن أصروا على الجهل والضلال واستدلوا على حلول كلام الله القديم في المخلوقين بما يظنون حجة لهم، وهو جراءة، وحجة عليهم، أقرروا بقول إخوانهم من النصارى، بل زادوا عليهم في سوء الاعتقاد، وخبث المذاهب والمقال على ما سنيه في ثاني الحال، إن شاء الله.

فإن احتجوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو» قالوا: فصح أن الكلام القديم يصح عليه الحلول والنقلة والتحول، فالجواب من وجوه عدة:

أحدها: أنه ﷺ أراد بذلك المصحف، لأنه قد بين ذلك فقال «مخافة أن تناله أيديهم» ولم يرد أن كلام الله القديم انتقل ولا تحول من بلاد الإسلام إلى بلاد العدو،

والمصحف قد يسمى قرآناً، لأن فيه كتابة القرآن، وقد روي ذلك صريحاً عنه ﷺ، فإنه كتب إلى عمرو بن حزم: «ولا يمس القرآن إلا على طهارة» فأراد بذلك: المصحف الذي حلّ فيه كتابة كلام الله القديم لا يجوز عليه المس بالأيدي.

جواب آخر: وهو أنه أراد لا تسافروا بكتابة القرآن، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما قال تعالى: ﴿وَسَقَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] يعني أهل القرية ﴿وَالْمِيرَ﴾ [يوسف: ٨٢] يعني أهل العير. وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرُؤُوا كِتَابَهُمْ إِلَّا أَنْ يُخْرِجُوا إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ﴾ [النساء: ٤٣] قال أكثر أهل العلم موضع الصلاة. وقد قال تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠] أراد الملعون أهلها في القرآن. وكذلك قال: ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١] ﴿وَالشَّعْنِ﴾ [الضحى: ١] وجميع الأقسام إنما معناها ورب الطور ورب الضحى، وهذا كثير جداً في كلام العرب، يحذفون لعلمهم بفهم أهل اللسان والبيان ذلك، وأنهم ليسوا كأهل الجهل والهديان، والعرب تقول: بنو فلان تطوهم الطريق، يريدون بطوهم أهل الطريق، وأبين من هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] يريد أنبياء الله وأولياء الله.

وجواب آخر وهو: أنا نعلم - وكل عاقل يعلم - أن الرسول عليه السلام إنما أراد بالقرآن هاهنا شيئاً محترماً يتصورن عليه من الأيدي، ولم يرد نفس كلام الله القديم، والذي يدل على صحة ذلك: أن الحافظ للقرآن: القرآن في صدره عندنا حفظاً، لا أن كلام الله القديم يحل في صدر الحافظ حلول الجسم في الجسم، وعندهم - على حسب عقدهم - أنه حال في صدور الحافظ كحلول الشيء في الشيء، ومع ذلك فإن الرسول ما نهى أحداً من الحفاظ أن يدخل بلاد العدو، فلم يبق إلا أنه ﷺ أراد مصاحف القرآن التي يتصور عليها نيل أيدي العدو، ولم يرد أن القديم يحل في المخلوق حلول الجسم في الجسم - حاشاه من ذلك ﷺ.

\* \* \*

## فصل

فإن احتجوا بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو جعل هذا القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق» قالوا: وقد أطلق عليه ﷺ أن القرآن يجعل في الإهاب، فدل على أنه حال. فالجواب أن أهل العلم رضي الله عنهم ذكروا في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن هذا كان في زمانه ﷺ دليلاً على صدقه، وكان معجزة له، وكان إذا كتب في جلد أو رق أو غير ذلك ثم ألقى في النار لم يحترق. ذلك الجلد أو الرق، فيكون معجزة له ﷺ؛ كانشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات، ثم انقضى ذلك بعد موته: بدليل أن الرق التي كتب فيها القرآن قد احترقت في زمن الصحابة وغيرهم.

الثاني: أن قوله ﷺ: «لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقى في النار لم يحترق» أراد بذلك فضل حفظه القرآن، وأنهم لأجل ما حفظوا من كلام الله تعالى وصار حفظه في صدورهم تصير عليهم النار برداً وسلاماً، فلا تحرقهم، كما كانت على الخليل عليه السلام بإذن الله تعالى. وقد قال ﷺ: «نعم الشفيع لصاحبه يوم القيامة» فيكون ببركة شفاعته القرآن لصاحبه وعمله به لا تتسلط النار على إهابه فتحرقه، وهذا صحيح؛ لأن الإهاب هو الجلد قبل الذبح، أو قبل الدباغة.

دليل الأول: قول عائشة رضي الله تعالى عنها في مدح أبيها الصديق رضي الله عنه: «وحنن الدماء في أهبها».

ودليل الثاني: قوله عليه السلام: «أيما إهاب ديبغ فقد طهر» فأما بعد الدباغ فلا يقال له إهاب، وإنما يقال له أديم أو رق، أو نحو ذلك.

الثالث: وهو الأصح والأجود: أن القرآن إذا كتب في إهاب أو غير ذلك، وألقى في النار، فإن القرآن لا يحرق ولا يتصور عليه الحرق ولا الغرق ولا العدم، وإن تصور ذلك على الرق والجلد. والورق والخط والمداد. وهذا يوضح أنه مكتوب على الحقيقة. وليس بحال حلول الأجسام في الأجسام؛ لأن المداد لما حلّ حلول الأجسام في الأجسام احترق مع الرق والورق، والقرآن لما لم يكن حالاً لم يتصور عليه العدم بحرق ولا غرق ولا غير ذلك، وهذا واضح صحيح. يؤكد ذلك أنا إذا كتبنا اسماً من أسماء الله تعالى في محل يتصور عليه الحرق والغرق والبلى والتمزق، فإن عدم ببعض ما ذكر فإنما يعدم ويذهب المحل المكتوب فيه واللون المكتوب به. وأما المكتوب على الحقيقة وهو الرب تعالى فلا يتصور عليه شيء من العدم والذهاب، كما أخبر تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨].

## فصل

فإن احتجوا بخبر روي؛ وهو قوله ﷺ: «من حفظ القرآن فاختلف بلحمه ودمه...» قالوا: وهذا يدل على حلوله واختلاطه بلحوم الحفاظ ودمائهم في حال صغرهم. فالجواب عن هذا من أوجه:

أحدها: أن هذا الحديث يرويه إسماعيل<sup>(١)</sup> بن رافع، وعمر<sup>(٢)</sup> بن طلحة، وهما ضعيفان جداً، لا يؤخذ بقولهما في هذا ولا غيره.

الثاني: أن الصبيان الحفاظ للقرآن كثير، وكلام الله تعالى قديم، وشيء واحد، فإذا اختلف بدم صبي ولحمه على زعمهم وامتزج واختلف فكيف يمتزج بلحم آخر ودمه؛ إذ الشيء الواحد إذا اختلف وامتزج بشيء استحال امتزاجه بغيره، نعوذ بالله من هذا المنهج الذي يؤدي القول به إلى اختلاط الصفة القديمة وامتزاجها بدم المخلوقين ولحومهم، ولعمري أن قول النصارى دون هذا، لأن النصارى؛ إنما تقول كلمة واحدة قديمة اختلفت بجسم واحد وهو جسم المسيح عليه السلام، حتى صار الجسم لاهوتياً من أجل الكلمة، ناسوتياً من جهة مريم عليها السلام، فاختلف عندهم القديم بالمحدث اختلاط الماء باللبن، فوافقته هذه المقالة الخبيثة، وزادوا عليهم، لأنهم قالوا: جسم واحد اختلف به القديم، وهؤلاء يقولون اختلف القديم بألف ألف جسم وأكثر، نعوذ بالله من هذا القول الذي لا يقوله من له مسكة من حس وعقل.

الجواب الثالث: أن هذا الحديث إن صح، فمراد النبي ﷺ أن الحفظ في الصغر أجود وأثبت من الحفظ في حال الكبر، ويعني باختلاطه باللحم والدم جودة الحفظ، لا اختلاط المحفوظ الذي هو كلام الله القديم. وصار هذا كقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُبُوا فِي قُلُوبِهِمْ أَنْجَسَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] يعني حب العجل، لأن العجل لا يدخل ولا يحل في القلوب، وإنما يدخل ويحل حبه. هذا أيضاً كما يقال: التعليم في الصغر كالنقش في الحجر. والتعليم في الكبر كالنقش في المدر، يريدون بذلك أن الحفظ في الصغر أثبت وأبقى منه في حال الكبر.

\*\*\*

(١) قال النسائي: متروك (ز).

(٢) قال الذهبي: لا يكاد يعرف (ز).

## فصل

فإن قيل: إذا كان القديم لا يحل في المصحف؛ فما معنى تعظيمه وتوقيره عن الأديان والأنجاس وأن لا يحمل إلا على طهارة.

فالجواب: أن هذا جهل وتخبط لأن توقير المحل والمكان لا يدل على حلول القديم الذي لا يتصور عليه الحلول فيه، كما أنا نحرم المسجد ولا ندخله إلا على طهارة من غير جنابة، ولا ندخل إليه شيئاً نجساً ولا قذراً، وننزعه عن البصقة والنخامة، وإن كانت طاهرة توقيراً له وتعظيماً. وإن كانت أرضه وترتبه وأحجاره مخلوقة، وخشبه وطينه مخلوقان، لا أنه قديم، ولا أنه حل فيه قديم، وكذلك الطواف بالبيت لا يدخل بنجاسة إليه، ولا يصح الطواف، حتى يكون الطائف متطهراً من النجس والحدث، ولا يدل هذا على أن البيت قديم، ولا أنه حل القديم فيه، كذلك الخطوط التي يكتب بها القرآن، والمصحف التي يكتب فيها نوقره وتعظمه ونزفه، ولا يجوز ذلك كون الممداد الأسود والصفرة والحمرة قديمة أو حل القديم فيها، وهذا أمر واضح لمن له عقل وتحصيل. إذا تأمله ونظر فيه.



## فصل

ثم يقال لهذه العصاية - هدام الله من الضلال - ما تقولون فيمن أخذ قلماً وورقة ومداد حبر، وكتب ألف. لام. لام. ها. أتقولون إن المكتوب على الحقيقة هو الله تعالى أم لا؟ فإن قالوا: ما هو المكتوب على الحقيقة. فقد خالفوا إجماع أهل السنة والجماعة. وإن قالوا: هو المكتوب على الحقيقة. قلنا: أتقولون إن الله تعالى انتقل من العرش<sup>(١)</sup> وحل في هذه الورقة؟ فإن قالوا: نعم. كفروا بإجماع الأمة، وجعلوا الباري تعالى يحويه أصغر الأماكن، وإن قالوا: ليس بحال وهو الصحيح الذي لا يجوز غيره. قلنا: فكذلك كلامه تعالى مكتوب في مصاحفنا محفوظ في صدورنا مقروء بالاستئذان مثل في محاربينا غير حال في شيء من المخلوقات.



(١) على قولهم بالاستئذان المكاني على العرش (ز).

## فصل

ثم يقال لهم: خبرونا إذا كتب كاتب في ورقة ﴿كَذَّبَ وَعَصَى﴾ ﴿١١﴾ ثُمَّ أَذِيرَ يَتْنِ ﴿١٢﴾ فَحَسَرَ قَادَيْنِ ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبِّكُمْ الْأَكْبَلُ ﴿١٤﴾ [الشازغات: ٢١ - ٢٤] أفنقولون: إن الكاتب قديم، أم كتابته قديمة، أم الورق الذي كتب فيه قديم، أم اللعين فرعون، وقوله قديم، فلا يجوز لعاقل أن يقول شيئاً من هذه الأشياء قديم، بل الكاتب مخلوق، وكتابته مخلوقة، والورقة مخلوقة، والقلم مخلوق، والحبر مخلوق، وفرعون اللعين مخلوق، وما ادعاه من الربوبية كذب مخلوق، وإنما الذي هو ليس بمخلوق كلام الله تعالى القديم الذي هو خير يشمل جميع المخبرات التي أخبرنا عن فرعون اللعين وقوله الكذب. فصح أن كلام الله القديم ليس بالخط ولا بالورق ولا بقول فرعون اللعين، لأن قول فرعون اللعين كذب، وكلام الله حق وصدق، وكذلك إذا كتب الكاتب في ورقة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ أَيْبِيرٍ﴾ [الأنعام: ١٥٢] أتقولون: إن اليتيم وماله قديم، والخط الذي كتب ذلك قديم، والكاتب له قديم. لا. بل الجميع مخلوق، وإنما القديم كلام الله الذي هو نبيه الذي يشمل جميع المنهيات، وهو غير اليتيم والمال والكاتب والكتابة، وإذا كتب كاتب: ﴿صَلُّوا وَقْرَبُوا﴾ [البقرة: ٦٠] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] أتري [أن] الكاتب قديم أو الكتابة قديمة، أو الأكل والأكل، والشارب والشرب، والمصلي والصلاة، والمزكي. والزكاة قديمة. لا والله! ليس شيء من ذلك قديماً، وإنما القديم كلام الله تعالى، الذي هو أمره الشامل لجميع المأمورات. فصح بهذه الجملة الفرق بين كلام الحق وكلام الخلق، وإن كلامه تعالى قديم غير مخلوق، ولا يتصف بشيء من صفات الخلق، ولا يفترق تعالى في كون كلامه صفة له قديمة غير مخلوقة، إلى شيء من أدوات الخلق من لسان، وشفة، وحلق، وحرف، وصوت، بل هو متكلم، وله كلام، صفة له قديمة غير مخلوقة، ولا يجوز عليها شيء من صفات الخلق. فاعلم ذلك وتحققه ولا توفيق إلا بهدي من الله وفضل ورحمة، وهو حسينا ونعم الوكيل.

\* \* \*

## فصل

يتعلق بمسائل ثلاثة وفروعها وهي:

مسألة الخلق والإرادة، وأنه [لا] يكون من العباد شيء إلا وهو خلق الله تعالى ومراد له، لا يجوز أن يخلق أحد غيره، ولا يكون في ملكه إلا ما أراده.

الثانية: مسألة الشفاعة، وأنها حق وصدق، وأعلى الشفاعة عند الله شفاعة نبينا محمد ﷺ، ويشفع أيضاً من أذن له في الشفاعة في العصاة؛ من ملك، ونبي، ومؤمن.

الثالثة: مسألة الرؤية، وأنها جائزة، وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تحديد، كما جاء في الكتاب والسنة، ودل عليه العقل أيضاً، وإنما ختمنا الكتاب بمسألة الرؤية، لأنها أعلى العطايا وأسمى الكرامة من الله تعالى لعباده المؤمنين، وليس فوقها مزيد، بل هي الزيادة المذكورة في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنَاقَاةٍ وَزِيَادَةٍ﴾ [يونس: ٢٦].

### مسألة

اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحده، لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلاً وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها غيره؛ فهي منه خلق وللعباد كسب، على ما قدمنا بيانه بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وأمثال هذه الآية من الأدلة على الفرق بين الخلق والاختراع والكسب، فالواحد منا إذا سمي فاعلاً فإنما يسمى فاعلاً بمعنى أنه مكتسب، لا بمعنى أنه خالق لشيء. وقالت المعتزلة، والنجارية<sup>(١)</sup>، والجهمية، والروافض: إن أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد، وإن كل واحد منا ينشئ ما ينشئ ويخلق ما يفعل، وليس لله تعالى على أفعالنا قدرة جملة، ونعوذ بالله من الاعتقاد وسوء المقال.

والدليل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة وبطلان قول من خالفهم من أهل الزيغ والبدع الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأدلة العقل؛ فالدليل من الكتاب أكثر مما يحصى، لكن أذكر منه ثلاثة تنبه لليب على بقيتها إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك قوله تعالى<sup>(٢)</sup>: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفافات: ٩٦] فأخبر تعالى أنه خالق لأعمالنا على العموم، كما أخبر أنه خالق لصورنا وذواتنا على العموم، وهذا من أوضح الأدلة من الكتاب.

(١) لعل النجارية والجهمية مقحمتان في هذا الموضع بقلم الناسخ، بل لا يعرف هذا في المعتزلة إلا من عهد الجبالي، كما هو مشروح في موضعه (ز).

(٢) والكلام في هذا طويل في إثبات الحق (ز).



الثاني: قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُكُمْ كُلِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٠٢] ومعلوم أن أفعالنا مخلوقة [جماعاً، وإن اختلفنا في خالقها، وهو تعالى قد أدخل في خلقه كل شيء مخلوق، فدل على أنه لا خالق لشيء مخلوق غيره سبحانه وتعالى. فإن قيل فكلامه شيء فيجب أن يكون مخلوقاً. قلنا: قد احتزنا بحمد الله تعالى عن هذا السؤال بقولنا: إنه أخير أنه خلق كل شيء مخلوق، وكلامه وصفات ذاته تعالى قد أثبتنا أنها غير مخلوقة ولا خالقة؛ بل هي صفة الخالق - تعالى - قديمة بقدمه موجودة بوجوده قبل جميع المخلوقات. فبطل هذا السؤال.

وجواب آخر يبطل هذا السؤال وهو: أنك تقول: إن الله تعالى مخاطب، والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب، إلا ترى أن الواحد منا إذا قال دخلت الدار فضربت من فيها، أو أخرجت من فيها، أو أعطيت من فيها لا يدل ذلك على أنه دخل تحت الخطاب، بأن يكون ضرب نفسه، ولا أخرج نفسه ولا أعطى نفسه، لأنه مخاطب، والمخاطب لا يدخل تحت الخطاب وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُكُمْ كُلِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٠٢] هو مخاطب، فلا يدخل تحت الخطاب بذاته ولا بصفاته جل عن ذلك وتعالى، كما قال: ﴿الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩] قهر الكل ولم يدخل في القهر ذاته وصفاته. فافهم التحقيق لتدفع به كل بدعة وتمويه من أهل البدع إن شاء الله.

الثالث: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُبْسِكُمْ ثُمَّ يُعْجِبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ مِثْلَ مَا سَخَرْنَاكُمْ وَمَعَلَّكُمْ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرؤم: ٤٠] والدلالة من هذه الآية من أوجه:

أحدها: أنه قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [الرؤم: ٤٠] وهذا عام في ذواتنا وصفاتنا، ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُبْسِكُمْ ثُمَّ يُعْجِبُكُمْ﴾ [الرؤم: ٤٠] يعني ثم خلق أرزاقكم، وعند المخالف أن العبد يخلق أفعاله ورزقه، فهو خلاف ما أخبر الله تعالى به من كونه خالقاً لنا ولأرزاقنا.

الوجه الثاني: من الدلالة: أنه قال: ﴿ثُمَّ يُبْسِكُمْ ثُمَّ يُعْجِبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فكما لا يقدر أحد أن يخلق موته ولا حياته، فكذلك لا يقدر أن يخلق فعله ورزقه؛ من حركة ولا سكون ولا غير ذلك.

الثالث: سبحانه وتعالى نزه نفسه عن عقدهم وخبثهم إذ أضافوا فعل شيء وخلقته إلى غيره، فقال: ﴿سَخَرْنَاكُمْ وَمَعَلَّكُمْ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] ثم أكد ذلك

بعده بمواضع فقال: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] سبحانه وتعالى. وقال: ﴿أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [التحل: ١٧].

وأما الدليل من السنة فكثير أيضاً، غير أنني أذكر منه خيرين نبيه العاقل الفطن على الاستدلال بأمثالهما من السنة:

الأول: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله خلق كل صنعة وصانعها»<sup>(١)</sup> وصنعة الصانع إنما هي بحركاته وأفعاله، سواء كان في صنعة مباحة وطاعة، ككتابة القرآن، والحديث، والفقه، أو محظورة؛ من تصوير صور الحيوان، أو عمل السلاح ليقتل به المسلمين. فصح بهذا الخبر أن الله جلّ وعلا خالق للفاعل منا ولفعله.

الخبر الثاني: قوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «فرغ ربك من أربع: من الخلق، والخلق، والرزق، والأجل فلو جهد الخلق على أن يؤتوك ما لم يقدره الله لم يقدروا على ذلك» وروي: «لو جهد الخلق على أن ينفعوك أو يضروك لم يقدروا على ذلك» والمخلوقات منها الضار والنافع، في العاجل والآجل، وقد جعل ﷺ كل ذلك إلى تقدير الله تعالى وخلق له، ولم يجعل إلى العباد شيئاً من ذلك. فاعلمه ونحققه.



## فصل

ويدل على صحة ما قلناه: إجماع المسلمين، وأنهم يقولون: لا خالق إلا الله، كما يقولون: لا رازق، ولا محيي، ولا مميت إلا الله تعالى. فنقول: فلا يكون الخلق من غيره، وأثبتوه خالقاً.



## فصل

ويدل على صحة ما قلناه من جهة العقل. وأنه لا خالق إلا الله تعالى، وهو كثير جداً، لكن نخصر على قدر فيه الكفاية إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك: أن نقول لهم: إن قلتم إن الواحد منا يخلق أفعاله، من طاعة، أو معصية، أو إيمان، أو كفر فقد شركتم بيننا وبين الله تعالى في الخلق، وأنه لا يتم خلقه

(١) أخرجه البخاري في خلق الأفعال (ز).

الفعل على فاعله، وما يجب كونه عليه من صفاته. نحو حياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته. وسمعي شرعي: دال من طريق النطق بعد المواضعة، ومن جهة معنى مستخرج من النطق، ولغوي: دال من جهة المواطأة والمواضعة على معاني الكلام، ودلالات الأسماء والصفات وسائر الألفاظ، وقد لحق بهذا الباب: دلالات الكتابات والرموز، والإشارات والعقود، الدالة على مقادير الأعداد، وكل ما لا يدل إلا بالمواطأة والاتفاق. والدال هو ناصب الدليل: فالمدلول هو ما نصب له الدليل. والمستدل الناظر في الدليل، واستدلالة نظره في الدليل وطلبه به علم ما غاب عنه.

٤ - وأن يعلم أن المعلومات على ضربين: معدوم وموجود، لا ثالث لهما ولا واسطة بينهما. فالمعدوم: هو المنتقى الذي ليس بشيء. قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَكَرَّكَ تَكْرُكًا﴾ [مریم: ٩] وقال تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَ عَلَى الْإِنْسَانِ يَتِيمٌ إِنَّ الْأَوَّلِينَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فأخبر أن المعدوم منتقب ليس بشيء، والموجود هو الشيء الكائن الثابت. وقلنا «شيء» إثبات، وقلنا «ليس بشيء» نفي. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ أَكْبَرُ شَيْئًا قُلْ اللَّهُ ثُمَّ الْإِنْسَانُ﴾ [الإنعام: ١٩] وهو سبحانه موجود غير معدوم.

وقول أهل اللغة: علمت شيئاً، ورأيت شيئاً، وسمعت شيئاً، إشارة إلى كائن موجود، وقلوبهم: ليس بشيء هو واقع على نفي المعدوم، ولو كان المعدوم شيئاً كان القول ليس بشيء نغياً لا يقع أبداً إلا كذباً، وذلك باطل بالاتفاق.

٥ - وأن يعلم أن الموجودات كلها على قسمين. منها: قديم لم يزل وهو الله تعالى، وصفات ذاته التي لم يزل موصوفاً بها ولا يزال كذلك. وقلوبهم: «أقدم، وقديم» موضع للمبالغة في الوصف بالتقدم وكذلك أعلم وعليم، وأسمع وسميع.

والقسم الثاني: محدث، لوجوده أول، ومعنى المحدث ما لم يكن ثم كان، مأخوذ ذلك من قلوبهم: حدث بفلان حادث. من مرض، أو صداع؛ وأحدث بدعة في الدين، وأحدث روشناً، وأحدث في العرصة بناء، أي فعل ما لم يكن من قبل موجوداً.

٦ - وأن يعلم أن المحدثات كلها على ثلاثة أقسام: جسم، وجوهر، وعرض. فالجسم في اللغة هو: المؤلف المركب. يدل على ذلك قلوبهم: رجل جسيم وزيد أجسم من عمرو، وهذا اللفظ من أبنية المبالغة، وقد اتفقوا على أن معنى المبالغة في الاسم مأخوذ من معنى الاسم؛ يبين ذلك أن قلوبهم: «أضرب» إذا أفاد كثرة الضرب

كان قولهم: ضارب مفيداً للضرب، وكذلك إذا كان قولهم: المؤلف المركب مفيداً كثرة الاجتماع والتأليف، وجب أن يكون قولهم جسم مفيداً كذلك.

والجوهر: الذي له حيز. والحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه يوجه فيه غيره.

والمرض: هو الذي يعرض في الجوهر، ولا يصح بقاؤه وقتين، يدل على ذلك قولهم: «عرض لفلان عارض من مرض، وصداع» إذا قرب زواله، ولم يعتقد دوامه. ومنه قوله عز وجل: ﴿ثُرَيْدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] وقوله: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَّرَأٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤] فكل شيء قرب عدمه وزواله، موصوف بذلك، وهذه صفة المعاني القائمة بالأجسام، فوجب وصفها في قضية العقل بأنها أعراض.

٧ - وأن يعلم أن العالم محدث، وأنه لا يتفك علويه وسفليه من أن يكون جسماً مولغاً، أو جوهرأ منفرداً، أو عرضاً محمولاً. وهو محدث بأسره. وطريق العلم بحدوث أجسامه وحدث أعراضه. والدليل على ثبوت أعراضه: تحرك الجسم بعد سكونه، وتفرقه بعد اجتماعه، وتغير حالاته، وانتقال صفاته، فلو كان متحركاً لنفسه، ومتغيراً لذاته لوجب تركه في حال سكونه، وتغيره واستحاله في حال اعتداله، وفي بطلان ذلك دليل على إثبات حركته، وسكونه، وألوانه، وأكوانه، وغير ذلك من صفاته، لأنه إذا لم يكن كذلك لنفسه وجب أن يكون لمعنى ما تغير عن حاله واستحال عن وصفه.

والدليل على حدوث هذه الأعراض: ما هي عليه من التنافي والتضاد، فلو كانت قديمة كلها لكانت لم تزل موجودة، ولا تزال كذلك، ولوجب متى كانت الحركة في الجسم أن يكون السكون فيه، وذلك يوجب كونه متحركاً في حال سكونه، وميتاً في حال حياته، وفي بطلان ذلك دليل على طروق السكون بعد أن لم يكن، وبطلان الحركة عند مجيء السكون، والطارىء بعد عدمه، والمعدوم بعد وجوده محدث باتفاق؛ لأن القديم لا يحدث ولا يعدم، ولا يبطل.

والدليل على حدوث الأجسام: أنها لم تسبق الحوادث، ولم تخل منها، لأننا باضطرار نعلم: أن الجسم لا يتفك من الألوان، ومعاني الألوان من الاجتماع والافتراق، وما لا يتفك من المحدثات، ولم تسبقه كان محدثاً. لأنه إذا لم يسبقه كان موجوداً معه في وقته أو بعده، وأي ذلك وجد وجب القضاء على حدوثه، وأنه معدوم قبل وجوده.

٨ - وأن يعلم أن للعالم محدثاً أحدثه. والدليل على ذلك وجود الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم وتقدم المتأخر، ولا يجوز أن يكون ما تقدم منها وتأخر متقدماً ومتأخراً لنفسه، لأنه ليس التقدم بصحة تقدمه أولى من التأخر بصحة تأخره، فوجب أن يدل على فاعل فعله، وصرفه في الوجود على إرادته وجعله مقصوراً على مشيئته، يقدم منها ما شاء ويؤخر ما شاء. قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [مُورِد: ١٠٧] قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [التحل: ٤٠] ويدل على علمنا بتعلق الفعل بالفاعل في كونه فعلاً كتعلق الفاعل في كونه فاعلاً بالفعل، فإن تعلق الكتابة، والصناعة بالكتاب والصانع كتعلق الكتاب في كونه كاتباً بالكتابة؛ فلو جاز وجود فعل لا من فاعل، وكتابة لا من كاتب وصورة وبنية محدثة لا من مصور، لجاز وجود كاتب لا كتابة له، وصانع لا صنعة له، فلما استحال ذلك وجب أن يكون اقتضاء الفعل للفاعل ودلالته عليه كاقضاء الفاعل في كونه فاعلاً. لوجود الفعل وحصوله منه، ومن صفات هذا الصانع تعالى أنه: موجود، قديم، واحد، أحد، حي، عالم، قادر، مرید، متكلم، سمیع، بصیر، باق<sup>(١)</sup> ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وسندل على ذلك فيما بعد إن شاء الله بعد البداية بفرائض المكلفين، وشرائع المسلمين مما يقرب فهمه ولا ينبغي جهله، ولا بد للمكلف من علمه والعمل [به] فإذا أتينا على هذه الجملة رجعنا إلى القول في التوحيد، وإثبات أسماء الله تعالى وصفاته، وذكر ما يجوز عليه وما يستحيل في صفته، وما توفيقه إلا بالله.

٩ - وأن يعلم: أن أول نعم الله تعالى على خلقه الحي الدراك خلقه فيهم إدراك اللذات، وسلامة الحواس، ونيل ما ينتفعون به من الشهوات التي تميل إليها طباعهم، وتصلح عليها أجسامهم، ولو أحياهم، وأكلمهم ومنعهم إدراك اللذات لكانوا مستضرين بالآلام، وبمثابة الأحياء المعذبين من أهل النار، وهذه نعمة الله سبحانه على جميع الحيوان الحاس، العاقل منهم والناقص، والمؤمن والكافر.

١٠ - وأن يعلم أن أفضل وأعظم نعمة الله على خلقه الطائعين وعباده المؤمنين خلقه الإيمان في قلوبهم، وإجراؤه على ألسنتهم، وتوفيقهم لفعله، وتمكينهم بالنسك به. وخلق الإيمان، والتوفيق له نعمة خص الله تعالى بها المؤمنين دون الكافرين، ولذلك قال عز وجل: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

(١) والبقاء ليس صفة حقيقة عند الباقلاني بل هو دوام الوجود (ز).

[٦٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ لَدُنْهِ أَلْبَابٌ﴾ [الشورى: ٢١] وقال عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُوكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] فلو كانت هذه النعمة له على الكافرين لم يكن لتخصيصه بها المؤمنين وامتنانه على المؤمنين وجه، إذ كان قد أنعم بها على المردة والكفرة الضالين.

١١ - وأن يعلم: أن طرق المبين عن الأدلة التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه: (١) كتاب الله عز وجل و(٢) سنة رسوله ﷺ و(٣) إجماع الأمة و(٤) ما استخرج من هذه النصوص وبنى عليها بطريق القياس والاجتهاد، و(٥) حجج العقول. قال الله تعالى أمراً باتباع كتابه والرجوع إلى بيانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْآيَاتِ أَنْ عَلَىٰ قُلُوبِنَا أَفْقَالًا﴾ [محمد: ٢٤] وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي يَرْتَمُونَ﴾ [الإسراء: ٩] وقال سبحانه: ﴿يُنشِئْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ نَسَبًا﴾ [النحل: ٨٩] ﴿وَمَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال عز وجل في الأمر باتباع رسوله ﷺ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال: ﴿وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٤١٣] وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التور: ٦٣].

وقال سبحانه في وصف عدالة أمة نبيه ﷺ والأمر باتباعها، والتحذير من مخالفتها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَرَكُونَ الرَّسُولَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَسُخِّعَ عَيْنُهُ فَإِنَّ شَرَّ لُؤْلُؤٍ مَا تَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال في الأمر بالقياس والحكم بالنظائر والأمثال: ﴿فَأَقْصِرْوا بِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وقال النبي ﷺ لفاضيه معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أنفذه إلى اليمن لإقامة الحدود واستيفاء الحقوق: «بم تحكم؟ قال: بكتاب الله عز وجل. قال:

فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي وأحكم. فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضي الله ورسوله. فأقره على الحكم والاجتهاد وجعله أحد طرق الأحكام.

وقال عز وجل في الأمر باتباع حجة العقل: ﴿وَرَىٰ أَهْسِكُمْ أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ تَاءَ تُسْتَوْنَ﴾ [مائدة: ١٠٥] مَأْتُهُمْ غَلَقُونَهُ، أَمْ تَحْنُ لِلنَّارِ لَاقُونَ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقال: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَكَيْيَ خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُنْبِئُ الْعِظَامَ وَهِيَ رُيُوبٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَابِدُهُ﴾ [الزوم: ٢٧] فأمرنا بالاعتبار والاستبصار ورد الشيء إلى مثله أو الحكم له بحسب نظيره، وهذا هو الحكم، المعقول والتفاضلي إلى أدلة العقول.

١٢ - وأن يعلم: أن فرائض الدين وشرائع المسلمين، وجميع فرائض المسلمين وسائر المكلفين على ثلاثة أقسام: قسم منها: يلزم جميع الأعيان وكل من بلغ الحلم وهو: الإيمان بالله عز وجل، والتصديق له، ولرسوله، وكتبه، وما جاء من عنده، والعبادات على كل مكلف بعينه، من نحو الصلاة، والصيام، وما سنذكره ونفصله فيما بعد إن شاء الله.

والقسم الثاني: واجب على العلماء دون العامة، وهو القيام بالفتيا في أحكام الدين، والاجتهاد، والبحث عن طرق الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام، وهذا فرض على الكفاية دون الأعيان، فإذا قام به البعض سقط عن باقي الأمة وكذلك القول في حفظ جميع القرآن، وما تنفذ به الأحكام من سنن الرسول عليه السلام، وغسل الميت، ومواراته، والصلاة عليه، والجهاد، ودفع العدو، وحماية البيضة وما جرى مجرى ذلك مما هو فرض على الكفاية. فإذا قام به البعض سقط عن باقي الأمة.

والقسم الثالث: من الواجبات من فرائض السلطان دون سائر الرعية: نحو إقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وقبض الصدقات، وتولية الأمراء، والقضاة، والسعاة، والفصل بين المتخاصمين، وهذا وما يتصل به من فرائض الإمام وخلفائه على هذه الأعمال دون سائر الرعية والعوام وليس في فرائض الدين ما يخرج عما وصفناه ويزيد على ما قلناه.

١٣ - وأن يعلم: أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد. النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بأثار قدرته وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة.

والثاني: من فرائض الله عز وجل على جميع العباد؛ الإيمان به والإقرار بكتبه ورسله، وما جاء من عنده، والتصديق بجميع ذلك بالقلب والإقرار به باللسان.

١٤ - وأن يعلم: أن الإيمان بالله عز وجل هو: التصديق بالقلب، بأن الله الواحد، الفرد، الصمد، القديم، الخالق، العليم، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والدليل على أن الإيمان هو الإقرار بالقلب والتصديق؛ قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَىٰ يَمُوثًا لَّنَا وَكُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] يريد بمصدق لنا. ومنه قوله عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِنْ يَسْأَلْكُم بِهِ قَوْمًا﴾ [غافر: ١٢] أي تصدقوا. ويقال فلان يؤمن بالله وبالبعث؛ أي يصدق بذلك. وكذلك قولهم: فلان يؤمن بالشفاعة والقدر، وفلان لا يؤمن بذلك، يعني به التصديق، وينفي الإيمان به التكذيب. وقد اتفق أهل اللغة قبل نزول القرآن وبعث الرسول عليه السلام على أن الإيمان في اللغة هو التصديق دون سائر أفعال الجوارح والقلوب.

والإيمان بالله تعالى يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته، ونفي النقائص عنه الدالة على حدوث من جازت عليه.

والتوحيد له هو: الإقرار بأنه ثابت موجود، وإله واحد فرد معبود ليس كمثلته شيء؛ على ما قرر به قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَلِمٌ لَا يَلِيهِ شَيْءٌ لَّا يَؤْتِيهِ الْهَوْلُ إِلَّا فُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأنه الأول قبل جميع المحدثات. الباقي بعد المخلوقات، على ما أخبر به تعالى من قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكْفِي شَعْنَهُ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] والعالم الذي لا يخفى عليه شيء والقادر على اختراع كل مصنوع، وإبداع كل جنس مفعول، على ما أخبر به في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

وأنه الحي الذي لا يموت، والدائم الذي لا يزول، وأنه إله كل مخلوق، ومبدعه ومنشئه، ومخترعه، وأنه لم يزل [مسمىاً] لنفسه [بأسمائه، وواصفاً لها بصفاته، قبل



إيجاد خلقه، وأنه قديم بأسمائه وصفات ذاته، التي منها: الحياة التي بها بان من الموت والأموات، والقدرة التي أبدع بها الأجناس والذوات، والعلم الذي أحكم به جميع المصنوعات، وأحاط بجميع المعلومات، والإرادة التي صرف بها أصناف المخلوقات. والسمع والبصر اللذان أدرك بهما جميع المسموعات والمبصرات، والكلام الذي به فارق الخرس والسكوت وذوي الآفات، والبقاء الذي به سبق المكونات، وبقى به بعد جميع الفانيات، كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ لَسْتُ أَفَادَعُوهُ بِهَا وَذَرَا الْوَيْلَ لِمَنْ يَلْمِزْ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِسْمِئِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ يَتَمَمُّ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وقوله: ﴿ذُرِّ الْقُرَىٰ الَّذِينَ﴾ [الذاريات: ٥٨] فنص تعالى على إثبات أسمائه وصفات ذاته، وأخبره أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات، كما قال عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ مَّالِكٌ لِأَلَّ وَجْهَتِهِ﴾ [القصص: ٨٨] وقال: ﴿وَيَسِّرْ وَبِهِ رَيْكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] واليدين اللتين نطق بإثباتهما له القرآن، في قوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥] وأنها ليستا بجارحتين، ولا ذوي صورة وهيئة، والعينين<sup>(١)</sup> اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام، فقال عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ﴾ [طه: ٢٩] ﴿وَيَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وأن عينه ليست بحاسة من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس، وأنه سبحانه لم يزل مريداً وشانياً، ومحباً ومبغضاً، وراضياً وساخطاً، وموالياً، ومعادياً، ورحيماً، ورحماناً. ولأن جميع هذه الصفات راجعة إلى إرادته في عباده ومشيتته، لا إلى غضب بغيره. ورضى يسكنه طبعاً له، وحنق وغيظ يلحفه، وحنق يجده، إذا كان سبحانه متعالياً عن الميل والنفور.

وأنه سبحانه راض في أزله عن علم أنه بالإيمان يختم عمله ويوافي به. وغضبان على من علم أنه بالكفر يختم عمله ويكون عاقبة أمره، وقد قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [مُؤَسَّد: ١٠٧] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْفَسَادَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْمَسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [التلح: ١٨٥]

(١) وثنية العين لم ترد في الكتاب، وحدث الدجال ليس فيه إلا نفي النقص من الله سبحانه لا إثبات العينين له مع كونه خبر آحاد فتبين الانقصار على ما ورد في الكتاب وهو ما في الآيتين ولا يكون في الأمر فتح باب التشبيه (ز).

[٤٠] وقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] في أمثال هذه الآيات الدالة على أنه شاء مريد، وأن الله جل ثناؤه مستور على العرش، ومستور على جميع خلقه كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] بغير مماسة وكيفية، ولا مجاورة، وأنه في السماء إله وفي الأرض إله كما أخبر بذلك.

وأنه سبحانه يتجلى لعباده المؤمنين في المعاد، فيرويه بالأبصار، على ما نطق به القرآن في قوله: ﴿نُورٌ يُنِيرُ تَابِرَةٌ تَزِيلُ﴾ [لِك تَبَاهٍ نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾] [القيامة: ٢٢، ٢٣] وتأكيده كذلك بقوله في الكافرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] تخصيصاً منه برويته للمؤمنين، والفرقة فيما بينهم وبين الكافرين، وعلى ما وردت به السنن الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ، وما أخبر به عن موسى عليه السلام، في قوله: ﴿رَبِّي أَرْوَى أَنْظَرُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولولا علمه بجواز الرؤية بالأبصار لما أقدم على هذا السؤال.

١٥ - وأن يعلم: مع كونه تعالى سمياً بصيراً: أنه مدرك لجميع المدركات التي يدركها الخلق: من الطعوم، والروائح، واللين، والخشونة، والحرارة، والبرودة؛ بإدراك معين، وأنه مع ذلك ليس بذئ جوارح وحواس توجد بها هذه الإدراكات. فتعالى [الله] عن التصوير والجوارح، والآلات.

١٦ - وأن يعلم: أنه مع إدراك سائر الأجناس [من] المدركات وجميع الموجودات، غير ملتذ ولا متألم بإدراك شيء منها، ولا مشقة [له منها] ولا نافر عنها، ولا متفجع بإدراكها [ولا متضرر] بها. ولا يجانس شيئاً منها، ولا يصادها، وإن كان مخالفاً لها.

١٧ - وأن يعلم: أنه سبحانه ليس بمغاير لصفات ذاته، وأنها في أنفسها غير متغايرات؛ إذ كان حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر بالزمان، والمكان والوجود والعدم. وأنه سبحانه يتعالى عن المفارقة لصفات ذاته، وأن توجد الواحدة منها مع عدم الأخرى.

١٨ - وأن يعلم: أن صفات ذاته [هي التي] لم تزل، ولا يزال موصوفاً بها. وأن صفات أفعاله هي التي سبقها، وكان تعالى موجوداً في الأزل قبلها.

ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبه ورضاه ورحمته وكرهيته وغضبه وسخطه وولايته وعداوته [كلها] راجع إلى إرادته، وأن الإرادة صفة لذاته غير مخلوقة، لا على

ما يقوله القدرية، وأنه يريد بها لكل حادث في سمائه وأرضه مما يتفرد سبحانه بالقدرة على إيجاده، وما يجعله منه كسباً لعباده، من خير، وشر، ونفع، وضر، وهدى، وضلال، وطاعة، وعصيان، لا يخرج حادث عن مشيئته. ولا يكون إلا بقضائه وإرادته.

١٩ - وأن يعلم: أن كلام الله تعالى صفة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفاً به وأنه قائم به ومختص بذاته، ولا يصح وجوده بغيره، وإن كان محفوظاً بالقلوب ومتلوّاً بالألسن، ومكتوباً في المصاحف، ومقروءاً في المحاريب، على الحقيقة لا على المجاز<sup>(١)</sup> وغير حال في شيء من ذلك، وأنه لو حل في غيره لكان ذلك الغير متكلماً به، وأمراً وناهياً.

ومخبراً وقائلاً: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] وذلك خلاف دين المسلمين، وأن كلامه سبحانه لا يجوز أن يكون جسماً من الأجسام، ولا جوهرأ، ولا عرضأ، وأنه لو كان كذلك لكان من جنس كلام البشر، ومحدثأ كهو: يتعالى الله سبحانه أن يتكلم بكلام المخلوقين.

٢٠ - [وأن] يعلم: أن كلامه مسموع بالأذان، وإن كان مخالفاً لسائر اللغات، وجميع الأصوات، وأنه ليس من جنس المسموعات، كما أنه [مرئي] بالأبصار، وإن كان مخالفاً لأجناس المرئيات، وكما أنه موجود مخالف لسائر الحوادث الموجودة، وأن سامع كلامه منه تعالى بغير واسطة ولا ترجمان. كجبريل، وموسى، ومحمد عليهم السلام حق، سمعه من ذاته غير متلو ولا مقروء، ومن عداهم ممن يتولى الله خطابه بنفسه إنما يسمع كلامه متلوّاً ومقروءاً، وكذلك قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿مِنْهُمْ مَن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وأن قراءتنا القرآن كسب لنا ثواب عليها، ونلام على تركها إذ وجبت علينا في الصلوات. وأنه لا

(١) لأن القرآن يطلق على ما قام بالله من الألفاظ العلية الغيبية - وهو غير مخلوق وغير حال في مخلوق - وعلى المكتوب بين الدفتين وعلى المحفوظ في القلوب من الألفاظ الذهنية، وعلى الملفوظ بالألسن على سبيل الاشتراك اللفظي عنده، والقرينة هي التي تعين المراد منها في كل موضع، وما سوى الأول مخلوق، وهذا البحث أنضح عند المتأخرين من أئمة الأشاعرة، والتحقق: أن وصف القرآن بما سوى الأول وصف للملئول بصفة الدال، كما في شرح المقاصد (ز).

يجوز أن يحكى كلام الله عز وجل ولا أن يُلفظ به<sup>(١)</sup> لأن حكاية الشيء مثله وما يقاربه وكلام الله تعالى لا مثل له من كلام البشر، ولا يجوز أن يلفظ به بتكلم الخلق لأن ذلك يوجب كون كلام الله تعالى قائماً بذاته قديماً ومحدثاً وذلك خلاف الإجماع والمعقول، وأن كلام الله تعالى غير متبعض ولا متغاير، وأن الصفة هي ما قامت بالشيء وأن الوصف قول الواصف الدال على الصفة خلاف ما يذهب إليه القدرية.

وأنه مقدر لأرزاق جميع الخلق، وموقت لآجالهم، وخالق لأفعالهم، وقادر على مقدوراتهم، وإله ورب لها. لا خالق غيره، ولا رزاق سواه، كما أخبر تعالى في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [السرور: ٤٠] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَوْشِرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ﴾ [ناسطرس: ٣] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [التحل: ٢٠].

وأن بيده الخير، والشر، والنفع، والضر، وأنه مقدر جميع الأفعال، لا يكون حادث إلا بإرادته، ولا يخرج مخلوق عن مشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وأنه فعال لما يريد، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا هادي لمن أضله ولا مضل لمن هداه، كما قال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: ١٧٨] ﴿مَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَكَلَّا هَادِيً لَمًّا﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وأنه موفق أهل محبته وولايته لطاعته، وخاذل لأهل معصيته، فدل ذلك كله [على] تدبيره وحكمته، وأنه عادل [في] خلقه بجميع ما يتلهم به ويقضيه عليهم من خير، وشر، ونفع، وضر، وغنى، وفقر، ولذة، وألم، وصحة، وسقم، وهداية، وضلال: ﴿لَا يَسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنْتَلَوْنَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْبَلِيغُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وأنه سبحانه يعيد العباد، ويحيي الأموات، وأنه يقصد يوم القيامة لفصل القضاء، ويحيي الملائكة صفاً صفاً، و[يمد] الصراط، ويزن الأعمال، وأنه سبحانه قد خلق الجنة والنار.

(١) يعني لا يجوز أن يقال حكى كلام الله أو لفظ به في صدد الإنادة عن قراءته وتلاوته، لأن الحكاية توهم المحاكاة وفيها شائبة المماثلة وهو سبحانه منزّه عنها، وكذا اللفظ والتكلم بكلام الله لإيهام ذلك المشاركة، تعالى الله عن ذلك، على أن تلك العبارات مما لم يرد إذن من الشارع في إطلاقها على كلام الله (ز).

وما لا يتأتى الواجب إلا بفعله صار واجباً؛ كالطهارة مع الصلاة، والقراءة في الصلاة، وإمساك جزء من الليل في الصيام، وإدخال جزء من الرأس في غسل الوجه، إلى غير ذلك مما لا يمكن تحصيل الواجب إلا به صار واجباً.

## مسألة

وإذا صح وجوب النظر فالواجب على المكلف النظر والتفكر في مخلوقات الله، لا في ذات الله، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿رَتَقْنَا بُرُوجَهُ فِي سَمَوَاتِنَا وَلَأَرْضِنَا﴾ [آل عمران: ١٩١] ولم يقل: في الخالق، وأيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرِيمَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِكْمَةَ وَاتَّخَذَهُ عِزّاً وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾ [الأنبياء: ١٧] فالنظر، والتفكر، والتكليف يكون في المخلوقات، لا في الخالق، وأيضاً قوله ﷺ: «تفكروا في الله»<sup>(١)</sup> وأيضاً قوله عليه السلام: «مثل الناظر في [قدر]»<sup>(٢)</sup> الله كالناظر في عين الشمس، فمهما ازداد نظراً ازداد حيرة. وأيضاً: فإن موسى عليه السلام لما سأله اللعين فرعون عن ذات الله، أجابه بأن مصنوعاته تدل على أنه إله ورب قادر، لا إله سواه. إذا نظر فيها وتأمل ولم يحدد له الذات فلا يكفيتها؛ لأنه لما قال له: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] قال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مریم: ٦٥] إلى أن كرر عليه السؤال وأجابه بمثل الأول، إلى آخر الآيات (٢٥ - ٢٦ و ٢٨) كلها، فمهما سأله عن الذات أجابه بالنظر في المصنوعات التي تدل على معرفته.

وقيل: سئل بعض أهل التحقيق عن الله عز وجل ما هو؟ فقال: إله واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: ملك قادر، فقيل له: أين هو؟ فقال: بالمرصاد. فقال السائل: ليس عن هذا أسألك؟ فقال: الذي أجبتك به هو صفة الحق، فأما غيره فصفة الخلق. وأراد بذلك أن يسأله عن التكليف، والتحديد، والتمثيل، وذلك صفة المخلوق لا صفة الخالق، ولأن المتفكر إذا تفكر في خلق السموات والأرض وخلق نفسه وعجائب صنع ربه، أداه ذلك إلى صريح التوحيد؛ لأنه يعلم بذلك أنه لا بد لهذه المصنوعات من صانع، قادر، عليم، حكيم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية واللائكاني في شرح السنة بألفاظ متقاربة في المعنى (ز).

(٢) هكذا في الأثر ولم نجد مرفوعاً فإذا كان النظر في قدر الله موجباً للحيرة فيالحري كون النظر في الله موجباً للحيرة ممنوعاً (ز).

## مسألة

ويجب أن يعلم: أن العالم محدث؛ وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، والدليل على حدوثه: تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثاً، وقد بين نبينا ﷺ هذا بأحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة، لما قالوا له: يا رسول الله: أخبرنا عن بدء هذا الأمر؟ فقال: «نعم. كان الله تعالى ولم يكن شيء»، ثم خلق الله الأشياء؛ فأثبت أن كل موجود سواء محدث مخلوق. وكذلك الخليل عليه السلام، إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة؛ لأنه لما رأى الكوكب قال: هذا ربي، إلى آخر الآيات (٦ - ٧٦ - ٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت [على أنها] محدثة مفطورة مخلوقة، وأن لها خالقاً، فقال عند ذلك: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

## مسألة

وإذا صح حدوث العالم؛ فلا بد له من محدث أحدثه، ومصور صورته، والدليل على ذلك: أن الكتابة لا بد لها من كاتب كتبها، والصورة لا بد لها من مصور صورها، والبناء لا بد له من بانيه. فإننا لا نشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كاتب، وصناعة لا من صانع، وحياسة لا من ناصح. وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها، ومحدث أحدثها، إذ كانت اللفظ وأعجب صنفاً من سائر ما يعذر وجوده إلا من صانع.

دليل ثان: ويدل على ذلك أيضاً: علمنا بتقدم الحوادث بعضها على بعض، وتأخر بعضها عن بعض، مع علمنا بتجانسها وتشاكلها، فلا يجوز أن يكون المتقدم منها متقدماً لنفسه؛ لأنه لو تقدم لنفسه لوجب تقديم كل ما هو من جنسه معه، وكذلك المتأخر منها، لو تأخر لنفسه وجنسه لم يكن المتقدم منها بالتقدم أولى منه بالتأخر، وفي علمنا بأن المتقدم من المتماثلات بالتقدم أولى منه بالتأخر، دليل على أن له مقدماً قدماً، وعاجلاً عاجلاً في الوجود، مقصوراً على مشيئته.

ويدل على صحة ذلك أيضاً: علمنا بأن الصور الموجودة؛ منها ما هو مربع، ومنها ما هو مدور، ومنها شخص أطول من شخص، وآخر أعرض من آخر؛ مع تجانسها، ولا يجوز أن يكون المربع منها ربع نفسه، ولا المطول منها طول نفسه،

ولا القبيح منها قبيح نفسه، ولا الحسن منها حسن نفسه، فلم يبق إلا أن لها مصوراً صوّرها؛ طويلة، وقصيرة، وقبيحة، وحسنة، على حسب إرادته ومشيته.

ويدل على صحة ما ذكرناه: أن الموجودات لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها، أنا وجدنا منها الموات والأعراض، أعني الجمادات التي لا حياة فيها، لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها ولا لغيرها، لأن من شرط الفاعل أن يكون حياً، قادراً، فيبطل كونها محدثة لنفسها بل لها محدث أحدثها.

ويدل على صحة ذلك أيضاً: أنا وجدنا أنفس الموجودات في العالم، الحيُّ القادر العاقل المحصل، وهو الآدمي، ثم أكمل ما تكون. تعلم وتحقق أنه كان في ابتداء أمره نطفة ميتة، لا حياة فيها ولا قدرة، ثم نقل إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم من حال إلى حال، ثم بعد خروجه حياً من الأحشاء إلى الدنيا. تعلم وتحقق أنه كان في تلك الحالة جاهلاً بنفسه وتكليفه، وتركيبه، ثم بعد كمال عقله وتصوره وحذقه وفهمه لا يقدر في حال كماله أن يحدث في بدنه شعرة ولا شيئاً، ولا عرقاً فكيف يكون محدثاً لنفسه ومتقللاً<sup>(١)</sup> لها في حال نقصه من صورة إلى صورة ومن حالة إلى حالة] وإذا بطل ذلك منه في حال كماله كان أولى أن يبطل ذلك منه في حال نقصه، ولم يبق إلا أن له محدثاً أحدثه، ومصوراً صوّره وتُتقللاً نقله؛ وهو الله سبحانه وتعالى.

### مسألة

وإذا ثبت أن للعالم صانعاً صنعه، ومحدثاً أحدثه، فيجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون مشبهاً للعالم المصنوع المحدث؛ لأنه لو جاز ذلك لم يخل: إما أن يشبهه في الجنس، أو في الصورة، ولا يجوز أن يكون مشبهاً له في الجنس؛ لأنه لو أشبهه في الجنس لجاز أن يكون محدثاً كالعالم المحدث، أو يكون العالم قديماً كهو. لأنه حقيقة المشبهين المتجانسين: ما سد أحدهما سد الآخر وناب منابه، وجاز عليه ما يجوز عليه، ولا يجوز أن يكون يشبه العالم في الصورة لأن حقيقة الصورة هي الجسم المؤلف، والتأليف لا يكون إلا من شيئين فصاعد؛ ولأنه لو كان صورة لا تحتاج إلى مصور صوّره، لأن الصورة لا تكون إلا من مصور على ما قدّمنا بيانه،

(١) هكذا في الأصل وهو بصيغة اسم الفاعل من التفعيل أي ناقلاً لها ومصلاًحاً من حال إلى حال

وقد بين ذلك تعالى بأحسن بيان فقال تعالى: ﴿أَتَمَنَّا بِمَلَأِكُمْ لَّا يَمَلُؤُا﴾ [النحل: ١٧] وقد سئل بعض أهل التحقيق عن التوحيد ما هو؟ فقال: هو أن تعلم أنه ما بينهم بقدمه كما بينوه بحدوثهم.

وقال الجنيد رضي الله عنه: التوحيد إفراز القوم عن الحدوث، فاحكموا أصول العقائد بواضح الدليل ولائح الشواهد.

وقال أبو محمد الحريري رضي الله عنه: من لم يقف على علم التوحيد يشاهده من شواهد، زلت به قدم الغرور في مهواة التلغ.

وقال الجنيد: أول ما يحتاج إليه المكلف من عقد الحكمة: أن يعرف الصانع من المصنوع، فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث.

وسئل أبو بكر الزاهد رضي الله عنه عن المعرفة ما هي؟ فقال: المعرفة اسم ومعناه: وجود تعظيم في القلب، يمنعك عن التعطيل والتشبيه.

وقيل لأبي الحسن البوشنجي: ما التوحيد؟ فقال: أن تعلم أنه غير مشبه بالذوات ولا بنفي الصفات.

### مسألة

وإذا ثبت أن صانع الموجودات ومحدثها لا يجوز أن يكون يشبهها، فيجب أن تعلم أن محدث العالم قديم، أزلي لا أول لوجوده. ولا آخر لدوامه. والدليل على صحة ذلك: أنه لو لم يكن قديماً كما ذكرنا لكان محدثاً، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث أحدثه؛ لأن غيره من الحوادث إنما احتاجت إلى محدث لأنها محدثة. ولو كان ذلك كذلك لاحتاج كل محدث إلى محدث آخر، إلى ما لا نهاية له ولا غاية، ولنا بطل ذلك صخ كونه قديماً أزلياً.

وبمثل هذا الدليل: يستدل على بطلان قول من زعم من أهل الدرر أن الحوادث لا أول لوجودها، فافهمه ترشد، إن شاء الله تعالى.

### مسألة

ويجب أن يعلم: أن صانع العلم جلت قدرته واحد أحد؛ ومعنى ذلك: أنه ليس معه إله سواه، ولا من يستحق العبادة إلا إياه، ولا نريد بذلك أنه واحد من [جهة العدد] وكذلك قولنا أحد، وفرد وجود ذلك إنما نريد به أنه لا شبيه له ولا



الجواب الثاني: أن الرضا بالشيء هو المدح له والثناء عليه والإثابة عليه وكونه ديناً وشرعاً، والله تعالى لا يرضى الكفر بمعنى أنه لا يمدحه ولا يثيب عليه ولا يرضى كونه ديناً وشرعاً، دون إرادة وجوده وخلقه. فاعلم ذلك.

فإن قيل: أتقولون أن الله تعالى قضى المعاصي وقدرها، كما أنه خلقها، قلنا له: أجل: نقول ذلك بمعنى أنه خلقه وأوجده على حسب قصده وإرادته، ولا نقول إنه قضاه بمعنى أنه أمر به، ولا رضيه ديناً وشرعاً، وأنه يمدحه ويثيب عليه.

فإن قيل: فعلى كم وجه يتقسم القضاء؟ قيل له على وجوه كثيرة...

منها: قضاء يكون بمعنى الخلق، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُمْ سَبْعَ سَعَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] يعني خلقهن، ويكون القضاء بمعنى التسليط. والخلق، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤] يعني خلقنا وسلطنا عليه الموت، ويكون بمعنى الإخبار والإعلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَوَقَّعْنَا لَكَ فِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفِذَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْثِينَ﴾ [الإسراء: ٤] يعني أعلمناهم وأخبرناهم، ويكون القضاء بمعنى الأمر، قال الله تعالى: ﴿وَوَقَّعْنَا رُكُوكَ الْأَلْمَدَّةِ إِلَّا إِثَاءً﴾ [الإسراء: ٢٣]، ويكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام، يقال: قضى القاضي على فلان بكذا، أي أوجه عليه والأزمه إياه وحكم به عليه، فإن الله تعالى قضى بالمعاصي والكفر، بمعنى أنه أرادته وخلقه، وقدره، ولا يجوز أن يكون بمعنى أمر به واختاره ديناً وشرعاً، ولا مدحه، ولا يثيب عليه، ولا فرضه فرضاً على أحد، بمعنى أنه أوجه عليه، فاعلم هذه الجملة وتحققها تسلّم من شبه المبتدعة وتلييسهم على العوام ومن لا فهم له إن شاء الله.

فإن قيل: أفترضون بقضاء الله وقدره؟ قلنا: هذا يحتاج إلى تفصيل، فنحن نطلق الرضا بقضاء الله وقدره على الإطلاق، بمعنى أنه لا يعترض على حكمه السابق وإرادته الأزلية، ولا يتقدم بين يديه بالاعتراض بل تسلّم لما أراد فينا وفي غيرنا، ولا نعترض بما يفعل، فنقول: نحن نوصي بقضاء الله الذي هو خلقه، كما أخبرنا به ومدحنا على فعله، ووعد عليه الثواب، فنرضى بذلك ونريده لنا ولجميع إخواننا من المسلمين، ولا نقول: إن قضاءه الذي هو بمعنى خلقه، وإيجاده الذي هو خلقه مذموماً جيحاً، ذنباً معصية كفراً، إنا نرضى بذلك ديناً وشرعاً ولا نحبه ولا نرضاه ولا نريده لنا ولا لأحد من إخواننا المسلمين، فاعلم هذا التفصيل تسلّم من شبه الأباطيل ومن خدع أهل التعطيل. يؤكد هذا أو يقرره أنا نقول وكل مسلم عند الإطلاق: إن

جميع الأشياء لله تعالى، إنه خلقها وهي ملك له، لا خالق ولا مالك لها غيره، من والد، وولد، وزوجة، وصاحبة، فتعلق ذلك عند الإجمال. فأما عند التفصيل فنقول: إن لله الأسماء الحسنى. ونقول: إن له الجلال، والجمال، والقدرة، والكمال، ولا نقول: إن له الولد، والوالد، والصاحبة، والزوجة، والشريك. فاعلم ذلك. وكما نقول عند الإطلاق: إن كل مخلوق يبيد ويفنى ويزول ويضمحل، ولا نقول عند التفصيل: إن حجة الله على خلقه والأعمال من الصلاة، والصيام، والحج، إن ذلك يبيد ويفنى ويضمحل، ونحو ذلك.

ثم نقول لهم يا جهلة: أليس الله تعالى قضى بموت نبيه ﷺ، وكذلك موت جميع الأنبياء عليهم السلام، فلا بد أن يقولوا: بلى. فنقول لهم: أترضون بذلك وأشباهه؟ إن قالوا: نعم. وكلنا نقول: إنه قضى ذلك، قلنا: وكذلك نقول نحن أيضاً: قضى كل موجود وخلقته وأراده عند الإطلاق، وعند التفصيل لا نقول: إنا رضينا موت النبي ﷺ، بمعنى إنا أحببنا ذلك، وأنه سرنا، فاعلم ذلك.

فإن قيل: أليس الله تعالى قد نهى عن الكفر والمعصية؟ قلنا: بلى قد نهى عن ذلك، فإن قالوا: فلا يحسن أن يريد شيئاً ويريد وجوده ثم ينهى عنه، قلنا: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن يقال لهم: أليس الله تعالى قد علم أن الكافر يكفر، وأنه يوجد منه الكفر لا محالة، فلا بد لهم من [أن يقولوا] نعم. فيقال لهم: فكيف نهاه عن أمر قد علم أنه يكون منه ولا بد من وجوده، فلما جاز أن ينهى مع علمه أنه لا بد منه جاز أن ينهى عنه وإن أَرَادَهُ. فاعلم ذلك.

جواب آخر: وهو أن يقال لهم: أليس الله تعالى نهى عن إيلاام الرسل والمؤمنين، فلا بد من [أن يقولوا] نعم؛ فيقال لهم: فيوجد فيهم الألم من الأمراض والموت أم لا؟ فلا بد من [أن يقولوا] نعم. فيقال لهم: فإذا جاز أن ينهى عن إيلاامهم، ثم يريد ذلك ويحسن منه. فكذلك في مسألتنا يريد وينهى حتى يثبت لنفسه كمال القدرة وِنَفَاذِ الأَمْرِ وَالمَشِيئَةِ ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. والجملة أن الأمر منا، والنهي منا، والفعل منا، والإرادة منا إنما توصف تارة بكونها حسنة، وتارة بكونها قبيحة، إنما ذلك لمعنى، وهو أن كل ما كان منا مخالفاً لأمر الرب تعالى فهو قبيح، وإن كانت صورته حسنة من حيث الحس والنظر والسمع، ونحو ذلك؛ وأن كل ما كان منا حسناً إنما كان ذلك لأنه موافق لأمر الرب

تعالى، لا من حيث الصورة والحسن. فإذا صحَّ هذا جئنا إلى أفعاله تعالى وإرادته وأمره ونهيه، فوجدناه ليس فوَّقه تعالى أمر يأمره ولا ناهٍ ينهاه، فصَحَّ أن جميع أفعاله وأمره ونهيه حسن على كل حال لا يتصف بغير ذلك، فاعلم هذه الجملة توفَّق إن شاء الله تعالى وبقنا الله وإياكم وجميع المسلمين.

\* \* \*

## الشفاعة

اعلم أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة الشفاعة منه ﷺ لأهل الكبائر من هذه الأمة، وقد قدّمنا المسألة وذكرنا الأخبار الواردة في الشفاعة أصلاً ورأساً.

واعلم أن المعتزلة افتترقت فرقتين؛ فقوم منهم أنكروا الشفاعة أصلاً ورأساً، وردُّوا الأخبار الصحيحة الواردة فيها وما دلَّ عليه القرآن من ذلك. وقالت الفرقة الثانية: إن للأنبياء شفاعة، وللملائكة، لكن لثلاث فرق من المؤمنين.

فرقة منهم: أصحاب صفائر وليست لهم كبيرة من الذنوب. والفرقة الثانية: قوم عملوا الكبائر وتابوا منها وندموا عليها. والفرقة الثالثة: قوم من المؤمنين لم يعملوا ذنباً أصلاً. فأما صاحب الكبيرة الذي مات من غير توبة فلا شفاعة له عندهم، وكلا القولين باطل.

أما الفرقة الأولى: فوجدت صحة الأخبار الصحاح؛ وأما الفرقة الثانية: فذهبت إلى محال من القول، لأن الشفاعة عندهم فيمن لم يعمل كبيرة أو عمل وتاب لا معنى لها، لأنها تكون بمعنى أن الشافع يقول: يا رب لا تظلم عبداً. فإنك قد وعدت أنك تغفر الصفائر مع اجتناب الكبائر؛ وكذلك الثائب من الكبيرة لا تظلمه، فإنك قد وعدت بقبول التوبة، والله أجل وأعلى من أن يسأل ويشفع إليه إلا بظلم، فبطل قولهم.

وأما من لم يذنب أصلاً فعلى خبث عقدهم أنه قد وجب له على الله الثواب، والجنة، والنعيم المقيم، فما معنى هذه الشفاعة له. فلم يبق إلا أنهم عاندوا الحق وضلُّوا السبيل واستحوذ عليهم وسوسة المردة والشياطين، حتى ردُّوا القرآن والسنة وإجماع الأمة، فنعوذ بالله منهم ومن خبث عقدهم.

فإن قالت هذه الفرقة الأخيرة منهم: تكون الشفاعة لمن ذكرنا من الثلاث فرق شفاعة في الثواب، قلنا: وهذا ضلال أيضاً، لأن القرآن إنما نطق بشفاعة الملائكة في

وقاية المؤمنين شر ذنوبهم يوم القيامة، ولم يذكر فيها زيادة الثواب، وإنما أخبر عنهم يقولون: ﴿رَقِبَهُمُ السَّكَاتِ﴾ [غافر: ٩] فصح أن الشفاعة في الذنوب والسيئات أن يغفر لها وتتجاوز عنها، لا ما ذكرتم يا فرقة الضلال.

فأما الأدلة على صحة الشفاعة، فقد ذكرناها من الكتاب والسنة، لكن نجد هاهنا طرفاً منها. أما من القرآن فقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُومًا﴾ [الإسراء: ٧٩] روي [عن] أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري وجماعة من الصحابة لا يحصون عدداً: أن ذلك في الشفاعة، ثم ذكروا ذلك عن النبي ﷺ في أخبار يطول ذكرها وشرحها. وقد ثبت عنه ﷺ قوله: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وهذا فيه الحججة على الفريقين ممن أنكروا الشفاعة أصلاً، ومن قال إنها لغير أهل الكبائر. وقال ﷺ: «أشفع إلى ربي فيحد لي حداً فأخرجهم من النار، ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار» ثم ذكر الحديث إلى أن قال: «حتى لا يبقى أحد من أهل الإيمان في النار، ولو كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» وهذا الحديث صريح في الحججة على كل من الفريقين من المعتزلة. وأخبار الشفاعة كثيرة جداً، وقد قدمنا منها ما فيه الكفاية وزيادة، ولأن الشفاعة في أقل الدارين من أقل الشفعاء تكون في الذنوب وغيرها، فما ظنك بالشفاعة في أعلى الدارين من أعلى الشفعاء عند الله عز وجل، حتى ذكر في بعض الأخبار أنه ﷺ يغط بذلك المقام، يغط به الأولون والآخرون، ثم تكون الشفاعة فيمن لا كبيرة له، وإنكار هذا جهل وعناد وطعن في القرآن وصحيح الأخبار.

\* \* \*

## فصل

نذكر فيه شيئاً لهم يرومون بذلك دفع الأخبار الصحاح المجمع على صحتها في صحة الشفاعة، ونحن نجيب عنها بعون الله وحسن توفيقه. فإن قالوا: هذه الأخبار تعارض بعضها، فإنه قد روى الحسن البصري وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا عن الحسن لم يصح، ولم يرد في [خبر] صحيح ولا في سقيم، وإنما هو اختلاق وكذب، ولا يعارض الآثار الصحاح المتفق على صحتها، ثم لو جاز أن يكون قد روي فلم يسقط الصحيح المجمع على صحته بالضعيف السقيم الذي لا أصل له. مع إمكان الجمع بين الكل، واستعمال الجميع، فتحمل صحاح

الأخبار على ما قلنا، ويحمل هذا الخبر على أنه أراد به الكبائر التي تخرج من الإسلام، نحو الكفر بعد الإيمان، أو استحلال ما حرم الله، أو تكذيب بعض الرسل أو بعض الكتب، وبصير هذا كما قلنا إنا نجمع بين كل ما ذكر في القرآن، وإن كان ظاهره يتناقض بعضها بعضاً عند الجهال مثلكم، فإنه تعالى قال: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المُرْسَلَات: ٢٥] ثم قال في موضع آخر: ﴿وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصَّافَات: ٢٧] فيحمل هذا على أنهم لا ينطقون عند الصراط، والميزان، والكتب، ويسأل بعضهم بعضاً بعد ذلك، حتى لا تسقط شيئاً من كتاب الله ولا ينقض بعضه بعض فكذاك يحمل قوله: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» في حق من يبقى على الإيمان حتى يخرج من دار الدنيا، ويحمل ما ذكروا - لو كان صحيحاً - على من خرج من الدنيا على غير إيمان، ونكون أسعد وأولى، لأننا ثبت الصحيح بتأويل لشيء باطل لا أصل له أن لو صح، وهم يسقطون الصحيح المتفق على صحته بشيء باطل لم يصح.

فإن قيل: هذا لا يصح مع قوله عليه السلام: «لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» والكافر بما ذكر به ثم ليس من أمته، قلنا: بل يصح ذلك من وجهين:

أحدهما: أنه أراد بذلك من كان من أمتي ثم ارتد، أو نحو ذلك، فقد يجوز أن يسمى الشيء بما كان عليه أولاً، وإن كان في الحال لا يسمى به، ألا ترى إلى ما قال ﷺ في النبيذ: «ثمرة طيبة وماء طهور» يعني كان ثمرة طيبة وماء طهوراً، لا يريد أنه في الحال ثمرة، وكذلك أمر ﷺ بلالاً: «ارجع فناد ألا إن العبد نام» ولم يرد أنه الآن عبد، بل أراد أنه كان عبداً، لأن الصديق أعتق بلالاً قبل ذلك. يقال لعتيق الرجل: عبد بني فلان، أي كان عبداً لهم، ونحو ذلك كثير. ويحتمل أن يكون سماهم من أمته، لأنهم كانوا في عصره ووقته وقرنه، وكل قرن يسمى أمة، ويكون ذلك فيمن كان آمن به في وقته ثم ارتد، فمن ذكر من أهل الردة، أو كان في وقته ولم يؤمن، وسماه من أمته لأنه في قرنه وعصره. فصح ما قلناه ويطل تعلقهم بما لا أصل له.

فإن قيل: ليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من تحسى سماً وقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً»، وروي مثله فيمن قتل نفسه بحديدة، ومن تردى من جبل. وروي عنه ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر، وعاق والديه» فهذه الأخبار معارضة لأخبار الشفاعة.

فالجواب عن هذه الأخبار: أن [منها] ما صح [و]منها [ما لم يصح] ويجمع بين الكل، فتحمل هذه الأخبار على من فعل ذلك مستحلاً لفعله، أو فعله على وجه التكذيب للصادق فيما أخير به أن هذا الفعل كبيرة حرام، ونحو ذلك، وهذا صحيح لأن الرسول ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة». فقال أبو ذر: وإن زنا، وإن سرق؟ فقال: «وإن زنا، وسرق، وقتل، وشرب الخمر، وإن رغم أنف أبي ذر» فصح ما قلناه، وقبلنا جميع الأخبار الصحاح ولم نضرب بعضها ببعض، ولا أسقطنا بعضها ببعض، كما يفعل أهل البدع الذين ضاهوا اليهود في قولهم: ﴿تَوَيُّؤُنْ يَبْعَثُ وَيَنْكُرُ يَبْعَثُ﴾ [النساء: ١٥٠].

فإن قيل: أليس عندكم أن الرسول ﷺ لا يشفع إلا في مؤمن، وقد وردت الروايات «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن» وكذلك روي أنه قال: «ليس منا من يأتينا بطيناً ويأتي جاره خميصاً» و«من غشنا فليس منا» و«لا إيمان لمن لا أمانة له» إلى غير ذلك، فكيف يشفع الرسول عليه السلام فيمن ليس بمؤمن؟

فالجواب: أن يقال لهم: هذه الأخبار لا حجة فيها ولا تعارض أخبار الشفاعة، فإنها محتملة لوجوه إذا صرفت إليها صحت، ولم تكن معارضة لأخبار الشفاعة.

أحدها: أن يكون المراد لا يزني ولا يسرق حين يفعل ذلك، وهو مؤمن: أي مستحل لذلك، حتى يصح الجمع بين هذه الأخبار وبين قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنا وشرب الخمر»، أو يكون أراد بذلك إذا فعله على وجه التكذيب لتحريم هذه الأشياء، والله تعالى لم يحرمها، أو يكون المراد ليس بمؤمن كإيمان المؤمن الذي لم يكن منه سرقة، ولا زنا، ولا شرب خمر أي في البر، والطهارة، والعفة ونحو ذلك، وبصير هذا كقوله: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» أراد الكمال. وهذا الفصل أفسد الحجج وأدحضها بحمد الله تعالى.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] قيل: معناه الرد على من أنكروا أصل الشفاعة، فأخبر تعالى أن ثم شفاعة، لكن لمن أراد تعالى أن يشفع له وأذن في ذلك، ولم يرد إلا لمن رضي سائر عمله، لأن من رضي سائر عمله لا يحتاج إلى شفاعة، ويحتمل أن يكون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] يعني لمن كان معه عمل مرضى. والمؤمن معه أفضل الأعمال التي ترضى، وإن كان عاصياً فاسقاً، وهو التوحيد والتصديق، وقوله: لا إله إلا الله. والذي لا يرضى عمله أجمع هو الكافر، فصح ما قلناه.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَبٍ وَلَا سَفْعٍ يَطَّاعُ﴾ [غافر: ١٨] قلنا: معناه فالظلم بالشرك والكفر الذي لا ينفع معه طاعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أُنزِرَكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ولهذا لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] حزن الصحابة رضي الله عنهم كذلك، حتى قال الصديق رضي الله عنه وأرضاه: يا رسول الله: وأينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال النبي ﷺ: «ليس هذا يا أبا بكر، إنما الظلم الشرك هاهنا، ألا ترى إلى قول لقمان: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ أُنزِرَكَ لَظَلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فدل أن لا شفاعة تنفع الكافر. ولا حميم يدفع عنه، والمؤمن بخلاف ذلك بحمد الله وإن كانت له سيئات. فاعلم ذلك.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَفْعُرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبَلِّغُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] ﴿وَلَا يَخْفَتُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا يَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ النَّبِيِّينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

فالجواب: أن نقول: أنتم وإخوانكم من الخوارج دأبكم أبدأ أن تجعلوا آيات العذاب في أهل الإيمان والتوحيد، وهي لأهل الكفر والضلال دون المؤمنين بحمد الله تعالى؛ وهذه الآيات كلها في أهل الكفر، والذي يدل على صحة هذا ما قدمنا من الأخبار الصحاح: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» وغير ذلك من الأخبار الصحاح.

وأيضاً فإن القرآن نطق بذلك فإنه قال في أول هذه الآية: ﴿مَا تَلَكَ فِي سَعْرِ﴾ [١] ﴿قَالُوا لَوْ نَدِينُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢] ﴿وَلَوْ نَدِينُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣] ﴿وَكُنَّا نَحْمَدُكَ بِحَمْدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤] ﴿وَكُنَّا نَحْمَدُكَ بِحَمْدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥] ﴿وَكُنَّا نَحْمَدُكَ بِحَمْدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦] ﴿وَكُنَّا نَحْمَدُكَ بِحَمْدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٧] ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ النَّبِيِّينَ﴾ [٨] [المدثر: ٤٢ - ٤٨] فصح أن لا شفاعة لهم لأجل كفرهم، وصارت في النار، وجدا لهم لأجل كفرهم وصارت الآية إلى آخره حجة عليهم، إلا أن الله تعالى أخبر أن ثم شفاعة، وأنتم تقولون أن لا شفاعة؛ غير أنه تعالى أخبر أنها لا تنفع للكافرين، فدل على أنها تنفع المؤمنين.

فإن قيل: ما تقولون فيمن حلف بالطلاق الثلاث أنه يفعل فعلاً ينال به شفاعة الرسول عليه السلام، ويستحق به شفاعة الرسول، أو قال: أفعال فعلاً يجوز أن يشفع لي فيه الرسول مما أستحق من العقاب بماذا تأمرونه؟ أتأمرونه بالمعصية أم بالطاعة؟ قلنا: الجواب من وجهين:

أحدهما: أنا نقول نأمره بالتمسك بالتوحيد والإيمان دون فعل الذنوب، لأن الشفاعة لا تُنال بالذنوب، وإنما تُنال بالإيمان دون الذنوب، وهذا كما أن زيدا يشفع في ذنب صديقه، أو قريبه، أو حبيه في دار الدنيا إلى من ملك إسقاط ذلك، لا يقال إنه نال ذلك بالذنب الذي أذنب أو الخطأ الذي أخطأ، وإنما ناله بالصدقة المتقدمة أو القرابة المتقدمة أو السؤال المتقدم، لا نفس الذنب، ونأمره أيضاً بفعل الطاعات حتى ينال بذلك شفاعة الرسول عليه السلام في الزيادة له من البر والنعم ونحو ذلك.

الجواب الثاني: أنا نعارضكم بمثل هذا: لا تجدون أنتم عنه محيصاً، فنقول لكم: ما تقولون فيمن سمع قوله تعالى: ﴿يَحْيَىٰ الْقَوَّيْنِ وَيَحْيَىٰ النَّكُورِيِّ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فحلف رجل بالطلاق الثلاث ليفعلن فعلاً يجب عليه فيه التوبة أو الاستغفار حتى يتوب منه ويستغفر، ما تأمرونه؟ فإن قالوا: نأمره بالطاعة، وفعل الخير. قلنا لهم: هذا لا يصح! لأن الإنسان لا يجب عليه التوبة أو الاستغفار من فعل الطاعة والخير بإجماع المسلمين. وإن قلتم: نأمره بفعل المعاصي والذنوب حتى تجب عليه التوبة والاستغفار فيتوب ويستغفر حتى يتخلص من يمينه فقد استحلتتم ما حرم الله وأمرتم بما لا يجوز لمسلم أن يأمر به. وإن قلتم: لا نأمره بفعل المعصية ولكن إن ابتلي بشيء من ذلك قلنا له قد فعلت ما وجب به عليك التوبة والاستغفار وزوال حكم اليمين. قلنا لكم: نحن أيضاً نقول لمن حلف ليفعلن فعلاً، يجوز أن يشفع فيما يستحق عليه من العقاب شفاعة الرسول عليه السلام، نقول له تمسك بالطاعة والإيمان، فإن ابتليت بشيء من المعاصي فقد خرجت من اليمين، ويجوز أن يشفع لك الرسول، لا أنا نأمره بالمعصية بوجه من الوجوه.



## رؤية الله تعالى

اعلم أن رؤية الله تعالى جائزة من جهة العقل، وهي واجبة للمؤمنين في الآخرة من طريق الشرع، وبها نختم الكتاب إن شاء الله تعالى بعونه وتوفيقه، وإنما ختمنا بها لأنها أعلى الأشياء وأجلها، وبها يختم للمؤمنين المصدقين لها حتى يستحرقوا كل نعيم في جنبها، جعلنا الله من أهلها بمنه وفضله، إنه جواد كريم.

اعلم أن أهل السنة والجماعة قد جوزوا الرؤية على الله تعالى شرعاً وعقلاً بلا خلاف بينهم على الجملة، وإنما وقع الخلاف بينهم هل يكون ذلك ويجوز في الدنيا أم ذلك في الآخرة خاصة.



فكل الصحابة أجمعوا ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يُرى في الجنة، يراه المؤمنون بلا خلاف في ذلك. واختلف الصحابة في الرسول عليه السلام هل رآه ليلة المعراج بالقلب أو بعيني الرأس على قولين: فكانت الصديقة عائشة رضي الله عنها في جماعة من الصحابة يقولون: رآه بقلبه دون عيني رأسه، وكان ابن عباس رضي الله عنهما في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يقولون: إنه ﷺ رآه ليلة المعراج بعيني رأسه. ونحن نقول بقول ابن عباس رضي الله عنهما، فإذا تقرر هذا: فإن المعتزلة، والتجارية، والجهمية، والروافض، والخوارج: الكل منهم ينكرون الرؤية ولا يجوزونها بوجه، حتى قالوا: ولا يرى ولا يرى هو نفسه. وقد قدمنا الأدلة على صحة الرؤية وجوازها فيما تقدم، ولا بد أن نذكر هاهنا طرفاً من الأدلة أيضاً يؤكد ما تقدم ويقويه إن شاء الله.

ودليل ذلك من الكتاب والسنة والإجماع ممن يعد إجماعه إجماعاً، ودليل العقل.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْفِي أَنْظَرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا السؤال إنما كان من موسى بعد النبوة، والبصحة، والرسالة، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَوْفِي أَنْظَرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولا يخلو سؤال موسى عليه السلام هذا السؤال بعد النبوة والكمال من أحد أربعة أوجه: إما أن يكون سأل الرؤية بعد علمه بجوازها على ربه، أو مع علمه باستحالتها على ربه، أو سألها وهو شاك في ذلك، أو سألها وهو جاهل العقل لا يتفهم شيئاً. فلا يجوز أن يكون سأل ذلك مع علمه بأنه يستحيل على ربه، لأن من المحال أن يسأل النبي الكريم ربه ما يستحيل في حقه، ولا يجوز عليه كما يستحيل في حقه سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن يكون سأل ذلك وهو شاك جاهل بحكم هذه المسألة أو جاهل لا يدري، لأن هذه المسألة من مسائل أصول الدين، وكيف يجوز على النبي الكريم عليه السلام الشك فيها أو الذهول، أو غفلة القلب عنها. وإذا بطل جميع ذلك لم يبق إلا أنه عليه السلام سأل وهو معتقد جواز الرؤية عليه سبحانه وتعالى. فإذا اعتقد النبي الكريم جواز الرؤية لم يخلُ من أن يكون مصيباً أو مخطئاً، ولا يجوز أن يخطيء النبي الكريم في اعتقاده، فلم يبق إلا أنه أصاب، وهذا التقرير لا مخرج للمخالف عنه بوجه ولا سبب. فافهمه.

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون موسى لم يسأل الرؤية، وإنما سألها قومه وسألوه أن يسألها لهم، أما أن يكون هو سألها لنفسه فلا.

فالجواب: أن هذا تعلق لا ينفعكم ولا ينجيكم مما قررنا وحققنا في اعتقاد موسى عليه السلام جواز الرؤية؛ وذلك: أن موسى عليه السلام لو كان يعتقد استحالة جواز الرؤية لكان قد أنكر عليهم ذلك أشد الإنكار وجهلهم بذلك غاية الجهل. ولم يساعدهم على ذلك. ولا سأل ما جهلهم عليه، ولما ساعدهم كما فعل لما قالوا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ لَا يَعْلَمُ اللَّهُ جَزَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ولم يسأل ربه أن يجعل لهم الها، لأنه علم عليه السلام استحالة ذلك. فكيف يسأل له أو لهم الرؤية مع اعتقاده استحالة ذلك عليه سبحانه وتعالى، فلم يبق إلا ما قلناه.

جواب آخر: وذلك أن هنا عدول عن الظاهر إلى غيره بغير دليل، لأنه قال: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْظَرُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلا يحمل أرني أنظر، على قومي ينظرون إليك، فبطل ما قالوه، وصار هذه بمنزلة قول من قول: قوله أي ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُ إِنَّا قَائِمِينَ﴾ [طه: ١٤] أي اعبد غيري، وهذا لا يجوز، فبطل قولهم.

فإن قيل: اليس قد قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَرَيْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فنص على أنه لا سبيل إلى ما سأله فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا لا يمنع من جواز الرؤية، لأن قوله لن تراني إنما تضمن عدم وجود الرؤية عند السؤال، لا استحالة الرؤية على ما قررنا، ولو أراد استحالة الرؤية لقال: لن يجوز أن تراني. وقد لا يوجد الشيء ولا يدل على استحالته، ألا ترى أن أحداً لو سأل نبي زمانه أن يسأل ربه أن يرزقه ولداً، فسأل نبي ذلك الزمان، فأوحى الله تعالى لن يرزق هذا السائل ولداً، هل يدل ذلك على أنه لا يجوز وجود الولد في حق هذا السائل، ويستحيل، بل هو جائز وإن منع من وجوده عقب السؤال، على أن حرف لن لا يقتضي عدم جواز الرؤية في الدنيا والآخرة. ولو قرن بأبد. ألا ترى أنه تعالى قال في حق اليهود: ﴿وَلَنْ يَسْتَنْزَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتِ أَيُّهُمُ﴾ [البقرة: ٩٥] يعني الموت ولم يقتض ذلك [أن لا يتمنوه] في الدنيا والآخرة، لأنه أخبر تعالى أنهم يتمنون الموت في النار بقوله: ﴿وَتَكَادَى بَيْنَكَ يُقْبِضُ مِثْلًا رُكَّ﴾ [الزخرف: ٧٧] يعنون الموت، فإذا كان حرف لن مع اقتران أبد به لا يقتضي نفي ذلك في الدنيا والآخرة، فكيف به إذا لم يقرن به أبد، وأيضاً الجواب يجوز فيه الاستثناء، بأن كان يقول: لن تراني في الدنيا ولن تراني إلى وقت كذا وكذا، كما قال أخو يوسف عليه السلام: ﴿فَلَنْ أُنَبِّئَكَ بِالْحَقِّ﴾ [يوسف: ٨٠] ثم استثنى ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيََ بِأَيِّ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ [يوسف: ٨٠] فصح أن حرف لن لا يحيل عليه جواز الرؤية، وإنما توجب أن لا توجد الرؤية في هذا الوقت دون جوازها فصح ما قلناه.

والجواب الثاني: أن الله تعالى علّق جواز الرؤية على أمر جائز، ولو كانت مستحيلة لما علقها على أمر يجوز أن يوجد، وهو استقرار الجبل، فلما كان استقرار الجبل من الجائز دلّ على أن الرؤية جائزة.

فإن قيل: أليس قد قال موسى عليه السلام: ﴿بَيَّتُ لِيَلِكُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قالوا: والتوبة إنما تكون من الخطأ، فلما علم عليه السلام أنه أخطأ تاب، فالجواب من أوجه:

أحدها: أن موسى عليه السلام لما رأى الآية من جعل الجبل دكاً، وصعوقه، قال على جاري العادة من القول عند الفزع ﴿بَيَّتُ لِيَلِكُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وإن لم يكن سؤاله مستحيلاً، وهذا كما أن الواحد منا إذا سمع صوت الرعد العظيم، أو رأى الظلمة العظيمة، أو أمراً هائلاً فزع عند ذلك إلى التوبة والاستغفار، وإن لم يكن منه قبل ذلك معصية. أو سؤال مستحيل.

وجواب آخر: وهو أنه يحتمل أن موسى عليه السلام ذكر عند هول ما رأى فيه النفس، فجدّد التوبة منها وأكدها، وإن لم يكن منه في هذه الحالة ذنب يتاب منه.

جواب آخر: يحتمل أن يكون قال: تبت إليك للشدة التي أصابته عند سؤال الرؤية، وإن كانت الرؤية جائزة. كما أن الواحد منا إذا ركب البحر وناله شدة وخوف من هوله وأمواجه، أو سافر فلفي في سفره ما أتعبه وشقّ عليه يقول: أنا تائب من ركوب البحر ومن السفر، وإن كان ركوب البحر والسفر جائزاً غير محرم. ولا مستحيل، وكذلك مسألتنا مثله.

جواب آخر: يحتمل أن يكون قال: ﴿بَيَّتُ لِيَلِكُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] من أن أسأل مثل هذا الأمر العظيم الجليل قبل الاستئذان فيه، حتى يؤذن لي في السؤال، ولهذا قيل عن موسى عليه السلام: إنه تأدّب بعد ذلك، فقال: يا رب أسألك في جميع أموري؟ قال: نعم يا موسى أسألني في جميع أمورك حتى ملح عجيب أهلك.

جواب آخر: وهو أن موسى عليه السلام كانت إرادته وهمته تعجيل الرؤية له في الدنيا قبل الآخرة، وكان مراد الله تعالى تأخير الرؤية له إلى الآخرة، وأن لا يتقدم على نبينا ﷺ في الرؤية، فكانه قال: تبت عن مرادي وهمتي إلى مرادك. وهذا صحيح، لأن التوبة هي الرجوع، فكانه رجع عن مراده إلى مراد ربه. فاعلم ذلك.

ويدل على صحة ما قدمناه من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّهْتَدُ وَبِمَنْزِلِ رَبِّنَا لَبِئْسَ الْكَاذِبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣، ٢٢٤] وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا لِمَسْئَلٍ مُّوَدَّةٍ﴾ [يونس: ٢٦] وقوله:

﴿كَلَّا إِنَّمَا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّكُفْرًا﴾ [المطففين: ١٥] والحجب للكفار عن رؤيته عذاب. فدل على أن المؤمنين غير محجوبين، ولا يعذبون بعذاب الحجاب. فاعلم ذلك.

ويدل على ذلك أيضاً الأخبار التي قدمنا ذكرها عند سؤال الصحابة مع قوله عليه السلام في دعائه إنه قال: «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك من غير ضرر - أو مضر - ولا فتنة مضلة» وهذا أيضاً تصريح من الرسول عليه السلام في جواز الرؤية، وأنها غير مستحيلة، لأنه لا يسأل ﷺ في أمر مستحيل، لا سيما بعد تقدم موسى عليه السلام في سؤال الرؤية، وما كان منه، فلو كانت غير جائزة أو مستحيلة لما سألها ﷺ، فلما سألها دل على الجواز، وبطل ما قال أهل العناد. وبالله التوفيق.

ويدل على صحة جواز الرؤية إجماع الصحابة على جوازها في الجملة، وإنما اختلفوا هل عجلها لنبية ﷺ ليلة المعراج أم لا؟ على قولين، ولو لم يقع الاتفاق منهم على جوازها، لما صح هذا الاختلاف، فلما وقع هذا الاختلاف فقال بعضهم: عجل ذلك له في الدنيا قبل الآخرة. وقال البعض: لم يرد دليل على الجواز في الجملة وأنه متفق عليه، وإلا كان يقول لمن قال بأنها لم تعجل: فكيف تجوز الرؤية وهي مستحيلة عليه، فلما لم يقل ذلك أحد منهم دل على إجماعهم على جوازها. فاعلم ذلك.

ويدل على ذلك من جهة العقل: أنه تعالى موجود، والموجود لا يستحيل رؤيته، وإنما يستحيل رؤية المعدوم. وأيضاً فإنه تعالى يرى جميع المرئيات، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِبْ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [العلق: ١٤] وقال: ﴿الَّذِي يَرَىٰكَ﴾ [الشعراء: ٢١٨] وكل راء يجوز أن يرى؛ ولا يجوز أن تحمل الرؤية منه تعالى على العلم، لأنه تعالى فصل بين الأمرين، فلا حاجة بنا أن نحمل أحدهما على الآخر، ألا ترى أنه سمي نفسه عالماً، وسمى نفسه مريداً، ولا أن نحمل الإرادة على العلم، كذلك لا نحمل الرؤية على العلم. فاعلمه.

جواب آخر: وهو أن الصحابة سألوا الرسول عليه السلام: هل نرى ربنا؟ فقال: «نعم» ولا يجوز أن يكون سؤالهم: هل نعلم ربنا أو يعلمنا ربنا؛ فبطل قول من يحمل الرؤية على العلم، ولهذا أجاب ﷺ: «سترونه كما يرى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب وكما ترى الشمس ليس دونها سحاب» يعني لا تشكون في رؤيته كما لا يشك [من] رأى القمر والشمس فيها، فشبّه الرؤية بالرؤية في نفي الشك عن الرائي، ولم يشبه المرئي بالمرئي. فاعلم ذلك.

## فصل

في ذكر الأجوبة عن آيات يحتجون بها، وأخبار، وشبه في نفي الرؤية.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:

١٠٣] قالوا: فأخرج ذلك مخرج التمدح، كما تمدح بقوله تعالى: ﴿بِهِمُ الْمَسْمُومَاتُ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ﴾ [الأنعام: ١٠١] فكيف يجوز أن يزول عن مدحته، فالجواب عن هذه الآية من وجوه عدة:

أحدها: أن يقال لهم: ما أنكرتم على قائل يقول لكم، لا حجة لكم في ذلك، لأن التمدح إنما وقع في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لأن كون الشيء لا يُدرك بالأبصار لا يدل على مدحه، ألا ترى المعدوم لا تدرکه الأبصار، ولا يوجب كون ذلك مدحة له، وكذلك عندكم العطور والروائح وأكثر الأعراض لا تُدرك بالأبصار، وليست بممدوحة، لأنها لا تدرکہها الأبصار.

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون متمدحاً بأنه يدرك الأبصار وأنها لا تدرکه؟ قيل لهم: لأن للوصفين الذين يتمدح بهما لا بد أن يكون في كل واحد منهما مدح بمجرد نحو قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٦٠، الأنفال: ١٠، ٤٩، التوبة: ٧١] و﴿قَلِيلٌ قَيُّومٌ﴾ [النحل: ٧٠] فكل واحد من الوصفين مدح في نفسه، تجدد أو انضم إلى غيره، ولما لم يكن كون المعدوم غير مدرك بالبصر مدحاً له عندنا وعندكم بطل ما قلتم.

جواب آخر: وهو أن نقول الآية حجة عليكم وذلك قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فحسب، وإنما أراد أنه يدرك جميع المرئيات، فثبت تعالى أنه يرى الأشياء لأنه موجود، قادر على الرؤية، وسائر الأشياء الموجودة التي يجوز أن تُرى، لكن تمدح تعالى بأن كل راء يجوز أن يُرى، لكن هو تعالى مع جواز رؤيته منعنا من الإدراك له، بأن يحدث في أبصارنا مانعاً يمنعنا من رؤيته؛ فالمدح وقع بكونه قادراً على ذلك دون غيره من الخلق، فصار هذا بمنزلة تمدحه تعالى بكونه محياً مميتاً، أي لا يقدر على ذلك غيره، وإن جاز أن يميت الحي ويحيي الميت، فكذلك لا يمدح تعالى بأن يحدث مانعاً في البصر من الإدراك، وإن جاز أن يزول ذلك المانع حتى نراه تعالى بلا كيف، ولا شبه، ولا تحديد. فاعلم ذلك.

جواب آخر: وهو أن المعتزلة لا يصح لهم الاحتجاج بهذه الآية؛ لأن عند البصريين منهم أنه لم يعن بالإدراك الرؤية، لأن البصر عندهم عرض؛ فلا يدرك عند

البغداديين منهم: أنه تعالى لا يرى شيئاً، إنما المراد بالإدراك العلم، فهو يعلم الأبصار عندهم، والأبصار لا تعلمه، فبطل احتجاج الجميع منهم بهذه الآية، لأن عندهم لا يراد بالإدراك الرؤية، فلا يصح لهم الاحتجاج بها في نفي الرؤية.

جواب آخر: وهو أن الآية لا حجة فيها، لأنه قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ولم يقل لا تراه الأبصار، والإدراك بمعنى يزيد على الرؤية، لأن الإدراك: الإحاطة بالشيء من جميع الجهات، والله تعالى تعالى يوصف بالجهات، ولا أنه في جهة، فجاز أن يرى وإن لم يدرك، وهذا كما قال تعالى في قصة اللعين فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: ٩٠] يعني أحاط به من جميع جوانبه، فالفرق لا يوصف بأنه يرى، وإنما يوصف بأنه أحاط بالشيء. كذلك المؤمن يوصف بأنه يرى ربه ولا يدركه بالإحاطة، وهذا كما نقول: إنا نعلم ربنا، ولا نقول إنا نحيط بربنا، فكما كانت الإحاطة معنى يزيد على العلم كذلك الإدراك معنى يزيد على الرؤية، وهذا صحيح. لانا نجتمع بين قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمّد: ١٩] وبين قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ونجمع بين قوله تعالى: ﴿رُبُّهُ يُؤَيَّبِلُ مَا يُرِيدُ﴾ [١١٣] ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [١١٤] ﴿الْقِيَامَةَ: ٢٢، ٢٣﴾ وبين قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فنقول: معلوم ولا يحاط به، ومرثي ولا يدرك. فصح ما قلناه، وبطل قول الغير.

جواب آخر: أن معنى الآية لا تدركه الأبصار في الدنيا، وإن جاز أن تدركه في الآخرة، ليجمع بين قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [١١٤] ﴿الْقِيَامَةَ: ٢٣﴾.

جواب آخر: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يعني أبصار الكفار دون المؤمنين، ليجمع بين قوله تعالى: ﴿رُبُّهُ يُؤَيَّبِلُ مَا يُرِيدُ﴾ [١١٣] ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [١١٤] ﴿الْقِيَامَةَ: ٢٢، ٢٣﴾ وبين قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْضُونَ﴾ [١١٥] وهذا صحيح؛ لأن الحجاب لما كان للكفار دون المؤمنين، كذلك الرؤية للمؤمنين دون الكفار.

جواب آخر: وهو أن أبصار الخلق لا تدركه في الدنيا والآخرة؛ لأن هذه الأبصار جعلت للفناء، وإنما يحدث لهم بصرأ غير هذا البصر، ويكون باقياً غير فان فيرى الباقي بالباقي، وقد قيل: إنه تعالى يحدث لأولياته حاسة سادسة غير هذه الحواس الخمس يرونها بها. وقال هذا القائل: الله أخبر في كتابه العزيز: أنه من أهل

الجنة، وخبره حق لا يدفع بالشبهة، ولا يمكن الجمع إلا بما قلناه من وجود حاسة يرى بها الله تعالى، دون هذه الحواس. والله أعلم بالصواب.

جواب آخر: وهو أن يحمل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] على أنها لا تدركه في جهة، ولا تدركه جسماً ولا صورة ولا متحيزاً ولا حالاً في شيء ﴿وَقُو يُدْرِكُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] على جميع هذه الصفات، وتكون الحكمة فيه الرد على النصارى وأهل التشبيه ومن يقول بالجهة والحيز والصورة، وغير ذلك مما لا يليق به سبحانه وتعالى.

فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] فأكبر الله هذا السؤال فأنكره.

قيل لهم: لا حجة لكم في ذلك، لأن الله تعالى ما أكبر ذلك لكونه مستحيلاً، وإنما أنكره لأنهم سألوه ذلك على وجه التعنت، ألا ترى أنه أنكر عليهم سؤالهم تنزيل الكتاب من السماء، وليس ذلك بمستحيل، وإنما أنكروا استكباراً وتعنتاً منهم لمحمد ﷺ وتشكيكاً للناس في نبوته؛ لأن عندهم التوراة، والإنجيل، والفرقان، وكل ذلك منزل من عند الله، وإنما أرادوا بذلك التلبس على العوام، حتى لا يصدقوا بنبوته ﷺ، وتركوا ما أوجب الله عليهم من الإيمان به في التوراة والإنجيل، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي يَهْدِيهِمْ مَّكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فأكبره تعالى سؤالهم ذلك لأجل هذه المعاني لا يكون ذلك مستحيلاً. وهذا كما أنكر تعالى سؤال قريش لما قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةٌ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩١] ﴿أَوْ تَرْفِقَ فِي السَّمَاءِ﴾ [الإسراء: ٩٣] وكل ذلك جائز غير مستحيل، لكن أنكره عليهم وأكبره لما كان [ذلك] على وجه التعنت والتكذيب، لما قد وضع من آياته وحججه، وكذلك أنكر سؤالهم الرؤية لموسى عليه السلام على وجه التعنت، لا لكونها مستحيلاً.

فإن احتجوا بالخبر المروي عن عائشة رضي الله عنها لما قال لها ابن الزبير - وهو ابن أختها - يا أمه: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: يا ابن أختي لقد قففت شعر بدني، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وِتْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرِيدهُ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِلَاذِيهِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] قالوا: فموضع الدليل من الخبر أنها أكبرت ذلك ونفت الرؤية عن الله تعالى؛ فدل أن ذلك مستحيل في حقه سبحانه وتعالى. الجواب من أوجه:

أحدهما: أن ابن عباس رضي الله عنه وغيره من الصحابة قد صرحوا بأن محمداً رأى ربه ليلة أسري به بعيني رأسه، ولو كان ذلك مستحيلاً لم يقع الخلاف فيه بين الصحابة، كما لم يقع بينهم الخلاف في ما هو مستحيل على الله تعالى من الولد والزوجة والشريك ونحو ذلك. فلما وقع بينهم الخلاف في ذلك وانقرض عصرهم على ذلك، دلّ على أن الرؤية جائزة غير مستحيلة. فبطل ما ذكر.

وجواب آخر: وهو أن عائشة رضي الله عنها إنما خالفت فيما رأى به محمد ربه، فعندها رآه بالقلب دون العين، وعند غيرها من الصحابة رآه بالقلب والعين معاً، فقد وقع الإجماع منهم على جواز الرؤية عليه تعالى، وإنما اختلفوا فيما به رآه، لا أصل جواز الرؤية عليه، لأن رؤية النبي ﷺ رؤية حقيقية لا رؤية مجاز، بخلاف الواحد منا، لأن رؤيته بالقلب قد تكون حقيقة وقد تكون تخيلاً ومجازاً، ولهذا قال ﷺ: «تنام عينا، ولا ينام قلبي» وقال عليه السلام: «إني أراكم من وراء ظهري» ورؤية الأنبياء عليهم السلام حقيقة بالقلب والعين.

دليله: قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آيَةً أُنذِرُكُمْ﴾ ﴿قَالَ يَا بَنِي آدَمَ مَا نُرِيدُ﴾ [الصفافات: ١٠٢] فصّح أن الإجماع قد وقع من الصحابة رضي الله عنهم في جواز الرؤية على الله تعالى، وإن وقع الخلاف بما رآه الرسول الله تعالى ليلة الإسراء، فصار ذلك حجة على المخالف لا له.

جواب آخر: وهو أن عائشة رضي الله عنها إنما أنكرت رؤية الباري بأبصار العيون في دار الدنيا، لا على الإطلاق، ولهذا روي عن أبيها وعنهما رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَا نَكُفِّرُ بَعْدَهُ﴾ [يونس: ٢٦] قالوا: الزيادة النظر إلى الله تعالى في الجنة، وقد روي هذا مرفوعاً عن الرسول ﷺ، فصّح مذهب أهل السنة والجماعة بحمد الله تعالى، وبطل شبه المخالف واندحض مكره. والله المتمّة والحجة البالغة<sup>(١)</sup>.

(١) رؤية أهل الجنة لله سبحانه مجردة عند أهل الحق من المقابلة والمسافة ونحوهما من لوازم الجسمية، على خلاف الرؤية في الشاهد، بأدلة تنزه الله سبحانه من أن يكون جسماً أو جسمانياً، وهذا موضع اتفاق بين الفريقين سوى الحشوية، فيجب أن يكونا متفقين أيضاً على حصول معرفة ضرورية بالله سبحانه لهم في الجنة فوق معرفتهم الاستدلالية النبوية به تعالى في دار الدنيا، كما هو الفرق بين الإيمان بالغيب والإيمان بالشهود. وما عدا ذلك شغب يابأه المحصلون. نسأل الله الصون من معاندة الحق ونسأله التوفيق وجمع الكلمة حول الصدق (ز).



فإن احتجوا فقالوا: لو جاز عليه سبحانه وتعالى الرؤية بالأبصار لوجب أن يكون جسماً، أو جوهرأ، أو عرضأ، أو محدودأ، أو حالأ في مكان، أو مقابلاً أو خلفأ، أو عن يمين، أو عن شمال، أو يكون من جنس المراتب؛ لأننا لم نعقل مرئياً بالبصر إلا كذلك، فلما استحال عليه جميع هذه الوجوه بطل أن يكون مرئياً، أو يجوز عليه الرؤية، وهذا في تصورهم الفاسد من أعظم الحجج عندهم في نفي الرؤية عنه سبحانه وتعالى، وهي عند أهل السنة والجماعة [من أسقط الحجج] فليس هو اليوم مرئياً لخلقه ومدركأ لهم، ولا تجوز الإشارة في وصفه تعالى.

فالجواب أن نقول لهم: هذه الحجة الباطلة تؤدي إلى إبطال الربوبية أصلاً ورأساً، أو تؤدي إلى إيجاب كون ربنا تعالى يشبه المخلوقات، لأن من أنكر الصانع القديم يقول لنا: لو كان لنا صانعاً لوجب أن يكون جسماً، أو جوهرأ، أو عرضأ، أو ذا علة وطبع وآلة، وغير ذلك؛ لأننا لم نعقل صانعاً إلا على هذه الأوصاف، وأنتم تنفون عنه جميع هذه الأوصاف، فبطل أن يكون ثم صانع، بل تصنع نفسها أو يصنعها من هو على هذه الأوصاف، وكذلك نقول: في العلم والحياة، لأن العالم، والحي، لا يعقل إلا جسماً، أو جوهرأ، أو عرضأ، أو ذا علة أو فكر، أو روية وغير ذلك. وقد وقع الإجماع منا ومنكم أنه عالم، وأنه حي، وأنه معلوم بالقلب، وأنه موجود؛ ثم كونه عالمأ ومعلومأ، وموجودأ يصح وصفه بجميع ذلك، وإن لم يكن جسماً، ولا جوهرأ، ولا عرضأ، ولا ذا علة، ولا محدودأ ولا حالأ في مكان، بخلاف العالم منا، والمعلوم منا، والموجود منا، فكذلك لا يستحيل أن يكون مرئياً وليس ذا جسم ولا جوهر ولا عرض، فبطل زعمكم وصح الحق وظهر أمر الله وأنتم كارهون.

فإن احتجوا فقالوا: لو كان تعالى مرئياً، أو تجوز عليه الرؤية لرأيناه الساعة لأن الموانع من الرؤية يستحيل وصفه بها؛ لأنه لا يوصف بالدقة والرقّة، والحجاب والبعد، وكل مانع من الرؤية، فلو جاز أن يكون مرئياً لرأيناه الساعة لانعدام هذه الموانع في حقه.

فالجواب: أن جميع ما ذكرتم لا يمنع من الرؤية، لأن الملائكة فيهم من الدقة، واللطفة، ما ليس في غيرهم، وبعضهم يرى بعضأ، والميت يراهم عند النزح، والرسول كان يرى جبريل عليه السلام، فبطل أن تكون الدقة، والرقّة، واللطفة،

مانعة من الرؤية. وكذلك البُعد لا يمنع الرؤية، لأن السماء أبعد الأشياء منا والكواكب فيها، لأن بيننا وبينها خمسمائة عام، ونحن نراها، ولم يمنعنا بعدها من رؤيتها، وكذلك الحجاب لا يمنع من الرؤية؛ لأن الله تعالى يرى ما تحت الثحت، ودونه ألف ألف حجاب [عند الخلق] وكذلك الهدهد يرى الماء من تحت الأرض ودونه حجاب وحجاب، فبطل أن يكون جميع ما ذكرتم هو المانع من الرؤية، حتى يجب أن نراه الساعة.

فإن قيل: فما المانع من الرؤية الساعة له تعالى؟ قلنا: إن المانع هو ما خلقه في أبصارنا من قلة الإدراك لبعض المرئيات دون بعض، فإذا خلق فينا إدراكاً رأينا مرئياً لم نكن نراه من قبل؛ ألا ترى أن الواحد منا لا يرى اليوم ملك الموت إذا نزل بأخيه وأبيه، ويراه إذا نزل به، وليس ذلك إلا لأنه لم يخلق الله في بصره إدراكاً له عند موت غيره، وخلق في بصره إدراكاً له عند موته. وكذلك الفرس، والهرة وكثير من الحيوان يرون الصورة والشخص في ظلام الليل وسواده، ونحن لا نرى ذلك؛ وما ذلك إلا لأن الله تعالى خلق في بصرها إدراكاً حتى رأت، ولم يخلق في أبصارنا إدراكاً حتى نرى، كما ترى؛ فكذلك لم يخلق في أبصارنا إدراكاً له في الدنيا حتى نراه، ويخلق لنا إن شاء الله في جنته إدراكاً حتى نراه، كما وعدنا ووعد الحق الصدق الذي لا يخلف.

فإن قالوا: وإذا كان الأمر كذلك، فجوّزوا أن يخلق الله لكم إدراكاً ترون به ذرة، ويخلق فيكم عدم إدراك فيل إلى جنبها. قلنا: هذا جائز في قدرته سبحانه وتعالى، ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ خلفه في الصلاة لما عرضت عليه الجنة، والنار، ونظر إلى كل واحدة منهما في عرض الحائط، وهما من أعظم المخلوقات، وأصحابه كانوا يدركون الذرة على ثوبه ﷺ، ولون ثوبه مع صغر ذلك، ولم يدركوا ما أدرك. ولم يروا ما رأى، ولا يقدح في هذا إنكار من أنكروا من المعتزلة، أن الجنة والنار لم تخلقا بعد، لأن الكل منهم سلم إلى الرسول عليه السلام أنه قد رأى في هذه الحالة شيئاً من الجنة والنار، أو ما هو على صورهما، يخلق منهما إذا خلقتا، واختص هو ﷺ برؤية ما لم يره أصحابه، وإن كانوا يرون الذرة لو ذبت على قميصه ﷺ، وإن لم يروا ما هو أكبر منها وأعظم. وأبين من هذا: أن بعض الخلق يدرك صوتاً خفياً جداً، ولا يدرك صوتاً عالياً جداً، وإن وجد الصوتان في وقت واحد، ومسافة واحدة، وقد رأينا ذلك عياناً؛ فإن بعض الطرش إذا تكلم عنده رجل

فأخفى صوته غاية الإخفاء، وتكلم آخر عنده بصوت من أعلى الأصوات أدرك الصوت الخفي، ولم يدرك الصوت العالي؛ وليس ذلك إلا لما ذكرناه، وهو أن الله تعالى خلق في سمعه إدراك الصوت الخفي، ولم يخلق في سمعه إدراك الصوت العالي، فكذلك يجوز أن يخلق في بصرنا إدراك الذرة الصغيرة، ويخلق فيه مانعاً من إدراك الفيل الكبير ﴿وَاللَّهُ عَلَّامٌ الْغُيُوبِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فإن قيل: فإذا كان كذلك فيجب أن يجوز أن يكون بحضرتنا ذرة ننظر إليها وندركها، ويجوز أن يكون إلى جنبها فيلة وأجمال وأنهار جارئة، لأن ذلك جائز في المقذور، أو نشك في ذلك، ولعله يكون بحضرتنا ونحن لا نراه.

الجواب: أن هذا تخبط وجهل وقلة فهم؛ لأنه لا يلزمنا أن يجوز أن يكون بحضرتنا كل ما هو جائز في مقذور الله تعالى، ولا نشك فيه، لأن ذلك لو لزم للزمننا أن نجوز أن يكون بحضرتنا وعندنا في الدنيا جنة ونار، ونشك في ذلك؛ لأن الله تعالى قادر على ذلك، ولما لم يلزم ذلك لم يلزم ما ذكرتم، وكذلك أيضاً من الجائز في قدرته تعالى أن يخلق اليوم رجلاً لا من ذكر ولا من أنثى، ثم لا يجب علينا أن نجوز أنه الآن عندنا موجود أو نشك فيه، فكذلك ما قلتم، وكذلك أيضاً يجوز في مقدوره تعالى أن يميت أهل بلدة نحن فيها كلهم، ثم لا يلزم أن يجوز ذلك الآن أو نشك فيه، فكذلك ما قلتم؛ فليس كل جائز يجب أن يكون بحضرتنا، أو نشك فيه؛ فبطل ما قلتم، وصح الحق.

فإن احتجوا فقالوا: لو جاز أن يكون مرثياً لجاز أن يقال: يرى كله أو بعضه.

فالجواب: أن هذا محال من القول؛ لأن إطلاق الكل والبعض إنما يجوز على من كان ذا كل أو بعض، والله تعالى منزّه عن الوصف بالكل والبعض، وهذا بمنزلة قائل يقول لنا: لو كان معلوماً لجاز أن نقول: نعلم كله أو بعضه، فنقول له: لا نقول نعلم كلاً ولا بعضاً، بل نقول نعلم واحداً واحداً فرداً صمداً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فكذلك نقول: نرى واحداً واحداً فرداً صمداً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فإن قيل: لو كان أهل الجنة يرون ربهم تعالى ثم لا يرونه لكانت أحوالهم قد تناقصت وعادت من منزلة أعظم إلى منزلة أدون، ولا يجوز أن تتناقص أحوال أهل الجنة.

فالجواب: أن الأمر ليس على ما يقع لكم، لأن تناقص الأحوال أن يريد المرء حالة عالية فيبقى في حالة ناقصة، أو يريد ملاذاً فلا يصل إليها، عالية كانت أو دون ذلك، فأهل الجنة - بحمد الله تعالى - قد تكاملت حالتهم، إذ كانوا بحيث إذا شأوا رأوا ربهم، وإذا شأوا اشتغلوا بملاذهم، ولا يكون ذلك نقصاً في أحوالهم ولا يلزم على هذا التقرير أن يقال: فهذا نقص في حق أهل الجنة إذا شأوا الخلوة بالتلذذ عن رؤية ربهم تعالى. قيل هذا يلزمكم أنتم دوننا، لأننا نحن نقول: هم (لا يشأون إلا ما شاء الله لهم) فهم به وله في كل أحوالهم، فإذا شاء لهم الرؤية شأوها وتلذذوا بها، وإذا شاء لهم الخلوة شأوها وتلذذوا بها، ولا نقص عليهم في ذلك، ولا يلزم ما قلتم.

جواب آخر: وهو أن أهل الجنة يجتمعون بالنبي ﷺ، وينظرون إليه، والاجتماع به والنظر إليه أعلى من الاجتماع بالبحور والقصور، والنظر إلى الحور والقصور، ثم يشتغلون بالبحور والقصور بعد نظره ﷺ، وإن عادوا إلى قصورهم ونعيمهم، وإن كان نظره أعظم وأعلى من ذلك، فجاز مثل ذلك أيضاً في جواز رؤية الباري، وإن كانت أعلى الأشياء وأجلها، ثبت ما قلناه، وبطل التمويه بحمد الله.

فإن قيل: إذا كان مرئياً فخيرونا ما هو؟ قيل لهم إن أردتم بقولكم: ما هو: أي ما صورته، وجنسه، وطوله، وعرضه إلى غير ذلك مما لا يجوز عليه، فليس بذئ صورة ولا جنس ولا طول ولا عرض، وقد قدمنا الأدلة على أنه لا يشبه خلقه ولا يشبهونه. وإن أردتم بقولكم ما هو؟ ما اسمه؟ فاسمه: الله، الرحمن، الرحيم، الحي، القيوم، وإن أردتم بقولكم ما هو صنعه؟ فصنعه: العدل، الإحسان، والإنعام، والسموات والأرض وجميع ما بينهما، وإن أردتم بقولكم ما هو؟ ما الدلالة على وجوده؟ فالدلالة على وجوده جميع ما نراه ونشاهده من محكم فعله وعجيب تدبيره، وإن أردتم بقولكم ما هو؟ أي أشيروا لنا إليه حتى نراه، ولم أنها لا تصح إلا في المسجد؟.....؟

جواب آخر: وهو أن هذه الأخبار تحمل عليه على وجه التخليط والمبالغة في الزجر، حتى يقف الناس عن هذه الأمور ولا يقدموا عليها، وهذا كقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من أراد أن يقتحم جرائم جهنم فليقتض بين الجد والإخوة. ولم يرد عليه السلام الإعراض عن الحكم أصلاً بين الجد والإخوة، فإنه قد حكم عدة نوب بقضايا مختلفة بين الجد والإخوة.

فإن قيل: فإذا كان مرثياً فكيف هو؟ قيل لهم: إن أردتم بقولكم كيف هو؟ على أي تركيب، أو على أي صورة هو، أو على أي جنس هو؟ فلا تركيب له، ولا صورة ولا جنس فنخبركم عن ذلك، وإن أردتم بقولكم كيف هو وعلى أي صفة هو؟ فهو قديم، حي، علام قادر، متكلم، سميع بصير، مريد، وإن أردتم بقولكم كيف هو؟ كيف صنعه إلى خلقه؟ فصنعه إليهم الإحسان، والعدل، والتفضل، والامتنان، فإن قيل إذا كان مرثياً فأين هو؟ قيل لهم: إن أردتم أين هو في وصف المنزلة والرفعة والجلال فهو كما وصف نفسه بقوله تعالى: ﴿وَمَوْءَاظُهُمْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ قَدِيمًا مُبِينًا﴾ [الأنعام: ١٨] ويقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَبِهَاتِ آلِهَتِهِمْ﴾ [طه: ٥] ويقوله تعالى: ﴿وَمَوْءَاظُهُمْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ قَدِيمًا مُبِينًا﴾ [الفجر: ١٤] قيل لهم: الأين سؤال عن مكان وليس هو مما يحويه مكان، لما قدمنا من الحجج والبراهين بحمد الله الملك المئان. وحسبي الله ونعم الوكيل.

تم الكتاب بعون الله



# دَفْعُ شُبُهَةِ التَّشْبِيهِ

لِلْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَوْزِيِّ

المتوفى ٥٩٧ هـ

تحقيقه

الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسن بن علي الكوثري

المتوفى ١٣٧١ هـ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الصديقي

البكري:

اعلم وفقك الله تعالى أنني لما تتبعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيت الرجل كبير القدر في العلوم، قد بالغ في النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء حتى لا تأتي مسألة إلا وله فيها نص أو تنبيه، لكنه على طريق السلف فلم يصنف إلا المنقول فأريت مذهبه خالياً من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم، فصنفت تقاسير مطولة: منها «المعني» مجلدات و«زاد المسير» و«تذكرة الأريب» وغير ذلك.

وفي الحديث كتباً: منها «جامع المسانيد» و«الحدائق» و«نقي النفل» وكتباً كثيرة في الجرح والتعديل.

وما رأيت لهم تعليقة في الخلاف، إلا أن القاضي (أبا يعلى) قال: كنت أقول ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ولا يذكرون أحمد<sup>(١)</sup> ثم عذرتهم إذ ليس لنا تعليقة

(١) كان الإمام أحمد رضي الله عنه قد لزم الإمام أبا يوسف في بدء أمره، كما حكى ذلك عنه يحيى بن معين حيث يقول في كتابه - معرفة التاريخ والعلل (رواية أبي العباس الأصم عن أبي الفضل العباس بن محمد الدوري عنه) -: سمعت أحمد بن حنبل يقول: اختلفت إلى أبي يوسف ثم اختلفت إلى الناس بعلمه اهـ. وكان يشتغل بكتب محمد بن الحسن ويستفيد منها أجوبة دقيقة، على ما رواه الخطيب بإسناده إلى الحرابي عنه، وصحب كثيراً من فقهاء العراق، وجالس الشافعي في قدمته الثانية ببغداد بعد وفاة محمد، فصار له من الفقه حظٌ وافراً، ومع هذا كله كان الغالب عليه وعلى أصحابه رواية الحديث، ولم يكن يجري على طريقة الفقهاء في التفريع - والتأصيل وتبيين مناهج الأحكام والتعليل، حتى قُلت انفراداته في الفروع عمن تقدمه من الفقهاء، فإن خالف الشافعي مثلاً في شيء من قوله الجديد تراه يوافق فيه أبا حنيفة أو أحد أصحابه أو مالكاً رضي الله عنهم، فكان يستغني أصحاب كتب الخلاف عن ذكر أقوال أحمد بذكر خلاف من تقدمه من الفقهاء، ولم يدع تدوين أقواله مع أقوال بقية الفقهاء في كتب الخلاف إلا في عهد ابن هبيرة الوزير فإنه لما ألف إفساحه وخص من بين مجلداته مجلداً ضخماً باختلاف الأئمة الأربعة، واعتنى به عناية تامة وسعى في نشره بصرف مبالغ طائلة، أخذ من يكتب في الخلاف يذكر أقوال أحمد من أقوال غيره من الأئمة، وكان ابن جرير أدركه سنناً وأدرك أصحابه لقاء ومع ذلك لم يذكر أقواله فيما كتبه في اختلاف الفقهاء مع ذكره من هو على شاكلة أبي بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم، فسأله الحنابلة عن ذلك فقال ما معناه: لم يكن أحمد من الفقهاء وإنما كان من أهل الحديث وما كنت لقيته حتى أخذ منه ولا لقيت أصحاباً له يحق أن يوحى منهم فتارت نائرة الحنابلة عليه وجرى ما ينقله ياقوت في معجم الأدياب وابن الأثير في كامله. (ز).

في الفقه، قال فصنت لهم تعليقة.

قلت وتعليقته لم يحقق فيها بيان الصحة والظمن في المردود وذكر فيها أقيسة طردية، ورأيت من يلقي الدرس من أصحابنا يفرغ إلى تعليقة الاصطلاح أو تعليقة أسعد أو تعليقة العمالي أو تعليقة الشريف، ويستعير منها استعارات، فصنت لهم تعاليق: منها كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» ومنها «جنة النظر وجنة الفطر» ومنها «عمدة الدلائل في مشهور المسائل».

ثم رأيت جمع أحاديث التعليق التي يحتج بها أهل المذاهب وبينت تصحيح الصحيح وظمن المطعون فيه، وعملت كتاباً في المذهب أدخلتها فيه وسميته «البازي الأشهب المتقضى على مخالفتي المذهب».

وصنت في الفروع: كتاب «المذنب في المذهب» وكتاب «مسبوك الذهب» وكتاب «البلغة» وفي أصول الدين كتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول»، وقد بلغت مصنفاتي مائتي مصنف وخمسين مصنفًا.

ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد<sup>(١)</sup> وصاحبه القاضي «أبو يعلى»<sup>(٢)</sup>، وابن الزاغوني<sup>(٣)</sup> فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وهينين، وقما، ولهوات، وأضراساً، وأضواء، لوجهه هي السباحات، ويدين، وأصابع، وكفاً، وخنصرأ، وإبهاماً، وصدراً، وفخذاً، وساقين، ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا يجوز أن يمس ويُدنس ويدنئ العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويشتمس، ثم إنهم يرضون العوام بقولهم (لا كما يُعقل).

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم

(١) هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي المتوفى سنة ثلاث وأربعمئة، كان من أكبر مصنفهم، له شرح أصول الدين، فيه طامات سيورد المصنف بعضها، ولديه تخرج القاضي أبو يعلى الحنبلي. (ز).

(٢) هو القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمئة، وفيه يقول أبو محمد التميمي ما معناه: لقد شأن أبو يعلى الحنابلة شيئاً لا يفله ماء البحار، على ما نقله ابن الأثير وأبو الفداء، وعزا في طبقاته إلى الإمام أحمد ما يعد أن يصح عنه كل البعد، ونقل ابن بدران الدمشقي في جزء إثبات الحد عن كتب الأصول لأبي يعلى هذا ما هو أظلم مما سيتقله المصنف عنه في التشبيه، على تضارب في أقواله بين تنزيه وتشبيه، ولا يخفى على الناظر أن غير الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي صاحب المسند رواه كتب أبي يوسف عن بشر بن الوليد. (ز).

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة سبع وعشرين وخمسماية، وهو من مشايخ المصنف، وله في كتاب الإيضاح من غرائب التشبيه ما يحاز فيه النبيه. (ز).

في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى: ولا إلى إلغاء ما توجه الظواهر من سمات الحدث، ولم يقنعوا بأن يقولوا: صفة فعل، حتى قالوا: صفة ذات.

ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة، ولا مجيء وإتيان على معنى بَرّ ولطف، ولا ساق على شدة، بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو الممهود من نموت الآدميين والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن، فإن صرف صارف حمل على المجاز، ثم يتخرجون من التشبيه ويأثفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه.

وقد تبعهم خلق من العوام، وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل<sup>(١)</sup>. فإياكم أن تبدعوا في مذهبه ما ليس منه؛ ثم قلت في الأحاديث (تحمل على ظواهرها) فظاهر القدم الجارحة، فإنه لما قيل في عيسى عليه الصلاة والسلام (روح الله) اعتقدت التصاري لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم.

ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات، وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإننا به عرفنا الله تعالى وحكنا له بالقدم، فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليهم، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح<sup>(٢)</sup>.

(١) ولما سئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها قال: تؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى، وقال أيضاً يوم سأله عن الاستواء: استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف، على ما ذكره الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد، وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف، وربما أزل في بعض المواضع كما حكى حنبل أيضاً عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول: احتجوا على يوم المناظرة فقالوا: تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك قال فقلت لهم: إنما هو الثواب قال الله جلّ ذكره: ﴿وَيَسَاءَ رُكْبًا وَلِأَنَّكَ صَكًّا صَكًّا﴾ (٣) وإنما تأتي قدرته. وقال ابن حزم الظاهري في فصله: وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: «وجاه ريك» إنما معناه: جلاه أمر ريك اهـ. وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف، وأما ما ينقل عن الإمام أحمد مما يخالف ما تقدم فهو نخرص صديق جاهل وسوء فهم لمذهب ههنا الإمام. (ز).

(٢) يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله فيما كتبه على العضلية عند الكلام على حديث التراق الأمة: فإن قلت: إن كلام الله وكلام النبي ﷺ مؤلف من الألفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الأخذ بحاق مدلول اللفظ كان ما كان. قلت: حينئذ لم يكن ناجياً إلا طائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجود الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأساً، مع أنه لا يخفى ما في آراء ههنا الطائفة من الاختلال، مع سلوكهم طريقاً ليس يفيد اليقين بوجه، فإن للخطايات مناسبات ترد بمطابقتها فلا سبيل إلا إلى الاستدلال وتأويل ما يبدي بظاهرة تقصاً إلى ما يفيد الكمال، وإذا صح التأويل للبرهان في شيء صح في بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ. (ز).

فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، فلقد كتبتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسم، ثم زينتكم مذهبكم أيضاً بالعصية ليزيد بن معاوية وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته. وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أمتكم<sup>(١)</sup>. لقد شأن المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة.

فصل: وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه:

أولها: أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات وليس كل مضاف صفة، فإنه قال تعالى: ﴿وَنَقَّحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وليس لله صفة تسمى روحاً، فقد ابتدع من سمي المضاف صفة.

والثاني: أنهم قالوا: هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم قالوا: نحملها على ظواهرها، فواعجباً ما لا يعلمه إلا الله تعالى أي ظاهر له؛ وهل ظاهر الاستواء إلا القعود وظاهر النزول إلا الانتقال!

والثالث: أنهم أثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات، وصفات الحق جلّ جلاله لا تثبت إلا بما تثبت به الذات من الأدلة القطعية.

والرابع: أنهم لم يفرقوا في الإثبات بين خبر مشهور كقوله ﷺ: «ينزل تعالى إلى سماه الدنيا» وبين حديث لا يصح كقوله: «رايت ربي في أحسن صورة» بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة.

الخامس: أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع إلى النبي ﷺ وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي، فاثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا.

والسادس: أنهم تناولوا بعض الألفاظ في موضع ولم يتأولوها في موضع كقوله: «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» قالوا: ضرب مثلاً للإنعام.

والسابع: أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس فقالوا: ينزل بذاته ويستقل ويتحول، ثم قالوا: لا كما نعقل، فغالطوا من يسمع وكابروا الحس والعقل فحملوا الأحاديث على الحيات.

فرايت الرد عليهم لازماً لثلاث ينسب الإمام أحمد رحمه الله إلى ذلك، وإذا سكتُ نسبتُ إلى اعتقادي ذلك ولا يهولني أمر يعظم في النفوس لأن العمل على الدليل وخصوصاً في معرفة الحق تعالى لا يجوز فيها التقليد، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن مسألة فأفتى فيها فقيل: هذا لا يقول به ابن المبارك فقال: ابن المبارك لم ينزل من السماء، وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: استخرت الله تعالى في الرد على الإمام مالك رحمه الله.

ولما صنف هؤلاء الثلاثة كتباً، وانفرد القاضي «أبو يعلى» فصنف الأحاديث ذكرتها على ترتيبه، وقدمت عليها الآيات الشريفة التي وردت في ذلك.

(١) وهو القاضي أبو يعلى المتقدم. (ز).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### باب ما جاء في القرآن العظيم من ذلك

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبَّنَّ رَبَّنَا رَبَّنَا﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٧] (١). قال المفسرون: يبقى ربك، وكذا قالوا في قوله تعالى: ﴿رَبُّدُونَ وَجَهَمَ﴾ [الأنعام: ٥٢] أي يريدونه، وقال الضحاک وأبو عبدة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجَهَمَ﴾ [القصص: ٨٨] أي إلا هو.

وقد ذهب الذين أنكروا عليهم إلى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات. فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل إلا ما عرفوه من الحيات، وذلك يوجب التبعض، ولو كان كما قالوا كان المعنى أن ذاته تهلك إلا وجهه، وقال ابن حامد: أثبتنا الله تعالى وجهاً ولا يجوز إثبات رأس. قال: ولقد اقشعر بدني من جراته على ذكر هذا، فما أعوزه في التشبيه غير الرأس.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْضَعُ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، ﴿وَأَصْحَ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هُود: ٣٧] (٢). أي برأى منا، وإنما جمع لأن عادة الملك أن يقول أمرنا ونهينا.

وقد ذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن العين صفة زائدة على الذات وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة (٣). فقال في الآية: لرنا عينان ينظر بهما، وقال ابن حامد: يجب الإيمان أن له عيين.

(١) قال الزمخشري في الكشاف: ﴿وَرَبَّنَا رَبَّنَا﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٧] ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات، ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان.

(٢) يقول الزمخشري: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ [هُود: ٣٧] في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظاً وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن الله معه أعياناً تكلؤه أن يزيغ في صنعه عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه. ه ويقول الرازي في أساس التفسير عند الكلام على العين: لا بد من المعير إلى التأويل وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة، والوجه في حسن هذا المجاز أن من عظمت عنايته بشيء وميله إليه ورغبته فيه كان كثير النظر إليه فجعل لفظ العين التي هي آلة لذلك النظر كتابة عن شدة العناية.

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري توفي عام أحد عشر وثلاثمائة، بعد في أكابر المحدثين، كان يورع نفسه عن الخوض في مسائل الكلام وينهي أصحابه عنه، ثم اضطره بعض أهل النظر إلى الدخول في هذه المأزم فزلت قدمه وخرج إلى وجهه غير معقولة سامحه الله (ز).

وهذا ابتداء لا دليل لهم عليه، وإنما أثبوا عينين من دليل الخطاب في قوله ﷺ: «ليس بأعور»<sup>(١)</sup> وإنما أريد نفي النقص عنه تعالى، ومتى ثبت أنه لا يتجزأ لم يكن لما يتخايل من الصفات وجه.

ومنها قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥]<sup>(٢)</sup> اليد في اللغة بمعنى النعمة والإحسان، ومعنى قول اليهود لعنهم الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ [المناداة: ٦٤] أي محبوسة عن النفقة؛ واليد القوة يقولون: له بهذا الأمر يد.

وقوله: ﴿بِئْسَ يَدَاؤُا مَبْسُوكَتَانِ﴾ [المناداة: ٦٤] أي نعمته وقدرته<sup>(٣)</sup>. وقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥] أي بقدرتي ونعمتي. وقال الحسن: ﴿يَدُ اللَّهِ قَوْوٌ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] أي منته وإحسانه، هذا كلام المحققين.

وقال القاضي (أبو يعلى) اليدان صفتان ذاتيتان تسميان باليدين. وهذا تصرف بالرأي لا دليل عليه، وقال: لو لم يكن لأدم عليه الصلاة والسلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد التي هي صفة لما عظمه بذكرها وأجله فقال: ﴿يَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥] ولو كانت القدرة لما كانت له مزية، ولو كانت القدرة لم تكن.

قلنا: بلى قالت العرب ليس لي بهذا الأمر يدان أي ليس لي به قدرة، قال عروة بن حزام:

فقالا شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

(١) طالع الحديث الخمين الآتي ترى مزيد تفصيل عن هذا الخبر.

(٢) يقول الزمخشري: أن ذا اليدين مباشر بغيرهما، حتى قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن الأعمال التي مباشر بغيرهما، حتى قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن لا يدي له: يداك أوكنا وفوك نفع، وحتى لم يبق فرق بين قولك: هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك. وقال الراغب الأصبهاني في مفرداته: قوله تعالى: ﴿وَيَمَّا حَمَلَتُ أَيْدِيًا﴾ [يس: ٧١] وقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥] عبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذي ليس إلا له عز وجل، وحسن لفظ اليد ليتصور لنا المعنى إذ هو أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما يتنا ليتصور لنا اختصاص المعنى لا لتصور منه تشبيهاً، وقيل معناه بنعمتي التي رشحتها لهم، والياء فيه ليس كالباء في قولهم: قطعته بالسكين بل هو كقولهم: خرج بسيفه أي معه سيفه، معناه خلفته ومعها نعمتي الدينية والأخروية اللتان إذا رعاها بلغ بهما السعادة الكبرى.

وقال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيْكَ﴾ [ص: ٧٥] أي بنفسي من غير توسط كآب وأم.

(٣) في أساس التدفيس لمجدد القرن السادس الفخر الرازي: والسبب في حسن هذا المجاز أن كمال حال هذا المعصوم إنما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة فلما كان المقصود من اليد حصول القدرة أطلق اسم القدرة على اليد، ولأن آلة إعطاء النعمة اليد فإطلاق اسم اليد على النعمة إطلاقاً لاسم السبب على السبب.

وقولهم: **مِيزَهُ بِذَلِكَ عَنِ الْحَيَوَانَ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتَ أَيْدِيَنَا أَنْعَمًا﴾** [يس: ٧١] ولم يدل على تمييز الأنعام على بقية الحيوان.

قال تعالى: **﴿وَالنَّحْلَةَ بَيْنَهُمَا بَآئِنِينَ﴾** [الذاريات: ٤٧] أي بقوة ثم قد أخبر أنه قد نفخ فيه من روحه ولم يرد الوضع بالفعل والتكوين، والمعنى نفخت أنا، ويكفي شرف الإضافة إذ لا يليق بالخالق جلّ جلاله سوى ذلك لأنه لا يحتاج أن يفعل بواسطة، ولا له أعضاء وجوارح يفعل بها لأنه تعالى الغني بذاته؛ فلا ينبغي أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه الصلاة والسلام مع الغفلة عما يستحقه الباري سبحانه من التعظيم بنفي الأبعاد والآلات في الأفعال، لأن هذه الأشياء صفة الأجسام.

وقد ظنّ بعض الثلاثة أن الله تعالى يمسّ حتى توهموا أنه مس طينة آدم بيد هي بعض ذاته، وما فطنوا أن من جملة مخلوقاته جسماً يقابل جسماً فيتحد به ويفعل فيه، أفتراه سبحانه وتعالى جعل أفعال الأشخاص والأجسام تتعدى إلى أجسام بعيدة ثم يحتاج هو في أفعاله إلى معاناة الطين؟ وقد ردّ قول من قال هذا بقوله تعالى: **﴿إِنَّكَ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَا كُنْتَ مَثَلًا خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [آل عمران: ٥٩].

ومنها قوله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُكُمْ اللَّهُ فَعَسَىٰ﴾** [آل عمران: ٢٨] وقوله تعالى: **﴿تَمَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** [المائدة: ١١٦] قال المفسرون: ويحذركم الله إياه، وقالوا: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، وقال المحققون: المراد بالنفس هاهنا الذات، ونفس الشيء ذاته.

وقد ذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن الله تعالى نفساً وهي صفة زائدة على ذاته، وهذا قول لا يستند إلا إلى التشبيه لأنه يوجب أن الذات شيء والنفس غيرها.

ومنها قوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى: ١١]<sup>(١)</sup>. ظاهر الكلام أن

(١) يقول الزمخشري في الكشاف: قالوا مثلك لا يخجل ففروا بالخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته فصدوا المبالغة في ذلك فسلوكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن مثله عمدت منه وعنهم هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه، ونظيره: قولك للعربي العربي لا تخفر اللحم كان أبلغ من قولك: أنت لا تخفر ومنه قولهم: قد أبغمت لذاته وبلغت أتراه يريدون إيفاعه وبلوغه اه.

وقال الراغب: إن النذ يقال فيما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى: ١١] وأما الجمع بين الكاف والمثل فقد قيل ذلك لتأكيد النفي تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف فنفي بليس الأمرين جميعاً وقيل المثل هاهنا بمعنى الصفة ومعناه: ليس كصفته صفة تنبهاً على أنه وإن وصف بكثير مما يوصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر.

له مثلاً فليس كمثل شيء وليس كذلك، وإنما معناه عند أهل اللغة أن يقام المثل مقام الشيء نفسه يقول الرجل مثلي لا يكلم مثلك، وإنما المعنى ليس كهو شيء.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْتَفَىٰ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]<sup>(١)</sup>. قال جمهور العلماء: يكشف عن شدة وأشدوا: وقامت الحرب على ساق<sup>(٢)</sup>. وقال آخر: وإن شمريت عن ساقها الحرب شمراً، قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة الجدّ فيه شمر عن ساقه فاستعميرت الساق في موضع الشدة وهذا قول الفراء وأبي عبيدة وثعلب واللفويين، وروى البخاري ومسلم في الصحيحين عن النبي ﷺ «أن الله عز وجل يكشف عن ساقه»<sup>(٣)</sup>. وهذه إضافة إليه معناها يكشف عن شدته وأفعاله المضافة إليه، ومعنى يكشف عنها يزيلها، وقال عاصم بن كليب: رأيت سعيد بن جبير غضب وقال: يقولون يكشف عن ساقه وإنما ذلك من أمر شديد.

وقد ذكر أبو عمر الزاهد: أن الساق بمعنى النفس، قال: ومنه قول علي رضي الله عنه لما قالت الشراة لا حكم إلا لله تعالى فقال: لا بد من محاربتهم ولو

(١) وما قاله الرازي في تفسير هذه الآية: يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم واللفظ لا يدل إلا على ساق فأما إن ذلك الساق ساق أي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه.

وفي محاسن التأويل للعلامة الجمال القاسمي رحمه الله: وقال أبو سعيد الضرير: أي يوم يكشف عن أصل الأمر، وساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان، أي تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها فالساق بمعنى أصل الأمر وحقيقته استعارة من ساق الشجر.

(٢) قال البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) عند الاستشهاد بهذا الكلام من الشعر: عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْتَفَىٰ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب.

(٣) في صحيح البخاري: ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة» الحديث، وقال الحافظ ابن حجر: ووقع في هذا الموضع «يكشف ربنا عن ساقه» وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال: في قوله عن ساقه نكرة، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة بن زيد بن أسلم بلفظ ﴿يُكْتَفَىٰ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة اهـ.

وقد أخذ ابن شاقلاً على البخاري إخراج حديث الساق في صحيحه لأنه من رواية ابن أبي هلال وبراء ليس من شرطه لضعفه. وقال ابن حزم أيضاً: ابن أبي هلال ليس بالقوي قد ذكره بالتخليط بحمى وأحمد بن حنبل (ز).



تلقت ساقى، فعلى هذا يكون المعنى يتجلى لهم. وفي حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «يكشف لهم الحجاب فيظفرون إلى الله عز وجل فيخرون لله سجداً ويبقى أقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْفُفُ عَنْ سَاقٍ وَيَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الْقَلَمُ: ٤٢].»

وقد ذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن الساق صفة ذاتية وقال: مثله يضع قدمه في النار. وحكي عن ابن مسعود قال: يكشف عن ساقه اليمنى فتضيء من نور ساقه الأرض، قلت: وذكره الساق مع القدم تشبيه محض، وما ذكره عن ابن مسعود محال ولا يثبت لله تعالى صفة بمثل هذه الخرافات، ولا توصف ذاته بنور شعاعي تضيء به الأرض، واحتجاجه بالإضافة ليس بشيء لأنه إذا كشف عن شدته فقد كشف عن ساقه، وهؤلاء وقع لهم أن معنى يكشف يظهر وإنما المعنى يزيل ويرفع.

وقال ابن حامد: يجب الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى ساقاً صفة لذاته فمن جحد ذلك كفر. قلت: لو تكلم بهذا عامي جلف كان قبيحاً فكيف من ينسب إلى العلم فإن المتأولين أعذر منهم لأنهم يردون الأمر إلى اللغة وهؤلاء أثبتوا ساقاً للذات وقدماً حتى يتحقق التجسيم والصورة.

ومنها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى السَّمَوَاتِ﴾ [التحديد: ٤] (١). قال الخليل بن

(١) يقول الآلوسي في تفسيره: والناس في الكلام على هذه الآية ونحوها مختلفون، فمنهم من فسر العرش بالمعنى المشهور وفسر الاستواء بالاستقرار وروى ذلك عن الكلبي ومقاتل ورواه البيهقي في (الاسماء والصفات) بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها، وما روي عن مالك رضي الله عنه أنه سئل كيف استوى فأطرق رأسه ملياً حتى علت الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل: وما أطرك إلا ضالاً ثم أمر به فأخرج ليس نصاً في هذا المنصب لاحتمال أن يكون المراد من قوله: «غير مجهول» أنه ثابت معلوم الثبوت لا أن معناه الاستقرار وهو غير مجهول. وقال في موضع آخر: وإلى نحو هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال في بعض فتاويه: طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب إلى الحق لأن الله تعالى إنما خاطب العرب بما يعرفونه، وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه سبحانه قال: ﴿ثُمَّ إِذْ عَلَيْنَا لَيْلَتُهُ﴾ [القيامة: ١٩] ولتبيين للناس ما نزل إليهم، وهذا عام في جميع آيات القرآن فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو أكمل ممن لم يقف على ذلك إذ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اهـ. وفيه توسط في المسألة، وقد توسط ابن الهمام في (المسايرة) وقد بلغ رتبة الاجتهاد كما قال عصر بنا ابن عابدين الشامي في (رد المحتار) توسطاً أخص من هذا التوسط فذكر ما حاصله: وجواب الإيمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفي التشبيه، وأما كون المراد استولى فأمر جائز الإرادة لا واجبها إذ لا دليل عليه، وإذا خيف =

أحمد: العرش السرير وكل سرير لملك يسمى عرشاً، والعرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكُنْتُمْ أَشْجَارًا تَسْقَوْنَ﴾ [الشم: ٣٨]، اعلم أن الاستواء في اللغة على وجوه: منها الاعتدال. قال بعض بني نعيم: «فاستوى ظالم العشيبة والمظلوم» أي اعتدلا، والاستواء تمام الشيء. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ [القصص: ١٤]، والاستواء القصد إلى الشيء. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] أي قصد خلقها، والاستواء الاستيلاء على الشيء. قال الشاعر:

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم وأضحى على ما ملكوه قد استوى

وروى إسماعيل بن أبي خالد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء، وجميع السلف على إيراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل.

وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا: استوى على العرش بذاته. وهذه زيادة لم ينقلوها إنما فهموها من إحساسهم وهو أن المستوي على الشيء إنما يستوي عليه ذاته. قال ابن حامد: الاستواء مائة وصفة لذاته والمراد به القعود<sup>(١)</sup>. قال: وقد ذهب طائفة من أصحابنا إلى أن الله تعالى على عرشه ما ملاء وأنه يُقعد نبيه معه على العرش، وقال: والنزول انتقال.

= على العامة عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء فإنه قد بُت إطلاقة عليه لغة في قوله: فلما حملونا واستويينا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر وقوله:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق (ز)

(١) قال الجلال الدواني في شرح العضية: وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به (أي بالقدم النوعي) في العرش اه وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه: وذلك أن ابن تيمية كان من المحتابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث القائلين بأن الله استوى على العرش جلوساً، فلما أورد عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزلياً لما أن الله أزلي لمكانه أزلي، وأزلية العرش خلاف مذهبه قال إنه قديم بالنوع أي أن الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الأزل إلى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبداً ولننظر أين يكون الله بين الإعدام والإيجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به أزلاً، فسبحان الله ما أجهل الإنسان وما أشنع ما يرضى لنفسه، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشيء من ذلك على التحقيق، وكثيراً ما نقل عنه ما لم يقله اه (ز).

وعلى ما حكى تكون ذاته أصغر من العرش، فالعجب من قول هذا ما نحن مجسمة.

وقيل لابن الزاغوني: هل تجددت له صفة لم تكن بعد خلق العرش؟ قال: لا، إنما خلق العالم بصفة التحت فصار العالم بالإضافة إليه أسفل، فإذا ثبت لإحدى الداتين صفة التحت ثبت للأخر استحقاق صفة الفوق، قال: وقد ثبت أن الأماكن ليست في ذاته ولا ذاته فيها فثبت انفصاله عنها ولا بد من بدء يحصل به الفصل فلما قال: ﴿أَسْتَوِي﴾ [البقرة: ٢٩] علمنا اختصاصه بتلك الجهة، قال: ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها.

قلت: هذا رجل لا يدري ما يقول، لأنه إذا قدر غاية وفصلاً بين الخالق والمخلوق فقد حده وأقر بأنه جسم، وهو يقول في كتابه: إنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما تحيز، ثم يثبت له مكاناً يتحيز فيه، قلت: وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للمخلوق تعالى وما يستحيل عليه.

فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بد لها من حيز، والتحت والفوق إنما يكون فيما يقابل ويحاذي، ومن ضرورة المحاذي أن يكون أكبر من المحاذي أو أصغر أو مثله، وأن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام، وكل ما يحاذي الأجسام يجوز أن يمسه، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسية والمباينة، فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدثه، وإن منعوا جواز هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدث الجواهر، ومتى قدرنا مستغنياً عن المحل والحيز ومحتاجاً إلى الحيز ثم قلنا: إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالاً فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز في المتحيزات.

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزاً لم يخلُ إما أن يكون ساكناً في حيزه أو متحركاً عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق، ومن جاور أو باين فقد تنهى ذاتاً، والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصصاً، وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات، فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تحس بالأجرام.

وأما قولهم: «خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله عنها» قلنا: ذاته المقدسة لا تقبل أن يخلق فيها شيء ولا أن يحل فيها شيء، وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم: إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه، وهذا جهل أيضاً لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في جسم، ويعز علينا كيف ينسب هذا القائل إلى مذهبه.

واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَسْعَدُ الْكَرُّ الطَّيِّبُ وَالْكَرُّ الْمَلُومُ الصَّالِحُ بَرَفْمَةً﴾ [فاطر: ١٠] ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ قَوَّعًا عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] وجعلوا ذلك فوقية حية، ونسوا أن الفوقية الحسية إما أن تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال: فلان فوق فلان<sup>(١)</sup>. ثم إنه كما قال تعالى: ﴿قَوَّعًا عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر<sup>(٢)</sup>.

ودهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه قد ملاه، والأشبه أنه مماس للعرش، والكروسي موضع قدميه. قلت: المماس إنما تقع بين جسمين، وما أبقى هذا في التجسيم بقية.



فصل: فإن قيل فقد أخرج في الصحيحين من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه ذكر المعراج فقال فيه: فعلاً به إلى الجبار تعالى فقال وهو في مكانه: «يا رب خُفِّفْ عَنَّا».

الجواب: أن أبا سليمان الخطابي قال: هذه لفظة انفرد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ والمكان لا يضاف إلى الله تعالى إنما هو مكان النبي ﷺ ومقامه الأول الذي أقيم فيه وفي هذا الحديث «فاستأذنت على ربي وهو في

(١) في التفسير الكبير للفخر الرازي: العالم كرة وإذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون إله العالم حاصلًا في جهة فوق، إذا فرضنا إنسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أحدهما قداميهما متقابلين، والذي هو فوق بالنسبة لأحدهما يكون تحت بالنسبة إلى الثاني، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق فوجب أن لا يكون في حيز معين (ز).

(٢) يقول الفخر الرازي في أساس التقديس: إن ظاهر قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرْزُقْ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الزَّوْبِدِ﴾ [ق: ١٦] وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿وَهُوَ إِلَيْنَا فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَدَى الْأَرْضِينَ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] ينفي كونه مستقرًا على العرش، وليس تأويل هذه الآيات لتبقى الآيات التي تمسكوا بها على ظاهرها أولى من العكس اهـ (ز).

داره، يوهوم مكاناً وإنما المعنى في داره التي دورها لأوليائه<sup>(١)</sup>؛ وقد قال القاضي (أبو يعلى) في كتابه المعتمد: إن الله عزج وجل لا يوصف بالمكان.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿مَأْيُنْتُمْ تَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [المُلْك: ١٦]<sup>(٢)</sup>. قد ثبت قطعاً أن الآية ليست على ظاهرها لأن لفظة (في) للظرفية، والحق سبحانه وتعالى غير مطروف وإذا منع الحس أن ينصرف إلى مثل هذا بقي وصف العظيم بما هو عظيم عند الخلق.

ومنها قوله تعالى: ﴿بَحَصَّرْنَا عَلَىٰ مَا قَرَّلْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الرُّم: ٥٦]<sup>(٣)</sup>. أي في طاعته وأمره لأن التفریط لا يقع إلا في ذاته وأما الجنب المعهود من ذي الجوارح فلا يقع فيه تفریط.

(١) زاد البيهقي في كتابه الأسماء والصفات: (وهي الجنة).

(٢) قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: إن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال. وقال الزمخشري ووافقه الفخر: (من في السماء) في وجهان أحدهما من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وتم عرشه وكوسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهي، والثاني أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعون من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم: ألمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة: أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيت يركب بعض المعاصي، وقال الرازي أيضاً: والفرض من ذكر السماء تمخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال: ﴿وَقَوْلُ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين، وقال أيضاً: لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله (من في السماء) هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام (ز).

(٣) يقول الزمخشري في كشافه: والجنب الجانب، يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجانب، ثم قالوا: فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه، قال سابق البربري: أما تشقين الله في جنب وامسك له كبد حزبي عليك تفتطح وقال السيد محمود الألوسي في تفسيره (روح المعاني): وبالجمل لا يمكن إبقاء الكلام على حقيقته لتزعمه عز وجل من الجنب بالمعنى الحقيقي، ولم أقف على عد أحد من السلف إياه من الصفات السمية، ولا أعزل على ما في المواقف، وعلى فرض العد كلامهم فيها شهير وكلهم مجمعون على التزعم وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وفي حرف عبد الله وحفصة (في ذكر الله) هـ. وقال العلامة القاسمي في تفسيرها: أي في جانب أمره ونهيه إذ لم أتبع أحسن ما أنزل.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام على صورته»<sup>(١)</sup>.

للناس في هذا مذهبان: أحدهما السكوت عن تفسيره، والثاني الكلام في معناه.

واختلف أرباب هذا المذهب في الهاء إلى من تعود على ثلاثة أقوال:

أحدها: تعود إلى بعض بني آدم، قال: وذلك أن النبي ﷺ مرُّ برجل يضرب رجلاً وهو يقول: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فقال ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليقت الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته».

وإنما خص آدم بالذكر لأنه هو الذي ابتدئت خلقة وجهه على هذه الصورة التي احتذى عليها من بعده، وكأنه نبه على أنك سببت آدم وأنت من ولده، وذلك مبالغة في زجره، فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب<sup>(٢)</sup>. ومن الخطأ الفاحش أن ترجع إلى الله عز وجل لقوله: ووجه من أشبه وجهك فإنه إذا نسبة إليه سبحانه كان تشبيهاً صريحاً.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته».

القول الثاني: أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين، فلا يصلح أن تصرف إلى الله عز وجل، لقيام الدليل أنه تعالى ليس بذي صورة، فعادت إلى آدم.

ومعنى الحديث أن الله تعالى خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تماماً، لم

(١) يقول الراغب الأصفهاني: الصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة، وبها فضله على كثير من خلقه، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك لا على سبيل البغضية والتشبيه تعالى عن ذلك، وذلك على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناق الله ونحو ذلك: ونفخت فيه من روحي.

(٢) مما أورده الرازي في تأويل هذا الخبر قوله: إن المراد منه إبطال قول من يقول إن آدم كان على صورة أخرى، مثل ما يقال إنه كان عظيم الجثة طویل القامة بحيث يكون رأسه قريباً من السماء فالتبني عليه السلام أشار إلى إنسان معين (وهو المضروب) وقال: «إن الله خلق آدم على صورته» أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة (ز).

ينقله من نطفة إلى علفه كبنه<sup>(١)</sup>. هذا مذهب أبي سليمان الخطابي، وقد ذكره ثعلب في أماليه.

القول الثالث: أنها تعود إلى الله تعالى، وفي معنى ذلك قولان: أحدهما أن تكون صورة ملك، لأنها فعله وخلقه فتكون إضافتها إليه من وجهين: أحدهما التشريف بالإضافة كقوله تعالى: ﴿وَوَهَّبْنَا بَيْنَهُنَّ لِلْقَائِمِينَ﴾ [الحج: ٢٦] والثاني ابتدعها لا على مثال سبق. والقول الثاني أن تكون الصورة بمعنى الصفة تقول «هذا صورة هذا الأمر» أي صفته، ويكون خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة، فمميزه بذلك عن جميع الحيوانات، ثم مميزه على الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له، والصورة هاهنا معنوية لا صورة تخاطيط.

وقد ذهب أبو محمد بن قتيبة<sup>(٢)</sup> في هذا الحديث إلى مذهب قبيح فقال: «الله تعالى صورة لا كالصور فخلق آدم عليها» وهذا تخليط وتهافت، لأن معنى كلامه أن صورة آدم كصورة الحق تعالى.

وقال القاضي (أبو يعلى) يطلق على الحق تعالى تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا اسم ذاته.

وهذا تخليط لأن الذات بمعنى شيء، وأما الصورة فهي هيئة وتخاطيط وتأليف، ويفتقر إلى مصور ومؤلف.

وقول القائل «لا كالصور» نقض لما قاله، وصار بمثابة من يقول «جسم لا كالأجسام» فإن الجسم ما كان مؤلفاً فإذا قال «لا كالأجسام» نقض ما قال.



(١) ومن الوجوه التي سردها الفخر في هذا المقام قوله: أنه تعالى لما عظم أمر آدم بجعله مسجود الملائكة، ثم إنه أتى بتلك الرلة فالله تعالى لم يعاقبه بمثل ما عاقب به غيره فإن نقل إن الله تعالى أخرجه من الجنة وأخرج معه الحية والطاوس وغير تعالى خلقهما، مع أنه لم يغير خلقه آدم بل تركه على الخلقة الأولى إكراماً له وصوناً عن عذاب المسخ هـ. وذهب البيهقي هذا المذهب (ز).

(٢) هو صاحب التصانيف أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة أحد أئمة الأدب، إخباري، قليل الرواية، قد يعتمد في التشبيه على ما يرويه من كتب أهل الكتاب، يتهم بالنصب، كذب الحاكم ووثقه غيره، مات عام ست وسبعين ومائتين (ز).

الحديث الثاني: روى عبد الرحمن بن عياش عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم يا رب، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات والأرض».

قال الإمام أحمد: أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة وقد روي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملا الأعلى؟ فقلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألني عنه» وروي من حديث ثوبان قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال: «إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال لي: يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت: لا أعلم يا رب، فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض».

وهذه أحاديث مختلفة وأحسن طرقها يدل على أن ذلك كان في النوم ورؤيا المنام وهم والأوهام لا تكون حقائق<sup>(١)</sup>. وأن الإنسان يرى كأنه يطير أو كأنه قد صار بهيمة وقد رأى أقوام في منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا، وإن قلنا إنه رآه في اليقظة فالصورة إن قلنا ترجع إلى الله تعالى فالمعنى رأيت على أحسن صفاته من الإقبال عليّ والرضا عني، وإن قلنا: ترجع إلى رسول الله ﷺ فالمعنى رأيت وأنا على أحسن صورة<sup>(٢)</sup>. وروى ابن حامد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لما أسري بي رأيت الرحمن تعالى في صورة شاب أمرد له نور يتلألأ وعن عن»<sup>(٣)</sup>. وصفه لكم فسألت ربي أن يكرمني برويته وإذا كأنه عروس حين كشف عنه

(١) يقول الحافظ ابن حجر في مثل هذا المقام: ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح: «إن رؤيا الأنبياء وحى» فلا يحتاج إلى تعبير لأنه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل، فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض رؤى الأنبياء يقبل التعبير اه (ز).

(٢) بقي على المؤلف أن يتكلم على عجز الحديث، ونحن ننقل عن (أساس التقديس للفيخر الرازي) ما بقي بالعرض: وأما قوله: «وضع يده بين كتفي» ففي وجهان: الأول: المراد منه المبالغة في الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه. الثاني: أن يكون المراد من اليد النعمة، وأما قوله: «بين كتفي» فإن صح فالمراد منه أنه أوصل إلى قلبه من أنواع اللطف والرحمة، وأما قوله: «فوجدت بردها» فيحتمل أن المعنى برد النعمة وروحها وواحتها، من قولهم: عيش بارد إذا كان رغداً، والذي يدل على أن المراد منه كمال المعارف قوله عليه السلام في آخر الحديث «فعلمت ما بين المشرق والمغرب» اه (ز).

(٣) هكذا في الأصل المحفوظ لدينا.



حجابه مستور على عرشه وهذا الحديث كذب قبيح ما روي قط لا في صحيح ولا في كذب فأبعد الله تعالى من عمله، فقد كنا نقول ذلك منام فيذكر هذا ليلة الإسراء كأفاهم الله عز وجل وجزاهم النار، يشبهون الله سبحانه وتعالى بعروس ما كتب هذا مسلم، وأما حديث البرد في الحديث الماضي فإن البرد عرض لا يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل.

وقد ذكر القاضي (أبو يعلى) في كتابه الكناية (رأيت ربي في أحسن صورة) أي في أحسن موضع.

\*\*\*

الحديث الثالث: روت أم الطفيل امرأة أبيها أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه عز وجل في المنام في أحسن صورة شاباً منوراً في خضر، في رجله نعلان من ذهب وعلى وجهه فراش من ذهب. هذا الحديث يرويه نعيم بن حماد. قال ابن عدي: كان يضع الحديث، وسئل الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال: حديث منكر مجهول. وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء» وهذا مروى. من طريق حماد بن سلمة وكان ابن أبي العوجاء الزنديق ربيب حماد، وكان يدس في كتبه هذه الأحاديث لا ثبوت لها ولا يحسن أن يحتج بها.

وقد أثبت القاضي (أبو يعلى) صفات لله تعالى فقال: قوله شاب وأمرد وجعد وقطط والفراش والنعلان والتاج، قال: ثبت ذلك تسمية لا نعقل معناها. ومن ثبت بالمنام وما صح نقله صفات ا وقد عرفنا معنى الشاب الأمرد، ثم يقول «ما هو كما نعلم» كمن يقول قام فلان وما هو يقانم، وقعد وما هو بقاعد، قال ابن عقيل: هذا الحديث نجزم بأنه كذب ثم لا ترفع ثقة الرواة إذا كان المتن مستحيلاً وصار هذا كما لو أخيرنا جماعة من المعدلين بأن جعل البزاز دخل في خرم إبرة الخياط فإنه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خيرهم.

\*\*\*

الحديث الرابع: روي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي رأيت كل شيء من ربي حتى رأيت تاجاً مخصوصاً من لؤلؤ» هذا يرويه أبو القاسم محمد بن اليسع عن قاسم بن إبراهيم، قال الأزهرى: كنت أقعد مع ابن اليسع ساعة فيقول: قد ختمت الختمة منذ قعدت وقاسم ليس بشيء، قال الدارقطني: هو كذاب كافأ الله تعالى من عمل هذا.

\*\*\*

الحديث الخامس: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبعون ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الأمة بمنافقها فيأتيهم الله تعالى في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله تعالى منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا».

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رآه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقال هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن»<sup>(١)</sup>.

اعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه الصورة التي هي هيئة وتأليف؛ قال أبو سليمان الخطابي: معنى فيأتيهم الله تعالى أي يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عياناً كما كانوا عرفوه في الدنيا استدلالاً فرويته بعد أن لم يكونوا رآه بمنزلة إتيان الآتي لم يكن شوهد قبل.

وقال بعض العلماء: يأتيهم بأهوال القيامة وصور الملائكة<sup>(٢)</sup>. ولم يعهدوا مثله في الدنيا فيستعيدون من تلك الحال ويقول: إذا جاء ربنا عرفناه أي إذا اتانا نعرفه من لطفه وهي الصورة التي يعرفون فيكشف عن ساق أي عن شدة كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة فيسجدون شكراً؛ وقال بعضهم: صورة يمتحنهم بها كما يبعث الدجال فيقولون نعوذ بالله تعالى منك. وفي حديث أبي موسى عن رسول الله ﷺ «أن الناس يقولون إن لنا رباً كنا نعبد في الدنيا فيقال: أوتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: إنه لا شبيه له، فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون سجداً» قال ابن عقيل: الصورة على الحقيقة تقع على التخاطيب والأشكال وذلك من صفات الأجسام، والذي صرفنا عن كونه جسماً من الأدلة القطعية قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومن الأدلة العقلية

(١) لقدم الكلام على هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْتَفَىٰ عَنْ سَاقٍ﴾ [الفلم: ٤٢].

(٢) باعتبار (في) بمعنى الباء، ونظيره قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي يظلل من الغمام على ما نقله الفخر الرازي في كتابه (أساس التدريس) (ز).

أنه لو كان جسماً كانت صورته عرضاً ولو كان حاملاً للأعراض جاز عليه ما يجوز على الأجسام واقتصر إلى صانع ولو كان جسماً مع قدمه جاز قدم أحدنا. فأحوجتنا الأدلة إلى تأويل صورة يليق إضافتها إليه وما ذلك إلا الحال الذي يوقع عليها أهل اللغة اسم صورة فيقولون: كيف صورتك مع فلان، وفلان على صورة من الفقر؛ والحال التي أنكروها العسف والتي يعرفونها اللطف فيكشف عن الشدة، والتغير إنما يليق بفعله فأما ذاته فتعالت عن التغير، نعوذ بالله أن يحمل الحديث على ما قالته المجسمة أن الصورة ترجع إلى ذاته وأن ذلك تجويز التغير على صفاته فخرجه في صورة إن كانت حقيقة فذاك استحالة وإن كان تخيلاً فليس ذلك هو إنما يريهم غيره.

\* \* \*

الحديث السادس: روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا شخص أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ولا شخص أحب إليه المدحة من الله».

لفظة «الشخص» يرويها بعض الرواة ويروي بعضهم «لا شيء أغير من الله» والرواة يروون بما يظنون المعنى، وكذلك «شخص» من تغير الرواة وقد يكون المعنى ليس منكم أيها الأشخاص أغير من الله لأنه لما اجتمع الكل بالذكر سمي بأسمائهم والشخص لا يكون إلا جسماً مؤلفاً ومثل هذا قول ابن مسعود: وما خلق من جنة ولا نار أعظم من آية الكرسي؛ قال الإمام أحمد بن حنبل: الخلق يرجع إلى الجنة والنار لا إلى القرآن ويجوز أن يكون هذا من باب المستثنى من غير الجنس كقوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يَدُ مِنْ يَلِيهِ إِلَّا يَنْبَأُ الظُّلْمِ﴾ [النساء: ١٥٧] وأما المغيرة فقد قالت العلماء: كل من غار من شيء أسندت كراهته له، فلما حرم الفواحش ووعد عليها وصفه رسول الله ﷺ بالمغيرة.

\* \* \*

الحديث السابع: روى أبو موسى عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض»<sup>(١)</sup>.

(١) يقول السيوطي في الجامع الكبير: أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير وابن سعد.

وإنما أضيفت القبضة لأن أفعال المملوك تُنسب إلى المالك وذلك أنه بعث من قبض كقوله تعالى: ﴿فَلَسْنَا أَقْبِيَهُمْ﴾ [القَمَر: ٢٧] وقد روى محمد بن سعد في كتاب الطبقات أن الله تعالى بعث إبليس فأخذ من أديم الأرض فخلق منه آدم فمن ثم قال: ﴿مَا شَجُدُّ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإِسْرَاء: ٦١].

\* \* \*

الحديث الثامن: روى سلمان قال: إن الله لما خَمَّر طينة آدم وضرب بيديه فيه فخرج كل طيب في يمينه وكل خبيث في يده الأخرى ثم خلط بينهما فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي.

وهذا مرسل، وقد ثبت بالدليل أن الحق سبحانه وتعالى لا يوصف بمس شيء، وإن صح فيضرب مثلاً لما جرت به الأقدار، وقال القاضي (أبو يعلى): تخمير الطين وخلط بعضه ببعض مضاف إلى اليد التي خلق بها آدم وهذا التشبيه المحض.

\* \* \*

الحديث التاسع: روى عبيد بن حنين قال: بينا أنا جالس في المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدث، ثم قال: انطلق بنا إلى أبي سعيد الخدري فإنه قد أخبرني أنه قد اشتكى، فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقياً واضعاً رجله اليمنى على اليسرى، فسلمنا عليه وجلسنا، فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد الخدري وقرصها قرصة شديدة فقال أبو سعيد: سبحان الله يا ابن أم أوجعتني، قال ذلك أردت أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى لما قضى خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجله على الأخرى ثم قال: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا» قال أبو سعيد: لا جرم لا أفعله أبداً<sup>(١)</sup>.

قال عبد الله بن حنبل: ما رأيت هذا الحديث في دواوين الشريعة المعتمد عليها؛ وأما عبيد بن حنين فقال البخاري: لا يصح حديثه في أهل المدينة. وفي

(١) روى الحافظ البيهقي هذا الخبر في (الأسماء والصفات) وقال: فهذا حديث منكر ولم أكتبه إلا من هذا الوجه وقلج بن سليمان - أحد رواة - مع كونه من شرط البخاري ومسلم فلم يخرجوا حديثه هذا في الصحيح وهو عند الحفاظ غير محتج به، عن يحيى بن معين يقول: فليح بن سليمان لا يحتج بحديثه، عنه يقول: فليح ضعيف، وعن النسائي أنه قال: فليح ليس بالقوي. قال الشيخ: فإذا كان فليح بن سليمان المدني مختلفاً في جواز الاحتجاج به عند الحفاظ لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم اهـ. وذكر أيضاً علة عدم اجتماع عبيد بقتادة (ز).

الحديث علة أخرى وهي أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدي، فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة، قال الإمام أحمد: ثم لو صحح طريقه احتتمل أن يكون رسول الله ﷺ حدث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار عليهم فلم يفهم قتادة إنكاره.

ومن هذا الفن حديث رويناه أن الزبير سمع رجلاً يحدث عن رسول الله ﷺ فاستمع له الزبير حتى إذا قضى الرجل حديثه قال الزبير: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: نعم، قال: هذا وأشباهه مما يمتعان أن يحدث عن النبي ﷺ قد لعمرى سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأنا يومئذ حاضر ولكن رسول الله ﷺ ابتداء بهذا الحديث فحدثناه عن رجل من أهل الكتاب حدثه يومئذ فجيئت أنت بعد انقضاء صدر الحديث وذكر الرجل الذي هو من أهل الكتاب فظننت أنه من حديث رسول الله ﷺ قلت: وغالب الظن أن الإشارة في حديث الزبير إلى حديث قتادة فإن أهل الكتاب قالوا: إن الله تعالى لما خلق السماوات والأرض استراح فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] فيمكن أن يكون رسول الله ﷺ حكى ذلك عنهم ولم يسمع قتادة أول الكلام.

وقد روى عبد الرحمن بن أحمد في كتاب السنة قال: رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله وهو قاعد فقلت: يا أبا سعيد تكره هذه القعدة؟ فقال: قاتل الله اليهود، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] فعرفت ما عنى به فأمسكت. قلت: وإنما أشار الحسن إلى ما ذكرناه عن اليهود.

وقد صحح عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهم كانوا يستلقون ويضعون رجلاً على رجل، وإنما يكره هذا لمن لا سراويل له والله أعلم.

\*\*\*

الحديث العاشر: روى القاضي (أبو يعلى) عن حسان بن عطية أن رجلاً من المشركين سب رسول الله ﷺ، فحمل عليه رجل من المسلمين فقتله، وقتل الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «ما تعجبون من نصر الله تعالى ورسوله لقي الله تعالى متكثراً ففعد له».

هذا حديث مقطوع بعيد عن الصحة، ولو كان له وجه كان المعنى: فأقبل الله تعالى عليه وأنعم.

\*\*\*

الحديث الحادي عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض»<sup>(١)</sup>.

قلت: الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله عز وجل لا تبعض ولا يحويها مكان ولا توصف بالتغير ولا بالانتقال، وقد حكى أبو عبيد الهروي عن الحسن البصري أنه قال: القدم هم الذين قدمهم الله لها من شرار خلقه وأثبتهم لها، وقال أبو منصور الأزهري: القدم الذين تقدم القول بتخليدهم في النار، يقال لما قدم قدم ولما هدم هدم، ويؤيد هذا قوله: «وأما الجنة فينشئ لها خلقاً».

ووجه ثان أن كل قادم عليها يسمى قدماً فالقدم جمع قادم، ومن يرويه بلفظ (الرجل) فإنه يقال: (رجل من جراد) فيكون المراد يدخلها جماعة يشبهون في كثرتهم الجراد فيسرعون التهافت فيها.

وقال القاضي (أبو يعلى): القدم صفة ذاتية، قال ابن الزاغوني: يقول إنما وضع قدمه في النار ليخبرهم أن أصنامهم تحترق وأنا لا أحترق. وهذا إثبات تبعض وهو من أقيح الاعتقادات.

ورأيت أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتاباً في الصفات<sup>(٢)</sup>. ويؤيد هذا: باب إثبات اليد، باب إمساك السماوات على أصابعه، باب إثبات الرجل وإن رغمت المعتزلة، ثم قال: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَنْزِلْ بِمَثْوَىٰ ذِكْرِهِم مِّن مَّاءٍ لِّيَسْبِغُوا بِهَا رُءُوسَهُمْ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا﴾ [الأعراف: ١٩٥] فأعلمنا أن ما لا يد له ولا رجل فهو كالأنعام.

قال ابن عقيل: تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، وليس الحق تعالى بذئ أجزاء وأبغاض فيعالج بها، ثم إنه أليس يعمل في النار أمر وتكوينه حتى يستعين بشيء من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته وهو القائل: ﴿كُونُوا لِرَبِّكُمْ أَعْيُنًا عَاظِمَةً﴾ [الأنبياء: ٦٩] فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مكنون الأملاك والأفلاك، وقد صرح

(١) يقول جار الله الزمخشري في كتابه (الفاثق في غريب الحديث): وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع، فكانه قال: يأتيها أمر الله فيكنفها عن طلب المزيد فترتدع هـ. وفي أساس البلاغة: من المجاز «يفضع قدمه عليها» أي فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه.

(٢) وهو الكتاب الذي يسميه (كتاب التوحيد)، والإمام فخر الدين الرازي يقول عنه: (وهو في الحقيقة كتاب الشرك) (ز).

بتكذيبهم فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتَوْلَاءَ إِلَهَةً مَا وَدَّوْهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩] فكيف يظن بالخالق أن يردّها، تعالى الله عن تجاهل المجسّمة.



الحديث الثاني عشر: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ضرس الكافر في النار مثل أحد وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار»<sup>(١)</sup>.

قال أبو عمر الزاهد: الجبار هاهنا الطويل، يقال نخلة جبارة<sup>(٢)</sup>. قال القاضي (أبو يعلى) نحملها على ظاهرها، والجبار هو الله عز وجل. قلت: واعجباً أذهبت العقول إلى هذا الحد! أو يجوز أن يقال: إن الذراع اثنان وأربعون مرة حتى يبلغ جلد الكافر ويضاف إلى الذات القديمة! تعالى الله علواً كبيراً.



الحديث الثالث عشر: روى القاضي (أبو يعلى) عن مجاهد أنه قال: إذا كان يوم القيامة يذكر داود عليه الصلاة والسلام ذنبه فيقول الله تعالى كن أمامي فيقول يا رب ذنبي ذنبي، فيقول كن خلفي فيقول يا رب ذنبي فيقول له خذ بقدمي، وفي لفظ عن ابن سيرين قال: إن الله تعالى ليقرب داود حتى يضع يده على فخذه.

والعجب من إثبات ذلك للحق سبحانه وتعالى بأقوال التابعين وما تصح عنهم ولو صححت فإنما يذكرونها عن أهل الكتاب كما يذكر وهب بن منبه؛ قال القاضي (أبو يعلى) نحمله على ظاهره لأننا لا نثبت قدماً وفخذاً هو جارحة.

واعجباً لقد كملوا هيئة البدن بإثبات فخذ وساق وقدم ووجه ويدين وأصابع وخنصر وإبهام وصعود ونزول، ويقولون تحمل على ظاهرها وليست جوارح.

(١) يقول الشيخ إسماعيل المحجلوني في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس): رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً وأحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمر مرفوعاً، والترمذي عن أبي هريرة (بألفاظ متقاربة).

(٢) قال ابن تقيّة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) في كلامه على هذا الحديث: ونحن نقول إن لهذا الحديث مخرجاً حسناً إن كان النبي ﷺ أراد به وهو أن يكون الجبار ههنا الملك. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِشَارٍ﴾ [ق: ٤٥] أي بملك مسلط والجبارية الملوك، وهذا كما يقول الناس: هو كذا وكذا ذراعاً بذراع الملك يريدون: بالذراع الأكبر، وأحسبه ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب إليه.

وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله تعالى خلفاً وأماماً وفخذاً ما ينبغي أن نحذث هؤلاء لأننا قد عرفنا الفخذ فيقال: ليس بفخذ والخلف ليس بخلف، ومثل هؤلاء لا يحدثون فإنهم يكابرون العقول كأنهم يحدثون الأطفال.

\*\*\*

الحديث الرابع عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «بضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة» وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ أخبر عن آخر من يدخل الجنة وضحك، فقيل: مم تضحك؟ فقال: «من ضحك رب العالمين».

اعلم أن الضحك له معان ترجع إلى معنى البيان والظهور وكل من أبدى عن أمر كان مستوراً قيل قد ضحك، يقال: «ضحكت الأرض بالنبات» إذا ظهر فيها وانفتحت عن زهره، كما يقال «بكت السماء» قال الشاعر:

كل يوم بأقحوان جديد      تضحك الأرض من بكاء السماء

وكذلك الضحك الذي يعتري البشر إنما هو انفتاح الفم عن الأسنان، وهذا يستحيل على الله سبحانه وتعالى فوجب حمله على معنى أبدى الله تعالى كرمه وفضله. ومعنى «ضحكت لضحك ربي» أبديت عن أسناني بفتح فمي لإظهار ربي كرمه وفضله. وقد روي في حديث موقوف «ضحك حتى بدت لهواته وأضراسه» ذكره الخلال في كتاب السنة. وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في هذا الحديث؟ قال: «يشفع» ثم يقول: على تقدير الصحة يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون ذلك راجعاً إلى النبي ﷺ كأنه ضحك حين أخبر بضحك الرب جل جلاله حتى بدت لهواته وأضراسه وهذا هو الصحيح لو ثبت الحديث؛ والثاني أن يكون تجوزاً عن كثرة الكرم وسعة الرضا كما جوز بقوله: «ومن أتاني يمضي أتته هرولة».

قال القاضي (أبو يعلى) لا يمتنع الأخذ بظاهر الأحاديث وإمرارها على ظواهرها من غير تأويل.

قلت: واعجباً قد أثبت لله تعالى صفات بأحاديث آحاد والفاظ لا تصح وقد أثبت الأضراس، فما عنده من الإسلام خير.

\*\*\*



الحديث الخامس عشر: روى القاضي (أبو يعلى) عن عبد الله بن عمر موقوفاً أنه قال: «خلق الله تعالى الملائكة من نور الذراعين والصدر». وقد أثبت به القاضي ذراعين وصدرأ لله عز وجل. وهذا قبيح لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات القديم! هذا أقبح مما ادعاه النصارى.

\* \* \*

الحديث السادس عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «يدنى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول تعرف ذنب كذا». قال العلماء: يدنيه من رحمته ولطفه، قال ابن الأنباري: كنفه حياطته وستره، يقال: قد كنف فلان فلاناً إذا حاطه وستره وكل شيء ستر شيئاً فقد كنفه، ويقال للترس كنيف لأن يستر صاحبه. قال القاضي (أبو يعلى) يدنيه من ذاته. وهذا قول من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ولا يعلم أنه لا يجوز عليه الدنو الذي هو مسافة. وكذلك قوله: «إنه ليدنو يوم عرفة» أي يقرب بلطفه وعفوه.

\* \* \*

الحديث السابع عشر: روى مسلم في أفراده من حديث معاوية بن الحكم قال: كانت لي جارية ترعى غنماً لي، فانطلقت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة فصككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ فقلت: ألا أعتقها؟ قال: اتتي بها، فقال لها: «أين الله تعالى؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «اعتقها فإنها مؤمنة».

قلت: قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار، وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جلّ جلاله عندها.

\* \* \*

الحديث الثامن عشر: رواه أبو رزين قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عمام ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن جرير في تهذيب الآثار والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة (جمع الجوامع للسيوطي).

العماء السحاب، واعلم أن الفوق والتحت يرجعان إلى السحاب لا إلى الله تعالى و«في» بمعنى فوق، والمعنى: كان فوق السحاب بالتدبير والقهر. ولما كان القوم يأنسون بالمخلوقات سألوا عنها، والسحاب من جملة خلقه، ولو سئل عما قبل السحاب لأخبر أن الله تعالى كان ولا شيء معه، كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان الله سبحانه وتعالى ولا شيء معه» ولنا نختلف أن الجبار تعالى لا يعلوه شيء من خلقه بحال وأنه لا يحل في الأشياء بنفسه ولا يزول عنها، لأنه لو حل بها كان منها ولو زال عنها لئأى عنها.



الحديث التاسع عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل رينا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعوني فأستجيب له».

روى حديث النزول عشرون صحابياً، وقد سبق القول إنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير، فيبقى الناس رجلين:

أحدهما: المتأول بمعنى أنه يقرب برحمته، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا أَنْزِلًا بَدِيدًا فِيهِ مَاءٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] وإن كان معدنه في الأرض، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ نَعِيمًا آتِيًّا﴾ [الزمر: ٦] ومن لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم في الجمل.

والثاني: الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه، والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وأن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى مكان يفترق إلى ثلاثة أجسام: جسم عال هو مكان لساكنه، وجسم سافل، وجسم منتقل من علو إلى سفلى وهذا لا يجوز على الله عز وجل.

قال ابن حامد: هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى. وقال القاضي (أبو يعلى): النزول صفة ذاتية ولا نقول نزول انتقال. وهذا مغالط ومنهم من قال يتحرك إذا نزل. وما يدري أن الحركة لا تجوز على الله تعالى. وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو

كذب عليه<sup>(١)</sup>. ولو كان النزول صفة ذاتية لذاته كانت صفته كل ليلة تتجدد<sup>(٢)</sup>. وصفاته قديمة كذاته.

\* \* \*

الحديث العشرون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي فقال: إني مجهود، فقال ﷺ: «من يضيئه هذه الليلة؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى امرأته فقال: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، فقال: فعليهم بشيء إذا أراد الصبية العشاء فنؤمهم فإذا دخل ضيفنا فأطغشي السراج وأريه أنا نأكل، فقمعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «لقد عجب الله تعالى من صنعكما بضيفكما الليلة».

وفي أفراد البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عجب الله من قوم جر بهم في السلاسل حتى يدخلهم الجنة».

قال العلماء: العجب إنما يكون من شيء يدهم الإنسان مما لا يعلمه فيستعظمه وهو لا يليق بالخالق جلّ جلاله، لكن معناه: عظم قدر ذلك الشيء عند الله لأن

(١) حكى ذلك أبو يعلى في طبقاته عن أحمد بطريق أبي العباس الإصطخري، وهو كما قال المصنف نقل مفترى. وهجيب من ابن تيمية كتبه في معقوله - غير منكر - ما يرويه حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب محمد بن كرام في مسائله عن أحمد وغيره في حقه سبحانه... يتكلم ويتحرك... اهـ. ونقل أيضاً عن نقض الدارمي - ساكتاً أو مقراً - الحي القيوم بفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك وكل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة اهـ (أبي ابن تيمية) حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال (كثرتي هذا) فنسب إلى التجسيم هـ.

(٢) مما يقوله ابن حزم الظاهري في حديث النزول: هنا إنما هو فعل يفعله الله تعالى في سماه الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين، وهذا معهود في اللغة تقول: نزل فلان عن حقه لي بمعنى وهبه لي وتطول به هلي، ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علق التنزل المذكور بوقت محدود وصح أنه فعل محدث في ذلك الوقت مقبول حيثذ، وقد علمنا أن ما لم يزل فليس متعلقاً بزمان البتة وقد بين رسول الله ﷺ في بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل وهو أن ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكاً ينادي في ذلك الوقت بذلك، وأيضاً فإن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى في ذلك الوقت لأهل كل أفق، وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدّمنا بطلان قوله في إبطال القول بالجسم اهـ (ز).

المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده، ومعنى السلاسل أكرهوا على الطاعة التي بها يدخلون، وقال ابن الأنباري: معنى عجب ريك: زادهم إنعاماً وإحساناً فعبير في هذا الحديث بالعجب عن ذلك.

\*\*\*

الحديث العادي والعشرون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «الله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها».

قال المصنف: لما كان مسروراً بشيء راضياً قبل له فرح، والمراد الرضا بتوبة التائب، ولا يجوز أن يعتقد في الله سبحانه وتعالى التائر الذي يوجد في المخلوقين، فإن صفات الحق تعالى قديمة لا تحدث له صفة.

\*\*\*

الحديث الثاني والعشرون: روى مسلم في أفراده من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»<sup>(١)</sup>.

قوله: «حجابه النور» ينبغي أن يعلم أن هذا الحجاب للمخلوق عنه لأنه لا يجوز أن يكون محجوباً، لأن الحجاب يكون أكبر مما يستره وكما أنه لا يجوز أن يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء لا يصح أن يكون لذاته نهاية وإنما المراد أن الخلق محجوبون عنه كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] وأما السبحات فجمع سبحة ويقال إن السبحة جلال وجهه ومنه قوله: «سبحان الله» إنما هو تعظيم له وتزيه.

وقال القاضي (أبو يعلى): لا يمتنع إطلاق حجاب من دون الله تعالى لا على وجه الحد والمحاذاة. وهذا كلام مختلط يرضى به العوام.

\*\*\*

(١) يقول النووي في شرح صحيح مسلم: والتقدير: لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلق له لخلق لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته (ز).

الحديث الثالث والعشرون: روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى في كل جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة».

قوله: «في رمال الكافور» إشارة إلى الحاضرين ثم في رمال الكافور وأقربهم منه أي أحظاهم عنده.

وفي حديث آخر: «المقسطون يوم القيامة على متابر من نور عن يمين الرحمن». وقال بعضهم: «يمين العرش» وفي حديث سوق الجنة: «ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة» ويروي خاصره بالخاء المعجمة. وهذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ والمخاصرة المصافحة. وقال القاضي (أبو يعلى): لا يمتنع أن يكون الحق تعالى في رمال الكافور. فقد أقر بالحصص، ثم قال: لا على وجه الانتقال. وهذا تلاعب، ثم قال: ولا يمتنع قربهم من الذات، وهذا يضيع معه الحديث، واستدل بقوله: «ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه تعالى» وقال: الخلوة عبارة عن القرب ويجوز القرب من الذات. وقد سبق ردُّ هذا.



الحديث الرابع والعشرون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال والشجر على إصبع، وفي لفظ والماء والثرى على إصبع ثم يهزهن فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

قلت: وظاهر ضحك النبي ﷺ الإنكار<sup>(١)</sup>، واليهود مشبهة، ونزول الآية دليل على إنكار الرسول ﷺ عليهم، وفي معنى هذا الحديث قوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء» ولما كان القلب بين إصبعين ذليلاً مقهوراً دلَّ هذا على أن القلوب مقهورة لمقلبيها.

وقال القاضي (أبو يعلى): غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في إثبات الأصابع صفات راجعة إلى الذات لآثنا لا نبت أصابع هي جارحة ولا أبعاض. وهذا كلام

(١) يشهد ابن خزيمة - وهو ممن وقع في خطأ التشبيه - أن يكون ضحك الرسول ﷺ إنكاراً، وقد نقض الحافظ ابن حجر زعمه هذا في الفتح (ز).

مخلط لأنه إما أن يثبت جوارح وإما أن يتأولها. وأما حملها على ظاهرها فظاهرها الجوارح ثم يقول: ليست أبعاضاً. فهذا كلام قائم قاعد ويضيق الخطاب لمن يقول هذا.



الحديث الخامس والعشرون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «بطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون...»<sup>(١)</sup>. هكذا رواه مسلم وهي أتم الروايات؛ وقد ثبت بالدليل القاطع أن يد الحق سبحانه وتعالى ليست جارحة وأن قبضته الأشياء ليست مباشرة ولا له كف، وإنما قربه رسول الله ﷺ إلى الأفهام بما يدركه الحس، وأما رواية الشمال فضعيفة بالمرّة، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وكلنا يديه يمين مباركة»<sup>(٢)</sup>. وهذا يوهن ذكر الشمال.

الحديث السادس والعشرون: رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده من حديث أنس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَمَّلَ رَبُّهُ لِلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر، وفي لفظ فأوماً بخصره فساخ. وروى ابن حامد ﴿فَلَمَّا تَجَمَّلَ رَبُّهُ لِلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: خرج منه أول مفصل من خنصره.

هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث وقالوا: لم يروه عن ثابت غير حماد بن سلمة، وكان ابن العوجاء الزنديق قد أدخل على حماد أشياء فرواها في آخر عمره، ولذلك تجافى بعض أصحاب الصحيح الإخراج عنه، ومخرج الحديث سهل وذلك أن النبي ﷺ كان يقربه إلى الأفهام بذكر الحسيات فوضع يده على خنصره إشارة إلى أن الله تعالى أظهر اليسير من آياته.



- (١) في الذي بين أيدينا من نسخ صحيح مسلم زيادة «ثم بطوي الأرضين بشماله» (ز).  
 (٢) يقول القتيبي عند الكلام على هذا الحديث: إنما أراد بذلك معنى التمام والكمال لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص، ويجوز أن يريد العطاء باليمين جميعاً لأن اليسر هي المعطية فإذا كانت اليدان يعينان كان العطاء بهما وإلى هذا ذهب المراد حين قال: وأن على الإوانة من عقيل فتى كلنا البيدين له يمين (ز).

الحديث السابع والعشرون: روى القاضي (أبو يعلى) عن عكرمة أنه قال: إذا أراد الله عز وجل أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلى الأرض فعند ذلك تنزل وإذا أراد الله أن يدمدم على قوم تجلى لهم.

قال القاضي (أبو يعلى): «أبدى عن بعضه» هو على ظاهره وهو راجع إلى الدات على وجه لا يفضي إلى التبعض.

قلت: ومن يقول أبدى عن بعض ذاته وما هو بعض لا يكلم وإنما المراد أبدى عن آياته.

\*\*\*

الحديث الثامن والعشرون: روى أبو الأخصم الجمحي عن رسول الله ﷺ قال له: لعلك تأخذ موساك فتقطع أذن بعضها فتقول هذه نحر، وتشق أذن الأخرى وتقول صرم؟ قال: نعم، قال: «فلا تفعل فإن موسى الله تعالى أحد من موساك وساعد الله تعالى أشد من ساعدك».

قال القاضي (أبو يعلى): لا يمتنع حمل الخبر على ظاهره في إثباته الساعد صفة لذاته. قلت: المراد بالساعد القوة لأن قوة الإنسان في ساعده وكان ينبغي أن يثبت موسى أيضاً.

\*\*\*

الحديث التاسع والعشرون: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن».

قد ذكرنا صفة العين في الآيات المذكورة قبل الأحاديث، والمراد بالحديث أن الله تعالى يشاهد المصلي فليتأدب وكذلك قوله: «فإن الله تعالى قبل وجهه» أي يراه.

\*\*\*

الحديث الثلاثون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال ﷺ: «مَن هذه؟» قالت: فلانة تذكر من صلاتها فقال ﷺ: «مه عليكم ما تطيقون فالله لا يعمل الله تعالى حتى تملؤا» وفي لفظ «لا يسأم الله تعالى حتى تسأموا».

قال العلماء: معنى الحديث لا يعمل الله تعالى وإن مللتم كما قال الشاعر:

صليت مني هذيل بخرق لا يعمل الشر حتى يملوا

المعنى لا يعمل وإن ملأوا وإلا لم يكن له فضل عليهم. وقال قوم: من مل من شيء تركه، والمعنى لا يترك الثواب ما لم يتركوا العمل، وأما الملل الذي هو كراهة الشيء والاستئقال له ونفور النفس عنه والسامة منه فمحال في حقه تعالى لأنه يقتضيه تغيره وحلول الحوادث في حقه.

\* \* \*

الحديث الحادي والثلاثون: روت خولة بنت حكيم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن آخر وطأة وطنها الرحمن بروج».

وج: واد بالطائف وهي آخر وقعة أوقعها الله تعالى بالمشركين على يد رسول الله ﷺ. ومنه قوله ﷺ: «اللهم اشد وطأتك على مضر» مأخوذ من القدم وإلى هذا ذهب ابن قتيبة وغيره، قال القاضي (أبو يعلى) غير ممتنع على أصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره وأن ذلك معنى بالذات دون الفعل لأننا حملنا قوله ينزل ويضع قدمه في النار على الذات. وهذا الرجل يشير بأصولهم إلى ما يوجب التجسيم والانتقال والحركة وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة المعقول وإنما اغترز بحديث روي عن كعب أنه قال: «وج مقدس منه عرج الرب إلى السماء ثم قضى خلق الأرض» وهذا لو صخ عن كعب احتمال أن يكون حاكياً عن أهل الكتاب وكان يحكى عنهم كثيراً ولو قدرناه من قوله كان معناه أن ذلك المكان آخر ما استوى من الأرض لما خلقت ثم عرج الرب أي عمد إلى خلق السماء وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [تُصَلَّتْ: ١١] ويروي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما أسري بي مر بي جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أتني الصخرة فقال: يا محمد من هاهنا عرج ربك إلى السماء» وهذا يرويه بكر بن زياد وكان يضع الحديث على الثقات. فإن قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما: «اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» [البقرة: ٢٩] صعد، قلنا: صعد أمره إذا لا يجوز عليه الانتقال والتغير.

\* \* \*

واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

أحدها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي جاء أمره وهذا مذهب السلف.



المرتبة الثانية: التأويل، وهو مقام خطر<sup>(١)</sup>.

(١) يقول في شرح المشكاة: قال النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث (حديث النزول) وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران: فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا تتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث، والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكي عن مالك والأوزاعي إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين أي المذكورين. ويكلامه ويكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من المتأخرين وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيه والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشباه يحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمت من غير أن نؤوله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيل ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وإنما دعت الضرورة في أزمتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة، فقصدوا بذلك ردهم وبطلان قولهم ومن ثمة اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم الميول في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك وقد علمت أن مالكا والأوزاعي وهما من كبار السلف أو لا الحديث تأويلاً تفصيلاً وكذلك سفيان الثوري أول الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] أي قصد إليها ومنهم الإمام جعفر الصادق، بل قال جمع منهم ومن الخلف: أن معتقد الجبهة كافر كما صرح به العراقي وقال إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباطلاني، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو ﴿وَمَوْمِنًا وَنَحْوَهُ﴾ [الحديد: ٤] ﴿مَا يَكْفُرُونَ مِنْ شَيْءٍ نَّقَلْنَا فِي الْإِنجِيلِ﴾ [المجادلة: ٧] الآية ﴿فَأَنبَأْنَا تَوَلَّوْنَا وَمَنْ وَبَّهَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٥] ﴿وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبَأَ فِي الْبَيْتِ﴾ [الزمر: ١٦] وعقلب المؤمن بين إصبعين من أصبع الرحمن، والحجر الأسود يمين الله في الأرض، وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون أن الوقف على (الراسخون في العلم) لا الجلالة. قلت: الجمهور على أن الوقف على (إلا الله) وعدوا وفقه وفقاً لازماً وهو الظاهر لأن المراد بالتأويل معناه الذي أراه تعالى وهو في الحقيقة لا يعلمه إلا الله جل جلاله ولا إله غيره، وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً ففي التحقيق الخلاف لفظي ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين من الأشياء التي تليق باللفظ ويكفلون تعيين المراد بها إلى علمه تعالى، وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين واختار ابن دقيق العيد توسطاً آخر فقال: إن كان التأويل من المجاز البين الشائع سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للمفريقيين. قلت: التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين مع أن التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الإمام الأعظم اهـ.

والمرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحس، وقد عمَّ جهلة الناقلين إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التي يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه، فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس، وإليه أشار القاضي (أبو يعلى) بقوله: لا يمتنع أن يحمل التي وطنها الحق تعالى على أصولنا وأنه معنى يتعلق بالذات. وأصولهم على زعمه ترجع إلى الحس.

ولو فهموا أن الله تعالى لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا تغير ما بنوا على الحسيات، والعجب أنه يقر بهذا القول ثم يقول: «من غير نقلة ولا حركة» فينقض ما بنى.

ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبي شيبة أنه قال في كتاب العرش: إن الله تعالى قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش.

ويقول في شرح المشكاة أيضاً: والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلي لا اضطرارهم إليه لكثرة المتبذعين هـ.

وفي (إشارة النبي في كشف شبه أهل التشبيه إمامه الشيخ نجم الدين أبي الفتح نصر الله بن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي): وقد تأول العلماء والأدباء والشعراء قديماً وحديثاً ولذلك قول بعضهم:

أقول بالسخذ خال حسين أذكره      خوف الرقيب وما بالسخذ من خال  
أبكي إلى الشرق إن كانت منازلهم      يجانب الغرب خوف القبيل والقال  
ومن قال: (لا أقول بالتأويل ولا أشبه) فقد تأول لأنه إذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين في حديث «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» إلى غير ذلك فقد تأول فلا محيص لكم عن التأويل بحال هـ.

ويقول العلامة الألويسي في تفسيره عند الكلام على الوجه: والتأويل القريب إلى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله تعالى أعلم بمراده هـ. وقال أيضاً: وأنا أميل إلى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفي اللوازم في بعض ما ينسب إلى الله مثل قوله تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ أَنَّهُ أَتَقَلَّابٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣١]، وقوله ﷻ: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن قبله أو صافحه فكانما صافح الله تعالى وقبل يمينه» فأجعل الكلام فيه خارجاً مخرج التشبيه لظهور القرينة، ولا أقول: الحجر الأسود من صفاته كما قال السلف في اليمين هـ.

وقد عقد ابن المعلم في كتابه (نجم المهتدي ورجم المحتدي) باباً سرد فيه جماهير المؤولين (فيما يظهر فيه وجه الكلام) من الصحابة والتابعين وغيرهم (ز).

قلت: ونحن نحمد الله إذ لم يبخس حفظنا من المنقولات ولا من المعقولات، ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا، فعابنا الناس بكلامهم.

\*\*\*

الحديث الثاني والثلاثون: روى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه»<sup>(١)</sup>. وهو القرآن وفي حديث عفان أن النبي ﷺ قال: «فضيلة القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه إن القرآن منه خرج وإليه يعود» والمعنى وصل إلينا من عنده وإليه يعود فيرفع.

\*\*\*

الحديث الثالث والثلاثون: روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف سنة فلما سمعت الملائكة قالوا: طوبى لأمة ينزل عليهم، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسن تتكلم به».

هذا حديث موضوع يرويه إبراهيم بن المهاجر عن عمر بن حفص وأما عمر بن حفص فقال الإمام أحمد بن حنبل: حرقت أحاديثه، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ: هذا متن موضوع.

\*\*\*

الحديث الرابع والثلاثون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ أخرجه البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن الرحم شجنة من الرحمن».

(١) الذي في الجامع الكبير للسيوطي: «ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه» ابن السني عن زيد بن أرطأ عن أبي أمامة.

(٢) في شرح صحيح مسلم للإمام النووي: قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع ونبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وإنما هي قرابة ونسب تجمعهم رحم واللدة ويتصل بعضه ببعض نستى ذلك الاتصال رحماً، والمعنى لا يتأني منه القيام ولا الكلام، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة وأصلها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم (ز).

قال أبو عبيد: الشجنة كالغصن من الشجرة، ومعنى شجنة أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق ولا شجر تشجن إذا التف بعضها ببعض.

قلت: لا يخلو هذا الحديث من أحد أمرين: إما أن يراد أن الله تعالى يراعي الرحم فيصل من يصلها ويقطع من قطعها ويأخذ لها حقها كما يراعي القريب قرابته كأنه يزيد في المراعاة على الأجانب أو أن يراد أن الرحم حروف الرحمُن فكأنه عظم قدرها بهذا الاسم ويؤكد هذا حديث عبد الرحمُن بن عوف عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى أنا الرحمُن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» وقد ورد هذا الحديث بلفظ لم يخرج في الصحاح «الرحم شجنة من الرحمُن تعلق بحقوي الرحمُن تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني» وفي لفظ «الرحم شجنة آخذة بحق الرحمُن» وفي لفظ «لما خلق الله تعالى الخلق قامت الرحم فأخذت بحق الرحمُن فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة». وهذه كلها أمثال ترجع إلى ما بيئنا، ومعنى تعلقها بحق الرحمُن الاستجارة والاعتصام<sup>(١)</sup>.

قال أبو بكر البيهقي: الحقو الإزار، والمعنى تعلق بعزه.

قال ابن حامد: يجب التصديق بأن الله حقواً فتأخذ الرحم بحقوقه، قال: وكذلك نؤمن بأن الله تعالى جنباً لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الرؤم: ٥٦]. وهذا لا فهم له أصلاً، كيف يقع التفريط في جنب الذات، نعوذ بالله من سوء الفهم.

\* \* \*

الحديث الخامس والثلاثون: روى البخاري في صحيحه<sup>(٢)</sup> أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما عذبه».

قال أبو سليمان الخطابي: وفي الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى اختص فيهما، لا يشركه فيهما أحد ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة

(١) قال في النهاية: والحقو فيه مجاز وتمثيل ومنه قولهم: عزت بحقو فلان إذا استجرت به واعتصمت اه وفي أساس البلاغة: لاذ بحقوبه إذا فزع إليه.

(٢) يقول المجلوني في كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة والحاكم (بألفاظ متقاربة)، ومن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعي عن أبي هريرة والحكيم الترمذي عن أنس هـ. ولم يذكر البخاري فليحمر.

المخلوق التواضع والتذلل، وضرب الإزار والرداء مثلاً، يقول والله تعالى أعلم: كما لا يشرك الإنسان في رده وإزاره أحد كذلك لا يشركه في الكبرياء والعظمة مخلوق.

\*\*\*

الحديث السادس والثلاثون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

فذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن الله تعالى نفساً هي صفة زائدة عن الذات.

وهذا قول مبتدع ينوع به التشبيه، لا يفرق بين الذات والنفس وما المانع أن يكون المعنى: ذكرته أنا، وقد سبق هذا في الكلام على الآيات. والتقريب والهرولة توسع في الكلام<sup>(١)</sup>. كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا لِآيَاتِنَا﴾ [النجم: ٥١] لا يراد به المشي.

\*\*\*

الحديث السابع والثلاثون: روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال»<sup>(٢)</sup>.

قال العلماء: الجميل: المجلل بتحسين الصور والأخلاق والإحسان والذي أراه أن الجميل الذي أوصافه تامة مستحسنة. وقد فسّر القاضي (أبو يعلى) بما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى فقال: غير ممتنع وصفه بالجمال، فإن ذلك راجع إلى الذات، لأن الجمال في معنى الحسن قال: وقد تقدم قوله ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة».

\*\*\*

(١) في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عند الكلام على التقرب والهرولة: ونحن نقول: إن هذا تمثيل وتشبيه وإنما أراد: من أتاني مسرعاً بالطاعة أتته بالثواب أسرع من إتيانه.

(٢) أثبت العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس هذا الحديث وقال رواه أحمد عن أبي ریحانة، ومسلم والترمذي عن ابن مسعود، وأبو يعلى والبيهقي عن أبي سعيد، والطبراني عن أبي أمامة وابن عمر وجابر، وابن عدي في الكامل عن ابن عمر.

الحديث الثامن والثلاثون: روى القاضي (أبو يعلى) عن عمر بن عبد العزيز قال: إذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام فيقول: سلوني، فيقولون: ماذا نسأل، وعزتك وجلالك وارتفاعك في علو مكانك لو أنك قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم ولم ينقص ما عندنا، فيقول تعالى بلى سلوني فيقولون: نسألك رضاك، قال تعالى: رضائي أحلكم دار كرامتي، فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهي إلى مجلسه.

هذا حديث مكذوب به على عمر. وبعد فكيف يثبت لله تعالى صفة بقول عمر! قال القاضي (أبو يعلى): يشهد لحديث عمر قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْسَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢١٠] ولم يدِرْ أن المعنى يأتيهم الله بظلل من الغمام.

الحديث التاسع والثلاثون: روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود، قال ﷺ: «وعدني ربي عز وجل بالعمود على العرش».

هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.

قال ابن حامد: يجب الإيمان بما ورد به من العمامة والقرب من الحق تعالى لنبيه ﷺ في إقاعده على العرش، قال: وقال ابن عمر: «وَأَنَّ لَهُم مِّنَّا زُلْفَىٰ» [ص: ٢٥] قال: ذكر الدنو منه حتى يمس بعضه. وهذا كذب على ابن عمر، ومن ذكر تبعض الذات كفر بالإجماع.

\* \* \*

الحديث الأربعون: روى الدارقطني من حديث أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله تعالى عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فعظم الرب عز وجل فقال ﷺ: «إن كرسيه وسع السماوات والأرض وأن له أطيافاً كأطياف الرجل الجديد إذا ركب من ثقله».

هذا حديث مختلف جداً وقد رواه أبو إسحاق عن ابن خليفة عن ابن عمر قال: إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطياف كأطياف الرجل، رواه ابن جرير أن عبد الله بن خليفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن كرسيه وسع السماوات والأرض وأنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصبعه فجمعها وإن له لأطيافاً كأطياف الرجل إذا ركب من ثقله» هذا على ضد اللفظ الأول وكل ذلك من تخليط

الرواة وسوء الحفظ والأليق فما يفضل منه مقدار أربع أصابع والمعنى أنه قد ملأه بهيبته وعظمته، ويكون هذا ضرب مثل لقدر عظمة الخالق جل جلاله وقول الرواة: «إذا قعد» و«إذا جلس» من تغييرهم ومن تعبيرهم بما يظنونونه كما قال القائل «ثم استوى على المرش» قعد، وإنما قلنا هذا لأن الخالق تعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس فيفضل ذلك الشيء لأن هذه صفة الأجسام.

\* \* \*

الحديث الحادي والأربعون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار». انفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث وخالفه وكيع وجريير وغيرهما فلم يذكروا الصوت وسئل الإمام أحمد عن حفص قال: كان يخلط في حديثه. وفي الحديث الصحيح: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا». وفي حديث ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا» وليس في الصحيح «سمع صوته أهل السماء».

\* \* \*

الحديث الثاني والأربعون: روى جابر عن النبي ﷺ أنه لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه، فقال له: يا موسى إني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع إلى بني إسرائيل قالوا: صف لنا كلام الرحمن، قال: لا أستطيع، قالوا: قزب لنا، قال: ألم تروا صوت الصواعق التي تقبل بأحلى كلام سمعتموه.

هذا حديث لا يصح، يرويه علي بن عاصم عن الفضل بن عيسى قال النسائي: علي بن عاصم متروك الحديث، وقال يزيد بن هارون: ما زلنا نعرفه بالكذب.

\* \* \*

الحديث الثالث والأربعون: روى القاضي (أبو يعلى) عن حسان بن عطية أنه قال: الساجد يسجد على قدم الرحمن. هذا قول تابعي وهو مثل للمقرب من فضل الله تعالى. وأثبت القاضي (أبو يعلى) بهذا وصف قدم وأنه يسجد على قدمه حقيقة لا على وجه المماثلة.

الحديث الرابع والأربعون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جنتان من فضة أنبتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

الرائي في جنة عدن لا المرئي لأنه لا تحيط به الأمكنة.

وقال القاضي (أبو يعلى): ظاهر الحديث أن المرئي في جنة عدن. وهذا التجسيم المحض. ورداء الكبرياء ما له من الكبرياء والعظمة، وكأنه إن منهم فلعلمته وإن شاء كشف لهم؛ وقد تكلمنا على الوجه في الآيات وقلنا المراد هو.

\*\*\*

الحديث الخامس والأربعون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتابه فهو عنده<sup>(١)</sup> فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي» وفي لفظ «سبقت».

قال القاضي (أبو يعلى) ظاهر قوله «عنده» القرب من الذات.

واعلم أن القرب من الحق تعالى لا يكون بمسافة، إنما ذلك من صفة الأجسام، وقد قال تعالى: ﴿سُورَةٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ [هود: ٨٣].

\*\*\*

الحديث السادس والأربعون: روى عن بعض التابعين أنه قال: خلق الله آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده.

هذا لا يثبت عن قائله، وقد تكلمنا على قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنَكَ﴾ [مر: ٧٥].

\*\*\*

الحديث السابع والأربعون: روى ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَبِيعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أنه قال: كرسية موضع قدمه، والعرش لا يقدر قدره.

رواه جماعة من الأئمة فوقوه على ابن عباس، ورفعه منهم شجاع بن مخلد<sup>(٢)</sup>. فعلم بمخالفته الكبار المتقنين أنه قد غلط. ومعنى الحديث أن الكرسي

(١) يقول العلامة العيني في شرح صحيح البخاري: والعنبة ليست مكانية بل هو إشارة إلى كمال كونه مكتوناً عن الخلق مرفوعاً عن حيز إحداهم (ز).

(٢) يقول الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب): شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوي نزيل بغداد صدوق وهم في حديث واحد رفعه وهو موقوف فذكره بسبه العقبلي في الضعفاء (ز).



صغير بالإضافة إلى العرش كمقدار كرسي يكون عند سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير، قال الضحاك: الكرسي الذي تجعل عليه الملوك أقدامهم، وقال القاضي (أبو يعلى): القدم قدم الذات وهي التي يضعها في النار.

الحديث الثامن والأربعون: حديث العباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك».

هذا الحديث لا يصح، تفرد به يحيى بن العلاء، قال الإمام أحمد: هو كذاب يضع الحديث.

وقد تكلمنا في الفوق في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَائِرُ قَوْقًا عِجَابًا﴾ [الأنعام: ١٨]. قال القاضي (أبو يعلى): المراد من الفوقية استواء الذات على العرش. وهذا الكلام أصله التجسيم.

\*\*\*

الحديث التاسع والأربعون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل».

وفي لفظ أخرجه مسلم «فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل». قال العلماء: هذا خطاب للناس بما يعلمونه ويفهمونه من الأخذ والتربية والنمو، ولما كان تناول باليد والقبض بالكف خاطبهم بما يعقلون، وإنما جرى ذكر اليمين لأنها مرصدة لما عز من الأمور؛ ومعنى التربية المضاعفة.

\*\*\*

الحديث الخمسون: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال فقال: «ألا إنه أعور، وإن ريكم ليس بأعور»<sup>(١)</sup>.

(١) لفظ الحديث في صحيح البخاري «أن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه وأن المسيح الدجال أعور عين اليمين» وقد قال الحافظ ابن حجر: إن الإشارة إلى عينه ﷺ إنما هي بالنسبة إلى عين الدجال فإنها كانت صحيحة مثل هله ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في دعوى الإلهية =

قال العلماء: إنما أراد تحقيق وصفه بأنه لا يجوز عليه النقص، ولم يرد إثبات جارحة، لأنه لا مدح في إثبات جارحة، بل كأنه قال: إلا ربكم ليس بذئ جوارح يتسلط عليها النقص، وهذا مثل نفي الولد عنه لأنه يستحيل عليه التجزي. ولو كانت الإشارة إلى صورة كاملة لم يكن في ذلك دليل على الإلهية ولا القدم، فإن الكامل في الصورة كثير.

\*\*\*

الحديث الحادي والخمسون: روى البخاري في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى قال: ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته».

قوله: «كنت سمعه وبصره» مثل، وله أربعة أوجه:

أولها: كنت سمعه وبصره فهو يحب طاعتي كما يحب هذه الجوارح.

الثاني: أن كليته مشغولة بي فلا يصغي إلي ما يرضيني ولا يبصر إلا عن أمري.

الثالث: أني أحصل له مقاصده كما ينالها بسمعه وبصره ويده اللواتي تعينه، وأما التردد فخطاب لنا بما نعقل.

\*\*\*

الحديث الثاني والخمسون: روى جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وتهتكت الأموال وهلكت

= وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطراً عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه. وقال الفخر الرازي في (أساس التفسير) عند الكلام على هذا الحديث: وأما هذا الخبر فمشكل لأن ظاهره يقتضي أن النبي ﷺ أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال بكون الدجال أعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد، وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة في ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبقاً بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال، أليس راوي هذا الحديث هو ابن عمر ثم إن المشهور أن ابن عمر لما روى حديث «إن الميت ليعذب ببيكاه أهله» طلعت عائشة رضي الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من الرسول كان مسبقاً بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٤] لو حكى لزال هذا الإشكال فكيف هاهنا أنه من البعيد صدور مثل هذا الكلام من الرسول اهـ.

الأنعام، فاستسقى الله لنا فاستشفع بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك تدرى ما تقول» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجهه أصحابه ثم قال ﷺ: «إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله، إن عرشه على سماواته هكذا - وقال بأصابعه مثل القبة - وأنه لينط به أطيظ الرجل بالراكب».

ومعنى قوله: «أتدرى ما الله» أي أتدرى ما عظمة الله تعالى وجلاله ومعنى ينط به أي يعجز عن عظمته وجلاله إذ كان معلوماً أن أطيظ الرجل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتمالها فقرب بهذا النوع من عنده معنى عظمة الله وجلاله ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن لا يجعل شفيحاً إلى من هو دونه في القدر، وقد ذكرنا فيما تقدم عن القاضي (أبي يعلى): ينط من ثقل الذات، وهذا صريح التجسيم.

\*\*\*

الحديث الثالث والخمسون: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ نَبِيًّا بَيِّنًا﴾ [النساء: ٥٨] فوضع إصبع الدعاء وإبهامه على عينيه وأذنه.

قال العلماء: أراد بهذا تحقيق السمع والبصر منه فأشار إلى الجارحتين اللتين هما السمع والبصر، لا أن الله سبحانه وتعالى جارحة.

\*\*\*

الحديث الرابع والخمسون: روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل فيفتح الذكر في الساعة الأولى، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي داره التي لم يسكنها غيره وهي مسكنه ثم يقول طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فيقول بعزتي».

هذا الحديث برويه زيادة بن محمد الأنصاري قال البخاري: وهو منكر الحديث وقال أبو حاتم بن حبان: يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك، ونقول: على تقدير الصحة إنها مضافة إليه كما أضيف البيت إليه فهذا بيته وذاك مسكنه، وإنما قلت هذا لأن السكنى مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى.

\*\*\*

إلى خلقه إلا ولي معها وصل  
فيا قاصدي الإنصاف لي ميزوا وأبلوا  
تكر عليهم كلما طولت تحلوا  
وما جمعا إلا لعبد له فضل  
ولا خير في قول إذا ضيع الفعل  
ويعد يقيني بالمقادير لا ذل  
إلى مين مخلوق يماثله الجهل  
عشقت كما قد تعشق الأعين النجل  
وما حبهم إلا لمن ما له شكل  
أقر بفضلتي الدين والحزن والسهل  
وفي المغرب الأقصى وما بلغت إبل

\* \* \*

طلبت الأمد في الصواب وما أغلوا  
يزيد على كل المذاهب بل يعملوا  
بنقل صحيح والحديث هو الأصل  
يقوم بأنباء وإن شأنه عضلوا

\* \* \*

ويتبع في التسليم من قد مضى قبل  
فقام على رجل الثبات وهم زلوا  
فكم أرشدوا نحو الهدى ولكم دلوا  
بمذهبه ما كل فرع له أصل  
وعندهم عن فهم ما قاله شغل  
فواعجباً والقوم كلهم عزل  
وهم من علوم النقل أجمعها عطل  
تشابهت الحيات وانقطع الحبل  
لذي نقلوه في الصفات وهم غفل  
فمال إلى تصديقهم من به جهل

فما من علوم بنها الله في الورى  
وصنفت ما قد صنف الناس جنسه  
ولي من بديهات الكلام عجائب  
وقد قادني علمي إلى الزهد في الدنا  
نعم وتقاء الله أشرف خلة  
قنوعي بما يكفي يقيني من الأذى  
وأحسن من علم ترامى بأهله  
وأسكن قلبي حب كل محقق  
وبغداد دار ليس يغبين أهلها  
وكل البلاد أشحنتها فضائلي  
وذكرى وراء النهر بالفضل وافر

ولما نظرت في المذاهب كلها  
فالفيت عند السير قول ابن حنبل  
وكل الذي قد قاله فمشيد  
وكان بنقل العلم أعرف من روى

ومذهبه أن لا يشبهه ربه  
فقام له الحساد من كل جانب  
وكان له أتباع صدق تتابعوا  
وجاءك قوم يدعون تمذهباً  
فلا في الفروع يشبتون لنصره  
إذا ناظروا قاموا مقام مقاتل  
قياسهم طرداً إذا صدروا به  
إذا لم يكن في النقل صاحب فطنة  
ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة الـ  
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد

وصار الأعداي قائلين لكننا  
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم  
لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً  
وما زلت أجلبو عنهم كل خلة  
تسموا باللقاب ولا علم عندهم  
موائدهم لا يلحق الخل بقلها

\* \* \*

وأكثر حساد لنا أهل مذهبي  
تمنوا بجهل أن تزل بي النعل  
ومنذ مضى شيخ الجماعة أحمد  
لقد بات عندي ألف ألف يقوموا  
وروضات علمي كلها تمرح الجنا  
وكيف ترى تبرى الحسود وداؤه  
تفرد بالبغض القبيح مخالف

فلو قدروا أفتوا بأن دمي حل  
ولم تمس في مجد بمثلي لهم رجل  
إلى الآن لم يوجد لعالمكم مثل  
سحابة وعظي كلهم صيب وبل  
ويستاتهم إذ ما تأملته أثل  
إذا سنل الطب الخبير به يسلو  
أليس اجتماع الناس لي شاهد عدل

### تم كتاب دفع شبه التشبيه للإمام ابن الجوزي

جاء في آخر (مجلس في نفي التشبيه من أمالي الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي): أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور المؤمل لنفسه:

الله أكبر أن يكون لذاته  
أو أن تقاس صفتنا في كلما  
تياً لذي صفه يقول بأنه  
لبديع صنعته عليه شواهد  
ذرا الأنعام بقدرة أزلية  
ورأى بعين العلم ما تأتي به

كيفية كذوات مخلوقاته  
نبيديه من أفعالنا بصفاته  
جسم وأن سماتنا كسماته  
تبدو على صفحات مصنوعاته  
وأراده فيهم لتقديراته  
لمحات أعينهم وما لم تأته

\* \* \*



دَفَعُ رِشْبَةَ مَنْ مِثْلَ شَبَّةٍ وَتَمَرَّدَ  
وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى السَّيِّدِ الْجَمِيلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ

لِلْإِمَامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ الْمُصَنِّفِ  
المتوفى ٨٢٩ هـ

تحقيقه  
الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسنة بن علي الكوثري  
المتوفى ١٣٧١ هـ





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ترجمة

### الإمام الحصني مؤلف هذا الكتاب

إنما نذكر ترجمة هذا الإمام رضي الله عنه ليعرف القارئ من ترجمته مقدار كتابه هذا فإننا نرى أن الكتب أشبه بالأبناء فمن لا والد له من الأبناء ضائع لا قيمة له حتى في نظر نفسه ومن له والد حقير كان حقيراً كوالده ومن جلّ والده جلّ ويزداد عظماً كلما عظم والده هذا شيء لا نزاع فيه . وهكذا الكتب إذا رأى الناس كتاباً لا يعرف مؤلفه ارتفعت ثقتهم به وظنوا به الظنون وإذا عرف المؤلف نظروا إليه وبمقدار عظمتهم في نفوسهم علماء وعملاً تكون ثقتهم بكتابه واستغادتهم منه . وأعدل حكم على الرجل هو الذي يصدر عليه من معاصريه الناظرين إليه المحيطين علماء بكل أحواله مع ما في المعاصرة من منافات ومنازعات وأحقاد يهيجها الحسد الذي يدفن الفضائل وينشر الرذائل فإذا صدر مع هذا حكم جليل من معاصر دلّ ذلك على أن الحقيقة أرفع وأسمى . رفع سؤال إلى علماء عصره رضي الله عنه عن زيارة النبي ﷺ واسمع ما قاله عنه أحد معاصريه قال ما نصه : فأجاب شيخنا وسيدنا ومولانا العارف الورع العابد الزاهد المحقق المدقق شيخ الإسلام ومفتي الأنام وعلم الأعلام الرياني والصدر النوراني . منقح الألفاظ . ومحقق المعاني . بحر العلوم . والمبرز على ذوي الفهوم . داعي الخلق للحق . الناصح لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . بقية السلف . وزين الخلف . شافعي زمانه . وسيبويه أوانه . القطب الكبير . والغوث الشهير . والعلم المنير . والعلامة النحرير . والمجتهد الأخير . البحر الزاخر . والسيف الباتر . زبدة المتقدمين . وعمدة المتأخرين . ومفزع العباد . وحجة الله على العباد . ومصصامة أهل الزيغ والفساد . رحلة وقته . ووحيد عصره . وفريد دهره . نسيج وحده . جامع أشتات العلوم والفضائل . القائم في نصرة الحق بالبراهين والدلائل . قدوة أهل الأصول والقروص . ونائر فرائد المنقول والمسموع . الحسيب النسيب . والمتصل في الدين بالمصطفى الحبيب . الشيخ تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن

سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن ناسي بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن عبد الله بن عمر بن موسى بن يحيى علي الأصغر بن محمد التقي بن حسن العسكري بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني الشافعي الأشعري الحصري قدس الله روحه. ونور ضريحه. وجعل من الرحيق المخترم غبوقه وصبوحة. وضاعف له جزيل هباته. وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته. ونفطنا بعلمه الجمة وفوائده. كما حلى أجياد الدهر بقلاند فرائده. أمين. بجاه سيد الأولين والآخريين. اه من الفتاوى السهمية في ابن تيمية. بمجموعة ٣٣ دولار ١٥ من مكتبة صاحب الفضيلة أستاذنا الشيخ محمد بخيت المطيعي حفظه الله وهو وصف لم يدع قولاً لقائل في هذا الإمام الهمام رضي الله عنه ورضي عنا به: ولد رضي الله عنه بدمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة من الهجرة الشريفة وبها أخذ العلم عن أئمة عصره وأخذ عنه أئمة وكان من الزهد في الدنيا بدرجة لا تقل عن درجات سلف الأمة الصالحين وكان لتقواه وخشيته لربه وقوراً مهيباً حتى عند الأكابر من ولاة الأمور وكان إذا رأى ما لا يرضاه ربه صدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم - لم يقتصر في بث علومه على ما كان يلقيه من جواهر المعارف والآداب في دروسه حال حياته بل ألف من الكتب الجليظة الكثيرة ما يجعل نفعه العلمي خالداً: فمن مؤلفاته شرح صحيح مسلم في ثلاثة مجلدات، وشرح التتية لأبي إسحاق الشيرازي في الفقه الشافعي في خمسة مجلدات نافع جداً، وشرح منهاج النووي في خمسة مجلدات كذلك، وتفسير آيات متفرقات في مجلد، وقواعد الفقه على المذهب الشافعي في مجلدين، وتلخيص مهمات الإسنوي في مجلدين، وتبني السالك على مضار المسالك في ستة مجلدات، وأسنى المسالك لسير السالك في مجلد، وقمع النفوس في مجلد، وشرح أسماء الله الحسنى في مجلد، وشرح الأربعين النووية في مجلد، وسير نساء السلف العابدات في مجلد، وتلخيص تخريج أحاديث الأحياء في مجلد، وأحوال القبور في مجلد، وتآديب القوم في مجلد، وشرح الهداية في أوهام الكفاية في مجلد، وشرح مختصر أبي شجاع في مجلد. قال السخاوي: حسن للغاية وقد طبع في العام الماضي فكاد يطرب الشافعية فرحاً طلبة وعلماء، وتقرر رسمياً أن يقرأ بالأزهر لجلالته، ودفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد وهو هذا الكتاب الذي يجبل عن نظير في موضوعه كيف لا وقد أني على بناء مخالفه من أساسه. مات رحمة الله عليه ليلة الأربعاء منتصف شهر جمادى الثانية سنة تسع وعشرين وثمانمائة وحملت

جنازته على أعتاق الأفاضل وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً لم يتخلف عنه أحد من أهل دمشق حتى الحنابلة الذين كانت له عليهم حملات ثم حملات. ومع كونه وصى أن يخرج بجنازته بغلس ذهب من غفل عن جنازته من الناس إلى قبره وصلوا عليه غير مرة ودُفن عند والده وأقاربه بالجهة الجنوبية للجامع الأموي سقى الله روضة ضمته غيوث فضله وإحسانه وكرمه ورضوانه. وقد عنى بترجمته كثير منهم المقرئ في العقود وابن خطيب الناصرية في تاريخ حلب وابن حجر في أنباء الغمر، والتقي ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية والرضي القرني في بهجة الناظرين والسخاوي في الضوء اللامع وغيرهم فمن أراد أن يعرف من هو الإمام التقي الحصري علماً وعملاً فليرجع إلى تلك التراجم رضي الله عنه وعن جميع العلماء العاملين خصوصاً من أسهروا عيونهم وأتعبوا أبدانهم ووقفوا أفكارهم على نصر دين ربهم والذود عن حياضه: إن أحبوا فلله وإن أبغضوا فلله جعلنا الله من محبيهم السالكين سيّلمهم اللهم آمين اللهم آمين.

قال حضرة صاحب الفضيلة العلامة صاحب النسخة الفرعية ما نصه:

### سبب تأليف هذا الكتاب

قال العلامة التقي محب السنة والذاب عنها بكل ما استطاع في هذا العصر الشيخ محمد زاهر الكوثري: في ظهر الأصل المقابل به بخط الحافظ محمد بن طولون.

فائدة: سبب تكلم المؤلف رحمه الله تعالى في ابن تيمية وأتباعه ما نقل له عن الشيخ العلامة ناصر الدين التتكري أنه اجتمع ببعض من يتسب للحنابلة قال: فرأيت يقول بمسألة التناسخ ولا يقطع لأطفال المسلمين بالجنة وسمع منه هذا القول شخص آخر ونقل للشيخ المؤلف أيضاً أن شخصاً قال عند هذا المبتدع المشار إليه: يا جاه محمد، فقال: لا تقل يا جاه محمد، وكذا نقل له عن شخص آخر قال ذلك عنده فقال: لا تقل يا جاه محمد فإنه قد بقي قفة عظام نعوذ بالله العظيم من هذه الزلّة الجسيمة وسمع هذا الكلام أيضاً ابن أخي الشيخ المؤلف فاجتمع مع عمه فتذاكرا ما وقع فيه الجاهل المشار إليه ثم قال: يا عم لو تكلمت في ذلك فقال: أنا مشغول بنضي فقال: ما يخلصك هذا عند الله عز وجل كيف يتعرض هذا الجاهل للرسول ﷺ وحط مرتبته ومراتب النبیین ويتكلم في الله بما لا يليق بجلاله وغير ذلك مما هو زندقة لا يخلصك هذا عند الله مع تمكنك من ردع هذا الزائف عن تنزيه الله وتعظيم

رسوله عليه الصلاة والسلام فقال المؤلف رحمه الله تعالى: اتّرنى بشيء من كلام هذا الرجل انظر فيه فإذا تكلمت تكلمت على بصيرة، فأتى بأشياء من كلامه فلما رأى كلامه تكلم بما تكلم رحمه الله: قال شيخنا النعمي ومن خطه نقلت: نقلتها من خط شيخنا شهاب الدين بن قرا تلميذ المؤلف ملخصاً<sup>(١)</sup> لها. انتهى ما وجدته بخط ابن طولون في ظهر الأصل المذكور. وترجمة المصنف مبسّطة في كتاب الضوء اللامع في القرن التاسع للمحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي وفي طبقات الشافعية للثقي ابن قاضي شهبه وفي طبقات الرضى الغزي العامري وله مؤلفات ممتعة كشرحه على صحيح مسلم في ثلاث مجلدات وشرحه على التنبية في خمس مجلدات وشرحه على المنهاج كذلك وطبع حديثاً شرحه على مختصر أبي شجاع في مجلدين وكان من مفاخر الشافعية في عصره زهداً وعلماً وسيرة وسنتوفي ترجمته إن شاء الله تعالى عند قيامنا بشرحه.

(١) فابن طولون هذا حافظ جليل له من المؤلفات ما يقرب من ستمائة مؤلّف وتوفي سنة ٩٥٣ سنة تسعمائة وثلاث وخمسين وشيخه عبد القادر النعمي له مؤلفات جلييلة وقد ترجم في الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة. وابن قرا هو الشهاب الخوارزمي المحدث مترجم في الضوء اللامع، قاله صاحب الأصل.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، وسلّم ومجّد وكرم، سبحانه من بيده الضر والنفع، والوصل والقطع، والفرقة والجمع، والعطاء والمنع، وفق من أحب لتزيهه فحمى موضع نظره منه وكذا السمع، وخذل من أبغض فجرى لشقاوته على ما اعتاده وألفه من رديء الطبع، فهب على الأول نسيم إسعاده وعلى الثاني ريح إبعاده، لصدع قلبه بشمويه المدو فيا له من صدع، تقدس وتمجد بعز كبريائه وجلاله، وتفرد بأوصاف عظمته وكماله، كما عمّ بجوده وإفضاله ونواله، تقدّس وتبارك عن مشابهة العبيد، وتنزه عن صفات الحدوث.

فمن شبه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد، ومن عطل ما ثبت له من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحق مائل ومجيد<sup>(١)</sup>، وكلا القسمين سفيه وشقي وغير رشيد، ومن ورائهما عذاب شديد.

ونال خلع الرضوان في دار الأمان من نزه مع تزايد الكرامات ولديه مزيد.

فستان بين من هو رافع في رياض السلامة ونزل الكرامة في دار المقامة، وبين المطرود المبعود<sup>(٢)</sup> وقد حق عليه الوعيد.

وبعد، فإن سبب رضي لهذه الأحرف اليسيرة ما دهمني من الحيرة من أقوام أخبات السريرة، يظهرون الانتماء إلى مذهب السيد الجليل الإمام أحمد، وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد. والعجب أنهم يعظمونه في الملأ ويتكاثمون إضلاله مع بقية الأمة وهم أكثر ممن ترمد ووجد، ويضلون عقول العوام وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطاني وإظهار التعمد والتشفي وقراءة الأحاديث ويعتنون بالمسند، كل ذلك

(١) كان ينبغي أن يقول حائد: ولعله اختار ذلك مراعاة للسجع، اه مصححه.

(٢) اسم المفعول مبعد فيقال فيه كما قيل فيما قبله، اه مصححه.

خزعبلات منهم وتمويه وقد انكشف أمرهم حتى لبعض العوام وبهذه الأحرف يظهر الأمر إن شاء الله تعالى لكل أحد إلا لمن أراد عز وجل إضلاله وإبقائه في العذاب السرمذ. ومن قال بنفي ذلك أي بنفي خلود العذاب وسرمديته وهو ابن تيمية وأتباعه فقد تجرأ على كلام الغفور. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتًا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَذَلِكَ تَجْزَىٰ كُلُّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦] وعلى العليم الحكيم في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ السَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] والآيات في ذلك كثيرة عموماً وخصوصاً ومنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا طَلَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ عَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] والغرام المستمر الذي لا ينقطع فلو انقطع قدر نفس لا يسمى غراماً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبَّآ رَيْكُ﴾ [الفجر: ٢٢] قال الإمام أحمد معناه جاء أمر ريك.

قال القاضي أبو يعلى: قال الإمام أحمد: المراد به قدرته وأمره وقد بيّنه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَيْكُ﴾ [الشحل: ٣٣] يشير إلى حمل المطلق على المقيد وهو كثير في القرآن والسنة والإجماع وفي كلام علماء الأمة لأنه لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى.

ومثله حديث النزول وممن صرح بذلك الإمام الأوزاعي والإمام مالك لأن الانتقال والحركة من صفات الحدث والله عز وجل قد نزه نفسه عن ذلك ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَسْتَوِيًّا عَلَىٰ السَّرِّ﴾ [الأعراف: ٥٤] فإذا سأل العامي عن ذلك فيقال له الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وسنوضح ذلك إن شاء الله تعالى وإنما أجاب الإمام ربيعة بذلك وتبعه تلميذه مالك لأن الاستواء الذي يفهمه العوام من صفات الحدث وهو سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فمتى وقع التشبيه ولو بزنة ذرة جاء الكفر بالقرآن.

قال الأئمة: وإنما قيل السؤال بدعة لأن كثيراً ممن ينسب إلى الفقه والعلم لا يدركون الغوامض في غير المتشابه فكيف بالمتشابه فأيات المتشابه وأحاديثه لا يعلمها إلا الله سبحانه والقرآن والسنة طافحان بتنزيهه عز وجل ومن أسمائه القدوس وفي ذلك المبالغة في التنزيه ونفي خيال التشبيه وكذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] إلخ، لما فيها من نفي الجنسية والبعضية وغير ذلك مما فيه مبالغة في

تنزيهه سبحانه وتعالى وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: أمروا الأحاديث كما جاءت وعلى ما قال جرى كبار أصحابه كإبراهيم الحربي وأبي داود والأثرم ومن كبار أتباعه أبو الحسين المنادي وكان من المحققين وكذلك أبو الحسن التميمي وأبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب وغيرهم من أساطين الأئمة في مذهب الإمام أحمد وجرروا على ما قاله في حالة العافية وفي حالة الابتلاء فقال تحت السباط فكيف أقول ما لم يقل وقال في آية الاستواء هو كما أراد فمن قال عنه إنه قال في الاستواء إنه من صفات الذات أو صفات الفعل أو أنه قال إن ظاهره مراد فقد افتري عليه وحسبه الله تعالى فيما نسب إليه مما فيه إلحاقه عز وجل بخلقه الذي هو كفر صراح لمخالفته كلامه فيما نزه نفسه به سبحانه وتعالى عما يقولون.

ومنهم ابن حامد والقاضي تلميذه وابن الزاغوني وهؤلاء ممن يتبعي إلى الإمام ويتبعهم على ذلك الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده مما ذكرت بعضه وبالتالي في الافتراء إما لجهلهم وإما لضغينة في قلوبهم كالمغيرة بن سعيد وأبي محمد الكرامي لأنهم أفرأخ السامرة في التشبيه ويهود في التجسيم وحرف المغيرة ومعه خمسة من أتباعه كما أذكره من بعد.

قال ابن حامد في قوله تعالى: ﴿رَبِّيَ وَتَهُ رَبِّي﴾ [الرُّحْمٰن: ٢٧] وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصص: ٨٨] ثبت لله وجهاً ولا ثبت له رأساً.

وقال غيره: يموت إلا وجهه، وذكروا أشياء يقشعر الجسد من ذكر بعضها.

قال أبو الفرج بن الجوزي: رأيت من تكلم من أصحابنا في الأصول بما لا يصلح وانتدب للتصنيف وهم ثلاثة: ابن حامد وصاحبه القاضي وابن الزاغوني صفوا كتباً شانوا بها المذهب وقد رأيتهم نزلوا إلى مرتبة فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم على صورته فأنبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات وعينين وفماً ولهوات وأضراساً ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس وقالوا: يجوز أن يمس ويمس ويدني العبد من ذاته. وقال بعضهم ويتنفس ثم إنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل وقد أخذوا بالظواهر في الأسماء والإضافات فسموا الصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارقة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله سبحانه وتعالى ولا إلى إلغاء ما توجهه الظواهر من سمات الحدث ولم يقتنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات ثم لما أثبتوا أنها

صفات قالوا لا نحملها على ما توجه اللغة مثل اليد على النعمة أو القدرة ولا المجيء على معنى البر واللطف ولا الساق على الشدة ونحو ذلك بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة والظاهر هو الممهود من نعوت الأدمين والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف صارف حمل على المجاز وهم يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون نحن أهل السنة وكلامهم صريح في التشبيه تبعهم خلق من العوام على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم وكفروا تقلباً وقد نصحت للتابع والمتبوع ثم أقول لهم على وجه التوبيخ: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل وأتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول: (أقول ما لم يقل) هل بلغكم أنه قال إن الاستواء من صفة الذات المقدسة أو صفة الفعل فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء وهذا كله ابتداع فبيح بمن ينكر البدعة ثم قلت إن الأحاديث تحمل على ظواهرها. وظاهر القدم الجارحة وإنما يقال تمر كما جاءت ولا تقاس بشيء فمن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحيات وذلك عين التشبيه فاصرفوا بالعقول الصحيحة عنه سبحانه ما لا يليق به من تشبيه أو تجسيم وأمروا الأحاديث كما جاءت من غير زيادة ولا نقص فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر عليكم أحد ولا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي - أعني الإمام أحمد - ما ليس منه فلقد كسوتهم هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى لا يقال عن حنبلي إلا مجسم ثم زينتم مذهبكم بالمعصية ليزيد وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعته وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم: لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة.

فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي وابن الزاغوني من التشبيه والصفات التي لا تليق بجناب الحق سبحانه وتعالى هي نزعة سامرية في التجسيم ونزعة يهودية في التشبيه وكذا نزعة نصرانية فإنه لما قيل عن عيسى عليه السلام أنه روح الله سبحانه وتعالى اعتقدت النصارى أن الله صفة هي روح ولجت في مريم عليها السلام وهؤلاء وقع لهم الغلط من سوء فهمهم وماذا إلا أنهم سمو الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات وليس كل مضاف صفة فإنه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَقَنَّتُ يَوْمَ رُؤْيِي﴾ [الحجر: ٢٩] وليس لله صفة تسمى روحاً فقد ابتدع من سمى المضاف صفة ونادى على نفسه بالجهل وسوء الفهم ثم إنهم في مواضع يؤولون بالتشهي وفي مواضع أغراضهم الفاسدة يجرون الأحاديث على مقتضى العرف والحس ويقولون ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته ثم يقولون لا كما يعقل يغالطون بذلك من سمع من عامي وسيء الفهم وذلك عين التناقض ومكابرة في الحس والعقل لأنه



كلام متهاافت يدفع آخره أوله وأوله آخره، وفي كلامهم (تنزّهه غير أننا لا ننفي عنه حقيقة النزول) وهذا كلام من لا يعقل ما يقول ومثل قول بعضهم المفهوم من قوله: «هو الله الحي القيوم» في حقه هو المفهوم في حقنا إلا أنه ليس كمثله شيء فانظر أرشدك الله كيف حكم بالتشبيه المساوي ثم عقبه بهذا التناقض الصريح وهذا لا يرضى أن يقوله من له أدنى روية ولهم من مثل هذه التناقضات ما لا يحصى ومن التناقض الواضح في دعواهم في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٢٠﴾﴾ [طه: ٥] أنه مستقر على العرش مع قولهم في قوله تعالى: ﴿ءَأَیْنُكُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [المُلک: ١٦] أن من قال إنه ليس في السماء فهو كافر ومن المحال أن يكون الشيء الواحد في حيزين في آن واحد وفي زمن واحد ومن المعلوم أن في للظرفية ويلزم أنه سبحانه وتعالى مطروف تعالى عن ذلك.

وفي البخاري من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رمي في وجهه فقام فحكها بيده فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة» وفيه من حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في جدار القبلة فحكها ثم أقبل على الناس فقال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى».

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة فقال: «ما بال أحدكم يستقبل ربه فيتنخع أمامه أيحب أحدكم أن يُستقبل فيتنخع في وجهه».

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميماً قريباً وهو معكم» وفي رواية «والذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وفي الصحيح «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني» وحديث المريض «أما لو عدته لوجدتني عنده».

وقال تعالى: ﴿وَوَدَّيْتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ الطَّوِيرِ الْأَيْمَنِ﴾ [مریم: ٥٢] وقال تعالى: ﴿فُودِكِ مِنْ شَطِئِ الْأَوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوتَ إِذْ أَنْتَ اللَّهُ رَبُّ الْمَكَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الفصص: ٣٠] وقال تعالى: ﴿فَأَيُّنَا تَوْلُوا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٥].

وفي الترمذي في حديث العنان وفيه ذكر الأرضين السبع وأن بين كل أرض والأخرى كما بين السماء والأرض، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لو دلى أحدكم بحبل لوقع على الله سبحانه وتعالى» ومثل هذه الأدلة كثير وكلها قاضية بالكون السفلي دون العلوي.

واعلم أن الاستواء في الغلة على وجوه وأصله افتعال من السواء ومعناه أي السواء العدل والوسط وله وجوه في الاستعمال منها الاعتدال. قال بعض بني تميم: استوى ظالم العشيبة والمظلوم، أي اعتدلا، ومنها إتمام الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [الفصص: ١٤] ومنها القصد إلى الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] أي قصد خلقها، ومنها الاستيلاء على الشيء، ومنه قول الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq  
وقال آخر:

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم وأضحى على ما ملكوه قد استوى

ومنها بمعنى استقر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْبُورِيَّةِ﴾ [هود: ٤٤] وهذه صفة المخلوق الحادث كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْتَمِ مَا تَرْجُونَ﴾ [٧] يُسْتَوُوا عَلَى طُورِ سِينِينَ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣] وهو نزه نفسه سبحانه عن ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع.

وقطع المادة في ذلك أن المسألة علمية وكفى الله المؤمنين القتال والجدال.

قال أبو الفرج بن الجوزي: وجميع السلف على إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل.

قال عبد الله بن وهب: كنا عند مالك بن أنس ودخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْفَرَسِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استواؤه؟ فأطرق مالك وأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْفَرَسِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع. وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه. فأخرج.

كان ابن حامد يقول: المراد بالاستواء القعود. وزاد بعضهم: استوى على العرش بذاته فزاد هذه الزيادة وهي جراءة على الله بما لم يقل.

قال أبو الفرج: وقد ذهب طائفة من أصحابنا إلى أن الله عزّ وجل على عرشه ما ملأه وأنه يقعد نبيه معه العرش، ثم قال: والمعجب من قول هنا ما نحن مجسمة وهو تشبيه محض تعالى الله عزّ وجل عن المحل والحيز لاستغناهما عنهما ولأن ذلك مستحيل في حقه عزّ وجل ولأن المحل والحيز من لوازم الأجرام ولا نزاع في ذلك وهو سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك لأن الأجرام من صفات الحدث وهو عزّ وجل منزّه عن ذلك شرعاً وعقلاً بل هو أزلي لم يسبق بعدم بخلاف الحادث.

ومن المعلوم أن الاستواء إذا كان بمعنى الاستقرار والقعود لا بد فيه من المماسّة. والمماسّة إنما تقع بين جسمين أو جرمين والقائل بهذا شبه وجسم وما أبقى في التجسيم والتشبيه بقية كما أبطل دلالة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومن المعلوم في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَى الَّذِينَ ظَهَرُوا عَلَيْكَ مِنْكُمْ حَقٌّ وَلَا يَسِرَّ بِالَّذِينَ ظَهَرُوا عَلَيْكَ أَنْ يَقُولُوا نَحْنُ زَاهِدُونَ﴾ [الزخرف: ١٣] أنه الاستقرار على الأنعام والسفن وذلك من صفات آدميين فمن جعل الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار والتمكّن فقد ساوى بينه عزّ وجل وبين خلقه وذلك من الأمور الواضحة التي لا يقف في تصورها بليد فضلاً عن من هو حسن التصور جيد الفهم والذوق وحينئذ فلا يقف في تكذيبه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وذلك كفر محقق.

ثم من المعلوم أن الاستواء من الألفاظ الموضوعية بالاشتراك وهو من قبيل المجمل فدعواه أنه بمعنى الاستقرار في غاية الجهل لجعله المشترك دليلاً على أحد أقسامه خاصة فالحمار مع بلادته لا يرضى لنفسه أن يكون ضحكة لجعله القسم قسيماً فمن تأمل هؤلاء الحمقى وجدهم على جهل مركب يحتاجون بالأدلة المجملة التي لا دليل فيها قطعاً عند أهل العلم ويتركون الأدلة التي ظاهرها في غاية الظهور في الدليل على خلاف دعواهم بل بعضها نصوص كما قدمته في حديث النخامة وغيرها فتنبه لذلك لتبقى على بصيرة من جهل أولئك.

ومن المعلوم أنه عزّ وجل واجب الوجود كان ولا زمان ولا مكان وهما أعني الزمان والمكان مخلوقان وبالضرورة أن من هو في مكان فهو مقهور محاط به ويكون مقدراً ومحدوداً وهو سبحانه وتعالى منزّه عن التقدير والتحديد وعن أن يحويه شيء أو يحدث له صفة تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علواً كبيراً.

فإن قيل ففي الصحيحين من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس رضي الله عنه أنه ذكر المعراج وفيه «فعلاني الجبار تعالى فقال وهو في مكانه يا رب خفف عنا». الحديث، فالجواب أن الحافظ أبا سليمان الخطابي قال: إن هذه لفظة تمزّد بها شريك

ولم يذكرها غيره وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ والمكان لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى إنما هو مكان النبي ﷺ ومقامه الأول الذي أُقِيمَ فيه .

وفي الحديث «فأستاذن على ربي وهو في داره» يوهم مكاناً وإنما المعنى في داره التي دورها لأوليائه . وقد قال القاضي أبو يعلى في كتابه (المعتمد) أن الله سبحانه وتعالى وتقدس لا يوصف بمكان فإن قيل يلزم من كلامكم نفي الجهات ونفيها يحيل وجوده فالجواب أن هذا السؤال ساقط فيه تمويه على الأغبياء يجرون الجهات المتعلقة بالآدميين بالنسبة إلى الله عز وجل عن ذلك . وأيضاً إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فمسلم فأمّا إذا لم يقبلهما فليس خلوّه من طرفي النقيض بمحال ويوضح هذا أنك لو قلت كل موجود لا يخلو أن يكون عالماً أو جاهلاً قلنا إن كان ذلك الموجود يقبل الضدين فنعم فأمّا إذا لم يقبلهما كالحائض مثلاً فإنه لا يقبل العلم ولا الجهل ونحن ننزه الذي ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى كما ننزه نفسه عن كل ما يدل على الحدث وما ليس كمثله شيء لا يتصوره وهم ولا يتخيله خيال والتصور والخيال إنما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات تعالى عن ذلك، ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدو فأهلك خلقاً وقد تنبّه خلق لهذه الغائلة فسلموا وصرفوا عنه عقولهم إلى تنزيهه سبحانه وتعالى فسلموا .

ومن الأحاديث التي يحتجون بها حديث عبد الرحمن بن عائش عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: فيم يختصم الملا الأعلى يا محمد؟ قلت أنت أعلم يا رب، فوضع كفيه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات وما في الأرض» وهذا الحديث قال الإمام أحمد فيه أن طرده مضطربة، وقال الدارقطني كل أسانيد مضطربة ليس فيها صحيح، وقال البيهقي روي من أوجه كلها ضعيفة وأحسن طرده يدل على أن ذلك كان في النوم ويدل على ذلك أنه روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أتاني آت في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألني عنه» وروي من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال: «إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال لي: يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت: لا أعلم يا رب، فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلّى لي ما بين السماء والأرض» وروي من وجوه كثيرة فهي أحاديث مختلفة وليس فيها ما يثبت مع أن عبد الرحمن لم يسمعه من النبي ﷺ وعلى وجه التنزل فالمعنى راجع إلى رسول الله ﷺ .

فالمعنى رأيته على أحسن صفاته أي من الإقبال والرضا ونحو ذلك. لأن الصورة يعبر بها ويراد الصفة كما في حديث خلق الله آدم على صورته تقول: هذه صورة هذا الأمر أي صفته فيكون المعنى خلق الله آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصرة والإرادة مع أن أن هذا الحديث فيه علل منها أن الثوري والأعمش كان يدللس ولم يذكر أنه سمع الحديث من حبيب بن أبي ثابت ومنها أن حبيباً كان يدللس ولم يعلم أنه سمعه من عطاء وهذا كله يوجب وهناً في الحديث ومع ذلك فالضمير يصح عوده إلى آدم عليه السلام فالمعنى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تماماً لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: وذكره تغلب في أماليه وقيل إن الضمير يعود إلى بعض بني آدم وخلق من العلماء سكتوا عن تفسير هذا الحديث فالمشبه لا متمسك له بهذه الأحاديث لما ذكرناه وتمسكه بها يدل على جهله وزندقته عافانا الله عز وجل من ذلك.

ومن ذلك حديث القدم «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه» الحديث، وهذا يرجع إلى المحكم، قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقِرُ الَّذِينَ أَمْسَوْا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ مَبْدُوقَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢٢].

وقال الحسن البصري: القدم في الحديث هم الذين قدمهم الله من شرار خلقه وأثبتهم لها. وقال البيهقي عن النضر بن شميل: القدم هنا الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار. وقال الأهرلي: القدم الذين تقدم القول بتخليدكم في النار. وقال ابن الأعرابي: القدم المتقدم وكل قادم عليها يسمى قدماً والقدم جمع قادم كما يقال عيب وعايب. وروى الدارقطني حتى يضع قدمه أو رجله وفي هذه دلالة على تغيير الرواية بالظن مع أن الرجل في اللغة هي الجماعة ألا تراهم يقولون رجل من جراد فيكون المعنى يدخلها جماعة يشبهون الجراد في الكثرة.

قال ابن عقيل: تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة وهذا عين التجسيم وليس الحق بلدي أجزاء وأبعاد فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن المكون تعالى الله عن تخايل الجسمية، وذكر كلاماً مطولاً بالغاً في التنزيه وتعظيمي الله تعالى.

وقد تمسك بهذا الحديث ابن حامد المشبه فأثبت لله سبحانه وتعالى صفات، وزاد فروى من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لما أسري بي رأيت الرحمن على صورة شاب أمرد نور يتلألأ وقد نهيت عن صفته لكم فسألت ربي

أن يكرمني برويته فإذا كأنه عروس حين كشف عنه حجابيه مستو على عرشه، وهذا من وضعه وافتراءه وجرأته على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ، ومن أعظم فرية ممن شبه الله عز وجل بأمرد وعروس، وكان بعض أئمة الحنابلة يتوجه ويقول: ليت ابن حامد هذا ومن ضاهاه لم ينسبوا إلى أنهم من أتباع الإمام أحمد فقد أدخلوا بأقوالهم المفتراة الشين على المذهب والتعرض إلى الإمام أحمد بالثبته والتجسيم وحاشاه من ذلك بل هو من أعظم المنزهة لله عز وجل وقد خاب من افتري.

وقال بعض أئمة الحنابلة المنزهين: من أثبت لله تعالى هذه الصفات بالمعنى المحسوس فما عنده من الإسلام خير تقدس الله عز وجل عما يقولون علواً كبيراً، وخوضهم في ذلك كلام من لا يعرف الله عز وجل وكذا خوضهم في الأحاديث خوض من لا يعرف كلام الله تعالى ولا كلام أهل اللغة فيجرونها على المتعارف عند الخلق فيقعون في الكفر، ونوضح ذلك إيضاحاً مبيئاً يدركه أبلد العوام فضلاً عن أذكيا الطلبة والعلماء الأخيار الذين جعل الله عز وجل قلوبهم معادن المعاني المرادة وكنوزها.

فمن ذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الضيف وفيه «لقد عجب الله من صنعكما الليلة» وفي أفراد البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «عجب ربك من قوم جيء بهم في السلاسل حتى يدخلهم الجنة».

قال ابن الأنباري: معنى عجب ربك زادهم إنعاماً وإحساناً فعبّر بالعجب عن ذلك.

قال الأئمة: لأن العجب إنما يكون من شيء يدهم الإنسان فيستعظمه مما لا يعلمه وذلك إنما يكون في المخلوق وأما الخالق فلا يليق به ذلك فمعناه عظم قدر ذلك الشيء عنده لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده، فالمعنى في حديث الضيف عظم قدره وقدر زوجته عنده حتى نوه بذكرهما في أعظم كتبه وعظم قدر المجيء بهم في السلاسل حتى أدخلهم الجنة وجعلهم من أوليائه وأنصار دينه.

ومن ذلك حديث «لله أفرح بتوبة عبده» ومعناه أَرْضَى بِهَا وَمِنْهُ <sup>(١)</sup> قوله: ﴿كُلُّ جَزِيٍّ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] أي راضون ونحو ذلك مما هو كثير في القرآن

(١) أي من هذا الاستعمال، اه مصححه.

وكذا الأحاديث ومنها حديث النزول وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له» إلى آخره، وهذا الحديث رواه عشرون نفساً من الصحابة رضي الله عنهم وقد تقدم أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والتقل والتغير لأن ذلك من صفات الحدث فمن قال ذلك في حقه تعالى فقد أحققه بالمخلوق وذلك كفر صريح لمخالفة القرآن في تنزيهه لنفسه سبحانه وتعالى.

ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدهم قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَوِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] مع أن معدنه في الأرض وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَنْتَنِ نَسِيئَةً أَرْوِجَ﴾ [الزُّمَرُ: ٦] فيا لله العجب من شخص لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيلها. وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٤٨] وقال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [العَلَقُ: ١٠] فنسب الإنزال إلى هاتين الغائبتين إليه سبحانه وتعالى.

وقد قال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَاءَ مَا يَزِلُّ بِهِ وَيُذْرِبُهُمْ فِي مَغْفَلِهِمْ يَمْشُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦] والعمه في البصيرة كما أن العمى في البصر والعمه في البصيرة منه الهلكة أعاذنا الله من ذلك.

وروى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروا هذه الأحاديث بلا كيف، قال الأئمة: فوجب على المخلوق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة والحركة فإن النزول الذي هو انتقال من مكان إلى آخر يفتقر إلى الجسمية والمكان العالي والمكان السافل ضرورة كما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [الثلح: ٥٠] فإن الفوقية باعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلا في الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة والرب سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك إذ هو من صفات الحدث.

وقال ابن حامد الراسم نفسه بالحنبلي: هو فوق العرش بذاته وينزل من مكانه الذي هو فيه فينزل وينقل، ولما سمع تلميذه القاضي منه هذا استبشعه فقال: النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقال، أراد أن يغالط الأغبياء بذلك. وقال غيره: يتحرك إذا نزل، وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد فجوراً منهم بل هو كذب محض على هذا السيد الجليل السلفي المنزّه فإن النزول إذا كان صفة لذاته لزم تجدها كل ليلة وتعددها، والإجماع منعقد على أن صفاته قديمة فلا تجدد ولا تعدد تعالى الله عما يصفون.

وقد بالغ في الكفر من الحق صفة بالخلق وأدرج نفسه في جريدة السامرة واليهود الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا.

ومنها حديث الأصابع وهو في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع، وفي لفظ: والماء والثرى على أصبع ثم يهزهن، فضحك رسول الله ﷺ وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] وفي لفظ: فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له.

قال الأئمة ومنهم أبو سليمان الخطابي: لا تثبت لله صفة إلا بالكتاب أو خبر مقطوع بصحته مستند إلى أصل في الكتاب أو السنة المقطوع بصحتها<sup>(١)</sup> وما كان بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك ويتأول على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقوال أهل العلم مع نفي التشبيه.

وقال غيره: قد نفى الله تعالى التشبيه عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقَعَتْهُمْ يَوْمَ الْآزِمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتًا يَبِيئُهُنَّ سُبْحَتَهُمْ وَعَقَلَهُنَّ﴾ [الزمر: ٦٧] دفعاً لما يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات.

قال الأئمة: معناه ما عرفوه حق معرفته. وقال الميرد: ما عظموه حق عظمته.

وقبضة الله عز وجل عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته، واليمين في كلام العرب بمعنى الملك والقدرة كما قال تعالى: ﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] أي بالقوة والقدرة. وأشعار العرب في ذلك أكثر جداً من أن تُذكر وأشهر من أن تُشدد وتبرز وتظهر.

وفي الحديث «الحجر الأسود يمين الله تعالى» وقال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وقال أبو الوفاء بن عقيل من أصحاب الإمام أحمد: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الفتح: ٧٤] إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاقد على حمل مخلوقاته وإنما ذكر الشرك في الآية رداً عليهم. وفي معنى هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام «إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء» وفي ذلك إشارة إلى أن القلوب مقهورة لمقلبيها.

(١) لو لاحظ المتكلمون في هذه المواضع هذا الأصل لاستراحوا وأراحوا، اهـ مصححه.



قال الخطابي: واليهود مشبهة ونزول الآية دليل على إنكار الرسول عليهم ولهذا ضحك عليه الصلاة والسلام على وجه الإنكار وليس معنى الأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته بل يطلق الاسم في ذلك على ما جاء به الكتاب من غير تكيف ولا تشبيه. وقال غيره: من حمل الأصابع على الجارحة فقد رد على الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿سُبْحٰنَكَ﴾ [البقرة: ١١٦] وأدخل نفسه في أهل الشرك لقوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَكَ وَتَعَالَى عَنَّا يَشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وهو عز وجل يذكر في كتابه المبين التحرس عما لا يليق فدعاً ورداً لأعدائه كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتَعْذَبُهُمْ اللَّهُ وَلَكِنَّ سُبْحٰنَكَ﴾ [البقرة: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا لَكُمْ آيٰتِنَا مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَإِنِّي لَنَاصِرٌ لِّمَنْ حَمَدَنِي﴾ [الأنعام: ١٠٠] ونحو ذلك.

وآكد من ذلك قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَنَزَّلَتْ جَنَّٰتُ رَبِّنَا مِمَّا آفَقَتَّ مَكِجِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الحج: ٣] قدم تنزيهه عز وجل أولاً في هذه الآية والقرآن طافح بذلك ومنها ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي» وفي لفظ «سبقت» قال القاضي المشبه تلميذ ابن حامد: ظاهر قوله عنده القرب من الذات وما قاله يستدعي القرب والمساحة وذلك من صفات الأجسام وقد عمي عن قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٣] ومن المعلوم أنك تقول عندي فوق الغرفة كتاب كذا وهو في موضع شاسع نازل عن الغرفة بمسافة بعيدة ثم إن هذا القاضي روى عن الشعبي أنه قال إن الله قد ملأ العرش حتى أن له أطيطاً كأطيط الرجل وهو كذب على الشعبي.

وقال بعضهم: ﴿ثُمَّ أَسْوَأُ عَلَى الرَّسْلِ﴾ [الأعراف: ٥٤] قعد عليه. وقال ابن الزاغوني: خرج عن الاستواء بأربع أصابع. ولهم ولأتباعهم مثل ذلك خبائث كلها صريحة في التشبيه والتجسيم لا سيما في مسألة الاستواء وهو سبحانه وتعالى منزّه عما لا يليق به من صفات الحدث، ثم إن هؤلاء الجمادات وأهالي الجهلة يلزمهم أن يقولوا في الحديث الذي رواه مسلم وغيره ما لم يمكن القول به من أجهل الناس «ولا يزال عبيد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، إلخ، وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحة لعبده ومع هذا يلزم التعدد بحسب المتقربين والتجزئة والترفقة وغير ذلك مما لا يقوله حمار بل ولا جماد تعالى الله وتقدس عن ذلك.

قال ابن الجوزي: وهؤلاء وأتباعهم جهلوا معرفة ما يجوز على الله وما يستحيل عليه، ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبي شيبة أنه قال في كتاب العرش إن الله قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش، ثم قال: ونيراً من أقوام شأنوا مذهبنا فعابنا الناس بكلامهم ولو فهموا أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بما يوصف به الخلق لما بنوا أمورهم وقواعدهم على المحسوسات التي بها المساواة بينه وبين خلقه. وفي ذلك تكذيبه في تنزيهه وتقديسه نفسه عزّ وجل.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: تحسب الجهلة أن الكمال في نسبة النقائص إليه فيما نزه نفسه عنه عزّ وجل، والذي أوقعهم في ذلك القياس المظنون وكيف يكون له حكم الدليل وقد قضى عليه دليل العقل بالرد.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: والناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب: أحدها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى: ﴿وَبَيِّنْ لَهُمْ رُكُوبَهُمْ﴾ [الفجر: ٢٢] أي جاء أمره وهذا مذهب السلف، المرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر، المرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحس وقد عمّ جهله الناقلين إذ ليس لهم علوم المعقولات التي بها يعرف ما يجوز على الله عزّ وجل وما يستحيل فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس ولو فهموا أن الله عزّ وجل لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا جارحة ولا تغير لما بقوا على الحسيات التي فيها عين التشبيه وهو كفر بالقرآن أعادنا الله من ذلك، ولا شك أن مذهب السكوت أسلم وقد ندم خلق من أكابر المتكلمين على الخوض في ذلك.

قال أبو المعالي الجويني في آخر عمره: (خلت أهل الإسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه والآن رجعت إلى قولهم عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطفه وأموت على دين العجائز وإلا فالويل لابن الجويني).

قال أبو الوفاء بن عقيل: معنى دين العجائز أن المدققين بالغوا في البحث والنظر ولم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليل فوقفوا مع المراسم واستطرحوا وقالوا لا ندرى.

وسئل الإمام أحمد قلنس الله روحه عن الاستواء فقال: (هو كما أخبر لا كما يخطر بالبشر).

فانظر وفقك الله وأرشدك إلى الحق إلى هذه العبارة ما أرسقها وعلى أتباعه ما أشققها<sup>(١)</sup> اعتقاد قويم ومنهاج سليم.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي واسمه عبد الرحمن بن علي لما رأى الحصاد للإمام أحمد ما حصل له من الرفعة ونفاسة مذهبه لتشييده بالكتاب والسنة انتموا إلى مذهبه ليُدخلوا عليه النقص والخلل وصرف الناس عنه حسداً من أنفسهم فصرحوا بالتشبيه والتجسيم ولم يستحيوا من الخير العليم. ونسبوه إليه افتراء عليه. ومن نظمه في ذلك:

ولما نظرت في المذاهب كلها	طلبت الأسد في الصواب وما أغلرو
فألفيت عند السير قول ابن حنبل	يزيد على كل المذاهب بل يعلو
وكل الذي قد قاله فمشيد	بنقل صحيح والحديث هو الأصل
وكان بنقل العلم أعرف من روى	يقوم . . . . . <sup>(٢)</sup>
ومذهبه أن لا يشبهه ربه	ويتبع في التسليم من قد مضى قبل

يشير إلى صاحبه الإمام الشافعي وغيره من علماء السلف كما أذكر:

فقام له الحصاد من كل جانب	فقام على رجل الشبات وهم زلوا
وكان له أتباع صدق تتابعوا	فكم أرسدوا نحو الهدى ولكم دلوا
وجاءك قوم يدعون تمذهباً	بمذهبه ما كل زرع له أكل
ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة	الذي نقلوه في الصفات وهم غفل
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد	فمال إلى تصديقهم من به جهل
فصار الأعداي قائلين لكلنا	مشبهة قد ضرنا الصحب والخل
فقد فضحوا ذاك الإمام لجهلهم	ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا
لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً	وأكثر ما أدركته ما له عقل

(١) لعله ما أشققا بحلف إحدى الثافين أو بإبدال إحداهما فاء، اه مصححه.

(٢) هكذا بياض بالأصل ويصح أن يتم بنحو قولنا: إذا نام السوي وبه يخلو، اه مصححه.

وحذفت آياتاً من هذه القصيدة لأنني في هذه الورقات على سبيل الاقتصاد والرمز إلى منهج الحق والرشاد.

وسئل الإمام الشافعي قدس الله روحه عن الاستواء فقال: (أمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك) وهذا شأن الأئمة يمسكون أعتة الخوض في هذا الشأن مع أنهم أعلم الناس به ولا يخوض فيه إلا أجهل الناس به.

وسئل الإمام أبو حنيفة قدس الله روحه عن ذلك فقال: (من قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر لأن هذا القول يؤذن أن الله سبحانه وتعالى مكاناً ومن توهم أن الله مكاناً فهو مشبه).

وسئل الإمام مالك عن الاستواء فقال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) فنفي العلم بالكيف فمن استدل بكلامه على أنه سبحانه وتعالى فوق عرشه فهو لجهله وسوء فهمه.

وقال الإمام مالك عند قوله: ﴿فَلَا تَقْرَبُوا يَوْمَ الْأَنْتَاهِ﴾ [النحل: ٧٤] من وصف شيئاً من ذاته سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَتَوَلَةٌ فَلْتِ آيَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] فأشار بيده إلى عنقه قطعت وكذا السمع والبصر يقطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه.

وقال مالك رضي الله عنه: (الاستواء معلوم) يعني عند أهل اللغة، وقوله: (والكيف مجهول) أي بالنسبة إلى الله عز وجل لأن الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل منزّه عنه فإجابته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة، وقوله: (والإيمان به واجب) أي على الوجه اللائق بعظمته وكبريائه، وقوله: (والسؤال عنه بدعة) لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا عالمين به وبمعناه اللائق بحسب اللغة فلم يحتاجوا إلى السؤال عنه فلما ذهب العالمون به وحدث من لم يعلم أوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم شرع يسأل الجهلة بما يجوز على الله عز وجل وفرح بذلك أهل الزيغ فشرعوا يدخلون الشبه على الناس ولذلك تعين على أهل العلم أن يبينوا للناس وأن لا يهملوا البيان لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فهذه<sup>(١)</sup> الأئمة

التي<sup>(١)</sup> مدار الأمة عليهم في دينهم متفقون في العقيدة فمن زعم أن بينهم اختلافاً في ذلك فقد افتري على أئمة الإسلام والمسلمين والله حسبه وسيجزي الله المفترين.

وفي الصحيحين: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من فارق الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية» وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والنافرة والشاذة إياكم والشعاب وعليكم بالعامّة والجماعة والمساجد» رواه الطبراني وغيره من حديث معاذ رضي الله عنه ورواه الإمام أحمد ورجاله ثقات.

وسئل الإمام أحمد عن الشافعي فقال: (ما الذي أقول فيه وهو الذي أخرج من فشور التشبيه لبابها، وأطلع على معارفها أربابها، وجمع مذهبه أكتافها وأطنابها، فالمحدثون صيادلة والشافعي طبيهم، والفقهاء أكابر والشافعي كبيرهم، وما وضع أحد قلعه في محبرة إلا وللشافعي عليه مئة) وكان كثير الدعاء للشافعي، قال له ابنه عبد الله: أي شيء كان الشافعي فإني أسمعك تُكثر الدعاء له؟ قال: (يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض).

وسئل بعض أئمة السلف عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى السَّمَوَاتِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: (الرحمن جلّ وعلا لم يزل والعرش محدث بالرحمن استوى ثم قال كل ما ميزتموه بأذهانكم وأدركتموه في أتم عقولكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم محدث ومصنوع مثلكم لأن حقيقته عالية عن أن تلحقه عبارة أو يدركه وهم أو يحيط به علم كلا كيف يحيط به علم وقد انفق فيه الأضداد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] أي عبارة تخبر عنه، حقيقة الألفاظ كلام، فصرت عنه العبارات، وخرست عنه الألسنة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] تعالى الله وتقدس عن المجانسة والمماثلة).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: معناها ليس له نظير. وقال أهل التحقيق: ذكر العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته إذ الذات منتعنة عن الإحاطة بها والوقوف عليها، كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَقَدْ لآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [التسليم: ٢٦] فسبحانه هو المنزه عن التشبيه القدوس المبرأ عن الأفات، والمسيح بجميع اللغات، السلام السالم من نقائص المخلوقات، الصمد

السيد الذي لا يشبهه شيء من المصنوعات والمخلوقات، الغني عن الأغيار، تبارك وتعالى عن أن تحويه الجهات، الفرد الذي لا نظير له، المنفرد بصفات الكمال والقدرة، ومن بعض مقدوراته الكرسي والعرش والأرضون والسموات، شهد لنفسه بالوحدانية ونزهها بالآيات البيئات فصفاته لا يوصف بها غيره، ومن تعرض لذلك فقد طعن في كلامه، وضاهى أهل العناد فاستوجب اللعن وأشد العقوبات.

قال البغداديون في قوله تعالى: ﴿بَيِّعُ الْكَمَكَاتِ وَالْأَرْبِينَ وَإِذَا قَعَقَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَمْ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] كل صنع صنعه ولا علة لصنعه ليس لذاته مكان لأنه قبل الكون والمكان، وأوجد الأكوام بقوله كن أزال العلل عن ذاته بالدرك<sup>(١)</sup> وبالعبارة عنه وبالإشارة فلا يبلغ أحد شيئاً من كنه معرفته لأنه لا يعلم أحد ما هو إلا هو، حي قيوم لا أول لحياته، ولا أمد لبقائه، احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الأبصار فعجز العقل عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، وانتهى المخلوق إلى مثله، وأسند الطلب إلى شكله اهـ.

وقولهم: كل صنع، عبروا بالمصدر عن اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ آبَائِكُمْ﴾ [لقمان: ١١] ومن الجهل البين أن يطلب العبد المقهور بكن درك ما لا يدرك، كيف وقد تنزه عن أن يدرك بالحواس أو يتصور بالعقل الحادث والقياس من لا يدركه العقل من جهة التمثيل، ويدركه من جهة الدليل، فكل ما يتوهمه العقل لنفسه فهو جسم وله نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة من الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث تعالى عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان، وهو الأول قبل سوابق العدم، الأبدى بعد لواحق القدم، ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات. جلّت ذاته القديمة التي لم تسبق بعدم أن يكون لها صفة حادثة كما يستحيل أن يكون للذات الحادثة صفة قديمة، قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّمَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مریم: ٦٧].

وسأل بعض المخبتين<sup>(٢)</sup> الطوية للإمام العالم العلامة الجامع بين العلوم السنية،

(١) قوله: بالدرك متعلق بمحذوف فيما يظهر تقديره وأعجز الخلق عن أن يحيطوا به بالدرك، الخ، والدرك الإدراك، اهـ مصححه.

(٢) لعله خبيثي الخ، وقوله للإمام: لعل اللام الأولى من تصرفات الشياخ وهذا ظننا في كل ما تقدم أو يجيء في هذا الكتاب من الألفاظ التي تخالف اللغة، لأن الإمام الحصني أجل من أن يخفى عليه مثل ذلك، اهـ مصححه.

والمناهج العلية، يحيى بن معاذ الرازي فقال له: أخبرنا عن الله، فقال: إله واحد، فقال له: كيف هو؟ قال: إله قادر، قال: فأين هو؟ قال: بالمرصاد، فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال: ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأما صفته فالذي أخبرتك عنه.

فالسائل سأل عن الذات والكيفية فأجابه هذا الحبير بالصفات الجلالية القدسية وهذا أخذه من قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون اللعين لما قال له موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦] فسأله فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] فقال موسى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الذخآن: ٧] فضمن الجواب العدول عما سأل لأنه عدل فيه عن مطابقة السؤال لأن فرعون سأل عن ماهيته سبحانه وتعالى وموسى أجابه عن قدرته وصفاته فجاز له حين خلط في السؤال وأخطأ وسأل عما لا يمكن إدراكه العدول عن سؤاله فقال فرعون: ﴿أَلَا تَسْتَوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥] أنا أسأله عن شيء فيجيب عن غيره، فقال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ [الشعراء: ٢٦] فلما قال موسى عليه السلام ذلك استشعر فرعون أنه أخطأ في السؤال فخشي أن يدرك ذلك جلساؤه فقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الْبُتَّةُ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَسَجُونًا﴾ [الشعراء: ٢٧] رماه بذلك حتى يتخلص ويصير موسى عليه السلام في مقام لا يلتفت إلى قوله ولا يؤخذ به، فتأمل أرشدك الله عز وجل وهداك إلى الحق كيف أن ذلك معلوم عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم عدم العلم بالذات والكيف فلا أجهل ولا أعمى بصيرة من فرعون أهدي منه في معرفته بالعجز عن درك ذاته.

قال الإمام الحافظ محمد بن علي الترمذي صاحب التصانيف المشهورة: (من جهل أوصاف العبودية فهو بنت الربوبية أجهل).

وقال أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة: (من اعتقد في الله عز وجل ما يليق بطبيعته كالعالمي فهو شبه فإنه عز وجل منزه عن كل ما يصفه الآدمي أو يتخيله لأن ذلك من صفات الحدوث تعالى وتقدس عن ذلك) فإيمان العامي لضعف علمه وعقله يقبل التشكيك<sup>(١)</sup>.

(١) هذا الكلام ليس على عمومته فإن من العامة من يتعش العالم لمبلغ كمال إيمانه بالله عز وجل وقد يصدق ذلك في بعض العوام الذين لم يتشأروا في حجور أهل الدين ولم يختلطوا بهم وهو أندر من الكبريت الأحمر بين طبقات العوام، اهـ مصححه.

قال ابن عباس: سبحانه وتعالى بخلقه يؤمنون به مجملاً ويكفرون به مفصلاً حملهم على ذلك زخرف العدو وإغوازه رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] هم الذين شبهوا الله بدسيسة عدم علمهم بغوائل النفس الأمارة بالسوء وعدم تأملهم قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الكهف: ٥١] وفي ذلك إشارة إلى عجز الخليقة أن تدرك بعض صفات ذواتها في ذاتها أو تدري كيف كنهها في أنفسها بعدم شهودهم خلق السماوات والأرض وخلق أنفسها فلم تملك أن تحتوي علم أنفسها في أنفسها فكيف تدري أو تدرك شيئاً من صفات موجودها من العدم وبارئها ومالكها.

وقال تعالى: ﴿زَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَيْجِينَ﴾ [الذاريات: ٤٩] ﴿سُجُنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦] وفي ذلك إشارة ظاهرة إلى عجزك عن إدراك كنه بعض المخلوقات على اختلاف ذواتها وصفاتها وفي بعضها ما لا يخطر على قلب بشر فكيف بالخالق الذي نزه نفسه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو سبحانه وتعالى مباين لخلقه من كل وجه لا يسعه غيره ولا يحجبه سواه تقدس أن يدركه حادث أو يتخيله وهم أو يتصوره خيال. كل ذلك محال. فهو الملك القدوس المنزه في ذاته وصفاته عن مشابهة مخلوقاته وأنت من مخلوقاته، ركبك على منوال عجيب، وجعلك في أحسن صورة وأعجب ترتيب، مع تنقل تارات من ماء مهين فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] ﴿فَكَوْنُوا آلِئِنَّهٗ لِحَمًا ثُمَّ أَنْسَأْتُهُ خَلْقًا مَآخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْكَافِرِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤] الإنسان هنا هو آدم عليه السلام وسلائه لأنه سلة من كل تربة وكان عليه السلام يتكلم بسبعمائة ألف لغة وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ أي حرز منيع وهو الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْسَ طَفَّةً﴾ أي دماً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلْفَةَ مُضْغَةً﴾ أي قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلَمًا﴾ وبين كل خلقتين أربعون يوماً ﴿فَكَوْنُوا آلِئِنَّهٗ لِحَمًا ثُمَّ أَنْسَأْتُهُ خَلْقًا مَآخَرَ﴾ وهو نفخ الروح فيه. قاله ابن عباس ومجاهد والشعبي وغيرهم. وقيل: نبات الأسنان والشعر قاله قتادة. وقيل ذكراً أو أنثى قاله الحسن. وقيل غير ذلك ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْكَافِرِينَ﴾ أي المصورين والمقدرين تنزه سبحانه وتعالى بعد ذكر هذه الأطوار. المعنى أن من هذه من بعض مقدوراته يستحق التنظيم والتنزيه لأن هذه التارات والتقلبات إنشاء بعد إنشاء في غاية الدلالة على كمال القدرة ووصف الألوهية ثم الإنشاء الآخر أن شق الشقوق وخرق الخروق وأخرج



العصب وجعل العروق كالأنهار الجارية وركبها على متوال غريب مع كونه خلقاً سوياً فأظهر يد القدرة والآيات الظاهرة وكمال الصنع والحكمة الباهرة وأودع فيه الروح والحركة والسكون والإدراك والتمييز ولغات الكلام والعلم والمعرفة والفهم والفظنة والفراصة وغير ذلك مما يليق بهذا النوع الإنساني الحيواني إلى غير ذلك مما يطول عده ويعسر تقديره وحده فتبارك الله أحسن الخالقين .

ولو قيل لك أخبرني عن قدر عروقت رقة وثخانة وطولاً وقصراً أو عن حقيقة بعض ما في باطنك من أي نوع كان لعجزت عن بيان ذلك ولخست، وأنت وجميع هذا النوع الإنساني نفة تراب جعله بشراً منتشرأ فتعالى الله وتبارك أن يخوض في ذاته وصفاته إلا من عدم الرشاد، وسلك سبيل الفساد والعناد، وصير نفسه أخس العباد، فمن حقق نظره واستعمل فكره وجد نفسه أجهل الجاهلين بمعظمة هذا العظيم فلا يقدره أحد قدره ولا يعرفه سواه وإن قربه وأدناه، فبجانه ما أتى عليه حق ثنائه غيره ولا وصفه بما يليق به سواه، عجز الأنبياء والمرسلون عن ذلك .

قال أجلهم قدراً وأرفعهم محلاً وأبلغهم نطقاً مع ما أعطي من جوامع الكلم: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أئبيت على نفسك» ومن تأمل كلام الله عز وجل وجده محشوراً بتزيهه تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتارة بالإشارات وتارة بما تقصر عنه العبارات وهؤلاء<sup>(١)</sup> العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين قربوا من درجة النبوة لأنهم دلوا الناس على ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ويرجع مدادهم على دم الشهداء ويستغفر لهم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء وهم أمتاء الله عز وجل في أرضه وأحدهم على الشيطان أشد من ألف عابد وقد قيل في قوله تعالى: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] أي زدني علماً بالقرآن ومعانيه وهؤلاء لهم علم لديني يرد على قلوبهم من غيب الهدى لها جولان في الملكوت فترجع إلى صاحبها بطراف الحكمة من غير أن يلقي إليها عالم علمه ومن ثمرة ذلك حصول خشية وتزايد الخوف والعمل بالإخلاص والصدق والزهد وصون النفس عن مواطن الهلكة وإلا هلك وأهلك غيره، ومثل العالم كمثل السفينة إذا انخرقت غرقت وغرق أهلها، فواجب على العالم أن يحترز لئلا يهلك ويهلك غيره فيلقي الله بذنوبه وذنوب غيره فيضاعف عليه العذاب .

(١) معطوف على الأنبياء أي عجزوا كما عجز الأنبياء عن وصف ربنا عز وجل كما ينبغي له ويليق به ولولا ما علمهم الله تعالى في دينه ما عرفوا ما عرفوا من وجه وإنما قلنا بذلك العطف لأنه لم يجز. يعلم حديث عنهم فيعلم، اه مصححه .

قال محمد بن المنكدر وهو من سادة التابعين وكانت عائشة رضي الله عنها تحبه وتكرمه وتبره: الفقيه يدخل بين الله عز وجل وبين عباده فلينظر كيف يدخل. وصدق ونصح قدس الله روحه. وهذا شأن السلف بذلوا النصيحة للإسلام والمسلمين وكانوا شديدين على من خالف ولا سيما لما ظهر أهل الزيغ وتظاهروا بالتنويه بذكر آيات المتشابه وأحاديثه بالغوا في التحذير منهم ومن مجالستهم وكانوا يقولون هم الذين عنى الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرِيضَةٌ يَتَّبِعُونَ مَا نَشَاءُ مِنْهُ مُشَوَّحِينَ﴾ [آل عمران: ٧] والآية وكذا قالت عائشة رضي الله عنها، وكانوا يقولون إذا جلس أحد للوعظ والتذكير تفقدوا منه أموراً ولا تغتروا بكل واعظ فإن الواعظ إذا لم يكن صادقاً ناصحاً سليم السريرة من الطمع والهوى هلك وأهلك، وذكروا أشياء ببعضها تنطفئ نار الشبه التي بها يمويه أهل الزيغ ومن لا يقبلها فما ذلك إلا أن الله عز وجل يريد إهلاكه وحشره في زمرة السامرة واليهود والزنادقة ومن يرد الله عز وجل إضلاله فلا هادي له ﴿وَاللَّهُ يَمُكِّمُ لِمَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٤١] ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] قسم الخلق إلى شقي وسعيد، فهو الفعال لما يريد، فمن اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى، ومن ابتغى هوى نفسه الأتامة وأهل الزيغ والضلالة وحاد عن سبيل من بهم يقتدي هلك في المرقى.

ولنرجع إلى قول السلف رضي الله عنهم: إذا جلس شخص للوعظ فتفقدوا منه أموراً إن كانت فيه وإلا فاهربوا منه وإياكم والجلوس إليه وإلا هلكتم من حيث طلبتم النجاة. قالوا ذلك حين ظهر أهل الزيغ والبدع وكثرت المقالات وذلك بعد وفاة عمر رضي الله عنه، وحديث حذيفة رضي الله عنه يدل لذلك واللفظ لمسلم قال حذيفة: (كنا عند عمر رضي الله عنه فقال أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فننة الرجل في أهله وجاره، قالوا: أجل، قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة رضي الله عنه: فأسكت القوم فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك؟ قال حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين على أبيض مثل الصفاة فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مريناً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» قال حذيفة رضي الله عنه: وحدثني أن بينك وبينها باباً مغلقاً بوشك أن يكسر، قال: قال عمر رضي الله عنه: اكسر لا أبأ لك فلو أنه فتح

لعله كان يعاد، قال: لا بل يكسر، وحدثه أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثاً ليس بالأغاليط).

قال أبو خالد: قفلت لسعيد: يا أبا مالك: ما «أسود مراداً»؟ قال: شدة البياض في السواد، قلت: فما «الكوز مجخياً»؟ قال: منكوساً، فقوله ليس بالأغاليط يعني أنه عن رسول الله ﷺ.

والفتن كل أمر كشفه الاختبار عن أمر سوء وأصله في اللغة الاختيار وشبهت بموج البحر لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدة عظمها وشيوعها، وقوله «تعرض الفتن على القلوب» أي تلتصق بعرض القلوب أي بجانبها كالحصير تلتصق بجانب النائم وتؤثر فيه لشدة التصاقها وهذا شأن المشبهة تلتصق فتنة التشبيه في قلوبهم وتؤثر وتحسن لعقولهم ذلك حتى يعتقدوا ذلك ديناً وقرباناً من الله عز وجل وما يقنع أحدهم حتى يبقى داعية وحريصاً على<sup>(١)</sup> إفتان من يقدر على إفتانه كما هو مشاهد منهم، وإلى مثل ذلك قوله: «أشربها» أي دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي حبه، فقوله: «إن بينك وبينها باباً مغلقاً» معناه أن تلك الفتن لا تفتح ولا يخرج منها شيء في حياتك، وقوله: «يوشك» هو بضم الياء وكسر الشين معناه أنه يكسر عن قرب والرجل» هو عمر وقد جاء مبيناً في الصحيح والحاصل أن الحائل بين الناس وبين الفتن هو عمر رضي الله عنه ما دام حياً فإذا مات دخلت، ومبدأ الفتن هو الذين شرقوا<sup>(٢)</sup> بالنبي ﷺ وبأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لعلهم أن الدين لا يتم إلا بهما لأن عندهم علماً بذلك وكانوا يظهرهم الإسلام ويقروون شيئاً من القرآن وكانوا يرمزون إلى التعرض بالنقص حتى في النبي ﷺ حتى أن منهم من كان يؤم الناس ولا يقرأ في الجهرية إلا بعيس لما فيها من العتاب مع النبي ﷺ لأجل ابن أم مكتوم وهم رضي الله عنه على<sup>(٣)</sup> قتاله وتظاهر شخص بسؤال ما الذاريات ذرواً فقال عمر رضي الله عنه: اللهم أمكنني منه، فمز يوماً فقيل له: هو ذا، واسم الرجل صبيخ، فشتم عمر رضي الله عنه عن ذراعيه وأوجعه جلدأ ثم قال: أرحلوه فأركبوه على

(١) يريد فتنة من يقدر على فتته أو فتن أو فتون الخ، اه مصححه.

(٢) أي غصرا به ﷺ ويصاحبه فلم يستطيعوا أن يتقدروا ما يضرهم من الكيد للإسلام في وجودهم لعلهم الخ، اه مصححه.

(٣) على موضع الباء، اه مصححه.

راحلته، فقال: طيفوا به في حيه ليعلم الناس بذلك<sup>(١)</sup> وكان رضي الله عنه شديداً في دين الله عز وجل لا تأخذه في الله لومة لائم وقد ذكرت نبذة يسيرة من سيرته في كتاب (قمع النفوس).

ولما كان أواخر القرن الأول اتسع الأمر من القصاص وتظاهر شخص يقال له المغيرة بن سعيد وكان ساحراً واشتهر بالوصاف وجمع بين الإلحاد والتنجيم ويقول إن ربه على صورة رجل على رأسه تاج وإن أعضائه على عدد حروف الهجاء ويقول ما لا ينطق به ويقول إن الأمانة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَرَضَتِ الْأَمَانَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْأَيْمَانِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] هي أن لا يمنع على الخلافة، وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] هو أبو بكر رضي الله عنه.

وقال عمر رضي الله عنه لأبي بكر أن يحملها ويمنع علياً منها وضمن عمر أنه يعين أبا بكر بشرط أن يجعل أبو بكر الخلافة له بعده فقبل أبو بكر منه وأقدا على المنع متظاهرين، ثم وصفهما بالظلم والجهل فقال: وحملها أبو بكر إنه كان ظلوماً جهولاً. وزعم أنه نزل في حق عمر رضي الله عنه: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ قَالُوا لَئِن كُنَّا أَكْثَرًا﴾ [النخسر: ١٦] الآية، وكان يقول بتكفير سائر الصحابة رضي الله عنهم إلا لمن ثبت مع علي رضي الله عنه وكان يقول إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يختلفوا في شيء من الشرائع، وكان يقول بتحريم إنكار المنكر قبل خروج الإمام، وقال لمحمد الباقر: أقر أنك تعلم الغيب حتى أجيبي لك العراق، فانتهره وطرده، وكذا فعل بجعفر الصادق ولد محمد الباقر فقال: أعوذ بالله، وكان يقول: انتظروا محمد بن عبد الله الإمام فإنه يرجع ومعه ميكائيل وجبريل يتبعانه من الركن والمقام، وكان له خباث، فلما كان في السنة التاسعة عشرة والمائة ظفر به خالد بن عبد الله القشيري فأحرقه وأحرق معه خمسة من أتباعه فهذا شأن أهل الزيغ.

واستمر الأمر على ذلك إلا أنهم سلكوا مسلك المكر والحيلة بإظهار الكبر<sup>(٢)</sup> على سماع الحديث ويكثرون من ذكر أحاديث المتشابهة ويجمعونها ويسردونها على الناس العوام ثم كثرت المقالات في زمن الإمام أحمد وكثر القصاص وتراجع هو وابن عينة وغيرهما منهم وكان الإمام أحمد يقول: كنت أود لو كان قصاصاً صادقاً نصوحاً طيب السريرة، ونبغ في زمنه محمد بن كرام السجستاني وتوافق مع الإمام أحمد

(١) وفاء بعد ذلك رضي الله عنه ولم يرجعه حتى صدقت توبته، اه مصححه.

(٢) يريد الإكباب، اه مصححه.

وأظهر حسن الطريقة حتى وثقه هو وابن عيينة، وسمع الحديث الكثير ووقف على التفسير وأظهر النقش مع العفة ولين الجانب، وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، ثم أخذ حانوتاً يبيع فيه لبناً، واتخذ قطعة فرو يجلس عليها ويعظ ويذكر ويحدث ويتخشع حتى أخذ بقلوب العوام والضعفاء من الطلبة لوعظه ويزهده حتى حصر من تبعه من الناس فإذا هم سبعون ألفاً، وكان من غلاة المشبهة وصار يلقي على العوام الآيات المتشابهة والأخبار التي ظواهرها يوافق عقول العوام وما ألفوه ففطن الحدائق من العلماء فأخذوه ووضعوه في السجن فلبث في سجن نسابور ثمان سنين ثم لم يزل أتباعه يسعون فيه حتى خرج من السجن وارتحل إلى الشام ومات بها في زعر ولم يعلم به إلا خاصة من أصحابه فحملوه ودفنوه في القدس الشريف وكان أتباعه في القدس أكثر من عشرين ألفاً على التعبد والتخشع وقد زين لهم الشيطان ما هم عليه وهم من الهالكين وهم لا يشعرون واستمر على ما هم عليه خلق شأنهم حمل الناس على ما هم عليه إلى وقتك هذا.

قال الله تعالى: ﴿أَتَمَنَّا زَيْنَ لَمْ سَوِّ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَبًا﴾ [فاطر: ٨] قال سعيد بن جبير: هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء والبدع، المعنى أنه ركض في ميادين الباطل وهو يظنها حقاً، كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول عند هذه الآية: إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها والبدعة هي استحسان ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع الظن بكونها حقاً وهؤلاء ينزع من قلوبهم نور المعرفة وسراج التوحيد من أسرارهم ووكلوا إلى ما اختاروا فضلوا وأضلوا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٨] حتى ينكشف لهم الأمر كما قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] قيل: عملوا أعمالاً ظنوا أنها في كفة الحسنات فإذا هي في كفة السيئات، وهذه الآية قيل إنها في أهل البدع يتصور<sup>(١)</sup> ويعتقد مع تمام الورع والزهد وتمام الأعمال الصالحة وفعل الطاعات والقربات ما عاقبه خسارة. ومن ذلك أن يعتقد في ذات الله وصفاته وأفعاله ما هو خلاف الحق ويعتقده على خلاف ما هو به إما برأيه ومعقوله الذي يحاكي به الخصوم وعليه يعول وبه يغتر قد زين له العدو وحلاه له حتى اعتقده ديناً ونعمة وإما أخذاً بالتقليد ممن هذه حاله، وهذا التقليد كثير في العوام لا سيما من يعضد بدعته واعتقاده بظواهر آية أو خبر وهو على وفق الطبع والعادة وقد أهلك اللعين بمثل هذا خلقاً لا يحصون حتى أنهم يعتقدون أن الحق في

(١) أي أحلهم، اه مصححه.

مثال ما هم عليه وأن غيرهم على ضلالة ومثل هؤلاء ومن اتبعوهم إذا بدأ لهم ناصية ملك الموت انكشف لهم بطلان<sup>(١)</sup> ما اعتقدوه حقاً باطلاً وجهلاً وختم لهم بالسوء وخرجت أرواحهم على ذلك وتعذر عليهم التدارك وكذا كل اعتقاد باطل، ولا يفيد زوال ذلك كثرة التعبد وشدة الزهد وكثرة الصوم والحج وغير ذلك من أنواع الطاعات والقربات لأنها تبع لأمر باطل ولا ينجو أحد إلا بالاعتقاد الحق، وقد قال تعالى: ﴿قَمَازًا بَمَدِّ النَّحْيِ إِلَّا الْكَلْبُ﴾ [يونس: ٣٢] وهذه الآية صريحة في أنه ليس بين الحق والباطل واسطة والباطل هو الذهاب عن الحق مأخوذ من ضل الطريق وهو العدول عن سمته والحق هو الصراط المستقيم الذي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وصف الله تعالى صراطه وهو دينه بالاستقامة وأمر باتباعه، والمستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه فمن اتبعه أوصله إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال سهل: الصراط المستقيم هو الاقتداء والاتباع وترك الهوى والابتداع، ثم إنه تعالى نهى عن اتباع السبل لما فيها من الحيطة عن طريق الاستقامة فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] أي تميل بكم عن طريقه التي ارتضى وبه<sup>(٢)</sup> أوصي إلى سبل الضلالات من الأهواء فتهلكوا.

قيل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما الصراط المستقيم؟ فقال: ما تركنا محمد ﷺ في أذناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواز وعن يساره جواز وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواز انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهت به إلى الجنة، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية، فأشار رضي الله عنه بالرجال الذين على الجواز إلى علماء السوء وأهل البدع، وأشار بقوله: يدعون من مر بهم، إلى الوعاظ الذين هم سبب هلاك من قعد إليهم.

ولهذا بالغ السلف رضي الله عنهم في التحذير من مجالسة كل أحد وقالوا: إذا جلس للوعظ فتفقدوا منه أموراً فإن كانت فيه فاهربوا منه وإلا هلكتم من حيث ظنتم

(١) لعل لفظ بطلان من زيادة النسخ، اه مصححه.

(٢) راعى في وصف الطريق بالتي جواز تأنيثها وراعى في رجوع الضمير إليها في به جواز تذكيره فليعلم، اه مصححه.

النجاة منها إن كان مبتدعاً فاحذروه واجتنبوه فإنه على<sup>(١)</sup> لسان الشيطان ينطق ومن نطق على لسان الشيطان فلا شك ولا ريب في إغوائه فيهلك لإنسان من حيث يظن السلامة وأيضاً ففي المشي إليه ومجالسته تعظيم له وتوقير.

روى ابن عدي من حديث عائشة رضي الله عنها من قر صاحب بدعة فقد أغان على هدم الإسلام؛ ورواه الطبراني في معجمه الأوسط ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن بشر وبهذا وغيره يجب التبري من أهل البدع والتباعد.

قال بعض السلف: (من بشر في وجه مبتدع أو صافحه فقد حلَّ عرى الإسلام عروة عروة).

وقال شخص من أهل الأهواء لأيوب السخيتاني رضي الله عنه: أكلمك كلمة؟ فقال: لا الله ولا نصف كلمة، وكان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بُعداً.

قال رضي الله عنه: كنا ندخل على أيوب السخيتاني فإذا ذكرنا له حديثاً عن رسول الله ﷺ يبكي حتى نرحمه وكان يقول: إذا بلغني موت أحد من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي، وكان يقول: والله ما صدق عبد إلا سره ألا يراه أحد<sup>(٢)</sup>.

وكان يونس بن عبيد يقول: احفظوا عني ثلاثاً مت أو عشت: لا يدخلن أحد على سلطان يعظه أو يعلمه، ولا يخلون بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يمكن سمعه من ذي هوى، وأشدّها الثالثة لما فيها من الزيف أعاذنا الله من ذلك. وكان يقول: ما يزال العبد بخير ما أبصر ما يفسد عمله. ويونس هذا تابعي من أصحاب الحسن البصري، وكان أبو عبد الله الأصهباني من عباد الله الصالحين ومن البكائين ولم يكن بأصبهان أزهده منه ولا أروع منه، قال: وقفت على علي بن ماشاذة وهو يتكلم على الناس فلما جاء الليل رأيت رب العزة في النوم فقال لي: وقفت على مبتدع وسمعت كلامه لأحرمك النظر في الدنيا، فاستيقظ وعيناه مفتوحتان لا يبصر بهما شيئاً.

(١) على بمعنى من أو الباء، اه مصححه.

(٢) أي وهو يعمل الصالحات وهو كلام جليل فليفكر فيه القارىء طويلاً لعله يتحقق به، اه مصححه.

وقال الحميدي: سمعت الفضيل يقول: من قر صاحب بدعة أورثه الله عمى قبل موته، قيل: أراد أيضاً عمى البصيرة.

واعلم أن الكلام على البدعة وأهلها فيه طول جداً وقد ذكرت جملة منه في (تنبيه السالك على مظان المهالك) ومنها: أن يكون الواعظ سيئ الطعمة فإنه إنما ينطق بالهوى لأن مثل هذا يوقع الناس في الحرام أو ربما اعتقدوا حله لأنهم يقتلون به في فعله بواسطة قوله.

ومنها: أن يكون رديء العقل فإنه يفسد بحمقه أكثر مما يصلح والأحمق هو الذي يضع الشيء في غير موضعه ويعتقد أنه يصيب. قال عيسى عليه السلام: أبرأت الأكمة والأبرص وأعياني الأحمق، فالأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له رؤية صحيحة في طريق الوصول إلى الغرض ويختار ما لا ينبغي أن يختار وهذا واجب الاجتناب بخلاف صاحب العقل الصحيح فإنه يشر حسن النظر وجودة التدبير وثقافة الرأي وإصابة الظن والتفتن لدقائق الأدلة والأعمال وخفايا النفس الأتامة وغرور الشيطان.

ومنها: أن يذكر الأدلة التي هي رجاء وتوسعة على النفوس ويسكت عن آيات الخوف والرهبة وكذا الأخبار والآثار لأنه بذلك يحل من القلوب الزواجر ويسهل ارتكاب المعاصي لا سيما إذا علم منه ارتكاب شيء ولو كان مكروهاً فإنه يوقع الناس في ورطة عظيمة.

قال: إذا عبث العلماء بالمكروه عبث العوام بالحرام وإذا عبث العلماء بالحرام كفر العوام معناه أنهم يعتقدون حله لارتكاب العلماء ذلك لأنهم القادة وعليهم المعول في التحليل والتحريم.

ومنها: أن يتعرض لآيات المتشابه وكذلك الأخبار ويجمعها ويسردها ويكرر الآية والخبر مراراً لأنه يوقع العامي فيما اعتاده وألفه فيجري صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه ويزينه الشيطان له بفروره لا سيما إن كان الواعظ ممن يظهر زهداً وورعاً وشفقة على الناس فكم من شخص حسن الظاهر خبيث الباطن جميل الظاهر قبيح السرائر والضمانر، والسلف رضي الله عنهم لهم اعتناء بشدة مجانية هذا والتباعد عنه.

ومنها: أن يكون متهماً بالرفض وسب الصحابة رضي الله عنهم وهؤلاء نبه مالك رضي الله عنه على أنهم من سلالة المنافقين وأوضح ذلك نور الله تعالى قلبه



فقال: أرادوا أن يقدحوا في النبي ﷺ بشيء فلم يجدوا مساعفاً فقدحوا في الصحابة لأن القدح في الرجل قدح في صاحبه وخليطه وهؤلاء كفار لاستحلالهم سب أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ومهم أقوام يلبسون على الناس بقراءة البخاري وغيره وهم لا يعتقدون البخاري ويسمونه فيما بينهم بالفشاري ولهم خبائث عديدة كل واحدة كفر محقق، وبقي أمور لا أطول بذكرها فمن أراد الله به خيراً حماه عن مجالسة هؤلاء لأن القلب سريع الانقلاب وقبول الرخص والشبه فإذا علقته به الشبهة والريبة فبعيد أن يرتفع عن قلبه غشاوة ما وفر فيه وأقل ما ينال القلب التردد والحيرة وذلك عين الفتنة ومراد الشيطان فإن كان الذي دخلت قلبه الشبهة عاماً والمتدع أدخلها عليه بقال الله عز وجل وقال رسول الله ﷺ فبعيد أن يرجع ويتشع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة لتحكم الشبهة بالدليل وهذا من الهالكين إلا أن يتداركه الله برحمته لأن عمدة الناس الكتاب والسنة والهلكة الجهلة يفهمونها على غير المراد منها على الوجه المرضي فمن حق العبد الطالب للنجاة حراسة قلبه وسمعه عن خزايا خزعبلات المتدعة وتزويق كلامهم وأن لا يفتن بتقشفهم وكثرة تعبدهم وزهدهم ووصفهم لأنفسهم فإن ذلك من أقوى حبالهم التي يصطادون بها وبها تشرب القلوب لبدعتهم لا سيما من قلبه مشغوف بحب الدنيا إذا رئي زاهداً فيها مع إكبابه على الكتاب والسنة مع الورع والزهد والعفة والقناعة فلا شك ولا ريب أنه يرغب فيه غاية الرغبة ويميل إليه غاية الميل ولا يصد عنه صاد كما هو مشاهد من العوام ومحببتهم ورغبتهم لمن هو بهذه المثابة فتنبه لذلك فقد أوضحت طريق السلامة والتباعد عن مظان الهلكة فكم من شخص قصده صالح قد هلك بمثل هؤلاء إخوان الشياطين وهو لا يشعر وعليك بالاعتناء بالأطباء أعني أطباء القلوب وهم الأنبياء عليهم السلام لأنهم العالمون بأسباب الحياة الأخروية ثم أتباعهم الذين أخذوا عنهم وشاهدوا منهم ما لم يشاهده غيرهم. شعر:

من كان يرغب في النجاة فما له	غير اتباع المصطفى فيما بدا
فاتبع كتاب الله والسنن التي	صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى
قالدين ما قال النبي وصحبه	فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

فبحان الحليم الودود، الممهل الكريم العميم الجود، العالم بخفايا الضمائر وديبب النملة على الصخرة في الليالي السود، ويرى جريان الماء في العود، القادر فكل ما سواه بقدرته موجود، نزه نفسه بنفسه لعجز خلقه عن ذلك، فتعالى عن

الأشكال والأمثال والجهات والحدود، صفاته قديمة ثابتة بالنقل والعقل فمن عطل وقع في الجحود، وتنزيهه عن النقائص والأشياء محقق ومعلوم والتشبيه مذهب السامرة واليهود، وكف الكف مثلولة بل مقطوعة وياب التشبيه مردود ومسدود، فمن فتحه هجمت عليه نار الوعيد فأهلكته كما هلك فرعون ونمرود، وأصحاب الأخدود وعاد وثمود، فسأل الله العافية من الفتن ومن أسبابها ومن النار ذات الوقود، وتوسل إليك بسيد الأولين والآخرين محمد كما توسل به أبو البشر فقبلته فهو أحمد المحمود، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، فهو أعظم الوسائل ولا يخيب من توسل به ولو كان من أهل الجحود.

قال الله تعالى: ﴿رَصَّانُوا﴾ [البقرة: ٦١] أي اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥] أي بعث محمد ﷺ ﴿بِتَنْبِيْهِمْ﴾ [البقرة: ٨٩] أي يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] وهم مشركو العرب كانوا يقولون إذا حزيهم أمر أو دهمهم عدو اللهم انصرنا بجاه النبي المبعوث آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم كغطفان وغيرها من المشركين قد أظلل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلناه فتقتلكم معه قتل عاد وثمود.

فانظر أرشدك الله إلى قدره ودنو منزلته عند ربه كيف قبل عز وجل التوسل به من اليهود مع علمه سبحانه بأنهم يكفرون به ولا يوقرونه ولا يعظمونه بل يؤذونه ولا يتبعون النور الذي أنزل معه فمن منع التوسل به فقد نادى على نفسه وأعلم الناس بأنه أسوأ حالاً من اليهود. شعر:

أنت الملاذ لنا وأنت المرتجى	وبك اللباز وأنت ملجأ من لجا
يا سيد الكونين يا من قد سما	معراجة فوق السماء وعرجا
يا سيد الثقلين والحكم الهدى	والمقصد الأسنى لأبواب الرجا
يا سيدا من أم باب مقامه	ألفاه خير مقام سؤل يرتجى
يا سيدا ما أمه من ضامه	ربب الزمان بخطبه الأنجا
يا سيدا جعل الإله وجوده	للعالمين المرتجى والملتجى
يا خاتم الرسل الكرام ومن به	رب البرية كل هم فرجا

غيره:

وكن مستجيراً بالذي نال رفعة إلى عزها ذل الملوك الأكاسر

عظيم له تعزي العلى والمفاخر	نبي له جاه عريض ومنصب
فصيح مليح كامل الحسن باهر	جليل جميل راحم متعطف
لقد نلت فخراً ما لأذناه آخر	ألا يا رسول الله يا غاية المعنى
هنيئاً لنفس في هواك تتاجر	أي أمة الأنبياء يا جوهر الورى
وقد سعدت يا درها والجواهر	لقد ربحت في بيعها وتنعمت
أغشني أجرني يوم تبلى السرائر	حبيبي رسول الله كن لي شافعاً
إذا نصب الميزان والعقل طائر	بجاهك آمال الضعيف تعلقت
حليم كريم غافر الذنب سائر	فكن شافعي عند الإله فإنه
واني عن الفعل الحميد لقاصر	مضى العمر في لهو وزهو وغفلة
فأنت جميل العفو للكسر جابر	فيا رب داركنا بعفو ورحمة
ومن بعفو منك فالعفو غامر	وخذ بنواصينا وطهر قلوبنا
بدا الشمس والأقمار والنجم زاهر	وصل على البدر الذي من جبينه

نجزت هذه الأحرف المباركات على قارئها ومستمعها المتأسين بأهل الحق التابعين للصفوة من أولي المعجزات المتزهين لرب العالمين والمعظمين لسيد الأولين والآخريين وسائر الأنبياء والمرسلين وسرج هذه الأمة من بعدهم كالصديقين وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكنت قد عزمت على أن أقصر على ذلك لأن في بعض ما ذكرته وقاية من العقاب والمهالك ثم قيل لي وكرر علي أن أهل التشبيه والتجسيم والمزدرين بسيد الأولين والآخريين تبعاً لسلالة القردة والخنازير لهم وجود وفيهم كثرة وقد أخذوا بعقول كثير من الناس لما يزينون لهم من الاطراء على قدوتهم ويزخرفون لهم بالأقوال والأفعال ويموهون لهم بإظهار التنسك والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحج والتلاوة وغير ذلك مما يحسن في قلوب كثير من الرجال لا سيما العوام المائلين مع كل ريح أتباع الدجال فانقادوا لهم بسبب ذلك وأوقعوهم في أسر المهالك فرأيت بسبب هذه المكائد والخزعبلات أن أتعرض لسوء عقيدتهم قمعاً لهذا الزائغ عن طريق أهل الحق وهم الأئمة الأربعة المقتدى بهم والمعول عليهم في جميع الأعصار والأقطار لأنهم النجوم الذين بهم يهتدى وقد بالغ جمع من الأخيار من المتعبدین وغيرهم من العلماء أهل مكة وغيرها أن أذكر ما وقع لهذا الرجل من الحيدة عن طريق هذه الأئمة ولو كان أحرفاً يسيرة إما بالتصريح أو بالتلويح مشيرة

فاستخرت الله عزَّ وجل في ذلك مدةً مديدةً ثم قلت: لا أبا لك، وتأملت ما حصل وحدث بسببه من الإغواء والمهالك فلم يسعني عند ذلك أن أكتب ما علمت، وإلا ألجمت بلجام من نار ومقت وها أنا أذكر الرجل وأشير باسمه الذي شاع وذاع، واتسع به الباع، وسار بل طار في أهل القرى والأمصار، وأذكر بعض ما انطوى باطنه الخبيث عليه وما عول في الإفساد بالتصريح أو الإشارة إليه ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودونه في كتبه المختصرات لطال جداً فضلاً عن المبسوطات وله مصنفات آخر لا يمكن أن يطلع عليها إلا من تحقَّق أنه على عقيدته الخبيثة ولو عصر هو وأتباعه بالعاصرات لما فيها من الزيغ والقبايح النحسات.

قال بعض العلماء من الحنابلة في الجامع الأموي في ملأ من الناس: لو اطلع الحصني على ما اطلعنا عليه من كلامه لأخرجه من قبره وأحرقه، وأكد هؤلاء أن أتعرض لبعض ما وقفت عليه وما أفتى به مخالفاً لجميع المذاهب وما خطيء فيه وما انتقد عليه وأذكر بعض ما اتفق له من المجالس والمناظرات وما جاءت به المراسيم العاليات وأتعرض لبعض ما سلكه من المكائد التي ظن بسببها أنه يخلص من ضرب السياط والحبوس وغير ذلك من الإهانات وهيهات فأول شيء سلكه من المكر والخديعة أن انتمى إلى مذهب الإمام أحمد وشرع يطلب العلم ويتعبد فمالت إليه قلوب المشايخ فشرعوا في إكرامه والتوسعة عليه فأظهر التعفف فزادوا في الغربة فيه والوقوع عليه ثم شرع ينظر في كلام العلماء ويعلق في مسوداته حتى ظن أنه صار له قوة في التصنيف والمناظرة وأخذ يدون ويذكر أنه جاءه استفتاء من بلد كذا وليس لذلك حقيقة فيكتب عليها صورة الجواب ويذكر ما لا يتقد عليه وفي بعضها ما يمكن أن يتقد إلا أنه يشير إليه على وجه التلبيس بحيث لا يقف على مراده إلا حاذق عالم متفتن فإذا ناظر أمكنه أن يقطع من ناظره إلا ذلك المتفتن الفطن ثم مع ذلك شرع يتلقى الناس بالإنس ووسط الوجه ولين الكلام ويذكر أشياء تحلر للنفس لا سيما الألفاظ العذبة مع اشتغالها على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فطلبوا منه أن يذكر الناس ففعل فطار ذكره بالعلم والتعبد والتعفف ففرغ الناس إليه بالأسئلة فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة قال له عاودني فيها فإذا جاءه قال هذه مسألة مشكلة ولكن لك عندي مخرج أقوله لك بشرط فأني أتقلدها في عنقي فيقول أنا أوفي لك فيقول إن تكتم علي فيعطيه العهود والمواثيق على ذلك فيفتيه بما فيه فرجه حتى صار له بذلك أتباع كثيرة يقومون بنصرته أن لو عرض له عارض ثم إنه علم أن ذلك لا يخلصه

فكان إذا كان في بعض المجالس قال إنا لله وإنا إليه راجعون قد انفتحت فتوق من أنواع المفساد يبعد ارتاقها ولو كان لي حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً وفلاناً محتسباً وفلاناً دويداراً وفلاناً أمير البلد فيسمع أولئك وفي قلوبهم من تلك المناصب فكانوا يقومون في نصرته. ثم اعلم أن مثل هؤلاء قد لا يقدرّون على مقاومة العلماء إذا قاموا في نحره فجعل له مخلصاً منهم بأن ينظر إلى من الأمر إليه في ذلك المجلس فيقول له ما عقيدة إمامك فإذا قال كذا وكذا قال أشهد أنها حق وأنا مخطيء وأشهدوا أنني على عقيدة إمامك، وهذا كان سبب عدم إراقة دمه، فإذا انفضّ المجلس أشاع أتباعه أن الحق في جهته ومعهم وأنه قطع الجميع، ألا ترون كيف خرج سالماً حتى حصل بسبب ذلك افتتان خلق كثير لا سيما من العوام، فلما تكرّر ذلك منه علموا أنه إنما يفعل ذلك خديعة ومكرراً فكانوا مع قوله ذلك يسجنونه ولم يزل ينتقل من سجن إلى سجن حتى أهلكه الله عز وجل في سجن الزندقة والكفر ومن قواعد المقررة عنده وجرى عليها أتباعه التوقي بكل ممكن حقاً كان أو باطلاً ولو بالإيمان الفاجرة سواء كانت بالله عز وجل أو بغيره وأما الحلف بالطلاق فإنه لا يوقمه البتة ولا يحثه سواء كان بالتصريح أو الكناية أو التعليق أو التنجيز وهذا مذهب فرقة الشيعة فإنهم لا يرونه شيئاً وإشاعته هو وأتباعه أن الطلاق الثلاث واحدة خزعبلات ومكر وإلا فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به ولو أتى به في اليوم مائة مرة على أي وجه سواء كان حثاً أو منعاً أو تحقيق خير فاعرف ذلك، وأن مسألة الثلاث إنما يذكرونها تستراً وخديعة وقد وقفت على مصنف له في ذلك<sup>(١)</sup> وكان عند شخص شريف زيني وكان يرد الزوجة إلى زوجها في كل واقعة بخمسة دراهم وإنما أطلعني عليه لأنه ظن أنني منهم فقلت له: يا هذا أتترك قول الإمام أحمد وقول بقية الأئمة بقول ابن تيمية فقال: أشهد علي أنني تبت وظهر لي أنه كذب في ذلك ولكن جرى على قاعدتهم في التستر والتقية فنسأل الله العافية من المخادعة فإنها صفة أهل الدرك الأسفل<sup>(٢)</sup> ثم اعلم قبل الخوض في ذكر بعض ما وقع منه وانتقد عليه أنه يذكر في بعض مصنفاته كلام رجل من أهل الحق ويدس في غرضه شيئاً من معتقده الفاسد فيجري عليه الضي بمعرفة كلام أهل الحق فيهلك وقد هلك بسبب ذلك خلق كثير وأعمق من ذلك أنه يذكر أن ذلك

(١) هذا شيء مدعش جداً ولولا أن الذي يحكيه الإمام الحصري المعروف بشحه على دينه ما وجد ما يحكيه إلى القلوب سيلاً، اهـ مصححه.

(٢) لا يتردد عاقل في أن ما سبّحكيه الإمام الحصري بعد فعل دجاجلة لا علماء فليقرأه العاقل وليعجب كيف يكون من هذه بلاياهم أئمة في دين الله، اهـ مصححه.

الرجل ذكر ذلك في الكتاب الفلاني وليس لذلك الكتاب حقيقة وإنما قصده بذلك انفضاض المجلس ويؤكد قوله بأن يقول ما يبعد أن هذا الكتاب عند فلان ويسمي شخصاً بعيد المسافة كل ذلك خديعة ومكر وتلبيس لأجل خلاص نفسه ﴿وَلَا يَجِيئُ الْكُفْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [قاطر: ٤٤] ولهذا لم يزل فيهم التعازير والضرب بالسياط والحبوس وقطع الأعتاق مع نكتهم ما يعتقدونه والمبالغة في التكتم حتى إنهم لا ينطقون بشيء من عقائدهم الخبيثة إلا في الأماكن الخفية بعد التحرز وغلقت الأبواب والنظر بما هم عليه بالمخافة ويقولون إن للحيطان آذاناً، ومن جملة مكرهم وتحيلهم أن الكبير منهم المشار إليه في هذه الخبائث له أتباع يظهرون له العلم والعظمة والتعبد والتعفف يخدعون بذلك أبواب الأموال لا سيما الغرباء فيدفع ذلك الغريب أو غيره إلى ذلك الشيخ شيئاً فيأبى ويظهر التعفف فيزداد ذلك الرجل حرصاً على الدفع فلا يأخذ منه إلا بعد جهد فيأخذها ذلك الخبيث ولا عليه من اطلاع الله تعالى على خبث طويته ويدفع بعضها إلى أتباعه وإلى غيرهم ويتمتع هو وخواصه بالباقي ولهم يد وقدرة على ذلك، ومن جملة مكرهم من هذا النوع أن يكسو عشرة مساكن قمصاناً أو غيرها ثم يقولون انظروا هذا الرجل كيف يجيئه الفتح فيؤثركم بها وغيركم ويترك نفسه وعياله وأصدقائه وهكذا كان السلف ويكون قد أخذ أضعاف ما دفع وكثير من الناس في غفلة من هذا ولولا أن ذلك من جملة النصيحة لما ذكرته ولما تعرضت له وكان ما في نفسي شاغلاً عن ذلك إلا أنه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما بسبب نجدة الحروري المبتدع (لولا أن أكتم علماً لما كتبت إليه) يعني جواب ما كتب إليه بأن يعلمه مسائل والقصة مشهورة حتى في صحيح مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه غير واحد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه منهم أبو داود وكذا الترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

ثم إن كان المال المدفوع زكاة فلا تبرأ الذمة بدفعه إليهم لأنهم ليسوا من أهلها فليتنبه لذلك فإنه قد يخفي مع ظهوره وقد تشكك في ذلك وتلاعب الشيطان به فلنأخذ بجانب الاحتياط منه فإنه طريق السلامة والله أعلم.

واعلم أنني لو أردت أن أذكر ما هم عليه من التليسات والخديعة والمكر لكان لي في ذلك مزيد وكثرة، وفيما ذكرته أنموذج بينه بعضه على غيره لا بما لمن له أدنى فراسة وحسن نظر بموارد الشرع ومصادره التي أشار إليها رسول الله ﷺ وبعضها صرح به تصريحاً ظاهراً لا يخفى إلا على أكمه لا يعرف القمر.

وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».

وفي صحيح مسلم من حديث علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء وليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية».

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر: «ألا إن الفتنة هنا - ويشير إلى المشرق - من حيث يطلع قرن الشيطان» وفي رواية «إن الفتنة هنا» ثلاثاً، وفي رواية: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها فقال: «رأس الكفر هنا من حيث يطلع قرن الشيطان» وهذا المبتدع من حران الشرق بلدة لا تزال يخرج منها أهل البدع كجعده وغيره.

وفي سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري وأنس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة يحسنون القليل ويسئون الفعل يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء من قتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله وما سيماهم؟ قال: «التحليق والتسبيد فإذا رأيتموهم فأيتموهم» أي اقتلوهم، والتسبيد هو الحلق واستئصال الشعر وقيل ترك التدهن وغسل الرأس وغير ذلك، والأحاديث في ذلك كثيرة وفي واحد كفاية لمن أراد الله عز وجل به الرشد والهداية فقد أوضحهم سيد الناصحين ﷺ باعتبار أوصافهم وأماكنهم أيضاً جلياً لا خفاء فيه ولا جهالة فلا يتوقف في معرفتهم بعد ذلك إلا من أراد الله تعالى إضلاله وإذا تمهد لك هذا أيها الراغب في فكك نفسك من ربة عقائد أهل الزيغ الضالين المضلين والافتداء بأهل السلامة في الدين.

فاعلم أنني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ: المنتبج ما تشابه في الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن

أراد الله عز وجل إهلاكه فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به<sup>(١)</sup> ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره لما فيه من تكذيب رب العالمين في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين وكذا الازدراء بأصفيائه المتخبين وخلفائهم الراشدين وأتباعهم الموقفين فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين فمعه ما دُونَ في المصنفات ومنه ما جاءت به المراسيم العليات وأجمع عليه علماء عصره ممن يرجع إليهم في الأمور الملمات والقضايا المهمات وتضمنه الفتاوى الزكيات من دنس أهل الجهالات ولم يختلف عليه أحد كما اشتهر بالقراءة والمناداة على رؤوس الأشهاد في المجمع الجامعة حتى شاع وذاع واتسع به الباع حتى في الغلوات فمن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطاني<sup>(٢)</sup> ناصر الدنيا والدين محمد بن فلاوون رحمه الله تعالى وقرئ على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة، صورته:

### بِسْمِ أَقْرَبِ الْكُتُبِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نزهه عن التشبيه والنظير، وتعالى عن المثل فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] أحمده على ما ألهمنا من العمل بالسنة والكتاب، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير، وينزهه خالفه عن التحيز في جهة لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نهج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته وأمر بالتفكر في الآيات ونهى عن التفكر في ذاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الإيمان وارتفع، وشيد الله بهم من قواعد الدين الحنفي ما شرع، وأحمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع.

وبعد فإن القواعد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعية، وأركان الإيمان العلمية، ومذاهب الدين المرضية، هي الأساس الذي يبني عليه، والموتل الذي يرجع كل أحد إليه، والطريق التي من سلكها فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً، ولهذا يجب أن تتعقد أحكامها، ويؤكد دوامها، وتصان عقائد هذه الأمة عن

(١) ليأمل هذا جداً فإنه عجب، اه مصححه.

(٢) لفظ ناصر الدين صفة لموصوف محذوف قطعاً لستقيم الكلام والتقدير الصادر من السلطان ناصر الدين الخ، اه مصححه.



الاختلاف، وتزان بالرحمة والعطف والاتلاف، وتخدم ثوائر البدع، ويفرق من فرقها ما اجتمع.

وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه، ومدّ بجهله عنان كلمه، وتحدث بمسائل الذات والصفات، ونص في كلامه الفاسد على أمور منكرات، وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما اجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانهقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العوام، وخالف في ذلك فقهاء عصره، وأعلام علماء شامه ومصره، ويث به رسائله إلى كل مكان، وسمى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ولما اتصل بنا ذلك وما سلك به هو ومريدوه، من هذه المسالك الخبيثة وأظهروه، من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه، حتى اتصل بنا أنهم صرحوا في حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبيه والتجسيم فقمنا في نصرة الله مشفقين من هذا النبا العظيم، وأنكرنا هذه البدعة، وعزنا<sup>(١)</sup> أن يشيع عنن تضمنه ممالكة هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله تعالى: ﴿سَبَّحْتَ رَبَّكَ رَبِّ الْمَرْزُوقَ عَنَّا يَسْتَوْفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠] فإنه سبحانه وتعالى تنزهه في ذاته وصفاته عن العديله والنظير ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فتقدمت مراسيمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلى أبوابنا، حين ما سارت فتاويه الباطلة في شامنا ومصرنا، وصرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] ولما وصل إلينا الجمع أولوا العقد والحل، وذو التحقيق والنقل، وحضر قضاة الإسلام، وحكام الأنام، وعلماء المسلمين، وأئمة الدنيا والدين، وعقد له مجلس شرعي في ملا من الأئمة وجمع، ومن له دراية في مجال النظر ودفع، فثبت عندهم جميع ما نسب إليه، بقول من يعتمد ويعول عليه، وبمقتضى خط قلمه الدال على منكر معتقده<sup>(٢)</sup> وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته الخبيثة منكرون، وآخذوه بما شهد به قلمه تالين ﴿سَكَتَنَّهُمْ سَهْدَهُمْ وَرَسُولَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] وبلغنا أنه قد استيب مراراً فيما تقدم، وأخره الشرع الشريف لما تعرض لذلك، وأقدم، ثم عاد بعد منعه، ولم يدخل ذلك في سمعه،

(١) هذه الفقرة محرفة ومعناها ليس بظاهر والذي يظهر أن أصلها وعذنا أن يشيع عنن تضمنه ممالكة هذه السمعة، يستعيز السلطان بالله أن يشيع عنه هو تلك السمعة لأن الرجل في مملكته، اه مصححه.

(٢) ليحفظ هذا ثم ليحفظه المغرورون، اه مصححه.

بالكذب على الله تعالى أنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه أنه فوق العرش ومحتجاً بلفظ الاستواء الذي هو موضوع بالاشتراك ومن قبيل المجمل وهذا وغيره مما هو كثير في كلامه يتحقق به جهله وفساد تصوره وبلادته وكان بعضهم يسميه حاطب ليل وبعضهم يسميه الدار الهدار وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه أبو الحسن علي بن إسماعيل القنوي يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول ويخبر أنه أخذ مسألة التفرقة<sup>(١)</sup> عن شيخه الذي تلقاها عن أفراخ السامرة واليهود الذين أظهروا التشرف بالإسلام وهو<sup>(٢)</sup> من أعظم الناس عداوة للنبي ﷺ وقتل علي رضي الله عنه واحداً منهم تكلم في مجلسه كلمة فيها ازدراء بالنبي ﷺ وقد وقفت على المسألة أعني مسألة التفرقة التي أثارها اليهود ليزدروه بها ويحشوا فيها على قواعد مأخوذة من الاشتقاق وكانوا يقطعون بها الضعفاء من العلماء فتصدى لهم الجهابذة من العلماء وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل والاستعمال الشرعي والعرفي وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الأعناق ولم يبق منهم إلا الضعفاء في العلم ودامت فيهم مسألة التفرقة حتى تلقاها ابن تيمية عن شيخه وكنت أظن أنه ابتكرها واتفق الحذاق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه وكثرة خطئه وعدم إدراكه للمأخذ الدقيقة وتصورها. عرفوا ذلك منه بالمفاوضة في مجالس العلم.

ولنرجع إلى ما ذكره ابن شاکر في تاريخه ذكره في الجزء العشرين قال: وفي سنة خمس وسبعمائة في ثامن رجب عقد مجلس بالقضاة والفقهاء بحضرة نائب السلطنة بالقصر الأبلق فمثل ابن تيمية عن عقيدته فأملى شيئاً منها ثم أحضرت عقيدته الواسطية وقرئت في المجلس ووقعت بحوث كثيرة وبقيت مواضع آخرت إلى مجلس ثان ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشر رجب وحضر المجلس صفي الدين الهندي ويحشوا ثم اتفقوا على أن كمال الدين بن الزمكاني يحاقد ابن تيمية ورضوا كلهم بذلك فأفحم كمال الدين ابن تيمية وخاف ابن تيمية على نفسه فأشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعي المذهب ويعتقد ما يعتقد الإمام الشافعي فرضوا منه بذلك وانصرفوا ثم إن أصحاب ابن تيمية أظهروا أن الحق ظهر مع شيخهم وأن الحق معه فأحضروا إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني وأحضروا ابن تيمية وصفح ورسم بتعزيره فشفع فيه وكذلك فعل الحنفي باثنين من أصحاب ابن تيمية ثم قال: ولما كان

(١) ظاهر أنها الفوقية وكذا ما يأتي بعد كالسياق أو التفرقة بين حياة الرسول ومماته، اه مصححه .

(٢) ظاهر أن هذا اللفظ هم لا هو، اه مصححه .

سلخ رجب جمعوا القضاة والفقهاء وعقد مجلس بالميدان أيضاً وحضر نائب السلطنة أيضاً وتباحثوا في أمر العقيدة وسلك معهم المسلك الأول فلما كان بعد أيام ورد مرسوم السلطان صحبة بريدني من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وبابن تيمية وفي الكتاب (نمرفونا ما وقع في سنة ثمان وتسعين في عقيدة ابن تيمية) فطلبوا الناس وسألوهم عما جرى لابن تيمية في أيام نقل عنه فيها كلام قاله وأحضروا للقاضي جلال الدين القزويني العقيدة التي كانت أحضرت في زمن قاضي القضاة إمام الدين وتحدثوا مع ملك الأمراء في أن يكتب في هذا الأمر فأجاب فلما كان ثاني يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر وأخبر أن الطلب على ابن تيمية كثير وأن القاضي المالكي قائم في قضيته قياً عظيماً وأخبر بأشياء كثيرة من الحنابلة وقعت في الديار المصرية وأن بعضهم صنع فلما سمع ملك الأمراء بذلك انحلت عزائمه عن المكاتبه وسير شمس الدين بن محمد المهنتدار إلى ابن تيمية وقال له قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً وكذلك راح إلى قاضي القضاة فشرعوا في التجهيز وسافر صحبة ابن تيمية أخواه عبد الله وعبد الرحمن وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيمية وفي سابع شوال وصل البريدي إلى دمشق وأخبر بوصولهم إلى الديار المصرية وأنه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء، فتكلم الشيخ شمس الدين عدنان الشافعي وادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة، فذكر منها فصولاً فشرع ابن تيمية فحمد الله تعالى وأثنى عليه وتكلم بما يقتضي الوعظ فقبل له يا شيخ إن الذي تقوله نحن نعرفه وما لنا حاجة إلى وعظك وقد ادعى عليك بدعوى شرعية فأجب، فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنه من ذلك بل قيل له أجب فتوقف وكرر عليه القول مراراً فلم يزددهم على ذلك شيئاً وطال الأمر فعند ذلك حكم القاضي المالكي بحجسه وحبس أخويه معه فحبسوه في برج من أبراج القلعة فتردد إليه جماعة من الأمراء فسمع القاضي بذلك فاجتمع بالأمراء وقال يجب عليه التضييق إذا لم يقتل وإلا فقد وجب قتله وثبت كفره فنقلوه إلى الجب بقلعة الجبل ونقلوا أخويه معه بإهانة وفي سادس عشر ذي القعدة وصل من الديار المصرية قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وجلس يوم الجمعة في الشباك الكمالي وحضر القراء والمنشدون وأنشدت التهاني وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب السلطنة فلما كان بعد أيام عرضها عليه فرسم ملك الأمراء بقراءتها والعمل بما فيها امتثالاً للمراسيم السلطانية وكانوا قد بيتوا على الحنابلة كلهم بأن يحضروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموي بعد الصلاة وحضر القضاة كلهم بالمقصورة وحضر

معهم الأمير الكبير ركن الدين بيبرس العلاني وأحضروا تقليد القضاة نجم الدين بن صصري الذي حضر معه من مصر باستمراره على قضاء القضاة وقضاء العسكر ونظر الأوقاف وزيادة المعلوم وقرىء عقبيه الكتاب الذي وصل على يديه وفيه ما يتعلق بمخالفة ابن تيمية في عقيدته وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة والوعيد الشديد عليهم والعزل من المناصب والحبس وأخذ المال والروح لخروجهم بهذه العقيدة عن الملة المحمدية ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدم وتولى قراءته شمس الدين محمد بن شهاب الدين الموقع وبلغ عنه الناس ابن صبيح المؤذن وقرىء بعده تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مهاتين بين يدي القاضي جمال الدين المالكي بحضور باقي القضاة واعترفوا أنهم يعتقدون ما يعتقد محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وفي سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الطلاق الذي يفتي بها ابن تيمية وأمر بعقد مجلس له بدار السعادة وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء وحضر ابن تيمية وسألوه عن فتاويه في مسألة الطلاق وكونهم نهوه وما انتهى ولا قبل مرسوم السلطان ولا حكم الحكام بمنعه فأنكر فحضر خمسة نفر فذكروا عنه أنه أفتاهم بعد ذلك فأنكر وصمم على الإنكار فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنه أفتى لحاماً اسمه قمر مسلماني في بستان ابن منجا فقيل لابن تيمية اكتب بخطك أنك لا تفتي بها ولا بغيرها فكتب بخطه أنه لا يفتي بها وما كتب بغيرها، فقال القاضي نجم الدين بن صصري: حكمت بحبسك واعتقالك، فقال له: حكمتك باطل لأنك عدوي، فلم يقبل منه وأخذوه واعتقلوه في قلعة دمشق، وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء أفرج عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق وكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر ونصف وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة في السادس عشر من شعبان قدم بريدي من الديار المصرية ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية فاعتقل في قلعة دمشق وكان السبب في اعتقاله وحبسه أنه قال: (لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد وإن زيارة قبور الأنبياء لا تشد إليها الرواحل كغيرها كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبي ﷺ) ثم إن الشاميين كتبوا فتياً أيضاً في ابن تيمية لكونه أول من أحدث هذه المسألة التي لا تصدر إلا ممن في قلبه ضغينة لسيد الأولين والآخرين فكتب عليها الإمام العلامة برهان الدين الفزاري نحو أربعين سطراً بأشياء وآخر القول إنه أفتى بتكفيره ووافق على ذلك الشيخ شهاب الدين بن جهيل الشافعي وكتب تحت خطه كذلك المالكي وكذلك كتب غيرهم ووقع الاتفاق على تضليله بذلك وتبديعه وزندقته ثم أراد النائب أن يعقد لهم مجلساً

ويجمع العلماء والقضاة فرأى أن الأمر يتسع فيه الكلام ولا بد من إعلام السلطان بما وقع فأخذ الفتوى وجعلها في مطالعه وسيرها فجمع السلطان لها النضأة فلما قرئت عليهم أخذها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وكتب عليها (القائل بهذه المقالة ضال مبتدع) ووافق على ذلك الحنفي والحنبلي فصار كفره مجمعاً عليه<sup>(١)</sup> ثم كتب كتاب إلى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة في أمره، وفي يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان إلى نائب البلد وأمره أن يقرأ على السدة في يوم الجمعة فقرأه وكان قارئ الكتاب بدر الدين بن الأعززي الموقع والمبلغ ابن التجيبي المؤذن ومضمون الكتاب بعد البسملة أدام الله تعالى نعمه ونوضح لعلمه الكريم ورود مكانته التي جهزها بسبب ابن تيمية فوقنا عليها وعلما مضمونها في أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه حسب ما حكم به القضاة وأكابر العلماء وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة ورسنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء فذكروا جميعاً من غير خلف أن الذي أفتى به ابن تيمية في ذلك خطأ مردود عليه وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً وكتبوا خطوطهم بين أيدينا على ظاهر الفتوى المجهزة بنسخة ما كتبه ابن تيمية وقد جهزنا إلى الجناب العالي طي هذه المكاتبة فيقف على حكم ما كتب به القضاة الأربعة ويتقدم اعتقال المذكور في قلعة دمشق ويمنع من الفتوى مطلقاً ويمنع الناس من الاجتماع به والتردد إليه تضييقاً عليه لجراته على هذه الفتوى فيحيط به علمك الكريم ويكون اعتماده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة وأفتى به العلماء في السجن للمذكور وطول سجنه فإنه في كل وقت يحدث للناس شيئاً منكراً وزندقة يشغل خواطر الناس بها ويفسد على العوام عقولهم الضعيفة وعقلياتهم وعقائدهم فيمنع ما ذلك وتسد الذريعة منه فليكن عمله على هذا الحكم ويتقدم أمره به وإذا اعتمد الجناب الرفيع العالي هذا الاعتماد الذي رسنا به في أمر ابن تيمية فيتقدم منع من سلك مسالكه أو يفتي بهذه الفتاوى أو يحمل بها في أمر الطلاق أو هذه القضايا المستحدثة وإذا اطلع على أحد عمل بذلك أو أفتى به فيعتبر حاله فإن كان من مشايخ العلماء فيعزز تعزير مثله وإن كان من الشبان الذين يقصدون الظهور كما يقصده ابن تيمية فيؤديهم ويردعهم ردعاً بليغاً ويعتمد في أمر ما يجسم به مواد أمثاله لتستقيم أحوال الناس وتمشي على السداد ولا يعود أحد يتجاسر على الإفتاء بما يخالف الإجماع ويتدع في دين الله عز وجل

(١) لينظر هذا المغرورون، اه مصححه.

من أنواع الاقتراح ما لم يسبقه أحد إليه فالجناب العالي يعتمد هذه الأمور التي عرفناه إياها الآن وسد الذرائع فيها وقد عجلنا بهذا الكتاب وبقيّة فصول مكاتبته تصل بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وكتب في سابع عشرين رجب سنة ست وعشرين سبعمائة صورة الفتوى من المنقول من خط القضاة الأربعة بالقاهرة على ظاهر الفتوى:

الحمد لله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وأنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبي ﷺ فضيلة وستة مجمع عليها وهذا المفتي المذكور ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء ويمنع من الفتاوى الغريبة ويجلس<sup>(١)</sup> إذا لم يحتج من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وكذلك يقول محمد بن الجريري الأنصاري الحنفي: لكن يحبس الآن جزماً مطلقاً.

وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكي: ويبالغ في زجره حسبما تندفع به المفلسة وغيرها من المفاصد وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي ووجدوا صورة فتوى أخرى يقطع فيها بأن زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها وهذه الفتوى هي التي وقف عليها الحكام وشهد بذلك القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني فلما رأوا خطه عليها تحققوا فتواه فغاروا لرسول الله ﷺ غيرة عظيمة وللمسلمين الذين ندبوا إلى زيارته وللزائرين من أقطار الأرض واتفقوا على تبيده وتضليله وزيفه وأهانوه ووضعوه في السجن:

وذكر الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الذهبي بعض محتته وأن بعضها كان في سنة خمس وسبعمائة وكان سؤالهم عن عقيدته وعما ذكر في الوسطة وطلب وصورت عليه دعوى المالكي فسجن هو وأخواه بضعة عشر شهراً ثم أخرج ثم حبس في حبس الحاكم وكان مما ادعى عليه بمصر أن قال: (الرحمن استوى على العرش) حقيقة وأنه تكلم بحرف وصوت ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه<sup>(٢)</sup>.

(١) ظاهر أن اللفظ ويحبس لا يجلس، اهـ مصححه.

(٢) ليتأمل العاقل هلا ثم ليتأمله، اهـ مصححه.

وذكر أبو حيان النحوي الأندلسي في تفسيره المسمى بالنهر في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ما صورته: (وقد قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش (إن الله يجلس على الكرسي) وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ تحيل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق وكان من تحيله عليه أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه. ورأيت في بعض فتاويه أن الكرسي موضع القدمين وفي كتابه المسمى بالتدمرية ما هذا لفظه بحروفه بعد أن قرر ما يتعلق بالصفات المتعلقة بالخالق والمخلوق (ثم من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قادر لم يقل المسلمون أن ظاهر هذا غير مراد لأن المفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف نفسه أنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن ظاهره غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا) هذه عبارته بحروفها وهي صريحة في التشبيه المساوي كما أنه جعل الاستواء على العرش مثل قوله تعالى: ﴿لِنَسْرُوا عَنْ ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣] تعالى الله وتقدس عن ذلك.

وقال في الكلام على حديث النزول المشهور (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا إلى مرجة خضراء وفي رجليه نعالان من ذهب) هذه عبارته الزائفة الركيكة وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة في التشبيه حريصاً على ظاهرها واعتقادها وإبطال ما نزه الله تعالى به نفسه في أشرف كتبه وأمر به عموماً وخصوصاً وذكره إخباراً عن الملا الأعلى والكون العلوي والسفلي ومن تأمل القرآن وجده مشحوناً بذلك وهذا الخبيث لا يعرج على ما فيه التنزيه وإنما يتبع المتشابه ويمعن الكلام فيه وذلك من أقوى الأدلة على أنه من أعظم الزائغين ومن له أدنى بصيرة لا يتوقف فيما قلته إذ القرائن لها اعتبار في الكتاب والسنة وتفيد القطع وتفيد ترتب الأحكام الشرعية لا سيما في محل الشبه.

قال بعض السلف رضي الله عنهم: الإعراض عن الحق والتسخط له علامة الركود إلى الباطل وطريق الحق دقيق وبعيد، والصبر معه شديد، والعدو لا يزال عنه يحد، وأنقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق.

وقال بعض السلف: داعي الحق داعي رشد، ليس للشيطان فيه يد، ولا للنفس فيه نصيب، وداعي الباطل من نزغات الشيطان وهوى النفس ومتبعها هالك لا محالة لأنه عاص في صورة طائع، ومبعد في صورة مقرب، وصلح ونصح رضي الله عنه فقد هلك بسبب ذلك خلق لا يحصون عدداً، ولا يمكن ضبطهم حدأ.

قال العلماء: إن وسوسة التشبيه من إبليس فالرد عليه وإبطال وسوسته أن يقول في نفسه كل ما تصور في صدري فالرب بخلافه فإنه لا يتصور في صدري إلا مخلوق له كيفية ومثل والرب سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كيفية فما مثل في صدري فهو غير ربي فهو سبحانه وتعالى موحد الذات والصفات.

وسئل علي رضي الله عنه عن التوحيد والعدل فقال: (التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه).

وقال يحيى بن معاذ: (التوحيد في كلمة واحدة ما تصور في الأوهام فهو بخلافه).

وقال علي رضي الله عنه: (ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود).

وقال رضي الله عنه: (أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات المحدثة عنه فمن وصفه بحادث فقد قرنه، ومن قرنه فقد فناه<sup>(١)</sup> ومن فناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله ومن أشار إليه فقد حذّه ومن حذّه فقد عدّه).

قال المحققون: (من اعتقد في الله سبحانه وتعالى ما يليق بطبعه فهو مشبه لأنه سبحانه وتعالى منزّه عما يصفه به أو يتخيله لأن ذلك من صفات الحديث).

وسئل - أعني علياً رضي الله عنه -: بم عرفت ربك؟ فقال: (عرفته بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب في بُعد بعيد في قربه فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء وأمام كل شيء ولا يقال أمامه شيء وهو في كل شيء لا كشيء في شيء فسبحان من هو هكذا وليس هكذا غيره).

وقال أيضاً رضي الله عنه: (عرفنا الله سبحانه وتعالى نفسه بلا كيف وبعث سيدنا محمداً ﷺ بتبليغ القرآن وبيان المفصلات للإسلام والإيمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقته بما جاء به).

وقال الإمام الحافظ محمد بن علي الترمذي صاحب التصانيف المشهورة: (من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل).

قال جعفر في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] (هو الذي لم يعط لأحد من معرفته غير الاسم والصفة) وقيل هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته

(١) قوله: فناه هي فناه، اه مصححه.



وصفاته إلا هو وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُكْرَهُمْ وَيَعْلَمُ أَهْلِي بُيُوتِهِمْ﴾ [الإخلاص: ٢] قيل هو الذي أيست العقول من أن تطلع عليه أو تدرك ما وصف به نفسه ونسب إليه، وقيل هو السيد الذي لا نهاية لسؤده وقيل هو المصمود إليه في الحوائج وقيل هو الذي لا يستغني عنه شيء من الأشياء.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: معناه الذي لا جوف له وقيل غير ذلك، وقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَيَكِدْ وَيَكِدْ﴾ [الإخلاص: ٣] نفي الجنسية والبعضية، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كَفَوْا أَحَدًا﴾ [الإخلاص: ٤] نفي الشريك والنظير فهو الذي لا نظير له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله فتعالى أن تدركه الأرواح والعقول والعلوم بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقولة ولا موهومة كيف يكون ذلك وهو قديم الذات والصفات والتخيل إنما يكون في المحدثات.

وسئل الإمام العلامة أبو الحسن الدينوري عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال: كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يشاهد ولا يعاين في الدنيا ولا نظير له ولا مثل هذا من جهل الجاهلين بالآيات التي قلبوا بها حقائق الأمور فجعلوا الآيات صفات ومعنى الآيات العلامات، وهو كلام إمام محقق وقد زل خلق كثير بمثل ذلك، فسبحان الأحدي الذات العلي الصفات المنزهة عن الآلات، المقدس عن الكيفيات، المنزهة عن مشابهة المخلوقات، تعالى عما يقوله من الإلحاقات، كيف يقاس القادر بالمقدورات والصانع بالمصنوعات، وهي من آياته البيئات الظاهرات، رفع السماوات وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد الراسيات، وأتحفها بالمزن الماطرات، فزهت بأنواع النباتات المختلفة، كذلك يحيي الموتى.

﴿أَنْظَرُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا﴾ [الحديد: ١٧] قال: أرباب البصائر وذوو التحقيقات: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم من جهة المعنى ولا لصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذي ليس كمثل شيء صفة حديثة وأن التكرار من حدوث الصفة جلّ ربنا أن يحدث له صفة أو اسم إذ لم يزل بجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك وكل أمور التوحيد والتفريد خرجت<sup>(١)</sup> من هذه الكلمة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لأنه ما عبر عن الحقيقة بشيء إلا والعلة مصحوبة والعبارة منقوضة لأن الحق لا ينبعث<sup>(٢)</sup> إقداره إلا على إقراره لأن كل

(١) أي ظهرت للمؤمنين وفهموها من هذه الكلمة، اه مصححه.

(٢) قوله: لا ينبعث هو لا تمتع الخ بدليل قوله بعد ذلك: لأن كل ناعت الخ، اه مصححه.

ناعت مشرف على المنعوت وجلّ ربنا أن يشرف عليه مخلوق. احتجب عن خلقه بخلقه ثم عرفهم صنعه بصنعه وساقهم إلى أمره بأمره فلا يمكن الأوهام أن تناله ولا العقول أن تختاله<sup>(١)</sup> ولا الأبصار أن تمثله، ولا الأسماع أن تستمله<sup>(٢)</sup>، ولا الأمانى أن تمتحنه، هو الذي لا قبل له ولا مقصر<sup>(٣)</sup> عنه ولا معدل، ولا غاية وراءه ولا مثل، ليس له أمد ولا نهاية ولا غاية ولا ميقات ولا انقضاء، ولا يستره حجاب، ولا يقله مكان ولا يحويه هواء، ولا يحتاطه<sup>(٤)</sup> فضاء، ولا يتضمنه خلاء.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] قال ابن عباس رضي الله عنهما: (معنى الآية ليس له نظير) وقيل الكاف صلة أعني زائدة فالمعنى ليس مثله شيء وقيل الممثل صلة فالمعنى ليس كهو شيء فأدخل الممثل للتأكيد فمن الجهل البين أن يطلب العبد درك ما لا يدرك وأن يتصور ما لا يتصور كيف وقد نزه نفسه بنفسه عن أن يدرك بالحواس، أو يتصور بالعقل الحادث والقياس، فلا يدركه العقل الصحيح من جهة التمثيل، ويدركه من جهة الدليل، فكل ما يتوهمه العقل فهو جسم ولا<sup>(٥)</sup> نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة ومن الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث تعالى الله عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان المحدثين وهو الأول قبل سوابق العدم، الأبدى بعد لواحق القدم، ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، جلت الذات القديمة الواجبة الوجود التي لم تسبق بقدم<sup>(٦)</sup> أن تكون كالصفة الحديثة.

قال تعالى: ﴿أَوَّلًا بَدَأَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِكَ شَيْئًا﴾ [مریم: ٦٧] فهو سبحانه وتعالى احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الإدراك والأبصار فعجز الخلق عن الدرك والدرك عن الاستنباط وانتهى المخلوق إلى مثله وأسنده الطلب إلى شكله.

(١) يريد أن تخيله، اه مصححه.

(٢) لعلها تشمله أي هو ليس من جنس الأصوات فتسمعه الأسماع، اه مصححه.

(٣) لعلها مفر، اه مصححه.

(٤) لعل الأصل ولا يحيط به الخ، اه مصححه.

(٥) قوله: ولا نهاية صوابه وله نهاية الخ كما هو ظاهر، اه مصححه.

(٦) قوله بقدم هو بدم كما هو واضح، اه مصححه.

قال الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك، وقال رضي الله عنه: سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته فهو سبحانه عليم قدير سميع بصير لا يوصف علمه وقدرته وسمعه وبصره بما يوصف به المخلوق ولا حقيقته وكذلك علوه واستواؤه إذ الصفة تتبع الموصوف فإذا كانت حقيقة الموصوف ليست من جنس حقائق سائر الموصوفات فكذلك حقيقة صفاته فأجهل الناس وأحمقهم وأجدهم للحق من يشبه من ليس كمثل شيء بالمخلوق المصنوع في شيء من صفاته وأفعاله وذاته ﴿سُبْحٰنَكَ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ عَلَوْكَ كِبَرًا ۝﴾ [الإسراء: ٤٣] لأنه سبحانه وتعالى وصفاته مصون عن الظنون الكاذبة والأوهام السخيفة وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] أي ما وصفوه حق وصفه وقيل ما عظموه حق عظمتهم وقيل ما عرفوه حق معرفته وقيل غير ذلك.

قال بعض أهل المعاني والقلوب: لا يعرف قدر الحق إلا الحق وكيف يقدر أحد قدره وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسل والأولياء والصديقون، ثم قال: ومعرفة قدره أن لا تلتفت عنه إلى غيره ولا تغفل عن ذكره ولا تغتر عن طاعته إذ ذلك<sup>(١)</sup> عرفت قدر ظاهر قدره وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلا هو وصدق لأن الخلق تعجز عن تنزيهه بما يستحقه من كمال صفاته وعظم ذاته ولهذا نزه سبحانه نفسه بقوله: ﴿سُبْحٰنَكَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾ [الصفافات: ١٨٠] وفي هذا غاية الحث على كثرة التنزيه ودوامه مع أمره لأكمل خلقه في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝﴾ [الأعلى: ١] مع غير ذلك مما في أشرف الكتب مما أذكر بعضه. فقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١] أي قل سبحان ربي الأعلى والمعنى نزه اسم ربك واذكره وأنت له معظم وقيل نزه عن المعاني المفضية إلى نقصه وقيل نزه اسمه عن الكذب إذا أقسمت به وقيل لفظ اسم زائد وفي الكلام حذف المعنى نزه مسمى ربك الذي خلق فسوى أي مخلوقه بأن خلقه مستوياً بلا تفاوت فيه وفي أعضائه وغير ذلك من مخلوقاته فإن من هذا من بعض مصنوعاته يستحق التنزيه فكيف بمخلوقات آخر يعجز الخلق عن إدراكها لعظمها وكلها على اختلاف أجناسها وأنواعها كل يسبحه بلغته وبما يليق بجلاله.

قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَكَ لَكَ الْعِزَّةُ الْمَسْتُوحَةُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِكَ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَقَتْنَ كُلُّ قَدِيمٍ صَلَاتَهُمْ

(١) أي لو كنت كما ذكر تعرف قدر الخ، اه مصححه.

وَتَسْبِيحُهُ ﴿[التور: ٤١] قال مجاهد: تسبيح المخلوقات هو تنزيه خالقها وتوحيده بما يستحقه من كمال صفات عظم ذاته، قيل: يفقه تسبيحهم العلماء الربانيون الذين انفتحت أسماع بصائرهم والمنورون البصائر الذين يشاهدون كل شيء مرقوماً عليه بقلم القدرة هو الملك القدوس.

وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح حيواناً وجماداً وتسبيحها سبحانه الله وبحمده.

وروى ابن السني أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما تستقبل الشمس فيبقى شيء من خلق الله تعالى إلا سبح الله تعالى وحمده إلا ما كان من الشيطان وأغبياء بني آدم» فقيل: ما أغبياء بني آدم؟ فقال: «شرار الخلق».

وقال شبيب<sup>(١)</sup> بن حوشب: حَمَلَةُ العرش ثمانية أربعون يقولون سبحانك اللهم ويحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم ويحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣] فالملك اسم من أسمائه تعالى وكذا ملك وهو صفة مبالغة في الملك. قال تعالى: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُنْتَبِهٍ﴾ [القمر: ٥٥] فالملك هو المستغني عن كل شيء ويفتقر إليه كل شيء وناقذ حكمه في مملكته طوعاً أو كرهاً، وقيل هو القادر على الإبداع والإنشاء والإعدام وهذا على الحقيقة لا يكون إلا لله عز وجل أبداع المكونات العلويات والسفليات والجلويات والخفيات أبداعها بقدرته وربها على اختلاف أطوارها بحكمته فكل ما برز فهو مقهور الوجود بكن، وكل ما انعدم فهو مقهور العدم بكن وبهذا يعلم أن إطلاق الملك على ما سواه أمر مجازي إذ المملوك لا يكون مالكاً لأن من هو تحت قهر الأغيار فهو كالعدم ولهذا لما تحقق أرباب القلوب أن الملك لله عز وجل تحققت قلبياً سكنت أنفسهم عن وصف الإضافات وتبرؤوا من الحول والقوة حتى بالإشارات فلا يقول مني ولا لي حتى قيل لبعضهم ألك رب؟ فقال: أنا عبد وليس لي نملة ومن أنا حتى أقول لي، فهذا وأمثاله صفى نفسه عن رعونة البشرية وهواها وفك ريقة رق خيالاتها الباطلة ومناها ومحض رق العبودية لمولائها فترى المملوك الجبابرة مع جبروتهم يخضعون ويتذللون له ولهذا تنمات ليس هذا المقام مقامها إذ الغرض التنزيه.

(١) معروف هذا الاسم بشهر، اه مصححه.

والقدوس من أسمائه عز وجل سمى نفسه بذلك ليرشدك إلى تقديسه كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿سَجَّحُونَ آيَاتَ وَالنَّارَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠] وفيه الحث على دوام التقديس فالقدوس قبل هو المنزه عما لا يليق به من الأضداد والأنداد، وقبل هو المنزه والمطهر من النقائص والعيوب وهاتان غير مرضيين عند المحققين.

قال حجة الإسلام الغزالي: وهذا في حق البارئ سبحانه وتعالى يقارب ترك الأدب كما أنه ليس من الأدب أن يقال لملك ليس بحائك ولا بحجام لأن نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود وفي ذلك الإيهام نقص بل القدوس المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره وهم أو يسبق إليه فكر أو يهجس به سر أو يختلج به ضمير أو يسنح له خفي خيال وقد أجاد رضي الله عنه وههنا فائدة جلييلة للمنزه والمشبه وهي أنه ينبغي للعبد أن يجعل له حظاً وافراً من تكرير هذا الاسم والإيمان في معناه فإن كان منزهاً عطف ذلك عليه وقدس نفسه وقلبه وبدنه أما نفسه فيطهرها من الأوهام المذمومة كالغضب والحقد والحسد والغش وسوء الظن والكبر وحب الشرف والعلو وحب الدنيا ولوازمها وغير ذلك ويبدلها بالأوصاف المحمودة فيطهرها أيضاً عن العاهات والشهوات وما تدعو إليه من المستحسنتات والمالوفات إذ هي أزمة الشيطان يقود بها إلى ارتكاب الموبقات وأما القلب فيطهره بالعقد الصحيح المطابق الجازم وبالمبادرة إلى امثال الأوامر واجتناب النواهي والأهواء وتحقيق الإخلاص نية وقولاً وعملاً وبالرضى بما جرى فلا بأسف على فائت ولا يفرح بآت وذلك يرجع إلى ذوق حلاوة الإيمان القلبي لا العملي وعلامته تقديس القلب عن ملاحظة الأكوان ولا يرى الأغيار إلا على العدم الأصلي فلا يتحرك في ظاهره ولا باطنه حتى في أنفاسه إلا بالله عز وجل وأما البدن فيطهره بماء الجوع ويكفنه بدوام التقشف ويحفظه بالعزلة ويطيبه بدوام الذكر والفكر ويدفنه في لحد الخوف فإذا قدسه بذلك ذهب مغناه وبقي معناه فإذا اجتمعت له هذه التقديسات ذهبت أوصافه القواطع والموانع ولاح له خزائن أسرار الآيات في معارج ترداد الآيات فأثمر له ذلك كشف أسرار الملكوتيات فيثمر له ذلك الشوق إلى رؤية مطلوبه فلا شيء أشهى إليه من الموت لأنه لا سبيل إلى الوصول إلى محبوبه إلا به فمن أراد أن يجلسه في حضرة القدس على منابر التقديس فليجبر على هذا التأسيس.

ومر إبراهيم بن أدهم قدس الله روحه بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد تقياً فنظر إليه وقال: بأي لسان أصابته هذه الآفة وطهر فمه ومضى فلما أفاق السكران أخبر بما فعله به إبراهيم فخجل وتاب وحسنت توبته فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول غسلت لأجلنا فمه فلا جرم أنا طهرنا لأجلك قلبه.

وأما المشبه والمجسم فلأنه بتكرار هذا الاسم يتعقل معناه فيضيه له نوره فينكشف له حجاب الضلال فإذا حقق المعنى المراد منه ظهر له نوره فأحرق حجاب الضلال فصفى قلبه للحق وزاح الباطل وقد وقع ذلك لبعض الغلاة في التشبيه والتجسيم مَرَّ يوماً على هذه الآية ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣] فكرر هذا الاسم وتعقل معناه فقال: والله إنا لفي ضلال ميين بين فيادر في الحال وأتى بالشهادتين وقال: والله لا يخلصني إلا استئناف العمل. فانظر أرشدك الله تعالى إلى بركة تكرير هذا الاسم العظيم في حق أهل التنزيه والتشبيه والله أعلم.

ثم تمام التقديس لا يحصل إلا بالتمكن بعد كمال التوحيد وحقيقة التوحيد تكون باعتبار الذات وباعتبار الفعل فتوحيد الذات ينفي الحدوث وثبوت الأحديّة ينفي الأضداد وثبوت الذات ينفي التشبيه ويحير العقل في بحر الإدراك وأما توحيد الأفعال فهو شهود القدرة في المقدور ثم الاستغراق في أنوار العظمة فيغيب بذلك عن الموجودات وتبقي القدرة بارزة بأسرار التوحيد ثم الاستغراق في أنوار المحو فيغيب عن رؤية القدرة بالقادر.

ومن مقدوراته جلّ وعلا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبي: ٣٨] قال أبو الفرج بن الجوزي: روي عن علي رضي الله عنه في تفسيرها أن الروح ملك عظيم له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله عز وجل من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الروح ملك عظيم أعظم من السماوات والأرضين والجبال والملائكة يسبح كل يوم ألف تسبيحة يخلق الله سبحانه وتعالى من كل تسبيحة ملكاً يجيء يوم القيامة صفاً والملائكة بأسرهم يجيئون صفاً.

قال ابن عباس: وهو الذي ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة ويده لواء طوله ألف عام فيغزوه في ظهر الكعبة ولو أذن الله عز وجل له أن يلتقم السماوات والأرض لفعل وقيل الروح هنا جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل هو ملك ما خلق الله بعد العرش خلقاً أعظم منه وقيل غير ذلك.

روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «رأيت على كل ورقة من السدرة ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل» ومراده سدرة المنتهى، سميت بذلك لأنها لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم ولا يعلم ما وراءها إلا الله عز وجل وهي شجرة نبق على يمين

العرش عندها جنة المأوى يأوي إليها الملائكة عليهم السلام وقيل أرواح الشهداء وقيل أرواح المتقين.

وقال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ أَنْتُمْ رَبُّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرُّحْمٰن: ٧٨] معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ جَلَّ وَعَظَمَ ومعنى ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ المستحق للرفعة وصفات التعالي ونعمت الكمال جَلَّ أَنْ يَعْرِفَ جَلَالَهُ غَيْرُهُ تَنَزَّهُ وَعَظَمَ شَأْنَهُ عَمَّا يَقُولُ فِيهِ الْمَبْطُلُونَ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَشْتِي عَلَيْهِ بِقَدْرَتِهِ وَكُلُّ ذَاكِرٍ يَذْكُرُهُ عَلَى فِئْرِ طَاقَتِهِ وَطَبْعِهِ وَعِلْمِهِ وَفَهْمِهِ، وَالْحَقُّ جَلَّ جَلَالَهُ ذَكَرَهُ خَارِجًا عَنِ أَوْهَامِ الْآدَمِيِّينَ لِأَنَّ الْحَادِثَ نَاقِصٌ بِفَهْمِ الْإِبْجَادِ وَالْفَنَاءِ وَالْمَعَارِفِ<sup>(١)</sup> دُونَ الْغَايَاتِ الْجَلَالِيَةِ فَسَبَّحَانَهُ مَا أَثْنَى عَلَيْهِ حَقَّ ثَنَانِهِ غَيْرُهُ وَلَا وَصَفَهُ بِمَا يَلِيْقُ بِهِ سِوَاهُ عَجَزَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلَ بِأَجْمَعِهِمْ عَنِ ذَلِكَ قَالَ: أَجْلَهُمْ قَدْرًا وَأَرْفَعَهُمْ مَحَلًّا وَأَبْلَغَهُمْ نَقْطًا مَعَ مَا أُعْطِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ لَا أَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ وَأَمَّا<sup>(٢)</sup> الْإِكْرَامُ فَمَعْنَاهُ ذُو الْإِنْعَامِ وَالْمَنْعَى عَلَى الْعَامِ وَالْخَاصِّ وَالطَّائِعِ وَالْعَاصِي، وَوَصَفَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى نَفْسَهُ بِالكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [الْإِنْفِطَار: ٦] قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ قِيلَ لِي مَا عَرَفْتُكَ بِي لَقُلْتُ جَهْلِي بِكَ غُرْبِي، وَالكَرِيمُ هُوَ الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَا، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ زَادَ عَلَى مَتْنَيْهِ الرَّجَاءَ وَلَا يَبَالِي لِمَنْ<sup>(٣)</sup> أُعْطِيَ وَكَمْ أُعْطِيَ وَلَا يَضِيعُ مِنْ لَازِئِهِ وَالتَّجَا، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يَغْنِي السَّائِلَ عَنِ الْوَسَائِلِ وَالشَّفْعَاءَ وَإِذَا رَفَعَتْ الْحَاجَّةُ إِلَى غَيْرِهِ لَا يَرْضَى، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي إِذَا أَبْصَرَ خِلَافَ جِبْرِهِ وَمَا أَظْهَرَهُ وَإِذَا أَوْلَى فَضْلًا أَجْزَلَهُ ثُمَّ سَتَرَهُ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَمَنْ تَأَمَّلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَجَدَهُ مَشْحُونًا بِالتَّقْدِيسِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَنَاطِقًا بِإِضْلَالِ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالتَّجْسِيمِ وَالحَيْدَةِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَطَرِيقَةِ السَّلَامَةِ فِي ذَلِكَ أَنْ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فَلْيَقِلْ كَمَا أَخْبَرَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَمُدْحِهِمْ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ يَتَّبِعُونَ أَمَّا لَهُمْ كَلِمٌ تَقِينٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧] وَيَقُولُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ: «وَمَا جَهَلْتُمْ مِنْهُ فَكُلُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ» خَرَجَهُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَيَقُولُ كَمَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ

(١) لم يظهر لي في هذه العبارة معنى فلتحرر، اه مصححه.

(٢) ذو الإنعام ليس معنى الإكرام بل معنى ذو الإكرام فهنا لفظ ذو ساقط، اه مصححه.

(٣) لعله بما أعطى الخ، اه مصححه.

وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ والراسخ في العلم هو من طول على محل المراد منه وسئل مالك عن الراسخين في العلم فقال: العالم العامل بما علم المتبع له. وقال عمر بن عبد العزيز: انتهى علم الراسخين بتأويل القرآن إلى أن قالوا: ﴿إِنَّمَا يَدْرِكُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧] وقال بعضهم: للقرآن تأويل استأثر الله تعالى بعلمه لا يطلع عليه أحد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك، والخلق متعبدون بالإيمان به ومتعبدون بالمحكم بالإيمان به وبالعقل به وقيل غير ذلك ثم اعلم أنه حق على اللبيب المعتصم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والتمسك بالعروة الوثقى أن يثبت لله عز وجل ما نفي العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته فإن المشبهة أثبتوا لله ما لم يأذن فيه بل نهى عنه وهي زيفة سامرية ويهودية والمعطلة سلبيه ما اتصف به وسفهوه ولقد أحسن أبو الحسن الأشعري في جوابه عن التوحيد حيث قال: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات، شعر:

الله أكبر أن يكون لذاته	كيفية كذوات مخلوقاته
أو أن تقاس صفاتنا في كل ما	تأتيه من أفعالنا بصفاته
أبدأ عقول ذوي العقول بأسرها	متحيرات في دوام حياته
ليبدع صنعته عليه شواهد	تبدو على صفحات مصنوعاته

فكل ما ترى عينك الباصرة فهو دلائل ظاهرة على<sup>(١)</sup> العالم مخلوق بتقدير شامل وتدبير كامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية، ولو جمعت عقول العقلاء عقلاً واحداً ثم تفكروا بذلك العقل في جناح بعوضة حتى يجدوا تركيباً أحسن منه وأكمل لغنيت تلك العقول وانقطعت تلك الأفكار ولم تصل إلى درك ذرة من ذرات حكمته في تلك البعوضة على سبيل الكمال والتمام فما الظن بذي الجلال تياً ثم تياً لأهل الضلال والجهل وما اعتقدوه من النقص مع تنزيه البحار وشوامخ الجبال فسبحان من تسبحه البحار الطوافح والجبال الشم والسحب السوانح والأمطار الطوامح والأفكار والقرائح، تقدس عن مثل وشبيهه، وتنزه عن نقص يعتريه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور من سر أضممرته الجوانح، تعالى عن الند المماثل والضد المكارح، يفعل ما يشاء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، هلك الجاهل والمكافح، متكلم

(١) هنا لفظ أن محذوف كما هو ظاهر، اه مصححه.



بكلام<sup>(١)</sup> مسموع بالآذان<sup>(٢)</sup> بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح، أين لهوات الحصى وحلقوم الجذع وجارحتهما فما أجهلك بقوله تعالى: ﴿لَمَّا جَعَلْتَهُمْ مَائِئَاتٍ مِّبْرَةَ﴾ [الثلث: ١٣] نسب الأبصار إلى الآيات فأين الحدّث يا قامح.

ومن آياته إنزال القطر بقدرته، وصبغ ألوان النبات والثمار بحكمته مع مخالفة الطعوم بمشيته، وإرسال الرياح لواقع. موصوف بالسمع والبصر يُرى في الدجّة كما يُرى في القمر، من شبهه أو كيفه طغى وكفر. هذا مذهب أهل الحق والسنة، وإن دليلهم لجلي واضح، من شبهه أو مثل أو جسم فهو مع السامرة واليهود ومن حزبهم يوم تظهر المخبات وتبلى السرائر وتبين الفضائح، وإن قبل عنه في الدنيا إنه ولي صالح هلك الهالكون بأرائهم لأنه عمل غير صالح، وفاز المنزهون فيا لها صفقة رابح. هو الواحد المتوحد في صفاته الأزلي الجبار، العظيم العزيز القهار، تبارك وتعالى وتنزهه عن درك الخواطر والأفكار، وسم كل مخلوق بميسم الافتقار، وأظهر آثار قدرته في مخلوقاته ومن أظهرها السماوات والأرض والبراري والبحار، والأعين والأنهار، وجريانها على المدارار، وتصريف السحاب المسخّر بين السماء والأرض واختلاف الليل والنهار ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَكَيْدٌ﴾ [آل عمران: ١٣] يعلم حركات الأسرار، ودبيب النملة السوداء في الظلمة على سواد الصخور والأحجار، نوع هذا العالم الإنساني فمنهم شقي ومنهم سعيد وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وصفاته كذاته والمشبهة والمجسمة أهل زيغ وكفار، نزه نفسه بنفسه وقدسها فمن شبه أو عطل فمأواه النار، ومن أناب ورجع قبله وإن ارتكب العظام الكبار، لأنه سبحانه وتعالى عزيز غفار ستار.

ومن بديع صنعته أن خلق اليوم وليته، وقمر السماء وشمسه، وآدم عليه السلام وما مسه، علم ذلك المتزّه فنزّه قدسه، وجهله أعمى البصيرة المشبه فتصور فيه جنسه، لأنه بجهله قاس الخالق جلّ وعلا على ما ألفه وأحسه، فتراكم عليه غبار التشبيه فضاعت المحسة، وأما المعطل فيجاد صفاته فما أغباه وما أخسه، وإذا كان الأمر كذلك فادفع المعطل بيدك النقية، وألحق بالمشبه دفعه ورقسه.

(١) المراد بهذا الكلام هو القرآن لأنه الذي يسمع، اه مصححه.

(٢) قوله: بغير آلات، متعلق بتكلم فليفهم، اه مصححه.

## مبحث الرد على ابن تيمية في قوله بفتاء النار

واعلم: أنه مما انتقد عليه زعمه أن النار تفتى، وأن الله تعالى يفتيها وأنه جعل لها أمداً تنتهي إليه وتفتى، ويوزل عذابها وهو مطالب أين قال الله عز وجل وأين قال رسول الله ﷺ وصح عنه وقد سغه الله تعالى في ذكره في كتابه العزيز كما سغه في تنزيهه لنفسه وأتى بأمور إقناعية<sup>(١)</sup> صادم بها النصوص الصريحة في دوام العذاب عليهم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ ثَارًا كَمَا نُصَلِّبُ جُلُودَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] تبدل في كل ساعة مائة مرة، وقال الحسن: نأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة ﴿إِنَّكَ اللَّهُ كَأَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٥٦] أي شديد النعمة على من عصاه، وقيل العزيز الشديد القادر القوي وقيل الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر وقيل الذي لا نظير له وقيل معناه المعز فيكون فعيل بمعنى مفعول كالأليم بمعنى المولم ونحوه.

وقال أهل المعاني وأرباب القلوب: العزيز من ظلت العقول في بحار تعظيمه وحرارت الألباب دون إدراك نمته وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كماله والقيام بشكر آياته، وقوله: ﴿حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧] أي حكم على الأعداء بدوام العذاب كما حكم للأولياء بدوام النعيم فلا يعلم كنه حقيقة حكمته غيره فلا شيء من الأشياء إلا وفيه شيء من حكمته على وفقه لمناسبته ﴿سَخَّ اللَّهُ الَّذِينَ أَفْرَنَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [٨٨] وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلِّبَتْ لُهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ لَحِيمٌ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهَا مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾ وَكَمْ مَقْتَبِعٍ مِنْ حَدِيدٍ ﴿١٣﴾ كَمَا أَكَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [السخن: ١٩ - ٢٢] وقال: ﴿فَلَنْ زُرِّيْدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [التبا: ٣٠] وقال تعالى: ﴿كَلِمًا نَجَتْ زَيْنْتُهُمْ سَمِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿رُيُوسَاتٍ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ أُنْتَارٍ وَمَا هُمْ بِمَخْرُوجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّؤِيقٌ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ عَذَابُهُمَا كَأَنَّ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي مقيماً ملازماً فكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام والآيات في ذلك كثيرة جداً وأما السنة فطافحة بذلك وتدل على إخراج المؤمنين دون غيرهم حتى يخرج من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، وفي رواية منقال ذرة من خير، فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود. قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارٌ

(١) أي للعامّة البله الذين لم يخالطوا المؤمنين أما من عرف دين الله عالمًا ومخالطه فعماد الله أن يتقن بغير كلام ربه فليعلم، اهـ مصححه.

الْخَلْدِ ﴿فُضِّلَتْ: ٢٨﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَلَأَنَّ الْعَذَابَ يَدُومُ بِدَوَامِ سَبِيهِ بِلَا شَكِّ وَلَا رَيْبٍ وَهُوَ قَصْدُ الْكُفْرِ وَبِقَاءِ الْعِزْمِ عَلَيْهِ وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ لَوْ عَاشُوا أَبَدَ الْأَبَادِ لَاسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَسْتَحِقُّ الْخُلُودَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «تَبَةُ الْمُؤْمِنُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ» وَفِي مَعْنَاهُ أَقْوَالٌ أُخْرَى فَادْعَاءُ فَنَاءِ النَّارِ بَعْدَ أَمَدٍ نَزَعَةٍ يَهُودِيَّةٍ أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] الْآيَةِ، أَيَّ قَدْرًا مَقْدُورًا، ثُمَّ يَذْهَبُ عَنَّا الْعَذَابُ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ وَإِنَّمَا نَعْدَبُ بِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ يَوْمًا ثُمَّ يَنْقَطِعُ الْعَذَابُ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَقِيلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا الَّذِي عَبْدُ آبَالُونَا الْعَجَلُ فِيهَا وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّ رَبَّنَا عَتَبَ عَلَيْنَا فِي أَمْرٍ فَأَقْسَمَ لِيُعَذِّبَنَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَلَنْ تَمُنَّا النَّارَ إِلَّا تَحَلَّةَ الْقَسَمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. فَالرَّجُلُ سَاعَ خَلْفِ سَلْفِهِ كَمَا تَقْدَمُ وَكَمَا يَأْتِي.

### مبحث الرد عليه في القول بقدم العالم

ومما انتقد عليه، وهو من أقيح القبايح ما ذكره في مصنفه المسمى بحوادث لا أول لها وهذه التسمية من أقوى الأدلة على جهله فإن الحادث مسبوق بالعدم<sup>(١)</sup> والأول ليس كذلك وبنى أمره في علي اسم من أسماء الأفعال ونفى المجاز في القرآن وهو من الجهل أيضاً فإن القرآن معجز ومحشو بالمجازات والاستعارات حتى أن أول حرف فيه أحد أنواع المجاز وتضمن هذا المصنف مع صفوه شيتين عظيمين تكذيب الله عز وجل في قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ [التخديد: ٣] فجعل معه قديماً وتكذيب النبي ﷺ في قوله: «كان الله ولا شيء معه» وفي البخاري من رواية عمران بن حصين رضي الله عنه: «كان الله ولم يكن شيء قبله وليس وراء ذلك زيغ وكفر فإن الدين ما قاله عز وجل» وقاله رسوله ﷺ وقد قال: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء كان ولم يكن شيء موجوداً والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء ويبقى هو. والظاهر هو الغالب على كل شيء والباطن هو العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما، والأقوال في ذلك كثيرة، ومنها قول أبي القاسم الجنيد نفي القدم عن كل أول بأوليته ونفي البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته لظاهريته وحجب الإدراك عن إدراك كنهه وكيفيته بباطنيته. وقال أيضاً: هو الأول بشرح القلوب والآخر بغفران

(١) لعله (والذي لا أول له ليس كذلك)، اه مصححه.

الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب. وقال السيد الجليل محمد بن الفضل. الأول: بيره والآخر بعفوه والظاهر بإحسانه، والباطن بستره، ومن حق العبد أن يجعل له حظاً من هذا الخطاب فيزين ظاهره بأنواع الخدمة ويزين باطنه بأنوار الهيبة ويحقق جميع أفعاله وحركاته وسكناته وسائر طاعاته وقرباته بالصدق والإخلاص لقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وسأل عمر رضي الله عنه كعب الأحبار عن معنى هذه الآية فقال: إن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن.

ومما انتقد عليه: تكذيبه النبي ﷺ فيما أخبر به عن نبوته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال عليه الصلاة والسلام: «وآدم بين الروح والجسد» وفي رواية «وإن آدم لمنجدل في طينته وتكلم بكلام ليس فيه على العوام وغيرهم من سببي الأفهام» يقصد بذلك الازدراء برسول الله ﷺ والحط من قدره ورتبته، وما فيه رفعه يسكت عنه يفهم ذلك منه كل عالم امتلاً قلبه بعظمته ﷺ وتوقيره وبما خصه الله تعالى من مزايا المواهب الإلهية التي لم ينلها غيره.

وهذا الخبيث حريص على حط رتبته والغض منه تارة يقع ذلك منه قريباً من التصريح وتارة بالإشارة القريبة وتارة بالإشارات البعيدة التي لا يدركها إلا أهلها فمن ذلك وقد سئل على ما زعم أيما أفضل مكة أو المدينة فأجاب: مكة أفضل بالإجماع، وكتبه أحمد بن تيمية الحنبلي وعليها خطه وأنا أعرف خطه، وفي هذا الجواب دسائس وفجور ورمز بعيد فمن الفجور نسبته نفسه إلى الإمام أحمد والإمام أحمد وأتباعه برآه منه ومما هم<sup>(١)</sup> عليه وهو لا يلتفت إليه إلا إذا كان له في ذكره غرض أما إذا لم يكن فلا يلوي على قوله ويسفهه حتى فيما ينقله ويكفره فيما يعتقد أنه إذا كان على خلاف هواه.

ومن مواضع تسفيهه الإمام أحمد مسألة الطلاق، فإن الإمام أحمد قال: الذي أخبرنا بأن الطلاق واحدة أخبرنا بأن الطلاق ثلاث وعلى ذلك جرى الأئمة من جميع المذهب فإذا كان الإمام أحمد غير ثقة فبمن يوثق.

(١) هم هو، له مصححه.

وقال - أعني ابن تيمية - في الجواب عن المسألة المبسوطة والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة وبالغ في الثناء عليه فيا لله العجب من هذا الأعمى البصيرة الذي لا يحس بتناقض كلامه كيف يجمل الإمام أحمد فيما له فيه غرض أعلم الناس بالسنة ويسفهه فيما لا غرض له فيه وهذا ونحوه مما يأتي في غير الإمام أحمد من أمة الحديث يعرفك ما في قلبه من الخبث وعمي بصيرته وأنه لا عليه فيما يقوله . ومن فجوره ادعاء الإجماع على ما يقوله ويفتي به كهذه الفتوى مع شهرة الخلاف في المسألة حتى إنه مشهور في أشهر الكتب المتداولة بين الناس وهو الشفاء فإنه ذكر الخلاف بين مكة والمدينة وإن مالكا وأكثر أهل المدينة قائلون بأن المدينة أفضل من مكة وقال: أهل مكة والكوفة مكة أفضل ومحل الخلاف في غير الموضوع الذي ضم سيد الأولين والآخرين عليه السلام، وأما هو فالإجماع منعقد على أنه أفضل من مكة وسائر البقاع ومن حكى الإجماع القاضي عياض في الشفاء بعد أن حكى الخلاف في التفضيل بين مكة والمدينة فقال: ولا خلاف في أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وكذا ذكره الإمام هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان) وذكر الإمام أبو زكريا يحيى النووي في شرح مسلم ذلك فقال: قال القاضي عياض: أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض وأقره على ذلك، فسكوت الخبيث عن مثل ذلك دليل على خبث في باطنه في حق سيد الأولين والآخرين عليه السلام. وفي هذه الفتوى رمز إلى عدم الاعتداد بقول عمر رضي الله عنه فإنه رضي الله عنه من القائلين بأن المدينة أفضل من مكة ويدل على ما قلته من الرمز<sup>(١)</sup> تخطئته في الطلاق وعدم الاعتداد بذلك كما رمز إلى تكفير الصديق رضي الله عنه في قوله في بعض تصانيفه من قال الله: ورسوله في أمر يلحقه فإنه يكون مشركاً فإن الصديق رضي الله عنه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، ويؤيد ما قلته ما هو مشهور في كتبه وعند أتباعه لا ينبغي أن ينسب إلى غير الله تعالى ضرر ولا نفع ولا أنه يخني وهذا من الدسائس أيضاً فإنه يلبس به على كثير من الناس لا سيما الضعفاء في العلم وأصحاب الأذهان الجامدة فهي كلمة حق أريد بها باطل.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الثورة: ٧٤] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩] وغير ذلك فهذا نص القرآن العظيم على مثل هذا القول في

(١) هنا لفظ إلى محذوف، اهـ مصححه.

الذين يقولون إنه شرك ففي قولهم قرح في القرآن وفي رسول الله ﷺ لإقراره الصديق رضي الله عنه على هذا القول الذي هو شرك<sup>(١)</sup> وهذا منهم كفر بيقين لأنه واجب وحتم لازم على كل أحد أن يؤمن بالقرآن وبما جاء به سيد الأولين والآخرين ﷺ عن رب العالمين من غير شك ولا ارتياب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَأَلِيمُوا أَنفُسَكُمْ بِرُؤْسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٦] جمع بينهما يراو العطف للشركة ولا يجوز هذا في حق غيره عليه الصلاة والسلام ولما خطب عليه الصلاة والسلام أم سلمة رضي الله عنها فاعتذرت إليه بأعذار منها وأنا موتم مرملة في أربعة من الولد فقال لها من جملة قوله: «وأما ولدك فهم ولد أخي أبي سلمة وهم على الله وعلى رسوله» وقال: ﴿إِنَّمَا وَرِثْتُم مَّا كُنْتُمْ تُكْفُرُونَ﴾ [النساء: ٥٥] واعلم أن ما ذكرته من الرمز إلى الصديق والفاروق رضي الله عنهما وأن فيه أشعاراً بأنه رافضي هو كذلك، وفي الرد على الرافضي أنه رافضي وهذا شبه عليه الشيخ زين الدين القرشي والشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي. نعم وقفت على مصنف لطيف له ولم يتم وفيه ما يدل على ما قاله وفي هذا الكتاب رمز إلى أنه من القائلين بتناسخ الأرواح<sup>(٢)</sup> وبعض أتباعه الذين هم رسل في التبعية يقع منه<sup>(٣)</sup> ما يدل على ذلك، والله أعلم.

ومن الأمور الخبيثة التي وقفت عليها في فتاويه ما فيه أن بعض المكاسين مثاب في وظيفة المكس بل أبلغ من ذلك، وأقبض عنان الكلام فيه لما أخشى مما يترتب

(١) يعني في زعمهم، اه مصححه.

(٢) القول بتناسخ الأرواح كفر لأنه عبارة عن اعتقاد أن أرواح من يموتون تنصل بغيرهم فقد يكون روح الخراجه الذي مات اليوم روح أكبر عالم مرشد زاهد ورع بعد ذلك والعكس، وقد يتصل روح الخنزير الذي مات بمحمد الذي ولد بعد ذلك ويعكس، وقد يتصل بعد ذلك بكلب ثم يتصل بحمار ثم يتصل بشي وهكذا إلى غير نهاية، وهذا يقتضي أن لا بعث وأن لا جزاء، فإن الروح لا يقف عند حد معلوم يجازى عليه بل قد يكون بحال يقتضي العذاب ويسبح بحال يقتضي النعيم ثم بحال لا يقتضي عذاباً ولا نسيماً وهكذا، وهذا غير ما تنطق به الشرائع الإلهية كلها فهو مصادم للأنبياء ولما جاء به الأنبياء، وكيف لا يكون ما هذا حاله كفرة وهذا المنعبد لا دليل عليه من العقل مع كونه مع الشرع كما ذكرنا وذلك أن الأرواح ليست من عالم المحسوسات حتى نراها ونحكم عليها وهي لم تخبرنا عن نفسها بشيء فالجهالة بها مطلقة، اه مصححه.

(٣) أي من ذلك البعض، اه مصححه.

على التصريح من أهل المكس وتجربهم عليه وقرر ما قاله بتقرير مقبول في شق وأهمل الآخر فلما وقفت على ذلك قب بدني وهجت على الكلام في ذلك وكان شخص من الحنابلة يدعى بعلاء الدين بن اللحام البعلبكي وكان عندهم عظيماً وصتف في مذهب الإمام فأتيته وهو في حلقة في الجامع الأموي وهم يقرؤون عليه في بعض مصنفاته فسألته عن شيء يتعلق بمسألة تقرأ عليه في كتابه فما أجاب ثم أخرى فما أجاب ثم قلت: ما هذه المسألة التي ذكرها الشيخ تقي الدين بن تيمية في المكس فقال: وشرع يقرر ما قرره ابن تيمية فأخذت الشق الآخر وقررت فسكت ولم يجد جواباً فقلت: يلزم أحد شيئين إما بطلان ما قاله أو تكفيره فقال: هذه المسألة ما هي في فتاويه وأنا اختصرتها فهذه قاعدة من قواعدهم يبحثون مع الخصم فإن ظفروا به فلا كلام وإن ظفر بهم قالوا هذه ما هي في كلامه فهم خلف إمامهم في المكر والخديعة والكذب وقد خاب من افترى، والله أعلم.

ومن الأمور المنتقلة عليه: وهو من أفتح القبائح وشر الأقوال وأخسها مسألة التفرقة التي أحدثها غلاة المنافقين من اليهود وعصوا أمر النبي ﷺ واستمر عليها أتباعهم الذين يظهرون الإسلام وقلوبهم منطوية على بغض النبي ﷺ ولم يقدروا أن يتوصلوا إلى الغض منه إلا بذلك. وقد ذكر المسألة الأئمة الأعلام فاذا ذكر بعض كلامهم فيها ثم أعود إلى تميمه مستدلاً بأمور سمعية وغيرها تفيد جلالته وعظامته وحياته في قبره ﷺ وبقائه حرمة على ما كان عليه في حياته ويقطع الواقف عليها أو على بعضها بأن القائلين بالتفرقة من متغالي أهل الزيغ والزندقة وأن ابن تيمية الذي كان يوصف بأنه بحر في العلم لا يستغرب فيه ما قاله بعض الأئمة عنه من أنه زنديق مطلق وسبب قوله ذلك أنه تتبع كلامه فلم يقف له على اعتقاد حتى أنه في مواضع عديدة يكفر فرقة ويضللها وفي آخر يعتقد ما قالت أو بعضه مع أن كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم والإشارة إلى الأزراء بالنبي ﷺ والشيخين وتكفير عبد الله بن عباس رضي الله عنه وأنه من الملحدين وجعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من المجرمين وأنه ضال مبتدع، ذكر ذلك في كتاب له سماه (الصرائط المستقيم والرد على أهل الجحيم) وقد وقفت في كلامه على المواضع الذي كفر فيها الأئمة الأربعة<sup>(١)</sup>

(١) أحب أن لا يستغرب القارئ شيئاً يراه منسوباً إلى هذا الرجل بعد تصريح العلماء عنه أنه يستخف برسول الله ﷺ ويزدريه ويصغر من شأنه فإن الذي يجترئ على أسنى مقام في الوجود لا ينهيب ما دونه فليعلم، اه مصححه.

وكان بعض أتباعه يقول إنه أخرج زيف الأئمة الأربعة يريد بذلك إضلال هذه الأمة لأنها تابعة لهذه الأمة في جميع الأقطار والأمصار وليس وراء ذلك زندقة.

ونرجع إلى قول بعض الأئمة فمنهم: الإمام العلامة شيخ شيوخ وقته أبو الحسن علي القنوي قال بعد ذكره أشياء لا أطول بذكرها وفيها دلالة على أن التوسل بالنبي ﷺ في الحاجات بعد وفاته كالتوسل به في حال حياته ثم قال: وهذا وأمثاله يرد على هؤلاء المبتدعة الذين نبغوا في زماننا ومنعوا التوسل برسول الله ﷺ وقد جمع بعضهم كلاماً يتضمن نفي عمله ﷺ بعد الوفاة ونقل طائفة منهم التفرقة بين حياته وحال وفاته فقال: (والتمييز بين الحياة والوفاة كان ثابتاً عند الصحابة فلهذا استسقى أمير المؤمنين عمر بالعباس ولولا هذا التفرقة الواضح عندهم لما عدل عمر مع جلالته وكونه خليفة راشداً وكان يشار أيضاً - عن قبر رسول الله إلى غيره) ثم قال: (هذا لفظ المبتدع الجاهل التي قامت البيعة عليه بأشياء من هذا القبيل وعزر على ذلك التعزير البالغ بالضرب المبرح والحبس وغير ذلك في شهور ستة خمس وعشرين وسبعمئة بالقاهرة وهذا الكلام من التفرقة بين الحالتين والاستناد فيه إلى استسقاء عمر بالعباس ليس له وإنما هو لشيخه فإنه لما أظهر القول بنفي التوسل برسول الله ﷺ أورد عليه حديث الاستسقاء ففزع إلى التفرقة المذكورة ولا متشبهت في الحديث المذكور فإن عمر رضي الله عنه إنما قصد أن يقدم العباس ويأمر الدعاء بنفسه وهذا لا يتصور حصوله من غير الحي أي الحياة الدنيوية، وأما التوسل برسول الله ﷺ فلا نسلم أن عمر رضي الله عنه تركه بعد موته.

وتقديم العباس ليدعو للناس لا ينبغي جواز التوسل به مع ذلك، ثم قال: وهذا القول الشنيع والرأي السخيف الذي أخذ به هؤلاء المبتدعة من التحاقه ﷺ بالمدم حاشاه من ذلك - يلزمه أن يقال إنه ليس رسول الله ﷺ اليوم وهو قول بعض الضلال.

قال أبو محمد حزم في كتابه الملل والنحل: (حدثت فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ ليس هو اليوم رسول الله لكن كان رسولاً) ثم قال: (وهله مقالة خبيثة مخالفة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولما عليه أهل الإسلام منذ كان أهل الإسلام إلى يوم القيامة) قال: (وإنما حملهم على هذا الرأي الخبيث قولهم الآخر الخبيث إن الروح عرض والعرض يفنى أبداً أو يحدث ولا يبقى وقتين) قال: (فروح رسول الله ﷺ عند هؤلاء بطل ولا روح له الآن عند الله وأما جسده ففي قبره تراب فبطلت نبوته ورسالته بموته عندهم فتعوذ بالله من هذا القول



فإنه كفر صراح لا تردد فيه، ويكفي في بطلان هذا القول الفاحش الفظيع إنه مخالف لما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ واتفق عليه أهل الإسلام من الأذان في الجوامع والصوامع وأبواب المساجد جهاراً في شرق الأراضى وغربها كل يوم خمس مرات بأعلى أصواتهم قد قرنه الله تعالى بذكره أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، كان يجب أن يقال على قولهم أشهد أن محمداً كان رسول الله وكذلك كان يجب أن يقال في ثاني الشهادتين في الإسلام وقد قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْتُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ تَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ أُمَّةً أَرْسَلْنَا﴾ [المائدة: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ بِاللَّيْتِينِ وَالشَّهْدَةِ﴾ [الزمر: ٦٩] فسامهم الله عز وجل بعد موتهم رسلاً ونبیین والأصل الحقيقة وكذلك أجمع المسلمون وجاء به النص أن كل مصل فرضاً أو نفلأ يقول في شهادته السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولو كان بعد موته في حكم العدم لما صحت هذه المخاطبة) هذا معنى كلام ابن حزم ثم قال: (إن ابن حزم أورد على نفسه إيرادات وأجاب عنها) قلت: وقد حذفتها أنا لأجل الإطالة ولا تسع عقول العوام وكثير ممن أشير إليه بالعلم أن يدركها ويدرك الجواب، ثم قال: (وإنما أطلت النفس في هذه المسألة وإن كانت في غاية الوضوح لقرب العهد بهذين من أظهر الخلاف فيها وأفسد به عقائد خلق كثير من العوام فلذلك استطرقت في هذا المقام بما يتعلق بهذه المسألة هذا المقدار اليسير من الكلام وللمقال فيها مجال واسع لكن إشباع القول في ذلك خارج عما نحن بصدده في هذا الكتاب والله تعالى أعلم).

وهذا الكتاب الذي أشار إليه ومنه نقلت يقال له (شرح التعرف لمذهب أهل التصوف) واعلم أروشدنا الله وإياك أيها الموفق المنزه المعظم لسيد الأولين والآخرين ﷺ ولذريته الذين بهم تم الدين ولسائر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين إن في هذا الذي ذكره الأئمة كفاية لمن له أدنى فهم ودراية إلا أنني وعدت بذكر شيء وخلف الوعد صعب شديد فأنا أذكر نبذة يسيرة وأرجو من الله عز وجل حصول البركة فيها وقد ذكرت في كتاب (تنبيه السالك على مغان المهالك) جملة كثيرة تتعلق بذلك وبغيره وسقت فيها فتواه المطولة والجواب عما قاله ذكرته في فضل الحج والله أعلم.

ومن الأمور المهمة معرفة الإنسان حاله في التوفيق والخذلان فمن الخذلان عدم إيمان الإنسان بالآيات والشعر كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْبِي الْأَيْكُتُ وَالْأَنْدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] قيل: المعنى لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل

النَّجَاةَ وَمَا يَغْنِي ضِيَاءَ الْعَقْلِ مَعَ الْخَذْلَانَ إِنَّمَا يَنْفَعُ نُورَ الْعَقْلِ مُزِيداً بِنُورِ التَّوْفِيقِ وَعِنَايَةِ الْأَزَلِّ وَإِلَّا فَإِنَّهُ مَتَخَبَطٌ بِإِدْرَاكِهِ بِعَقْلِهِ فَإِذَا وَعِيَتْ مَا قَلَّتْهُ وَوَقِفَتْ عَلَى بَعْضِ مَا أَذْكَرَهُ مِنَ الْأَدْلَةِ وَلَمْ تَجِدْ قَلْبَكَ مُؤْتِماً بِهَا فَاعْلَمْ أَنَّكَ مِنَ أَهْلِ الْخَذْلَانِ وَمَرْقُومٌ فِي حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَتَابِعْ لِأَهْلِ الْبِدْعِ عَصَاةَ الرَّحْمَنِ .

قال كعب الأحبار: تجد الرجل يستكثر من أنواع البر ويحتاط في<sup>(١)</sup> صانع المعروف ويكابد سهر الليل وشدة ظمأ الهواجر وهو مع ذلك لا يساوي عند الله جيفة حمار يشير إلى أهل البدع والتبري منهم بحيث لا يمكن سماعه من ذي هوى، لما صالح عمر رضي الله عنه أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح به عمر رضي الله عنه وبإسلامه .

قال له عمر: رضي الله عنه هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتنتفع بزيارته قال: نعم يا أمير المؤمنين افعل ذلك، فهذا ضريح في النديب إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وشد الرحل وأعمال المطي إليه والكلام على هذا يأتي إن شاء الله تعالى .

بيان زندقة من قال إن روحه عليه الصلاة والسلام فئت وأن جسده صار تراباً وبيان زيغ ابن تيمية وحزبه في جواب الفتوى التي زعم أنه سئل عنها:

فقال في جوابه: الحمد لله رب العالمين، من استغاث بعيت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد والكربات، ويطلب منه قضاء الحاجات، فيقول: يا سيدي الشيخ فلان أنا في حسبك أو في جوارك، أو يقول عند هجوم العدو عليه: يا سيدي فلان، يستوحيه أو يستغيث به، أو يقول نحو ذلك عند مرضه وقره وغير ذلك من حاجاته، فإن هذا ظالم ضال مشرك، وفي بعض النسخ كافر عاص لله تعالى باتفاق المسلمين فإنهم متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو غير ذلك ثم أكد ما قاله بقصة عمر والعباس في الاستسقاء تبعاً لشيخه الجاري خلف سلالة اليهود، وأنت أرشدك الله تعالى وبصرك إذا تأملت ما قاله في هذا الجواب اقتشر جلدك وقضيت العجب مما فيه من الخباثات والفجور وادعاء انفاق المسلمين وما فيه من الرمز إلى تكفير الأنبياء وتضليلهم والتليس على الأغبياء بقصة عمر رضي الله عنه وليت شعري من أي الدلالات أن من توجه إلى قبر سيد الأولين

(١) صانع المعروف صوابها صانع، اه مصححه .

وَالْآخِرِينَ ﷺ وَتَوَسَّلَ بِهِ فِي حَاجَةِ الْإِسْتِقَاءِ أَوْ غَيْرِهَا يَصِيرُ بِذَلِكَ ظَالِمًا ضَالًّا مُشْرِكًا كَافِرًا. هَذَا شَيْءٌ تَقْشَعُرُ مِنْهُ الْأَبْدَانُ وَلَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا فَاهٍ بَلْ وَلَا رَمَزَ إِلَيْهِ فِي زَمَنِ مَنْ مِنَ الْأَزْمَانِ. وَلَا بَلَدَ مِنَ الْبُلْدَانِ، قَبْلَ زَنْدِيقِ حِرَانَ، قَاتِلِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ فَعَلَ، جَعَلَ الزَنْدِيقَ الْجَاهِلَ الْجَامِدَ قِصَّةَ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَامَةً<sup>(١)</sup> لِلتَّوَصُّلِ بِهَا إِلَى خَبْثِ طَوَيْتِهِ فِي الْأَزْدَرَاءِ بِسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَأَكْرَمِ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ وَحَطَّ رَتْبَتَهُ فِي حَيَاتِهِ وَأَنْ جَاهَهُ وَحَرَمَتَهُ وَرِسَالَتَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ زَالَ بِمَوْتِهِ وَذَلِكَ مِنْهُ كَفَرٌ بَيِّنٌ وَزَنْدِيقَةٌ مُحَقَّقَةٌ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَرَمَتَهُ وَقَدْرَهُ وَمَنْزِلَتَهُ عِنْدَ رَبِّهِ مَا زَالَتْ وَلَمْ تَزَلْ وَهُوَ سَيِّدٌ وَلَدٌ آدَمَ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الدَّوَامِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَجَدَهُ مَشْحُونًا بِذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرْتَ جَمَلَةً مِنْ ذَلِكَ فِي مَوْلِدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَشِيرُ هُنَا إِلَى نَبْذَةِ سَيِّرَةٍ مِنْ ذَلِكَ لِتُحَقِّقَ السَّمْعَ لَهَا خَبْثَ هَذَا الزَنْدِيقِ وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ بَاطِنُهُ مِنَ الْخَبْثِ بِإِبْدَالِهِ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ مِنَ التَّعْظِيمِ بِالْأَزْدَرَاءِ وَمَا فَاهُ بِهِ مِنَ الْفُجُورِ وَالْإِفْتِرَاءِ كَمَا تَرَى:

سَلْ عَنِ فِضَائِلِهِ الزَّمَانَ لِتُخْبِرَا      فَنظِيرَ مَجْدِكَ يَا مُحَمَّدَ لَا يَرَى  
وَلَقَدْ جَمَعْتَ مَنَاقِبًا مَا اسْتَجْمَعْتَ      مَا اسْتَجْمَعْتَ يَا سَيِّدِي فَتَفْسِرَا  
مَا بَيْنَ مَجْدِكَ وَالْمَحَاوِلِ نَيْلُهُ      إِلَّا كَمَا بَيْنَ الشَّرِيَا وَالشَّرِيَا

فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى تَوَلَّى عِصْمَتَهُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّهِ يَعْصِمُكَ مِنْ أَتَائِنِ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٦٧] وَحَقًّا عِصْمَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ حَفِظَهُ فِي ظَاهِرِهِ مِنْ أَنْ يَنَالُوا مَا هُمُومًا بِهِ وَرَدَّ كَيْدَهُمْ فِي نَحْوِهِمْ وَحَفِظَهُ فِي بَاطِنِهِ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ إِلَيْهِمُ التَّفَاتُ أَوْ يَكُونَ لَهُ بِهِمْ اشْتِغَالٌ صَانَ سِرَّهُ عَنِ مَوَارِدِ السُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَعَنِ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَفَلَتَاتِ النَّفْسِ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاةَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّعَالِيهِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [الْثُور: ٦٣] قِيلَ: مَعْنَاهُ لَا تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا يَا مُحَمَّدُ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ فَخِّمُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَرِّفُوهُ وَقُولُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَعَ لَيْنٍ وَتَوَاضَعٍ، قَالَهُ مَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ.

(١) قَوْلُهُ لِلتَّوَصُّلِ بِهَا إِلَى خَبْثِ طَوَيْتِهِ فِي الْأَزْدَرَاءِ الْخِ وَالصُّوَابُ أَنْ تَقْدَمَ فِي وَتُؤَخَّرَ إِلَى لِيُظْهِرَ مَعْنَى الْكَلَامِ، اهـ مَصْحُوحَهُ.

وقيل: معناه احذروا دعاء الرسول عليكم فإن دعاءه مستجاب لا يرد وليس كدعاه غيره، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: معناه من ضيغ حرمة الرسول ﷺ فقد ضيغ حرمة الله عز وجل ومن ضيغ حرمة الله فقد دخل في ديوان الأشقياء، وحرمة الرسول ﷺ من حرمة الله تعالى بل من ضيغ حرمة الأولياء فقد عرض نفسه للهلكة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] أي عليهم بالتحديد ﴿وَمُشِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] أي لهم بالتأييد والمغفرة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] أي محذراً إياهم الزيغ والضلالات ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] أي تعظموه تعظيماً يليق به ويمرتبه.

قال الأئمة: لم يؤمن بالرسول من لم يعزه ويعز أومره ويوقره ويوقر أصحابه رضي الله عنهم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿تَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] بذلوا أنفسهم في نصرته وأموالهم ﴿وَاتَّبَعُوا الْكَذَّابَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وهو القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي الفائزون حصر الفلاح فيهم، فهذه الآيات موجبة لتوقيره وتعظيمه وتبجيله وتعريف قدره عند ربه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] قال عمر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أثناء كلام طويل: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل الله عز وجل طاعتك طاعته».

وقال جعفر الصادق: معناه من عرفك بالنبوة والرسالة فقد عرفني بالربوبية والألوهية، وقيل بطاعتك يصل العبد إلى الحق ويمخالفتك يقطع عنه، وقيل غير ذلك، ومن أحسنها من ألزم نفسه طاعته وصحح الاقتداء به أوصله إلى مقامات الأنبياء والصديقين والشهداء، لا ترى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

ومنها: وهو أبلغ مما تقدم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٠] أي يا محمد ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] نفى سبحانه وتعالى الوساطة في المبايعة وقد تنبه لذلك أرباب المعالي والقلوب العارفون بمراتبه عليه الصلاة والسلام وما وهبه الله تعالى من سني الأوصاف التي لا تليق بغيره ولا يقدر على حملها إلا هو،

قالوا: (إن البشرية في نبيه ﷺ عارية<sup>(١)</sup>) وأضافه دون الحقيقة) وهو كلام حكيم منور القلب.

وقال بعضهم: لم يظهر الحق سبحانه وتعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسمة وأشرفها وهو المصطفى فقال: ﴿إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لِيَأْتِيَنَّكَ إِنَّمَا يَبْأُتُونَكَ أَتَقَهُ﴾ [الفتح: ١٠] ومنها قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد الأذان والإقامة والشهد والخطبة على المنابر، فلو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم يسمع منه ولم يتنفع بشيء وكان كافراً.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية فقال: «قال الله عز وجل إذا ذكرت ذكر معي» وقال قتادة رضي الله عنه: «رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة» وقيل: رفع ذكره بأخذ الميثاق على النبيين والزمهم الإيمان به والإقرار به، وقيل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] ليعرف المذنبون قدر ربك لدي ليتوسلوا بك إلي فلا أورد أحداً عن مسأله فأعطيه إياها إما عاجلاً وإما آجلاً ولا أخيب من توسل بك وإن كان كافراً، الا ترى قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبًا مِّن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] وسيأتي الكلام على هذه الآية، وقيل غير ذلك.

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة قيل: بكت مكة لفقده بدموع الحرقه على الخد وقالت: وأسفاه على من أنزل عليه ﴿لَا أَسْمُ بِئِدَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] وهو مكة لحلولك فيه ومن جعل لا أصلية فالمعنى ﴿لَا أَسْمُ بِئِدَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] وأنت حال فيه بل أقسم بك وبحياتك وهذا يدل على علو قدره عند ربه ورفعه التي لم يفز بها غيره.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أَرُ رجلاً أفضل من محمد ﷺ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما من رواية أبي الجوزاء رضي الله عنه: ما خلق الله ولا ذراً ولا براً

(١) قوله عارية وأضافه دون الحقيقة لفظ أضافه بالضمير هو إضافة بالناء ومعنى هذا الكلام غامض وكان قائله يريدون أن يقولوا إن حقيقة ﷺ ملكية وإن كانت صورته بشرية وهو معنى يكون مدحاً إن سلم أن حقيقة الملكية أفضل من حقيقة البشرية وليس لنا قسم آخر يراد إلحاقه ﷺ به إلا الإلهية ولا يتصور أن يكون مراداً للقائلين فليعلم، اهـ مصححه.

نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ولا رأيت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿لَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَيْسَ سَكْرَتِهِمْ يَمَهُونَ﴾ [الججر: ٧٢] والمعنى في البصيرة والعنى في البصر.

وفي رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما المعنى وعيشك يا محمد إنهم لفي سكرتهم يعمهون، وقال بعضهم: أقسم بحياة محمد لأن حياته كانت به وهو في قبضة الحق وبساط القرب وشرف الانبساط ومقام الاتفاق الذي لا يقوم به غيره فحياتك يكون القسم فإن الكل زاغوا وما زغت وما ملوا وما ملت حتى برأناك ونزلناك منزلة ما نالها غيرك ولا ينالها أحد سواك وقيل المعنى وحياتك التي خصصت بها بين الخلق فحيوا بالأرواح وحييت بنا ولهذا تنمة مهمة ذكرتها في المولد بتعين الوقوف عليها.

وقيل: أقسم الله عز وجل في الأزل بحياته ليظهر شرفه وعلو قدره ودنو منزلته عنده ليتوسل المتوسلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود وفي حياته وبعد وفاته وفي عرصات القيامة ولهذا وغيره لم يزل أهل الإيمان يتوسلون به في حياته وبعد وفاته من غير تكبر، وكان أهل الكتاب لهم علم من ذلك فكانوا يتوسلون به قبل وجوده فيستجاب لهم كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان يهود فعادت يهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نأسلك بحق النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء هزمت يهود غطفان ويهود غير منصرف للعلمية والتأنيث علم على<sup>(١)</sup> قبيلة فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله عز وجل: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] أي يدعون بك يا محمد، إلى قوله: ﴿فَلَقَسْنَا لَهُمُ الْكُفْرَانَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وإذا كان عز وجل يستجيب لأعدائه بالتوسل به ﷺ إليه سبحانه مع علمه عز وجل بأنهم يكفرون به ويؤذونه ولا يتبعون النور الذي أنزل معه قبل وجوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين فكيف لا يستجيب لأحيائه إذا توسلوا به بعد وجوده عليه الصلاة والسلام وبعثه رحمة للعالمين، وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا يتوسل ولا يتشفع به.

(١) هي أمة موسى عليه وعلى نينا الصلاة والسلام، اد صاحب الفرعية.

ومن أنكر التوسل به والتشفع به بعد موته وأن حرمة زالت بموته فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين يتوسلون به قبل بروزه إلى الوجود وأن في قلبه نزغة هي أخبث النزغات وهذا آدم عليه السلام توسل به كما هو مشهور.

ورواه غير واحد من الأئمة منهم الحاكم في مستدرکه على الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب بحق محمد لما<sup>(١)</sup> غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقك؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تصف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك».

قال الحاكم: صحيح الإسناد<sup>(٢)</sup>. ورواه الطبراني وزاد «وهو آخر الأنبياء من فريتك» ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بزيادة بلفظ «أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكثبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن».

قال الحاكم في مستدرکه: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه - يعني البخاري ومسلم - فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة وصحح الحديث وقد رواه غير واحد من الحفاظ وأئمة الحديث بالفاظ، منهم: أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام عند اقترافه قال: «اللهم بحق محمد عليك اغفر لي خطيئتي» ويروي نفيلاً «فقال الله: من أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله».

(١) أي إلا، اه صاحب الفرعية.

(٢) لا التواتر بعد هذا التصحيح من الحاكم وهو الحاكم إلى طعن طاعن في هذا الحديث وقد رأينا من يظن فيه وفي أمثاله من الأحاديث التي يصححها الحاكم وهي دالة على سمو شرفه عليه الصلاة والسلام وعلو منزلته عند ربه كان هذا الطاعن أودى ممن يستخفون بشأنه عليه الصلاة والسلام فصدر منه ذلك الطعن طاعة لشعوره وهو لا يشعر أو يشعر وكان هذه المسألة مسألة عظم حرمة ﷺ ورفعة شأنه - موضع خلاف بيننا وبين هؤلاء الناس ونحن لا نسلم هذا الخلاف إلا بعد أن نسمع من هذه الشرفمة أن كلام الله تعالى مطعون في صدقه أيضاً فإذا قالوها سكتنا عنهم ويكونون بذلك أراحموا واستراحوا وحبنا الله ونعم الوكيل، اه مصححه.

ويروي محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له .

وفي رواية الحافظ الأجري «قال آدم: لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليهِ وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك» قال: وكان آدم عليه السلام يكنى أبا محمد.

بدا مجده من قبل نشأة آدم وأسماؤه في العرش من قبل تكتب<sup>(١)</sup>

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] قال: لوح من ذهب فيه مكتوب عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: على باب الجنة مكتوب أني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها .

وذكر السميطي أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً ولد وعلى جبينه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوب<sup>(٢)</sup> عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي بعض البوادي حيوان مكتوب على شقه الأيمن لا إله إلا الله وعلى شقه الأيسر محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة وهو مرئي ظاهر لكل من له بصر وذكر غير ذلك .

فسيد الأولين والآخرين عظيم عند ربه نزه بذكره في الأزل وفي الكون العلوي والسفلي ليعلم أنه الفاضل الكامل وأنه أعظم الوسائل .

قال أبو حميد: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أذب أقواماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، ومدح قومياً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] الآية، وذم قومياً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدَّؤُنَكَ مِنَ دَلِيلِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] وإن حرمة

(١) أي كتبت والتعبير بالمضارع بحكاية الحال الماضية، اه صاحب الفرعية.

(٢) يتعين نصب لفظ مكتوب لأنه وصف لمنصوب، اه مصححه.



ميتاً كحرمته حياً فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك<sup>(١)</sup> الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْأَلُوا لَهْتُمْ الْكُفْرَ لَوَجَدُوا اللَّهَ قَوَّامًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] القصة معروفة مشهورة ذكرها غير واحد من المتقدمين والمتأخرين بأسانيد جيدة ومنهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو الشفاء المشهور بالحسن والإتقان في سائر البلدان، ومنهم الإمام العلامة هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان) وقد اشتملت هذه القصة على تعظيمه بعد وفاته وأنه حي والتوسل به وحسن الأدب في حقه كما في حياته وأن في الآية الحث على المجيء إليه ليستغفر له، وليس في الآية تعرض لزمن حياته دون الوفاة وكذا فهم العلماء مالك وغيره كما يأتي إن شاء الله تعالى.

العموم واستحبوا لمن زار قبره المكرم أن يتلو هذه الآية ويستغفر ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه ولم نعلم أن أحداً طعن في قصة مالك إلا هذا الفاجر ابن تيمية فإنه لما كان فيها هذه الفضائل طعن فيها وقال إنها مكذوبة فإن هذا شأنه إذا وجد شيئاً لا مساس فيه لما ابتدعه قال به وقبله ولم يطعن.

وإذا وجد شيئاً على خلاف بدعته طعن فيه وإن اتفق على صحته ولا يذكر شيئاً على خلاف هواه وإن اتفق على صحته لا سيما إذا كان آية أو خيراً عن رسول الله ﷺ ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل<sup>(٢)</sup> إلا أنه تعرض لتخصيصها وهي دعوى مجردة وعلى خلاف ما فهمه العلماء من العموم ووقع العمل عليه فمن ادعى التخصيص بغير دليل سمعي ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه واتهمناه واستدلنا بذلك على استقصاه سيد الأولين والآخريين الكامل المكمل، وهو كفر بإجماع أهل التوحيد.

(١) قوله: فيشفعك الله، السياق يقضي أن يكون فيشفعك فيشفعه لأنه هو ﷺ الشافع، اهـ مصححه.

(٢) هذا المبدأ عليه أتباعه المفترون به إلى اليوم يعرف ذلك منهم من يلتفت لحالهم أدنى التفاتة فالواجب على المسلم أن لا يعتبر تصحيحهم لحدث ولا تضعيفهم فإنهم للهوى يصحون ويضعفون وأحب أن يأخذ الفاروق قول الإمام الحصري (ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل) على ظاهره دون أن يظن فيه أي مبالغة وليطرده في أتباعه كذلك، اهـ مصححه.

وذكر القرطبي في تفسيره عن علي رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفن رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحشا على رأسه من ترابه ثم قال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله عز وجل فوعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: 6٤] الآية وقد ظلمت نفسي وجنتك تستغفر لي فتودي من القبر قد غفر لك وهذه القصة غير قصة العتبي وقصة العتبي مشهورة في غاية الشهرة وقد ذكرها الأئمة في كتبهم قديماً وحديثاً وكنية العتبي أبو عبد الرحمن واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو وكان من أفصح الناس وصاحب أخبار وصاحب رواية للأخبار. حدث عن أبيه وعن ابن عيينة وقد ذكر قصته خلائق منهم ابن عساكر في تاريخه وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن) وذكرها غيرهما بالاسانيد.

وممن ذكرها الإمام العلامة المتفق على علمه ودينه وزهده أبو زكريا يحيى بن شرف النووي قدس الله روحه ونور ضريحه قال في زيارة قبره: إنها من أعظم القربات وأفضل المساعي والطلبات وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه ويتشفع به إلى ربه ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له.

قال العتبي: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاه أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 6٤] وقد جنتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه      فطاب من طيبهن القاع والأكم  
نفسى الغداة لقبر أنت ساكنه      فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له، وفي رواية غيره: الحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي فخرجت فلم أجده فأفاد النووي قدس الله تعالى روحه أن أصحاب الشافعي استحسنوا ذلك وحكوه عن غيرهم وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه يستشفع به إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه ولم يتعرض لذلك أحد بالإنكار في سائر الأعصار وزدت أنا هذين البيتين لعل يبلحني نصيب من شفاعته وهما:

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت      فلذ به فهو من ترعى له الذم  
وهو الذي يرتجى في كل معضلة      وفي المعاد إذا زلت بنا القدم

## قصة الراهبين مع أبي عبد الله

وقال السيد الجليل قطاع المغاوز على قدم التوكل أبو عبد الله الفرحي قدس الله سره ونور ضريحه: خرجت مرة أريد الزيارة من طريق المغاوز ف وقعت في التيه ف كنت فيه أياماً حتى أشرفت على الموت فبيناً أنا كذلك إذ رأيت راهبين<sup>(١)</sup> يسيران كأنهما خرجا من مكان قريب يريدان ديراً لهما بالقرب فملت إليهما فقلت: أين تريدان فقالا: لا ندرى، فقلت: من أين أنيتما، قالا: لا ندرى، قلت: فتدريان أين أنتما؟ قالا: نعم نحن في ملكه وبين يديه، قال: فأقبلت على نفسي أقول: لها راهبان يتحققان بالتوكل دونك ثم قلت: لهما أتأذنان لي في الصحبة؟ فقالا: ذاك إليك، قال: فسرنا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب فتممت و صليت فنظرا إلي وقد تيممت فضحكا مني فلما فرغنا من صلاتهما بحث أحدهما بيده فإذا بالماء قد ظهر إذا بطعام موضوع قال: فبقيت أتعجب من ذلك فقالا لي: ادن وكل واشرب، قال: فأكلنا وتوضأت وقاما فلم يزالا في صلاتهما وأنا في صلاتي حتى أصبحنا فصليت الفجر ثم قاما يسيران فساروا<sup>(٢)</sup> إلى الليل فلما أمسينا تقدم الآخر فصلى بصاحبه ثم دعا بدعوات ثم بحث الأرض بيده فنبع الماء وظهر الطعام فقالا لي ادن وكل واشرب، قال: فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم نصب الماء وغار حتى لم يبق له أثر فلما كانت الليلة الثالثة قالا لي: يا مسلم الليلة تويتك، قال: فاستحييت من قولهما وداخلني من ذلك هم شديد، قال: فقلت في نفسي: اللهم إني أعلم أن ذنوبي لم تدع لي عندك جاهاً ولكني أسألك وأتوسل إليك بنبيك المكرم عندك إلا تفضحني عندهما ولا تشمت<sup>(٣)</sup> بنبيك محمد ﷺ، قال: فإذا بعين خزانة وطعام كثير، قال: فأكلنا وشربنا ولم نزل على حالنا حتى بلغت النبوة الثانية إلى أن قال: فدعوت بمثل ما دعوت أولاً وتوسلت بالنبي ﷺ فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين دون ما كان، قال: فتقاصرت إلى نفسي وقصرت عن الأكل وأريتهما أني آكل فسكتا عني، قال: وسرنا

(١) هذه القصة فيها خبيء خفي ولعل هذين الراهبين ملكان أو وليان لله تعالى أرسلهما سبحانه وتعالى للشيخ الفرحي ليتفطن بحالهما من حاله إلى حال أرفع كما ترى في القصة، وأما أنهما راهبان حقيقة فهذا ما لا يستطيع العقل فهمه فلنا لا نعرف أن الله تعالى يكرم إلا الصادقين من عباده المؤمنين فكيف يكرم بهذه الكرامة الباهرة التي تضمنتها القصة راهبين كافرين بسيد أنبيائه وهما يرفلانه حق المعرفة كما ترى من كلامهما، فاعرف ذلك، اه مصححه.

(٢) قوله: فساروا بالجمع، هو: فساروا بالثبته كما هو ظاهر، اه مصححه.

(٣) أي تشمتها، اه مصححه.

حتى بلغت النبوة الثالثة إلى أن قال: فدعوت بمثل ما دعوت وتوسلت بالنبوي ﷺ وقوي حالي في أمر صدق توسلي به ﷺ علمي بأنه وسيلة من قبلي فإذا بطعام اثنين والماء مثل ذلك فغممني ذلك، قال: فغلبتني عيناى من الهم خوف الشماتة بديننا فإذا بقائل يقول لي: أدركناك بالإيثار الذي خصصنا به محمداً من دون الأنبياء<sup>(١)</sup> وهي علامته وكرامة أمته من بعده إلى يوم القيامة.

قال: فلما بلغت النبوة الرابعة إلي قال: بلى يا مسلم ما هذا؟ إنا نرى في طعامك وشرابك نقصاً فلم ذلك؟ فقلت لهما: أو لم تعلمنا أن هذا خصَّ الله عزَّ وجلَّ نبيه محمداً ﷺ من بين الأنبياء وخصَّ أمته به من بعده إن الله عزَّ وجلَّ يريد لي الإيثار وقد آثرتكما اقتداءً بنبي المكرم فقالا: صدقت، ثم قالا: نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، صدقت في قولك هذا، خلق محمد في كتب الله المنزلة إن الله عزَّ وجلَّ خصَّ محمداً وأمته بذلك، قال: وحسن إسلامهما، قال: ثم قلت لهما في الجمعة والجماعة فقالا: ذلك واجب، قلت: نعم فأسألا الله تعالى وادعوا أن يخرجنا من هذا الشيء إلى أقرب الأماكن فدعوا، فبينما نحن نسير إذا نحن ببيوت قد أشرفنا عليها فإذا هي بيت المقدس، قال: فدخلنا المسجد وأقمنا أياماً ثم تجدد لي سفر فقارتهما وقد ملئ قلبى فرحاً بإسلامهما وبصحبة توسلي<sup>(٢)</sup> بالنبوي ﷺ وأنه غيَّات الصادقين في محبة<sup>(٣)</sup> السالكين خلفه في صدقه مع ربه وصحة الاعتماد عليه. فانظر أرشدك الله كيف بصدق التوسل به جرى ما جرى من حصول الكرامات من نبع الماء وحصول الطعام والاهتداء لها، فله عزَّ وجلَّ المنة على ما أكرمنا به وعلى ما وهب الأولياء من آثار معجزاته.

وقال سفيان الثوري: بينا أنا أطوف بالبيت وإذا أنا برجل لا يرفع قدماً ولا يضع أخرى إلا وهو يصلي على النبي ﷺ فقلت: يا هذا إنك تركت التسبيح والتهليل وأقبلت على الصلاة على النبي ﷺ فهل عندك من هذا شيء؟ فقال لي: من أنت؟ قلت: سفيان الثوري، فقال: لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي

(١) أي خصصنا به أمة محمد ﷺ من دون أمم الأنبياء وإلا فالأنبياء جميعاً أوائل أهل الإيثار صلى الله وسلم عليهم جميعاً، اه مصححه.

(٢) قوله: وبصحبة توسلي، صوابه وبصحبة توسلي الخ، اه مصححه.

ولما أطلعتك على سري، ثم قال: خرجت أنا والدي حاجين إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة سيد الأنام حتى إذا كنا ببعض المنازل مرض والدي فعالجته فمات فلما مات أسودَّ وجهه فغلبتني عياني من الهم فتمت فإذا أنا برجل لم أَرُ أجمل منه ولا أنظف ثوباً ولا أطيب رائحة منه فدنا من والدي وكشف عن وجهه وأمرَّ يده عليه فعاد وجهه أبيض ثم ذهب فتعلقت بشويه وقلت له: يا عبد الله من أنت الذي من الله عزَّ وجل علي وعلى والدي بك في دار الغربة لكشف هذه الكربة؟ فقال: أو ما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن، أما إن والدك كان مسرفاً على نفسه ولكنه يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غيَّاث من أكثر الصلاة علي، قال: فانتبهت فإذا وجه والدي قد ابيضَّ. فانظر أرشدك الله عزَّ وجل إلى جلاله وتعظيمه في حياته وبعد وفاته كيف أغاث من استغاث به حتى في البرزخ فهو عليه الصلاة والسلام كما قيل:

غياث لملهوف وغيث لآمل	وعين لظمآن وعون لذي جهد
له فوق إيوان الزمان مراتب	يقصر عنها الأنبياء أولو المجد
فموسى وعيسى والخليل ونوحهم	يقولون طه منتهى السؤل والقصد
حوى قصبات السبق من قبل آدم	وكهلاً وأيام الطفولة في المهد
به طيبة طابت ولا غرو قد حوت	طيب قلوب الخلق من مرض الجحد
فلولا ما اشتاقت قلوب نفيصة	إلى الشيخ من أرض الحجاز ولا الرند
ولا ذكرت سلع ونعمان والنقا	ولا استعذبت من شدة الوجد للوجد

فسيحان من قرَّبه ويجله وعظمه ومنحه وتوجه خلع الفضائل وجعله أعظم ما يتوجه به إليه وأعظم الوسائل.

روى الترمذي من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضرير البصر جاء إلى النبي ﷺ فقال: ادع لي أن يعافيني الله، فقال: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك» قال: فادعه، فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي اللهم شفعة في» قال الترمذي: حديث حسن صحيح ورواه النسائي بنحوه ورواه البيهقي وزاد محمد بن يونس في روايته فقام وقد أبصر، وفي رواية شعبية ففعل فبريء، وفي رواية: يا محمد إني توجهت بك إلى ربي فتجلى عن بصري، اللهم شفعة في وشفعني في نفسي، قال

عثمان رضي الله عنه: فوالله ما انصرفنا ولا طال الحديث حتى جاء الرجل كأنه لم يكن به ضر<sup>(١)</sup>. فهذا حديث صحيح صريح في التوسل والاستجابة وليس فيه أنه فعل ذلك في حضرة النبي ﷺ وليس فيه التقييد بزمن حياته ولا أنه خاص بذلك الرجل بل إطلاقه عليه الصلاة والسلام يدل على أن هذا التوسل مستمر بعد وفاته شفقة عليهم لأنه بهم رؤوف رحيم، ولاحتياجهم إلى ذلك في حاجاتهم، ويدل على ذلك أن عثمان بن حنيف راوي الحديث هو وغيره فهموا التعميم ولهذا استعمله هو وغيره بعد وفاته ﷺ كما رواه الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة عثمان بن حنيف رضي الله عنه ذكره في أول الجزء الخمسين من مسنده أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا ينظر في حاجته، فلقي الرجل عثمان بن حنيف وشكى<sup>(٢)</sup> إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف رضي الله عنه: انت الميضأة فتوضأ ثم انت المسجد فصل ركعتين ثم قل: اللهم اني أسالك وأتوجه إليك بنيينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك إلى ربي فتقضني<sup>(٣)</sup> حاجتك وتذكر حاجتك، ورح حتى أرواح معك، فذهب الرجل وفعل ما قاله عثمان بن حنيف له ثم إن الرجل أتى إلى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده حتى أدخله إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة فقال: حاجتك، فأعلمه بها فقضاها له، وقال: ما ذكرت حاجتك إلا الساعة، ثم قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما كان لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلقي عثمان بن حنيف رضي الله عنه فقال له: جزاك الله خيراً أما إنه ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلى حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف رضي الله عنه: ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ أتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له عليه الصلاة والسلام: «أرَ تصبر؟» فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ، فقال عليه الصلاة والسلام: «انت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات» قال عثمان بن حنيف: فوالله ما انصرفنا ولا طال الزمان حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط. ورواه البيهقي بإسناده من طريقين فهذا من

(١) وفي رواية أنه قال عليه الصلاة والسلام: «إن كان لك حاجة فمثل ذلك، اه مستنسخ النسخة.

(٢) قوله وشكى يرسم شكاً بالالف، اه مصححه.

(٣) قوله: فتقضني حاجتك، ليس بظاهر معناه وقد راجعت الأصل فرايت النص فتقضني حاجتي وتذكر حاجتك، الخ وبه يتضح المعنى، اه مصححه.

أوضح الأدلة على الاحتجاج بالتوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته كحياته كفعل<sup>(١)</sup> عثمان راوي الحديث ولفعل غيره في حياته وبعد وفاته وهم أعلم بالله عز وجل ورسوله ﷺ من غيرهم وإليهم ترجع الأمور في القضايا التي شاهدوها في زمنه وأخذوها عنهم رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> ومن عدل عن ذلك فقد أفهم عن نفسه أن عنده ضغينة لهم وهذا من الواضحات الجليات التي لا ينكرها إلا صاحب دسيئة أعادنا الله تعالى من ذلك.

وقال القاضي عياض في أشهر كتبه المتداولة بين الناس وهو (الشفاء) الفصل الثاني في حرمة بعد وفاته: وأما حرمة<sup>(٣)</sup> النبي ﷺ بعد وفاته وتوقيره وتعظيمه فهو لازم كما كان في حياته وذلك عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملته آله وتعظيم أهل بيته وصحابته واجب على كل مؤمن متى ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته فيأخذ في هيئته وإجلاله بما كان يأخذ بعينه<sup>(٤)</sup> لو كان بين يديه ويتأدب بما أذنا الله عز وجل به.

وقال ابن حبيب: إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ فصل ركعتين بين الروضة والمنبر ثم اقصد القبر من تجاه القبلة وادن منه ثم سلم على رسول الله ﷺ وأثن عليه وعليك السكينة والوقار فإنه عليه الصلاة والسلام مسلم<sup>(٥)</sup> ويعلم وقوفك بين يديه وكذا قاله غيره من الأئمة.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: (أما زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فأحضر قلبك لتعظيمه ولهيئته وأحضر عظيم رتبته في قلبك واعلم أنه عالم بحضورك وتسليمك) وهذا الذي قاله معروف مشهور لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفضون أصواتهم في مسجده تعظيماً له وتوقيراً.

وفي البخاري أن عمر رضي الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا سمعت دق الوند أو المسمار يضرب في بعض الدور المطبئة لمسجد رسول الله ﷺ ترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله ﷺ.

(١) الكاف في قوله كفعل لام، اه مصححه.

(٢) قوله: وأخذوها عنهم رضي الله عنه تؤخر فيه عنهم وتقدم عنه كما هو ظاهر، اه مصححه.

(٣) الصواب وحرمة ويحذف الضمير، اه مصححه.

(٤) قوله بما كان يأخذ بعينه عبارة الشفاء بما كان يأخذ به نفسه الخ، اه مصححه.

(٥) قوله مسلم بتشديد اللام أي راد عليك السلام الذي تسلمه عليه، اه مصححه.

وروي أن علياً رضي الله عنه لما عمل مصراعي داره ما عملهما إلا بالمناصح توقياً لذلك، والآثار بمثل ذلك كثيرة جداً، وكذا الأخبار بعرض الصلاة عليه وكذا برد<sup>(١)</sup> روحه الشريفة العظيمة الكريمة على الله عز وجل، وإذا ثبت ردها ثبت حياته وإذا ثبت حياته وجب القطع بصحة التوسل به.

في ابن ماجه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أكثرنا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي علي إلا عرضت علي صلواته حتى يفر منها. قال: قلت: يا رسول الله وبعد الموت؟ قال: «وبعد الموت فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فتبي الله حي يرزق».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمني السلام» رواه النسائي وكذا الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وصحح: وقال عليه الصلاة والسلام: «ليس أحد يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد جيد قال البيهقي: معنى قوله: إلا رد الله عليه روحه، إلا وقد ردّ الله عليه روحه لأجل سلام من سلم عليه واستمرت في جسده لأنه لا يبلى ولا نفتر صلاة المصلين عليه ولا سلام المسلمین عليه من الثقلين وغيرهم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تجعلوا قبوري عبداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث ما<sup>(٢)</sup> كنتم» رواه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح، والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقال كعب الأحرار: ما من فجر يطلع إلا أنزل الله سبعين ألفاً من الملائكة حتى يحضوا بالقبور الشريف يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشفت الأرض خرج رسول الله ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه.

(١) سيأتي للمصنف شرح الحديث الوارد بذلك وتوضيحه أن الوجود لا يخلو لحظة من مسلم عليه ﷺ فهو دائماً يرد السلام فهو دائماً مردودة عليه روحه فهو دائماً حي وشرح الحديث بأن جملة رد الخ حالية تحل إشكال الحديث كذلك وهناك أحاديث أخرى كثيرة تدل على حياة الأنبياء في البرزخ بلا قيد ولا شرط وهو أمر مجمع عليه بين علماء الأمة فليعلم، اهـ مصححه.



وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهاني صاحب الترغيب عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وكل بذلك ملكاً يدخله على قبري كما يدخل عليكم الهدايا إن علمي بذلك بعد موتي كعلمي به في حياتي».

وقال السيد الجليل سلمان بن شحيم قدس الله تعالى روحه: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله الذين يأتونك ويسلمون عليك تفقه سلامهم؟ قال: «نعم وأرد عليهم».

وقال بعض المشايخ: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: استغفر لي، فأعرض عني، فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فأعرض عني، فقلت: يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر أنك لم تسأل شيئاً قط، فقلت: لا، فأقبل علي وقال: «غفر الله لك» وكان موهوب ابن الجزري الشافعي إماماً عالماً فاضلاً مفيداً يشارك في سائر العلوم مشاركة جيدة مع العقل والدين والإشارة لأهل الضرورات وكان يتجر فكثر ماله فأراد الصاحب أن يتعرض له، قال: فخفت منه خوفاً شديداً فلما كان في بعض الليالي رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله إنني خائف من الصاحب، فقال: «لا تخف منه وقل له بعلامة كذا وكذا لا تؤذني فرسول الله ﷺ يشفع في» فلما انتهت صليت الصبح وركبت دابتي ووقفت للصاحب في الطريق وهو طالع إلى القلعة، قال: فسلمت عليه وصحبتة وقلت له: معي رسالة، فقال: ممن؟ قلت: من رسول الله ﷺ وقال: «قل له بعلامة كذا وكذا» فقال: صدقت أنت وصدق رسول الله ﷺ وأنا اليوم أتشفع بك إلى رسول الله ﷺ فالمولى يرسم والمملوك يمثل ومهما كان لك من الحوائج تعرفني بها أو لأحد أصحابك.

وطلب بعض أمراء الجور رجلاً أراد منه شيئاً وهدده تهديداً وتواعده<sup>(١)</sup> بالعقوبات فقال له الرجل: أنا أتشفع إليك بسيد الأولين والآخرين أن لا تتعرض لي بما لا يحل لك، فلم يلتفت إليه ولا إلى قوله، فلما أصبح الصباح طلب الأمير الرجل وأكرمه بعد أن فك عنه الطلب فقبل للأمير في ذلك فقال: رأيت البارحة رسول الله ﷺ فنهرني وهم بي وقال: «يتشفع بي إليك ولا تقبل فوالله لا يتشفع به أحد إلي إلا قبلت شفاعته» فإني خفت على نفسي الهلكة.

(١) الصواب حذف ألف تواعده، اه مصححه.

وعن منصور بن عبد الله قال: سمعت ابن الجلاء يقول: دخلت مدينة الرسول ﷺ وبي شيء من الفاقة فتقدمت إلى القبر فسلمت على النبي ﷺ وعلى ضجيعيه أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه ثم قلت: يا رسول الله بي فاقة وأنا ضيفك الليلة، ثم تنحيت ونمت بين القبر والمنبر وإذا أنا بالنبي ﷺ قد جاءني ودفع إلي رغيف خبز فأكلت نصفه فانتهيت فإذا في يدي نصف الرغيف. ومن تنمة القصة أن قال ابن الجلاء إنه دام بعد ذلك أربعين سنة لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شراؤها ببركة تلك الأكلة.

قال العلماء: الظاهر أن ما أتاه به النبي ﷺ من طعام الجنة لأن من أكل من طعام الجنة استغنى عن طعام الدنيا، قالوا: وهذه رؤيا حتى لما جاء في الحديث «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي».

ومثل هذا وقع للسيد الجليل أبي الخير الأقطع صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة قال: دخلت مدينة النبي ﷺ وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك يا رسول الله وتنحيت ونمت خلف القبر فرأيت في المنام النبي ﷺ وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلي بين يديه فحركني، وقال: قم قد جاء رسول الله ﷺ قال: فقمتم إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلي رغيفاً فأكلت نصفه وانتهيت وإذا في يدي نصف رغيف، قال العلماء: وإنما يبقي نصف الرغيف ليحقق الأمر وتظهر الكرامة لأولياء الله عز وجل الذين سلكوا سبيله بصدق ﷺ ورضي عنهم.

وقال ابن أبي ذرعة الصوفي: سافرت مع أبي ومع ابن حنيف إلى مكة وأصابنا فاقة شديدة فدخلنا مدينة رسول الله ﷺ وبتنا طاوئين وكنت دون البالغ فكنت أجيء إلى أبي غير دفعة وأقول: أنا جائع، فأتى والدي إلى الحضرة الشريفة، وقال: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة وجلس على المراقبة فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة ويضحك ساعة فقال: رأيت رسول الله ﷺ فوضع في يدي دراهم وفتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا شيراز فكنا نتفق منها.

وقال السيد الجليل أبو العباس أحمد الصوفي: تهمت في البادية ثلاثة أشهر وانسلخ جلدي فدخلت المدينة الشريفة وجئت إلى النبي ﷺ فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: «يا أحمد جئت؟» قلت: نعم

وأنا جائع وأنا في ضيافتك، فقال لي: «افتح كفيك»<sup>(١)</sup> ففتحتهما فملاهما دراهم فانتهيت وهما مملوءتان ففقت فاشترت لي خبزاً حواري وفالو ذجاً وأكلت وقمت للوقت ودخلت البادية ومثل هذا كثير وهؤلاء رجال صدق يقطعون البوادي على قدم التوكل لا يعتمدون على غيره ولا يأنسون بسواه وتقع لهم الطاف وأمور عجيبة وقد ذكرت جملة من ذلك في كتاب (تنبيه السالك) في فصل الكرامات، فمن أراد أن يقف على الغرائب والعجائب فليتنظر فيه وفيما وهب لهم من الكرامات على مقدار طبقاتهم.

وخرج بعض المشايخ يريد الزيارة في جماعة من الفقراء، قال: فلما وصلنا إلى شعب النعام أدركنا المعطش وبيننا وبين المدينة مراحل، قال: فاستغثت بالنبي ﷺ وصليت ونمت فرأيت النبي ﷺ فقال: «مرحباً بك وجماعتك» وضمني إلى صدره وقبطني فقبلت يده الكريمة وقدمه، وقلت له: يا سيدي يا رسول الله أنا خائف على أصحابنا من المعطش، فقال: «لا تخف فإننا نسير لكم الماء وما نحن نعد لكم الضيافة» ورأيت عليه الصلاة والسلام مشمر الأكمام فجاءنا السيل في تلك الليلة وملأنا ركابنا فلما قدمنا المدينة تلقانا أحد خدام النبي ﷺ فقال لي: سلم على النبي ﷺ وأشتهي أن اجتمع بك حتى أوفي لك بما أوصاني به النبي ﷺ، فلما سلمت على النبي ﷺ جئت إليه، فقال لغلامه: جيء بالمائدة، فجاء بها وعليها كل خير يراد فالتفت إلي وقال: كل، هذا الذي أوصاني به النبي ﷺ، وقال لي: هذه ضيافتك يا فلان وسماني باسمي، وما يبعد أن النبي ﷺ سماه كما وقع لغيره من الخدام من تسمية أقوام قصدوا زيارته من أرض شاسعة كما أخبرني به الشيخ محمد فولاذ في المسجد الأقصى وكان من الأخيار وكثير التعبد والإيثار وحج ماشياً ما يزيد على ثلاثة حجة، قال لي: إذا جاء أوان الحج هاج بي الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيد الأولين والآخرين فأخذ زادي على ظهري وإناء الماء وأسير مع الناس إلى جنب وأنا مشغول بحالي، قال: فاتفق أني تحدثت أنا وخدام الضريح وتذاكرنا مواهب الله عز وجل لسيدنا رسول الله ﷺ فقال لي: يا شيخ محمد إنني أخدم هذا الضريح ستين سنة فاتفق في يوم حار أني سمعت السرير بصرصر وسمعت صوته عليه الصلاة والسلام وهو يقول: «وعليك السلام يا فلان ويا فلان بن فلان» وسُمي ثمانية أنفس، قال الخادم: ففقت من ساعتني وجئت الضريح وإذا بشخص كاد أن يموت من الهزال جالس عند

(١) الصواب ففتحتهما، اهـ مصححه.

الضريح، فسلمت عليه وقلت: ما اسمك؟ فقال: فلان بن فلان لأحد الثمانية، فقلت له: وأين رفقتك؟ فقال: عند باب الحرم، قد عجزوا عن الوصول إلى الضريح، قال: فعمدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سماهم رسول الله ﷺ فقلت: وأين بقيتكم؟ فقالوا: فارتقناهم من وراء تلك الأكمة، قال: فأخذت ما أحملهم عليه ومائة وشيئاً من الأكل ومضيت فوجدت الأربعة قد قضوا فجهزتهم ثم رجعت إلى الأربعة فأخذتهم وأكرمتهم وسألتهم من أين ورودهم فقالوا: من بلاد شاسعة تعاقدنا وتعاهدنا على زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهب أنفُسنا، فأما نحن فقد أعطانا الله عز وجل مرادنا وأما أخواننا الذين ماتوا عند الأكمة فترجو أن الله عز وجل لا يخيب مساعهم.

ووقع مثل ذلك كثيراً جداً وقد دونه الأئمة كابن أبي الدنيا وغيره وعقدوا له باب الاستغاثة بالنبي ﷺ وخزجوه بأسانيدهم على اختلاف الوقائع وفيها ما يتعلق بالصديق والغاروق رضي الله عنهما وما أنذا أتعرض لنبذة بسيرة جداً من غير الأسانيد لأنه اللائق بهذه الورقات فمن أراد الكثرة فعليه بالنظر في كتب الأئمة فإنها مجلدات والمهمل لذكرها قد نادى على نفسه بخبث طويته في حق أصفياء الله عز وجل وأوليائه، أعاذنا الله من الزيغ والفتن ما ظهر منها وما بطن.

فمن ذلك: ما أخبر به أبو عبد الله الحسين وأبو علي بن سعيد بن نهبان وكان من فضلاء بغداد ورؤسائهم وغيرهما قالوا: أراد رجل الحج فأحضره الأمير مقلد فقال: يا فلان تريد الحج؟ قال: نعم، قال: إذا حججت وأتيت المدينة فاقرا على النبي ﷺ مني السلام وقل له لولا صاحبك لزلتلك قال الرجل: فحججت وأتيت المدينة ولم أقل الكلام عند القبر إجلالاً لرسول الله ﷺ فلما كان الليل نمت فرأيت رسول الله ﷺ في منامي فقال لي: يا فلان لِمَ لم تؤد الرسالة من مقلد؟ فقلت: يا رسول الله أجلتلك أن أقول في صاحبك ذلك فرفع رأسه إلى رجل فقال له: خذ هذا موسى واذبحه، قال: ففعل، قال: فوافيت العراق فسمعت أن الأمير مقلد ذبح على فراشه فلما قدمت المدينة - أي بغداد - سألت عنه فقيل إنه ذبح على فراشه فذكرت للناس الرؤيا التي رأيتها فشاعت إلى أن بلغت الأمير قرواس بن المسيب فأحضرني وقال: اشرح لي الحال، فشرحت له، فقال: أتعرف موسى؟ قلت: نعم، فأحضر طبقاً مملوءاً موسى والموسى في الجملة فقال لي: أخرج موسى، فضربت بيدي وأخذت موسى الذي رأته بيد المصطفى ﷺ وقد ناوله الرجل فقال: صدقت هذا موسى وجدته عند رأسه وهو مذبوح.

ومن ذلك ما أخبر به علي بن محمد قال: سمعت رضوان اليماني وكان من الأخيار وأهل السنة، قال: كان لي جار في منزلي وفي سوقني وكان يشتم أبا بكر وعمر، قال: فكسر الكلام بيني وبينه فلما كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر فوقع بيني وبينه كلام حتى ناولته وناولني فانصرفت إلى منزلي وأنا مهموم حزين ألوم نفسي، قال: فتمت وتركت العشاء لشدة ما بي فرأيت النبي ﷺ في منامي في ليلتي فقلت: يا رسول الله فلان جاري في منزلي وفي سوقني يسب صاحبك، قال: «مَنْ أَصْحَابِي؟» قلت: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال لي: «خذ هذه المدية واذهب بها» قال: فأخذتها وأضجعت فذبحت فرأيت كأن يدي أصحابها من دمه فألقيت المدية وأهويت بيدي إلى الأرض أمسحها فانتبهت وأنا أمسح يدي فأسمع الصراخ من نحو داره فقلت: انظروا ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة، فلما أصبحنا جثت أنظر إليه لعلمي أن رؤياه حق، فنظرت فإذا خط موضع الذبيح.

ومن ذلك ما أخبر به يحيى بن عطف المعدل بالموصل قال: حكى لي شيخ دمشقي جاور بالحجاز سنين، قال: جاورت بالمدينة الشريفة سنة مجدية فخرجت إلى السوق لأشتري برباعي دقيقاً فأخذ صاحب الدقيق مني الرباعي، وقال: العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق، فامتنت من ذلك فراجعني مرات وهو يضحك، فضجرت وقلت: لعن الله من لعنهما، فلطم عيني فرجعت إلى المسجد والدموع تسيل، قال: وكان لي صديق زاهد عابد جاور بالمدينة سنين فسألني عن حالي فذكرت القصة فقام معي إلى التربة الشريفة، وقال: السلام عليك يا رسول الله، فلما جنّ علي الليل نمت فلما أصبحت صادفت عيني أحسن مما كانت وكأنها لم يصيبها ضرر ثم لم يكن إلا ساعة وإذا رجل مبرقع قد دخل من باب المسجد يسأل عني فدلّ علي فجاء وسلم علي وقال: ناشدتك الله إلا جعلتني في حل فأنا الرجل الذي لطمتك فقلت: لا أو تذكر لي قصتك، فقال: نمت فرأيت رسول الله ﷺ قد أتبل ومعه أبو بكر وعمر وعلي فتقدمت وقلت: السلام عليكم، فقال علي رضي الله عنه: لا سلام الله عليك ولا رضي عنك أنا أمرتك أن تلعن الشيخين، وجعل بإصبعيه كذا في عيني ففقاها فانتبهت وأنا نائب إلى الله تعالى، وأسألك التجاوز عن جرمي فحين سمعت قوله قلت: اذهب فأنت في حل من قلبي، قال أبو النصر: فكان هذا الشيخ الدمشقي ديناً صالحاً ناسكاً قدس الله تعالى روحه.

كان علي رضي الله عنه يقول: أنا وأبو بكر وعمر كنفس واحدة من أحبنا جميعاً انتفع بمحبتنا ومن فرق بيننا في المحبة لقي الله تعالى يوم القيامة ولا حجة له.

وكان أيوب السختياني يقول: من أحب أبا بكر فقد أحب إمام الدين، ومن أحب عمر فقد أوحى السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله تعالى، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد فقد برىء من النفاق، ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف السنة والسلف الصالح، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يجهم جميعاً ويكون قلبه سليماً.

على هذا الاعتقاد درج السلف وبذلك اقتدى العلماء خلفاً بعد خلف ومن ذلك ما أخبر به محمد بن عبد الله بن محمد الفقيه الحنبلي قال: اجتمع جماعة في الطريق قاصدين مكة في عرض السنة وكان أحدهم كثير الصلاة والتعب فمات فأهمهم دفنه فنظروا إلى بيت شعر في الصحراء فقصدوه فإذا في البيت عجوز وفيه قدوم فسألوها أن تدفنه إليهم فقالت: تعاهدوني بالله عز وجل أنكم تردونها إلي فأعطوها ما أرادت ثم أخذوا القدوم فحفروا به قبراً وواروا الرجل ونسوا القدوم في القبر فذكروا اليهود فدعتهم الضرورة إلى أن ينشوا فإذا القدوم قد صار غلاً من يد الرجل إلى عنقه فردوا عليه التراب فأخبروا العجوز الخبر فقالت: لا إله إلا الله رأيت رسول الله ﷺ في منامي فقال: «احتفظي بهذا القدوم فإنه غل لرجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما».

وأخبر العباس السني قال: قال لي أحد المشايخ المعمرين: كنت بجوامع عمرو بن العاص ونحن في صلاة أراها صلاة الصبح فسمعت صجيجاً بصحن الجامع فلما فرغنا من الصلاة اجتمع الناس فرأوا رجلاً مذبحاً فقال رجل من الحاضرين: أنا ذبحته فإني سمعته يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فحمل إلى السلطان فسأله عن القضية فقال: أنا ذبحته، فأمر السلطان بالرجل أن يُحبس وبالمقتول أن يُدفن، فحفروا له موضعاً فوجدوا ثعباناً ثم حفروا له موضعاً آخر فوجدوا فيه ثعباناً فأخبروا السلطان بذلك فقال: احفروا له قبراً ثالثاً، فحفروا فإذا فيه ثعبان، فقال: ادفنوه، وسرح القاتل، قلت: وبلغني أنه لما دفن ابن تيمية قال شخص بعد ثلاثة أيام: قد اضطرب القول في هذا الرجل والله لأنظرون ما صنع الله به، قال: فحفر قبره فوجد على صدره ثعباناً عظيماً هاله منظره فكان الرجل يحذر الناس من اعتقاده ويعلمهم بما رأى، والله أعلم.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه (مجاني الدعوة) بسنده (أن<sup>(١)</sup> مؤذن عك) قال:

(١) هكذا وجدنا في الأصل، اهـ مستخه.

جرت أنا وعمر إلى بكران وكان رجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فنهياه فلم ينته فقلنا: اعتزلنا فاعتزلنا فلما دنا خروجتنا قلنا: لو صحبناه حتى يرجع إلى الكوفة فلقينا غلام له فقلنا له: قل لمولاي يعود إلينا، فقال: إن مولاي قد حدث له أمر عظيم قد مسخت يده يدي خنزير، قال: فأتينا فقلنا له: ارجع إلينا، قال: إنه حدث في أمر عظيم وأخرج ذراعيه فإذا هما ذراعاً خنزير، قال: فصحبنا حتى أتينا قرية من قرى السواد كثيرة الخنازير فلما رآها صاح صاح صيحة فمسخ خنزيراً وخفي علينا فجننا بغلامه ومناه إلى الكوفة وشاع أمره أعادنا الله تعالى من ذلك.

واعلم أن من الشيعة طائفة تقول إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي رضي الله عنه وأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ارتدا بعد الإسلام وقاتلا الناس.

ثم اعلم أن مما يتعلق بأمر الشيعة من هذا النوع وغيره كثير والمراد أن الاستغاثة بالنبي ﷺ واللواذ بقبره مع الاستعانة به كثير على اختلاف الحاجات وقد عقد الأئمة لذلك باباً، وقالوا: إن استعانة من لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضره توجب كشف ذلك الضر بإذن الله تعالى.

فمن ذلك ما أخبر به يوسف بن علي قال: ركبني ديون فقصدت الخروج من المدينة الشريفة ثم جئت إلى قبر رسول الله ﷺ فاستغثت به في وفاء ديني فتمت فرأيت النبي ﷺ فأشار علي بالجلوس فاستيقظت فقيض الله لي من وفي ديني.

وقال بعضهم: بلغنا أن أبا الليث يقرأ القرآن في المصحف من غير تعلم سبق منه للكتابة وكنت أنكر ذلك، قال: فدخلت مكة فوجدته يقرأ القرآن في المصحف قراءة محمودة فسألته عن سبب ذلك فقال: كنت في مدينة النبي ﷺ آبيت في المسجد وأخلو به فتشفت إلى الله عز وجل بالنبي ﷺ أن يسهل على القرآن في المصحف، قال: وجلست فأخذتني سنة قرأيت النبي ﷺ وهو يقول: «قد أجاب الله تعالى دعاءك فافتح المصحف واقرأ القرآن» قال: فلما أصبح الصباح فتحت المصحف وشرعت أقرأ القرآن فكنت أقرأ في الصحف فربما تتصفح علي الآية فأنام فأرى من يقول لي الآية التي تصحف عليك كذا وكذا.

وذكر ابن عساكر في تاريخه أن أبا القاسم بن ثابت البغدادي رأى رجلاً بمدينة النبي ﷺ أذن الصبح عند قبر رسول الله ﷺ فقال فيه: الصلاة خير من النوم، فجاءه

خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه فبكى واستغاث بالنبي ﷺ وقال: يا رسول الله في حضرتك يفعل بي هذا الفعل، قال: فضربه الفالج في الحال وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ثم مات.

وقال أبو العباس أحمد المقرئ الضريير التونسي: جعت بالمدينة ثلاثة أيام فجئت إلى القبر، وقلت: يا رسول الله جعت ثم نمت ضعيفاً فلكرتني جارية برجلها فقممت إليها فقالت: اعزم، فقممت معها إلى دارها فقدمت لي خبز بر وتمراً وسمناً وقالت: كُلْ أبا العباس فقد أمرني بهذا جدي رسول الله ﷺ، قال أبو العباس: فرجعت إلى بلادي فرأيت النبي ﷺ بمصر بعد رجوعي فقال: «أوحشتنا يا أبا العباس قراءتك»، وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه.

قال الباجي: كم قرأت من ختمة عند قبره؟ قلت: ألف ختمة.

وقال أبو العباس أحمد: اللواتي كانت عندنا بمدينة فاس امرأة وكانت إذا أصابها أمر أو شيء يفرغها جعلت يدها على عينيها واستغاثت بالنبي ﷺ فتغاث فلما توفيت قال لي قريب لها: رأيتها في النوم فقلت لها: يا عمّة، رأيت الملكين الفتانين؟ فقالت: نعم جاءني فعندما رأيتهما جعلت يدي على عيني وقلت: يا محمد، فلما نزع يدي عن وجهي فلم أوهما.

وهذه القصة ذكرها بعض الأئمة وعزاها، وقال: إن الاستغاث من بعيد به ﷺ كالاستغاث به عند قبره ﷺ.

وساق عن أبي إسحاق الحسين قال: كنت بين مدينة النبي ﷺ والشام فضل لنا جمل قال: وكان قد بلغني عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال: من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث فإن حاجته تفضى، قال: فلما استقبلت عبادان وفصدت الاستغاثة هتف بي هاتف: أما تستحي من رسول الله ﷺ وتستغيث بغيره؟ قال: فتحولت نحو المدينة فقلت: يا سيدي يا رسول الله أنا مستغيث بك، قال: فوالله ما استكملت ذلك إلا والجمال يقول لي: هذا الجمل قد وجدناه.

وسافر بعض الفقهاء لقصده زيارة قبر النبي ﷺ فتاه في الطريق فاستغاث بالنبي ﷺ فظهرت له قبة العباس رضي الله عنه وبينه وبين الموضع المذكور يومان أو نحوهما.

وقال أبو الحججاج يوسف بن علي قدس الله روحه: خرجت من مكة متوجهاً إلى المدينة على طريق المشاة فهتف في الطريق فاستغثت بالنبي ﷺ فإذا بامرأة آتية من



نحو المدينة وهي تشير إلى أن أمشي على أثرها فلم أزل أمشي على أثرها إلى أن وصلت المدينة، وقال: سمعت أبا عبد الله بن سالم يقول: رأيت في المنام كأنني في بحر النيل وإذا بتماشح يريد أن يقفز علي فحفت منه وإذا بشخص وقع لي أنه النبي ﷺ فقال لي: إذا كنت في شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله فكننت أفعال فأغات، فأراد بعض الأخوان السفر لزيارته ﷺ وكان ضريراً فحكيت له الرؤيا وقلت له: إذا كنت في شدة فقل أنا مستغيث بك يا رسول الله، فسافر في تلك الأيام فجاه إلى رابع وهي غزيرة الماء وكان له خادم قد ذهب في طلب الماء، قال: فبقيت القرية في يدي وأنا في شدة من طلب الماء فذكرت ما قلت لي وقلت: أنا مستغيث بك يا رسول الله، فبقيت أنا كذلك وإذا بصوت يقول: زم قربتك، وسمعت صرير الماء في القرية إلى أن امتلأت ولم أعلم من أين أتى القائل.

وقال: سمعت محمد السلاوي يقول: لما ودعت النبي ﷺ قلت: يا حبيبي يا محمد يا سيد الكونين أنا أدخل الصحراء فإذا أخذتني شدة أدعرك الله وأتوسل بك، وجئت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت لهما كذلك قال فبقيت في البرية سبعة أيام ووقعت في جب وفيه ماء فبقيت فيه من أول النهار إلى ما بعد الظهر فلم يبق إلا الموت، قال: ففكرت ما كنت قلت عند النبي ﷺ وقلت: يا حبيبي يا محمد الذي كنت قلت لك وقلت كذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قال: فكانني بمن حولني وطلعت ببركة النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنهما.

وقال: أخبرني رجل من مدينة طرابلس قال: كنا جاثين من الإسكندرية في مركب فهاج البحر علينا وأشرفنا على التلف والهلاك فقمنا إلى الناس فقلت: استغيثوا بالنبي ﷺ فإنه غياث، فقلنا جميعاً: الغياث يا رسول الله العفو يا رسول الله العفو يا رسول الله جاثين مذنبين استجرنا بك أجرنا يا محمد الحبيب يا حبيبتنا يا شفيعتنا يا وليتنا، فنام رجل من أهل المركب مشهور بالخير والصلاح فرأى النبي ﷺ وأخذ بيده فقال: انج وأبشروا بالسلامة، فلما أفاق الرجل بشرنا برؤياه فلما أصبح رجع البحر كالزيت وكأنه عقد بيضة وجئنا إلى طرابلس سالمين ببركته ﷺ وقال: سمعت أبا الحسن المسقلاني يقول: ركبنا البحر في طلب جده فهاج علينا ورمينا ما معنا فيه وأشرفنا على التلف فجعلنا نستغيث بالنبي ﷺ ونحن نقول: وامحمداه، وكان معنا رجل مغربي صالح، فقال لنا: ارفقوا بالحجاج إنكم سالمون، رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله أمتك يستغيثون بك، قال: فالتفت إلى أبي بكر الصديق

رضي الله عنه، وقال: يا أبا بكر أنجدهم، قال: فكأن عيني ترى أبا بكر رضي الله عنه وقد خاض البحر وأدخل يده في مقدم الحق ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر فلم تستغيثون فأنتم سالمون، فسلمنا، ولم نر بعد هذا إلا خيراً، ودخلنا البر سالمين والحمد لله رب العالمين.

ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء أول سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف سنة ونصف شهر ووقع ما وقع من السبي وحمل النساء والصبيان فلما مروا بالقتلى صاحت زينب بنت علي رضي الله عنهما مستغيثة بالنبي ﷺ: يا محمداه هذا حسين بالعراء مزمل بالدماء مقطوع الأعضاء، يا محمداه، فلما كان سنة ثلاث وأربعمئة أخذ أهل الكوفة جدري عظيم ثم عمي منهم ألف وخمسمائة كلهم من نسل من حضر قتل الحسين رضي الله عنه. وهذا من أعجب ما سمع، واعلم أرشدك الله عز وجل أن مثل هذه القضايا كثيرة جداً وقد ذكر جماعة من الأئمة من ذلك أموراً عديدة عجيبة منهم البيهقي ومنهم أبو محمد عبد الحق ومنهم بعض الأئمة وذكر جملة مستكثرة في ذلك وعقد أبواباً في الاستغاثات بالنبي ﷺ ومنها باب في أصحاب العاهات وذكر منها جملة مستكثرة من ذلك على اختلاف أنواع العاهات كالعمى والصداع والزمانة ووجع البطن وغير ذلك، وأنه عليه الصلاة والسلام يضع يده الشريفة على موضع العاهة فتزول ببركة يده الشريفة وتشفى وكأنه ما به وجع قلبه<sup>(١)</sup>. ثم إنه مع ذلك قال: ولو تتبعت هذا الفن لحفيت الأقدام وجفت المحابر وفنيت الطروس في تتبعه والدفاتر، ثم قال: ولقد سألت بعض إخواننا المجتهدين وكان بمدينة النبي ﷺ على التجريد فقلت: هل استغثت بالنبي ﷺ أو لجأت إليه في شيء قط مدة إقامتك في المدينة؟ فقال: كنت أستحي أن أسأله إذ كنت بحضرته ﷺ، ثم قال: سمعت الفقيه الإمام برهان الدين بن الطيب المالكي يقول: قال لي من أتق به وكان بمدينة النبي ﷺ وأنه أصابه الجوع فأتى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني جائع، وجلس بالقرب من حجرة النبي ﷺ فأناه رجل من الأشراف فقال له: قم، فقال: إلى أين؟ فقال: تأكل عندي شيئاً، فقام معه إلى بيته فقدم إليه جفنة فيها ثريد ولحم ودهن فأكل حتى شبع وأراد الانصراف فقال له: كل وازداد فلما أراد الانصراف قال له: يا أخي الواحد منكم يأتي من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والغفار ويترك الأهل والأوطان ويقطع البحار ويأتي إلى زيارة النبي العظيم على ربه ﷺ

(١) الصواب قبله، اهـ مصححه.

وتكون همته أن يطلب منه كسرة خبز يا أخي لو طلبت الجنة أو المغفرة أو الرضى مهما طلبته منه لنته ببركة هذا النبي الكريم ﷺ<sup>(١)</sup>.

هذا وعدم السؤال يكون للأكابر لما يشاهدون في الحضرة النبوية من الإجلالات والكرامات العلوية وأنت أرشدك الله عز وجل إلى الحق وأزاح عنك الباطل إذا استحضرت بعض ما تقدم وعظفت على قول هذا الزائغ أن المسلمين متفقون على أن الميت لا يُسأل ولا يُدعى ولا يُطلب منه سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك قطعت بفجوره وببہتانہ وأنه من أحبب الناس طوية وأنه لا اعتقاد له وهذه عادته بادعاء الاتفاق وبالإجماع المقطوع به كما سيأتي عند ذكر شد الرحال وأعمال العطى وفي غير ذلك.

وقد تقدم توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ وأن الله قبله بسبب التوسل وجعل هذا الزنديق آدم عليه السلام بتوسله بالنبي ﷺ ظالماً ضالماً مشركاً وليس وراء ذلك زندقة وكفر.

وروي عن أبي الجوزاء قال: فحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت: امضوا إلى القبر واجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينها وبين السماء شيء ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمت الإبل حتى تفتت من الشحم فسمي عام التفق.

وروي البيهقي بسنده إلى الأعمش عن ابن صالح قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلك الناس

(١) هنا كلام جليل جداً للنبأ القارىء ولا يستكثر على منزلة ﷺ عند ربه إغاثة أي ملهوف فإنه تعالى يسمح له في الآخرة في الشفاعة العظمى التي تشمل كل خلق الله كافرهم كمومنهم فيحملة لذلك الأولون والآخرون من المخلوق، وإذا كان تعالى يكرم بذلك في دار الجزاء وقد غضب غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله. فعدم كل ما يحكى في هذه الدار من أنواع إغاثته تعالى للمستغيثين به ﷺ بالنسبة لتلك المقام المحمود. وهو تعالى يشفع في ذلك اليوم عباده الصالحين في أناس رجيت لهم النار فلا يدخلونها وفي أناس في النار فيخرجون منها، فإغاثته إذن لمن يستغيث بهم في هذه الدار في أمور دون النار بملابن المرات ليست بالأمر البديع وإنما كتبت هذا لأنني أعلم أن كثيراً من الناس لا يقع منهم موقع القبول ما يحكيه هنا الإمام رغم نقله عن أئمة تخني وروس أكابر الفضلاء عند ذكرهم فانا في زمن لا يعرف أهله إلا الإنكار وهم لا يعلمون أنهم إنما ينكرون إما لفضل الله على أحبائه أو قدرته على ما ينسب إليه من كرامة يكرم بها محبي أحبائه فليعلم، اه مصححه.

استسقى لأمتك، فاتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «انت عمر فاقرأه مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس» قال: فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وقال: يا رب ما ألو إلا ما عجزت عنه. فهذا رجل مبارك قد أتى قبره عليه الصلاة والسلام وطلب الاستسقاء منه عليه الصلاة والسلام فلو كان ذلك جهلاً وضلالاً وشركاً لمنعه عمر رضي الله عنه الذي احتج الزائغ باستسقائه بالعباس وقد تقدمت قصة عثمان بن حنيف وهي من الأمور المشهورة.

فسكوت هذا الزائغ القائل بمسألة الفرق تبعاً لسلالة اليهود عن هذه الأمور الواضحة الجلية المشهورة والعدول إلى الفجور من أقوى الأدلة على خبث طويته. ومثل هذا لا يحل لأحد تقليده فيما يقوله ولا ينظر في كلامه إلا من يكون أهلاً لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ والا هلك وأهلك فتنبه لذلك وحذرك وإلا هلكت من حيث ظننت السلامة.

وقوله: (ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك) قال الأئمة الأعلام النقاد أصحاب الأذهان الجيدة: هذا منه كفر لما فيه من حط رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإجماع على أن من غمط من نبي في شيء من الأشياء كفر وأيضاً ففيه ترفيع غير الأنبياء إلى رتبة الأنبياء وإلحاقهم بهم وفيه إشارة بعيدة ترجع إلى اعتقاد الشيعة<sup>(١)</sup> وهو أن النبوة عندهم تكتسب بالرياضات وتهذيب النفس وكتيبتهم مشحونة بهذا، وهذا من فجورهم فإن النبوة إنما هي من الله عز وجل فمن نبأه الله عز وجل فهو النبي ومن أرسله فهو الرسول ﴿إِنَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ومن الأمور المنتقدة عليه قوله (زيارة قبر النبي وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها) وهذا ثابت عنه أنه قاله. وثبت ذلك على يد القاضي جلال الدين القزويني. فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها من كون ذلك معصية. ومن ادعى الإجماع وأن ذلك مقطوع به فهذا الزائغ يطالب بما ادعاه من إجماع الصحابة رضي الله عنهم وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين ادعائه ذلك. وما أعتقد أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك مع أن الكتب المشهورة بل والمهجورة وعمل الناس في سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع الأقطار فزيارته من

(١) هذا ليس اعتقاد الشيعة وإنما هو اعتقاد الفلاسفة هكذا روي على حاشية خط الشيخ، اه صاحب الأصل.

أفضل المساعي وأنجع القرب إلى رب العالمين وهي سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها عند الموحدين ولا يطعن فيها إلا من في قلبه مرض المنافقين ومن هو من أفرأخ اليهود وأعداء الدين من المشركين الذين أسرفوا في ذم سيد الأولين والآخرين.

ولم تنزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه على ممر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان سار في ذلك الزرافات والروحدان والعلماء والمشايخ والكهول والشبان حتى ظهر في آخر الزمان مبتدع من زنادقة حران لبس على أشباه الرجال ومن شابههم من سييء الأذهان وزخرف لهم من القول غروراً كما صنع إمامه الشيطان فصدهم بتمويهه عن سبيل أهل الأيمان وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيات الطريق ومدرجة النيران فهم برزيتهم في ظلمة الخطأ يعمهون وعلى منوال بدعته يهرعون، وسأذكر لك ما تحقق به فجوره وبدعته وتضليل من مشى خلفه وهلكته وأبين ما أظهره من القول الباطل وما رمز إليه وأوضحه لكل من سمعه ووقف عليه ثم أردف ذلك بما يدل على المنهج من ذلك فلا يزيغ عنه بعد ذلك إلا هالك.

قال القاضي عياض في أشهر كتبه الذي شاع ذكره في سائر البلاد وقرىء في المجامع والجوامع على رؤوس الأشهاد (فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضل من زاره وكيف يسلم عليه ويدعو): وزيارة قبره سنة من سنن المرسلين مجمع عليها ومرغب فيها.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من زارني في المدينة محتسباً كان في جواربي وكننت له شافعياً يوم القيامة».

وفي حديث آخر «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي» هذه ألفاظه بحروفها.

وكذا ذكره الإمام العلامة هبة الله في كتاب توثيق عرى الإيمان فهذا نقل الإجماع على خلاف ما نقله هذا الزائف الفاجر المبالغ في فجوره وعزوه إلى السلف، وأما غير هذين الإمامين ممن نقل النذب إلى زيارته فخلق لا يحصون وسأذكر بعضهم على أنه ذكر في فتوى مطولة ما يناقض ما ادعاه من الإجماع والقطع هنا وقد ذكرت المسألة في (تنبيه السالك) وذكرت صورة الفتوى وجوابه، وهذا جواب مطول وتعرضت لما فيه من الخلل وسوء الفهم وفجوره في النقل والعزو وما أنذا أذكر هنا

بعض الجواب وأبين ما فيه من الخطأ وعدم صحة الاحتجاج بما احتج به كحديث «لا تشد الرحال» ولا أدق في الجواب لأن قصدي بيان جهله وأنه لا حجة له في الحديث جرياً على القواعد التي عليها مدار الاستدلال صحة وبطلاناً.

وأذكر ما ذكره في أحاديث الزيارة وما ادعاه فيها من الفجور وما رمز إليه في تكفير الأئمة الذين رووها وأنه قال قولاً مفترى لم يسبقه إليه أحد ولا رمز ولا أشار إليه وبالله التوفيق.

فمن<sup>(١)</sup> ما ذكره في الجواب بلفظ قوله وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ كقوله: «من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» رواه الدارقطني وابن ماجه.

فانظر أرسلك الله تعالى كيف جعل هذين الإمامين ممن لا يعرف الحديث وهو من أقيح البهتان، وقد احتج بهذا الحديث خلائق من أئمة الحديث غير هذين الإمامين منهم القاضي عياض وصاحب توثيق عرى الإيمان وهو أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) ذكره في الباب الذي عقده لزيارة قبر النبي ﷺ.

ومنهم ابن قدامة ذكره في كتابه المغني في فصل يستحب زيارة قبر النبي ﷺ واستدل بحديث ابن عمر من طريق الدارقطني ومن طريق سعيد بن منصور، وذكر أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه «ما من أحد سأل علي عند قبري» وقوله: (وأما ما يذكره بعض الناس من قوله: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» فلم يورده أحد من العلماء) وهذا أيضاً من البهتان البين والجهل فقد روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة بالفاظ متقاربة منهم الحافظ أبو عبد الله بن النجار في كتابه (الدرة الثمينة).

من حديث علي رضي الله عنه ومنهم الإمام الحافظ المتفق على حفظه وعلو قدره في هذا الشأن أبو سعيد عبد الملك النيسابوري خرج في كتابه شرف المصطفى من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني» رواه ابن عساكر من طرق، وقوله: (وهو مثل «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة»).

(١) توصل ما بمن، اه مصححه.

تنبه يا من أشير إليه بالعلم في قوله فإنه يشير به إلى أن الحديث الأول كذب على رسول الله ﷺ لأنه سوى بينهما، وذكر الحديث الثاني توطئة لقصدته الفاسد في إرادة تجاسره به والتمويه على العوام والضعفاء من الطلبة وهو شديد الاعتناء بهذا القصد الخبيث في الكلام على آيات الصفات وأحاديثها فليحذر الواقف على كلامه في آيات المتشابهة وأحاديثه غاية الحذر فإن الخطأ فيها كفر بخلاف غيرها من مسائل الفروع.

وقوله: (وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء بأن النبي ﷺ كان يزور قباه وأجاب عن حديث «لا تشد الرحال» بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب وأما الأولون فإنهم محتجون بما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال<sup>(١)</sup>: «إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي» وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به).

انظر بضر ك الله تعالى ما في هذا الكلام من الإيهام والتدليس فإنه قال: قل، وقد احتج الشيخ أبو محمد على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ بأن النبي كان يزور قباه ولم يذكر راكباً وماشياً لأن الراكب قد شد الرحل وهو لا غرض له في ذلك، وأيضاً لم يذكر غير الشيخ أبي محمد وهو يومه انفراده بذلك ولم ينفرد كما أذكره من بعد.

وقوله: (أجاب - يعني أبا محمد - عن حديث «لا تشد الرحال» بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب) وهو يومه أن ذلك لم يقله إلا الشيخ أبو محمد وهو من التدليس الذي هو كثير الاعتناء به. والمكر السيء قوله: (أما الأولون - يعني القائلين بتحريم السفر وعدم جواز القصر في سفر المعصية - فإنهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به) وهو يومه أنهم احتجوا لتحريم<sup>(٢)</sup> قبور الأنبياء وقبر النبي ﷺ به وهو من التدليس الفاحش وهو مطالب بأن الأولين صرحوا بأن شد الرحال وأعمال المطي إلى قبره وقبر الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام حرام ومعصية ولا تقصر فيه الصلاة وهذا لا يجده بل الموجود غيره والندب إلى ذلك كما يأتي إن شاء الله تعالى، وقد خاب من افتري.

(١) أول الحديث «لا تشد الرحال» ثم المذكور هنا، اهـ مصححه.

(٢) فيه حذف مضاف تقديره زيارة قبور النبي، اهـ مصححه.

ثم ما ذكره من انفراد الشيخ أبي محمد بأن الحديث محمول على نفي الاستحباب كذب وفجور وجهل فإنه لم ينفرد بذلك بل لا الحديث مسوق لتحريم زيارة القبور وإنما هو لبيان فضيلة المساجد الثلاثة دون غيرها لأن المساجد الثلاثة مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعمل فيها يضاعف ما لا يضاعف في غيرها، وليس لزيارة القبور تعلق بالحديث.

ولما تكلم الأئمة على هذا الحديث ومنهم الإمام العلامة أبو زكريا يحيى النوري رضي الله عنه في شرح مسلم قال: (في الحديث فضيلة المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة في شدها إلى مسجد غيرها، وقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: يحرم شدها إلى غيرها وهو غلط ومر بيانه في باب سفر المرأة) فصرح بأن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك في الفضيلة وصرح بأنه لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها ولم يتعرض للزيارة البتة.

قلت: وجزم الشيخ محيي الدين رضي الله عنه بأن الشيخ أبا محمد جزم بالتحريم وهو ممنوع، وإنما تردد في ذلك فقال: ربما يحرم وربما يكره والله أعلم.

وقال - أعني النووي - في شرح مسلم في باب سفر المرأة: واختلف في شد الرحال وأعمال المطي إلى غيرها لا الذهاب إلى قبور الصالحين والمواضع الغاضلة ونحو ذلك.

فقال الشيخ أبو محمد الجويني: يحرم، وهذا الذي أشار إليه عياض مختاراً له والصحيح عند أصحابنا واختاره الإمام والمحققون لا يحرم ولا يكره والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى الثلاثة خاصة، انتهى.

فذكر أولاً أن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك في الفضيلة، وذكر ثانياً أنه قول المحققين وأنه لا يحرم ولا يكره وأن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة خاصة ولم يصرح بقبور الأنبياء، وقوله: وأن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة يفيد أن شد الرحل إلى غير الثلاثة فيه فضيلة إلا أنها غير تامة، وإذا علمت ذلك وما قرره هذا العبد الصالح وما نقله استفدت منه أنه لا يجوز تقليد هذا الزائغ في نقله، ولا يرجع إليه في تقريره لسوء فهمه وتدليسه، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما تقطع به بصحة ما قلته بلا شك ولا تردد.

وأزيدك على ما ذكره النووي ما يؤكد ما قلته: قال ابن قدامة الحنبلي في كتابه المغني (فصل: فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد) قال ابن عقيل: لا يباح له الترخيص لأنه منهى عن السفر إليها.



قال النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» والصحيح إباحته وجواز القصر فيه لأن النبي ﷺ كان يأتي قباء ماشياً وراكباً وكان يزور القبور، وقال: «زوروها تذكركم الآخرة» وأما قوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فيحمل على نفي الفضيلة لا على التحريم، وليس الفضيلة شرطاً في إباحة القصر ولا يضر انتهازها، انتهى.

وفيه من الفوائد أنه صرح بأن الصحيح أن ذلك في نفي الفضيلة وأن المنع إنما نسيه إلى ابن عقيل فقط، فأين قول ابن تيمية وطوائف كثيرون من العلماء المتقدمين، وابن قدامة واسع الباع في الاطلاع فكيف يقتصر على ابن عقيل وحده ويترك طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين؟ وهذه كتب الحنابلة وغيرها مشهورة فأين النقل فيها عن المتقدمين؟ وهذا مما يعرفك أن ابن تيمية يكذب في الإجماع، ومن تتبع ذلك وجدته صحيحاً وينقل في بعض الأحيان شيئاً وهو كذب محقق، وإذا نقل كلام الغير لم ينقله على وجهه وإن نقله على وجهه دس فيه ما ليس من كلام ذلك المنقول فاعلم<sup>(١)</sup> ذلك وتنبه له واحذر تقليده تهلك كما هلك.

وقول ابن عقيل: لا يباح الترخص لزيارة القبور لأنه منهي عن السفر إليها لم يصرح بقبور الأنبياء ولا بقبر النبي ﷺ ولم يعلم مراده، وعلى تقدير إرادته ذلك فهو مخطيء وضعيف الإدراك في الاستدلال، ألا تراه اعتمد على الحديث، وما قاله ابن عقيل، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الحديث لا دليل فيه إلا عند عوام الفقهاء وأن من تمسك به فقد تمسك بما لا يفيد، ولا يد من ذكر ألفاظ الحديث لتتم الفائدة، وقد ورد بألفاظ مختلفة:

أشهرها: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى».

(١) هل الذي يبلغ في الخيانة في النقل إلى هذه الدرجة يعد من متوسطي المؤمنين فضلاً عن الأاضل العلماء فضلاً عن الأئمة المجتهدين وأنت تعلم أن العالم لا يكون عالماً وثنق الناس بمولفاته إلا إذا كان أميناً أمانة لا يتطرق إليها الشك أصلاً لأنه يتكلم في دين الله وأنا لا أدري من هذا حاله كيف مدحه بعض الناس لا سيما إذا لوحظ ما تقدم من تكفيره بإجماع علماء المذاهب الأربعة وقد أجاد وأفاد من قال إن ذلك المدح صدر ممن مدح في أوائل أمر هذا الرجل فإنه كان يظهر بما يمدح به ولكن لما تبين حاله لم يمدحه إلا من يوافقه على مشربه لا بل هذا ذمه كل الذم ونصحه وقول المؤلف المنقول أي عنه، اه مصححه.

واللفظ الثاني: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد» من غير لفظ الحصر.  
 اللفظ الثالث: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء» وإيلياء بيت المقدس.

وهذه الروايات ذكرها مسلم في فضل المدينة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وذكر قبل ذلك في سفر المرأة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» وهذا بصيغة النهي والثلاثة الأول بصيغة الخبر وبصيغة النهي، رواه الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم ومسجد محمد ومسجد بيت المقدس» وهذا اللفظ رواه ابن راهويه في مسنده من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

هذا ما يتعلق بلفظ الحديث وأما ما يتعلق بمعناه وما يدل عليه فاعلم أن الاستثناء في الحديث مفرغ كما هو واضح ولا بد فيه من تقدير، وهو شيان:

أحدهما: «لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاث» ولا بد من تقدير أحد هذين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه، والتقدير الأول وهو «لا تشد الرحال إلى مسجد» أولى من التقدير الثاني وهو «لا تشد الرحال إلى مكان» لأنه على التقدير الأول جنس قريب لما فيه من قلة التخصيص، لأن التخصيص على تقدير إضمار الأمكنة أكثر فيكون مرجوحاً، ولو خطر بالبال تقدير العموم في الحديث لكان خيلاً فاسد<sup>(١)</sup> المسافة وللقرينة اللفظية فيه ولدخول التخصيص بالأدلة السمعية والعملية الكثيرة جداً، أما سياق فلأن الحديث إنما ورد لبيان شرف هذه المساجد الثلاثة<sup>(٢)</sup> وخيرتها على غيرها من المساجد كما مر من أنها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولهذا تضاعف الأعمال فيها ما لا تضاعف في غيرها، والمتكلمون على الحديث إنما يتكلمون في ذلك ونحوه من لزوم النذر المتعلق بها دون الزيارات، ولهذا لما تكلم بعض المتأخرين على الحديث وأدرج ذكر الزيارة اعترض عليه في ذكر الزيارة وقيل: لم يرد الحديث لذلك وإنما ورد لبيان شرف هذه المساجد دون غيرها وهذا كاف في بطلان الاحتجاج بالحديث لمنع زيارة القبور والزيادة على ذلك إنما هو على وجه التنزل، فمن احتج بالحديث لمنع الزيارة ينبغي أن لا يرسم في حزب

(١) قوله: فاسد المسافة، ينبغي أن يكون فاسد المشاقة كما هو ظاهر، اهـ مصححه.

(٢) صوابه وخيرتها كما لا يخفى، اهـ مصححه.

الفقهاء البتة لما قررنا وإن قلنا بعموم اللفظ فكذلك لأن وقائع الأعيان إذا تطرق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال وسقط بها الاستدلال وهذا في الاحتمال وإن كان فيه بُعد.

فما ظنك بهذا الحديث الذي لا احتمال فيه من لفظه وهو قرينة ظاهرة قوية ولها شاهد ظاهر الدلالة كما أذكره إن شاء الله تعالى ولا سيما وقد دخله التخصيص بالأدلة السمعية والعملية مع كثرة المخصصات على اختلاف أنواعها، فمنها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، ومنها ما هو مندوب، ومنها ما هو قرينة، ومنها ما هو مباح. وصور هذه الأنواع لا تكاد تنحصر عدداً.

فأما القرينة اللفظية فذكر المساجد الثلاث في الاستثناء وهو بعض المستثنى منه وهذا قوي جداً وإلى تكون بمعنى اللام إذ حروف الصلة ينوب بعضها عن بعض كما هو كثير في الكلام، فالمعنى: لا تشد الرحال لمسجد إلا للمساجد الثلاثة، ويؤيد هذا أن رجلاً من التابعين قال لابن عمر رضي الله عنهما: أريد أن آتي الطور، قال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ ومسجد الأقصى ودع عنك الطور فلا تأته.

فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم لم يتكلم إلا في شد الرحال إلى المساجد دون غيرها وهو أعلم بالحديث وموارده ومصادره، وعلى منواله تكلم العلماء في شد الرحال بالنسبة إلى المساجد، وكذا ذكر القاضي عياض في كتابه الإكمال ولم يتعرض لزيارة الموتى أصلاً وليس في الحديث تعرض لمنع الزيارة البتة، وبهذا وغيره يعرف أن دعوى أن الحديث يدل على منع الزيارة من كلام الجهلة العارفين عن العلوم التي بها يصح الاستدلال والاستنباط وعلى سوء الفهم وبلاغة الذهن وجموده وأن مثل هذا لا يحل لأحد تقليده ولا الأخذ بقوله لنحقق جهله ببعض ما قررنا ﴿وَمَنْ أَرَىٰ يَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُؤَوِّكُنَا لَمْ يَنْزُرْ﴾ [التور: ٤٠] ومثل هذا لا يزال يتخطط في ظلمة جهله هو وأتباعه، وبالله التوفيق.

وقوله في جواب الفتوى (ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي وأحمد ولم يجب عند أبي حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب بالسمع) إلى آخره، فقوله وجب الوفاء عند الشافعي يوهم أن الشافعي جازم بذلك وليس كذلك بل هو قول مرجوح عند الشافعي، وعلل بأن مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى لا يقصدان

بالنسك فأشبهها سائر المساجد، وقوله: ولو نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة لم يجب ذلك باتفاق الأئمة، وهذا أيضاً ليس بصحيح وما رأيت أجراً منه على الفجور ولا أكذب في دعوى الاتفاق والإجماع، وقصده بذلك الترويج على الأعمار ولا عليه من غضب الجبار، وفي كلامه مسألان:

الأولى: إذا نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه من غير المساجد الثلاث. وقد حكي الاتفاق على أنه لا يجب الوفاء بذلك وهو البهتان اليبين فقي ذلك قولان آخران أحدهما: يجب الوفاء مطلقاً، والثاني: أن نذرها في الجامع تعين وإلا فلا.

المسألة الثانية: إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة فإنها لا تجب عليه باتفاق الأئمة، ثم أورد ذلك بقوله: وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاث، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاث).

فانظر إلى هذه الجرأة والفجور بقوله: حتى نص العلماء، والمسألة فيها خلاف، وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكي إذا قصد مسجد قباء لزمه لأن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت راكباً وماشياً، بل قال الليث بن سعد: إذا نذر المشي إلى أي مسجد كان لزمه سواء في ذلك المساجد الثلاثة وغيرها.

وقال الإمام ابن كنج من كبار أصحابنا: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه وجهاً واحداً ولو نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ ففيه قولان: أحدهما لا يلزمه، والثاني: يلزمه فعلى هذا لا بد من ضم عبادة، قيل: يلزمه صلاة وقيل اعتكاف ولو لحظته، والصحيح أنه يتخير في مسجد النبي ﷺ بين الصلاة وبين زيارة قبر النبي ﷺ، فجعل زيارة قبر النبي ﷺ طاعة وهي أخص من القرية، وجعلها تقوم مقام الصلاة التي هي أفضل عبادات البدن والمساجد موضوعة لها بالأصالة.

وقوله: (وقالوا لأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتمد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة وإجماع الأمة).

قلت: لما وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل قال: هذا من البهت الصريح، وصدق رضي الله عنه لما أذكره وفيه أيضاً تدليس من الفجور، بيان التدليس

قوله: قالوا: فإنه يومه أن هذا الذي قاله لم يقله من عند نفسه وإنما نقله عن أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهذا شأنه يدل في الإغراء ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك لعلم الحذائق التقاد بسوء فهمه وكثرة خلطه مما عرفوه منه في بحثه وتدوينه إذا انفرد، فقوله: (لأن السفر إلى قبور الأنبياء) يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبي ﷺ وغيرهم، وقوله: (والصالحين) يشمل قبور الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم وهو مطالب بتصحيح ما عزاه إلى أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً بل المنقول خلاف ذلك كما تراه، وقوله: (إن السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين) هذا من العجور والإفك المبين.

ولم تنزل الناس على زيارة قبر الخليل والكليم وغيرهما في سائر الأعصار من جميع الأمصار.

وهذا بلال مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة الشريفة لزيارة قبر رسول الله ﷺ ومن ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر والحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه (الإكمال في ترجمة بلال) وقال فيه: ولم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ فيما يروى إلا مرة واحدة في قدمة قدمها إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ طلب إليه الصحابة رضي الله عنهم ذلك فأذن لهم ولم يتم الأذان وقيل إنه أذن لأبي بكر رضي الله عنه في خلافته اهـ.

ومن ذكر ذلك أيضاً إمام الأئمة في الحديث أبو الحجاج الشهير بالمزي<sup>(١)</sup> وسبب سفر بلال رضي الله عنه لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال له: «ما هذه الجفوة يا بلال أما أن لك أن تزورني يا بلال؟» فانتبه من نومه حزياً وجلاً خائفاً، فقعده على راحلته من حينه وقصد المدينة فأتى قبره عليه الصلاة والسلام فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما إليه فجعل يضمهما ويقبلهما ثم قال له: يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن للنبي ﷺ في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف، فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة، فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها، فلما قال أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا: أبعث رسول الله ﷺ؟ فما رني يوم أكثر باكياً ولا باكياً بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

(١) المزي بكر الميم وتشديد الزاي نسبة إلى قرية بالشام، اهـ مستنسخ الأصل.

فهذا بلال من سادات الصحابة رضي الله عنهم قد شدَّ رحله من الشام وسافر لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فقط، وأعلم بذلك الحسن والحسين، وطار بذلك الخبير في المدينة وكان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم ينكر عليه ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

ولو كان السفر لزيارة قبره مخالفاً للسنة وإجماع الأمة لأنكروا عليه لأنهم ينكرون أدنى شيء من المخالفات ولا سيما عمر وهو أمير المؤمنين وأشد الناس في الإنكار وأبسطهم بدأ وأحدهم لساناً ووقوفاً مع الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وأيضاً فمن الشائع الذائع أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يبرد البريد من الشام لأجل السلام على رسول الله ﷺ فقط، ذكر هذا غير واحد منهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو (الشفاء) وذكره الإمام هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان) وذكره الإمام العلامة ابن الجوزي في كتابه (مشير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) وذكره الإمام أبو بكر أحمد بن النبل في مناسك له لطيفة جردها من الأسانيد والتزم فيها الثبوت ولفظه: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبي ﷺ السلام ثم يرجع، وهذا الإمام أبو بكر قديم توفي في سنة سبع وثمانين ومائتين، فهذا السيد الجليل عمر بن عبد العزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقط لا لقصد آخر، وكان ذلك في زمن صدر التابعين، وكان سفر بلال في زمن صدر الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر ذلك أحد، فدل على أن السفر لأجل زيارة قبره ﷺ ولأجل السلام عليه مجمع عليه بين الصحابة والتابعين فأين دعوى ابن تيمية أن ذلك مخالف للسنة وإجماع الأمة، وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار ألا تسافر لتزور قبر رسول الله ﷺ وتتمتع بزيارته، فقال: نعم يا أمير المؤمنين أفعل. وهذا أو بعضه كاف في إبطال دعوى ابن تيمية وإثبات فجوره وأتبرع بزيادة وأقتصر غاية الاقتصار.

قال بعض الأئمة: وأما زيارة قبر النبي ﷺ فلم ينكرها أحد ولم يقع في السفر إليها نزاع ولم يزل سفر الحجيج إليه في السلف والخلف، وصدق رضي الله عنه، وهذه كتب العلماء من جميع المذاهب مصرحة بذلك، وقد تقدم قول القاضي عياض: زيارة قبره ﷺ ستة من سنن المرسلين ومجمع عليها ومرغَّب فيها، واحتج بحديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم، وقد ذكر غير القاضي عياض ما ذكره. وإذا تقرر ذلك ففي ذكرى ما أتبرع به مع غاية الاقتصار تتحقق أن ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجار، وقد انكشف لك ذلك كما انكشف ضوء النهار.

فمن ذلك ما ذكره القاضي أبو الطيب وهو من أئمة الشافعية قال: ويستحب أن يزور قبر النبي ﷺ بعد أن يحج ويعتمر، اه وكيف يزور من غير سفر سواء كان راكباً أو ماشياً.

وقال المحاملي في كتابه التجريد: ويستحب للحجاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبي ﷺ، اه.

وقال الحلبي في كتابه المنهاج عند ذكر تعظيم النبي ﷺ وذكر جملة ثم قال: وهذا كان من الذين رزقوا مشاهدته وصحبته، وأما اليوم فمن التعظيم بيان تعظيمه وزيارته.

وقال الماوردي في كتابه الحاوي: أما زيارة قبر النبي ﷺ فمأمور بها ومندوب إليها، وقال في كتابه الأحكام السلطانية في باب الولاية على الحجيج وذكر كلاماً يتعلق بأمر الحاج ثم قال: وإذا قضى الناس الحج أمهلهم الإمام الأيام التي جرت عادتهم بها، فإذا رجعوا سار بهم على طريق المدينة للنبي ﷺ ليجتمع بين حج بيت الله عز وجل وزيارة قبر رسول الله ﷺ رعاية لحرمة وقياماً ببعض حقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة. فتأمل هذه العبارة من هذا الإمام وما اشتملت عليه من الفوائد الجليلة.

وقال الإمام العلامة المتفق على دينه وكثرة علومه وعلو قدره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ، وذكر القاضي حسين نحوه وكذا الروياني، ولا حاجة إلى الإطالة بذكر من قال بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام سواء في ذلك قبل الحج أو بعده، وذكر السير إليه كثير من أصحاب الشافعي، من جعلتهم: السيد الجليل أبو زكريا يحيى النووي قدس الله روحه، قال في كتابه المناسك وغيرها (فصل في زيارة قبر النبي ﷺ): سواء كان ذلك على طريقه أم لا فإن زيارته ﷺ من أهم القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات، اه. وإذا عرفت هذا فأتبرع إليك بزيادة أخرى مع زيادة فائدة.

قالت الحنفية: إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المنويات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات، وممن صرح بذلك الإمام أبو منصور محمد الكرماني في مناسكه، والإمام عبد الله بن محمود في شرح المختار.

وقال الإمام أبو العباس السروجي: وإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجه إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ لزيارة قبره فإنها من أنجح المساعي وكلامهم في ذلك يطول، وأتبرع بزيادة هي أبلغ في تكذيب هذا الفاجر لأنها من كلام أئمة الحنابلة.

قال ابن الخطاب محفوظ الكلوماذي الحنبلي في كتابه الهداية في آخر باب صفة الحج: استحب له زيارة قبره ﷺ وصاحبه وفيه فائدة وهي استحباب شد الرحل إلى زيارة الصديقين رضي الله عنهما.

وقال الإمام ابن أحمد في الرعاية<sup>(١)</sup> الكبرى: ويستحب لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبه رضي الله عنهما وذلك بعد فراغ الحج وإن شاء قبله.

وذكر نحو ذلك غيرهم ومنهم الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه مشير الغرام وعقد له باباً في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، واستدل بحديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم. وذكر ابن قدامة في المغني فصلاً في ذلك، فقال: يستحب زيارة قبر النبي ﷺ واستدل بحديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم ولا أطول بذكر من ذكره من أئمة الحنابلة تبعاً لإمامهم رضي الله عنهم، وأتبرع بزيادة لفوائد جمعة ومهمة.

فمن ذلك ما في كتابي<sup>(٢)</sup> تهذيب الطالب لعبد الحق الصقلي عن أبي عمران المالكي أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة، وقال عبد الحق في هذا الكتاب: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها أبو محمد بن أبي زيد قيل له في رجل استؤجر بعال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك، فقال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة وهي مسألة حسنة.

وفي كتاب النوادر لابن أبي زيد فائدة أخرى، فإنه بعد أن حكى في زيارة القبور من كلام ابن حبيب ومن المجموعة عن مالك، ومن كلام القرطبي بإسكان الراء وبالطاء المهملتين، ثم قال عقبه<sup>(٣)</sup>: ويأتي قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره ﷺ وعلى صاحبه وفي الكتاب المذكور.

ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء في السنة والتسليم على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما مقبورين.

(١) هي الدعاية بالذال، اه مصححه.

(٢) صوابه كتاب كما هو واضح، اه مصححه.

(٣) هي عقبه بالقاف لا بالنا، اه مصححه.



وقال العبدى المالكي في شرح الرسالة: إن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس، وصدق وأجاد رضي الله عنه لأنه أفضل البقاع بالإجماع.

فهذه نبذة يسيرة والنقول في ذلك كثيرة جداً وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت وعمل الناس في ذلك في جميع الأعصار من جميع الأقطار، فكيف يحل لأحد أن يبدعهم بالقول الزور ويضل أمة المختار، بل من المصائب العظيمة أن يوقع وفد الله تعالى في جريمة عظيمة وهي عصيانهم بشد رحالهم لزيارة قبره عقب ما رجوه من المغفرة ويتركهم الصلاة التي هي أحد أركان الدين لأنهم إذا لم يجز لهم القصر وقصروا فقد تركوا الصلاة عامدين، ومن تركها متعمداً قتل إما كفراً وإما حداً، ولا يصدر هذا إلا ممن هو شديد العداوة لوفد الله تعالى ولحبيهم الذين<sup>(١)</sup> يرتجون بزيارتهم له استحقاق الشفاعة التي بها نجاتهم.

وسأذكر عقب هذا الأدلة الخاصة بالحث على زيارته وأتعرض لما قدح فيها وفي الأئمة رواتها ومنه تعلم أن هذا الخبيث لا دين له يعتمد عليه فتراه واضحاً جلياً لا تشك فيه ولا ترتاب فنسأل الله تعالى العافية مما يرتكبه هذا الزائف الفاجر الكذاب، وأن يذيقه أشد العذاب، على ما أنشد في هذه الأمة وسيلقى أشد الحساب.

وقوله (إنما<sup>(٢)</sup>) ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلمها ضعيفة باتفاق أهل العلم بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها) أعوذ بالله من مكر الله عز وجل.

انظر أدام الله لك الهداية وحماك من الغواية إلى فجور هذا الخبيث كيف جعل الأحاديث المروية في زيارة قبر خير البرية كلها ضعيفة، ثم أردف ذلك بقوله باتفاق أهل العلم بالحديث، ولم يجعل الأئمة الذين أذكروهم من أهل الحديث، والعجب أنه روي عنهم في مواضع عديدة من كتبه، وهذا من جهله وبلادة ذهنه وعمارة قلبه من أنه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك، ثم إنه لم تخمد نار خبثه بما ذكره من الفجور حتى أردف ذلك بأن الأحاديث المروية في زيارة القبر المكروم موضوعة - يعني أنها كذب - وهذا شيء لم ير أحد من علماء المسلمين ولا من عوامهم فاه به ولا رمز إليه لا من في عصره ولا من قبله قاتله الله تعالى.

(١) الذي بالإنفراد، اه مصححه.

(٢) صوابه إن ما، اه مصححه.

ولقد أسفرت هذه القضية عن زندقته بتجرئه على الإفك على العلماء وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور ولا ييالي بما يقول، وإن كان فيه عظام الأمور. وإذا عرفت هذا فينبغي أيها المؤمن الخالي من البدعة والهوى أن لا تقلده فيما ينقله ولا فيما يقوله، بل تفحص عن ذلك وتسال غير أتباعه ممن له رتبة في العلوم وإلا هلكت كما هلك هو وأتباعه<sup>(١)</sup>.

ولنذكر بعض الأحاديث الواردة في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، وأذكر من رواها وأحذف الأسانيد لأنها لا تليق بهذه الأوراق وقد رويت من طرق بلغت بها منزلة الصحيح أو قاربت أو منزلة الحسن وأذكر من صحح بعضها وأبين أنه من الأئمة الأعلام بالحديث وأنه يعتمد تصحيحه وبالله التوفيق.

فمن الأحاديث في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» رواه غير واحد من أئمة الحديث منهم الدارقطني والبيهقي وغيرهما والحديث مروى بهذا اللفظ في عدة نسخ معتمدة وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وخرجه أبو اليمن في كتابه إيجاف<sup>(٢)</sup> الزائر، وأطراف المغنم للسائر، في زيارة سيدنا رسول الله ﷺ، وخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام بعد وفاته كان كمن زاره في حياته، وخرجه العقيلي وغيره فلا نطول بذكر من رواه من أئمة الحديث المعترين وهو مروى من طرق تبلغ الحسن.

قال أئمة الحديث: والحديث أو الأحاديث وإن لانت أسانيد مفرداتها فمجموعها يقوي بعضها بعضاً ويعتبر الحديث حديثاً حسناً ويحتج به وممن ذكر ذلك أبو زكريا النووي ذكره في شرح المذهب في كتاب الحج وهي فائدة جلية ينبغي معرفتها ليعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ في فجوره.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «وجبت له شفاعتي» معناه: حقت، ولا بد منها بوعده الصادق. وفي ذلك بشارة عظيمة لزوار قبره الشريف وهي أن من زاره محتسباً مات على التوحيد، وهذه البشارة العظيمة من ثمرة زيارة قبره المكرم.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «وجبت له شفاعتي» تحقيق لما قلته لأجل إضافة الشفاعة إليه ولأنه عليه الصلاة والسلام مشفع لا تُرد شفاعته لا في حياته ولا بعد وفاته ولا في عرصات القيامة.

(١) لملك في دهشة مما مر مفصلاً من تمدد كذب هذا الرجل في نقوله وأحكامه حتى تمدى كذبه الخلق إلى رسول الله ﷺ، اه مصححه.

(٢) لا أدري أمر إيجاف كما ذكره أم إتحاف، اه مصححه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من زار قبري حلت له شفاعتي» رواه الحافظ البزار في مسنده، وهو بهذا اللفظ في نسخة معتمدة. وسمعا الحافظ أبو الحسين الصدفي على الإمام أبي عبد الله مورتش<sup>(١)</sup> سنة ثمانين وأربعمائة. ومعنى «حلت» وجبت، وقد عزى عبد الحق هذا الحديث إلى البزار والدارقطني.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي» رواه الدارقطني في سننه وغيرها.

وفي رواية «ومن مات بأحد الحرمين بعث في الأمنين يوم القيامة» ورواه غير واحد وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وروي من طرق. ورواه الحافظ ابن عدي في كتابه الكامل بزيادة: قال عليه الصلاة والسلام: «من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبي» وذكر البيهقي في سننه أنه ذكره ابن عدي وخرجه هو بدون هذه الزيادة وخرجه الحافظ ابن عساكر.

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام: «من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي» زاد السهمي «وصحبي».

ورواه الحافظ ابن الجوزي بهذه الزيادة: وقال عليه الصلاة والسلام: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفائي» رواه ابن عدي في كتابه الكامل وغيره وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وخرجه الدارقطني في أحاديث مالك التي ليست في الموطأ وهو كتاب ضخم.

وقال ابن الجوزي: إن هذا الحديث موضوع، وقد نسب ابن الجوزي في ذلك إلى السرف فاعرف ذلك.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من زار قبري أو زارني كنت له شفعاً أو شهيداً» رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ورواه البيهقي وابن عساكر من جهة الطيالسي.

وروي بزيادة: قال أبو داود الطيالسي: حدثنا سوار بن ميمون أبو الفرج العبدي قال: حدثني رجل من آل عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زار قبري» أو قال: «من زارني كنت له شفعاً أو شهيداً».

«ومن مات في أحد الحرمين بعث الله في الأمنين يوم القيامة».

(١) هو فرنس كما في الأصل، اهـ مصححه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من زارني متعمداً كان في جوارِي يوم القيامة» رواه أبو جعفر العقيلي وغيره، ومنهم الحافظ ابن عساكر.

وفي رواية السحاي<sup>(١)</sup> قال: حدثنا هارون بن قرعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ قال: «من زارني متعمداً كان في جوارِي يوم القيامة ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيماً أو شهيداً يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بُعث في الآمنين يوم القيامة» ومن هو في جواره فهو في الآمنين لا محالة ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من حجج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلّى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه».

ورواه الحافظ أبو الفتح الأزدي في فوائده، وهذا أبو الفتح اسمه محمد بن الحسين وكان حافظاً من أهل العلم والفضل، وصنف كتاباً في علم الحديث.

ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وابن السمعاني في الأنساب وأثنى عليه محمد بن جعفر بن غيلان وذكره في الحفاظ وحسن المعرفة بالحديث.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من زارني محتسباً كنت له شفيماً أو شهيداً» وفي رواية «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارِي يوم القيامة» وهو من رواية أنس رضي الله عنه ورواه غير واحد.

ومن ذكره ابن الجوزي في كتابه مشير الغرام الساكن وهو من طريق ابن أبي الدنيا، وروي من طرق.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً ومن زارني وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنني فليس له عذر» رواه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود النجار في كتابه (الدرة اليتيمة في فضائل المدينة).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زار قبري حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً» خرجه العقيلي.

ورواه ابن عساكر من جهته إلا أنه قال: «من زارني في المنام كان كمن زارني في حياتي» وهي فائدة جليلة.

(١) في الأصل السحامي، اهـ مصححه.

وعن علي كرم الله وجهه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرنني فقد جفاني» رواه الحسين بن يحيى بن جعفر في كتاب أخبار المدينة.

ورواه الحافظ أبو عبد الله ابن النجار في كتابه الدرّة البيّمة «من لم يزرنني فقد جفاني».

ورواه الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى ﷺ وهذا الكتاب في ثمان مجلدات. وأبو سعيد هذا له مصنفات في علوم الشريعة، توفي سنة ست وأربعمائة بنيسابور وقبرهن بها مشهور ويترك به، وكان يتفجع بكلامه وبوعظه وتنجلي بكلامه القلوب قدّس الله روحه ونور ضريحه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من جاءني زائراً لا عمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيماً يوم القيامة».

وفي رواية «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي» رواه غير واحد من الأئمة الحفاظ المشهورين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ومنهم الطبراني في معجمه الكبير ومنهم الدارقطني في أماليه ومنهم أبو بكر ابن المقرئ في معجمه ومنهم العلامة الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن. ذكره في كتابه المسمى بالصحاح المؤثرة عن رسول الله ﷺ.

يا هذا انتبه لما أذكره.

قال في خطبة كتابه هذا: أما بعد فإنك سألتني أن أجمع لك ما صحّ عندي من السنن المأثورة التي نقلها الأئمة من أهل البلدان الذين لا يطعن فيهم طاعن مما نقلوه فتدبرت ما سألتني عنه فوجدت جماعة من الأئمة قد تكلفوا ما سألتني من ذلك وقد وعيت جميع ما ذكروه وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه واقتديت بهم وأجبتك إلى ما سألتني من ذلك وجعلته أبواباً في جميع ما يحتاج إليه في أحكام المسلمين، فأول من نصب نفسه لطلب الصحيح البخاري وتابعه مسلم وأبو داود والنسائي، وقد تصفحت ما ذكروه وتدبرت ما نقلوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبته، فما ذكرته في كتابي هذا مجملاً فهو مما أجمعوا على صحته، وما ذكرته بعد ذلك مما اختاره أحد الأئمة الذين سميتهم فقد ثبتت حجته في قبول ما ذكره ونسبته إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته فيما ينفرد به أحد أهل النقل للحديث فقد بينت علته ودللت على انفراده دون غيره، وبالله التوفيق، اهـ.

فانظر أرشدك الله تعالى هذا الانفاق من هذا الإمام والحرص على تحقيق ما وضعه في كتابه لم يقنع بوضع البخاري ومسلم وغيرهما مع جلالتهن بل تتبع ما وضعوه حتى وضع في كتابه وهذا شأن الأئمة الخائفين من الله عز وجل من أن يقع منهم زلل في الإخبار عن رسول الله ﷺ، ثم إنه رضي الله تعالى عنه ذكر في هذا الكتاب في كتاب الحج في باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءني زائراً لم ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» ولم يذكر في هذا الباب غير هذا الحديث.

وهذا حكم منه بأن هذا الحديث مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة وهو رضي الله عنه إمام جليل حافظ متقن كثير الحديث واسع الرحلة سمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر وسمع بالشام ومصر وسمع من خلائق من أئمة الحديث والأجلاء أهل الدين وهو من القدماء، أصله بغدادى، وسكن مصر ومات بها في نصف المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله، وإذا كان هذا حديث صحيح<sup>(١)</sup> فكيف يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً فضلاً عن أن يجعله كذباً وأقل درجات الثقة الخائف أن يقول صححه فلان، وأما القول بوضعه وتكذيب هذا الإمام وأمثاله فلا يصدر إلا من زنديق محقق الزندقة بهذه القرينة وغيرها عائداً بالله عز وجل من ذلك.

وإذا تقرر لك ذلك فانظر أرشدك الله تعالى وعافاك هذا الخيث الطوية كيف طعن في هذه الأئمة الأعلام في علوم الحديث الذين بهم يُقتدى وعليهم يُعول وعند ذكرهم تنتزل الرحمة، ورامهم بالوضع على رسول الله ﷺ وطعن في هذه الأخبار المروية عن هذه الأئمة. وهذا شأنه قاتله الله تعالى كلما جاء إلى شيء لا غرض له فيه طعن فيه وإن كان مشهوراً ومعمولاً به بين الأئمة ولا عليه لا من الله عز وجل ولا من رسوله ﷺ ولا من الناس وتنبه لشيء عظيم رمى به هذه الأئمة وهو أن من قاعدته أن من كذب على النبي ﷺ متعمداً كفر فعليه من الله عز وجل ما يستحقه، وهذا وغيره يدل على أن عنده ضغينة للنبي ﷺ ولصاحبه وكذا لامته ليفوت عليهم هذا الخير الذي رتبته على زيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام فاحذروه واحذروا تزويق مقالته المطوي تحننها أخبث الخباث فإنها لا تجوز إلا على عامي أو بليد الذهن كالحمار يحمل أسفاراً أو خال من العلوم وأخبار الناس وبالله تعالى التوفيق، والله أعلم.

(١) يكتب حديثاً صحيحاً لأنه خير كان، اه مصححه.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن بين يدي الساعة دجاجلة»<sup>(١)</sup> فاحذروهم» رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

وقوله: وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا» قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرزوا قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحاري لثلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً ويتخذ قبره وثناً، الخ.

تأمل بصرک الله تعالى وفهمک كيف بعد تضليل هذه الأئمة وفجوره بادعاء أن هذه الأحاديث المتعلقة بالزيارة كذب كيف أردف ذلك بهذا الحديث محتجاً به على منع زيارة القبر الشريف وفيه من أقوى الأدلة على تدليسه وسوء فهمه، إذ الحديث ليس فيه تعرض للزيارة البتة وإنما فيه منع اتخاذ القبور مساجد، ونحن لم نتخذ قبره المكرم المعظم مسجداً ولا نصلي فيه ولا إليه بل نزوره وندعوا مع الأدب والخشوع والسكينة وروية العظيمة لعلمنا بأنه يسمعنا ويجيبنا، وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين.

قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه قد افتتح الصلاة فلسم على النبي ﷺ ثم انصرف، وقوله: فهم دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحاري لثلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً.

هنا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته، وما قاله باطل يموه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاه الناس، وإنما دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها لما روي لهم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدفنون حيث يقبضون وكان ذلك بعد اختلافهم أين يُدفن فقال بعضهم: يُدفن في مسجده، وقال بعضهم: مع إخوانه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: عندي من ذلك علم، فذكر لهم أن النبي يُدفن موضع يقبض، فلما روي لهم الحديث دفنوه موضع قبضه، وهذا من القضايا المشهورة في غاية الشهرة، ولا نعلم أن أحداً قال إنهم دفنوه موضع قبضه للمعنى الذي ذكره وهذا شأنه إن وجد شيئاً يوافق هواه وخبث طويته ذكره ووسع الكلام فيه وزخرفه وإن وجد شيئاً عليه أهمله أو حمله على محمل يعرف به أهل النقل جهله وتدليسه عند تأمله في بعض المواضع يعرف من غير تأمل.

(١) هذا إخبار من المصنف إلى أن هذا الرجل دجال وهو يؤيد ما سبق لنا من أن أعماله أعمال

وقوله: وكانت الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا يدخل للصلاة هناك ولا يتمتع بالقبر ولا دعاء هناك، هذا أيضاً من الجسارة التي يزخرف بها على العوام وأشباههم من سيئي الأفهام من الطلبة، فإن هذا لا يدل على مراده من منع الزيارة بل كلامه يدل على الزيارة بلا هذه الأفعال إلا الدعاء، فليس كما قال، وسيأتي إن شاء الله تعالى، ومع ذلك ليس مجمعاً عليه كما زعمه وأوهمه كلامه فإن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه زار والتزم القبر فأنكر عليه مروان بن الحكم قوبخه أبو أيوب.

وقال في كلامه ما معناه ابكوا على هذا الأمر إذا وليه غير أهله<sup>(١)</sup> ذكر ذلك أبو الحسين في كتابه أخبار المدينة.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه وضع يده على موضع مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه<sup>(٢)</sup> وكان رضي الله عنه يتردد إلى الأماكن التي كان يتردد إليها رسول الله ﷺ وبراحلته لأجل التبرك، وقد تقدمت قصة بلال رضي الله عنه لما شد رحله لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام فلما وصل الصريح المكرم جعل يمرغ وجهه عليه ويبكي<sup>(٣)</sup>. وقوله: ولا دعاء هناك، قضية سياقه أن الإجماع على أنه لا يدعرو عند القبر وهي دعوى عريضة، ثم أكد ذلك بقوله: إنما يفعلونه في المسجد، ثم أردف ذلك بقوله: وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا

(١) في ذلك جواز ضم قبور الصالحين وأبو أيوب الأنصاري الذي ضم صريح سيد الوجود ﷺ هو أبو أيوب وكفى، اه مصححه.

(٢) في ذلك جواز التبرك بآثار الصالحين أباً كانت حتى الخشب الذي كانوا يجلسون عليه وابن عمر هو ابن عمر، اه مصححه.

(٣) انظر تمرغ سيدنا بلال وجهه على صريح خير الخلق وبلال هو بلال تجده صررة طبق الأصل لما يحصل من كثير من الزائرين اليوم والزائرات للصالحين من أهل البيت وغيرهم ويقعد كثير من المنتظمين لذلك ولا يرضون لفاعله غير الشرك بالله ليحكموا بذلك على بلال الذي يعد من أجلاء الصحابة وهو مؤذن رسول الله ﷺ ليعلم أولئك المنتظمون أن ذلك أثر وجد في النفوس لا يشعرون هم به يحمل أهله على التبرك بما يجاور حبيب ربهم وهو من باب قول القائل:

أمر على الديار ديار ليلى      أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي      ولكن حب من سكن الديارا

هذا قصد أولئك المؤمنين في لمسهم صريح الصالح من العباد لا العبادة كما يتوهم مظلوم القلوب سينثر الظن بالمؤمنين فليعلم، اه مصححه.



الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر، ثم قال: وأما وقت السلام فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر.

وقال أكثر الأئمة: يستقبل القبر عند السلام خاصة ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا يستقبل القبلة عند الدعاء إلا في حكاية مكذوبة عن مالك ومنعجه بخلافها ثم أردف هذا بأمر يجسر بها على الأغمار يتخيل الواقف عليها من العوام حسم باب الزيارة لقبه عليه الصلاة والسلام.

والحاصل من كلامه أنه لا يدعي عند القبر بالاتفاق ولا يستقبل القبر عند الدعاء بالإجماع، وأن الحكاية التي وقعت بين مالك وأبي جعفر المنصور كذب، سبحانه هذا بهتان عظيم.

وهذا من الفجور الذي لا أعلم أحداً فاه به ولا رمز إليه لا من العلماء ولا من غيرهم.

أما قضية مالك مع المنصور فقد ذكرتها في الكلام على التوسل فإنها صحيحة بلا نزاع، وأما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق ومنهم الإمام مالك، وقد نص على أنه يقف عند القبر ويقف كما يقف الحاج عند البيت للدواع ويدعو وفيه المبالغة في طول الوقوف والدعاء.

وقد ذكره ابن المواز في الموازية فأفاد ذلك أن إتيان قبر النبي ﷺ والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك وأن عمل الناس على ذلك قبله وفي زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره فضلاً عن أن يفني به أو يقره عليه.

وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم ولا يمسه القبر بيده، نعم في المبسوطة لا أرى أنه يقف عنده ويدعو ولكن يسلم ويمضي.

وإنما ذكرت كلام المبسوطة لأن من حق العالم الذي يؤخذ بكلامه أن يذكر ما له وما عليه لأن ذلك من الدين.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامري في كتاب المستوعب في باب زيارة قبر النبي ﷺ: وإذا قدم مدينة رسول الله ﷺ استحب له أن يغتسل لدخوله ثم يأتي مسجد رسول الله ﷺ ويقدم رجله اليمنى في الدخول ثم يأتي حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره.

ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، وإني قد أتيتك مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته اللهم إني أتوجه إليك بنبيك وذكر دعاء طويلاً ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودع، وهذا أبو عبد الله من أئمة الحنابلة، وساق هذا الكلام سياق المتفق عليه.

ومن جملة ما أفاد أنه يتوسل بالنبي ﷺ ويتوجه به بعد وفاته كما في حياته وأن الآية عامة وشاملة للحياة وبعد الوفاة فنتبه لذلك. وكذلك ذكره أبو منصور الكرمانى من الحنفية أنه يدعو ويطلب الدعاء عند القبر المكرم.

وقال الإمام أبو زكريا النووي في مناسكه وغيره فصل في زيارة قبر النبي ﷺ: وذكر كلاماً مطولاً ثم قال: «إِذَا صَلَّى تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ أُنِيَ الْقَبْرَ فَاسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَدْبَرَ الْقِبْلَةَ عَلَى نَحْوِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ مِنْ جِدَارِ الْقَبْرِ وَسَلَّمَ مَقْتَصِداً لَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ» وذكر كيفية السلام ثم قال: «ويجتهد في إكثار الدعاء ويفتنم هذا الموقف الشريف» الخ.

فهذه نقول الأئمة بتطويل الدعاء عند القبر المكرم وقد خاب من افتري، وكل أحد تلحقه الخيبة على قدره.

وقوله: وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرَأُ إِلَهَكَ وَلَا تَدْرَأُ وَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَمُوتُ وَيُؤْتَى وَيُؤْتَى وَيُؤْتَى﴾ [نوح: ٢٣] وقد أضلوا كثيراً.

قالوا: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا اعتكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدها، وقد ذكر ذلك المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره وغيره عن غير واحد من السلف، الخ.

وأنت أيها اللبيب أرشدك الله عز وجل وزادك بصيرة وفهماً إذا تأملت هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه في خبطه وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة، ومن نفس الدليل تعلم ذلك، فإنه تخيل بذهنه الجامد وخياله الفاسد أن منع الزيارة والسفر إليها من المحافظة على التوحيد، وأن الزيارة تؤدي إلى الشرك وعبادة الأوثان، وهذا خيال فاسد لأن اتخاذ الصور مساجد وعبادتها، والعكوف وتصوير الموتى فيها هو المحذور والمؤذي إلى الشرك عند تطاول الزمان، وهذا هو الممنوع منه كما

هُوَ مُصْرَحٌ بِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يَحْذَرُ مَا صَنَعُوا، وَفِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا أَخْبَرَ بِكَنِيسَةِ بَأَرْضِ الْحَبْشَةِ قَالَ: «أَوْلَتْكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَى عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ أَوْلَتْكَ شَرَّارَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فَهَذَا هُوَ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَأَمَّا الزِّيَارَةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَيِّتِ وَالِدَعَاءُ لَهُ وَعِنْدَهُ فَلَمْ يُوَدِّ إِلَى ذَلِكَ وَلَا لَهُ تَعْلُقٌ بِتِلْكَ الْأُمُورِ، وَمَنْ تَخِيلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْوَاضِحِ وَلَوْ كَانَ يُوَدِّي إِلَى ذَلِكَ لَمَّا شَرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبْلَغَ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْخُرُوجِ إِلَى قُبُورِ الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمْ بِالشَّهَادَةِ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَرَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخُرُوجِ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ بَلْ كَانَ نَهَاهُ أَنْ لَوْ أَرَادَ الْخُرُوجَ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «زُورُوا الْقُبُورَ» كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ بِزِيَادَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَيْفِيَّةَ الزِّيَارَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ فِي زِيَارَتِهَا قَوْلًا وَفِعْلًا.

وَتَوَاتَرَ ذَلِكَ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَنْ مِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَ زِيَارَتَهَا لظَاهِرِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «زُورُوا الْقُبُورَ» فَلَوْ كَانَتِ الزِّيَارَةُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الشَّرْكِ كَاتِّخَاذِهَا مَسَاجِدَ وَعِيدًا وَالتَّصْوِيرَ وَنَحْوَ ذَلِكَ لَمْ يَشْرَعِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَلَا شَرَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَقَدْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ غِيهِ وَبَعَثَهُ بِدِينِهِ الْقَوِيمِ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَلَا فَعَلَهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ كَانُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ إِعَادَةِ مَا جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِإِمَاتَتِهِ وَدَفَنِهِ وَانْدِرَاسِ أَثَرِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَنْتِ أَيُّهَا الْعَاقِلُ الْفَطِنُ إِذَا تَصَوَّرْتَ مَا نَقَلْتَهُ لَكَ وَتَعَقَّلْتَهُ بِذِهْنِكَ الصَّحِيحِ عَلِمْتَ وَتَحَقَّقْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْرِمَ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهُ التَّهْجَمُ عَلَى مَوَارِدِ الشَّرْعِ وَمَصَادِرِهِ بِخَيَالَاتِهِ الْفَاسِدَةِ وَأَنَّهُ بِذِهْنِهِ الْجَامِدِ أَدْرَكَ مَا لَمْ يَدْرِكُهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَوْ فَتَحْنَا هَذَا الْبَابَ وَتَتَبَعْنَا هَذِهِ الْخَيَالَاتِ الْفَاسِدَةَ لَهَدَمْنَا أُمُورًا كَثِيرَةً مِنَ الدِّينِ وَلَا نَحَلَّتْ عَرَاهُ عُرُوةٌ عُرُوةٌ وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الْجَهَالَةِ وَلِمَاتِ الدِّينِ، وَذَلِكَ مِنَ الْخُسْرَانِ الْعَمِيمِ، شَعْرُ:

فَالْقَوْلُ مَا قَالَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ      فَإِذَا اقْتَدَيْتَ بِهِمْ فَنَعَمْ الْمَقْتَدِي

واعلم أن من جملة ما احتج به على منع زيارة قبره عليه الصلاة والسلام حديث «اللهم لا تجعل قبري وثناً وعيداً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وهذا من أظهر الأمور على عمى قلبه وطمس بصيرته كيف يتخيل متخيل فضلاً عن أن يعتقد معتقد أن قبره المكزوم المعظم يصير وثناً، كلا والذي رفع ذكره وأعلى قدره وعظمه وملا كتابه بذلك لا يمكن تصور ذلك، وكيف يتصور وهو لا ترد له دعوة ولو في حق غيره فكيف بما هو في حقه، وهذا من المعلوم الشائع الذائع عند المتسع الباع، ولو عدت لك نقطة من ذلك مع الاقتصاد لضاعت القراطيس والألواح، ولما أدرك غبار مبادئه ولما لاح.

دعا عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له. وإذا كان هذا قد ناله ببركة دعوته فكيف بدعائه لنفسه لا سيما في هذا الأمر الفظيح.

ومرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام فقال: ادع ربك أن يعافيني، فقال: «اللهم اشفِ عمي» فقام في الحال كأنما نشط من عقال، فقال له: يا ابن أخي أيطيعك ربك؟ فقال: «يا عماء لئن أطعت الله عز وجل ليطعنك».

ودعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضي الله عنها أن لا يجيئها، قالت رضي الله عنها: فما جعت بعد.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه أن يكفيه الحر والبرد فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد.

ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلم التأويل» فكان كذلك، وكان بعد ذلك يسمى الحبر وترجمان القرآن.

ودعا لعبد الرحمن بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبي الجعد فكان لو اشترى التراب لربح فيه.

ودعا عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً.

وندت له عليه الصلاة والسلام ناقة فدعا بردها فجاءها إعصار ريح حتى ردها عليه. فانظر كيف من كساه خلع القرب والمنزلة عنده أن جعلها سائسة بغيره. والإعصار أحد الأعاصير وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود.

وفي حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصلُ العصر حتى غربت الشمس، فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء رضي الله عنها: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت على الجبال وذلك بالصبهاء بخيبر. وقيل: رجعت حتى بلغت نصف المسجد.

ومثل هذا كثير جداً وقد ذكرت جملة من ذلك في فصل الحج في كتاب (تنبيه السالك على مظان المهالك).

يا من أمد أبا هر بمزودة فأوقرت منه للمغادين أحمال  
جنتاك نظوي الفججاج المقفرات على عيسى لها في السرى وجد وار قال

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله ﷺ: «هل من شيء؟» فقلت: نعم شيء من التمر في المزود، قال: «فأتني به» فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال: «ادع عشرة» فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، ثم قال: «خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكفته» فقبضت على أكثر ما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب.

وفي رواية: فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا أوسقاً في سبيل الله تعالى، فقد تحققت بهذا فضلاً عن غيره وهو مثل الرمال كثرة يا صحيح الذهن وقوي الإيمان به أنه لا يكون قبره وثناً البتة، بل في الحديث الصحيح قد أيس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب أو مثل هذا السيد المعظم المكرم لا يتوسل به ولا تشد الرحال إليه، قاتل الله العزيز من قاله وضاعف العذاب عليه.

جدير بنا نسمى إليه وندلج فذاك الذي يسعى إليه ويدلج  
جعلنا إليه في الحياة احتياجنا ونحن إليه في القيامة أحوج  
جميع الورى والرسل تحت لوائه ومن ذاله عن جاه أحمد مخرج

أو لهذا السيد الجليل المبجل لا يشد إليه رحل ولا يتوسل به قائل الله قائله وجعله على رصف جهنم يتمايل.

زكاه قدره من ذا يجاريه في العلا	وأعلامه في ذروة العز تركز
زحاماً ترى للرسول تحت لوائه	وكل نبي باللوا يتعزز
زعيم يتعجيل الشفاعة عندما	أولو العزم عنها في القيامة تعجز
زفير لظي عنا يرد بجاهه	إذا هي من غيظ علينا تميز
زكاة على الأبدان تسعى لقبه	فيروا وزوروا فالغنائم تحرز
فمن زاره نال السعادة كلها	ومن مات عجزاً ذاك والله أميز

فمن توسل به عليه الصلاة والسلام إنما توسل به لعلو قدره ورتبته، وارتفاع منزلته وكمالها عند ربه وعظيم إجلاله وفضله على جميع خلقه، كما أخبر هو عن نفسه، فإنه سيد الأولين والآخرين وحيب رب العالمين وأحب الخلق إليه أجمعين.

ذلك شائع وذائع في الأقدمين والآخرين حتى في أعدائه المبطلين.

قديماً بدا قبل النبيين فضله	وإن قدموا بعثاً ففي الفضل أسبق
قضى الله أن لا يلحق الرسل لاحق	ولا أحد منهم بأحمد يلحق
قطعنا بأن لا يخلق الله شبيهه	قديماً ولا في آخر الخلق يخلق
قل الحق هل تلدي لأحمد مشبهاً	فبادر وقل لا لا فإنك تصدق
قرأنا أحاديثاً صحاحاً بأنه	عليه لواء الحمد في الحشر يخفق
قياماً له الأملاك والرسول تحته	ومن حوله صفوا وحفوا وأحدقوا
قوي ولكن لين في أناسه	رفيق ولكن بالمساكين أرفق
قريب لأرباب الحوائج ما ترى	لأحمد حجاباً ولا الباب يغلق

وكيف لا يكون كذلك وهو كما قيل فيه:

أكرم العالمين أصلاً وفصلاً	وجلالاً وسيد البطحاء
خص بالحوض والشفاعة في الحشر	لكل الوري ورفع اللواء
والمقام المحمود والسبق للننا	س دخولاً في الجنة الفيحاء
ثم يعطي وسيلة هي أعلى	درجات الجنان ذات البقاء
هو جاري وعدتي ونصيري	وعمادي في شدتي ورخائي

وليس هذا خاصاً بي وبفقري بل هو كما قيل فيه:

له المقام الذي ما ناله أحد	والفخر والمجد والإحسان والحسب
----------------------------	-------------------------------

وهو الشفيع الذي تنجى شفاعته  
محمد خير خلق الله قاطبة  
نؤه به يا منادي الحي إن به  
عان له مقلة تشناق تنظره  
كل الأنام إذا ما مسها العطب  
وهو الذي لفخار المجد يكتب  
تزول عن قلبي الآلام والكرب  
ومهجة بلهيب الشوق تلتهب

وكيف لا تلتهب وقد شاهدت ما شاهدت مما لا يمكن النطق به ولا أفوه،  
وكيف كيف أسلوبه.

رعى الله بالبطحاء أيامنا التي  
وحيا قباباً بين سلح إلى قبا  
نعمت بها لكن كأحلام نائم  
فهل لي إلى تلك العوالم عودة  
والشم إجلالاً ثراها وأجتلي  
سقى الله ذات الظل من دارة الحمى  
وسحت على أعلام سلح مديمة  
فتلك لعمر الله دار أحبتي  
ألا ليت شعري هل أزور قبابها  
وأنشد في أكنافها مترنماً  
ألا يا رسول الله أنت وسيلتي  
وإن شئت قلت  
مضت كوميض البرق ثم تولت  
لعزتها يحلوا خضوعي وذلي  
كأن لم تزرها العيس حتى تولت  
ولو دونها ببيض الصوارم سلت  
شموسي في أرجائها وأملتي  
حتى نهلت منه رباها وعلت  
غمائم بالنوء الروى استهلكت  
وسكانها كل المراد وبغيتي  
فتحمد فيها العيس شدي ورحلتي  
لمن نظم مدحي فيه بيت قصيدتي  
إلى الله إذ ضاقت بما رمت حيلتي  
إلى الله في غفران ذنبي وزلتي

فالتوسل به عليه الصلاة والسلام لم يزل منذ آدم عليه السلام لا يتوقف فيه أحد  
ولا يظعن إلى أن ظهر بعض زنادقة اليهود وغلاتهم في بغضه عليه الصلاة والسلام،  
قال: وإنه بموته بطلت حرمة وجاهه فلا يتوسل به ولا يقال يا جاه محمد، وتم ذلك  
بتوارث سلاتهم معتقدين ذلك مصرين عليه.

ثم زاد هذا الخبيث أن التوسل به شرك وقرره بتقرير الحق بقوله: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ  
إِلَّا لِيُخْرِجُونَكَ إِلَى اللَّهِ وَذَلِكَ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَجْهَلَ الْجَهْلَةَ، فَإِنَّ  
التوسل به عليه الصلاة والسلام معناه: أسأل الله عز وجل برسوله وأتشفع إليه به فهو  
سائل لله عز وجل لا لغيره ولا يلزم من التوسل به أو بشخص والتشفع إليه به أن  
يكون عبده ولا اتخذه إلهاً ورباً من دون الله ولا جعله شريكاً في الإلهية، ومن جعل

التوسل بشخص مثل هؤلاء<sup>(١)</sup> فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقله ما يقول، ومثل هذا لا يحل لأحد أن يقلده ولا ينظر في كلامه إلا من له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا أن حياتك خير لنا فكيف وفاتك خير لنا؟ قال: «أما حياتي فإنكم كلما أحدتكم حدثاً أحدث الله لكم المخرج منه بي فإذا متُّ فلا أزال أنادي من قبري ربي أمي حتى ينفخ في الصور ثم لا أزال أجاب أربعين سنة حتى ينفخ الأخرى وتعرض علي أعمالكم فما كان من حسن شكرت الله عليه وما كان من سيئه دعوت الله أن يفسره» رواه الإمام العلامة هبة الله في كتابه توثيق عرى الإيمان، ورواه غيره.

فهو عليه الصلاة والسلام رحمة لنا في حياته وبعد وفاته فكيف لا يتوسل به إليه ولا تعمل البزل القناعيس نحوه وإليه، وذلك مما أجمع أهل التوحيد عليه، وأجمعوا على تكفير من قال بخلاف ذلك. صرح به أئمة الأمة وأولهم مالك.

وكان ابن تيمية ممن يعتقد ويفتي بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي ﷺ، وجاء بريدي من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي وإسماعيل بن كثير الشركوني فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر في الحرم ووعظ، وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة وقال: ها أنا راجع ولا أزور الخليل، ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ، وذكر المسألة بعينها حتى قال: فلا يزور قبر النبي ﷺ، فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والي نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعززه لأجل ابن تيمية.

ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان جلس القاضي جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية وأحضر جماعة من جماعة ابن تيمية كانوا معتقلين في سجن

(١) هنا محذوف هو المفعول الثاني لجعل تقديره شركاً يستقيم الكلام، اهـ مصححه.



الشرع فأدعى على إسماعيل بن كثير صاحب التاريخ أنه قال: إن التوراة والإنجيل ما بدلا وإنهما بحالهما كما أنزلا وشهدوا عليه بذلك وثبت في وجهه فعزز في المجلس بالدرة وأخرج وطيف به ونودي عليه بما قاله ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله في القدس الشرف وفي نابلس فأنكر فقامت عليه البيئنة بما قاله فأدب وحمل على جمل، ثم أعيدها في السجن، ولما كان يوم الأربعاء أحضر ابن قيم الجوزية إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه<sup>(١)</sup> فما كان جوابه إلا أن قال: إن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فأحضر وعُذر وضرب بالدرة وأركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية وردوه إلى الحبس ولم يزل هذا في أتباعه.

وحضر شخص إلى دمشق يقال له أحمد الظاهري وكان قد حفظ آيات المتشابهة وأحاديثه فكان يسردها على العوام وآحاد الناس من الفقهاء فعظمه أتباع ابن تيمية وأكرموه. ثم إنه توجه إلى القاهرة فشرع يسرد الإياب والأحاديث لعلم به الإمام العلامة الشيخ سراج الدين البلقيني فطلبه وأعلم به برقوق فأخذوه وقيدوه وكانوا يضربونه بالسياط أول النهار ثم يستعملونه في العمارة، فإذا كان آخر النهار أعادوا عليه الضرب، ثم بلغني أن آخر الأمر أن ضربوا عنقه.

وكان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد، وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس: معذور السبكي - يعني في تكفيره - والحاصل أنه وأتباعه من الغلاة في التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبي ﷺ وبغض الشيخين وبإنكار الأبدال الذين هم خلفوا الأنبياء ولهم دواهي آخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس في لحظة واحدة، فنسأل الله تعالى العافية ودوامها إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

(وجرسوا) ابن القيم وابن كثير وطيف بهما في البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم في مسألة الطلاق، والله أعلم.

واعلم أنني اقتصرت على الكلام على هذه الفتوى لإشاعتها بين العوام وفيها

(١) هذه قيمة ابن قيمة يراها القارىء مجسمة أمامه في هذا السياق فليعلمها ولا يتتر، اه مصححه.

التعرض لمنع الوسيلة ومنع شد الرحال إلى قبر سيدنا رسول الله ﷺ واستدلاله لما قاله بالتجسير والتمويهات التي بيّنا بطلانها وفسادها، وأن ذلك من أظهر الأمور على فجوره في النقل والإغراء، وأن لا يحل أن يقلده ولا يأخذ عنه ولا ينظر في كلامه ولا يسمعه إلا من يكون له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر<sup>(١)</sup>.

ثم من الأمور المهمة المقرّبة إلى الله عزّ وجل وإلى رسوله وإلى وزيريه رضي الله عنهما بسط الألسن والأيدي فيهم جرياً على ما درج عليه العلماء والسلاطين منذ أثار هذا الخيث هذه الخباثت، وأن يعلن بالتوسل بسيد الأولين والآخريين، وأن يعني بإظهار شد الرحال وإعمال المصلى والأقدام إلى خير خلقه وحبیب القلوب، ومن يذكره تتجلي الكروب، ويهتز الطروب، وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب، التي بسببها حصل الإبعاد عن المزار وبعد الدار.

روى زيد بن أسلم أن عمر خرج ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمد صلاة الأبرار      صلى عليه الطيبون الأخيار  
قد كنت قواماً بكاءً في الأسحار      يا ليت شعري والمنايا أطوار  
هل تجمععني وحبیب<sup>(٢)</sup> الدار

تعي رسول الله ﷺ.

قال: فجلس عمر رضي الله عنه يبكي شوقاً إلى حبيبه رسول الله ﷺ وتتصعد أنفاسه من نار الشوق لولا دموع المحبين تطفئ نار الشوق لاحتقرت أكبادهم بأنفاسهم.

(١) هذا حكم من هذا الإمام الكبير على كل من يتبع ابن تيمية بأنه هالك في دينه وانظر معنى الهلاك في مثل هذا المقام ومن هنا نحن نرثي لإخواننا الموجودين والغابرين الذين اغتروا بهذا الرجل المسكين ووراه ساروا وكان بودنا أن يرى إخواننا الموجودون هذا الكتاب ليعرفوا منه قيمة هذا الرجل ثم بعد ذلك ينظروا لأنفسهم والحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به كثيراً من خلقه، اه مصححه.

(٢) وحبیب، اه مصححه.

يا خليلي قد بلغت القمصا  
 خلباني من ذكر سلمى ونجد  
 أنا لي في حشايتي حب بدر  
 نار وجدي بحبه في ازدياد  
 كلما رمت أن نفسي عنه  
 وتراها إذا ترنم حاد  
 لا تلمها إذا بدت بحنين  
 فلها معهد وأنس قديم  
 وعرفت الغرام هزلاً وجدا  
 ودعاني من حب سلمى وسعدى  
 أقسم الدهر أنه لا يسبدي  
 وغرامي به تزايد جدا  
 نتلى أبت ولا تنهدى  
 بربها تذوب شوقاً ووجدا  
 وأنين يقد ذال القلب قدا  
 ليس يفنى وإن تطاول عهدا  
 كان الصديق رضي الله عنه من المشغوفين بمحبة رسول الله ﷺ.

قال سيف بن عمرو: كان سب موت الصديق رضي الله عنه وفاة رسول الله ﷺ كمدأ عليه فما زال جسمه يتحرق حتى مات، والكمد: الحزن المكتوم.

كنت<sup>(١)</sup> السواد لناظري  
 من شاء بعدك فليمت  
 وعليك كنت أحاذر  
 فعليك يبكي الناظر

والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الأولين والآخريين وأكرم السابقين واللاحقين ورضي الله عن الصديقين والصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

(١) أحفظ هذين البيتين هكذا:

كنت السواد لناظري  
 من شاء بعدك فليمت  
 فعمي عليك الناظر  
 فعليك كنت أحاذر

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد العالمين وعلى آله خير أمة أخرجت للناس وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. انتهت هذه التعليقات في اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٥٠هـ على يد كاتبها الذي يرجو قارئها دعوة سالحة إن رأى فيها خيراً ونحن جميعاً نبتهل إلى رنا الغفور الرحيم الشكور الكريم أن يفرغ غيرت رحماته وكراماته على جدت يضم هذا الرجل الغيور على دينه القائل في نصره كالأسد يذود عن عرينه الإمام أبي بكر تقي الدين الحصني وأن يجتمعنا معه في دار كرامته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، آمين.



السيف الصَّقِيلُ

في الرد على ابن زفيل

للإمام تقي الدين علي بن عبد الطَّايِّف السبكي

المعروف ٧٥٦هـ

تحقيقه

الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن محمد بن علي الكورشي

المعروف ١٣٧١هـ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ترجمة السبكي

هو: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي أبو الحسن تقي الدين شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات.

مولده: ولد في «سبك من أعمال المنوفية» سنة ٦٨٣هـ - ١٢٨٤م.

رحلاته العلمية: انتقل من سبك إلى القاهرة، ثم إلى الشام وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ واعتل فعاد إلى القاهرة فتوفي فيها.

من تصانيفه: «الدر التنظيم في التفسير - لم يكمله»، «مختصر طبقات الفقهاء»، «إحياء النفوس في صنعه إلقاء الدروس»، «الإغريض في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض»، «التمهيد فيما يجب فيه التحديد - ط. في المبايعات والمقاسمات والتمليكات وغيرها»، «السيف الصقيل - ط. رأيت بخطه في ٢٥ ورقة في المكتبة الخالدية بالقدس في الرد على قصيصة نونية تسمى الكافية في الاعتقاد منسوبة إلى ابن القيم»، «المسائل الحلية وأجوبتها - خ. في فقه الشافعية»، «السيف المسلول على من سب الرسول - خ»، «مجموع فتاوى - ط»، «شفاء السقام في زيارة خير الأنام - ط»، «الابتهاج في شرح المنهاج - فقه». ورأيت مجموعة - خ - بخطه في مجلد ضخم تشتمل على رسائل كثيرة له، منها: الأدلة في إثبات الأهله، والاعتبار ببقاء الجنة والنار، وفتاوى وغير ذلك. ورأيت مجموعة أخرى كلها بخطه «في الرباط ٣،٦ أوقاف» تشتمل على تسع رسائل منها: المجاورة والنشاط في المجاورة والرباط... الخ وقد استوفى ابنه تاج الدين أسماء كتبه، وأورد ما قاله العلماء في وصف أخلاقه، وسعة علمه.

وفاته: توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٥م / ٥٦ / ١هـ - ١٣٥٥م (٥).

(\*) انظر: الأعلام للزركلي ٣،٢/٤ طبعة: دار العلم للملايين - بيروت، الخطط التوفيقية لابن المبارك ٧/١٢ طبعة: الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٥هـ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٥٥١/١ طبعة: السعادة بمصر سنة ١٩٣٣، الدرر الكامنة ٦٣/٣ - ٦٤ الطبعة الأولى - الهند سنة ١٣٤٩هـ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤٢/٦ - ٤٤ طبعة عيسى الحلبي الأولى سنة ١٣٨٦هـ - سنة ١٩٦٧م، ٣٦٦/٥ - ٣٦٨ نفس الطبعة.





## التعريف بكتاب «السيف الصقيل»

في أثناء القرن السابع الهجري رحل من حران إلى الشام بيت علم وفضل، خوفاً على أنفسهم من التتر واستوطنوا دمشق. وكان منهم طفل صغير من مواليد حران حمله أبوه معه فيما حمل من أهله، فألحقه بمدرسة من مدارس دمشق. ذلك الصغير، هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بابن تيمية. وعبد السلام كان من خيرة العلماء، له في مذهب أحمد تصانيف، وله متقى الأخبار الذي شرحه الشوكاني وأسماء: نيل الأوطار. فأقبل ذلك الصغير على العلم وظهرت عليه مخايل الذكاء، وتفقه في مذهب أحمد كأسرته الحنابلة، وقرأ في كثير من الفنون والعلوم، وظهرت عليه مخايل الذكاء، واشتهر بجودة الحفظ وقوة الذاكرة، وتصدّر للفتيا وإلقاء الدروس في سن مبكرة، وظهرت عليه آثار النسك والعبادة، فأحبه العامة وأثنت عليه الخاصة، ويالغ في الدعاء إلى السنة ومجانبة البدعة. وقد آنس من نفسه قوة ذهن وشدة عارضة فلم يحفل بالرجوع إلى شيوخ الوقت وأكابرهم، ورفعت إليه الأسئلة والاستفتاءات، فأجاب وأفتى، وهو مرموق في كل ذلك بعين التجلّة من الجميع. حتى إذا قارب سن الأربعين سن الكمال عادة، بدأ النقص يظهر فيه، فبدأ يسير على طريق الكرامة والحشوية<sup>(١)</sup>، ويحيي بدعة القول بالجهة والمكان والأجزاء لله.

(١) وهناك صورة مجملّة عن الكرامة والحشوية، حتى نستطن حقيقتها، ونختبر عودها، وتنظر في أصلهما فيحكى لنا الإيجي أنهما فرعان لشجرة حنظل واحدة، هي شجرة التشبيه. تشبيه الخالق بالمخلوق. وإن اختلفوا في طريقته فمنهم مشبهة علاة الشيعة ومنهم مشبهة الحشوية كمضر وكهمس والهجمي ومنهم مشبهة الكرامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام. ويؤكد الرازي على أن اليهود أكثرهم مشبهة. وأن ظهور التشبيه في الإسلام قد بدأ من الروافض مثل بيان بن سعمان الذي كان يثبت لله تعالى الأعضاء والجوارح، وهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبو جعفر الأحوال الذي كان يدعى شيطان الطاق. وهؤلاء رؤساء علماء الروافض، ثم تهافت في ذلك المحدثون ممن لم يكن لهم نصيب من علم المعقولات.

وقيام الحوادث من الصوت وغيره بذاته تعالى. وأخذ يشيع أن القول بذلك هو الإسلام والإيمان والدين والتوحيد، وأن ذلك هو مذهب أحمد بن حنبل<sup>(١)</sup> وأن من

= ويصور لنا الشهرستاني بعض معتقداتهم، ويعد أن يورد أصولهم فيقول: إن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالثبوت مثل: الهشاميين من الشيعة. ومثل مضر، وكهس، وأحمد الهجمي وغيرهم من الحشوية. قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبغاض ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن. وأما مشبهة الحشوية، فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر، وكهس، وأحمد الهجمي: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة. وأن المسلمين المخلصين يعاقبونه في الدنيا والآخرة. وحكى عن داود الجواربي أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية وأسألوني عما وراء ذلك. وقد أورد كثيراً من هذه المعتقدات الفاسدة الأشعري في مقالاته، وكذا البغدادي في فرقه... ثم إن الإمام الرازي رتب فرقه الخمسة هكذا: ١ - الحكمية: وهم أصحاب هشام بن الحكم. ٢ - الجواليقية: أتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي. ٣ - اليونسية: أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي. ٤ - الشيطانية: أتباع شيطان الطاق. ٥ - الحوارية أصحاب داود الحوارية. وكذا أورد طوائف الكرامية وقال: وأقربهم الهيصمية وفي الجملة، فهم كلهم يعتقدون أن الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث، ويثبتون له جهة ومكاناً. ونقول: والحشوية - كما سبق - من أهل الحديث الذين تمسكوا بظواهر الأحاديث التي تشعر بالثبوت، وسبب تسميتهم بهذا الاسم كما يقول الكوثري - في مقدمته على تبين كذب المفتري -: أن الحسن البصري كان يلازم مجلسه نبلاء أهل العلم، وقد حضر مجلسه يوماً أناس من رعاي الرواة. ولما تكلموا بالسقط عنده قال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها، فسموا الحشوية. ومنهم أصناف المجسمة والمشبهة. والحشوية بفتح الشين ويصح إسكانها، لفولهم بالجسيم، لأن الجسم محسوس.

تنظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، الملل والنحل للشهرستاني ج ١/١٠٥، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٦٥، والمواعظ للإيجي ص ٤٢٩، اعتقاد فرق المسلمين والمشركون للفخر الرازي ص ٩٧ - ١٠١، تبين كذب المفتري لابن عساكر الدمشقي ص ١١.

(١) يقول الرازي: اعلم أن جماعة من المعتزلة ينسبون الثبوت إلى الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحسب بن معين. وهذا خطأ. فإنهم منزهون في اعتقادهم عن الثبوت والتعطيل، ولكنهم كانوا لا يتكلمون في المشابهة مع جزمهم بأن الله تعالى لا تشبیه له وليس كمثل شيء. وأقول بعد ذلك: فلا يخدعك عن دينك قول من يقول: إن كل حنبلي مجسم، لتظن أن الإمام أحمد كان هو أو فقهاء أتباعه كذلك - فالمجسمة إن كانوا حنابلة ففي الفروع لا في الأصول - وقد روى الإمام أبو الفضل التميمي شيخ الحنابلة، والمحقق ابن الجوزي وغيرهما من أعيان المذهب عن الإمام أحمد ما عليه الجماعة من تنزه الحق عن الجسمية ولوازمها. روى البيهقي في مناقب الإمام أحمد بسنده عن أبي الفضل أنه قال: «أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة. وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف. والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجوز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية. ولم يجزى في الشريعة ذلك فبطل».

خالف ذلك فهو معطل ملحد عدو للدين منابذ للإسلام والمسلمين، فأحيا بذلك بدعة الحشو بعدما ماتت أو كادت، حتى لقد رآه ابن بطوطة - في بعض رحلاته - يخطب على المنبر، وتلا حديث النزول ثم قال: ينزل كنتولي هذه وترل درجة، فأنكر عليه بعض الحاضرين، فهاج العامة على المنكر وضربوه ضرباً شديداً. بل لقد تعصب له بعض الحنابلة أولاً، حتى إذا استطار، في الناس ضرره جعلوا يوجهون إليه النصائح بالمشافهة والمكاتبه. وحسبك نصحة الحافظ الذهبي له - وهي مثبتة في ذيل تكملة السيف الصقيل الذي بين يديك - وهو شيخ الحنابلة والحديث - وكان قبل ذلك يكثر الثناء عليه بل يطربه - فيقول: «كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما» ثم قال: إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد... الخ وستأتيك بتامهما». ونقول: لقد برع في الاحتيال لنشر آرائه المخالفة للمعقول والمنقول، وبرز في نصر بدع الكرامية، وإحياء ما اندرس من شبههم وشبه غيرهم، وترى ذلك في منهاجه الذي يرد به على الروافض وفي الحقيقة لقد خالف فيه منهاج السنة، فأثبت بأنه لا أول للحوادث وأنه لا ابتداء لها، وأن ذلك هو مذهب الصحابة والتابعين، وتراه مع ذلك... في تناقض واضح - ينقل خلاف الصحابة والتابعين في أول مخلوق، هل هو العرش أو القلم أو الماء؟! وفي صفحة واحدة دون خالجة من الخجل!!

وله في ثلب الكرام طريق غريبة ماكرة، تجد ذلك في كيديه للانتصار للأئمة الأربعة وإن حفل نصفه الأول بالثناء عليهم فقد انسرب مكره بهم في النصف الثاني تمهيداً لجرأة العامة عليهم وكذلك كان صنيعه مع إمامي أهل السنة أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي. ولا عليك فإن جهالك خلاف بين الأشاعرة والحنابلة فلا تشك أنه هو وأتباعه فقط. ولم يسلم من لسانه إمام من أئمة أهل السنة فارجع إلى موافقة معقولة تجده قد وقع في إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالي ووصفهما بأنهما أشد كفرة من اليهود والنصارى!!.. ولكن هل تركه علماء عصره على هذه الضلالات؟ ونبادر إلى القول بأن علماء عصره على اختلاف مذاهبهم قد تصدوا له، فهذا هو علامة عصره تقي الدين الحصني في كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد» يقول: أخبرنا أبو الحسن على الدمشقي عن أبيه قال: «كنا جلوساً في مجلس ابن تيمية، فذكر ووعظ وتعرض لآيات الاستواء ثم قال: واستوى الله على عرشه كاستوائني هذا: قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة وأنزلوه من الكرسي، وبادروا إليه ضرباً باللكم والتعال... حتى أوصلوا إلى بعض الحكام واجتمع

في ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟ فذكر آية الاستواء فضحكوا منه، وعرفوا أنه جاهل... وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه أبو الحسن علي بن إسماعيل القونوي يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول. ونقل عن صلاح الدين الكتبي ويعرف بالتركي في الجزء العشرين من تاريخه ما قام به العلماء في جهاد هذا الرجل. وذكر قبل ذلك صورة المرسوم الذي أصدره السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذكره أيضاً العلامة الكوثري بنصه. ناقلاً له مما رآه بنفسه من خط ابن طولون في تكلمته للسيف الصقيل. ومع هذا فقد ترك بعد موته أئمة ابتداع عبثاً من حياضه الآسنة وعلى رأسهم الإمام ابن زفيل الشهير بابن القيم - وكان أبوه قيم المدرسة الجوزية ولذلك يقولون أحياناً: ابن قيم الجوزية، يعنون بها تلك المدرسة - كان أتبع لشيخه ابن تيمية من ظله، وقد أفنى عمره في خدمة بدع أستاذه بفنون من التليس، فيؤلف في السيرة النبوية، وفي الفوائد الصوفية وفي المواعظ، ويدس في خلال ذلك من حشو شيخه وأصاليه ما استطاع ثم يعود إلى ما يعرفه العلماء، وكثيراً ما يحكي المسألة المجمع عليها بين العلماء إجماعاً ظاهراً فيذكر فيها خلافاً فيقول: قالت طائفة بذلك ويحتج لها ويطيل الاحتجاج. وقالت طائفة أخرى ويطول الاحتجاج بما يظنه حجة من أوهام شيخه. كما وقوع الطلاق الثلاث المجموع ثلاثاً وغيرهما كثير وقلما يسلم له كتاب من تشعيب ودرس وتهويش، وقد جمع شواذ شيخه في قصيدة سخيفة نونية بلغها ستة آلاف بيت تقريباً<sup>(١)</sup>. وكان إخوانه وتلاميذه يخفونها خوفاً من أهل العلم وأهله، حتى وقعت في يد شيخ الإسلام نفي الدين أبي الحسن علي السبكي، فكتب عليها كتاباً سماها: السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل - وقد وضع العلامة الكوثري تكلمة لهذا السيف وأجاد كل الإجابة - وهو الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم - ومن قرأ هذه المنظومة النونية وقرأ كتب ابن تيمية - وهو من أهل العلم - لا يرتاب في أنه نسخة منه، فإنه يرمي من تقدمه من محققي أهل العلم وأكابر العلماء بأنهم أعداء الإسلام، وذلك لأنهم لم يقولوا بما قال به ابن تيمية من التجسيم والتشبيه، وإن كان ابن الجوزي قد أنخن أهل التجسيم والتشبيه بالجراح في كتابه القيم: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمة والعشبية بتحقيق: محمد زاهد الكوثري وتصدير العلامة محمد أبي زهرة وتقديم الدكتور: جمعه الخولي بما يشفي الصدر ويثلج

(١) وعدد آياتها على التحقيق ستة آلاف بيت إلا واحداً وخمسين بيتاً.

النفس . وكذلك فإن العلامة ابن زاهد الكوثري قد أنصف أهل السنة من هذا وشيخه ومن تبعهما في كتابه: التكملة وهو ضميمه للسيف الصقيل بما يبهج خاطر ويرد الظلامه ويسفر بنور الإصباح . ولا يغررك كتاب ابن القيم: «غزو الجيوش الإسلامية، للمعطله والجهمية» فإنه جمع فيه ما تشابه من الآيات والأحاديث، لا فرق بين صحيحها وسقمها وموضعها ليثبت بذلك - في زعمه - الجهة لله تعالى عما يقول . وقد عنى بالمعطله والجهمية كل من نزه الله تعالى عن الجهة وغيرها . من لوازم الأجسام !!

ولا يقع في وهمك أن ابن القيم قد رجع عن هذه الأباطيل، كما تأكد لديك ثبات شيخه عليها إلى وفاته فإن ابن رجب - في طبقات الحنابلة - سمعها أي هذه المنظومة من لفظ ابن القيم عام وفاته أي أنه استمر على هذا العقد الباطل إلى أواخر عمره .

والله ولي التوفيق .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## التقديم للكتاب

الحمد لله القدوس المتعال، المتزه عن النظر والمثال، جلّت ذاته وعلت صفاته عن أن يحوم حول اكتناهاها وهم أو خيال، والعقول عن إدراك تلك المطالب في عقاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لتسييم مكارم الخلال، متقدماً لهذه الأمة من مخالبا الوثنية وصنوف الضلال، وهادياً إلى مرضي مولاه ذي الجلال والجمال، وعلى آله خير الآل وأصحابه أصحاب كرائم الخصال.

### انقشاع ظلمات الجاهلية بمبعثه ﷺ

وبعد، فلا يخفى على من درس تاريخ الدين الإسلامي أن الله سبحانه بعث خاتم رسله في بيئة عريقة في الوثنية، وقد أهدقت بتلك البيئة أمم يدينون بالإشراك والتشبيه وأنواع من التخريف والتمويه، فمبعثه ﷺ انقشعت تلك الظلمات الجاهلية، واستنارت بصائر الذين آمنوا به بأنوار التعاليم الإسلامية، حتى داسوا تحت أرجلهم تقاليد الوثنية ونبذوا تلك الأساطير الهمجية وخمدت عزائم أعداء الدين، وفترت مواصلتهم العداة إلى حين.

### تحين الأعداء الفرص للكيد بالمسلمين

لكنهم كانوا يتحينون الفرص لتفريق كلمة المسلمين، وتشويه تعاليم هذا الدين في الأخلاق والعمل والاعتقاد، حتى تذرغوا بعد وفاته ﷺ بشتى الوسائل إلى بذر بذور الفساد كلما ظنوا أن الفرصة سانحة، يلبسون في كل عصر ما يرونه أنجع في مخادعة الجمهور، وأغشى على بصائر الخاصة والدهماء وأشد فتكاً بهم في صميم دينهم. إلى أن تمكنوا من إضلال طوائف في الأطراف ورغم هذا بقيت بيضة الإسلام - بحمد الله جلّ شأنه - مصونة الجانب تحت كلاءة الله سبحانه ورعايته، حيث لم يمكنهم من إبادة خضراء الملة، ولا من إحداث أحداث جوهرية في صميم الدين

الإسلامي تشتت شمل الجماعة، بل بقي الإسلام في جوهره - بفضل الله جلّ جلاله - وضاء المنار واضح المنهاج، نير الطريقة، بادي المعالم لمن ألقى إلى تعاليمه السمع وهو شهيد.

وغاية ما تخيل الأعداء أن يتمكنوا منه أن يوقفوا نموه العظيم الذي كان ظهر في الصدر الأول، ويعرقلوا رقى معتقيه السريع بعد أن بهر أبصار أولي الأبصار في أوائل انتشاره، لكن أمي الله إلا أن يتم نوره.

وكان أخطر هؤلاء الأعداء على الدهماء وأبعدهم غوراً في الإغواء أناساً ظهوروا بأزياء الصالحين بعيون دامعة كحيلية، ولحي مسرحية طويلة، وعمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج، يحملون سبحات كبيرة الحبات، ويتظاهرون بمظهر الدعوة إلى سنة سيد السادات مع انطوائهم على مخازٍ ورثوها عن الأديان الباطلة، والنحل الآفلة، وكان من مكرمهم الماكر أن خلطوا الكذب المباشر بالتزديد في تفسير مآثور أو في حديث صحّ أصله عند الجمهور، باعتبارهم ذلك أنجع في إفساد دلالة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أفهام أناس قرب عهدهم من الجاهلية ولم تكامل بعد عقولهم ولا نضجت أفكارهم.

وكم أضلّ رواة من هذا القبيل طوائف من سذج المسلمين منذ عهد التابعين حيث اندسوا بين الصالحين من رواة الأعراب ومواليهم لإدخال ما اختلقوه من الأخبار بين مرويات هؤلاء الأخيار، حتى يتم إفساد دين المسلمين عليهم، ولكن أمي الله إلا أن يرد كيدهم في نحرهم حيث أقام جهابذة يسعون في إبعاد مختلفاتهم عن مرتبة الاعتداد في جميع الطبقات، على أن في عقول الذين أسلموا إسلاماً صحيحاً من النور ما يشق لهم الطريق إلى تعرف دخائل المرويات من نفس تلك الروايات، وإن لم تخل طبقة من طبقات الرواة من أغرار انخدعوا بها وتعصبوا لها، لأن الفاتنين كانوا راعوا في رواياتهم عقول هؤلاء ومداركهم في جاهليتهم تسييراً لزلل أقدامهم وتدهورهم في هاوية إغوائهم.

### انخداع سذج الرواة

فالرواة السذج إذا انخدعوا بمثل هذا التمويه يكون عندهم بعض عذر، ومن الذي لا ينخلع قلبه؟ إذا سمع السنة والدعوة إلى السنة من متشرف متظاهر بالورع الكاذب على تقدير جهل السامع بما وراء الأكمة؟ فيجب أخذ هؤلاء بالرفق لتدرجهم إلى الحق من باطل تورطوا فيه باسم السنة.

ومن محققي أهل السنة من يشير إلى أن العامي إذا بدر منه ما يوهم ظاهره التشبيه يرجي من فضل الله أن يسامحه حيث يعلو التنزيه من الجهة ونحوها عن



مداركه . وأما من جمع بين الرواية والدراية على زعمه وألف في ذات الله وصفاته، وصدر منه مثل هذا فلا يوجد بين علماء أهل السنة من يعذر مثله بل أطبقت كلماتهم على إلزامه مقتضى كلامه، وليس لعالم عذر في الميل إلى شيء من التشبيه والقرمطة لظهور سقوطهما لكل ناظر. قال القاضي أبو بكر بن العربي في القواصم والعواصم: «ما لقيت طائفة إلا وكانت لي معهم وقفة عصمني الله منها بالنظر - بتوفيقه - إلا الباطنية والمشبهة فإنهما زعنفة تحققت أنه ليس وراءها معرفة فقدت نفسي كلامهما من أول مرة» اهـ. بل لا يتصور أن يميل إلى أحدهما عاقل إلا إذا كان له غاية إلحادية، وأنى يستعجم على عالم باللسان العربي المبين ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الدلالة على تنزيهه الله جل شأنه من الجسمية والجسمانيات والمادة والماديات، بخلاف العامي الذي هو قريب العهد من الجاهلية.

### فضل علماء أصول الدين في حراسة الدين

جزى الله علماء أصول الدين عن الإسلام خيراً، فإن لهم فضلاً جسيماً في صيانة عقائد المسلمين بأدلة ناهضة مدى القرون أمام كل فرقة زائفة، وإنما يكون التحويل في كل علم على أئمة دون من سواهم، لأن من يكون إماماً في علم كثيراً ما يكون بمنزلة العامي في علم آخر، فإذا لا يعول في العقائد إلا على أئمة أصول الدين لا على الرواة البعيدين عن النظر، وكم بينهم من يرثي لمداركة حيث يقل عقله عن عقول الأطفال وإن بلغ في السن مبلغ الرجال. ومن طالع ما ألفه بعض الرواة على طول القرون من كتب في التوحيد والصفات والسنة والردود على أهل النظر يشكر الله سبحانه على النور الذي أفاضه على عقله حتى نبذ مثل تلك الطامات بأول نظرة.

### محاولة ابن تيمية بعث الحشوية من مرقدها

وقد استمرت فتن المخدوعين من الرواة على طول القرون مجلبة لسخط الله تعالى ولاستخفاف العقلاء من غير أن يخطر ببال عاقل أن يناضل عن سخافات هؤلاء، إلى أن نبغ في أواخر القرن السابع بدمشق حراني تجرد للدعوة إلى مذهب هؤلاء الحشوية السخفاء متظاهراً بالجمع بين العقل والنقل على حسب فهمه من الكتب بدون استناد يرشده في مواطن الزلل، وحاشا العقل الناهض والنقل الصحيح أن يتصافرا في الدفاع عن تخريف السخفاء إلا إذا كان العقل عقل صائب والنقل نقل صبي، وكم انخدع بخزعبلاته أناس ليسوا من التأهل للجمع بين الرواية والدراية في شيء وله مع خلطاته هؤلاء موقف في يوم القيامة لا يغبط عليه. ومن درس حياته

يجدها كلها فتناً لا يثيرها حاط بعقله غير مصاب في دينه، وأنى يوجد نص صريح منقول أو برهان صحيح معقول يثبت الجهة والحركة والثقل والمكان ونحوها لله سبحانه؟ وسيمر بك سرد بعض مخازنه مع نقضها إن شاء الله تعالى.

وكل ما في الرجل أنه كان له لسان طلق، وقلم سيال، وحافظة جيدة، قلب - بنفسه بدون أستاذ رشيد - صفحات كتب كثيرة جداً من كتب السُّخْل التي كانت دمشق امتلأت بها بواسطة الجوافل من استيلاء المغول على بلاد الشرق، فاعتز بما فهمه من تلك الكتب من الوسوس والهواجس، حتى طمحت نفسه إلى أن تكون قدوة في المعتقد والأحكام العملية ففاه في القيلين بما لم يفه به أحد من العالمين مما هو وصمة عار وأمارة مروق في نظر الناظرين فانفضَّ من حوله أناس كانوا تعجلوا في اطرائه بادية بدء قبل تجريبه وتحلوا عنه واحداً إثر واحد على تعاقب فتته المدونة في كتب التاريخ ولم يبق<sup>(١)</sup> معه إلا أهل مذهبه في الحشو من جهلة المقلدة، ومن ظن أن علماء عصره صاروا كلهم إلماً واحداً ضده حسداً من عند أنفسهم فليتهم عقله وإدراكه قبل اتهام الآخرين، بعد أن درس مبلغ بشاعة شواذه في الاعتقاد والعمل وهو لم يزل يستتاب استتابة إثر استتابة، وينقل من سجن إلى سجن إلى أن أفضى إلى ما عمل وهو مسجون فقبر هو وأهواؤه في البابين بموته وبرود العلماء عليه وما هي بعيدة عن تناول رواد الحقائق.

### مسايرة ابن القيم لابن تيمية في فتته

وكان ابن زفيل الزرعي المعروف بابن القيم يسايره في شواذه كلها حياً وميتاً، ويقلده فيها تقليداً أعمى في الحق والباطل، وإن كان يتظاهر بمظهر الاستدلال لكن لم يكن استدلاله المصطنع سوى ترديد منه لتشغيب قدوته دائماً على إذاعة شواذ شيخه، متوخياً في غالب مؤلفاته تلطيف لهجة أستاذه في تلك الشواذ، لتنتلي وتنفق على الضعفاء، وعمله كله التلبيس والمخادعة والنضال عن تلك الأهواء المخزية حتى أفنى عمره بالدندنة حول مفردات الشيخ الحراني. تراه يثرثر في كل واد، ويخطب بكل ناد بكلام لا محصل له عند أهل التحصيل، ولم يكن له حظ من المعقول، وإن كان كثير السرد لآراء أهل النظر. ويظهر مبلغ تهافته واضطرابه لمن طالع (شفاء العليل) له بتصر، ونونته وعزوه من الدلائل على أنه لم يكن ممن له علم بالرجال ولا يتقد الحديث حيث

(١) وثنا بعض المتأخرين عليه لم يكن إلا عن جهول بمضلات الفتن في كلامه ووجوه الزيغ في

مؤلفاته ومنهم من ظن أنه دام على توت بعدما استتب فدام على التناه ولا حجة في مثل تلك الأنية، وأقواله المائلة أماناً في كنه لا يؤيدها إلا غار غوى، نسأل الله السلامة.

أننى فيهما على أناس هلكى، واستدل فيهما بأخبار غير صحيحة على صفات الله سبحانه. وقد ذكره الذهبي في المعجم المختص بما فيه عبرة، ولم يترجم له الحسيني ولا ابن فهد ولا السيوطي في عداد الحفاظ في ذيلهم على طبقات الحفاظ، وما يقع من القارئ بموقع الإعجاب من أبحاثه الحديثة في زاد المعاد وغيره فمختزل مأخوذ مما عنده من كتب قيمة لأهل العلم بالحديث كالمرور الهني شرح مير عبد الغني للقطب الحلبي، ونحوه ولولا محلى ابن حزم وإحكامه ومصنف ابن أبي شيبة وتمهيد ابن عبد البر لما تمكن من مغالطاته ونهويلاته في أعلام الموقعين. وكما استتيب وعزر مع شيخه وبعده على مخازن في الاعتقاد والعمل تستين منها ما ينطوي عليه من المضي على صنوف الزينغ تقليداً لشيخه الزانغ وسيلقى جزاء عمله هذا في الآخرة - إن لم يكن ختم له بالتوبة والإنابة - كما لقي بعض ذلك في الدنيا.

### نماذج من أقوال أصحاب ابن القيم وأصداده والمتحايدين

قال الذهبي في المعجم المختص عن ابن القيم هذا: عنى بالحديث بمتونه وبعض رجاله وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره، وفي النحو ويدريه، وفي الأصلين. وقد حبس مدة لإنكاره على شد الرحيل لزيارة قبر الخليل (إبراهيم عليه السلام) ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم لكنه معجب برأيه جريء على الأمور اهـ.

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل يتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كنه ونشر علمه. واعتقل مع ابن تيمية بالقلع بعد أن أهدى وطيف به على جمل مضرورياً بالذرة، فلما مات أفرج عنه وامتنح مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه اهـ.

قال ابن كثير كان يقصد للإفناء بمألة الطلاق حتى جرت له بسببها أمور يطول بسطها مع ابن السبكي وغيره. . وكان جماعاً للكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرأ طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم. . وهو طويل النفس في مصنفاته يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب<sup>(١)</sup> جداً، ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك، وله في ذلك ملكة قوية، ولا يزال يندندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها. . وجرت له محن مع القضاة منها في

(١) الإسهاب: الإطناب، وهو عكس الإيجاز.

ربيع الأول طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل فأنكر عليه وآل الأمر إلى أنه رجع عما كان يفني به من ذلك اهـ. وقال: التقى الحصني: كان ابن تيمية ممن يعتقد ويفني بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة، ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي صلى الله عليهما وسلم. وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعي وإسماعيل بن كثير الشركوني، فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورفى على منبر في الحرم ووعظ وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة: وها أنا راجع ولا أزور الخليل. ثم جاء إلى نابلس وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال فلا يزور قبر النبي ﷺ، فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والي نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضي المالكي فتردد وصعد إلى الصالحية إلى القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعززه لأجل ابن تيمية. ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله في القدس الشريف وفي نابلس فأنكر، فقامت عليه البيعة بما قاله فآدب وحمل على جمل ثم أعيد في السجن ثم أحضر إلى مجلس شمس الدين المالكي وأرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه إلا أن قال إن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وإسلامي وقبول تويتي، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فأحضر وعزر وضرب بالدرة وأركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية وردوه إلى الحبس - وجرسوا ابن القيم وابن كثير وطيف بهما في البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم في مسألة الطلاق اهـ.

قال ابن رجب: قد امتحن وأوذى مرات وحبس مع الشيخ تقي الدين في المدة الأخيرة بالقلعة منفرداً ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ اهـ.  
وقد سقت هنا نماذج من كلمات أصحابه وأضداده والمتحايدين في حقه في هذا الكتاب، وأرجو أن الحق لا يتعدى ما دللت عليه في حقه فيما كتبناه.

### أحق الناس بالثناء

وأحق الناس بالثناء وأجدرهم بالترحم من أفنى عمره في سبيل العلم منصاعاً لمبتدع يرديه من غير أن يتخير أستاذاً رشيداً يهديه، ومثله إذا دوّن أسفاراً لا يزداد بها إلا بُعداً عن الله وأوزاراً، وهو الذي يصبح متفانياً في شيخه الزائع بحيث لا يسمع إلا بسمعه ولا يبصر إلا ببصره في جميع شؤونه، ويبقى في أحط دركات الجهل من

التقليد الأعمى، ولو فكر قليلاً لكان أدرك أن من السخف بمكان وضعه لشيخه في إحدى كفتي الميزان ليوازن به جميع العلماء والفقهاء من هذه الأمة في كفته الأخرى فيزنهم ويغال بهم به فيغلبهم في علومهم! وهذا ما لا يصلر من حاط بعقله، ولا سيما بعد التفكير في تلك المخازي من شواذه. نعم يمكن أن يكون عنده أو عند شيخه بعض تفوق في بعض العلوم على بعض مشايخ حارته أو أهل خطه أو قرينته أو مضرب خيام عشيرته، لكن لا يوجب هذا أن يصدق في ظنه في حق نفسه أن جو هذه الأرض يضيق عن واسع فهمه، وعرض هذه البحار لا يتسع لزاخر علومه.

### أخطر ما يطفئ من صنوف الاستغناء

ومن الآفات المردية التي تعتري الإنسان وتقذف به إلى هاوية الخسران طغيانه حينما يرى نفسه على شيء من الاستغناء بمال أو جاه أو علم، لكن المال عرض زائل، والجاه الدنيوي قلما يدوم على حال، وعلم الإنسان مهما اتسع فما أوتي من العلم إلا قليلاً، وتلك الخلال لو روعيت حدودها لكانت أكبر عون للمرء على إحراز مرضاة الله سبحانه، وأما إذا اتخذها أداة طغيان فإذ ذلك تنقلب تلك النعم مجلبة لسخط الله عز وجل ومقت الخلق، فيصبح ذلك الطاغى من الأخسرين أعمالاً في الدارين، وليعلم أن ضرر العلم - إذا زاغ صاحبه - دونه كل ضرر، فإن الطاغى بالمال يزول ضرره بزوال ماله، كصاحب الجاه الذي لا يدوم جاهه، وأما صاحب العلم الذي لعب به الشيطان وخلد كتباً فيما طغى به فهمه وطلاش قلمه، فيدوم ضرره ويتضاعف وزره ما دامت آثاره داوجة يضل بها أناس، فإذا هي أخطر تلك الآفات، ولا يخفف عن مؤلفها العذاب إلا بإعراض الناس عن كتبه المغوية بتنبه أهل العلم المهتمين على ما حوته من صنوف الزيغ والضلال، فيكون في الكشف عن مواطن الغواية من أمثال تلك الكتب تخفيف لعذاب مؤلفيها، وصون للأمة عن الوقوع في مهاويها. وقد عنى الموفقون من علماء هذه الأمة بنقض أمثال تلك الكتب لتلك الغاية النبيلة قديماً وحديثاً ومن هلك بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

### ردود السبكي على ابن تيمية

#### والكلام في رده على نونية ابن القيم

وللحافظ التقي السبكي فضل مشكور وعمل مبرور في الرد على ابن زفيل وشيخه في شواذهما المردية، ومن جملة مؤلفاته في هذا الصدد «رده على نونية ابن القيم» وقد نقل السيد محمد المرتضى الزبيدي في شرح الإحياء عند الكلام على

إمامي أهل السنة عن هذا الرد المسمى «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل» جملة نافعة من مقدمته. والتقي السبكي أوجز في رده مكثفياً بلغت النظر إلى كلمات الناظم الخطرة في الغالب بدون أن يناقشه فيها كثيراً، باعتبار أن الاطلاع عليها يكفي بمجردة في نبذها وتضليل قائلها، ولو كان السبكي يرى ابن القيم ستأهل المناقشة لأوسع في الرد عليه، لأنه كان أنظر أهل عصره - كما قال الإسنوي وغيره من المحققين - لكنه كان يعده في غاية من الغباوة فاكتفى في غالب الأبحاث بلفت نظر عامة العلماء إلى أهوائه البشعة، والتقي السبكي من اللطف أهل العلم لهجة وأنزههم لساناً مع من يرد عليهم. لكن حيث إن الناظم أسرف في ضلاله وإضلاله اضطر التقي في رده عليه إلى بعض إغلاظ في حقه صوتاً لمن عسى أن ينخدع بتليساته، وقرعاً للعبد بالمصاء، وهو معذور في ذلك بل إغلاظه ليس بشيء في جنب ما تقول به ابن القيم في حق جمهور أهل الحق.

ودونك نونيته التي ردّ عليها السبكي وهي أصدق شاهد لما قلنا.

ونونية ابن القيم هذه من أبشع كتبه وأبعدها غوراً في الضلال وأشنعها إغراء للحشوية ضد أهل السنة، وأوقحها في الكذب على العلماء كما ترى إيضاح ذلك في مقدمة «السيف الصقيل» فلا نزاحم السبكي في شرح بشاعة طريقته فيها إلا أنا نشير هنا إلى أن ابن القيم كلما تراه يزداد تهويلاً وصراخاً باسم السنة في كتابه هذا يجب أن تعلم أنه في تلك الحالة متلبس بجريمة خلداع خبيث وأنه في تلك الحالة نفسها في صدد تلييس ودس شنيعين، وإنما تلك التهويلات منه لتخدير العقول عن الانتباه لما يريد أن يدسه في غضون كلامه من بدعه المخزية كما يظهر من مطالعة النونية بتبصر وبقظة.

وإنما اختار طريق النظم في ذلك ليسهل عليه أن يهيم في كل واد، ولولا أنها طُبعت مراراً وتكراراً ممن لا بغية له من طبعها غير عدد من القرش يملأ به الكرش. قام بذلك الدين أم قعد، بدون أن يقوم أحد من العلماء المعاصرين بالرد عليها، لكان إعمال الرد عليها أنسب، لكن لم يبقَ بعد تكرر طبعها مع تقاعس أهل العلم عن ردها مساغ للإهمال، فوجب تقويض دعائمها بنشر كتاب السبكي مع تعليق كلمات عليه في مواضع رأيناها في حاجة إلى التعليق، وقد سميت ما علقته «تكملة الرد على نونية ابن القيم».

والله سبحانه ولي النفع وعليه توكلت وإليه أنيب..

محمد زاهد بن الحسن الكوثري  
عفا عنهما

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الكتاب للمؤلف

قال الإمام الحجة أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي رضي الله عنه:  
يا عالماً بكل شيء، قادراً على كل شيء، ارحم عبداً جاهلاً بكل شيء، عاجزاً  
عن كل شيء، خُلِقَ ضعيفاً ننتوشه الآفات من جميع الجهات ويستغرقه احتياجه على  
ممر الأنفاس واللحظات، مدته في الدنيا قصيرة لو صرفها كلها في طاعة ربه، وعلم  
نافع به سلامة قلبه كان موقفاً يقتصر على خويصة نفسه وهذا يحتاج إلى مدد إلهي في  
دنياه في صحة جسمه وكفايته وكفاية من يتعلق به في القوت وما يتعلق به ودفع الأذى  
عنه، وفي دينه بسلامة قلبه من العقائد الفاسدة، وإقباله على الله تعالى وسلامة  
جوارحه من المعاصي وقبامها بما افترض الله عليها، وسلامته في قلبه وجسمه من  
شياطين الإنس والمجن ونفسه وهواه وفي علمه فلا يشتغل من العلوم إلا بما ينفع وهو  
القرآن والسنة والفقه وأصول الفقه والنحو وبأخذها عن شيخ سالم العقيدة ويتجنب  
علم الكلام والحكمة اليونانية، والاجتماع بمن هو فاسد العقيدة أو النظر في كلامه.

وليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية،  
وهما في الحقيقة علم واحد، وهو العلم الإلهي لكن اليونان طلبوه بمجرد  
عقولهم، والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل معاً وافترقوا ثلاث فرق إحداهما  
غلب عليها جانب العقل وهم المعتزلة<sup>(١)</sup> والثانية غلب عليها جانب النقل

قول أبي الحسن الطرظي في المعتزلة:

(١) وعندهم يقول أبو الحسين محمد بن أحمد الطرظي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧هـ في كتاب الرد  
على أهل الأهواء والبدع: «وهم أرباب أنواع الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والتنظر  
والاستنباط والحجج على من خالفهم، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنصفون في  
مناظرة الخصوم، وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد لا يفارقونه وعليه يتولون وبه  
يتعادون وإنما اختلفوا في الفروع وهم سُموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن بن علي =

وهم الحشوية<sup>(١)</sup> والثالثة ما غلب عليها أحدهما بل بقي الأمران مرعيين عندها على حد سواء وهم الأشعرية وجميع الفرق الثلاث في كلامها مخاطرة إما خطأ في بعضه وإما سقوط هيبة، والسالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم الناس

= عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس - وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي - ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة، ادرثم ذكر أمثهم من البصريين والبخاريين وسرد بعض آرائهم في عدة أوراق. وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٩ في التوحيد ولتقديمهم فضل الدفاع عن الدين الإسلامي والرد على الزنادقة والنصارى واليهود، لكن تحكيهم للعقل وكثرة احتكاكهم بفرق الزيغ ألبا بكثير منهم ولا سيما المتأخرين إلى صنوف من البدع الرديئة كما أشرت إلى ذلك في مقدمة ما كتبت على تبيين كذب المفتري.

(١) ومنهم أصناف المشبهة والمجسمة، وسبب تسميتهم حشوية أن طائفة منهم حضروا مجلس الحسن البصري بالبصرة وتكلموا بالسقط عنده لقال: ردا هو لاء إلى حشا الحلقة - أي جانبها - فتسامع الناس ذلك وسوهم الحشوية بفتح الحين، ووصح إسكانها - لقولهم بالتجسيم لأن الجسم محشو - راجع شفاء الغليل للشهاب الخفاجي، وذيل لب الباب في تحرير الأنساب للشيخ المحدث أبي العباس أحمد المعجمي، ومقدمة ما كتبتا، على تبيين كذب المفتري. والحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه وتفولوا في الله بأفهامهم المعوجة وأوهامهم الممجوجة، وهم مهما تظاهروا باتباع السلف إنما يتابعون السلف الطالح دون السلف الصالح ولا سيل إلى استنكار ما كان عليه السلف الصالح من إجراء ما ورد في الكتاب والسنة المشهورة في صفات الله سبحانه على اللسان، مع القول بتنزيهه الله سبحانه تنزيهاً عاماً بموجب قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] بدون خوض في المعنى ولا زيادة على الوارد ولا إبدال ما ورد بما لم يرد. وفي ذلك تأويل إجمالي بصرف الوارد في ذات الله سبحانه عن سمات الحدوث من غير تعيين المراد وهم لم يخالفوا في أصل التنزيه الخلف الذين يعينون معنى موافقاً للتنزيه بما يرشدهم إليه استعمالات العرب وأدلة المقام وقرائن الحال على أن الخلف يفوضون علم ما لم يظهر لهم وجهه كوضع الصبح إلى الله سبحانه.

فالخلاف بين الفريقين هين يسر وكلاهما منزّه، وإنما السيل على الذين يحملون تلك الألفاظ على المعاني المتعارفة بينهم عند إطلاقها على الخلق ويستعملون بها ألفاظاً يظنونها مرادفة لها ويستدلون بالمفاريذ والمناكير والشواذ والموضوعات من الروايات. ويزيدون في الكتاب والسنة أشياء من عند أنفسهم ويجعلون الفعل الوارد صفة إلى نحو ذلك فهؤلاء يلزمون مقتضى كلامهم وهم الحشوية. فمن قال إنه استر بذاته على العرش ويتزل بذاته من العرش، ويقعد الرسول ﷺ على العرش معه في جنبه وإن كلامه القائم بذاته صوت وإن نزوله بالحركة والثقله وبالذات وإن له نقلاً يفتل على حملة العرش، وأنه متمكن بالسماء أو العرش، وأن له جهة وحداً وغبية ومكاناً، وأن الحوادث تقوم به وأنه يماس العرش أو أحداً من خلقه ونحو ذلك من المخازي فلا نشك في زيغه وخروجه وتبعده عما يجوز في الله سبحانه. وهذا مكشوف جداً فلا يمكن ستر مثل تلك المخازي بدعوى السلفية، والذين يدنون بها هم الذين نستنكر عقائدهم ونستخف أحلامهم، ونذكرهم بأنهم نوابت حشوية.



الباقون على القطرة السليمة. ولهذا كان الشافعي رضي الله عنه ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال بالفقه فهو طريق السلامة، ولو بقي الناس على ما كانوا عليه في زمن الصحابة كان الأولى للعلماء تجنب النظر في علم الكلام جملة، لكن حدثت يدع أوجبت للعلماء النظر فيه لمقاومة المتبدعين ودفع شبههم حذراً من أن تزيغ بها قلوب المهتمين.

### الأشعرية أعدل الفرق

والفرقة الأشعرية هم المتوسطون في ذلك وهم الغالبون من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة وسائر الناس.

وأما المعتزلة فكانت لهم دولة في أوائل المائة الثالثة ساعدهم بعض الخلفاء ثم انخذلوا وكفى الله شرهم.

وهاتان الطائفتان الأشعرية والمعتزلة هما المتقاومتان وهما فحولة المتكلمين من أهل الإسلام، والأشعرية أعدلهما لأنها بنت أصولها على الكتاب والسنة والعقل الصحيح.

وأما الحكمة اليونانية فالناس مكفيون شرها، لأن أهل الإسلام كلهم يعرفون فسادها ومجانبتها للإسلام.

وأما الحشوية فهي طائفة رذيلة جهال<sup>(١)</sup> يتسبون إلى أحمد وأحمد مبرأ منهم. وسبب نسبتهم إليه أنه قام في دفع المعتزلة وثبت في المحنة رضي الله عنه، نقلت عنه كليمات ما فهمها هؤلاء الجهال فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيء وصار المتأخر منهم يتبع المتقدم، إلا من عصمه الله وما زالوا من حين نبغوا مستلذين ليس لهم رأس ولا من يناظر وإنما كانت لهم في كل وقت ثورات ويتعلقون ببعض أتباع الدول ويكفي الله شرهم، وما تعلقوا بأحد إلا كانت عاقبته إلى سوء وأفسدوا اعتقاد جماعة شذوذ من الشافعية<sup>(٢)</sup> وغيرهم ولا سيما بعض المحدثين الذين نقصت عقولهم أو غلب عليها من

(١) وهم طوائف كالكرامية والبربرية والسلمية ولابن الجوزي كتاب (منهاج الوصول إلى علم الأصول) وكتاب (دفع شبه التشبيه بكف التنزيه) أجاد الرد عليهم فيهما، وسبق أن نشر الثاني، ومن جملة ما يقوله ابن الجوزي فيه:

فقد فضحوا ذلك الإمام بجهلهم ومذهب التنزيه لكن هم اختلوا

وهو بديع في يابه حجة على من سايرهم من الحنابلة.

(٢) على طول القرون لكن كفى شرهم نظار أهل الحق من الشافعية ولنا في صدد سرد أسماهم هنا ونشر عرضاً إلى مبعضهم فيما نعلق على هذا الكتاب.

أصلهم فاعتقدوا أنهم يقولون بالحديث . ولقد كان أفضل المحدثين في زمانه بدمشق ابن عساكر<sup>(١١)</sup> يمتنع من تحديثهم ولا يمكنهم أن يحضروا مجلسه وكان ذلك أيام نور الدين الشهيد وكانوا مستدلين غاية الدلة .

ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع ولم يجد شيخاً يهديه وهو على مذهبهم وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ويجد أموراً بعيدة فبجارتها يلتزمها فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى<sup>(١٢)</sup> وأن الله سبحانه ما زال فاعلاً وأن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتي وشق العصا، وشوش عقائد المسلمين وأغرى بينهم ولم يقتصر ضرره على العقائد في علم الكلام حتى تعدى وقال إن السفر لزيارة النبي ﷺ معصية<sup>(١٣)</sup> وقال إن الطلاق الثلاث لا يقع وإن

(١١) وقد سبق أن نشر «تبيين كذب المفتري في اللب» عن الأشعري له مع مقدمة لنا عليه في بيان الحالة العامة عند البيعة النبوية ولعمرة في نشأة الفرق وتعليقات على مواضع من الكتاب كتبت كتبها ففيها وفي الكتاب كثير مما يتعلق بالحشرية، وابن عساكر أيضاً مجلس في إثبات التنزيه وآخر في نفي التشبيه، وكتاب في (بيان وجوه التخليط في حديث الأبيط) وكتاب في (سرد الأسانيد في حديث يوم المزيد) يبين فيها وجوه الضعف في أحاديث الأبيط وروايات يوم المزيد.

(١٢) اتفقت فرق المسلمين سوى الكرامية وحنوف المجسمة على أن الله سبحانه منزّه من أن تقوم به الحوادث وأن تحل به الحوادث وأن يحل في شيء من الحوادث بل ذلك مما علم من الدين بالضرورة، ودعوى أن الله لم يزل فاعلاً متابعاً منه للفلاسفة القائلين بسلب الاختيار عن الله سبحانه، ويصدور العالم منه بالإيجاب، ونسبة ذلك إلى أحمد والبخاري وغيرهما من السلف كذب صريح وتقول فبيح، ودعوى أن تسلسل الحوادث في جانب الماضي غير محال لا تصدر ممن يعي ما يقول فمن تصور حوادث لا أول لها تصور أنه ما من حادث محقق، وأن ما دخل بالفعل تحت العد والإحصاء غير متناه، وأما من قال بحوادث لا آخر لها فهو قائل بأن حوادث المستقبل لا تنتهي إلى حادث محقق إلا وبعده حادث مقدر، فأين دعوى عدم تناهي ما دخل تحت الوجود في جانب الماضي من دعوى عدم تناهي ما لم يدخل تحت الوجود في المستقبل؟ على أن القول بالقدم النوعي في العالم من لازمه البين عدم تناهي عدد الأرواح الصكيفة فأني يمكن حشر غير المتناهي من الأرواح وأشباحتها في سطح متناه محدود على هذا التقدير؟ فيكون القائل بعدم تناهي عدد الكلفين قادلاً بنفي الحشر الجسماني بل بنفي الحشر الروحاني أيضاً حيث إن هذا القائل لا يعترف بتجرد الروح فيكون أسوأ حالاً من غلاة الفلاسفة النافين للحشر الجسماني وفي شواذ ذلك الزائع كتب خاصة ترد عليه في بدعه الأصلية والفرعية، ولاستصحاء ذلك موضع آخر .

(١٣) وضطعت فتواه بخطه بهذا المعنى وثبت ذلك ثبوتاً شرعياً وشهد بذلك الإمام جلال الدين القزويني صاحب التلخيص والإيضاح وألف قاضي قضاة المالكية تقي الدين أبو عبد الله محمد الإخنائي في الرد عليه (المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية) كما ألفت في =

من حلف بطلاق امرأته وحنث لا يقع عليه طلاق. واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل فحبسه السلطان<sup>(١)</sup> ومنع من الكتابة في الحبس وأن يدخل إليه أحد بدواة ومات في الحبس. ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقي ذلك إلى الناس سراً ويكتمه<sup>(٢)</sup> جهراً فعن الضرر بذلك حتى وقفت في هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر ناظمها فيها عقائده وعقائد غيره ويزعم بجهله أن عقائده عقائد أهل الحديث<sup>(٣)</sup>. فوجدت هذه القصيدة تصنيفاً في علم الكلام الذي نهى العلماء عن النظر فيه لو كان حقاً، فكيف وهي تقرير للعقائد الباطلة ويوح بها وزيادة على ذلك وهي حمل العوام على تكفير كل من سواه وسوى طائفته فهذه ثلاثة أمور هي مجامع ما تضمنته هذه القصيدة.

فالأول من الثلاثة حرام لأن النهي عن علم الكلام إن كان نهياً تنزيهياً فيما تدعو

- = الرد عليه مؤلف شفاء السقام في تلك المسألة بل جمع الحافظ الصلاح العلائي طرق حديث الزيارة في الرد عليه أيضاً بطلب ابن الفركاح ولم يستمر على مشابته بعد ذلك إلا مكسرو الحشوية تحت الحفاء، وكم استيب وأخذ خطه بالتوبة ثم نقض موثيقه. راجع (نجم المهتدي) و(دفع الشبه) و(الدرر الكامنة).
- (١) الملك الناصر محمد بن قلاوون ولم يكن له عداه شخصي نحو ابن تيمية أصلاً كما اعترف بذلك أشياخ ابن تيمية لكن لما رأى توالي فتنه واتفق علماء المذاهب ضده ومعهم قاضي قضاة الحنابلة لم يسمعه إلا أن يصدر مرسوماً لأهل دمشق ومرسوماً لسائر البلدان أسوة بما أصدره بمصر ضد هذا الزائغ. ونصوص تلك المراسيم مدونة في (نجم المهتدي) و(عيون التواريخ) و(دفع الشبه) بالفاظ متقاربة في المعنى وفي الاطلاع عليها عبرة بالغة. وقد تليت تلك المراسيم على المنابر نصحاً للأمة وإفهاماً لها أن فلك الرجل مجسم زائف اعتقاداً وعملاً فلا يجوز الاغترار به.
- (٢) ويظهر من ذلك أن نونية ابن القيم لم تكن تداع في ذلك العهد إلا سراً وكفى هذا سعيًا بالفساد ولا يحسن القاريء أن ابن القيم ربما يكون تاب وأناب عن هذه العقيدة الزائغة التي احتوتها تلك القصيدة فإنه يرى في ترجمته من طبقات الحنابلة لابن رجب أن ابن رجب سمعها من لفظ ابن القيم عام وفاته وهذا من الدليل على أنه استمر على هذا المعتقد الباطل إلى أواخر عمره. وعند أبياتها ستة آلاف بيت إلا واحداً وخمسين بيتاً.
- (٣) وبين أهل الحديث من القدرية والخوارج وصنوف الشيعة والمجسمة من كرامية وبرمهارية وسالمية رجال لا يحصيهم العد كما لا يخفى على من له إمام بعلم الرجال فليس لهم عقيدة جامعة فيكون عزو عقيدة إلى جماعة الحديث مخادعة وتمويهاً على العقول، فإن كان يريد تخصيص هذا الاسم بصنوف المجسمة فهذه التسمية إنما تكون تسمية ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما التحميل على أهل الحديث في روايتهم الحديث فقط فيما لا يتهمون به، وأما علم أصول الدين فله أئمة معروفون وبراهين مدونة في كتبهم، وأهل الحديث المبرورون من البدع يسرون سيرهم.

الحاجة إلى الرد على المبتدعة فيه فهو نهي تحريم فيما لا تدعو الحاجة إليه فكيف فيما هو باطل.

والثاني من الثلاثة: العلماء مختلفون في التكفير به إذا لم يتب إلى هذا الحد أما مع هذه المبالغة ففي بقاء الخلاف فيه نظر.

وأما الثالث فنحن نعلم بالقطع أن هؤلاء الطوائف الثلاثة الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة مسلمون ليسوا بكافرين، فالقول بأن جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفرأ وقد قال ﷺ: «إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». فالضرورة أوجبت العلم بأن بعض من كفرهم مسلم والحديث اقتضى أن يبوء بها أحدهما فيكون القائل هو الذي باء بها.

### مجامع الزيف في نونية ابن القيم

وها أنا أذكر مجامع ما تضمنته القصيدة ملخصاً من غير نظم وناظمها<sup>(١)</sup> أقل من أن أذكر كلامه لكنني تأسبت في ذلك بإمام الحرمين في كتابه المسمى بنقض كتاب السجزي، والسجزي هذا كان محدثاً له كتاب مترجم بمختصر البيان وجده إمام الحرمين حين جاور بمكة شرفها الله، اشتمل كتاب السجزي هذا على أمور منها أن القرآن حروف وأصوات. قال إمام الحرمين: وأبدى من غمرات جهله فصولاً وسوى على قصبة سخافة عقله نصولاً، ومخايل الحمق في تضاعيفها مصقولة ويعتات الحقائق دونها معقولة. وقال إمام الحرمين أيضاً: وهذا الجاهل الفر المتماذي في الجهل المصر، يتطلع إلى الرتب الرفيعة بالدأب في المطاعن في الأئمة والوقبة. وقال إمام الحرمين أيضاً: صدر هذا الأحقق الباب بالمعهود من شتمه فأف له ولخرقه فقد والله ستمت البحث عن عواره وإبداء شاره. وقال الإمام أيضاً: وقد كسا هذا التيس الأئمة صفاته. وقال الإمام أيضاً: أبدى هذا الأحقق كلاماً يتقض آخره أوله في الصفات وما ينبغي لمثله أن يتكلم في صفات الله تعالى على جهله وسخافة عقله. وقال الإمام أيضاً: قد ذكر هذا اللعين الطريد المهين الشريد، فصولاً وزعم أن الأشعرية يكفرون

(١) وهو ابن زليل الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية كان يمتناول يده من كتب الفرق التي كانت دمشق امتلات بها بعد نكبة بغداد ونكبة البلاد الشرقية باستيلاء المغول عليها ما يزيد به غواية إلى غوايته وقد حشر في مؤلفاته ما لم يفهمه ولم يهضمه من أقوال أرباب النحل شأن من خاض في المسائل النظرية الخطرة من غير أستاذ رشيد فحصل في تفكيره ما يحصل في معدة الشره المتخوم فأصبحت مؤلفاته محشر الأثوال المتناقضة ولم يتخدر بها إلا من ظن أن العلم هو حشد المصطلحات من غير نظام يربط بعضها ببعض وبدون تمجيس الحق من الباطل.

بها فعليه لعائن الله تنرى، واحدة بعد أخرى، وما رأيت جاهلاً أجسر على التكفير وأسرع إلى التحكم على الأئمة من هذا الأخرق، وتكلم السجزي في النزول والانتقال والزوال والانفصال والذهاب والمجيء فقال الإمام: ومن قال بذلك حلّ دمه وتبزم الإمام كثيراً من كلامه معه<sup>(١)</sup>.

### تأسي السبكي بإمام الحرمين في الرد على بعض جهلة أهل الحديث

وما أنا أيضاً أقندي بالإمام في كلامي مع هذا الجاهل متبرماً لكن خشية على عقائد العوام تكلمت.

والسجزي الذي ردّ عليه الإمام أعرف ترجمته محدث<sup>(٢)</sup> لا يصل ناظم هذه القصيدة إلى عشرة في الحديث ولكن الإنسان يضطر إلى الكلام مع الجهال والمبتدعين صيانة لعقائد المسلمين وليت كلامي كان مع عالم أو مع زاهد أو متحفظ في دينه صين في عرضه قاصد للحق ولكنها بلوى نسأل الله حسن عاقبتها وبعد أن كنت قصدت الاختصار على اختصار مجامعها عنّي لي هنا أن أستوعب كلماتها لأطفئ جمراتها.

(١) وعن هذا السجزي يقول أبو جعفر اللبلي الأندلسي في فهرته: وكذلك اللعين المعروف بالسجزي فإنه تصدّى أيضاً للوقوع في أعيان الأئمة وسرج الأمة بتأليف تالف وهو على قلة مقدره وكثرة عواره ينسب أئمة الحقائق وأحبار الأمة ويحور العلوم إلى التلبيس والمراوغة والتدليس وهذا الرذل الخسيس أحقر من أن يكثر به ذمّاً ولا يضر البحر الخضم ولغة كلب.

ما يضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلام بحجر

فمما ذكر هذا المناق الحائد بجهله عن الحقائق أن من مذهب الأشعرية أن النبوة عرض من الأعراض والعرض لا يبقى زمانين وإذا مات النبي زالت نبوته وانقطعت دعوته، وهذا من جملة حكاياته وتقولاته المستبعدة اهـ وسياتي الرد على هذا الهذيان. وقد وفاه اللبلي الكليل صاعاً بصاع.

(٢) ومن الغريب أن السجزيين مهما علت منزلتهم في الرواية يقل بينهم جداً من يكون طاهر الذيل ناصح الجبين من فحش التشبيه ووصمة التجسيم كما لا يخفى على من بحث مؤلفاتهم يتبصر وأرى ذلك من عدوى مرض شيخ المجسمة أبي عبد الله محمد بن كرام السجزي الذي يتقشفه كان سحر الباب أهل سجنستان وتاريخه في غاية من الشهرة. وهذا السجزي هو أبو نصر الرائللي. مؤلف الإبانة المتوفى سنة ٤٤٤هـ وصاحبه السعد الزنجاني بمكة مثله في التشبيه مع أنهما ينتحلان مذهب الشافعي. ومن هذا الطراز الأجرى صاحب كتاب الشريعة قبلهما ويرثي لحال من يميل إلى التشبيه مع جلالته مقداره في الحديث ونحن لا نعمل على الرجل إلا في العلم الذي يتقنه دون سائر العلوم فكم بين أهل الحديث من هو أنزل منزلة من العامي في علم أصول الدين والفقه وكذلك سائر العلماء في غير علومهم.

## فصل

## مناظرة خيالية بين المشبه والمنزه . . . إلخ

قال: «جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو ومعطل» إلى أن قال: «من كلام المثبت أن كهيعص وجمعمسق وق ون كلام الله حقيقة وأن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة».

مراده بذلك أن كلام الله حرف وصوت وهذا الجاهل لا يفرق بين كلام الله واللفظ الدال عليه<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «ومن قال ليس لله في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ هذا الكلام يحتمل وجهين<sup>(٢)</sup> لا نطول بهما، ثم قال: «إن الله فوق سمواته» يقول له: أين قال الله أو رسوله إنه فوق سمواته؟ وأنت قلت في صدر كلامك

(١) بل بين الكلام اللفظي والكلام النفسي وفي أوائل تفسير (روح المعاني) بسط لطيف في الكلام النفسي بحيث لا يدع شكاً لمرتاب. ويعد أن انتهى الأوسي فيه من الكلام في الكلام النفسي قال: ومن أحاط بذلك اندفع عنه كل إشكال في هذا الباب ورأى أن تشيع ابن تيمية وابن القيم وابن قدامة (الموفق) وابن قاضي الجبل والطوفي (سليمان بن عبد القوي) وأبي نصر (السيدي) وأمثالهم صرير باب أو طنين ذباب . . . وقد انحرفت أفكارهم واختلطت أنظارهم فوقعوا في علماء الأمة وأكابر الأئمة وبالغوا في التمنيغ والتشيع وتجاوزوا في التسخيف والتفضيح ولولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعاً بصاع ولتقدمت إليهم بما قدموا بأعاً ببيع ولعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء ولعرفتهم إلام ينتهي المرء بلا مرء:

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمسي فلنسي مئوم ومن رام تعويجي فلنسي معوج

على أن المعو أقرب للتوى والإغضاء مبنى الفتوة وعليه الفتوى والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراماً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً اهـ.

(٢) لعله يريد وجود الكلام النفسي ووجود الكلام اللفظي فنفي وجود الثاني في الأرض نفي لوجود كتاب الله وشرعه في الأرض وهو كفر صراح ولا قاتل بذلك من فرق المسلمين. وأما زعم وجود الكلام النفسي القائم بالله في الأرض فقول بالحلول كقول النصارى في الكلمة، وقد كفر غير واحد من أئمة السنة، السالمة على قولهم بأنه تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، تعالى الله عما يفتكون. وقد ذكرنا ما يتعلق بذلك بنوع من البسط فيما علقناه على التبيين وفي (لفت اللفظ إلى ما في الاختلاف في اللفظ).

«نقول ما قاله رينا» وأين قال رينا: إنه بائن من خلقه. ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فقد نسبت إلى قول الله ما لم يقله، ومن هو المعطل الذي عينته فإننا لا نعرف اليوم أحداً معطلاً يتظاهر بين المسلمين بل ولا معتزلاً ولا فيلسوفاً يتظاهر بقول الفلاسفة<sup>(١)</sup> فلعلك عنت الأشعرية فإنهم القائمون اليوم من أكثر المذاهب ثم قال<sup>(٢)</sup>: «فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك ثم أسرها في نفسه وخلا بشياطينه وبنى جنسه وأوحى بعضهم إلى بعض أصناف المكر والاحتيال وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلساً يتوا فيه ما لا يرضاه الله من القول وراموا استدعاء المثبت ليجعلوا نزله ما لفقوه من الكذب وتمموه فلم يتجاسروا وخذلهم المطاع فمزق ما كتبوه من المحاضر، فسعى في عقد مجلس عند السلطان فلم يذعنوا فطالبهم بإحدى ثلاث: مناظرة فأبوا، فدعاهم إلى مكتبة فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة<sup>(٣)</sup> بين الركن والمقام فلم يجيبوا فحيث عقد المثبت لله مجلساً بينه وبين خصمه وما كان أهل التعطيل أولياءه إن أوليائه إلا المتقون».

هذا كله مقصوده به والله أعلم طوائف الأشعرية الشافعية والمالكية والحنفية الذين كانوا مقاومين لابن تيمية فهم الذين يسميهم المعطلة، وكان مراده بالمثبت ابن تيمية والعاقد للمجلس فيما بينه وبين خصمه إما ابن تيمية وإما هذا النحس المتشيع بما لم يعط.

(١) هذا بالنظر إلى عهد المؤلف، فإن العلماء كانوا قائمين بواجبهم إذ ذاك يوقفون المبتدعة الذين يحاولون الاعتداء على حريم قدس الدين عند حدمهم وما ألف في الرد على هذا الزايع وشيخه من الكتب في ذلك العصر يعد بالعشرات فضلاً عن باقي أهل الضلالة. وأما اليوم فقلماً تجد بين العلماء من يسهر على السنة النقية البيضاء والدين الحنيف فانتسح المجال لنموه الضلال. وأدعو الله سبحانه أن يوظف أهل الشأن من سبائهم العميق ويرشدهم إلى حراسة الشرع من اعتداء المعتدين.

(٢) مما اختص به ناظم القصيدة من بين دعاة الحشوية تصوير مناظرات في مسائل يدس في غضون كلام الطرفين ما يشاء من وسائل استدراج الضعفاء إلى ضلاله وهذه طريقة الأقدمين من أهداء الدين بعثها من مرقدها هذا الناظم ليصل إلى إضلالهم بطريقة روائية خيالية فمن مشى على الاستسلام له فيما يراه من مناظراته الخيالية في هذا الكتاب وفي شفاء العليل وأعلام الموقنين ونحوها فإنه معرض للانحلال وستكشف الستار عن وجوه تضليله وتدجيله بحول الله وتوفيقه.

(٣) راجع الآية ٦١ من سورة آل عمران.

## فصل

## أمثال مضرورية للمعطل والمشبه والموحد

قال: وهذه أمثال حسان مضرورية للمعطل والمشبه والموحد.

مقصوده بالمعطل الجماعة الأشعرية، وبالموحد نفسه وطائفته، والمشبه لا وجود له عنده. ومقصود غرمانه بالمشبه هو وطائفته وبالموحد أنفسهم، والمعطل لا وجود له الآن عندهم، لأن المعطل هو المنكر للصانع، والمشبه هو الذي شبهه بخلقه وهذا على ظاهره لا يوجد من يقول به لكن بما يلزم عنه، ولا شك أن لزوم التشبيه له أظهر من لزوم التعطيل لغرمانه، وإذا امتحن الإنسان نفسه قطع بأن الأشعري ليس بمعطل وأن هذا النحس مشبه ولا ينجيه إنكاره باللسان وقد اعترف على نفسه بأن من شبه الله بخلقه فقد كفر. واندفع في ضرب الأمثلة بما لا تطول به.

## فصل

## من قصيدته النونية

قال في قصيدته التي أهدت الجري إليه وقرت سهام النبال عليه:

«إن كنت كاذبة الذي حدثتني      فعليك إثم الكاذب الفتان  
جهم بن<sup>(١)</sup> صفوان وشبعته الألى      جحدوا صفات الخالق الديان  
بل عطلوا منه السماوات العلى      والعرش أخلوه من الرحمن»

أما جهم فمضى من سنين كثيرة ولا يعرف اليوم أحد على مذهبه فعلم أن مراد هذا الناظم بالجهمية الأشعرية من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة فليعلم

(١) جهم بن صفوان زائع باتفاق بين أهل السنة والمعتزلة، يقول بنفي الخلود في الجنة وفي النار، وتابعه ناظم القصيدة في شطر هذا المعتقد حيث يقول: لا خلود للكفار في النار تبعاً لشيخه وهو كفر عند جمهور أهل الحق. وكان جهم منبوذاً لم يبق بعد قتله من تابعه أصلاً ومن يقال فيه من المتكلمين إنه جهمي من قبيل التيز بالألقاب، وقد توسعت في بيان ذلك بعض توسع فيما علقته على الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة وليس بين المعتزلة فضلاً عن الأشاعرة من بنفي أن الله سبحانه عالم قدير سميع بصير... إلى آخر تلك الصفات الواردة في الكتاب والسنة المشهورة حتى يصح رميهم بجحد الصفات وجل الإله سبحانه من أن يكون له مكان يحويه فلا يقال إن السماء ظرف له ولا إن العرش مستقر ذاته فأين في كتاب الله مثل ذلك أو تفسير الاستواء بالاستقرار إنما هو قول مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة وقول الكلبي الزائع.



اصطلاحه وكل ما ينسب إلى الجهمية فمراده بها هولاء، والمعتزلة يشاركون الأشعرية في ذلك لكن ما منهم أحد موجود في هذه البلاد وإن كان موجوداً فلا ظهور له، فكل ما قال هذا الناظم عن جهم في هذه القصيدة فمراده، الذي مذهبه مذهب الأشعري.

## فصل تخيل الناظم في أفعال العباد . الخ

قال:

والعبد عندهم فليس بفاعل بل فعله كتتحرك الرجفان

كذب هذا الجاهل في قوله: إن العبد عندهم ليس بفاعل. ولكن مراده بذلك قولهم: إنه لا يخلق فعله. وليس بخالق والله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فاعتقد هذا الجاهل<sup>(١)</sup> بسبب ذلك أنهم يقولون إنه ليس بفاعل. وكون العبد ليس بخالق حق، وكونه ليس بفاعل باطل، والفاعل من قام به الفعل والفعل قائم بذات العبد، والخالق من أوجد الفعل ولا يوجد إلا الله. وقوله: كتتحرك الرجفان جهل منه فإنه لم يفرق بين الجبر ومذهب الأشعري ثم قال:

والله يصلية على ما ليس من أفعاله حر الحميم الآن

استمر هذا الجاهل على جهله وكذبه. وكذلك قوله: «ولكن يعاقبه على أفعاله» ثم قال: «والظلم عندهم المحال لذاته» نعم إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦] وكيف يتصور الظلم والكل ملكه ثم قال: «أني ينزه عنه ويكون

(١) أقل ما يقال في هذا الناظم أنه جاهل، فإذا طالعت ما ذكره في شفاء العليل عن كسب العبد تجده ينقل عن نظامية إمام الحرمين قوله في أفعال العباد فيسايره إلى أبعد حد ثم يتراجع فيقع في أحط دركات الجبر ثم يقع في المعتزلة وقبعة لا مزيد عليها ثم تجده يسبقهم في التجرد. والحاصل أنه جماع لأراء الناس من غير أن يعقلها على وجوها فيتخبط تخبط من به مس، وهو يصور مناظرات خيالية بين سني وجبري وأخرى بين سني وقدر، في شفاء العليل يلصق في خلالها أموراً يتقضى بعضها بعضاً وذلك كله من سوء فهمه وضغفه للمنه بشئ الأنتظار التي هو غير مستأهل لتحقيقها وتمحيص الحق من بينها لتشوه الحقائق في ذهنه وتكتسي أسبح الصور كما هو شأن ما يتعكس في المرايا المحدبة والمقعرة وشأن من اختلت بصيرته، نسال الله العافية.

مردحاً ذلك التنزيه» قلنا: يا جاهل اجترأت على الله وعلى عباده فلم تفرق بين الفعل والخلق وظننت بجهلك أنهما سواء وأنه لا يعاقب على فعله، وقلت: «ما هذا بمعقول لذي الأذمان» وأي ذهن لك حتى تعقل به وأنت عن تعقل أحكام الربوبية بمعزل؟ وهل مثلك ومثل من هو أكبر منك إلا كمثل الخفاش بالنسبة إلى ضوء النهار؟.

## فصل

قال:

وكذلك قالوا ما له من حكمة<sup>(١)</sup> هي غاية للأمر والإنسان

انظر هذه الجراءة والكذب والبهت على العلماء وما قال إنهم نسبوه إلى الله ثم

قال:

«ما ثم غير مشيئة قد رجحت مثلاً على مثل بلا رجحان»

أبصر هذا القدم البليد الفهم ساء سمعاً فساء إجابة كأنه سمع كلام الأشعرية فما فهمه وظن أنهم يقولون إن الأفعال كلها سواء بالنسبة إلى كل شيء وإن المشيئة رجحت بعضها على بعض مع تساويها وأنه ما ثم غير المشيئة وجعل المشيئة هي المرجحة ولم يذكر القدرة والتبس عليه الرجحان الحاصل في الفعل بالرجحان الذي هو موجب للفعل أو باعث عليه، ومن لا يكون اشتغل بشيء من العلوم كيف يتكلم في هذه الحقائق؟ ثم قال:

«هذا وما تلك المشيئة وصفه بل ذاته أو فعله قولان»

(١) ولا قائل بذلك مطلقاً بين فرق المسلمين، الذين علموا من الدين بالضرورة أن الله عزيز حكيم، وأما كون أفعال الله سبحانه غير معلة بالأغراض فليس من نفي الحكمة في شيء بل من قبيل التهيب والاحتراز من القول بأن هناك غرضاً يحمل الله سبحانه على الفعل استحصالاً لذلك الغرض الذي لا يحصل إلا بذلك الفعل. ولا يخفى أن هذا مما يجب الاحتراز منه لعدم ورود إطلاق مثل ذلك في الكتاب والسنة ولما في ذلك من الاستكمال بالخير. وأما قول محففي أهل الفقه بوجود حكم، مصالح فيها ترجع إلى العباد سواء عقلتها أو لم نعقلها فليس فيه ما يوجب التهيب بل هو محض الصواب هذا عند القائلين بأن الله فاعل بالاختيار كما هو الحق وأما الذين يعدونه فاعلاً بالإيجاب كالفلاسفة فلا يتصورون هناك لا غرضاً ولا حكمة وليس المراد هنا بالوجوب بالضرورة بشرط المحمول. ومن الغريب أن ابن القيم قائل بالإيجاب حتى يدافع عن أن الحوادث لا أول لها ومع ذلك يرى أنها معلة بالأغراض وما هذا إلا تهاتر.



## فصل

قال: «وقضى - يعني جهماً - وشيعته الذين هم الأشعرية بزعمه بأن الله كان معطلاً، والفعل ممتنع بلا إمكان ثم استحال وصار مقدوراً له من غير أمر قام بالديان» مقصوده أن الله ما زال يفعل وهذا يستوجب<sup>(١)</sup> القول بقدم العالم وهو كفر.

## فصل

## استنكار الناظم إعادة المعدوم . . إلخ

قال: «وقضى الله بأن يجعل خلقه عدماً ويقبله وجوداً ويعيد ذا المعدوم. هذا المعدوم وذلك المبدأ لذي جهم وقد نسبوه للقرآن هذا الذي قاد ابن سينا والأبي قالوا مقالته إلى الكفران لم تقبل الأذهان ذا، وتوهموا أن الرسول ﷺ عناه بالإيمان، هذا كتاب الله أنى قاله أو عبده أو صحبه أو تابع، بل صرح الوحي بأنه مغير الأكوان وتحدث الأرض وتشهد أفشهد العدم».

أجمع المسلمون على أن الله قادر على أن يعدم الخلق ثم يعيده وعلى أن إنكار ذلك كفر وجمهور المسلمين على أن الواقع ذلك لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الزحرفن: ٢٦] و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقيل إن الأجسام تتفرق ثم تعاد وقوله (أفشهد العدم) أنحن قلنا تشهد وهي عدم إنما تشهد بعد الإعادة فانظر كلام هذا الجاهل وقوله (لم تقبل الأذهان ذا) إن كان ينكر إمكانه (وكونه مقدوراً لله) فهو كافر وإن لم ينكر إلا وقوعه فهو مذهب ضعيف. ثم قال «هذا الذي جاء الكتاب وسنة الهادي به، ما قال إن الله يعدم خلقه طراً كقول الجاهل الحيران» أقول: قد قال تعالى: ﴿كُنَّا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقِكُمْ ثُمَّ نُبَدِّئُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ولو كانت الإعادة جمع الأجزاء بعد تفريقها أو الإتيان بغيرها لم تنطبق على الآية فإن الآية تقتضي أن جميع ما بدأ به الخلق يعيده وإنما يكون كذلك إذ أعدمه ثم أعاده بعينه، والله قادر على ذلك. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَيْنِي﴾ [الرؤم: ٢٧] وإنما كان أهون بالنسبة إلى الشاهد

(١) وهذا الاستزمام بين وما يقال من أن لازم المذهب ليس بمذهب إنما هو فيما إذا كان اللزوم غير بين، فاللازم بين لمذهب العاقل لمذهب له وأما من يقول بلزوم مع نفيه للزومه البين فلا يعد هذا اللازم مذهباً له لكن يسقطه هذا النفي من مرتبة العقلاء إلى درك الأنعام وهذا هو التحقيق في لازم المذهب فيدور أمر القائل بما يستلزم الكفر لزوماً بيناً بين أن يكون كافراً أو حماراً.

لأن الإعادة في الشاهد فعل على مثال وهو أهون من الابتداء لأنه فعل على غير مثال مع اشتراكهما في الإخراج من العدم إلى الوجود. وعند هذا المتخلف ما أخرج المعاد من العدم إلى الوجود بل من صفة إلى صفة يتعالى الله عن قوله فهذا القول منه بما دل عليه من أن الإبراز من العدم إلى الوجود في الإعادة غير مقدور، كفر إلا إذا تأول على الوقوع مع الموافقة على الإمكان وليس ظاهر الكلام ففي قبول قوله إذا ادعاه نظر لأن هذا يتكرر وتكرير هذه الأمور يشبه الزندقة.

## فصل

### زعم الناظم قيام الله بالحوادث

قال: «وقضى بأن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم<sup>(١)</sup> به بلا برهان» مقصود الناظم أن الله يفعل فعلاً في ذاته فيكون محلاً للحوادث، تعالى الله عن قوله، فنب إلى جهم خلاف قوله وأنه قول بلا برهان. وهذا الناظم لا يعرف حقيقة البرهان ثم قال: «والجبر مذهب» إن أراد نفس جهم فهو ليس بمرجود والكلام معه ضياع، وإن أراد الأشعري فقد كذب في قوله (إن الجبر مذهب) ثم قال: «لكنهم حملوا ذنوبهم على رب العباد» هذا كذب أيضاً عليهم فإن الجبرية يقولون إن الله تعالى يعذب من يشاء بذنب ويغير ذنب، له ذلك ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وقوله:

«وتبدؤوا منها وقالوا إنها أفعاله ما حيلة الإنسان»

(١) قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادي في كتاب (الاسماء والصفات): إن الأشعري وأكثر المتكلمين قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفرأ أو أدت إلى كفر، كمن زعم أن لمعبوده صورة أو أن له حداً ونهاية أو أنه يجوز عليه الحركة والسكون... ولا إشكال لذي لب في تكفير الكرامية مجسمة خواسان في قولهم إنه تعالى جسم له حد ونهاية من تحته وأنه مماس لمرسه وأنه محل الحوادث وأنه يحدث فيه قوله وإرادته اهـ (راجع الفتاوى الحلبيات في أجوبة المؤلف عن ٦٤ مسألة سأله عنها الشهاب الأفرعي) وكثيراً ما ترى الناظم يلهج بقيام الأفعال الحادثة بالله تعالى وينطق بلوازم الجسمية والتشبيه بكل صراحة وفي مثله قال القائل:

كم تزرع التشبيه في سنخ القلوب فما انزوع  
فاهجر دمشق وأهلها واسكن ببصرى أو زرع  
هناك يمكن أن يمسق ما تقول ويجمع

وحق أمصار المسلمين أن لا تروج فيها أمثال تلك الأباطيل، وإن ترج فإننا تروج في مثل بصرى بلد ابن زككون أو زرع بلد الناظم أو تلك القفار التي لا يشع فيها نور غير نور الشمس.

ما يتبرأ منها على هذه الصورة إلا ملحد، والذي يعتقد ذلك يقول إنه تعالى يفعل ما يشاء وأطال الناظم في هذا كثيراً بجهل وصيبة أو تقليد لمن هو مثله ثم قال:

«وكذلك أفعال المهيمن لم تقم أيضاً به خوفاً من الحدثان  
فإذا جمعت مقالتيه أنتجا كذباً (وزوراً واضح البهتان)»

يعني أن فعل العبد فعل الله وفعل الله ما هو في ذاته إنتاجاً بجهله ما يقوله وهو قوله:

«فهنالك لا خلق ولا أمر ولا وحي ولا تكليف عبد فان»  
ما هذه إلا فحة وبلادة يأخذ ما يتوهمه لازماً فيستنتج وينكر على الناس إلزامه التجسيم اللازم، ثم قال:

«فأنظر إلى تعطيله الأوصاف»<sup>(١)</sup> وال أفعال والأسماء للرحمن»  
يا جاهل من قال بحدوث الأفعال كيف يلزمه التعطيل؟ ثم قال:

«ماذا الذي في ضمن فا التعطيل نفى ومن جحد ومن كفران»  
إذا رجعتا إلى الخلاف بينك وبينه وجدناك كاذباً عليه ليس في القول بحدوث الأفعال لا نفى ولا جحود ولا كفران، ثم قال:

«لكنه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن»  
«وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه عجبلاً ليفتن أمة الثيران»

الله عند لسان كل قائل. الرجل إنما قال ذلك في قالب التنزيه ولم نعلم نحن باطنه فمن أين لك أنه قصد خلافه وصاغ الكفر عجبلاً ثم قال:

«فرآه ثيران الورى فأصابهم كمصاب إخوتهم قديم زمان»

(١) والناظم المكين قائل بحوادث لا أول لها اتخذاً منه بشبه أوردها الفلاسفة في بحث الحدوث غير متصور انصاف الله سبحانه بصفاته العليا قبل صدور الأفعال منه تعالى. واستنكار شيخه «كان الله ولم يكن معه شيء» مما استشعنه ابن حجر في فتح الباري جد الاستشعاع. وحدوث الأفعال فيما لا يزال لا يلزم منه تعطيل الصفات أصلاً لا في زمن حدوث الأفعال ولا في غيره وهو تعالى سريع الحساب وشديد العقاب قبل خلق الكون وقبل النشور وهل يتصور عاقل أن يحاسب الله خلقه أو يعاقبه قبل أن يخلقهم؟ وهذا يهد مزاعم الناظم الذي يجري الصفات على مجرى واحد، قاله القادر مختار بفعل ما يشاء متى شاء.

إن أراد طائفة لا وجود لها فما في ذكرها من فائدة، وإن أراد خصمائه من الأشعرية ونحوهم فيا لها من مصيبة جعلهم ثيراناً إخوة اليهود ثم قال:

«عجلان قد فتنا العباد بصوته إحداهما ويحرفه ذا الثاني»

وذكر آياتاً إلى آخرها، والله أعلم أنه يقصد بها ربط قلوب الناس على أنه لا مسلم إلا هو وطائفته وسائر الناس كفار كاليهود الذين عبدوا العجل فيا ترى من أحق بشبه من عبد العجل؟ المجسم أم غيره؟

### فصل

ثم قال:

«يا أيها الرجل المرید نجاته (اسمع مقالة ناصح معوان)  
واضرب بسيف الوحي كل معطل ضرب المجاهد فوق كل بنان  
«من ذا يبارز فليقدم نفسه أو من يسابق يبد في الميدان»

ويلك من أنت؟ أو أنت تعرف المباراة أو حضرت قط مبارزة أو ميداناً؟ ثم قال:

«لا تخش من كيد العدو ومكرهم فقتالهم بالكذب والبهتان  
فجنود أتباع الرسول ملائك وجنودهم فعساكر الشيطان»

انظر كيف يقول عن خصومه وهم هداة العالم إنهم عساكر الشيطان وإن قتالهم بالكذب والبهتان ثم قال: «فإذا رأيت عصابة الإسلام قد وانت» يعني عصابة طائفته فانظر دلالة على كفر غيره «فإذا دعوك لغير حكمهما» يعني الكتاب والسنة «فلا سمعاً لداعي الكفر والعصيان» فانظر إلى إبهامه العوام أن خصومه يدعون إلى غير الكتاب والسنة. ثم قال:

«واسمع نصيحة من له خبر بما عند الورى من كثرة الجولان  
ما عندهم والله خير غير ما أخذوه عمن جاء بالقرآن»

نعم ولكنهم فهموه وأنت ما فهمته ثم قال:

«والكل بعد فبدعة أو فرية أو بحث تشكيك وراي فلان»

كأنه يصف طائفته.

## فصل

## عقد مجلس خيالي . . كلامه في وحدة الوجود

وهذا أول عقد مجلس التحكيم . قال :

واحكمم إذا في رفقة قد سافروا      يبغنون فاطر هذه الأكوان  
فترافقوا في سيرهم وتغارقوا      عند افتراق الطرق بالحيران  
فأتى فريقت ثم قال وجدته      هذا الوجود بعينه وعيان

فهو السماء بعينها وهو الغمام بعينه وهو الهواء بعينه، هذي بسانطه ومنه تركبت هذي المظاهر<sup>(١)</sup> يلبسها ويخلعها وتكثر الموجود كالأعضاء في المحسوس أو كالقوى في النفس . هذه مقالة، أو كتكثر الأنواع في جنس فيكون كلياً وجزئياته هذا الوجود<sup>(٢)</sup>

(١) فتكون المظاهر على ما صورّه الناظم محلاً له تعالى، تعالى الله عن ذلك، وأما كون الشيء مجلي لشيء فلا يفيد كونه محلاً له، فإن الظاهر في المرأة مثلاً خارج عنها بذاته قطعاً بخلاف الحال في محل، فإنه حاصل فيه فالظهور غير الحلول فإن الظهور يجامع التنزيه بخلاف الحلول عند أشباع الشيخ الأكبر، وأما كونه كلياً والكون جزءاً له على ما ذكره الناظم فعلى خلاف ما اشتهر عنهم أن العالم أعراض مجتمعة في عين واحد كالتلج مع الماء، تعالى الله عما يفتكون، والواجب تعالى عندهم هو الوجود المحض المجرد عن الماهية القائم بذاته المتعين بذاته المطلق حتى عن قيد الإطلاق بمعنى أنه واحد شخصي موجود بوجود هو نفسه فلا يكون المطلق عندهم بمعنى الكلي حتى يرد على ذلك ما أورده السعد في شرح المقاصد من تسمية أوجه، وأول من نطق بوحدة الوجود في الإسلام - فيما نعلم - هو جهنم بن صفوان، ولذلك ذهب إلى الجبر، لكم فتح هذا الرأي من أبواب للإباحة والزندقة على سرار الخلق، وإما القول بأن الممكن الوجود كلا موجود بالنظر إلى واجب الوجود لا يحتاجه إليه بدءاً ودواماً فليس من الخطر في شيء كالتقول بأن ذلك حالة خيالية تطرأ للمسالك المقبل إلى الله بكليته ثم تنجلي كما ذكره السعد في شرح التنسية والناظم في كثير من كتبه ومن الصوفية من يتصور مسألة الوجود بحيث لا يخل بالتكليف والتنزيه ويقول إنه طور وراء طور العقل ولا كلام لنا فيما هو وراء طور العقل .

(٢) ولا وجود للكلي إلا في ضمن جزئياته فيكون الواجب هو العالم وهو عين مذهب الطبيعيين على تصوير الناظم خذلهم الله . على أن هنا التصوير يخالف ما قرره ابن سبعين في بدء العرف فليراجع . وترى شيخ الناظم يتسبب إلى الصدر القونوي القول بأنه الموجود المطلق لا بشرط شيء وإلى ابن سينا القول بأنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق فيعده نائياً للصانع باعتبار أن ما هو بشرط الإطلاق لا وجود له إلا في الأذهان، لكن الفلاسفة، ومنهم ابن سينا، يرون أن الواجب هو الوجود المقيد بقيد التجرد، بمعنى اللاعروض، وهو مبدأ الكون كله، فعلم أن شيخ الناظم لم يحك كلام ابن سينا على الوجه، وتغابى عن فهمه كما سبق مثل ذلك . ورأى الصدر القونوي يظهر من مفتاحه . والحاصل أن بحث وحدة الوجود بحث خطر متشعب والموقف من وقاه الله شره، ومن توسع في رد ذلك القاضي عضد الدين في المواقف .



فهذان قولان الأول نص القصوص وما بعده قول ابن سبعين وما القولان عند العفيف التلمساني الذي هو غاية في الكفر إلا من الأغلاط في حس وفي وهم وتلك طبيعة الإنسان والكل شيء واحد وأطال في أقوالهم.

### فصل

قال:

«وأتى فريق ثم قال وجدته  
هو كالهواء بعينه لا عينه  
والقوم ما صانوه عن بشر ولا  
وعليهم رد الأئمة أحمد  
فهم الخصوم لكل صاحب سنة  
هؤلاء أيضاً ليس علينا منهم.

### فصل

ثم قال:

«وأتى فريق<sup>(٢)</sup> ثم قارب وصفه  
فأسر قول معطل ومكذب  
هذا ولكن جد في الكفران  
في قالب التنزيه للرحمن

(١) وهذا بظاهاه قول بالتجسيم كقول من يقول إنه مستقر على العرش، وإن كان مراده أنه لا يوصف بمكان دون مكان، بل نسبه إلى الأمكنة على حد سواء لتعالیه عن الجهات، فهو قول متكلمي أهل السنة والمعتزلة، ولعل هذا اللفظ لفظ من حكي هذا المذهب تشبيهاً، وأما إن كان بياناً لمذهب جهم على خلل في اللفظ فهو داخل في الفريق القائل بوحدة الوجود، فلا وجه لإفراجه بكل حال. ونسبة كتاب (الرد على الجهمية) الذي فيه الرد على هؤلاء إلى أحمد نسبة كاذبة، ورواه الخضر بن المنثى مجهول، وقد أنصف المهدي حيث قال: وفي النفس شيء من صحة هذه النسبة. ويقول الناظم في عزوه: إن الخضر المذكور عرفه الخلال. لكن لو كان بمثل هذا القول تزول الجهالة لما وجد بين الرواة مجهول أصلاً، على أن نظرنا إلى الخلال وغلامه ليس كنظر الناظم وشيخه إليهما فضلاً عن دونهما في السند من مقلدة الحشوية بل في متن (الرد على الجهمية) ما يجعل مقدار أحمد عن أن يفوه بمثله جزءاً.

(٢) وهم أهل السنة خصوم كل مجسم وزائغ، وهم يقولون إنه لا يقال إن الله في داخل العالم، كما لا يقال إنه في خارج العالم، ولا إنه مستقر على العرش لأن ذلك لم يرد في الكتاب ولا في السنة، ولأن ذلك شأن الأجسام، ومن جوز في معبودة الدخول والخروج والاستقرار فهو عابد وثن، ويؤيدهم البراهين والآيات الواردة في التنزيه. وليس للمشبهة شبه شبيهة في ذلك كما سبأتي رغم أنف هذا الناظم الزائغ.

إذا قال ليس بداخل فينا ولا  
بل قال ليس ببائن عنها ولا  
كلا ولا فوق السموات العلى  
والعرش ليس عليه معبود سوى  
بل حفظه من ربه حظ الثرى  
لو كان فوق العرش كان كهذه الـ  
يعني أن هذا من قولهم، ثم قال:  
«ولقد وجدت لفاضل منهم مقا  
في قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس» قد كان يونس في قرار البحر ومحمد  
صعد السماء وجاوز السبع الطباقي، وكلاهما في قربه من ربه سبحانه إذ ذلك مستويان.  
فاحمد إلهك أيها السني إذ  
والله ما يرضى بهذا خائف  
هذا هو الإلحاد حقاً بل  
والله ما بلى المجسم قط ذي الـ  
أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ  
والفاضل الذي أشار إليه<sup>(١)</sup> . . . . . وتفسيره للحديث المذكور بما قاله صحيح،

(١) وهنا يياض في أصل المؤلف والمراد بذلك الفاضل هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم ابن فرح القرطبي في تذكرته رواية عن القاضي أبي بكر بن العربي عن غير واحد من أصحاب إمام الحرمين عنه ما معناه: أن ذا حاجة حضر عنده وشكاً من دين ربه فأشار إليه بالمكث لعل الله يفرج عنه وفي أثناء ذلك حضر غني يسأله عن الحجية في تنزه الله سبحانه عن الجهة فقال إمام الحرمين: الأدلة على هذا كثيرة جداً، منها نهيه ﷺ عن تفضيله على يونس عليه السلام. فعصب فهم وجه دلالة ذلك على الحضور، فسأله السائل عن وجه الدلالة فقال إمام الحرمين: حتى تقضي حاجة هذا - مشيراً إلى صاحب الدين - فتولى قضاء دينه، ثم أجاب الإمام قائلًا: إن هذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ وهو عند سدرة المنتهى لم يكن بأقرب إلى الله من يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في قعر البحر، فدل ذلك على أنه تعالى منزّه عن الجهات. وإلا لما صح النهي عن التفضيل، فاستحسنه الحاضرون غاية الاستحسان ولفظ البخاري «لا يقولن أحدكم إنني خير من يونس بن متى» والمعنى واحد وذكره القاضي عياض في الشفاء على لفظ المؤلف، ومن أطلق الكفر على إثبات الجهة في غاية من الكثرة بين الأئمة، ومن الدليل على تنزه الله سبحانه عن الجهة حديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» أخرجه النسائي وغيره.

وقد سبقه إليه إمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين في الحديث، عالم المدينة أبو عبد الله مالك بن أنس حكى ذلك الفقيه الإمام العلامة قاضي قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن المنير المالكي<sup>(١)</sup> الفقيه المفسر النحوي الأصولي الخطيب الأديب البارع في علوم كثيرة في كتابه (المقتضي في شرف المصطفى) لما تكلم على الجهة وقرر نفيها، قال: ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله في قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى» فقال مالك: إنما خص يونس للتنبه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش، ويونس عليه السلام هبط إلى قابوس البحر، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جلّ جلاله نسبة واحدة! ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل مكاناً، ولما نهى عن ذلك. ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبدي أن الفضل بالمكانة لأن العرش في الرفيق الأعلى، فهو أفضل من السفلى، فالفضل بالمكانة لا بالمكان، فانظر أن مالكاً رضي الله عنه - وناهيك به - قد فسر الحديث بما قال هذا المتخلف النحس، إنه إلحاد، فهو الملحد عليه لعنة الله<sup>(٢)</sup> ما أوقفه وما أكثر تجراه! أخزاه الله.

## فصل

### الفوقية الحسية . . الخ

ثم قال:

وأنى فريقتى ثم قارب وصفه      هذا وزاد عليه في الميزان  
قال اسمعوا يا قوم لا تلهيكم      هذي الأمانى هن شر أمانى

أنعت راحلتي وفنشت، ما دلني أحد عليه إلا طوائف بالحديث تمسكت تعزى

(١) صاحب «البحر الكبير في نخب التفسير» الذي يقول عنه بعض المحققين إنه لم يولف في التفسير مثله وهو من مفاخر المالكية في القرن السابع بل من مفاخر علماء الإسلام طراً، ويوجد بدار الكتب المصرية جزء من هذا التفسير وكتابه المقتضي يتوسع في بيان الإسراء.

(٢) ترى المؤلف على ورعه البالغ يستنزل اللعنات على الناظم في كثير من مواضع هذا الكتاب، وهو يستحق تلك اللعنات من حيث خروجه على معتقد المسلمين بتلك المخازي، لكن المغاتمة مجهولة، فالأولى كف اللسان الآن عن اللعن. وأما استنزال المؤلف للعبة عليه فكان في حياة الناظم وهو يمضي على زيغته وإضلاله عامله الله ببدله.

مذاهبها إلى القرآن، قالوا: الذي تبغيه فوق عباده<sup>(١)</sup> فوق السماء وفوق كل مكان وهو الذي حقاً على العرش استوى وإليه يصعد كل قول طيب وإليه يرفع سعي ذي الشكران، والروح والأملك منه تنزلت وإليه تعرج وإليه أيدي السائلين توجهت، وإليه قد عرج الرسول ﷺ وإليك قد رفع المسيح حقيقة وإليه يصعد روح كل مصدق، لكن أولو التعميل منهم أصبحوا مرضى بدهاء الجهل والخذلان.

## تسمية الناظم أهل الحق بحزب جنكز خان

فسألت عنهم رفقتي أصحاب جهنم حزب<sup>(٢)</sup> جنكسخان. من هؤلاء؟ قال مشبهة

(١) والوارد في القرآن الكريم ﴿وَمَوْزَ الْقَائِرِ مَوْزَ يَبَابُوهٖ﴾ [الأنعام: ١٨] ومن الخرق أن يظن من قوله تعالى عن القبط: ﴿وَرَبُّنَا قَوْفُةٌ مِّنْهُنَّ مَثَلُ مَا سَبَقَ فِي الزَّبْحِ، وَأَيْنَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَوْمُهُمْ ذَلِكَ؟ عَلَىٰ أَنْ الْقَوْلَ الْآخِرَ مُوَافَقَةٌ مِنْهُ لَمَنْ يَقُولُ إِنَّ ذَاتَهُ جَلُّ شَأْنِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ هَذَا تَهَاتَرًا. وَإِنْ كَانَ يَهْرِدُ بِالْأَسْتَوَاءِ الْإِسْتِقْرَارَ تَبَعًا لِمَقَالَتِ بْنِ سَلِيمَانَ شَيْخِ الْمَجِسَّمَةِ فَقَدْ اسْتَمْعَجْتَ عَلَيْهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ وَتَبَاعَدَ عَنْ بِلَاغَتِهَا أَيْمَا تَبَاعَدَ وَقَدْ أَوْضَحْتَ ذَلِكَ فِي (لَفْتِ اللَّحْظِ إِلَىٰ مَا فِي الْإِخْتِلَافِ فِي اللَّفْظِ) وَنِسْبَةِ الصُّعُودِ إِلَى الْأَعْرَاضِ وَالْمَعَانِي مِنَ الدَّلِيلِ فِي أَوَّلِ نَظَرٍ عَلَىٰ أَنَّهُ مُجَازٌ مِنَ الْقَبُولِ وَمَاذَا مِنْ نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَعَرُوجِهِمْ إِلَيْهَا. وَإِلَيْهِ تَعَالَىٰ قَصْدُ السَّائِلِينَ، لَكِنْ رَفَعَهُمُ الْإِيدِي إِلَى السَّمَاءِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِقْرَارِ وَجُودِ ذَاتِهِ فِي السَّمَاءِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَجْرَدِ أَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ وَمَنْزِلُ الْأَنْوَارِ وَالْأَمْطَارِ وَالخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ ﴿وَرَبِّي أَتَكَلَّمَ بِتَفَكُّرٍ﴾ [القلوب: ٢٢] وَسَمَتِ الرَّأْسَ مَا يَتَبَدَّلُ أَنَا فَتَأْتَىٰ كَمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ صِفَارُ التَّلَامِيذِ فِي الْمَعْلَاسِ، فَهَلْ ذَاتٌ مَجْرُودِ النَّاطِمِ فِي تَنْفُلٍ دَائِمٍ لَا يَبْرَحُ سَمَتِ وَأَسْه٩؟ وَمَا حَالُ سَائِرِ الْمَلَائِكِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ؟ وَهَذَا هُوَ الْجَهْلُ الْمَطْبُوقُ. لَمْ يَكُنْ إِسْرَافُ النَّبِيِّ ﷺ لِيَفْشَىٰ مَكَانَ اللَّهِ - سَبْحَانَهُ عَنِ الْمَكَانِ - بَلْ أَسْرَىٰ بِهِ رَبُّهُ لِيَرِيهِ مِنْ آيَاتِهِ الْكَبِيرَىٰ كَمَا نَهَضَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَمَقَامَ عَيْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَظْهَرُ مِنْ حَدِيثِ الْمِرَاجِ، فَوَيْحُ النَّاطِمِ مَا أَجْهَلُهُ بِالسَّنَةِ، نَعَمْ يَوْجُدُ بَيْنَ التَّنَاصُرِيِّ مِنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْإِبْنَ رَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ فِي جَنْبِ أَبِيهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمَجِسَّمَةُ وَإِخْوَانُهُمُ النَّصَارَىٰ وَالْيَهُودَ عَلَوًّا كَبِيرًا، وَصُعُودَ الْأَرْوَاحِ إِلَى السَّمَاءِ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ صَالِحًا لِاتِّخَاذِهِ دَلِيلًا عَلَى التَّجْسِيمِ؟.

(٢) انظر هذا الحشوي كيف يجعل أهل السنة المنزهين لله عن الجسم والجسمانيات من حزب جنكزخان الذي اتسع معالم الإسلام من بلاد الصين إلى حدود الشام غرباً وإلى نهر ولجا وما والاها من بلاد البلقار القديم شمالاً ذلك الكافر المريق في الكفر، المسود لتاريخ البشرية بعظائمه الهمجية. ولم تزل أعين المسلمين تفيض دماً على تلك الكوارث التي قضت على تلك العلوم الزاهرة وعلى هؤلاء العلماء النباه حراس الشريعة الغزاه، حتى أصبح مثل النظام يجد =

مجسمة<sup>(١)</sup> فلا تسمع ترابهم والعنهم واحكم بسفك دمائهم فهم أضل من اليهود والنصارى، واحذر تجادلهم يد قال الله وقال الرسول وهم أولى به، فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل للأخبار والقرآن، وعلى التكذيب للإحاد.

هذان أصلان أوصى بهما أشياخنا أشياخهم، وإذا اجتمعت بهم في مجلس فابداً بإيراد وشغل زمان لا يملكوه عليك بالآثار وتفسير القرآن، فإن وافقت صرت مثلهم، وإن عارضت صرت زنديقاً كافرأ، وإن سكت يقال جاهل، فابداً ولو بالفشر والهديان

= مجالاً للكلام، يمثل هذه المخازي، كأنه وشيخه كانا يحاولان القضاء على البقية الباقية من الإسلام، ومن علوم الإسلام، إتماماً لما لم يتم بأيدي المغول، لكنهما قسباً على أنفسهما ومداركهما قبل أن يقضيا على السنة باسم السنة وعلى عقول الناس باسم النظر عاملهما الله سبحانه بعذله.

(١) يسمى الناظم بكل قواه في تهوين أمر التجسيم أسوة بشيخه، لكن القائلين يقدم الجسم طائفتان ليس بين طوائف البشر أسخف أحلاماً من كلتا الطائفتين. إحداهما الطبيميون وقد تسمى الملاحدة والزنادقة والدهرية والمعطلة وهم القائلون بنفي الصانع، وهم كما يقول المطهر المقدسي أقل الناس عدداً وأفيلهم رأياً، وأشهرهم حالاً وأرضعهم منزلة، يقولون يقدم أعيان العالم والأجسام وتولد النبات والحيوان من الطبايع باختلاف الأزمنة والثانية المجسمة وقد تسمى الحشرية والمشبهة على اختلاف بينهم فيما يختلفونه في الله من السخافات والحماقات، تعالى الله عما يصفون، وهم مشاركون لهؤلاء في القول بجسم قديم قديماً ذاتياً إلا أنهم يؤلونه ويعتبدونه بخلاف هؤلاء، سواء أطلقوا لفظ الجسم عليه أم لم يطلقوا بعد أن قالوا بمعنى الجسم الشاغل للفراغ، الداهب في الجهات، حيث خاضوا في ذات الله سبحانه بمقولهم الضئيلة التي تعجز عن اكتناه ذوات المخلوقات وإنما علمهم بالمخلوقات عبارة عما تخيلوه بشأنها من إحساسهم بأعراضها، فكيف يجترئون على تخيل الحوم حول حمى الخالق جلّ وهلا.

قال ابن تيمية في التأسيس في رد أساس التقييد المحفوظ في ظاهرة دمشق في ضمن المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدراري، وهذا الكتاب مخبأة ووكر لكتيبهم في التجسيم وقد بينت ذلك فيما علقت على المصعد الأحمد (ص ٣١): فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والإجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة اهـ.

وقال في موضع آخر منه: فقلت ليس هو بجسم، ولا جوهر ولا منحيز ولا في جهة ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شيء وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس يتمم ولا مركب وأنه لا حد له ولا غاية، تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدّر أو يكون له قدر لا ينتهي... فكيف ساغ لكم هذا النفي بلا كتاب ولا سنة اهـ. وفي ذلك عبر للمعتبر، وهل يتصور لمارق أن يكون أصرح من هنا بين قوم مسلمين؟

هذا الذي - والله<sup>(١)</sup> - وصانا به أشياخنا فرجعت عن سفري وقلت لصاحبي: عطل ركابك ما ثم شيء غير ذي الأكوان، لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان أو كان رب بائن عن ذا الوري، كان المجسم صاحب الإيمان. فدع التكليف واخلع عذارك ما ثم فوق العرش من رب، ولم يتكلم الرحمن بالقرآن لو كان فوق العرش رب لزم التحيز ولو كان القرآن عين كلامه حرفاً وصوتاً<sup>(٢)</sup> كان ذا جثمان، فإذا

(١) ثم انظر كيف يحلف كذباً على هذه المحاورة الخيالية فهل يتصور أن يصدر منه مثل ذلك لو كان يخاف مقام ربه في ذلك اليوم الرهيب، وسيأتي ما يقضي على مزاعمه في استقراء معبوده على العرش - جلّ إله المسلمين عن مثل هذه الوثنية - كما سيأتي القضاء على مزاعمه في الحرف والصوت قضاء لا نهوض لها بعده إن شاء الله تعالى.

(٢) واعتقاد الصوت في كلام الله خطر جداً، وكان الإمام عز الدين بن عبد السلام ابتلي بالمتبذعة الصوتية في عهد الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل الأيوبي، وكان الملك الأشرف هنا يميل إليهم ويعتقد فيهم أنهم على صواب حيث كان يخالطهم منذ صغره حتى منع العز المذكور من الإفتاء بسبب هذه المسألة كما هو مشروح، مفضل في مطلب الأديب لأيي بكر بن علي الحسيني السيرطي، وفي طبقات التاج ابن السبكي وطبقات التقي التميمي، وفي خلاصة الكلام في مسألة الكلام للشيخ محمد عبد اللطيف بن العز المذكور - وقد نقلت الرسالة الأخيرة من خط المؤلف - واستمر منعه من الإفتاء إلى أن ركب الإمام الكبير جمال الدين الحصري - شارح الجامع الكبير، وشيخ الفقهاء في عصره - ونوجه إلى الملك الأشرف وأفهمه أن الحق مع العز وقال له إن ما في فتياه هو اعتقاد المسلمين وكل ما فيها صحيح ومن خالف ذلك فهو حمار. وكان الجمال الحصري عظيم المنزلة عند الملك لجلالة قدره عند جماهير أهل العلم، فأطلق الإفتاء للعز ومنع الصوتية من مزاعم الحرف والصوت في كلام الله سبحانه.

### فتاوى في الرد على الفاكليين بالحرف والصوت

وأرى من التصحح للمسلمين أن أنقل هنا أجوبة الإمام العز بن عبد السلام والإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي، والإمام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد البخاري مؤلف «جمال القرءة وكمال الإقراء» حينما استفترا في هذه المسألة. ومكانتهم السامية في العلم معروفة.

ونص السؤال والأجوبة كما هو مدرّج في «نجم المهتدي ووجم المعتدي» للفخر بن المعلم القرشي، كالآتي:

صورة السؤال: ما يقول السادة الفقهاء رضي الله عنهم في كلام الله القديم القائم بذاته؟ هل يجوز أن يقال إنه عين صوت القاري وحروفه المقطعة، وعين الأشكال التي يصورها الكاتب في المصحف؟ وهل يجوز أن يقال إن كلام الله القديم القائم ببلاته حروف وأصوات على المعنى الظاهر فيها وإنه عين ما جملة الله معجزة لرسوله ﷺ؟ وما الذي يجب على من اعتقد جميع ذلك وأذاعه وغربه ضعفاء المسلمين وهل يحل للعلماء المعتمدين إذا علموا أن ذلك قد =

= شاع أن يسكتوا عن بيان الحق في ذلك وإظهاره والرد على من أظهر ذلك واعتقده؟ افتونا مأجورين.

صورة جواب الإمام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله :

القرآن كلام الله صفة من صفاته قديم بقدمه، ليس بحروف ولا أصوات ومن زعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئ وكتابة الكاتبين فقد أهدى في الدين وخالف إجماع المسلمين، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدين ولا يحل للعلماء كتمان الحق ولا ترك البدع سارية في المسلمين، ويجب على ولاة الأمر إعانة العلماء المتزهين الموحدين، وقمع المبتدعة المشبهين المجسمين، ومن زعم أن المعجزة قديمة فقد جهل حقيقتها، ولا يحل لولاة الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين، ويجب عليهم أن يلزمهم بتصحيح عقائدهم بمباحة العلماء المعتمدين، فإن لم يفعلوا أجتوا إلى ذلك بالحبس والضرب والتعزير، والله أعلم.

كتبه عبد العزيز بن عبد السلام

وصورة جواب الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي :

من زعم أن أصوات القاريء وحروفه المتقطعة والأشكال التي يصورها الكاتب في المصحف هي نفس كلام الله تعالى القديم فقد ارتكب بدعة عظيمة وخالف الضرورة وسقطت مكالمته في المناظرة فيه، ولا يستقيم أن يقال إن كلام الله تعالى القديم القائم بذاته هو الذي جعله الله معجزة لرسوله ﷺ، فإن ذلك يعلم بأدنى نظر، وإذا شاع ذلك أو سئل عنه العلماء وجب عليهم بيان الحق في ذلك وإظهاره ويجب على من له الأمر ووقه الله أخذ من يعتقد ذلك ويفرغه ضعفاء المسلمين وزجره وتأديبه وجبه عن مخالطة من يخاف منه إضلاله إلى أن يظهر توبته عن اعتقاد مثل هذه الخرافات التي تأبأها العقول السليمة، والله أعلم.

كتبه عثمان بن أبي بكر الحاجب

وصورة جواب الإمام علم الدين أبي الحسن علي السخاوي :

كلام الله عز وجل قديم صفة من صفاته ليس يخلق؛ وأصوات القراء وحروف المصاحف أمر خارج عن ذلك، ولهذا يقال صوت قبيح وقراءة غير حسنة وخط قبيح غير جيد، ولو كان ذلك كلام الله لم يجز ذمه على ما ذكر لأن أصوات القراء به تختلف باختلاف مخارجها والله تعالى منزّه عن ذلك، والقرآن عندنا مكتوب في المصاحف مثلو في المحارب محفوظ في الصدور غير حال في شيء من ذلك، والمصحف عندنا معقّم محترم لا يجوز للمحدث منه، ومن استخفّ به أو ازدراه فهو كافر مباح الدم، والصفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالى ليست المعجزة، لأن المعجزة ما تحدّى به الرسول ﷺ وطالب بالإتيان بمثله ومعلوم أنه لم يتحدّم بصفة الباري القديمة، ولا طالبهم بالإتيان بمثله، ومن اعتقد ذلك وصرّح به أو دعا إليه فهو ضال مبتدع، بل خارج عما عليه العقلاء إلى تخليط المجانين، والواجب على علماء المسلمين إذا ظهرت هذه البدعة إخمادها وتبيين الحق والله أعلم.

علي السخاوي

انظر يا رعاك الله كيف كان العلماء يتكاتفون في قمع البدع وإحقاق الحق على اختلاف مذاهبهم في تلك العصور الزاهرة بخلاف غالب أهل العلم في زماننا هنا فإن لهم منازع وراه اختلاف =

= المذاهب لا يهمهم ذبوع الباطل وقد خانوا دينهم الذي اتتمنهم الله عليه، وبه يعيشون، ويوم الخاليتين يوم رهيب.

وكانت تلك الفتنة بالشام في النصف الأول من القرن السابع الهجري، وقد وقع مثلها في النصف الأخير من القرن السادس بمصر، وفتنة القاهرة معروفة بفتنة ابن مرزوق وابن الكيزاني وكلاهما من حشوية الحنابلة، وظن التاج ابن السبكي بن الكيزاني من الشافعية فترجم له في طبقاته تبعاً لابن خلكان، فلا بأس في الإشارة هنا إلى فتاوى علماء ذلك العصر في حقهما. وصورة الاستفتاء في شأنهما:

ما قولكم في الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق وابن الكيزاني اللذين يعتقدان أن الله سبحانه يتكلم بحرف وصوت، تعالى الله عن ذلك، وأن أفعال العباد قديمة، هل تنفذ أحكامهم على أهل التوحيد وعمامة المسلمين وهل تقبل شهادتهم على المسلمين أم لا؟

جواب الإمام شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود الطوسي الشافعي (صاحب الوقائع مع ابن نجبة الحنبلي):

تقبل شهادة عدولهم على أصحابهم ولا تسمع شهادتهم على أهل الحق من الموحدين ولا ينفذ حكم قاضيهم على الموحدين فإنهم أعداء الحق، والله أعلم.

كتبه محمد الطوسي

وجواب الإمام يوسف الأرموي:

ما نص عليهم أعلاه اترفوا حربة عظيمة يجب عليهم القفول عما اعتقدوه وهم كفار عند أكثر المتكلمين وكيف يسوغ قبول أقوالهم؟ ويجب على من إليه الأمر إحصارهم واستابنتهم عما هم عليه، فإن تابوا وإلا قتلوا، وحكمهم في الاستابنة حكم المرتد في إمهاله ثلاثة أيام ولا يقتل في الحال.

كتبه يوسف الأرموي

وجواب الخطيب أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحموي:

من اعتقد أن أفعال العباد قديمة فقد قال قولاً يلزم منه القول بقدم العالم ومن قال بقدم العالم فهو كافر لا تصح ولايته ولا تقبل شهادته والله أعلم.

كتبه محمد بن إبراهيم الحموي

واستفتاء آخر صورته:

ما قول الفقهاء الأئمة قادة علماء هذه الأمة أدام الله إرشادهم ورفق إصدارهم وإبرادهم في الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق وابن الكيزاني. اللذين يعتقدان أن الله سبحانه متكلم بحرف وصوت، وأن أفعال العباد قديمة، هل تقبل شهادتهم على أهل الحق الموحدين الأشعرية، وهل تنفذ أحكام قضائهم على الأشعرية أم لا؟

جواب الإمام أبي المنصور ظافر بن الحسين الأزدي المالكي:

لا تقبل شهادة من يقول إن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت لأنهم مرتكبون كبيرة هي أعظم من سائر المعاصي كالزنى وشرب الخمر لأنها كبيرة تتعلق بأصل من أصول الدين.

كتبه ظافر بن حسين الأزدي =



وجواب شارح المهذب أبي إسحاق إبراهيم العراقي:  
جوابي كذلك.

كتبه إبراهيم العراقي

وجواب الخطيب محمد بن إبراهيم الحموي:

من قال إن الله متكلم بحرف وصوت فقد قال قولاً يلزم منه أن الله جسم ومن قال إنه جسم فقد قال بحدوثه ومن قال بحدوثه فقد كفر، والكافر لا تصح ولا تقبل شهادته، والله أعلم.

كتبه محمد بن إبراهيم الحموي

وجواب الشيخ جمال الدين بن رشيقي المالكي:

لا تقبل شهادتهم ولا يجوز أن يولوا الحكم ولا غيره من المناصب الدينية لأنهم بين جاهل يصر على جهله بما يتبين عليه اعتقاده من صفات الله سبحانه وبين عالم معاند للحق، ومن هذه صفته يتعين تأديبه وزجره عما صار إليه بأبلغ الأدب، ومن جملة رد الشهادة وبالله التوفيق.

كتب حسين بن عتيق بن رشيقي

وجواب الشيخ محيي الدين محمد بن أبي بكر الفارسي:

من قال إن الله سبحانه متكلم بالصوت والحرف فقد أثبت الجسمية وصار بقوله مجسماً، والمجسم كافر، ومن قال إن أفعال العباد قديمة فقد كذب الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا تَسْكُرُ﴾ [الضافات: ٩٦] ومكذب الله بصفة الإصرار كافر ولا تثبت عدالتهم ولا تقبل شهادتهم ولا تجوز الصلاة خلفهم، ويجب على الإمام وعلى نوابه في الأقاليم استأينهم، فإن لم يرجعوا عما هم فيه من الكفر يعاقبهم على كفرهم أو يقبل الجزية منهم أذلاء لا كاليهود والنصارى بل كفرهم أشنع وأبشع من مقالة النصارى واليهود، أما اليهود فشيهوة بالحادث صفة، وأما النصارى فقالوا إنه جوهر شريف والمجسمة يشنون الجسم لله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وكتب محمد الفارسي:

وفي تلك الفتاوى ما يتزجر به من يخاف مقام ربه من تلك البدع الشنيعة وبها يعلم أيضاً أن أبا عمرو عثمان بن مرزوق الحنبلي وأبا عبد الله الكيزاني الحنبلي مشتركان في إثارة البدع المذكورة بمصر ولا مانع من أن يكون بينهما بعض اختلاف في فرع من فروع تلك البدع، ومن حاول تبرة أحدهما منها فلا حجة عنده أصلاً، وقد تكلف ابن رجب في طبقاته تبرة ابن مرزوق عن ذلك بدون جدوى بعد أن أقر بذلك الناصح الحنبلي وابن القطيبي الحنبلي، ولو كان ابن رجب رأى تلك النصوص من فتاوى علماء عصر ابن مرزوق وابن الكيزاني المنقولة عن خطوطهم المحفوظة في خزنة الملك الظاهر بيبرس لما سمى في تبرة ساحته من تلك البدعة الشيعة.

ونسبة القول بتلك البدعة إلى ابن الكيزاني في مرآة الزمان لسط ابن الجوزي لا تبرى ابن مرزوق منها على أن ابن رجب قال بعد ذلك: ثم وجدت لأبي عمرو بن مرزوق مصنفاً في أصول الدين، ورأيت يقول فيه إن الإيمان غير مخلوق، أقواله وأفعاله وإن حركات العباد مخلوقة، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام في ألفاظ العباد.

انتفيا ما الذي يبقى من إيمان؟ فدح الحلال مع الحرام لأهله، فهما السياج فاخرقه ثم ادخل واقطع علائقك التي قد قيدت هذا الوري لتصير حرّاً<sup>(١)</sup> لست تحت

= هذا طراز آخر في التخريف يدل على أنه قائل بالحلول على مذهب السامية، ومثله لا يمكن ترقية كلامه. ووقعت بين الفتنين فتنة عبد الغني المقدسي الحنبلي في الصوت ونحوه كما في ذيل الروضتين لأبي شامة فليراجع هناك، وما حدث في القرن الخامس ببغداد في عهد أبي نصر بن الفشير من فتنة الحشوية فمشهور جداً. والمحضر الذي رفعه أبو إسحاق الشيرازي والحسين بن محمد الطبري ومحمد بن أحمد الشاشي والحسين بن أحمد البغدادي وعزيزي بن عبد الملك شينذلة، وغيرهم من أئمة ذلك العصر عن تلك الفتنة بخطوطهم إلى نظام الملك، مسجل في تبين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٣١٠) فيراجع هناك ليعلم مبلغ سعي الحشوية في إثارة الفتن في كل قرن وذلك مما يعرف به جبين الدهر خجلاً من تخريفاتهم التي يتبرأ منها العقلاء كلهم. وأما ما أحدثوه من الفتن في أوائل القرن الرابع من الدعوة إلى القول بإجلاس محمد ﷺ على العرش في جنبه تعالى فمدون في كتب التاريخ. والمرسوم الذي أصدره الراضي العباسي ضد البربهاري الداعي إلى تلك البدعة مسجل في تاريخ ابن الأثير بنصه وفضه فليراجع القاريء الكريم هنا وذاك ليعلم نصب الحشوية من العقل والدين وكلا الكتابين بمتناول الأيدي فنستفي عن تقل نصوص عنهما، وفي كل ما تقدم عبر، ربا لها من عبر، والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل.

### رد حديث الأوهال

(١) انظر هذا الخبيث المضاعف، بصور الناظم أن القول بعدم استقرار الإله جل شأنه على العرش استقراراً تمكن ويعدم كون كلام الله القائم بذاته حرفاً وصوتاً حادثين في ذاته تعالى يكون انحلالاً عن الدين وانسلاخاً من التكليف، ولست أشك أن من يجترى على هذا التصوير ويدور في خلدته مثل هذا التكفير أمام جماهير أهل الحق المعتمدين للتزوية من فجر الإسلام إلى اليوم في مشارق الأرض ومغاربها على طول القرون لا يكون إلا منطوياً على الانسلاخ الذي يرمي به أهل الحق، قتله الله ما أجراه على الله وما أوقفه! فمن الذي نفى أن للعالم مديراً وأن القرآن كلام الله أنزل به الروح الأمين على قلب رسوله ﷺ؟ ومن الذي يجهل أن الملء والتخلية من شأن الأجسام نفياً وثباتاً ولم يرد الملء في سنة صحيحة حتى يجوز إطلاقه عليه سبحانه، على أن تنزهه سبحانه عن الجسمية ولوازم الجسمية مما أجمع عليه أهل الحق، ولم يشك فيه سوى من عنده نزعة الوثنية، ولفظ بائن من خلقه لم يرد في كتاب ولا سنة، وإنما أطلق من أطلق من السلف بمعنى نفي الممازجة رداً على جهم لا بمعنى الابتعاد بالمسافة، تعالى الله عن ذلك. كما صرح بذلك البيهقي في الأسماء والصفات، وأما لفظ أنه فوق العرش فلم يرد مرفوعاً إلا في بعض طرق حديث الأوهال - من رواية ابن منده من التوحيد - وعبد الله بن عميرة في سننه مجهول الحال، ولم يدرك الأحنف فضلاً عن العباس. وسماك انفرد به عن عبد الله هنا، في جميع الطرق، ويحيى بن العلاء في رواية عبد الرزاق عن سماك يقول عنه أحمد: كذاب يضع الحديث. وتصحيح بعض الحشوية لبعض طرق حديث الأوهال لا يزيل ما به سنناً ومنناً، بل خير الأوهال ملفق من الإسرائيليات كما نص عليه أبو بكر بن =

أوامر ولا نهي ولا فرقاً، لكن جعلت حجاب نفسك إذا تى، فوق السماء من ديان، لو قلت ما فوق السماء مدبر والعرش تخليه من الرحمٰن، والله ليس متكلماً بالقرآن لخللت طلسمه وفزت بكنزه وعلمت أن الناس في هذيان، لكن زعمت أن ربك بانن من خلقه وأنه فوق العرش والكرسي وفوقه القدمان وأنه يسمع خلقه ويراهم من فوق وأن كلامه منه بدا وإليه<sup>(١)</sup> يعود ووصفته بالسمع والبصر والإرادة والقدرة وكراهة ومحبة وحنان، وأنه يعلم كل ما في الكون، وأنه كلم موسى، والنداء صوت بإجماع النحاة، وأن محمداً ﷺ أسرى به (ليلاً إليه) فهو منه داني وأنه يديه يوم القيامة حتى يرى قاعداً معه على العرش وأن لعرشه أطيطاً<sup>(٢)</sup> وأن الله أبدى بعضه للطور، وأن له وجهاً وله يمين، بل زعمت يدان، وأن يديه للمسبح العلى والأرض (يوم الحشر) قابضتان<sup>(٣)</sup> وأن يمينه ملأى من الخير، وأن العدل في الأخرى وأن الخلق طراً عنده

= العربي في شرح سنن الترمذي وأنت تعرف مبلغ براعة في الحديث ونقده وتحسين الترمذي بالنظر إلى تعدد طرقه بعد سماك، وهذا مصطلح له وقوله: غريب إشارة إلى انفراد سماك عن ذلك المجهول ولا شأن للمجاهيل والوحدان والمستقطعات في إثبات الصفات أصلاً ولم يثبت عن القدمين حديث مرفوع، وقول ابن عباس لإفادة أن الكرسي صغير بالنسبة إلى العرش ككرسي قد وضع لقدمي القاعد على السرير كما قال ابن الجوزي. ورواية من رواه بلفظ (قدميه) تحريف للرواية وتقييد الرؤية بلفظ (من فوق) من كيس المجسم بدون كتاب ولا سنة. ووصفه سبحانه بالصفات الواردة في الكتاب والسنة لم يفه أحد من أهل الحق، كما لم ينسب أحد منهم كلام الله لموسى بلا كيف. والإقعاد معه على العرش يروى عن مجاهد بطريق ضعيفة وتفسير المقام المحمود بالشفاة متواتر تواتراً معنوياً وأنى ما ينسب إلى مجاهد من ذلك؟ وقد صرح غير واحد من الأئمة ببطلان ما يروى عن مجاهد، ويرى بعض النصارى رفع عيسى عليه السلام وإقعاده في جنب آية وهذا هو مصدر هذا التخريف.

(١) قال ابن المعلم القرشي: وهذا الحديث أوردوه بإسناد فيه محمد بن يحيى بن زرين، قال أبو حاتم البستي كان كذاباً دجالاً يضع الأحاديث اه. وزيادة على ما سبق سيأتي الكلام على الصوت فانتظروه، ودعوى الإجماع في أن النداء صوت كذب كما سيأتي.

(٢) ويغني عن إيداء وجوه التخليط في حديث الأطيط ما ألفه الحافظ ابن عسكرك في ذلك، وإيداء بعضه للطور بمعنى إيداء بعض آية على أنه مما أدخل على حماد بن سلمة، تعالى الله سبحانه عن الأبعاض والأجزاء وغم أنف المجسمة. ويأتي الكلام على قبض السماوات.

### قبض السماوات والأرض

(٣) قال البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَبِيحًا بِبَيْتِكُمْ لَيْلًا ظَلِيمَةً﴾ [الزمر: ٦٧] إن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض» اه. وهذا هو أصل الحديث وهو مروى بأسانيد كثيرة جداً وهو الموافق لكتاب الله سبحانه، واليمين: القدرة كما هو مبسوط في أساس التقديس، وحاشا =

يهتز فوق أصابع<sup>(١)</sup> الرحمن وأن قلب العبد بين اثنتين من أصابعه، وأنه يضحك عند

= أن يكون قبض الله من قبيل احتواء الأنامل على شيء، وما زاد على ذلك في الروايات من أنه يأخذ السماوات بيده اليمنى ويأخذ الأرض بشماله - وحاشا أن يكون له شمال وكلتا يديه يمين - فمن تصرفات الرواة أثناء النقل بالمعنى كما لا يخفى على أهل هذه الصناعة المستحضرين لأحاديث الباب ومبلغ اضطرابها سناً ومتناً.

وأما حديث الحبر اليهودي فيوضع أجزاء الكون على إصبع فضحك النبي ﷺ فيه لا يدل على تصديق ذلك وإن ظنه بعض الرواة تصديقاً - في بعض الطرق - بل يدل على الإنكار والاستهجان. وقد برهن ابن الجوزي في دفع الشبه وابن حجر في الفتح على أن ذلك إنكار لا تصديق رغم توهم ابن خزيمة كونه تصديقاً لزبح مشهور في معتقده، كما سيأتي بيانه، بل نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَلَّمُوا اللَّهَ حَرْقَ قَدِيرٍ وَالْأَرْضُ جَبِيماً قَبَسْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] أي تحت تصرف مالك يوم الدين لا يجري لأحد سواء حكم في ذلك اليوم ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] أي بقدرته لا حساب على سكانها بخلاف أهل الأرض فإنهم محاسبون ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٨] عقب حديث حبر اليهود دليل واضح على الإنكار على أن إنباتهم الأصابع الحسبة بالوجه السابق إشراك. قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ اللَّهُ بِحَيْثُ كَانُوا وَالْأَرْضُ أَنْ قُرُوبًا﴾ [فاطر: ٤١] فمن الذي يظن أن ذلك بالمصاصة؟ وكذلك القبض، وإن هذى الشيخ محمد المنجي الحنبلي تلميذ الناظم في جزءه (إنبات المصاصة) بما شاء من صنوف الهديان، وكل ذلك من بلايا ابن تيمية حيث لفق الروايات في هذا الصدد وقال ما شاء أن يقوله في الأجوبة المصرية وذكر ما ورد في بعض طرق الحديث وهو (قبض كفيه فجعل يقبضهما وبسطهما) ثم قال: «وهنا شبه القبض والبسط بقبضه وسطه» اهـ. وهذا تشبيه صريح من ابن تيمية ﴿أَقْبَمَ يَمْلُقُ كَنْنَ لَا يَطْلُقُ﴾ [الحل: ١٧] ومغالطة مكشوفة، واللفظ المذكور لم يقع إلا في بعض الروايات، والاضطراب في الحديث سناً ومتناً زيادة ونقصاً ظاهر جداً لمن اطلع على طوقه بحيث لا يصح الاستدلال به ولا سيما في مثل هذا المطلوب وعلى فرض ثبوت أن النبي ﷺ قبض كفيه وسطهما أثناء الخطبة لم ينسب إليه ﷺ في حديث أنه قال: «مكننا يقبض ويسط حتى يصح كلام ابن تيمية، بل البسط غير موجود فيما يروى عما يفعله سبحانه عند قيام الساعة حتى يظن به ﷺ إذا قبض كفيه وسطهما أنه أراد تشبههما بقبض الله وسطه، على أن الخطيب كثيراً ما تصدر منه حركات وإشارات أثناء الخطبة، وحملها على معان لم ينظن هو بها تقويل للخطيب ما لم يقله، ومن الظاهر جداً أن الأرض تحتوي على الأنجاس والأرجاس فكيف يتصور أن يكون قبض الله كقبض أحد من خلقه حقيقة بحيث يستلزم ذلك القبض على الأخبيات والأرواث، تعالى الله عن ذلك. وهذا مما لا يتصوره من بخاف مقام ربه ولو كان جاهلاً باستحالة الجسمية على الله سبحانه. ولا تعرض هنا لرواية كاتب الليث في الخبرية ولعل فيما ذكرنا كفاية.

### الأصابع في كلام الجبر

(١) لم يرد في حديث وضع السماوات على أصبع إضافة الأصابع إلى الرحمن أصلاً وهذا كذب ونصرف في الحديث بالحريف والتفسير قال القاضي أبو بكر بن العربي في القواصم والمعاصم: =

تقابل الصفيين من عبده يأتي فييدي نحره لعدوه، ويضحك عندما يشب الفتى من فرسه لقراءة القرآن، ومن قنوط عباده إذا جذبوا، وأنه يرضى ويغضب، وأنه يسمع صوته<sup>(١)</sup>

= وأما ذكر الأصابع فصحيح ولكن لم ترد مضافة إليه تعالى وإنما ورد أنه يضع السماوات على أصابع والأرضين على أصبع ثم بهزمن... الحديث، ومن أين لهم أن أصابع الوضع المطلقة هي أصابع التقليل المضافة إليه؟ اه على أن قول النبي ﷺ بعد أن قال الحبر ذلك ﴿وَمَا تَدْرُونَ اللَّهَ حَتَّى تَدْرِيهِ﴾ [الأنعام: ٩١] يدل على إنكار ما قاله الحبر كما قال ابن حجر في شرح البخاري رداً على ابن خزيمة - وتوحيد ابن خزيمة من أهيف الكتب، راجع تفسير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] من تفسير الفخر الرازي - وما أخرجه الضياء الحنبلي من حديث الخنصر فيابل بالمرء وفيه من العلل ما بين في مرضه وليس في حديث الترمذي رفع حديث طرف الإبهام إلى الرسول ﷺ على انفراد حماد بن سلمة به، بل نسبة ذلك إلى سليمان بن حرب أو حماد، قال ابن العربي: وتمثيل سليمان بن حرب وأمثاله ما نجلى للجبل بالأمثلة لا ينظر إليه لأنه كلام غير معصوم ولا واجب الاتباع فالأمر هين والمخرج عنه سهل بين اه. فيا سبحان الله ما أجهل هذا الناظم بلسان قومه كيف يفهم من اليد معنى الجارحة ومن الضحك إبداء النواجد، راجع القواصم لابن العربي، ودفع الشبه لابن الجوزي، والأسماء والصفات لليهقي، وقد روى القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة والقاضي عياض في الشفاء عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه أنه كان يرى قطع يد من أشار بيده إلى عضو من أعضائه عند ذكر شيء ورد في الله سبحانه حيث إن الإشارة إلى عضو عند ذلك تشبيه، تعالى الله عن ذلك، وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث القبط باليمين والشمال فلم يخرج البخاري لاضطراب عبد العزيز بن سلمة في سنه لأنه يرويه مرة عن أبيه عن ابن مقسم عن ابن عمر كما وقع في رواية سعيد بن منصور وأخرى عن أبيه عن عبيد بن عمير عن ابن عمر، كما في رواية القنبي، وتارة أخرى عن أبيه عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما في رواية يحيى بن بكير، فقلت تلك الأسانيد المختلفة على أن عبد العزيز لم يضبط السند كما يجب، وحال المتن توازي حال السند وسلم حيث ترجع عنده روايته بطريق ابن مقسم بالنظر إلى متابعة يعقوب بن عبد الرحمن القاري لعبد العزيز في روايته عن سلمة عن ابن مقسم خروجه في صحيحه، لكن ما يحتاج إلى متابعة يكون منقطع الرتبة في الصحة بل من أحاط بأسانيد هذا الخبر في توحيد ابن خزيمة وحلية أبي نعيم بعده مضطرب السند والمثن معاً. على أن ما يقع في المنبر أمام الجمهور تتوفر فيه الدواهي إلى روايته فكيف ينفرد برواية مثله راو واحد، وإن صح الاحتجاج بمثل ذلك فإنما يصح عند - عدم المعارض - في الأعمال فقط دون الاعتقاد على أن تلاوته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرُونَ اللَّهَ حَتَّى تَدْرِيهِ﴾ [الأنعام: ٩١] عند ذكر حديث الحبر في الصحيح تعارضه إذا لم يحمل خير مسلم على المجاز لوجود بين أهل العلم من لا يستدل بمثله في الأعمال فضلاً عن الاعتقاد ومع هذا كله لا يحتج بما دون المشهور من الأحاديث في ذات الله وصفاته عند جمهور أهل الحق فكيف يحتج بذلك الحديث في باب الاعتقاد وقد يتأ بعض ما فيه.

(١) وحديث جابر المعلق في صحيح البخاري مع ضعفه في سياق ما بعده من حديث أبي سعيد ما يدل على أن المنادي غير الله حيث يقول «... فينادي بصوت إن الله يأمرك...» فيكون الإسناد مجازياً عل أن الناظم ساق في حادي الأرواح بطريق الدارقطني حديثاً فيه يبعث الله يوم =

ويشرق نوره يوم الفصل ويكشف ساقه<sup>(١)</sup> ويوسط كفه ويمينه تطوى السماء وينزل<sup>(٢)</sup> في الدجى في الثلث الأخير والثلث الثاني وأن له نزولاً<sup>(٣)</sup> ثانياً يوم القيامة للقيامة وأنه يبدو جهرة لعباده حتى يرونه ويسمعون كلامه وأن له قدماً<sup>(٤)</sup> وأنه واضعها على النيران وأن الناس كل منهم يخاصر<sup>(٥)</sup> ربه، بالخاء والصاد والحاء والضاد وجهان محفوظان

= القيامة نادياً بصوت... وهذا نص من النبي ﷺ على أن الإسناد في الحديث السابق مجازي وهكذا يخرب الناظم بيته بيده ويأبدي المسلمين وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في أحاديث الصورت فليراجع ثمت.

### الكلام على الساق والنزول والمجيء ووضع القدم

(١) وفي القرآن ﴿يَوْمَ يَكْتُمُ مَنْ سَأَى﴾ [الفلم: ٤٢] بدون ضمير وذلك استعارة عن الشدة كما ذكره الفراء وابن قتيبة وابن الجوزي، وذكر الإسماعيلي في مستخرجه أن رواية حفص بن ميسرة يكشف رينا عن ساق بدون ضمير وروايته بالضمير منكروة. راجع ما كتبناه على دفع الشبه لابن الجوزي، ومن عادة الحشوية حمل المجاز المشهور على الحقيقة باختلاق رواية حول ذلك وإلقائها على السنة الرواة. وتصرفات المجسمة هنا من هذا القبيل.

وإني أتقل للقاريء بلية من بلايا المجسمة نفهمه إلى أي حد يصل جنون هؤلاء، وقد رأينا في بعض كتب روافضهم أن فاطمة رضي الله عنها تحمل قميص حسين عليه السلام في يوم القيامة وتقول لله سبحانه وهو جالس على عرشه هذا ما فعلته الأمة بابني سبط الرسول ﷺ، ويكشف الله سبحانه إذ ذاك عن ساقه فإذا هي مربوطة برياط ويقول ماذا أنا فاعل إزاء هذا وهم قد فعلوا بي ما ترونه؟ ويعلمون هذا بما فعله نمرود من توجيهه الرمي إلى السماء ليقتل إله إبراهيم عليه السلام فاهمين أن سهمه أصاب ساق الله فبقيت مربوطة من أثر الجرح في ذلك اليوم. فهل رأى القاريء كفرة أشنع من هذا وأبعد من هية الرب سبحانه وتقديره حق قدره وأدل على ذهاب العقول؟ قاتلهم الله.

(٢) قال ابن حزم في الفصل: إن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل بفعله رينا في ذلك الوقت لأهل كل أفق وأما جعل ذلك نقلة فقد قلنا بطلان قوله في إبطال القول بالتجسيم اه وفي بعض طرق الحديث ما يعين أنه إسناد مجازي، ففي سنن النسائي «إن الله يأمر ملكاً ينادي...» وفي شرحي البدر العيني وابن حجر على البخاري بسط واف في المسألة.

(٣) ولفظ التنزيل ﴿وَمَا رَكَّبَكَ﴾ [العنكب: ٢٢] قال أحمد: أمره، وقد بيته في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَأْتِيَاكُمْ رَكَّبَكَ﴾ [النحل: ٣٣] رواه ابن حزم وأبو يعلى وابن الجوزي. قال الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد أنه سئل عن أحاديث النزول والروية ووضع القدم ونحوها فقال: «لو آمن بها ونصلق بها ولا كيف ولا متى».

(٤) وضع القدم مجاز مشهور عن التسكين وعن الردع والقمع. راجع أساس البلاغة والفاق ودفع شبه التشبيه وأساس التقديس. والأخيران مهمان جداً في الرد على الحشوية، وهما مطبوعان يسهل تناولهما فیهما غنية عن التوسع بأكثر مما ذكر.

(٥) قال ابن العربي: أما حديث المخاصرة فضعيف، راجع العواصم، فكم في سنن الترمذي ومسنده =

في الترمذي والمسند وغيرهما من كتب التجسيم، ووصفته بصفات حي فاعل بالاختيار، وذلك الأصلان أصل التفرق في الباري فكن في النفي غير جبان أو لا فلا تلعب بدينك تثبت بعض الصفات وتنفي بعضها فأنكر الجميع أو فرق بين ما أثبتته ونفيته، فذروا المرء وصرحوا بمذاهب القدماء وانسلخوا من الإيمان أو قاتلوا مع أمة التشبيه والتجسيم تحت لواء ذي القرآن أو لا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابكم وبسائر الأديان، فجميعها قد صرحت بصفاته وكلامه وعلوه والناس بين مصدق أو جاحد أو بين ذلك أو حمار، فنزهه وأنف الجميع ولقب مذهب الإثبات بالتجسيم وأحمل على الأقران، فمتى سمحت لهم بوصف واحد حملوا عليك فصرعت فلذلك أنكرنا الجميع مخافة التجسيم إن صرنا إلى القرآن ولذا خلعنا ربقة الأديان من أعناقنا ولنا ملوك قاموا الرسل في آل فرعون وقارون وهامان ونمرود وجنكسخان ولنا الأئمة أرسطو وشيعته ما فيهم من قال: إن الله فوق العرش، ولا إن الله يتكلم بالوحي، ولهذا رد فرعون على موسى إذ قال موسى ربنا متكلم فوق السماء وأنه ناداني، وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا الطوسي قتل الخليفة والقضاة والفقهاء إذ هم مجسمة، ولنا الملاحدة الفحول أئمة التعطيل ولنا تصانيف مثل الشفاء ورسائل إخوان الصفاء والإشارات قد صرحت بالضد مما جاء في التوراة والإنجيل والفرقان، وإذا تحاكمنا فإليهم لا إلى القرآن، يا ويح جهنم وابن درهم ومن قال بقولهما، بقيت من التشبيه فيه بقية ينفي الصفات مخافة التجسيم ويقال: إن الله يسمع ويرى ويعلم ويشاء وإن الفعل مقدور له والكون ينسبه إلى الحدوث ويصرخ بنفي التجسيم والله ما هذان متفقان، لكننا قلنا محال كل ذا حذراً من التجسيم والإمكان؛ اهـ.

### تصوير الناظم أهل الحق أسوأ تصوير

انتهى كلام هذا الملحد تباً له وقطع الله دابر كلامه. انظر هذا الملعون كيف أقام طوائف الشافعية والمالكية والحنفية الذين هم قدوة الإسلام وهداة الأنام في صورة الملاحدة الزنادقة المقربين على أنفسهم باتباع فرعون وهامان وأرسطو وابن سينا، المقدمين كلامهم على القرآن، وأنهم أتباع أصحاب جنكسخان، وأن رائده، لعنه الله ولعنه، سألهم عما يقوله أهل الحديث فنبسبهم إلى ما نبسبهم إليه، وأنه لذلك انحل

= أحمد من أحاديث ضعيفة والناظم هو الذي يسميها بالتجسيم، قال ابن الجوزي هذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ.

عن الأديان وخلع ربة الإيمان وأبرز ذلك في صورة مقامة وخيال ليرسم به في ذهن من يقف عليه من العوام والجهال أن الطوائف المذكورة، على هذه الصفة.

وإذا كانت علماء الشريعة وقادة الأمة بهذه الصفة كيف يقبل قولهم في الدين؟ أو ماذا تكون قيمة فتاويهم عند المسلمين؟ فما أراد هذا إلا أن يقرر عند العوام أنه لا مسلم إلا هو وطائفته التي ما برحت ذليلة حقيرة، وما أدري ما يكون وراء ذلك من قصده الخبيث، فإن الطعن في أئمة الدين طعن في الدين وقد يكون هذا فتح باب الزندقة ونقض الشريعة وأبى الله ذلك والمؤمنون.

وجماعة من الزنادقة يكون مبدأ أمرهم خفياً حتى تنتشر ناره ويشعل شناره، نسأل الله العافية.

فينبغي لأئمة المسلمين وولاة أمورهم أن يأخذوا بالحزم ويحسموا مادة الشر في مبدئه قبل أن يستحكم فيصعب عليهم رفعه. ثم إن هذا الوقح لا يستحي من الله ولا من الناس، ينسب إلى طوائف المسلمين ما لم يقولوه فيه وفي طائفته، وأن شيوخهم وصوهم بذلك، وهو يزعم بكذبه أنه متمسك بالقرآن وأين قال الله في القرآن (إنه فوق السماء) وأين قال (إنه بائن من خلقه) وأين قال (إنه فوق العرش) بهذا اللفظ وأين قال (إن القدمين فوق الكرسي) وأين قال (إنه يسمع خلقه وإبراهيم من فوق) وأين قال (إن محمداً قاعد معه على العرش) إلى بقية ما ذكره جميعه.

والمتمتع للقرآن لا يغيره ولا يغير لفظه بل يتمسك به من غير زيادة ولا نقصان، وكذلك الأحاديث الصحيحة يقف عند ألفاظها ولا يزيد في معناها ولا ينقص.

### كذب الناظم على الله ورسوله ﷺ

وهكنا أكثر ما ذكره لم يجيء لفظه في قرآن ولا سنة، بل هو زيادة من عنده قد كذب فيها على الله<sup>(١)</sup> وعلى رسوله ﷺ وفهمها على خلاف الحق ونسب إلى علماء

(١) جرت سنة العلماء في تصانيفهم أن أحدهم إذا نقل عن أحد العلماء نقلاً بنص على أنه نقله بنصه أو مع شيء من التصرف بالزيادة فيه أو النقص منه، يفعلون ذلك حرصاً على صفة الأمانة التي يهوي إلى الدرك الأسفل من الحقارة والصغار من حفظ عنه أنه آخى بها في تافه من الأمور، فهم يحرسون على تلك الصفة صفة الأمانة في النقل عن العلماء إخوانهم فاهمين أنهم لو خانوا في النقل عنهم (وهم يتقلون عنهم ديناً يدين به العباد) لهوروا في هاوية من النقص لا قرار لها ولا تقوم لهم قائمة بعدها، وهم إذا حفظوا عن واحد مما ينتسب إلى العلم شيئاً من =



المسلمين البرآء من السوء كل قبيح، وجعل ذلك طريقاً للخروج من الدين والانسلاخ من الإيمان وانتهاك الحرام، وعدم اعتقاد شيء فهل وصلت الزنادقة والملاحدة والطاعنون في الشريعة إلى أكثر من هذا؟ بل هذا، وإيهامه الجهال أنه هو المتمسك بالقرآن والسنة، ليفق عندهم كلامه ويخفي عنهم سقامه.

الإخلال بتلك الأمانة سقط من نظرهم وأكثروا له في صلورهم من الازدراء به كعالم ما يجعله في نظرهم كأنه مسخت إنسانيته وأصبح مخلوقاً آخر من المخلوقات التي لا يقع في النفوس أنها تكون في وقت من الأوقات مصدراً لأي معنى ينتفع به بنو الإنسان من الناحية الأدبية، هذا نظرهم لمن يخون في النقل عن رجل مثلهم ما قال الله ولا رسوله ﷺ إنه معصوم.

وإذا كان الأمر كذلك في هذا فليقل لي حضرات إخواننا المساكين المغرورين بآبين القيم كيف يدومون على غرورهم به وإمام عظيم من أئمة المسلمين يقول عنه بعبارة صريحة فصيحة بيّنة لا تحتل التأويل، لا يقولها فقط بلسانه بل يكتبها في كتاب تبقى فيه على ممر الدهور يقرأها البعيد والقريب والصغير والكبير والعالم والجاهل والمؤمن والكافر يقول تلك الكلمة هذا الإمام النادر المثال في فضله وزهده وورعه وعلمه وهو يعلم أنه مسؤول عنها عند ربه ولي أمره في دينه وفي أخراه، وأي كلمة هذه الكلمة هي قوله: إن ابن القيم كذب على الله ورسوله - ليقول لي حضرات المغرورين بآبين القيم كيف يكون نظرهم إليه في الحفارة والصغار وهم يسمعون إماماً كبيراً لا ينسب إمامهم إلى الخيانة في النقل عن فريق العلماء جميعاً بل ينسبه إلى الخيانة في النقل عن الله ورسوله ﷺ يقول عنه إنه يكذب عليهما ويسند إليهما ما لم يقله كتاب ولا سنة أمع هذا يقولون على غرورهم وإفراطهم في تعظيم ذلك الرجل الذي يقول عنه الإمام السبكي بحق: إنه ما زاد عنه الزنادقة والملاحدة والطاعنون في الشريعة في الخروج على الإسلام والمسلمين، أنا لا أتوهم بعد اطلاع هؤلاء المساكين على حال هذا الرجل أن يفى في قلوبهم مثقال ذرة من التعظيم له والمعطف عليه، كيف لا وهم مؤمنون والله يقول في كتابه الكريم عن كل من اتصف بالإيمان: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤَيِّنُكُمْ بَأَقْبِهِ وَالْآخِرِينَ يَرِءُونَكَ مَنِ سَكَتَ اللَّهُ رِءُوسُهُمْ وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَوْ أَيْسَأْتَهُمْ أَوْ يُخَوِّنُهُمْ أَوْ يَعْبِدُكُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وإنسي أعينهم بالله من احترام رجل لا يزيد عنه في الخروج على الإسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون في الشريعة، إنني أرجو إخواننا المغرورين بآبين القيم أن يفهموا أن كذب صاحبهم على الله ورسوله ﷺ في أصول الإسلام ليعلموا هذا جيداً ثم ليوقنوا أن الذي يكذب في الأصول حين جداً عنده أن يكذب في الفروع وإذن ترتفع بكل معناها عن ابن القيم فلا يجوز لمسلم أن يعتمد عليه في نقل لا في أصول ديننا ولا في فروع وهو على هذه الحالة سينة واحدة من سيئات شيخه الكبير إمامكم العظيم لا في هذا ولا عشر نظركم ابن تيمية. ما ثبت له بيت لشيخه بالأولى ثم بالأولى. وبناء على هذا أؤكد عليكم أن تنظروا إلى كل كتاب خطته براعة هذا الرجل وشيخه نظر من لا أثر للثقة في قلبه بهما وبما يكتبانه وإلا فتملككم حينئذ مثل من يرى اللص يعينه يسرق العظام من أموال الناس ثم في الوقت عينه يقول ما أصلحه وما أجله وما أوثق دينه.

## فصل

قال: «في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن» قال:

«وأنتى فريق ثم قال: ألا اسمعوا قد جئتكم من مطلع الإيمان:

من أرض طيبة، من مهاجر أحمد. سافرت في طلب الإله فدلتني الهادي عليه،  
ومحكّم القرآن مع فطرة الرحمٰن وصريح عقل شهدوا بأن الله مفرد بالملك والسلطان  
وهو الإله الحق».

هذا صحيح.

ثم قال: «لا معبود إلا وجهه» هذا عندنا صحيح وأما عنده فالوجه غير الذات

فكيف يصح؟

ثم قال: «والناس بعد فمشارك أو مبتدع وكذلك شهدوا بأن الله ذو سمع وذو

بصر هما صفتان».

هذا نحن نقوله لكن لو طولب بالشهادة بأنه ذو سمع وذو بصر أين يجدها<sup>(١)</sup>

في ألفاظ القرآن والسنة ولو كان كذلك لم يكن بيننا وبين المعتزلة نزاع فيه.

قال: «وعموم قدرته<sup>(٢)</sup> يدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان».

اعتقادنا أنه سبحانه خالق أفعال الحيوان ولكن كيف يدل عموم القدرة على ذلك

بل لذلك أدلة أخر. واستدلال هذا القدم بعموم القدرة من عدم شعوره.

ثم قال: «هي خلقه حقاً وأفعال لهم حقاً ولا يتناقض الأمران!».

(١) بل الواجب على من يهاب مقام ربه أن لا يطلق عليه تعالى ما لم يرد إطلاقه عليه في الكتاب  
والسنة المشهورة مع الانتصار على الوارد فعلاً كان أو صفة أو مفرداً أو مجموعاً، فلا يقال له  
عينان ولا هو ستو. فإبدال الفعل صفة، والمجموع مثنى، وإبدال اللفظ بما يظن مرادفاً له مما  
يجب أن ينتهي كل مسلم. بل قال إمام الحرمين: أجمع المسلمون على منع تقدير صفة مجتهد  
فيها لله عز وجل لا يتوصل فيها إلى قطع بعقل أو سمع وأجمع المحققون على أن الظواهر  
يصح تخصيصها أو تركها بما لا يقطع به من أخبار الأحاد والأقبيسة وما يترك بما لا يقطع به  
كيف يقطع به؟ اهـ.

(٢) وكم من شيء مقدور عليه لم يدخل في حيز الوجود فمن أين يدل عموم القدرة على أنه خالق  
أفعال الحيوان؟ بل الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلْقَكُمْ وَمَا تَسْتَلُونَ﴾ ﴿العنقات: ٩٦﴾  
وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الزهد: ١٦] وكم لنا من براهين عقلية على ذلك لكن الناظم  
بالغ الجهل ظاهر البلادة حتى في مثل هذه المسائل الظاهرة لصغار المتعلمين وحق مثله أن  
يقرّع إيقافاً له عند حده فالمصنف معذور إذا قال عنه إنه حمار أو نيس.

عجب قد تقدم إنكاره على جهم وشيعته قولهم: إن العبد ليس بغافل فما هذا التناقض<sup>(١)</sup> ولعله نقل الكلامين تقليداً ولم يفهم معناهما فلذلك وقع التناقض بينهما ويكونان من كلامين.

ثم قال: حقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن، واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد وقال شفى القلوب بلفظه.

وقال الناظم: «إن الجبرية والمكذبين بالقدر نظروا نظر الأعمور» والكلام في ذلك يطول وليس هذا من أهله<sup>(٢)</sup> ولا هو متعلق به بل كلامه فيه فضول فيما لا يعنيه.

### فصل

قال: «أ يكون أعطي الكمال وما له ذلك الكمال أ يكون<sup>(٣)</sup> إنسان سميع مبصر متكلم وله الحياة والقدرة والإرادة والعلم والله قد أعطاه ذلك وليس وصفه فأعجب من البهتان بخلاف نوم العبد وجماعه وأكله وحاجة بدنه إذ تلك ملزومات كون العبد محتاجاً وتلك لوازم النقصان وكذا لوازم كونه جسداً نعم، ولوازم الأحداث والإمكان يتقدس عنها وعن أعضاء ذي جثمان».

(١) نفى عن العبد كونه فاعلاً في ملهه الجهمية يعني الأشاعرة فيما سبق وأثبت هنا ملهه لهم، وعذ اعتبار العبد فاعلاً مناقضاً لاعتبار أن الله خالق لفعل العبد مع أن التناقض في كلامه نفسه كما شرحنا حيث نفى عنهم سابقاً ما أثبت لهم هنا، وأين التناقض بين كون الله خالقاً وبين كون العبد فاعلاً؟ فتدبر.

(٢) نرجو حضرات المعترين بهذا الناظم وتلح في الرجاء أن يفقروا هنا طويلاً ليفهموا مقدار تدوتهم الذي لا يرضون أن يكون بجانبه أحد من علماء الأمة في العلم، فما هم أولاء يسمعون الشيخ السبكي وهو الإمام الجليل في تقواه وفضله بقرر بصراحة أن ابن القيم ليس بأهل للكلام معه في مسألة من المسائل العادية، وإن أورد فأرجوهم أن يتأملوا طويلاً في كلمة هذا الإمام الكبير رضي الله عنه.

(٣) دليل اتصاف الله سبحانه بصفات الكمال من الكتاب والسنة والمعقول معروف عند أهله، وأما الطريق الذي سلكه الناظم في ذلك فليس في شيء من الأداء إلى ما يتوخاه، وإنما سلك هذا الطريق الغير النافذ ليحيل إلى العامة أن صفات الله من قبيل صفات العبد فلا مانع من أن يكون الباري ينظر بعين ويسمع بأذن... إلى آخر تلك المخازي كما هو مذهبه في إثبات الصورة له تعالى مع أن تلك الصفات في العبد بالآت وجوارح فهي في العبد مقرونة بالتقصير والاحتياج، تعالى الله عن ذلك، فليتبه إلى دساتر الناظم.

## عدم تمييز الناظم بين اللازم والملزوم

الجسدية والحدوث والإمكان يلزم منها ثلاثتها الاحتياج والنقص، فالنوم والجماع والأكل لوازيم لذلك لا ملزومات<sup>(١)</sup> وتقديسه عن الأعضاء مع إثباته قدمين كيف يجتمعان.

## تخبط الناظم في الصوت

قال: «والله ربي لم يزل متكلماً، هو قول ربي كله لا بعضه لفظاً ومعنى، ما هما خلقان».

أما كونه لم يزل متكلماً وقوله مع ذلك إنه لفظ وإنه غير مخلوق فكلام من لا يدري ما يقول<sup>(٢)</sup>.

قال: «لكن أصوات العباد مخلوقة، فإذا انتفت الوساطة كتكلم الله لموسى فالمخلوق نفس السمع<sup>(٣)</sup> إلا المسموع، هذي مقالة أحمد - يعني ابن حنبل - ومحمد - يعني البخاري».

(١) يا حضرات المغترين بابن القيم، اعملوا معروفاً مع أنفسكم وانظروا كيف لا يميز صاحبكم اللازم من الملزوم، أيكون حاله هكلنا في الجهل ويصل غروركهم به إلى أن تعتقدوا أنه الإمام الذي لا يساه بل لا يدانيه إمام.

(٢) لأن اللفظ لا يد من أن يكون باعتبار وجوده الخارجي متعاقب الحروف فلا يتصور العاقل في مثله قدماً، نعم ليس للفظ باعتبار وجوده العلمي والنفسي تعاقب فيكون قديماً كما قال بذلك أحمد وتابعه ابن حزم، وهو الموافق لتحقيق القوم في الكلام النفسي، إلا أن وجوده أصلي بخلاف العلم فإنه بالإضافة إلى المعلوم. والناظم ليس يقائل بما قال به أحمد كما يظهر من مواضع من نظمه فيكون قاتلاً بما هو غير معقول.

(٣) لا فرق بين موسى عليه السلام وبين غيره في خلق السمع فيهما، وأما المسموع فإن كان يريد به الصوت المكيف فكذلك، وإن كان يريد ما هو قائم بالله فجبل الإله أن يقوم به عرض سيال. والوارد في الكتاب أنه تعالى كلم موسى - بدون ذكر الصوت أصلاً - والتكلم لا يستلزم الصوت قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ يَشْتَرِي أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَبَيِّنَاتٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ رُسُلًا﴾ [الشورى: ٥١] إذ لا صوت في الرحي إلى القلب والصوت في الثالث صوت الرسول دون المكلم فليكن الكلام من وراء حجاب كذلك وهو الذي حصل لموسى، فمهما كان النبي يسمعه صوت الرسول إليه يعد أن الله كلمه فلا يكون أي مانع من أن يعد موسى كلمه ربه إذ نودي من الشجرة، فأني زائع يتصور حلول الله في الشجرة حتى يقول: إن الذي سمعه صوت الله؟ تعالى الله أن يكون كلامه صوتاً، والآية قاضية على جميع الأوهام في هذا البحث لمن أحسن التدبر فيها.

قلنا نعم نوافقه على ذلك على قول الأشعري إن الكلام النفسي يسمع ولا يلزم أن يكون هناك حرف وصوت ومن اعترف بكلام الله تعالى وأن موسى سمعه ولم يقل إنه حرف أو صوت أو غير ذلك بل وقف عند حده وعجزه وجهله ونزه الله تعالى عن صفات خلقه، سلم.

ثم قال في بيت الأخطل:

يا قوم قد غلط النصارى في الكلمة

ونظير هذا من يقول كلامه معنى غير محدث والشطر مخلوق وتلك حروفه ناسوته<sup>(١)</sup>.

أبصر هذه الجراءة وتشبيهه أقوال العلماء بأقوال النصارى وجهله وكذبه بأن الحروف كالناسوت. والمعنى قائم بذات الرب سبحانه وتعالى والألفاظ بالقارىء لا يتحد أحدهما بالآخر ولا يحل فيه كما يقول النصارى تعالى الله عن قولهم.

### فصل

قال: «الكلام قيل بغير مشيئة، وإنه معنى إما واحد وإما خمسة معان، وقيل: إنه لفظ مقترن فالسين مع الباء، والذين قالوا بمشيئة صنفان أحدهما جعله خارج ذاته وهو قول الجهمية ومتأخري المعتزلة والثانية في ذاته وهم الكرامية، وهم نوعان أحدهما جعله مبدوءاً به حذراً من التسلسل فلذلك قالوا له أول والآخرون كأحمد ومحمد قالوا: لم يزل متكلماً<sup>(٢)</sup> بمشيئة وإرادة.

(١) لم يفهم الناظم كلام القوم فشنع كما شاء، قاتل الله البلاد ما أنتكها.

ظن الناظم أن المراد بالمعنى معنى النظم فبنى عليه ما شاء، مع أن مرادهم بالمعنى هنا هو القائل بالله الشامل للذات ومدلوله باعتبار وجودهما العلمي كما نص عليه أحمد في رده على ابن أبي داود، كما ذكر في كتاب السنة وغيره، فلا يكون للفظ الخارجي دخل أصلاً في القدم على مذهب إمامه نفسه، نعم يوجد من يسير سير النصارى في الحلول بين الذين تكلموا في القرآن وهو من يقول إن الصوت من المصوت قديم وإن الله تعالى قرأ على لسان كل قارىء كما ذهب إلى ذلك السالمية، تعالى الله عما يقول الظالمون. والناظم من أقرب المبتدعة إليهم.

(٢) اترى الناظم عليهما تمويهاً وتحميلاً على لفظ مجمل ما لا يحتمله وهما كياتي أهل السنة يقولان: إن الله منتصف بصفة الكلام أولاً كاتصافه بياتي صفاته الأزلية وهو يتكلم متى شاء، وهما بعيدان من المباحكات الزائفة، والله سبحانه سريع الحساب وشديد العقاب أولاً ولا يستلزم ذلك قدم البعث وهو سبحانه لم تحدث له صفة بخلق الخلق وهو خالق أولاً قبل أن يخلق الخلق.

وتعاقب<sup>(١)</sup> الكلمات.

هذا هو الذي ابتدعه ابن تيمية والتزم به حوادث لا أول لها، والعجب قوله مع ذلك إنه قديم، وحين النطق بالبهاء لم تكن السين موجودة، فإن قال النوع قديم وكل واحد من الحروف حادث عدنا إلى الكلام في كل واحد من حروف القرآن، فيلزم حدوثها وحدوثه، فالذي التزمه من قيام الحوادث بذات الرب لا ينجيه بل يرديه، وهذا آفة التخليط والتطفل على العلوم وعدم الأخذ عن الشيوخ.

### كلام واف في أحاديث الصوت

ثم قال: «واذكر حديثاً في صحيح محمد ذلك البخاري فيه نداء الله<sup>(٢)</sup> يوم معادناً بالصوت».

(١) فيكون محلاً للحوادث، تعالى الله عن ذلك، وابن تيمية تابع الكرامية في ذلك وأرى عليهم في الزيف بدهوى القدم النوعي في الكلام، مع أنه لا وجود للكلمي إلا في ضمن الأفراد، فلا معنى لوصف النوع بالقدم بعد الاعتراف بحدوث كل فرد من أفرادها وقد أطال العلامة قاسم بن قطلوبغا الحافظ فيما كتبه على المسامرة الكلام في ذلك فلا نطيل الكلام بما هو في تناول أيدي صغار التلاميذ. والناظم من أتبع الناس لابن تيمية في سخافاته، وقد نقل ابن رجب في طبقاته عن الذهبي في حق ابن تيمية أنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اه، ليدر أمره بين أن يكون مصاباً في عقله أو دينه، فتباً لمن يتخذ مثله قدوة.

(٢) إن كان يريد حديث جابر عن عبد الله بن أنيس «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب... الحديث، فهو حديث ضعيف علقه البخاري بقوله ويذكر عن جابر دلالة على أنه ليس من شرطه ومداره على عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف باتفاق، وقد انفرد عنه القاسم بن عبد الواحد وعنه قالوا إنه ممن لا يحتج به. وللحافظ أبي الحسن المقدسي جزء في تبيين وجوه الضعف في الحديث المذكور، وأما إن كان يريد حديث أبي سعيد الخدري «يقول الله يا آدم يقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك... الحديث، فلفظ ينادي فيه على صيغة المفعول جزماً بدليل «إن الله يأمرك» ولو كان على صيغة الفاعل لكان إني أمرك كما لا يخفى على أن لفظ (صوت) انفرد به حفص بن غياث وخالفه وكيع وجريز وغيرهما فلم يذكروا الصوت، وسئل أحمد عن حفص هذا فقال كان يخلط في حديثه كما ذكره ابن الجوزي، فأين الحجة للناظم في مثله؟ على أن الناظم نفسه خرج في حادي الأرواح - وفي هامشه إعلام الموقعين - (٢ - ٩٧) عن الدارقطني من حديث أبي موسى «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أوله وآخرهم إن الله وعدهم... الحديث، وهذا يعين أن الإسناد مجازي على تقدير ثبوت الحديثين فظهر بذلك أن الناظم متمسك في ذلك بالسراب والمؤلف تساهل في الرد عليه وفي (القواصم والمواصم) لابن العربي ما يقصم ظهر

اللفظ الذي في البخاري (فينادي بصوت) وهذا محتمل لأن يكون الدال مفتوحة والفعل لم يسم فاعله وأن يكون مكسورة فيكون المنادي هو الله تعالى فتقله عن البخاري نداء الله ليس بصحيح، والعدالة في النقل أن ينقل المحتمل محتملاً، وإذا ثبت أن الدال مكسورة فلم يقل إن الصوت منه؟ فقد يكون من بعض ملائكته أو من يشاء الله.

ثم قال: «أصبح في عقل وفي نقل<sup>(١)</sup> نداء ليس مسموعاً لنا».

أما العقل فلا مدخل له في ذلك وأما النقل فقد قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مریم: ٣].

ثم قال: «والله موصوف بذلك حقيقة هذا الحديث ومحكم القرآن».

ليس في الحديث ومحكم القرآن أنه حقيقة.

قال: «ورواه عندكم البخاري المجسم بل رواه مجسم فوقاني».

هذا بهت لنا في أن البخاري مجسم عندنا والله ما اعتقدنا فيه ذلك ولا في أحمد الذي عناه بالفوقاني ولكن هذا بهت لنا وإساءة على البخاري ومن فوقه.

ثم قال: «وذكر حديثاً لابن مسعود صريحاً إنه ذو أحرف».

هو حديث في الترمذي: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة وقال حسن صحيح ووقفه بعضهم على ابن مسعود، وعلى كل تقدير الحرف في قراءة القاري، وقد تقدم من هذا الناظم أن الصوت فعل القاري فلا وجه لاحتجاجه هنا، ولابن مسعود حديث آخر أنه على سبعة أحرف، والمراد نزوله بها ثم قال: «وانظر إلى السور التي افتتحت بأحرفها لم يأت قط بسورة إلا أتى في أثرها خبر عن القرآن».

هذا متفرض بسورة «كهيعص» والعنكبوت والروم و«ن».

## فصل

قال: «إنه يلزم من نفي صفة الكلام نفي الرسالة»<sup>(٢)</sup>.

(١) النداء طلب الإقبال عند التحية واللغوئين فيجري مجرى القول وكم في الكتاب والسنة مما يدل على القول والكلام بدون صوت كما نسرده بعض ذلك عند التذليل على الكلا النفسي وقول صاحب القاموس: النداء الصوت تسمع منه، وكم له من مسامحات معروفة عند أهل العلم.

(٢) وقد نعى الله سبحانه على أن تكليم الله سبحانه منحصر في الوحي إلى القلب وإرسال ملك يبلغ كلامه، والكلام وراه حجاب وليس في واحد منها صوت للمكلم سبحانه فمن أين يلزم =

وهو جهل منه وإن كنا لا نفي صفة الكلام.

### فصل

وقال: «إنه يلزمهم تشبيه الرب بالجماد الناقص». وهذا بلاهة<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال: في إلزامهم<sup>(٢)</sup> أن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه بخلقه أفعال العباد. ما هذا إلا...

### فصل

في التفريق بين الخلق والأمر قال: «وكلاهما عند المتنازع واحد». المتنازع هم المعتزلة، ولنا منهم، لكن قوله: إنهما عندهم<sup>(٣)</sup> واحد ليس بصحيح.

= من نفي ما أثبتته المجسمة من حرف وصوت في الرسالة بل حد الإله سبحانه محلاً للأعراض هو المستلزم لنفي الصانع فضلاً عن الرسالة، قاتل الله هذه الفئة السخيفة، ما أجهلهم بما يجوز في الله وما لا يجوز.

(١) اكتفى بوصفه بالبلادة لئلا يقع عليه الحكم بالكفر لو كان يعقل ما يقول، لأن إثبات الحرف والصوت لله تشبيه له بالإنسان وتشبيه الله بمخلوق كفر والصوت عرض سيال محال أن يقوم بالله سبحانه بل هو متكلم بكلام نفسي ليس له صوت.

(٢) وجه هذا الإلزام لا يظهر إلا لمن هو على شاكلة الناظم في تخيل ما هو غير معقول ولو ألزم القائلين بالحرف والصوت أن التالي قد يكون لاحقاً قبيح الأداء فلا يتصور في صفة الله سبحانه مثل ذلك فيبطل القول بأن كلام الله حرف وصوت لكان قوله هذا ملزماً حقيقة وأما إلزام الناظم هنا فقلب للحقيقة بل هليان ظاهر وأمام هذا لم يسع المصنف إلا أن يخرج الناظم من عداد العقلاء ومن الصعب جداً على العالم خطاب من لا يفهم.

(٣) وهم يفرقون بين الأمر التكليفي والأمر التكويني، وقد ذكروا فيما ألفوه في أصول الفقه ما هو موجب الأمر التكليفي. وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يحتمل معاني ومن أجلها أنه هو الذي خلق الخلق وإليه فقط أن يأمرهم بما يشاء وأولو الأمر إنما يستمدون الأمر من أمره تعالى فلا يكون لآية دخل في هذا البحث أصلاً وإن كان بعضهم يلهج بذلك.



## فصل

قال: «والله أخبر في الكتاب بأنه منه».

قلنا: الذي في الكتاب ﴿تَتَرَىٰ لَكِنَّا مِنَ اللَّهِ﴾ [الرؤم: ١]...، ونحوه وليس فيها الكتاب منه.

ثم قال: «والمجروح ب(من)<sup>(١١)</sup> نوعان: عين ووصف قائم بالعين، فالعين خلقه والوصف قام بالمجروح».

قوله قائم بالعين ليس بصحيح فقد يكون قائماً بنفسه (٢).

## فصل

## وقيعة الناظم وشيخه في ابن حزم

قال: «وأتى ابن حزم فقال ما للناس قرآن ولا اثنان بل أربع كل يسمى بالقرآن وذلك قول بين البطلان. هذا الذي يتلى والمرسوم والمحفوظ والمعنى القديم فالشيء شيء واحد لا أربع فدهى ابن حزم<sup>(٢٢)</sup> ملة القرآن».

هذا لم يفهم كلام ابن حزم، مراد ابن حزم أن القرآن هو المعنى وهو واحد له وجود في نفسه ويتلى ويرسم ويحفظ فيوجد في اللفظ والخط والصدر ويطلق على الثلاثة أيضاً قرآن فاللفظ مشترك بين الأربعة.

(١) يريد أن ما سبق على المجروح به من؛ إما أن يكون عيناً أو وصفاً، فالعين مخلوقه تعالى، قال: والوصف قائم به تعالى لكن في العبارة ارتباك، وكذا عبارة المصنف فليحذر.

(٢) ومن المضحك المبكي وقيعة الناظم وشيخه في ابن حزم وهو إمامهما في غالب المسائل الفهرية التي شدت بها عن الجماعة وأنت تراهما يطعنان فيه طعناً مرأ في المسائل الاعتقادية، وهو أقرب إلى الحق منهما في غالب تلك المسائل ولا سيما في مسألة القرآن وهو من المتزهين دونهما وهو علو لدود للمجتمعة حتى إنهم تراهم يبنون هذا الظاهري بالقرمطة، وفي الفصل أبحاث جيلة تتعلق بقمع أهل التجسيم لعلها تكون كفارة عن بعض قسوته وشلوذه ومخالفاته لجمهور العلماء وقول ابن حزم بكون القرآن مشتركاً بين تلك الأربعة موافق لكتاب الله، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي سُذُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَةَ﴾ [التكوير: ٤٩] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي نُجُجِ الْمُحْتَضِرِينَ﴾ [البزج: ٢١، ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ صَرَفًا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ النَّبِيِّينَ يَتَّبِعُونَ الْآيَاتِ﴾ [الأحقاف: ٢٩] فصدور العلماء واللوح المحفوظ ولسان الرسول ﷺ مخلوقة مع ما فيها، فالقديم هو ما قام بالله سبحانه دون ما في الصدور والألواح والأكسة، وهذا في غاية من الظهور. وغلط ابن حزم إنما هو في قوله بعموم المشترك هنا.

ثم قال ما معناه: «إن اللفظ يطلق على المصدر ويطلق على المملفوظ وألفاظ العباد كذلك، فالأول مخلوق والثاني<sup>(١)</sup> غير مخلوق وهو القرآن وعلى ذلك حمل كلام أحمد<sup>(٢)</sup> والبخاري».

### الكلام اللفظي

قلنا أما المصدر فمخلوق بلا شك<sup>(٣)</sup> وهو فعل العبد وأما المملفوظ من فم العبد فهو الصوت الخارج منه، المخلوق لله تعالى، وقولنا له كلام الله كما يقال إذا قرأ المحدث (إنما الأعمال بالنيات) هذا كلام النبي ﷺ وإذ قرئ كتاب ملك علينا نقول هذا كتاب الملك.

### فصل

قال: في مقالة الفلاسفة والقرامطة:

هذا لا يتعلق بنا فعليهم غضب الله، ولكن غرضه أن يخلط الحق بالباطل حتى يروج<sup>(٤)</sup> الباطل.

(١) يعني المملفوظ، فإن كان يريد وجوده العلمي في علم الله فقدمه بهذا الاعتبار موضع اتفاق، وإن كان يريد الصوت الصادر من فم الالفاظ فهو حادث قطعاً، وأنى يتصور القدم لعرض محسوس المبدأ والمقطع ومذهب الناظم اعتبار كلام الله صوتاً صادراً من الله حادثاً شخصاً قديماً نوعاً، تعالى الله عن ذلك. ولم يقل به أحد قبل شيخ الناظم وتابعه الناظم المسكين كما يظهر من مواضع في هذا الكتاب فقوله (والثاني غير مخلوق) لا يصح بالنظر إلى الصوت وهو ظاهر والله سبحانه هو الهادي.

### الخلافاً بين أحمد والبخاري في اللفظ

(٢) والمعروف بين أهل العلم أن البخاري كان يقول بحدوث اللفظ - يعني لفظ التالي الدال دون تعرض للمعنى المدلول عليه وضعاً أو عقلاً - وأحمد يبدع من يقول ذلك وتبديع هذا وقول ذلك متواردان على شيء واحد، والحق مع البخاري في تلك المسألة وإن كان الذهلي وأصحابه جميعاً هجروه على ذلك، راجع كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وليس بقليل بين أهل العلم الذين يقولون بأن المعنى المصدرى أمر نسبي من قبيل الحال فنعتهم أن الالفاظ هو العبد وهو مخلوق لله والمملفوظ هو الصوت المكيف الخارج من فم العبد وهو مخلوق لله تعالى أيضاً واللفظ بالمعنى المصدرى نسبة بين الالفاظ والمملفوظ فلا يتعلق به الخلق عندهم وقول الناظم والمصنف بخلقه على مذهب نفاة الحال. وتفصيل هذا البحث فيما كتبه على الاختلاف في اللفظ.

(٣) يعني عند نفاة الحال، راجع شرح المواقف.

(٤) هل يعد من علماء الإسلام بل من عامة المسلمين من يروج الباطل هو يعلم أنه باطل؟.

## فصل

قال: في الاتحادية:

هو من النمط الذي قبله.

ثم قال: «هذه مقالات الطوائف كلها فاعطف على الجهمية المغل الذين خرخوا سياج العقل والقرآن شرد<sup>(١)</sup> بهم من خلفهم واكسرهم». ثم ذكر مذاهب المعتزلة ومذاهب الأشعرية وهما اللذان يسميهما الجهمية.

ثم قال: هذا الذي قد خالف المعقول والمنقول والفطرات للإنسان، أما الذي قد قال إن كلامه ذو أحرف قد رتبته ببيان وكلامه بمشيئة وإرادة كالفعل منه كلاهما<sup>(٢)</sup> سيان فهو الذي قد قال قولاً يعلم العقلاء صحته بلا نكران، فلأي شيء كان ما قلتم أولى؟ ولأي شيء كفرتم أصحاب هذا القول؟ فدعوا الدعاوى وابتحوا معنا وارفوا مذاهبكم إن أمكن».

ليت شعري من هو الذي من العقلاء يعلم صحة كلام ذي أحرف مرتبة مفعول قديم ولكن هذا صبي العقل غره، هجم على الحقائق بهواه.

(١) التشريد المذكور في الآية مأمور أن يوقعه النبي ﷺ بالكفار. ولينظر القارىء كيف يأمره حضرة الناظم أن يوقعه بجامعة المسلمين الأشاعرة وغيرهم من أجل أنهم لا يوافقونه في ضلاله.

(٢) هذا إنما يصح في الكلام اللفظي الحادث باعتبار وجوده الخارجي وأما باعتبار وجوده العلمي فقديم، كما سبق، قال أبو بكر الباقلاني في النقض الكبير: «من زعم أن السين من باسم الله بعد الباء والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد خرج عن المعقول وجحد الضرورة وأنكر البديهية، فإن اعترف بوقوع شيء فقد اعترف بأوليته، فإذا ادعى أنه لا أول له فقد سغطت محاجته وتعين لحوقه بالفسطة، وكيف يرجى أن يرشد الدليل من يتوابع في جحد الضروري أنه راجع الشامل لإمام الحرمين ونجم المهدي لأين المعلم القرشي. وفي شعب الإيمان للحلي «ومن زعم أن حركة شفتيه أو صوته أو كتابته بيده في الورقة هو عين كلام الله القائم بذاته فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته ومشت جوارحه وسكنت قلبه، وأي فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من التصاري أن الكلمة اتحدت بمسمى عليه الصلاة والسلام أنه ليحفظ القارىء. هنا ثم أرجوه أن يقرأ قول الموفق الحنبلي صاحب المغني في مناظرته المسجلة في المجموعة المحفوظة تحت رقم ١١٦ بظاهرة دمشق ونصه «قال أهل الحق: القرآن كلام الله غير مخلوق، وقالت المعتزلة هو مخلوق، ولم يكن اختلافهم إلا في هذا الموجود دون ما في نفس الباري مما لا ندري ما هو ولا نعرفه».

وعن الموفق هذا يقول شيخ الناظم: ما حلّ دمشق مثله بعد الأوزاعي وأنت ترى كلامه في المسألة وإذا كان هذا حال الموفق فماذا تكون حال الناظم وشيخه؟.

ثم قال: «فاحكم - هداك الله - بينهم لا تنصرون سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن. فنقول هذا القدر قد أعيا على أهل الكلام وقاده أصلان، أحدهما: هل فعله<sup>(١)</sup> مفعوله أو غيره، قولان والقائلون بأنه عينه فروا من الحدث في الصفات وحقيقة قولهم تعطيل الخالق عن فعله إذ فعله مفعوله لكنه ما قام به فعلى الحقيقة ما له فعل إذ المفعول منفصل عنه. والقائلون بأنه غيره طائفتان: إحداهما قالت قديم قائم بالذات، سموه تكويناً، وهم الحنفية. والآخرون راوه حادثاً قام بالذات، وهم نوعان: أحدهما جعله مفتتحاً به حذراً من التسلسل وهو قول الكرامية، والآخرون أهل الحديث كأحمد<sup>(٢)</sup> بن حنبل قال: إن الله لم يزل متكلماً إن شاء، جعل الكلام صفة فعل قائمة بالذات لم يفقد من الرحمن، وكذلك نص على دوام الفعل وكذا ابن عباس وجعفر الصادق و(عثمان بن سعيد) الدارمي وصدق فالحياة والفعل متلازمان

(١) إن كان المراد بالفعل ما هو بالمعنى المصدرى من قوله تعالى: ﴿قَمَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [نور: ١٠٧] فليس لي فرق الإسلام من ينفي الفعل بهذا المعنى عن الله سبحانه بل إثباته موضح اتفاق بين الفرق كلها وإن كان يريد ما هو مبدأ هذا المعنى فهو صفة قديمة غير الإرادة والقدرة عند طوائف من أهل الحق وهي المسماة عندهم بصفة التكوين، وأما الأشاعرة فيرجونها إلى القدرة وللقولين حظ من النظر وأما إن كان المراد بالفعل الفعل الحاصل بالمصدر أعني الأثر المترتب على التكوين أو القدرة فلا شك أنه مفعول الله ومخلوقه وغير قائم به أصلاً، فأفعال الله بهذا المعنى هي مخلوقاته حتماً، ودعوى قيامها بالله لا تصدر ممن يعي ما يقول ومن المجسمة أناس يظنون أن أفعال الله تكون بالحركة كأفعال المباد وتصدر منه بالعلاج والمزاولة مع أن الجوارح والآلات إنما وضعت للعباد ليتوصلوا بها إلى قصدهم وهي كلها نقص وآفات، وأما من له الحول والقوة جبل جلاله فإنما هو إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون بدون آلة ولا جارحة ولا علاج ولا مزاولة. يريد الشيء فيحدث. وبهذا البيان ظهر ما في كلام الناظم من الاختلال ووجوه الضلال.

(٢) نسبة القول بقيام الفعل الحادث بالله سبحانه إلى أحمد وجعفر الصادق وابن عباس رضي الله عنهم نسبة كاذبة وقرينة مكشوفة. وقول أحمد (إن الله لم يزل متكلماً إن شاء) بمعنى أن الكلام صفة قديمة وأنه تعالى يكلم أنبياءه متى شاء بدون حرف ولا صوت بالروحي ومن وراء حجاب أو بإرسال رسول «وهو متكلم خالق قبل أن يكلم الرسل ويخلق الخلق» كما صرح بذلك غلام الخلال من قدماء الحنابلة في المقنع، وأما عثمان بن سعيد الدارمي السجزي مؤلف النقض على المريسي فكان فيما سبق لا يخوض في صفات الله سبحانه كما هو طريقة السلف، ثم انخدع بالكرامية وأصبح مجسماً مختل العقل عند تأليفه النقض المذكور، وهو حقيق بأن يكون قدوة للناظم ونسجل هنا على الناظم اعتقاده قيام الحوادث بذات الله سبحانه وتعالى واعتقاده أن هذه الحوادث لا أول لها، وإني ألفت نظر حضرة القاري إلى هذه العقيدة وهل تنفق مع دعوى أنه إمام دونه كل إمام؟ بل هل تنفق هذه العقيدة مع دعوى أنه في عداد المسلمين فقط؟.

وكل حي<sup>(١)</sup> فعال إلا إذا عرضت آفة أو قسر، أولستَ تسمع قول كل موحد (يا دائم المعروف قديم الإحسان) أوليس فعل الرب تابع وصفه وكماله؟ أفذاك ذو حدثان؟ وكماله سبب الفعال وخلفه أفعالهم سبب الكمال الثاني، أو ما فعال الرب عين كماله؟ أفذاك ممتنع على المنان أولاً إلى أن صار فيما لم يزل ممكناً؟ تالله قد ضلّت عقول القوم إذ قالوا بهذا، وتخلف التأثير بعد تمام موجه محال والله ربي لم يزل ذا قدرة ومشيئة وعلم وحياة وبهذه الأوصاف تمام الفعل فلاي شيء تأخر فعله مع موجب<sup>(٢)</sup> قد تم والله غاب على المشركين عبادتهم ما ليس بخالق ولا ينطق، والله إله حق دائماً، أفعنه الوصفان<sup>(٣)</sup> مسلوبان أولاً، هذا المحال إن كان رب العرش لم يزل إله الخلق، فكذا لم يزل متكلماً فاعلاً - والله - ما في العقل ما يقضي لذا بالرد بل ليس في المعقول غير ثبوته، وما دون المهيمن حادث ليس القديم سواء والله سابق كل شيء ما ربنا والخلق مقترنان والله كان وليس شيء<sup>(٤)</sup> غيره لسنا نقول كما يقول

#### الرد على هشام بن سعيد في إثباته الحركة

(١) ليست حياة الله كحياة العباد ولا فعله تعالى كأفعالهم، وإدخال الله سبحانه في مثل هذه الكلية لا يصدر إلا ممن هو مريض القلب بمرض التشبيه، وهشام بن سعيد هذا يصرح في نقضه المتقوض بأن كل حي فعال متحرك ويثبت لله الحركة ويظهر من ذلك كيف يتصور فعل الله، والناظم يقتدي بمثل هذا المخذوف، ولعل القارىء ازداد بصيرة وعلم من هذا الكلام بأن الحوادث لا أول لها في نظر هنا الناظم لأن حياة الله لا أول لها فيكون فعله لا أول له، وهذه المسألة من السائل التي كثر علماء الإسلام الفلاسفة بها فليعرفه المغرورون بابن القيم ثم ليعرفوه.

#### الرد على قول الناظم بالإيجاب

(٢) وهذا تصريح منه بأن الله سبحانه فاعل بالإيجاب انخداعاً منه بقول الفلاسفة القائلين يقدم العالم وقد أتى أهل الحق بينانهم من القواعد، وإن كان الناظم المسكين بعيداً عن فهم أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء. ثم يتناقض الناظم نفسه ويثبت لله الاختيار وهو في الحالين غير شاعر بما يقول، تعالى الله عما يقول. وأرجو أن يفهم القارىء هنا معنى لا بد من اعتقاده وهو أن القائل بأن الله فاعل بالإيجاب في ناحية وبين الإسلام كله في ناحية، وأي مسلم يستطيع أن يقول إن ربنا مرغم على فعل ما يفعله.

(٣) ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارئ له معنى الربوبية ولا مريبوب ومعنى الخالق ولا مخلوق وهكذا كما نقله الطحاوي عن فقهاء السلة لكن أين للمجسم المسكين أن يفهم هذه الحقائق.

(٤) والمسلمون جميعهم يعتقدون أن حياة الله لا افتتاح لها، وقد تقدم للناظم أنه يقول: إن كل حي فعال وإن الحياة والفعل متلازمان. ومعنى هذا أن الفعل لا افتتاح له أيضاً فإذن كيف يتفق قوله هذا السابق مع قوله هنا: «كان الله وليس شيء غيره» فليعرف ذلك أهل التورود بابن القيم ثم ليعرفوه.

اليوناني بدوام هذا العالم المشهود والأرواح في أزل وليس بفان، واندفع في ذكر التصير الطوسي لعنه الله فهو معذور فيه، لكنه لا فرق بينه وبين القائلين بقدم العالم إلا أنه لا يقول بقدم هذه الأجسام المشاهدة والأرواح وهذه الأجسام والأرواح كالحوادث اليومية التي أجمع كل عاقل على حدوثها، فلو جاء زنديق وقال إنه لم يزل أجسام وأرواح خلقاً من قبل خلق وإنه كان قبل هذه السماوات سماوات غيرها لا إلى نهاية، وأرواح غير هذه الأرواح لا إلى نهاية لم يكن بينه وبين هذا الناظم فرق إلا أن هذه في غير ذاته تعالى، وما قاله الناظم، بحدوثه في ذاته سبحانه وتعالى والتسلسل عنده جائز فبم يتكرر على الزنديق الذي يدعي ذلك؟ وأي فرق بين قوله وقوله؟ فإن التزم جوازهما فأى فرق بينهما وبين جرم هذه السماء<sup>(١)</sup>؟ وقوله (تخلف التأثير بعد تمام موجبه) ففيه اعتراضان: أحدهما أن المؤثر خلاف الفاعل بالاختيار والله تعالى فاعل بالاختيار والثاني قوله (بعد تمام موجبه) إن أراد الإيجاب الذاتي فهو قول الفلاسفة والله فاعل بالاختيار، ومن ضرورة الفعل بالاختيار تأخر الفعل عن الاختيار، والتأخر يقتضي الحدوث فكيف يتخلص عن هذه اللكنة. [وإن أراد الوجوب عن الله فسياق العبارة ينافيه].

## فصل

### القول في تجويز التسلسل في الماضي

قال: «فلئن زعمتم أن ذلك تسلسل قلنا صدقتم وهو ذو إمكان كتسلسل التأثير في مستقبل، وهل بينهما<sup>(٢)</sup> فرق؟ وأبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم والأشعري وابن الطيب الباقلاني وجميع أرباب الكلام الباطل فرقوا وقالوا ذلك فيما لا يزال حتى وفي الأزل ممتنع لأجل تناقض الأزلي والأحداث، فانظر إلى التليس في ذا الفرق ترويجاً على العوران والعميان ما قال ذو عقل بأن ذا أزلي لذي ذهن ولا أعيان بل كل فرد فهو مسبوق بفرد ونظيره كل فرد ملحق بفرد فالأحاد تفتى والنوع<sup>(٣)</sup> لا يفتى أزلاً

(١) ولعل المصنف لم يَرِ جزء (حوادث لا أول لها) لابن تيمية إذ قوله فيه خطر جداً.

(٢) لو كان الناظم سعى في تعلم أصول الدين عند أهل العلم قبل أن يحاول الإمامة في الدين لبان له الفرق بين الماضي والمستقبل في ذلك، ولعلم أن كل ما دخل في الوجود من الحوادث متناه محصور وأما المستقبل فلا يحدث فيه حادث محقق إلا وبعده حادث مقدر لا إلى غير نهاية بخلاف الماضي كما سبق وسيتأني كلام أبي يعلى وغيره في ذلك.

(٣) عدم فناء النوع في الأزل بمعنى قنمه، وأين قدم النوع مع حدوث أفرادها؟ وهنا لا يصدر إلا =

وأبدأ وتعاقب الآنات ثابت في الذهن كذا في العين، فإن قلتم الآنات حادثة فيقال ماذا تعنون بالآنات؟ هل تعنون مدة من حين إحداث السماوات؟ ونظنكم تعنون ذلك ولم يكن قبلها شيء من الأكوان، هل جاءكم في ذلك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان؟ إنا نحاكمكم إلى ما شئتم منها أوليس خلق الكون في الأيام أوليس ذلكم الزمان بمدّة، فحقيقة الأزمان<sup>(١)</sup> نسبة حادث لسواه، واذكر حديث السبق بخمسين ألف سنة سابقة، وعرش الرب فوق الماء من قبل الستين بمدّة وزمان والحق أن العرش كان قبل القلم والذين لم يقولوا بدوام فعله<sup>(٢)</sup> عموا عن القرآن والحديث ومقتضى العقول وفطرة الرحمن والبرهان وأسوا أصل الكلام وبنوا قواعدهم عليه وقادهم قسراً إلى التعطيل، نفى القيام لكل أمر حادث بالرب خوف تسلسل الأعيان

= ممن به مس بخلاف المستقبل وقد سبق بيان ذلك، وقال أبو يعلى الحنبلي في المعتمد: «والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافاً للملحدة اهـ. وهو من أئمة الناظم فيكون هو وشيخه من الملاحقة على رأي أبي يعلى هذا فيكونان أسوأ حالاً منه في الزيغ نسأل الله السلامة.

### الرد على كلام الناظم في الزمان

(١) بل الزمان متجدد معلوم يقدر به متجدد ميهم إزالة لإبهامه عند المتكلمين، وجوه مجرد عند بعض الفلاسفة، وعرض غير قار الذات عند جمهورهم أو هو الفلك الأعظم أو حركته أو مقدار تلك الحركة عند طولاف منهم، وقول الناظم لا يطابق واحداً منها والكلام في الزمان والمكان طويل الذليل مبسوط في موضعه، فكان الناظم يريد أن يقول: إن الزمان كان موجوداً قبل هذه السماوات بدليل تلك الأحاديث فلا مانع من وجود حوادث لا أول لها متعاقبة في الماضي في آنات متعاقبة لا أول لها، وهو قول الدهرية نفاة الصانع. فيا ترى ماذا يريد من كون العرش قبل القلم فإن كان أراد أن يجعل له عرشاً يستقر عليه أولاً إما بقدم العرش قدماً نوعياً، كما روى الدواني عن ابن تيمية أو قدماً شخصياً لورود «أول ما خلق الله القلم» فحاشاه أن يستقر على عرش استقرار تمكن حادثاً كان العرش أو غير حادث. تعالى الله عن هذا وذاك. ولأهل العلم كلام واف في الأحاديث الواردة في أول ما خلق الله تعالى ولا غرض لنا يتعلق بذلك هنا. والعرش هو المخلوق الثالث عند محققي أهل العلم بالحديث.

(٢) القول بدوام فعله تعالى في جانب الماضي قول بحوادث لا أول لها، وقد سبق تخفيف ذلك مرات، قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «لا يجوز وجود موجبات لا نهاية لمددها سواء كانت قديمة أو محدثة خلافاً للملحدة، والدلالة عليه أن كل جملة لو ضمنا إليها خمسة أجزاء مثلاً لعلم ضرورة أنها زادت، وكذلك عند النقص، وإذا كان كذلك وجب أن تكون متناهية بجواز قبول الزيادة والنقصان عليها، لأن كل ما يأتي فيه الزيادة والنقصان وجب أن يكون متناهياً من جهة العدد اهـ» راجع المعتمد المحفوظ تحت رقم ٤٥ من التوحيد في ظاهرية دمشق وهذا بالنظر إلى الماضي كما سبق فتياً لمن يكون أسوأ حالاً في هذه المباحث من أبي يعلى المذكور حاله في دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.

فسد ذلك عليهم يزعمهم إثبات الصانع إذا أثبتوه بخلاف الأجسام، هذي نهايات أقدام الورى في ذا المقام الضيق فمن يأتي بفتح ينجي الورى من الحيرة» انتهى كلامه في هذا الفصل.

وقد صرح بقبايح منها إمكان التسلل ومنها نسبة أكابر علماء الأشعرية إلى التليس ومنها نسبة ذلك إلى القرآن والسنة وأنه لم يجيء أثر ينص على العدم المتقدم وقد جاء (كان<sup>(١)</sup> الله ولا شيء معه) والشيء يشمل الجسم والفعل والنوع والآحاد.

### فصل

قال: «هذا<sup>(٢)</sup> الدليل هو الذي أرداهم ما زال أمر الناس معتدلاً إلى أن دار في الأوراق فرفعت لوازمه قواعد الإیمان وترکوا حق الأدلة وهي في القرآن ودليلهم لم يأت به الله ولا رسوله ﷺ بل حدث على لسان جهم وحزبه». ينهي أن يقال لهذا الردى انتصب للدليل حتى يرى ما عنده.

### فصل

قال في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يُعْبَد ولا فوق السماوات إله يُصَلَّى له ويُسَجَد.

هذا المذبر يأخذ الكلام يقلبه كما يقلب الحقائق، فإنه جعل مصب كلام خصومه إلى نفي الإله وهم أثبتوا الإله ونفوا كونه فوق العرش وقوله (المعطلة) بوجه به أنهم معطلة العالم من الصانع وهو يريد به معطلة الخالق من قيام الفعل الحادث به فما أكثر تلبسه<sup>(٣)</sup> وتدليسه ومراده بالجهمية (المعتزلة والأشعرية) وليس أحد من

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة وفي رواية ولا شيء غيره.

(٢) وهو القول بأن الجسم لا يخلو من حادث في الاحتجاج على حدوث العالم وانتهائه إلى محدث واجب الوجود منزّه عن الجسمية والجسمانيات، وهو حجة الله التي آتاها إبراهيم مهما تقولت المجسمة وهذت في ذلك، وقد اعترف بتلك الحجة مثل ابن حزم مع كونه ظاهرياً فما للناظم لا يتابعه في ذلك وهو يتابعه في شواذه الباطلة؟ فلعله اتخذها قدوة في الباطل دون الحق.

(٣) وكيف يرضى العقال أن يعد من العلماء - وهم أمناء الله في أرضه - رجلاً كثير الفش لامة محمد ﷺ ككرة يتعجب منها أئمة الإسلام وليس هذا الفش في أمر من أمور الدنيا ولو كان هذا لهان الأمر ولكنه غش في صميم الإسلام فليعرف ذلك المفرورون بآبن القيم ثم ليعرفوه.



المعتزلة اليوم عندنا ظاهراً فلا كلام له إلا مع الأشعرية الذين أكثر الخلق يقتدون بهم، يريد تنقيصهم والطمع فيهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

قال: «والله كان وليس شيء»<sup>(١)</sup> غيره وخلق البرية، فسل المعطل هل هي خارج ذاته أو فيها أو هو عينها لا رابع، ولذلك قال محقق القوم الذي رفع القواعد هو عين الكون فهو الوجود بعينه إن لم يكن فوق الخلائق إذ ليس يعقل بعد إلا أنه فيها كعمالة النصراني فاحكم على من قال ليس بخارج ولا داخل بأنه أوقع عليه<sup>(٢)</sup> حد المعدوم، فإن زعم أن ذلك في الجسم، والرب ليس كذا فيقال هذا دعوى واصطلاح اليونان.

إن أراد بالدعوى نفى الجسمية عن الرب وبالاصطلاح ذلك فقد أظهر ما في نفسه، وإن أراد أن النفي إنما يصدق في الأجسام والظاهر أنه مراده فلا يقال فيه اصطلاح.

قال: «والشيء يصدق فيه عن قابل وسواه ولذا ينفي عنه الظلم المحال والنوم والسنة والطعم والولادة والزوجة، والله وصف الجماد بأنه ميت أصم، ونفى عنه الشعور والنطق والخلق وهو لا يقبل، ولو سلم أن هذا شرط كان في الضدين لا في النقيضين ونفيكم لقبولهما يزيل الإمكان وهو كنفى قيامه بالنفس أو بالغير فإذا المعطل

(١) وهذا يناقض القول بحوادث لا أول لها ودوام الفعل في جانب الماضي، والناظم كم ينقض غزله وله هوى في إكفار الأمة بكل وسيلة، ولا أدري ماذا يكسب هذا المتهوس إذا لم يبق من الأمة مسلم سوى مكسري الحشوية. وبين الصوفية أتقياء أبرار يراهم أدق أوامر الشرع في جميع شؤونهم ويرون في الوجود ما لا يتنافى مع التكاليف الشرعية كما أن بين المتصوفة زنادقة إباحية، وإجراء الكلام في حق الفريقين يمجري واحد ليس من الإنصاف في شيء وكفى أن ينسب إليهم بعض بدع بدون تسرع في إكفارهم، وقال العلامة يوسف البحري من أجله أصحاب السيد مرتضى الزبيدي فيما علقه على (المجموع في المشهود والمسموع): إن الواجب له عز الوجوب والعظمة والكبرياء فهو منزّه عن اللواحق المادية والتعطيلات الإلحادية وإن الممكن له ذل الإمكان وحضارة الاحتياج إليه محفور مفهور محتاج إليه تعالى في وجوده ويقاهه وجميع أطواره فلا ينقلب الواجب ممكناً ولا الممكن واجباً، بل الواجب خالق قادر غني والممكن مخلوق عاجز محتاج، فلا يكون أحدهما عين الآخر، وهذا بدعي وبه نزلت الكتب السماوية وجاء به الأنبياء والمرسلون ودعوا الناس إلى اعتقاده وقامت عليه البراهين واتحدت كشوف الأولياء مع طريق النظر في هذا المطلب اه ثم شرح كيف يضمحل الوجود الإمكانية في نظر المعقل إلى الله بكلية.

(٢) من يعلم هذا البهجة الفناج أنواع التقابل والفرق بين الضدين والنقيضين؟ ومن يفهمه أن الخروج والدخول ضمان لا تقيضان قد يرتفعان عما ليس بجسم بخلاف النقيضين؟.

قال إن قيامه بالنفس أو بالغير باطل إذ ليس يقبلهما إلا جسم أو عرض فكلاهما ينفي الإله حقيقة ماذا يرد عليه من هو مثله في النفي صرفاً والفرق ليس بممكن لك والخصم يزعم أن ما هو قابل لهما كقابل لمكان فافرق أو أعط القوس باريها وخل الفشرة وكثرة الهديان».

فهذا فشار كبير ممن لا يعرف الضدين ولا التقيضين ولا الإمكان ولا الامتناع، يا سبحان الله الدخول والخروج نقيضان أو نفي الوصف بهما يزيل الإمكان أو ينفي الإله؟ هذا خلط.

### فصل

قال: في سياق هذا الدليل على وجه آخر إن نفي المعطل كون الإله خارج الأذهان بالغ في الكفر وإن أقر، فإن قال إنه عين الأكوان قال بالاتحاد وجحد ربه، وإن قال غيرها، فإن قال الخلق في ذاته أو ذاته فيهم فهو قول النصاري، وإن قال قائم بنفسه فهو وغيره مثلاً أو ضدان أو غيران وعلى التقادير<sup>(١)</sup> الثلاثة لولا التباين لم يكن شيطان فلنا قلنا إنكم باب من الاتحاد».

أسمع جمعجة ولا أرى طحناً آخره مطالبة بأن ما ليس في حيز كيف يكون موجوداً.

(١) يلوك لسانه مصطلحات أهل المعقول من غير أن يفهم مرادهم ليظهر عند الحمقى بأنه جامع بين المعقول والمنقول، فالغيران إذا اشتركا في تمام الماهية فهما مثلاً، وإلا فإن كانا وجوديين أمكن تعقل أحدهما مع الدهول عن الآخر فهما ضدان، والتباين عندهم باعتبار الصدق أو التحقق لا بمعنى البيئونة المفيدة إشغال هذا حيزاً غير حيز ذلك، والحاصل أنه جعل القسم قسماً وحمل التباين على التباعد بالمسافة وإشغال كل حيزاً غير حيز الآخر، وحاول أن يستنج من الدعوى المجردة ما يدعيه، ولو كان المسكين درس الطوالع مثلاً قبل أن يخوض في هذه المباحث عند عالم كالأصبهاني لما فضح نفسه بهذين المحمومين، وحق للمصنف أن يقول في ثرثرة الناظم أسمع جمعجة ولا أرى طحناً. لأن معنى الناظم: إن نفي المعطل الإله في خارج الأذهان فهو كافر، وإن أقر بوجوده بأن قال إنه عين الكون فهو اتحادي ملحد، وإن قال إنهما مثلاً أو ضدان أو غيران بدون اختلاف في الجهات فهو قائل بالاتحاد أيضاً. فبا نرى هل لهذا التخريف من معنى عند أهل البصيرة؟

## فصل

## نصوص عن ابن تيمية في الفوقية الحسية

قال: «ولقد أتانا عشرة أنواع من المنقول في فوقية»<sup>(١)</sup> الرحمن مع مثلها أيضاً يزيد بواحد، ها نحن نسردها بلا كتمان».

أخذ هذا الخلف سوء يذكر ما قاله شيخه في كتاب العرش وكأنه المقصود بهذا النظم فإنه أطال فيه.

قال: «هذا ومن عشرين وجهاً يبطل التفسير بـ(استولى) لذي العرفان قد أفردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر العالم»<sup>(٢)</sup> الحراني».

(١) شيخ الناظم يريد بالفوقية الحسية كما صرح به فيما رد به على الرازي حيث قال: «إن العرش في اللغة السرير وذلك بالنسبة إلى ما فوه كالسقف بالنسبة إلى ما تحته، فإذا كان القرآن جعل لله عرشاً وليس هو بالنسبة إليه كالسقف علم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره وذلك يقتضي أنه فوق العرش اهـ. ومثل هذه الفوقية لا يقول به إلا مجسم، ونقل البيهقي في مناقب أحمد عن رئيس الحنابلة وابن ريسها أبي الفضل التميمي أنه قال: «أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرش وسك وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجيء في الشريعة ذلك فيطل؛ انتهى». فالناظم وشيخه متقولان على الشرع وعلى اللغة وعلى إمامهما فضلاً عن باقي الأئمة، عاملهما الله بعلمه.

(٢) بل هو وارث علوم صابئة حوران حقاً، والمستلف من السلف ما يكسوها كسوة الخيانة والتلبس. وعن هذا الحراني - الذي اتخذه الناظم إماماً - يقول ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمته: «واستشعر أنه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم، قديمهم وحديثهم، حتى انتهى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخطأه في شيء فبلغ الشيخ إبراهيم الرقي الحنبلي فأنكر عليه فذهب إليه واعتذر واستغفر وقال في حق علي كرم الله وجهه أخطأ في سبعة عشر شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب، منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين، وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الأشاعرة حتى إنه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه. وذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: كنزولي هذا فنسب إلى التجسيم. واقترب الناس فيه شيئاً، منهم من نسب إلى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية التي رذ عليها ابن جهيل والواسطية وغيرها من ذلك، كقوله: إن اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقة لله وأنه مستوي على العرش بذاته قليل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال: أنا لا أسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام فالزم بأنه يقول بالتحيز في ذات الله تعالى، ومنهم من ينسب إلى الزندقة لقوله: إن النبي ﷺ لا يستنث به. لأن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله ﷺ، وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري، فإنه لما عقد له المجلس -

= بسبب ذلك، قال بعض الحاضرين: يعزى فقال البكري: لا معنى لهذا القول فإنه إن كان تنقيصاً يقتل وإن لم يكن تنقيصاً لا يعزى، ومنهم من ينسب إلى النفاق لقوله في علي كرم الله وجهه ما تقدم، ولقوله إنه كان مخذولاً حينما توجه وإنه حاول الخلافة مراراً فلم يزلها وإنما قاتل دون الرياسة لا للديانة، وأن عثمان رضي الله عنه كان يحب المال. ولقوله أبو بكر رضي الله عنه أسلم شيخاً لا يدري ما يقول وعلي كرم الله وجهه أسلم صبياً والعصبي لا يصح إسلامه على قول. ونسب قوم إلى أنه كان يسمى في الإمامة الكبرى فإنه كان يلهج بذكر نومرت ويطويه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه وله وقائع شهيرة، وكان إذا حوقق وألزم يقول لم أرد هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً له.

والدرر الكامنة من محفوظات دار الكتب المصرية وقد طبعت حديثاً بمعرفة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن وليس بين هؤلاء من ذكره بالإمامة والقعدة في الدين ومن اتخذه إماماً إنما اتخذته إماماً في الزيغ والشذوذ من غير أن يتهب ذلك اليوم الذي يدعى فيه كل أناس بإمامهم، فليجرب بذلك من ظن أن ابن حجر العسقلاني في صف المثين على إمامته على الإطلاق. وهذا كلام ابن حجر في هذا الزائف مع أنه لم يطلع على جميع مخازنه. ومن أتى عليه من أهل السنة في بدا أمره قبل انكشاف السر عن بدعة الطامة إنما أتى عليه تشجيعاً له على العلم لما كانوا يرون فيه في مبدأ نشأته من القابلية للعلم كما كانوا يفعلون مثل ذلك مع كل ناشئ. لكن لما تشعب هموم ابن تيمية وتوزعت مواهبه في مختلف الأهواء وضاع صوابه بين أمواج البدع التي ارتضاها لنفسه تراجع كل من أتى عليه من هؤلاء على توالي قته بين الأمة وتعاقب أهواله المخزية وانقلبوا ضده، ولولا ممارسته في شتى العلوم التي يكفي واحد منها ليختص فيه أذكي العلماء لربما برع في علم يتفرغ له بعزيمة صادقة لكن جنى على نفسه بنشبت مساميه وراه أهواء بشعة فأصبح في موضع هزة البارعين كلما اختبروه في علم من العلوم التي يدعي الإمامة فيها ومن أمثلة ذلك أن صفى الدين الأرموي المشهور كان طويل النفس في التقرير إذا شرع في وجه بقره لا يدع شبهة ولا اعتراضاً إلا وقد أشار إليه في التقرير بحيث لا يتم التقرير إلا ويعزى على المعترض مقاومته، وكان حضر حينما جمعت العلماء لأجل النظر في المسألة الحموية، ولما عقد المجلس لأجل امتحان ابن تيمية عما أورده في الحموية أخذ الصفى الأرموي بقر المسألة على طريفته البارعة ليقطع الطرق على ابن تيمية من جميع الوجوه فبدأ ابن تيمية يجعل عليه على عادته ويخرج من شيء إلى شيء على أمل أن يتفق عليه تشغيه لكن سقط في يده حيث قال له الصفى الأرموي: ما أراك يا بن تيمية إلا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان يفر إلى مكان آخر اه. وما ابن تيمية في نظر مثل الأرموي إلا كمصفورة في العلم وإن اتخذته الجهلة الأحرار إماماً بأن نبذوا الأمة المتبوعين وراه ظهورهم حيث راجت عليهم ثورته الفارغة، ولا فزو فإن كل ساقطة لاقطة والطيح على أشكالها تقع.

والمسألة الحموية هذه تتضمن القول بالجهة وحبس ابن تيمية بعد هذا المجلس بسبب هذه المسألة ونودي عليه في البلد وعلى أصحابه وعزلوا من وظائفهم، وهذه المسألة هي التي رد عليها العلامة ابن جهيل رداً مشعباً، وقد علمت بذلك قيمة علم ابن تيمية عند البارعين من أهل العلم. وههنا لا بد من التنبيه على شيء وهو أنني كنت كتبت فيما علفت على دفع الشبه لابن =

## قول أبي حيان في ابن تيمية

المصنف المذكور هو كتاب العرش لابن تيمية<sup>(١)</sup> وهو من أقيح كتبه، ولما

الجوزي في (ص ٤٧): (بل يروي عن نفسه أعني ابن تيمية) أنه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال: «ينزل الله كنزولي هذا على ما أثبت ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته. وقال الحافظ ابن حجر في (الدور الكامنة): ذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن الصبر درجتين فقال: «كنزولي هذا» فسب إلى التجسيم اهـ. وهنا انتهى ما علته على الموضوع المذكور.

وأما ما زاد على ذلك وهو: «ويقول بعض علماء دمشق بأنه رأى هذه الخطبة في مخطوط قديم بزيادة (لا) قبل (كنزولي) والله أعلم. فزيادة من الأستاذ الناشر اعتماداً على ما سمعه من الشيخ بدران الدوماني كأنه لم يكن يعرف مبلغ اجتراله على المجازفات وإرسال الكلام بدون ميزان ولم تكن الجماعة تعتقد أن نزول الله كنزول ابن تيمية حتى يكون لهذا الكلام معنى ما ولأجل ما زيد في كلامي هنا نكت الشيخ خضر الشنقيلي رحمه الله على في (استحالة المعية) وأنا بريء من تلك الزيادة، سامحه الله.

### صيغة استأية ابن تيمية في الاستواء والصوت وغطوط كبار العلماء

(١) وقد استتب مرات في أمور خطيرة وهو ينقض موثيقه وعهوده في كل مرة وأوردت هنا صورة من صيغ استأية كما هي مسجلة في (نجم المهتدي) لتكون عبرة للمعتبر وهي هذه:

«الحمد لله الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية وهو غير مخلوق وليس يحرف ولا صوت وليس هو حالاً في مخلوق أصلاً، لا ورق ولا حبر ولا غير ذلك، والذي أعتقده في قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ عَلَى الْمَرْسِيِّ آسَوَيْنِ﴾ ﴿طه: ٥﴾ أنه على ما قال الجماعة الحاضرون وليس على حقيقته وظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلم ذلك إلا الله، والفعل في النزول كالفعل في الاستواء أقول فيه ما أقول فيه، لا أعرف كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله وليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرون، وكل ما يخالف هنا الاعتقاد فهو باطل، وكل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذلك فهو باطل، وكل ما في ذلك مما فيه إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأننا بريء منه، فقد برئت منه وتائب إلى الله من كل ما يخالفه. كتب أحمد بن تيمية، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمئة.

وكل ما كتبه وقلته في هذه الورقة فأننا مختار في ذلك غير مكروه. كتب أحمد بن تيمية حسبنا الله ونعم الوكيل.

وبأهلى ذلك بخط قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ما صورته: اعترف عندي بكل ما كتبه بخطه في التاريخ المذكور، كتبه محمد بن إبراهيم الشافعي. وبخاصية الخط: اعترف بكل ما كتب بخطه، كتبه عبد القني بن محمد الحنبلي، وبآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها: كتب المذكور بخطه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه، كتب أحمد بن الرفعة.

وقف عليه الشيخ أبو حيان<sup>(١)</sup> ما زال يلعبه حتى مات بعد أن كان يعظمه. قال:

= صورة خط آخر: أقر بذلك، كتبه عبد العزيز النمرائي.

صورة خط آخر: أقر بذلك كله بتاريخه، علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي.

صورة خط آخر: جرى ذلك بحضوري في تاريخه، كبه الحسن بن أحمد بن محمد الحسيني.

وبالحاشية أيضاً ما مثله: كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به، كتبه عبد الله بن جماعة.

مثال خط آخر: أقر بذلك وكتبه بحضوري، محمد بن عثمان البوريحي.

وكل هؤلاء من كبار أهل العلم في ذلك العصر، وابن الرفعة وحده له (المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي) في أربعين مجلداً وفي ذلك عبر. ولولا أن ابن تيمية كان يدعو العامة إلى اعتقاد ضد ما في صيغة الاستتابة هذه بكل ما أوتي من حول وحيلة لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة وما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه، وبعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توج خطه قاضي القضاة البدر ابن جماعة بالعلامة الشريفة وشهد على ذلك جماعة من العلماء كما ذكرنا، وحفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية، لكن لم تمض مدة على ذلك حتى نقض ابن تيمية عهوده ومواريثه، كما هي عادة أئمة الضلال، وعاد إلى دعوته الضالة ورجع إلى عادته القديمة في الإضلال وكم له من فتن في مختلف التواريخ في سني ٦٩٨ و٧٠٥ و٧١٨ و٧٢١ و٧٢٢ و٧٢٦ وهي مدونة في كتب التواريخ وفي كتب خاصة، ومجرد تصور شوائه التي ألمنا ببعضها في هذا الكتاب يدل المسترشد المنصف على ما ينظري عليه من الزيف وإضلال الأمة، والله سبحانه يتقم منه.

والضريب أن أتباع هذا الرجل يسرون وراءه ويتشبهون به في إثارة الفلافل والفتن بين الأمة بمواجهتها بالحكم على أفرادها بالشرك والزيف والكفر وعبادة الأوثان والطواغيت، يمتنون أحباب الله الأنبياء والأولياء ويقولون إن من يزورهم يكون عابداً للأوثان والطواغيت ومن هذا الطراز في زمنا كثير نراهم بأعيننا ونسمعهم بأذاننا، طهر الله الأرض منهم وأراح العباد من شرهم.

(١) قال أبو حيان الأندلسي الحافظ في تفسير قوله تعالى ﴿وَبِصَاحِبِ كُرَيْبٍ وَاللَّيْلِ الْبُزْغَةِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقد قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش

إن الله يجلس على الكرسي وقد أحلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ، تحيل عليه محمد بن عبد الحق وكان من تحيله أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه كما ترى في النسخ المخطوطة من تفسير أبي حيان وليست هذه الجملة موجودة في تفسير الحبر المطبوع، وقد أخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استظفها جداً وأكبر أن ينسب مثلها إلى مسلم فحفظها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكاً لما كان منه ونصيحة للمسلمين.

وقد علمت العواتق في خدورهن حكاية هجر أبي حيان لابن تيمية لهذا السبب بعد أن كان تسرع في إطراره، وإطراره مدون في الرد الوافر لابن ناصر الدين الهمصفي وأما نقول بعض المداهتين بأنه إنما كان مجرّه لوقوعه في سيوئه حيث قال: أكان سيوئه نبي النحو وقد غلط في كيت وكيت. فرجم بالغيب أما تصريح أبي حيان صاحب القصة، نعم هذا تهور وقلة أدب من ابن تيمية وما هي قيمة نحوه في جانب استبحار سيوئه وأبي حيان في النحو، وإن كان لكل إمام غلطات معدودة في علمه لكن وقوعه في سيوئه في جنب الوقوع في الله سبحانه ليس =

«منها استوى»<sup>(١)</sup> في سبع آيات بغير لام ولو كانت بمعنى استولى لجاءت في موضع».

وهذا الذي قاله ليس بلازم فالمجاز قد يطرد وحسنه أن لفظ استوى أعذب وأخصر وليس هذا من الاطراد الذي يجعله بعض الأصوليين من علامة الحقيقة، فإن ذلك هو الاطراد في جميع موارد الاستعمال والذي حصل هنا اطراد استعمالها في آيات فأين أحدهما من الآخر، ثم إن استوى وزنه افتعل فالسين فيه أصلية واستولى وزنه استعمل فالسين فيه زائدة ومعناه من الولاية فهما مادتان متغايرتان في اللفظ والمعنى، والاستيلاء قد يكون بحق وقد يكون باطل والاستواء لا يكون إلا بحق والاستواء صفة للمستوي في نفسه بالكمال والاعتدال، والاستيلاء صفة متعددة إلى غيره فلا يصح أن يقال استولى حتى يقول على كذا، ويصح أن يقول استوى ويتم الكلام، فلو قال استولى لم يحصل المقصود، ومراد المتكلم الذي يفسر الاستواء بالاستيلاء التنبه على صرف اللفظ عن الظاهر الموهم للتشبيه واللفظ قد يستعمل مجازاً في معنى لفظ آخر ويلاحظ معه معنى آخر في لفظ المجاز لو عبر عنه باللفظ الحقيقي لاختل المعنى وقد يريد المتكلم أن الاستواء من صفات الأفعال كالاستيلاء المتمحض للفعل من كل وجه ويكون السبب في لفظ الاستواء عذوبتها واختصاصها فقط دون ما ذكرناه ولكن ما ذكرناه أحسن وأمكن مع مراعاة معنى الاستيلاء. وانظر قول الشاعر:

قد استوى قيس على العراق      من غير سيف ودم مهراق

= بشيء مذكور لحمل هجره الدائم على خلاف ما ذكره الهاجر ليس شأن من يخاف الله، ويتوخى مراضيه. بل ذلك شأن المخدوعين المفتونين.  
(١) ويقال لهذا المتعلم بل لو كان (استوى) بمعنى (جلس) لأن لفظ (جلس) في أحد المواضع السبعة.

ومما يقصر العسافة في الرد على الحشوية التي تدعي التمسك بالظاهر أن قوله تعالى: ﴿لَمْ يَسْتَوِ﴾ [البقرة: ٢٩] صيغة فعل مقرونة بما يدل على التراخي وذلك يدل على أن الاستواء فعل له تعالى متقيد بالزمن والتراخي شأن سائر الأفعال ومد ذلك صفة إخراج للكلام عن ظاهره وهذا ظاهر جداً ولم يرد (المستوى) في عداد أسماء الله الحسنى لا في الكتاب ولا في السنة حتى يصح إطلاقه على الذات العلية على أن يكون صفة أو علماً. وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا تحدث له صفة فلا مجال لعد ذلك صفة وقد ذكرت وجه حسن الاستعارة التنبئية في الآية (في لفت اللحظ إلى ما في الاختلاف في اللفظ) ولعل القارئ المتصف بكاد يعد ذلك متعباً ولا حاجة إلى إعادة من هناك، فليراجع ثمت.

ولو أتى بالاستيلاء لم يكن له هذه الطلاوة والحسن، والمراد بالاستواء كمال الملك هو مراد القائلين بالاستيلاء، ولفظ الاستيلاء قاصر عن تأدية هذا المعنى، فالاستواء في اللغة له معنيان أحدهما استيلاء بحق وكمال فيفيد ثلاثة معانٍ ولفظ الاستيلاء لا يفيد إلا معنى واحداً، فإذا قال المتكلم في تفسير الاستواء الاستيلاء مراده المعاني الثلاثة وهو أمر يمكن في حق الله سبحانه وتعالى فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذوراً ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه والمفروض المنزه لا يقدم على التفسير بذلك لاحتمال أن يكون المراد خلافه وقصور أفهامنا عن وصف الحق سبحانه وتعالى مع تنزيهه عن صفات الأجسام قطعاً، والمعنى الثاني للاستيلاء في اللغة الجلوس والقعود، ومعناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك والله تعالى منزّه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئاً لم تشهد به اللغة فيكون باطلاً وهو كالمقر بالتجسم<sup>(١)</sup> المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلاً وأبداً، ولكن العرش وما تحته حادث، فإن قوله: ﴿يَوْمَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء.

## فصل

قال: «وثانيها لفظ العلي والأعلى<sup>(٢)</sup> والعلو بمطلقه عام ونقيه نقص وعلوه فوق

(١) والإقرار بتجويز الجسمية بكل صراحة موجود في كلام شيخه فيما ردّ به على الفخر الرازي كما سبق، بل لصاحب الفرج بعد الشفة الشيخ محمد المنجي الحنبلي من أخص تلاميذ الناظم رسالة في الرد على من ينفي المماساة بكل وقاحة، وما تخفي صدور هؤلاء أكبر فالمؤمن الرشيد يجب عليه أن يتوقى من الوقوع في هاونهم والمسألة مسألة كفر وإيمان ومستقل نصوصاً من الكتابين المذكورين في مواضع تحذيراً للمعتزين.

(٢) العلو ومشتقاته من صفات التنزيه تعالى الله عما يصف به المجسمة، والحمل على علو المكان نزعة وثنية، قال ابن تيمية في التأسيس: «الباري سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشيء قد يقال إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان مثل تقدم العالم على الجاهل وتقدم الإمام على الساموم فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو قبلية حقيقية وكذلك العلو على العالم قد يقال إنه يكون بمجرد الرتبة كما يقال العالم فوق الجاهل وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو عال عليه علواً حقيقياً وهو العلو المعروف والتقدم المعروف اهـ. فهل يشك عاقل أن ابن تيمية يريد بذلك الفوقية الحسية والعلو الحسي، تعالى الله عما يفتكون، واستعمال العلو ومشتقاته في اللغة العربية بمعنى علو الشأن في غاية من الشهرة ورغم نقول المجسمة.



الخليقة كلها فطرت عليه الخلق» فيقال أسماء الله قديمة فإن لزم من العلى والأعلى كونه فوق جسم لزم قدم العالم والذي فطرت عليه والبديهة التعظيم إلى أعلى غاية.

### فصل

#### كلمة ابن تيمية في العلو والفوقية والرد عليه

قال: «وثالثها صريح الفوق<sup>(١)</sup> مصحوباً بمن وبدونها أحدهما قابل للتأويل والأصل الحقيقة والمجرور لا يقبل التأويل وأصح لفائدة جليل قدرها إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد أضحي كنص قاطع».

فيقال المجرور أولى بالتأويل لأن قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [التحل: ٥٠] يحتمل أن المراد خوفاً من فوقهم وليس في سياق الكلام ما يبدي المراد الذي ادعاه فأين الفائدة؟ والفوقية بمعنى القهر وعلو القدر متفق عليها والجهة هي عين النزاع ويلزم منها قدم الجهة.

### فصل

قال: «ورابعها عروج الروح والملائكة في سورتي السجدة والمعارج قالوا هما بزمان وعندني يوم واحد وعروجهم فيه إلى الديان فالألف مسافة نزولهم وصعودهم إلى السماء الدنيا والخمسون ألف من العرش إلى الحضيض الأسفل».

فيقال له في الآيتين ﴿إِلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فعلى قوله يكون الله في مكانين أحدهما في السطح التحتاني من السماء الدنيا لأنه نهاية الألف والثاني في العرش ثم إن المسافة

(١) ينص شيخه في كتابه المذكور على أن المراد بالفوقية الفوقية الحسية فكانه لم يتل في كتاب الله ﴿يُدُّ اللَّهُ قُرْبَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ﴾ [الفتح: ١٠] و﴿وَتَوَقَّ كَلِمَةَ وَى يَلْمِ يَكْفُرْ﴾ [يوسف: ٧٦] والمراد بالفوقية فوقية العزة والقهر والتنزه. «والله فوق ذلك» في حديث الترمذي بمعنى أنه يعلو عن مدارك البشر بدليل ما في سنن الترمذي أيضاً من حديث «لو دليتم» قال ابن جهيل: الفوقية ترد لمعنيين: أحدهما نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل، وهذا لا يقول به من لا يجسم، وثانيهما بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الأمير، وكما يقال: جلس فلان فوق فلان والعلم فوق العمل والصياغة فوق الدباغة. قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ قَرْبًى بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢] ولم يطلع أحدهم فوق أكتاف الآخر وقال تعالى عن القبط: ﴿وَإِنَّا قَوْلَهُمْ قَبِيضَاتٌ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وما ركبت القبط أكتاف بني إسرائيل ولا ظهورهم اهـ. فظهر بذلك بطلان التسلك بكلمة فوق في الآيات والأحاديث في إثبات الجهة له تعالى الله عن مزاعم المجسمة.

إذا فصلت على أن بين السماء والأرض خمسمائة عام وكذا ثخانة كل سماء وما بين كل سماء وسماء لا يبلغ هذا المقدار وهذا لا يتعلق بفرضنا، والمتعلق بفرضنا إلزامه بظاهر قوله: ﴿إِيَّو﴾ [البقرة: ١٧٨] مع التزامه أن الغاية في المكان وكون ما بين السماء والأرض خمسمائة عام روي بطرق ضعيفة وفي الترمذي من رواية العباس في حديث الأوعال إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة وهو يوافق قول أهل الهيئة وهذا يرجح أنهما يوران: أحدهما في الدنيا إلى العرش ألف سنة والثاني يوم القيامة خمسون ألف سنة من الشدة وقد جاء أن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين مائة عام في رواية وفي رواية كما بين السماء والأرض (وكلاهما في الترمذي والفردوس أعلى الجنة وفوقه العرش فهذه المسافة أكثر من عشرة آلاف سنة)<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال: «وخامسها صعود كلامنا<sup>(٢)</sup> والصدقة والحفظة والسعي والمعراج<sup>(٣)</sup> وعيسى وروح المؤمنين ودعاء المضطر ودعاء المظلوم».

وقال في المعراج: «وقد دنا منه إلى أن قدرت قوسان».

وقد علم كل واحد اختلاف المفسرين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨] فكيف يستدل به وعيسى في السماء الرابعة ليس على العرش، ورفع الصدقة والكلام وشبههما من المعاني ليس بالانتقال من مكان إلى مكان لأن المعاني لا تنتقل.

### فصل

#### حديث النزول

قال: «وسادسها وسابعها النزول<sup>(٤)</sup> والتزليل».

(١) ما بين القوسين في هامش الأصل.

(٢) قال ابن جهيل: الصعود كيف يكون حقيقة في الكلام؟ مع أن الصعود في الحقيقة من صفات الأجسام فليس المراد إلا التبول اه وهذا ظاهر جداً.

(٣) قال ابن جهيل: لم يرد في حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة ولا كلمة واحدة من ذلك وهو لم يرد حديث المعراج ولا بين وجه الدلالة منه حتى نجيب عنه فلو بين وجه الدلالة لمرقنا كيف الجواب اه.

(٤) قاتل الله الجهل، ما أفنكه، فمن الذي يجهل استمرار الثلث الأخير من الليل في البلاد باختلاف =

وتنزيل القرآن لتزول جبريل به من جهة العلو.

### فصل

قال: «وثامتها رفيع الدرجات وفعل بمعنى المفعول».

ما بقي من تخلف هذا التحس إلا أن يجعل الله سلماً يصعد وينزل في درجاته، تعالى الله عما يقول. يحمل على اللفظ فوق ما يحتمله ويفهم منه غير مراده فصحاً له.

### فصل

«وتاسعها فوق السماء»<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال: «وعاشرها الملائكة الذين هم عند الرحمن وكُتَّاب رحمته عنده فوق العرش وسائر الأشياء ليست كذلك».

من هم الملائكة الذين هم معه في المكان وجبريل يتأخر عن المكان الذي وصل إليه النبي ﷺ؟

### فصل

## الإشارة إلى رفع الأيدي إلى السماء

قال: «وحادي عشرها إشارة النبي ﷺ بأصبعه في الموقف لله»<sup>(٢)</sup>.

المطالع حتى يحمل النزول إلى السماء الدنيا على النزول الحسي، وقد حمل حماد بن زيد النزول في الحديث على معنى الإقبال ومن أهل العلم من حمل الحديث على أن الإسناد فيه مجازي من قبيل الإسناد إلى السبب الأمر ويؤيده حديث أبي هريرة في سنن النسائي وفيه «ثم يأمر متادياً يقول هل من داع فيستجاب له». وليس في استطاعة من يخاف الله غير أن يفرض معنى النزول إلى الله مع التنزيه أو أن يحمل الحديث على المجاز في الطرف أو في الإسناد، بل الأخير هو المتعين لحديث النسائي المذكور فيخرج حديث النزول من عداد أحاديث الصفات بالمرّة عند من فكر وتدبر تعالى الله عن النقلة التي يقول بها المجسمة.

(١) يريد حديث الرقية وفي لفظ الناظم تغيير للفظ الحديث وسيأتي بيان ذلك والرد عليه.

(٢) أين في الحديث ذكر الإشارة إلى الله؟ وهكذا تكون أمانة مثل الناظم وشيخه في النقل؟ وهل صدر منه ﷺ في خطبة عرفات سوى أن رفع أصبعه ثم نكبها إليهم وهل في ذلك دلالة على أن رفعه كان لبشير به إلى جهة الله سبحانه؟ تعالى الله عن ذلك. والخطيب يرفع يده وينكبها =

جوابه: إن القلب متوجه إلى الرب العالي قدراً وقهراً على كل شيء والإشارة إلى جهة العلو التي هي محل ملكه وسلطانه وملائكته والعلمين عن خلقه، وقبلة دعائه ومنزل وجهه وهكذا رفع<sup>(١)</sup> الأيدي في الدعاء.

### فصل

قال: «وثاني عشرها وصفه تعالى بالظاهر وفسر في الحديث (أنت الظاهر فليس فوقك شيء)».

يقال لهذا المدبر إن كان الظاهر يقتضي الفوقية الحسية فاسم الباطن يقتضي التحتية الحسية - تعالى الله.

### فصل

#### دعوى الناظم في الرؤية بدون مقابلة

قال: «وثالث عشرها إخباره أنا نراه في الجنة وهل نراه إلا من فوقنا<sup>(٢)</sup> ودعوى

كيف يشاء في أثناء خطبته. وجعل ذلك حجة في شيء لا يصدر إلا ممن في قلبه مرض على أن الأرض كرية فالواقف في شرق الأرض تكون إخمصه في مقابلة إخمص الواقف في غرب الأرض، ومن ضرورة ذلك أن يكون سنا وأسيهما إلى جهتين متعاكستين فتكون إشارة أحدهما إلى جهة تعاكس الجهة التي يشير إليها الآخر، وهكذا، وكرية الأرض منصوطة في الكتاب والستة كما في فصل ابن حزم والمتكر لذلك ليس بمتكر لقول أهل البيت فقط، ولا للمحسوس فقط. ونسي الناظم الاستدلال في هذا الصدد بالإشارة في الشهد؟

(١) ورفع الأيدي إلى السماء لأجل أن السماء منزل البركات والخيرات لأن الأنوار إنما تنزل منها والأمطار، وإذا ألقى الإنسان حصول الخيرات من جانب مال طبعه إليه فهذا المعنى هو الذي أوجب رفع الأيدي إلى السماء وقال الله تعالى: ﴿رَفَعْنَا سَنَاطِعُكُمُ إِلَى السَّمَاءِ وَلَمَّا نُؤَمِّرُكُمْ لَمَّا نُؤَمِّرُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢] ذكره ابن جهيل فيما رد به على العقيدة النحوية لابن تيمية وهذا الرد يحق أن يكتب بماء الذهب، ومن حاول الرد عليه من الحشوية فقد وقع على أم رأسه وكتاب ابن جهيل حقه أن يفرد بالطبع من طبقات ابن السكبي - ونسخة مخطوطة من كتاب ابن جهيل هذا توجد بمكتبة (لاله لي) بانطنبول.

(٢) قال: «إذ رؤية لا في مقابلة من الرائي محال ليس في الإمكان». وهذا صريح في أنه لا يرى رؤية لا يكون المرئي فيها في مقابلة الرائي فلا يكون أصرح من هذا في القول بالتجسيم ومن جملة ما يهذي به الناظم في شفاء العليل (١٥٩): «كيف يصح عند ذي عقل، مرئي يرى بالأبصار عيناً لا فوق الرائي ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه ولا أمامه، اهـ وهلا مثل ما هنا وهو من أبعد الناس عن نفي الرؤية فيكون مجسماً صريحاً، ورؤية الله كما يرى القمر في ليلة البدو يقول عنها ابن قتيبة في (الاختلاف في اللفظ) لم يقع التشبيه فيها على =

سواها مكابرة ولذا قال محقق منكم للمعتزلة ما بيننا خلف فاحملوا معنا على المجسمة إذ قالوا يرى كما يرى القمران فيلزمهم العلو وليس فوق العرش رب هذا الذي والله مودع كتبهم».

ينبغي أن يحضر هذا النحس ويلزم بأن يخرج من كتبهم أنه ليس فوق العرش رب ولن يجده في كتبهم أبداً وتوهمه أنه لا يرى إلا من فوق لقصور عقله. ونقله اتفاقنا مع المعتزلة لعدم فهمه بل بيننا وبينهم وفاق وخلاف فقوله: ما بيننا وبينكم خلف كذب علينا.

### فصل

#### بسط الكلام في السؤال بـ «أين» في حديث الجارية

قال: «ورابع عشرها أين الله في كلام النبي ﷺ في حديث معاوية بن الحكم وفي تقريره لمن سأله رواه أبو رزين».

أقول: أما القول فقوله ﷺ للجارية «أين<sup>(١)</sup> الله؟ قالت: في السماء» وقد تكلم

= حالات القمر من التدوير والمسير والحدود وغير ذلك وإنما وقع التشبيه في أن إدراكه يوم القيامة كإدراكنا القمر ليلة البدر لا يختلف في ذلك كما لا يختلف في هذا، والعرب تضرب بالقمر المثل في الشهرة والظهور اه فعار على الناظم وشيخه أن يغيب عنهما ما لم يغب عن مثل ابن تقيية، لكن الهوى يعمي ويصم، وكلامهما ينسى عن تشبيه المرئي بالمرئي بل عادة ابن تيمية تهوين شأن التشبيه حتى تجده يقول فيما رده به على الرازي (٢٤ - الكواكب) «ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا الأكابر من أتباع التابعين ذم المشبهة وذم التشبيه ونفعي ملعب التشبيه ونحو ذلك وإنما اشتهر ذم هذا من جهة الجهمية اه» كأنه لم يتل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [الحل: ١٧] وهو الذي يروي عن ابن راهويه في موضع آخر من ذلك الكتاب «من وصف الله تشبه صفاته بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم» ويروى أيضاً مثله عن نعيم بن حماد في موضع آخر وهو من أئمتهم بل يروي عن الإمام أحمد نفسه «لا يشبهه شيء من خلقه» في موضع آخر من كتابه المذكور وهذا مما يدل على وقاحتها البالغة وقلة دينه، وهل أدل على قلة عقل الرجل من تناقضه في كتاب واحد؟ والله يتقم منه.

(١) ورواي هذا الحديث عن ابن الحكم هو عطاء بن يسار وقد اختلفت ألفاظه فيه ففي لفظ له «فعد النبي ﷺ يده إليها وأشار إليها مستفهماً من في السماء... الحديث، فتكون المحادثة بالإشارة على أن اللفظ يكون ضائعاً مع الخرساء الصماء فيكون اللفظ الذي أشار إليه الناظم والمؤلف لفظ أحد الرواة على حسب فهمه لا لفظ الرسول ﷺ. ومثل هذا الحديث يصح الأخذ به فيما يتعلق بالعمل دون الاعتقاد، ولذا أخرجه مسلم في باب تحريم الكلام في الصلاة =

= دون كتاب الإيمان - حيث اشتمل على تشميت العاطس في الصلاة ومنع النبي ﷺ عن ذلك، ولم يخرج البخاري في صحيحه وأخرج في جزء خلق الأفعال ما يتعلق بشميت العاطس من هذا الحديث مقتصراً عليه دون ما يتعلق بكون الله في السماء بدون أي إشارة إلى أنه اختصر الحديث وليس في رواية الليثي عن مالك لفظ «فإنها مؤمنة». وأما عدم صحة الاحتجاج به في إثبات المكان له تعالى فللمراهين الغائمة في تنزه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٢] وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى، وقال تعالى: ﴿وَمَا سَكَّرَ فِي الْكَلِّ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١١٣] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى، فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى وذلك يدل على تنزيه سبحانه عن المكان والزمان، كما في أساس التقيس للفخر الرازي، ولأن الحديث فيه اضطراب سنناً ومتناً رغم تصحيح الذهبي وتهويله راجع طرقة في كتاب العلو للذهبي وشرح الموطن وتوحيد ابن خزيمة حتى تعلم مبلغ الاضطراب فيه سنناً ومتناً، وحمل ذلك على تمدد القصة لا يرضاه أهل الفوص في الحديث والنظر معاً في مثل هذا المطلب. فالروايات على رجل مبهم محمولة على ابن الحكم، ولم يصح حديث كعب بن مالك ولا حديث يروي عن امرأة، فمالك يرويه عن عمر بن الحكم غير مقر بأن يكون غلطاً فيه، ومسلم عن معاوية بن الحكم ولفظهما كما سقت الإشارة إليه مع نقص لفظ «فإنها مؤمنة» في رواية مالك. ولفظ ابن شهاب في موطن مالك عن أنصاري - وهو صاحب القصة في الرواية الأولى - (تقال لها رسول الله ﷺ: أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أن محمداً رسول الله؟ قالت: نعم) وأين هذا من ذلك؟ واستعرف حال الذهبي في أواخر الكتاب فلا تلتفت إلى تهويله وتحريفه في هذا الباب فلعل لفظ (أين الله) تغيير بعض الرواة على حسب فهمه. والرواية بالمعنى شائعة في الطبقات كلها وإذا وقعت الرواية بالمعنى من غير فقيه فهناك الطامة، وصاحب القصة لم يكن من فقهاء الصحابة ولا له سوى هذا الحديث في التحقيق، بل كان أهرياً يتكلم في الصلاة. على أن (أين) تكون للسؤال عن المكان والسؤال عن المكان حقيقة في الأول ومجازاً في الثاني أو حقيقة فيهما، قال أبو بكر ابن العربي في شرح حديث أبي رزيق في العارضة: المراد بالسؤال بأين عنه تعالى المكانة، فإن المكان يستحيل عليه، وأين مستعجلة فيه، وقيل إن استعمالها في المكان حقيقة وفي المكانة مجاز وقيل هما حقيقتان، وكل جار على أصل التحقيق مستعمل على كل لسان وعند كل فريق اه. وقال أبو الوليد الباجي في المنتقى: يقال مكان فلان في السماء بمعنى علو حاله ورفعت وشرفه، فلعل الجارية تريد وصفه بالعلو، وبذلك يوصف كل من شأنه العلو اه فيكون معنى «أين الله» ما هي مكانة الله عندك ومعنى «في السماء» أنه تعالى في غاية من علو الشأن، يتحد هذا المعنى مع معنى «أتشهدين أن لا إله إلا الله» قالت نعم فإن قيل فليكن لفظ الرسول ﷺ هو «أين الله» ولفظ الراوي هو «أتشهدين...» رواية بالمعنى على الصورة السابقة فالجواب أنه لم يصح عن النبي ﷺ في تلقين الإيمان طول أداء رسالته السؤال بأين أو ذكر ما يوهم المكان ولا مرة واحدة في غير هذه القصة المضطربة بل الثابت هو تلقين كلمة الشهادة، فاللفظ الجاري على الجادة أجدر بأن يكون لفظ الرسول ﷺ، على أن المحقق =

الناس عليه قديماً وحديثاً والكلام عليه معروف ولا يقبله ذهن هذا الرجل لأنهم شاء على بدعة لا يقبل غيرها؟ وأما حديث أبي رزين<sup>(١)</sup> ففي سنن الترمذي عنه قال:

= السيد الشريف الجرجاني أجاز في شرح المواقف أن يكون السؤال للاستكشاف عن معتقد الجارية هل هي عابدة وثن أرضي أم هي مؤمنة بالله رب السماوات. ومن أهل العلم من يعد العامي معذوراً في اللفظ الموهوم اعتداداً بأصل اعتقاده بالله سبحانه وإن أوهم بعض إيهام في وصفه تعالى، وإليه يشير القرطبي في المفهم في شرح حديث الجارية في صحيح مسلم، قال ابن الجوزي: قد ثبت عند العلماء أن الله لا تحويه السماء ولا الأرض، ولا تضمه الأقطار، وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها اه وعلى تقدير ثبوت لفظ «أين» فالمعنى الذي ذكره الباجي وابن العربي معنى لا حيدة عنه أصلاً وجملة مقدار هذين الإمامين في الحديث واللغة وأصول الدين والفقه لا يجهدا إلا الجاهلون وقول ذلك الصحابي الذي كان يعني فوق السماء مظهراً، من الأدلة على ما أشار إليه الباجي.

#### توهين حديث أبي رزين

(١) وأما حديث أبي رزين ففي سنن حماد بن سلمة مختلط، وكان يدخل في حديثه وبياه ما شاء وليس في استطاعة ابن عدي ولا غيره إبعاد هذه الوصمة عنه، ويعلى بن عطاء تفرد به عن وكيع بن حدى أو عدى، وهو مجهول الصفة، وهو تفرد عن أبي رزين، ولا شأن للمنفردات والوحدان في إثبات الصفات فضلاً عن المجاهيل وعنهم به اختلاط، فليقت الله من يحاول أن يثبت به صفة لله. وقد ستم أهل العلم من كثرة ما يرد بطريق حماد بن سلمة من الروايات الساقطة في صفات الله سبحانه، وقد روى أبو بشر الدولايبى الحافظ عن ابن شجاع عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: «كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث حتى خرج خرقة إلى عبدان فجاء وهو يرويه، فلا أحسب إلا شيطاناً خرج إليه في البحر فألقاها إليه اه. وماذا يجدي تحمس ابن عدي في الدفاع عنه والرد على محمد بن شجاع الإمام افتراء من عليه؟ وابن شجاع هذا مات في صلاة العصر وهو ساجد ولا مغمز في علمه وثقته وورعه إلا أنه كان يقف في القرآن ولا يقول إنه مخلوق أو غير مخلوق لعدم ورود هذا وذلك نصاً في الكتاب والسنة، وألف كتاباً في الرد على المشبهة وهذا ذنب لا يتغتر عندهم. وإنما يدل هذا التحمس على خيئه لابن عدي الذي لم يتعلم من العربية ما يقوم به لسانه ويصونه من اللحن الفاضحة، وأتى لعله أن يقوم فكره حتى يتخذ قدوة؟ وكان ابن شجاع يحذر الرواة من الأخذ بروايات تالفة أدخلها الرضاعون على بعض شيوخ الرواية فبرد عليه عثمان بن سعيد الدارمي المجسم قائلاً كيف يجد الرضاعون سبيلاً إلى الإدخال على شيوخ في الرواية؟ وابن عدي يمسك الأمر ويجعل الذي يدخل عليهم هو ابن شجاع بدون أي دليل وبدون سوق أي سند كما هو شأن المتقولين وله مع نقات الرواة وأئمة الأمة في الفقه الذين تكلم فيهم موقف في يوم القيامة، لا يخط عليه، والعقيلي على نعته لم يذكره في كتابه - وحديث إجراء الخيل كان ذاتاً بين شيوخ الرواية من الحشرية حتى يشكو من ذلك ابن قتيبة مر الشكوى في (الاختلاف في اللفظ) وهو معاصر لابن شجاع، وكذلك خرجه أبو علي الأهوازي بسنن بطريق حماد بن سلمة. وقول الحاكم (أبانا إسماعيل بن محمد الشعراني أنه قال: بلغت عن محمد بن شجاع =

قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عمام ما تحته

= عن حبان بن هلال عن حماد بن سلمة) لا يمكن اتخاذه حجة في كون هذا الخبر مروياً عن حماد بن سلمة بطريق ابن شجاع منفرداً به لأن بين الشمراني وبين ابن شجاع نحو مائة سنة فلا يقل الساقط من الرجال من بينهم عن نحو ثلاثة، هكذا يفضح الله من يتناول على الأئمة. راجع ما علقناه على تبين كذب المفتري في (ص ٣٦٩) ومن اطلع على كتاب (نقض عثمان بن سميد على الجهمي العنيد) الجاري طبعه يعرف سب مقت الحشوية لهذا الإمام الجليل، بل يكفي في معرفة حال حماد ابن سلمة الاطلاع على كتب الموضوعات المبسطة، في باب التوحيد منها خاصة فيرى فيها القارىء أخباراً تالفة رويت بطريقه بكثرة بل ما سرده ابن عدي نفسه في الكامل في ترجمة حماد هذا من الأحاديث التالفة المروية بطريقه كاف في معرفة سقوط ما يروى بطريقه في الصفات بل سقوط ابن عدي المتحمس دونه.

منها روايته عن قتادة عن عكرمة... أن محمداً رأى به في صورة شاب أمرد... وفي لفظ (... جعداً أمرد عليه حلة خضراء...) إلى غير ذلك من الألفاظ الفاضحة، وقد روى ابن عساكر بطريق أبي القاسم السمرقندي عن قتادة (الأهمي): إني ما حفظت عن عكرمة إلا بيت شعر، وهذا دليل على أنه لم يرض روايته الحديث، وأما ما يروى عن أحمد من سماع قتادة عن عكرمة عدة أحاديث فلا يثبت عن أحمد لأنه بطريق رواية من المجسمة القائلين بإقحام الله رسوله ﷺ في جنبه على العرش، تعالى الله عن ذلك، وقد توسع الفخر بن المعلم القرشي في رد ما يروى عن عكرمة في هذا الصدد ثم قال «فعماد الله أن يرى ربه على صورة أصلاً فكيف على صورة قد ذكر مثلها أو أكثرها عن المسح الدجال» اهـ.

فمن التهور البالغ قول ابن صدقة «من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق» بل من يقول به هو الزنديق، ويأسف المرء أن يرى بعض تلك الروايات التالفة مدوناً في كتاب (أخبار الصفات) للدارقطني. وابن المعلم القرشي يؤكد أنه مدسوس في كتاب الدارقطني وليس بعيد بالنظر إلى أن روايه عنه العشاري والراوي عنه ابن كادش، وستعرف قيمتهما في أواخر ما علقناه على هذا الكتاب. ويظهر مما رفعه أبو إسحاق الشيرازي وأصحابه إلى نظام الملك من المحضر - في فتنه الحشوية ببغداد ضد ابن القشيري - اتخاذ رواية حماد هذه دليلاً فليراجع المحضر المذكور في (تبين كذب المفتري) لابن عساكر (ص ٣١٠) وفيه ما نصه «... وأبو إلا التصريح بأن الصبور ذو قدم وأضراس ولهوات وأنامل، وأنه ينزل بذاته ويتردد على حمار في صورة شاب أمرد يشعر فقطط وعليه تاج يلعب وفي رجله نعلان من ذهب... تعالى الله عما يشركون. وفي مرسوم الخليفة العباسي الراضي الذي أصدره في فتنه البريهاري ما نصه «... وتارة إنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتك الرذلة على هيئته وتذكرون الكف والأصابع والرجل والتعلين المنجيين والشعر فقطط والصدود إلى السماء والتزول إلى الدنيا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً...» كما في الكامل لابن الأثير (٨ - ٩٨) إلى غير ذلك من الفاضح المكشوفة، وحديث أم الطفيل أنكره أحمد والنسائي فلا يمكن أن يصح مثل تلك الرواية لا يقظة ولا مناماً، راجع دفع الشبه لابن الجوزي (ونجم المهتدي) والله ولي الهداية.



هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه<sup>(١)</sup> على الماء» قال الترمذي قال أحمد يعني ابن منيع راوي الحديث قال يزيد يعني ابن هارون شيخ أحمد: العماء أي ليس معه شيء. انتهى كلام الترمذي.

وفي رواية (كان في عما) بالقصر ومعناه ليس معه شيء وقيل هو كل أمر لا يدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف والفظن، قال ابن الأثير: ولا بد في قوله (أين كان ربنا) من مضاف محذوف فيكون التقدير أين كان عرش ربنا ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْكَلْبِ﴾ [هود: ٧] قال الأزهرى: نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة أي نجري اللفظ على ظاهره من غير تأويل، وقوله من غير أن نكيفه بصفة صريح في التنزيه والعلماء في المنتشبهات يؤمنون بها إما بأن يتأولوها وإما بأن يسكتوا مع التنزيه وهذا المدبر يصدق بعضها ببعض ليقوي الشبهة ويمكن الريبة من قلوب الناس لعنه الله<sup>(٢)</sup>.

## فصل

قال: «وخامس عشرها الإجماع من<sup>(٣)</sup> رسل الله، حكى إجماعهم عبد القادر

(١) قال أبو بكر ابن العربي في العارضة: والذي عندي أنه أراد بالعرش المخلوق كله (وعلى الماء) بمعنى يسكه بقدرته لا بعد ترائفه ولا أساس يعاضده، فإنها كانت تكون مفتقرة إلى أمثالها إلى غير نهاية وذلك غير محصول فترده أدلة العقول اه وهو معنى بديع جداً لمن ألقى السمع وهو شهيد. واستعمال العرش بمعنى الملك شائع، راجع كتاب أصول الدين لعبد القاهر البغدادي.

(٢) ولمن كل من اتبع المشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وأنت قد جريت أن الإمام السبكي رحمه الله لا يستزل اللغات على الناظم إلا عند كلماته الخطرة جداً، عامله الله بعدله.

## تفنيد زعم الإجماع على الفوقية الحسية

(٣) فبا للعار والشار على من يهون إجماع المسلمين فيما يستدلون به عليه من المسائل الفرعية كيف يزعم إجماع رسل الله على محال؟ وتجد في الكتب المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر كثيراً مما يرده علماء أصول الدين في الاعتقاد كما تجد فيها كثيراً من الأحاديث المملقة الموضوعية فلا يعول على مثل تلك الكتب في مثل هذا المطلب، وقد قال ابن حجر المكي في فتاويه إن ذكر الجهة ونحوها ملموس في كتب الشيخ عبد القادر، وذكر مثله اليافعي قبله في نشر المحاسن، وكذلك النجم الأصفهاني قبل اليافعي، وهم لا يعتمدون بروايات أمثال الذهبي والناظم وشيخه وابن رجب عنه في هذا الصدد لأنهم أظنهم عندهم فيما يتعلق بالجهة، ومن المقرر عند أهل السنة أن أهل البدع لا تقبل رواياتهم فيما يؤيدون به بدعهم، فالقائلون بصلاح

الشيخ عبد القادر - وهم الجمهور - يروونه من تلك البدع ويعدونها مدسوسة في كتبه ولا يوجد بين أهل الحق من يعترف له بالصلاح مع فرض ثبوت تلك المخازبي عنه، فعلى فرض ثبوتها عنه فلا حب ولا كرامة، ومخارق حفيده عبد السلام المتربي لديه تدعو الباحث إلى غاية من الاحتياط في حقه، وقد أشار الحافظ أبو شامة المقدسي في ذيل الروضتين إلى ما جرى بينه وبين أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي والوزير العالم ابن يونس الحنبلي نسأل الله السلامة. وبين المتصوفة من يلهج كثيراً بمرتبة الإطلاق ومراتب التنزل في المظاهر أخذاً من مذهب السالمية لكن أئمة أصول الدين ليسوا على تصديق التجلي في الصور الذي يقول به هؤلاء بل يعدون ذلك والحلول على حد سواء، فمن حاول الجمع بين أقوال المتكلمين والمتصوفة والحكماء والحشوية في ذلك كالبرهان الكوراني فإنما حاول المحال والانسلاخ من قيد العقل والنقل معاً، نسأل الله العافية، وليس بقليل بين الأئمة من جاهر بكفار القائلين بالجهة كما نقلت نص ذلك من شرح مشكاة المصابيح للعلامة ناصر السنة علي القاري فيما علقته على «دفع شبه التشبيه لابن الجوزي (ص ٥٧)» وشأن من يخاف الله سبحانه أن ترتعد فرائصه في موطن جاهر فيه بعض الأئمة المتبوعين في أصول الدين؛ بالكفار.

### يسط الكلام في رد القول بالجهة

ولم يرد لفظ الجهة في حديث ما يُلّ قال أبو يعلى الحنبلي في «المعتمد في المعتقد»: ولا يجوز عليه الحد ولا النهاية ولا قيل ولا بعد ولا تحت ولا قدام ولا خلف لأنها صفات لم يرد الشرع بها وهي صفات توجب المكان اه ولعله آخر مؤلفاته بديل أن امتحانه في الصفات كان سنة ٤٢٩ قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة فمن أثبت له تعالى جهة فقد أثبت له أمثلاً وأشابهاً مع أنه لا مثل له ولا شبيه له تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [الاحل: ١٧] فلعمان الله على من يثبت له تعالى ما لم يثبت له الكتاب ولا السنة من الجهة ونحوها، وأما ابن رشد الحفيد لفيلسوف ظنين يسمى في إثارة وجوه من التشكيك حول آراء المتكلمين من أهل السنة لينتقم منهم بسبب ودوهم على الفلاسفة إخوانه ولا سيما من أبي المعالي الجويني وأبي حامد الغزالي، فمن طالع فصل المقال ومنتاهج الأئمة لابن رشد وخاصة في بحث قدم العالم قديماً زمانياً وعلم الله بالجزئيات والبعث الجسماني يتقن ما قلنا في حقه على أنه يقول في فصل المقال (ص ١٣): إن ههنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله في المبادي فهو بدعة، وههنا أيضاً ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله وحملهم إياه على ظاهره كفر في حقهم، وتأويل غير أهل البرهان له وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم. ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول اه.

وهذا الكلام يهد على رأس ابن نيمية وتلميذه ما يريدان أن يبينيا على كلامه ولو علما مغزى كلامه لأبيا كلا الإياه أن يحوما حول كلامه في مثل هذه الأبحاث. فما يكون كفرة في حق طائفة عند ابن رشد يكون إيماناً في حق طائفة أخرى عنده وبالعكس وهذا هو الذي يحتج ابن نيمية في التأسيس وغيره بقوله في الجهة من غير أن يعقل مغزى كلامه الطويل في منتاهج الأدلة. وأما ما وقع في كلام ابن أبي زيد وابن عبد البر مما يوهم ذلك فنقول عند محققى =

المالكية ولو كان ابن عبد البر لم يكتب بالظلمنكي في أصول الدين ورحل إلى الشرق كالباجي لم يقع في كلامه ما يوهم ولم يقع ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في لفظ صحابي أو تابعي ولا في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى أفتاح المجسمه وأتحدى من يدعي خلاف ذلك أن بسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح فلن يجد إلى ذلك سبيلاً فضلاً عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيده صحيحة، وأول من وقع ذلك في كلامه ممن يدعي الانتماء إلى أحد الأئمة المتبرعين - فيما أعلم - هو أبو يعلى الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ حيث قال عند إثباته الحد له تعالى في كتابه (إبطال التأويلات لأحاديث الصفات): «إن جهة التحدث تحاذي العرش بما قد ثبت من الدليل والعرش محدود فجاز أن بوصف ما حاذاه من الذات أنه حد وجهه له وليس كذلك فيما عداه لأنه لا يحاذي ما هو محدود بل هو ما في البسطة واليسرة والفوق والأمام والخلف إلى غير غاية فلذلك لم يوصف واحد من ذلك بالحد والجهة وجهه العرش تحاذي ما قابله من جهة الذات ولم تحاذ جميع الذات لأنه لا نهاية لها اهـ. تعالى الله عما يقول المجسمه حلواً كبيراً وهو عين ما ينسب إلى الطائفة الحرائية من تلاقي النور من جهة الأسفل مع الظلمة وعدم تناهيه من الجهات الخمس - سبحانه ما أحلمك - ثم تابعه أناس من الحنابلة في نسبة الجهة إلى الله سبحانه منهم أبو الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ووقع بعده في غيبة الشيخ عبد القادر وقد سبق رده، وإثبات ذلك له تعالى ليس بالأمر الهين عند جمهور أهل الحق بل قال جمع من الأئمة إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العلم العراقي، وقال إنه قول أبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني اهـ فانظر قول ابن تيمية في التسمينية (ص ٣): أما قول القائل، الذي نطلب منه أن ينفي الجهة عن الله والتحيز فليس في كلامي إثبات لهذا اللفظ لأن إطلاق هذا اللفظ نفيًا وإثباتاً بدعة اهـ. وهذه مناقضة، فإن ما لم يشبه الشرع في الله فهو منفي قطعاً، لأن الشرع لا يسكت عما يجب اعتقاده في الله، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] نص في نفي الجهة عنه تعالى إذ لو لم تنف عنه الجهة لكانت له أمثال لا تحصى، تعالى الله عن ذلك - ثم انظر قوله في منهاجه (١) - (٢٦٤): ثبت أنه في الجهة على التقديرين اهـ لتعلم كيف وماه الله بقله الدين وقلة الحياء في أن واحد. وأما ما ينقله الذهبي وغيره من الحشوية من تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الأعراف: ٥٤] من أنه قال: وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباته لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله فساهل منه في العبارة، فإنه لم يرد لفظ الجهة في عبارة السلف ولا في كتاب الله، ولو أراد ورود هذا اللفظ لكذب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والأثار المعروية عن السلف لأن الموارد لفظ ﴿وَمَنْ أَتَأْتِرُ قَوْلَهُ يَكْفُرُ﴾ [الأنعام: ١٨] و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الأعراف: ٥٤] ونحو ذلك بدون تعرض للتكليف بالجهة، وهكذا الوارد في السنة وآثار السلف ويعين قوله «كما نطق به كتابه» أن مراده الفرقية والعلو بلا كيف وذكر الجهة سبق قلم منه فلا يكون

= متى اختص بجهة يكون في مكان وحيز فيلزم الحركة والسكون اهـ وهو القائل أيضاً في (التذكار في أفضل الأذكار) ص ١٣: «يستحيل على الله أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو محدوداً ولو كان ذلك لكان محدثاً وهذا ملعب أهل الحق والتحقيق اهـ».

### تناقض ابن تيمية في الجهة وكذب

وفي (ص ٢٠٧) من الكتاب المذكور: «ثم تبهر المشابه لا يخلو اتباعهم من أن يكون لاعتقاد ظواهر المشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما يهجم ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن الباري تعالى جسم مجسم وصورة مصوّرة ذات وجه وغير ذلك من يد وعين وجنب وأصبع، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عبادة الأصنام والصور، ويستأبون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد. اهـ». فبذلك تبين أن تمسك الحشوية بقول القرطبي السابق من قبيل الاستحارة من الرضاء بالنار وبه يظهر ملعب المالكية فيمن يقول بذلك كما يظهر قول الشافعية فيه من كفاية الأخيار للتقي الحصني، حيث قال فيها بعد أن أشار إلى كلام الرافعي في كتاب الشهادات: «جزم النووي في صفة الصلاة من شرح المذهب بتكفير المجسمة».

قلت: وهو الصواب الذي لا محيد عنه اهـ.

ومن حذائق النظر من استدلل على بطلان القول بالجهة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَثَرُ مَنْ إِلَّا نُفُؤًا لُتَمَّعَ كُلُّ لَأَنَّمْ يَمَّا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] باعتبار أن فيه استدلالاً على بطلان التمدد ببطلان لازمه الذي هو انجياز الإله إلى جهة. وراجع شعب الإيمان للحلي. وفي الإكمال شرح مسلم للفياضي عياض ثم من صار من دهماء الفقهاء والمحدثين وبعض متكلمي الأشعرية وكافة الكرامية إلى الجهة أول (في بدعي). ومن أحال ذلك - وهم الأكثر - فلهم فيها تأويلات... وقد أجمع أهل السنة على تصويب القول بالوقف من التفكير في ذاته تعالى لحيرة العقل هنالك، وحرمة التكيف. والوقف في ذلك غير شك في الوجود ولا جهل بالوجود فلا يقدر في التوحيد بل هو حقيقة. وقد تسامح بعضهم في إثبات جهة تخصه تعالى أو أشار إليه بحيز يحاذيه، وهل بين التكيفيين - أي التكيف المحرم إجمالاً والتكيف بالجهة - فرق؟ وبين التحديد في الذات والجهة فرق؟ وقد أطلق الشرع أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش فالتمسك بالأية الجامعة للتنزيه الكلي الذي لا يصح في العقل غيره وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] «عصمة لمن وفقه الله تعالى» اهـ. وقد تعبه الأبى تمقياً شديداً، وقال ما نسب من القول بالجهة إلى الدهماء ومن بعدهم من الفقهاء والمتكلمين لا يصح ولم يقع إلا لأبي عمر في الاستذكار والتمهيد ولابن أبي زيد في الرسالة وهو عنهما تناول. ثم نقل عن الفقهاء التونسيين كابن عبد السلام وابن هارون والفاسيين كالمطري وابن الصباغ اتفاقهم على إنكار ذلك في مجلس الأمير أبي الحسن ملك المغرب. راجع شرح مسلم (٢ - ٢٤١) للأبي.

وأبو الوليد [ابن رشد الفيلسوف] وأبو العباس<sup>(١)</sup> الحراني [ابن تيمية] وله اطلاع، لم

إلى الدعاء على أن لفظ الجهة لم يقع في كلام أبي عمر ولا في كلام ابن أبي زيد وإن كان ظاهر كلامهما يوهم ذلك وقد تأول كلامهما المالكية ليكونا مع الجمهور في هذه المسألة الخطرة ولو ترك كلامهما على الظاهر لهرما في هاية التجسيم وذلك عزيز عليهم أيضاً، وقول القاضي عياض ليس يشمل المشاركة حيث لم يرحل إلى الشرق وإنما قوله بالنظر إلى معنى كلام بعض الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من أهل بلاده من أصحاب الظنكي وابن أبي زيد وأبي عمر بل لا أذكر وقوع لفظ الجهة في كلام أحد منهم، وإنما جرى ابن رشد الفيلسوف في المناهج على التساهل يذكر ما لم يجر على لسانهم باعتباره معنى كلامهم كما سبق، والحاصل أن التكيف غير جائز إجماعاً - ويمكن جمع جزء في الآثار الواردة في المنع من التكيف والتشبيه - ولا شك أن القول بالجهة تكيف لم يقع إلا في عبارات أناس هلكي، وأما تأويل القائلين بالجهة ما يوهم كونه في السماء بمعنى على السماء، كما ذكر القاضي عياض، فلا ينجيهم من ورطة التجسيم لأن (في) في قوله تعالى: ﴿وَالْأَسْمَانُ فِي جُدُجٍ أَنْتَنِي﴾ (طه: ٧١) لم تزل تنفيذ تمكين المصلوب في الجُدج كتمكين المظروف في الظرف، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١] فحمل لفظ (في) على معنى (على) لا يجدي في الإبعاد عن التمكن وإنما التأويل الصحيح ما أشار إليه الباجي من استعمال العرب لفظ «هو في السماء» يعنون علو شأنه ورفعة منزلته بدون ملاحظة كونه في السماء أصلاً كقول الشاعر:

علونا السماء مجدنا وجلودنا      وإنما لنبغني فوق ذلك مظهرنا

وظاهر أنه لم يرد إلا علو الشأن. وليس قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [المائدة: ١٦] من هذا القبيل بل الظاهر أن المراد خاسف سدوم وعد «في السماء» بمعنى على السماء ثم جعل على السماء بمعنى «على العرش» باعتبار أن السماء مأخوذة من السمو، ففلة عن شمولها للقف والسحاب على هذا التقدير غير المتبادر وتخصيصها بالعرش عن هوى مجرد كما لا يخفى. وفيما ذكرناه كفاية لأهل التبصر.

#### مخالفات ابن تيمية

- (١) يوجد من يذكره بلقب شيخ الإسلام - وللمتدعة افتتان بهذا التلقب لزعمائهم - إيهاماً للضعفاء في العلم أن ما يدعوه إليه هذا الزائغ هو الإسلام الصحيح ويخاف على من يستمر على تلقيه به بعد أن عرف مخالفاته لشرع الإسلام ومن ذكره بهذا اللقب من أهل السنة إنما ذكره قبل أن يجاهر ذلك المبتلع ببدعه المعروفة، وأما من استمر على هذا التلقب من المتأخرين فإنما استمر جهلاً ببدعه التي نقلناها من أوثق المصادر أو ظناً من أنه تاب وأتاب وحافظ على عهده وقد توسعنا في بيان ذلك فيما هلقناه على ذيول طبقات الحفاظ. على ترجمة العلاء البخاري فليراجع هناك، ولعل في كتبنا ولا سيما في هذا الكتاب ما يقنع المنصف في أمر هذا الزائغ. ومما قاله المصنف في حقه في فتاويه (٢ - ٢١٠) في أثناء رده على قتياله في الوقف: «وهذا الرجل كنت رددت عليه في حياته في إنكاره السفر لزيارة المصطفى ﷺ وفي إنكاره وقوع الطلاق إذا حلف به ثم ظهر لي من حاله ما يقتضي أنه ليس ممن يعتمد عليه في نقل ينفرد به لمسارعه إلى النقل لفهمه - كما في هذه المسألة - ولا في بحث ينشئه لخلطه المقصود بغيره -

يكن من قبله لسواه من متكلم».

ونحن نقطع أيضاً بإجماعهم (على التنزيه) أما يستحي من ينقل إجماع الرسل على إثبات الجهة والفوقية الحسية لله تعالى؟ وعلماء الشريعة ينكرونها؟ أما تخاف منهم أن يقولوا له إنك كذبت على الرسل؟.

## فصل

قال: «وسادس عشرها إجماع أهل العلم»<sup>(١)</sup> ابن عباس ومجاهد ومقاتل والكلبي

= وخروجه عن الحد جداً، وهو كان أكثر من الحفظ ولم يتهدّب بشيخ ولم يرتض في العلوم بل يأخذها يدهنه مع جسارة واتساع خيال وشغب كثير، ثم بلغني من حاله ما يقتضي الإعراض عن النظر في كلامه جملة، وكان الناس في حياته ابتلوا بالكلام معه للرد عليه، وحسب بإجماع العلماء وولاة الأمور على ذلك ولم يكن لنا غرض في ذكره بعد موته لأن تلك أمة قد خلت ولكن له أتباع يتفقون ولا يعون ونحن نتبرم بالكلام معهم ومع أمثالهم ولكن للناس ضرورات إلى الجواب في بعض المسائل كهذه المسألة... اهـ. وهذا مما يزيدك معرفة بالرجل، ومن جملة هذياناته هذا الزائف قوله في (المحصل) للفخر الرازي:

محصل في أصول الدين حاصله	من بعد تحصيله أصل بلا دين
أصل الضلالات والشك المبين فما	فيه فأكثره وحي الشياطين
هذا رأي الرجل في معتد أهل السنة ولأهل العلم ردود عليه وكنت قلت في معارضته:	
محصل في أصول الدين حصله	من اهتدى فهدا محصن الدين
أس الهداية والحق الصراح فمن	يرتاب فيه ففأثر الشياطين
كما قلت فيما سبق في معارضة بعضهم:	
إن كان تنزيه الإله تجسماً	فالمؤمنون جميعهم جهمى
جلب الإله عن الحوادث أن تحد	بل به وعن جهة وعن كم
بخلاف زعم زعيمكم سفهاً فإن	تابعتموه فكلكم تيمى
والله سبحانه ولي الهداية.	

### الرد على الناظم في دعوى الإجماع على الفوقية المكانية

(١) الناظم يروي عن إمامه أحمد بن حنبل في أهلام الموقعين أن من ادعى الإجماع فهو كاذب. فكيف ساغ له أن يروي هنا الإجماع على الفوقية على خلاف البراهين العقلية والنقلية القائمة. فابن عباس ومجاهد لم يرو عنهما ما يوهم ذلك إلا أناس هلكى لا تقبل أقوالهم في حوض الناء فضلاً عن المسائل الاعتقادية، ومقاتل بن سليمان المروزي شيخ أهل التجسيم في عصره وقد أسد جماعة من المرآة. والكلبي هالك عند أهل النقد، وأبو العالية رفيع الرياحي فر الاستواء بالارتفاع، كما ذكره ابن جرير بطريق أبي جعفر الرازي، وهو متكلم فيه حتى عند الناظم. وروي الثريابي عن مجاهد تفسير استوى بقوله: علا بطريق ورقاه عن ابن أبي نجيح =

عنه . والكلام فيهما مشهور . ولذا ذكر هذا وذلك البخاري من غير سند ، ومع ذلك أين الدلالة في هذا وذلك على الفوقية المكانية؟ وأبو عبيدة معمر بن المثنى الشعبي ماذا تكون قيمة كلامه في مثل هذه الأبحاث؟ والأشعري إن كنتم تعتقدون فيه أنه قائل بالفوقية المكانية فما سبب طعن الحشوية كلهم فيه؟ وإنما له رأيان: أحدهما عدم الخوض في الصفات مع إثبات ما ثبت في الكتاب والسنة بدون تشبيه ولا تمثيل والآخر تأويل ما يجب تأويله بما يوافق التنزيه إذا عن ضرورة ، وليس في هذا ولا في ذلك القول بالفوقية المكانية ، وتأليف الإبانة كان في أوائل رجوعه عن الاعتزال لتدرج البريهاري إلى معتقد أهل السنة ، ومن ظن أنها آخر مولفاته فقد ظن باطلاً . وقد تلاقت أقلام الحشوية بالكصوف فيها ولا سيما بعد فن بغداد فلا تعويل على ما فيها مما يخالف نصوص أئمة المذهب من أصحابه وأصحاب أصحابه . وابن درياس غير مأمون في روايتها لأنه أفسده شيخه في التصوف مع تأخر طبقاته . . والبغوي الشافعي إنسا نقل في تفسيره ما يروي عن مثل مقاتل بن سليمان والكلبي تعويلاً على قول أهل النقد فيهما ، ودلالة على أن هذا القول قول أهل الزينج . ومالك قائل بالاستواء بلا كيف ، وكذا الشافعي وأبو حنيفة وأبو يوسف وأحمد وابن المبارك ، وهم براء مما يوجد في روايات عبد الله بن نافع الصائغ والعشاري والمهكاري وابن أبي مريم ونعيم بن حماد والإصطخري وأمثالهم . (واعتقاد الشافعي) المذكور في ثبت الكولراني كذب موضوع مروى بطريق العشاري وابن كادش ، وسيأتيان في أواخر الكتاب . وابن خزيمة على سعة في الفقه والحديث جاهل يعلم أصول الدين وقد اعترف بذلك هو نفسه كما في الأسماء والصفات لليهقي (ص ٢٠٠) وكتاب التوحيد له بعده الرازي كتاباً في الشرك . ويستخف عقله وفهمه في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الذورى: ١١) وينقل جزءاً من سخفه ويرد عليه رداً مشعباً فيجب الاطلاع عليه ، ومن الشافية من يعد من الشافية كل من تلقى بعض شيء من بعض الشافية ، وهذا ليس بصواب لأن كل متأخر يأخذ عن تقدمه على أي مذهب كان المتقدم كما لا يخفى على من درس أحوال الرجال . وابن خزيمة هذا وإن تلقى بعض شيء من المزني في شيبته لكن لم يكن شافعياً بل ثبت مساعده لمحمد بن عبد الحكم في تأليفه ذلك الرد القاسي على الشافعي . وعلى فرض أنه شافعي لا محاباة في المعتقد أياً كان ملعب من زاغ عن السبيل . وهذا المسكين ممن إذا أصاب مرة في المعتقد يخطئه فيه مرات ، فليسمح لي ساداتنا العلماء أن أعجب غاية العجب من طبع مثل كتاب التوحيد هذا بين ظهرانيهم بدون أن يقوم أحد منهم بالرد عليه كما يجب . أيقظ الله أصحاب الشأن لحراسة السنة وابن خزيمة الذي يروي عنه الطحاوي غير ابن خزيمة صاحب كتاب التوحيد وليعلم ذلك .

والإجماع الذي يرويه ابن عبد البر إنما يصح في العلو والفوقية بمعنى التنزه والقهر والغلبة لا بمعنى إثبات المكان له تعالى . وأبو بكر محمد بن وهب شارح رسالة ابن أبي زيد مسكين مضطرب بعيد عن مرتبة الحجّة . وقد ذكرنا ما يتعلق بابن أبي زيد فيما علقناه على تبين كذب المعفري وقد أغاننا ذلك عن تكرير الكلام . ورأى القاضي أبي بكر بن العربي فيه مدون في القواصم ، وأبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي صاحب الفصول مجسم صريح كآبي الخير يحيى العمراني ، وقد كفنا مؤنة الرد عليهما ما قاله فيهما ابن السبكي واليانعي =

= الشافعيان. وعثمان الدارمي السجزي صاحب النقص - وهو غير صاحب المسند - قد سبق القول فيه، وهو بيت الحركة لله تعالى كحرب بن إسماعيل السرجاني. وقد نقلت فيما كتبت على شروط الأئمة الخمسة ما قاله الحافظ الراهمزمي في حرب السرجاني هذا. وخشيش بن أصرم صاحب كتاب الاستقامة يعرف أهل الاستقامة مبلغ انحرافه، ومن جملة ما هذى به قوله: فإن زعمت الجهمية فمن يخلفه إذا نزل؟ قيل لهم: فمن خلفه في الأرض حين صعد؟ اه. ولا ينجيهِ من وورطته كونه من مشايخ أبي داود كما لا ينجي عمراً بن حطان كونه من رجال البخاري. وعبد الله بن أحمد إذا ثبت عنه كتاب السنة المنسوب إليه فلا حب ولا كرامة. وابن أبي حاتم أقر على نفسه بأنه يجهل علم الكلام كما في الأسماء والصفات لليهقي (ص ١٩٩) وحق مثله أن لا يخوض في أمثال هذه المباحث وأن يهجر قوله إذا خاض، ومحمد بن أبي شبة صاحب كتاب العرش مشبه كذاب، ومن جملة تخريفاته في كتابه المذكور: أن الله تعالى أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش اه. تعالى الله عن تخريفات المجسمة. وابن أبي داود كفاً مؤنة الرد عليه كلام أبيه فيه. وابن أسباط لا يحتاج به في الرواية فكيف يعول على مثله في الصفات. سامح الله اللالكائي والطلحكني إسماعيل التيمي فإنهم تكلموا في غير علومهم. والباقون كلهم بخير خلا ما أدخل على ابن سلمة ولن يثبت عن هؤلاء سوى أنهم كانوا يقولون: إنه تعالى استوى على العرش بلا كيف وإنه القاهر فوق عباده بلا كيف وابن هذا مما يدعو إليه الناظم؟.

تنبيه: روى الناظم في أعلام الموقعين عن أحمد: أن من ادعى الإجماع فهو كاذب ثم حكى هو نفسه في الكتاب نفسه في (١ - ٥٦، ١١٤، ٢٧٥، ٣٨٩) وفي (٢ - ٣٣، ٤٨، ٥٣، ٢٤١ و ٢٩٠) وغيرها الإجماع والقول بالإجماع في مسائل عن أحمد وغيره ومثل هذا التناقض لا يصدر إلا من مثل الناظم. وذكر أيضاً في عدة من كتبه في صدد الرد على من يقول بإجماع الصحابة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد أنه لم يرو ذلك عن عشر الصحابة بل عن عشر عشرهم بل عن عشر عشرهم بل لا تليقون أن ترووه عن عشرين نفساً منهم. وهو يرمي بذلك إلى أن إجماع الصحابة لا ينعقد إلا برواية نص عن مائة ألف صحابي مات عنهم النبي ﷺ - وهذا تخريف لم يقل به أحد قبل الناظم لأن الظاهرية يكتفون باتفاق فقهاء الصحابة إلا أنهم يكترون عدد الفقهاء منهم ويلفون عددهم إلى نحو مائة وخمسين صحابياً على خلاف الواقع - ثم يناقض نفسه فيقول في إلهام الموقعين (٣ - ٣٧٩): إن لم يخالف الصحابي صحابياً آخر فيما أن يشتهر قوله في الصحابة أو لا يشتهر، فإن اشتهر فالذي عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة وقالت طائفة منهم هو حجة وليس بإجماع، وقالت شريحة من المتكلمين (من أتباع النظام) وبعض الفقهاء المتأخرين لا يكون إجماعاً ولا حجة، وإن لم يشتهر قوله أو لم يعلم هل اشتهر أم لا؟ فاختلف الناس هل يكون حجة أم لا فالذي عليه جمهور الأمة أنه حجة، هذا قول جمهور الحنفية، صرح به محمد بن الحسن وذكر عن أبي حنيفة نصاً وهو مذهب مالك وأصحابه، وتصرفه في موطنه دليل عليه وهو قول إسحاق بن راهويه وأبي عبيد وهو منصوص الإمام أحمد في غير موضع عنه واختيار جمهور أصحابه وهو منصوص الشافعي في القديم والجديد أما القديم فأصحابه مقررون به، وأما الجديد فكثير منهم =



ورقيق وأبو عبيدة والأشعري والبغوي ومالك والشافعي والنعمان ويعقوب وأحمد وابن المبارك وابن خزيمة وقال يقتل من ينكره وحكى ابن عبد البر إجماع أهل العلم أن الله فوق العرش وابن وهب وحرب الكرمانى وحكى الإجماع ابن أبي زيد والكرجى في التصنيف الذي شرحه وتفسير عبد بن حميد والنسائي وعثمان الدارمي وابن أصرم وعبد الله بن أحمد والأثرم (وأبو حاتم وابنه ومحمد بن أبي شيبة) وابن أبي داود وابن أسباط وسفيان وحمام بن زيد وحمام بن سلمة والبخاري والطبري اللالكائي الشافعي وإسماعيل التيمي والطبراني والظلمكي والطحاوي والباقلاني وابن كلاب والطبري في التفسير والدانى وابن سريج وأبو الخير العمراني صاحب البيان وسواهم والله قطاع الطريق أمة تدعو إلى النيران ما في الذين حكيت عنهم آناً من حنبلي واحد بضمان، بل كلهم والله شيعة أحمد، فأصوله وأصولهم سيان، أتظنهم لفظية جهلية هم أهل العقول فتغذفون أولاء بل أضعافهم من سادة العلماء كل زمان بالجهل والتشبيه والتجسيم والتبديع والتضليل والبهتان، يا قومنا الله في إسلامكم لا تفسدوه لنخوة الشيطان، يا قومنا اعتبروا بمصارع من مضى في هذه الأزمان لم يغني عنهم كذبهم ومحالهم وقتالهم بالزور والتدليس عند الناس والحكام والسلطان وبدا لهم أنهم على البطلان ما عندهم شكاية ما يشتكي إلا عاجز، لبتم معنى النصوص وقولنا أساتم الظن بأئمة الإسلام ما ذنبهم ما الذنب إلا للنصوص لديكم إذا جئت.

انتهى كلام هذا المدبر، وقد تقدم النقل عن مالك رحمه الله بخلاف ما قاله ولكنه اغترّ هنا بما رواه الحسن بن إسماعيل الضراب<sup>(١)</sup> في كتابه الذي صنّفه في فضائل مالك رضي الله عنه بأسانيد إلى مالك رضي الله عنه أنه أثنى رجل فقال يا أبا

= يحكي عنه فيه أنه ليس بحجة وفي هذه الحكاية عنه نظر ظاهر جداً أه. ثم ذكر وجه النظر. وهذا القول هو الصواب لكن الناظم يناقض هنا حينما يؤول كلام أحمد المذكور على خلاف تأويل الجمهور في (١ - ٣٣) من إعلام الموقعين وعندما يشد عن الجماعة في مسائل كالطلاق ونحوه في كثير من كتبه ويهون أمر الإجماع بل ينكره ويتابعه الجهلة الأغراب من أبناء الزمن وفي ذلك عبرة بالغة نلقت إليها أنظار المنصفين والحق أن الناظم ليس له أصل يبيّن عليه وإنما يلبس لكل ساعة لبوسها كما هو شأن أصحاب الأهواء والله ولي الهداية. والحق أن تكذيب أحمد لمن يهدي الإجماع على تقدير ثبوته عنه لا بد من حمله على ادعاء من لم يتأهل لنقل الإجماع في مسألة وإلا لتناقض كلامه وعمله.

(١) هو أبو محمد محدث مصر المتوفى سنة ٣٩٢، راجع إكمال ابن ماكولا، وأتساب ابن السماني، وحسن المحاضرة، والشذرات.

عبد الله، الرحمٰن على العرش استوى، كيف استوى<sup>(١)</sup> فأمسك عنه مالك حتى علاه الرحماء ثم قال: الكيف منه غير معقول والاستواء فيه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإنني لأحسبك ضالاً، ثم أمر به فأخرج. وفي رواية: فإني أخاف أن يكون شيطاناً.

### رد المصنف على الناظم في الفوقية

وهذا الكلام صحيح إن صحَّ عن مالك، فإنه ليس فيه إلا الإيمان بآية استوى على العرش كما نطق به القرآن وأن كيفيته غير معقولة، والسائل عنها ضال مبتدع شيطان، وفي ذلك قطع بأن الاستواء على ظاهره المعلوم عند الناس من أنه القعود، فإن ذلك معقول وليس فيه تصريح بفوقية الذات ولا يلزم من قولنا استوى على العرش أن يكون هو على العرش إلا بعد أن ثبت أن الاستواء هو القعود والجلوس كما في المخلوق، وجلَّ الله عن ذلك، فهذا الرجل لم يفهم كلام مالك ولا كلام غيره من العلماء الكثيرين الذين حكى عنهم كلهم. وإنما يؤثر عنهم كلام مقتدٍ بالكتاب يراد به معنى صحيح مع التنزيه، وما لا يوهم التشبيه ولا يقتضيه.

### روايات الضراب عن مالك

وقد روى الضراب في هذا الكتاب قال: حدثنا عمر بن الربيع ثنا أبو أسامة ثنا ابن أبي زيد عن أبيه عن حبيب<sup>(٢)</sup> كاتب مالك قال: سئل مالك بن أنس عن قول

(١) قال أبو بكر بن العربي في القواصم والمواصم: المطلوب هنا ثلاثة معان: معنى الرحمٰن ومعنى استوى ومعنى العرش، فالرحمٰن معلوم والعرش في العربية جاء لعمان ولفظ استوى معه محتمل خمسة عشر معنى في اللغة، فأبها تزيدون أو أبها تدعون ظاهراً منها، ولم قلتم إن العرش ههنا المراد به مخلوق مخصوص فادعيتموه على العربية والشريعة... فقلوه تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى السَّمٰوٰتِ اَسْتَوٰى﴾ [طه: ٥] إن علمنا معناه أننا قولاً ومعنى، وإن لم نعلم معناه قلنا كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، فكيف لو رأى من يفسر تعلقه بالله لا يقال إنه بدعة بل أشد من البدعة عنده، فكيف لو سمع من يقول: إن الله فوقه، فكيف بمن يعين فوقية الذات فكيف بمن يقول إنه يحاذيه ويليّه نبأ له اه راجع (٢٤) - (٢٦) في الجزء الثاني من الكتاب المذكور. وقد توسع ابن المعلم المحدث في (نجم المهتدي) في بيان احتمالات الآية الخمسة عشرة التي أشار إليها أبو بكر ابن العربي فليراجع هناك.

(٢) وعلى روايته في تفسير النزول من مالك عزّل القاضي عياض في المشارق، وقد تكلم في حبيب هذا أهل النقد إلا أن مالكا رضي الله عنه كان شديد الانتقاد للرجال وقوله هو القول =

النبي ﷺ: «ينزل رينا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة» قال: ينزل أمره كل سحر وأما هو فهو دائم لا يزول وهو بكل<sup>(١)</sup> مكان. وروى الضراب أيضاً في هذا الكتاب بإسناده إلى عبد الرحمن بن القاسم قال: سئل مالك عن يحدث الحديث الذي قالوا: إن الله خلق آدم على صورته، وإن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة، وإنه يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً ونهى أن يتحدث بها أحد، فقيل له: إن ناساً من أهل العلم يتحدثون بها، فقال: من هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، فقال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء ولم يكن عالماً وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات وكان صاحب عمل يتبعهم، ورواه الضراب أيضاً من طريق ابن وهب عن مالك. وروي أيضاً عن طريق الوليد بن مسلم قال: سألت مالكا والأوزاعي وسفيان وليثاً عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية فقالوا: أرووها كما جاءت؟ فانظر كلام مالك وكلام غيره، لم يصرحوا ولم يبيحوا إلا روايتها لا اعتقاد ظاهرها الموهوم للتشبيه ومالك شدد<sup>(٢)</sup> في روايتها إلا ما يعلم صحته فيروى مع التنزيه كالقرآن، وهذا التحس وأمثاله يروون في ذلك الجفلاء

= الفصل في رجال المدينة فلا يطمئن القلب إلى إن يكون كاتبه وقارىءه موطنه على جمهور المتلقين من مالك غير مرضي عنده.

(١) وظاهر هذا الكلام غير مراد قطعاً، بل المراد أنه لا يوصف بمكان دون مكان حيث تنزهه عن الأمكنة، ومن هذا القبيل ما يروى عن بعضهم أن علمه بكل مكان، وحاشا أن يكون المراد بهما حلول ذاته أو صفته في الأمكنة، تعالى الله عما يظن به الجاهلون. وأما قول الترمذي في حديث لهبط على الله (وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه) فقد تعقبه ابن العربي في المعارضة وقال: إن علم الله لا يحل في مكان ولا ينتسب إلى جهة، كما أنه سبحانه كذلك لكنه يعلم كل شيء في كل موضع وعلى كل حال فما كان فهو يعلم الله لا يشذ عنه شيء ولا يميز عن علمه موجود ولا معدوم، والمقصود من الخبر أن نسبة الباري من الجهات إلى فوق كنيسته إل تحت إذ لا ينسب إلى الكون في واحدة منهما بذاته اهـ.

وما يرويه سريج بن النعمان عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان. لا يثبت، قال أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفاً فيه، قال ابن عدي: يروي غرائب عن مالك، قال ابن فرحون: كان أصم أمياً لا يكتب. راجع ترجمة سريج وابن نافع في كتب الضعفاء وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا، وقد تواتر عنه عدم الخوض في الصفات وفيما ليس تحته عمل كما كان عليه عمل أهل المدينة على ما في شرح السنة للالكافي وغيره.

(٢) بل قال أبو بكر ابن العربي في المعارضة: روى عن مالك وغيره أنه إذا روى هذه الأحاديث (أحاديث القبض ونحوه) لو أحد مثل بجراحة قطعت اهـ.

لأن لهم بدعة لا يبغون عنها حولاً، وكل هؤلاء الذين نقل عنهم كلامه إما متأول أراد به قائله معنى صحيحاً غير ما أراده هذا المبتدع، وإما مختلق عليه وحقه أن يسبر، فمن سمي من المتأخرين لم يكن له بصر بالحقائق فزلّ كما زلّ شيوخ<sup>(١)</sup> هذا المبتدع وقادته ممن لم يكن قدوة.

## فصل

قال: «وسابع عشرها إخباره سبحانه في القرآن عن موسى، وفرعون أنكروا التكليم والفقوية العليا. ولنا متنا دليل على أنه فوق السماء ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥] - بالله - هل حدثتكم قط أنفسكم بهذا فسلوا أنفسكم عن الإيمان، لكن رب العالمين وجنده ورسوله ﷺ المبعوث بالفرقان هم يشهدون بأنكم أعداء من ذا شأنه أبداً بكل زمان ولأي شيء كان أحمد<sup>(٢)</sup> خصمكم أعني

### قول اليافعي في الحشوية

(١) من حشوية الحنابلة قال العفيف اليافعي في (مرهم العلل المعضلة في دفع الشبه والرد على المعتزلة) في الجزء الثالث منه: «ومتأخرو الحنابلة غلوا في دينهم غلواً فاحشاً وتصفهوا صفهاً عظيماً وجسموا تجسماً قبيحاً وشبهوا الله بخلقه تشبيهاً شنيعاً وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة حتى قال أبو بكر بن العربي في العواصم: أخبرني من أتق به من مشيختي أن القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر في صفاته تعالى: «الزوموني ما شتم، فإني ألتزمه إلا اللحية والمورة». قال بعض أئمة أهل الحق وهذا كفر قبيح واستهزاء بالله تعالى شنيع وقائله جاهل به تعالى لا يقتدي به ولا يلبث إليه ولا تنبج لإمامه الذي يشب إليه ويستر به بل هو شريك للمشركين في عبادة الأصنام، فإنه ما عبد الله ولا عرفه، وإنما صور صنماً في نفسه، فتعالى الله عما يقول الملحدون والجاحدون علواً كبيراً اه».

ومثل ما نقله ابن العربي عن أبي يعلى هذا منقول في كتب الملل والنحل عن داود الجواربي، تعالى الله عن ذلك. ثم قال اليافعي: «ولقد أحسن ابن الجوزي من الحنابلة حيث صنف كتاباً في الرد عليهم، ونقل عنهم أنهم أثبتوا لله صورة كصورة آدمي في أبعاضها، وقال في كتابه هؤلاء قد كسوا هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسم، قال: وهؤلاء متلاعبون وما عرفوا الله ولا عندهم من الإسلام خير ولا يحدثون، فإنهم يكابرون العقول وكأنهم يحدثون الصبيان والأطفال، قال: وكلامهم صريح في التشبه وقد تبعم خلق من العوام وفضحوا التابع والمتبوع. انتهى». والكتاب الذي أشار إليه اليافعي هو (دفع شبه التشبيه) وهو مطبوع فليراجع.

(٢) وإنما خصوم أحمد هم الذين انتموا إليه كذباً وخالفوه في التنزيه، وقال الحافظ ابن شاهين (رجلان صالحان بلياً بأصحاب سوء: جعفر بن محمد الصادق وأحمد بن حنبل) رواه ابن عساكر بطريق أبي ذر الهروي راوية الجامع الصحيح يريد الروافض والمجسة.

ابن حنبل الرضى الشيباني ولاي شيء كان أيضاً خصمكم شيخ الوجود العالم الحراني<sup>(١)</sup>.

(١) ونحن معاصر أهل الحق لا نبالي بعداء مثله من المبطلين ولا نزال نطن في آذان رواد الحقائق شوذاً ابن تيمية السخيفة باطلاعهم عليها في مؤلفاته نفسه وفيما رواه ثقات أهل العلم عنه وكلمته فيما رد به على الرازي في المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدراري بظاهرة دمشق حيث قال: «لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته فكيف على عرش عظيم آية من آيات خرقه وحقه فليصدق من شاء من الخرفي مثله على عدائه لأهل الحق والمراسيم الملكية الصادرة في حقه بعد محاكمته أمام جماعة كبار العلماء في عصره مسجلة في كتب التاريخ وكتب خاصة مثل عيون التواريخ ونجم المهتدي ودفع الشبه وغيرها، ولا بأس أن أسجل هنا صورة منها بالنقل من خط الحافظ شمس الدين بن طولون وهي كما رأيتها بخطه رحمه الله: نسخة مثال شريف سلطاني ملكي تاريخه ثامن عشري رمضان سنة ٧٠٥.

#### أحد المراسيم الصادرة في حق ابن تيمية

الحمد لله الذي تنزه عن الشبه والنظير، وتعالى عن المثال فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ كَتِيمٌ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب ورفع في إيماننا أسباب الشك والارتياب، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير ونزه خالقه عن التحيز في جهة لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي نهبج سبيل النجاة بما سلك طريق مرضاته وأمر بالتفكير في آياته ونهى عن التفكير في ذاته - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حلا بهم منار الإيمان - ورفع رشيد بهم قواعد الشرع وما شرع، وأخذ بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع. وبعد، فن العقائد الشرعية وقواعد الإسلام المرعية وأركان الإيمان العلية ومناهب الدين المرضية هي الأساس الذي يبنى عليه والموئل الذي يرجع كل أحد إليه والطريق الذي من سلكها فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً، فلهذا يجب أن نقتل أحكامها ويؤكد دوامها وتضان عقائد هذه الملة عن الاختلاف وتزان بالاتلاف وتخدم نوازل البدع ويفرق من فرقها ما اجتمع، وكان التقي ابن تيمية في هذه الملة قد بسط لسان قلمه ومدّ عنان كلمه وتحدث في مسائل الصفات والذات، ونص في كلامه على أمور منكرات وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون وفاء بما تجنيه السلف الصالحون وأنى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العباد وخالف في ذلك فقهاء عصره وعلماء شامه ومصره وبعث برسائل إلى كل مكان وسقى فتاواه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان فلما اتصل بنا أنه صرح في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم، قمنا في الله مشفقين من هذا النبا العظيم. وأنكرنا هذه البدعة وعز علينا أن يسبح عمن تضم ممالكنا هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله سبحانه وتعالى عما يصفون، فإنه جل جلاله تنزه في ذاته وصفاته عن التعديل والنظير ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْبَاسُوتُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَاسُوتَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وتقدمت مراسيمنا باستدعاه التقي ابن تيمية إلى أبوابنا عندما سارت فتاواه في شامنا ومصرنا، وصرح فيها بالفاظ =

ما سمعها ذو فهم إلا وتلا ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا كَبِيرًا﴾ [الكهف: ٧٤] ولما وصل إلينا تقدمنا بجمع أولي العقد والحل وذوي التحقيق والنقل وحضر قضاة الإسلام وحكام الأنام وعلماه الدين، وفقهاء المسلمين وعقدوا له مجلس شرع في ملأ من الأئمة وجمع، فثبت عند ذلك جميع ما نسب إليه بمقتضى خط يده الدال على سوء معتقده، وانفصل ذلك الجمع وهم عليه وعلى عقيدته منكرون وأخروه بما شهد به قلمه فانلین ﴿سَكَنُكُمْ سَهْدَهُمْ وَرَمْتَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] وبلغنا أنه استتيب مراراً فيما تقدم وأخره الشرع لما تعرض إليه وأقدم ثم عاد بعد منعه ولم تدخل تلك النواهي في سماعه ولما ثبت عليه ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكي حكم الشرع الشريف أنه يسجن هذا المذكور ويمنع من التصرف والظهور، ومن يومنا هذا نأمر بأن لا يسلك أحد مسلك المذكور من المسالك، وننهي عن التشبه به في اعتقاده مثل ذلك، أو يعود له في هذا القول متبعاً أو لهذه الألفاظ مستمعاً، وأن يسري في التجسيم مسراه، أو يفوه بعد العلو مخصصاً كما فاه أو يتحدث إنسان في صوت أو حرف أو بوسع القول في ذات أو وصف أو ينطق بتجسيم أو يحيد عن الصراط المستقيم أو يخرج عن رأي الأئمة وينفرد به عن علماء الأمة أو يحيز الله تعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا إلا السيف، فليقت كل واحد على هذا الحد، وله الأمر من قبل ومن بعد، ويلزم كل الحنابلة بالرجوع عما أنكروه الأئمة من هذه العقيدة والخروج من هذه التشبهات الشريفة ولزوم ما أمر الله به والتمسك بأهل المذاهب الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضلّ سواء السبيل، وليس له غير السجن الطويل مستقراً ومقيلاً، فقد رسمنا أن ينادي في دمشق المحروسة والبلاد الشامية وتلك الجهات مع التهي الشديد والتخويف والتهديد أن لا يتبع التقي ابن تيمية في هذا الأمر الذي أضحناه، ومن تابعه منهم تركناه في مثل مكانه وأحللناه ووضعناه عن عيون الأمة كما وضعناه، ومن أعرض عن الامتناع وأبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم وإسقاطهم من مراتبهم، وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا قضاء ولا إمامة ولا شهادة ولا ولاية ولا إقامة، فإننا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد وأبطلنا عقيلته التي ضلّ بها العباد أو كاد، ولتجت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك ولتسير إلينا المحاضر بعد إثباتها على قضاة الممالك، فقد أعددنا حيث أنذرتنا، وأنصفنا حيث حذرنا، وليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ليكون أبلغ واعظ وزاجر وأجمل ناه وأمر، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، الحمد لله، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

اتتهى ما رأيت بخط الحافظ ابن طولون في المجموعة الحسينية التي كان فيها الدرّة المضية والمقالة في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية للتقي الأختالي والاعتبار في بقاء الجنة والنار ودفع شبه من شبه وتمرد وغيرها، ونص المرسوم المقروه على الجمهور على منبر جامع القاهرة بعد صلاة الجمعة وعلى منبر جامع الفسطاط بعد العصر سلخ رمضان مدون في نجم المهتدي لابن المعلم القرشي. وما قرىء على منبر جامع دمشق بعد وصول ابن صصري القاضي من مصر به في اليوم السادس عشر من شهر ذي القعدة سنة سبعمئة وخمس مدون في دفع الشبه للتقي الحصني وما نقلناه هنا من المراسيم التي قرئت على منابر البلاد الشامية وألفاظ تلك المراسيم كلها متفارة في المعنى وفي ذلك كله عبر بالغة، فمأذا علينا من عداة مثل هذا =

وبالغ هذا الخبيث في الأفذاع والسفاهة بما هو صفته ونسي قول فرعون كما حكى القرآن الكريم: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القَصَص: ٢٨] وتجراً على علماء المسلمين بما لو نقلناه لطال ولا يحتمل الإبطال.

### فصل

قال: «وثامن عشرها تنزيهه سبحانه عن موجب النقصان، فلاي شيء لم ينزه نفسه عن الفرقية».

فنقول قد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

### فصل

قال: «وتاسع عشرها إلزام المعطل لأي شيء لم يصرح النبي ﷺ بنفي هذا»<sup>(١)</sup>.

ثم استمر هذا السفيه على سفيه.

### فصل

قال: «والعشرون نصوص الاستواء»<sup>(٢)</sup> سبع والفوق ثلاث والعلو خمسة والتزول

= القاتن المفتون، ومن أحاط علماً بما نقلناه في هذا الكتاب وغيره من نصوص عباراته وتأكد من الأصول صدق النقل واستمر على مشايخته وعلى عده شيخ الإسلام فعليه مقت الله وغضبه، ومن أشبه في شيء مما نقلناه فنحن على استعداد أن نسهل عليه سبيل الاطلاع على الأصول إن كان لا يكفيه ما يراه بنفسه في منهاجه ومعقوله ونحوهما من كتبه المطبوعة والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) ما للنفائص من آخر، فهل تدون مجلدات في نفي كل نقيصة عنه تعالى بالرواية عن النبي ﷺ وكفى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] والمحتاج إلى الإثبات هو الميت دون المتفي، وكلمة هذا الرجل هذه تقول إن الله تعالى مثبت له من النقائص ملايين الملايين مما لم ينص النبي ﷺ على نفيه بلفظ خاص، وهل يقول هذا عاقل فضلاً عن فاضل فضلاً عن إمام يعتقد تابعوه أنه وحيد الأمة فضلاً وعلماً.

(٢) ألقت نظر القاريء الكريم إلى أن الاستواء لم يذكر في تلك الآيات إلا بصيغة الفعل المقرونة بأداة التراخي في بعضها، وذلك نص على أن الاستواء فعل من أفعال الله سبحانه لا صفة ذات له تعالى، وجب الإله أن تحدث له صفة بعد أن لم تكن ومن قال إنه مستوٍ نطق بما لم يأذن الله به كاتلاً من كان ومن زاد وقال استوى بذاته بمعنى استقر فهو عابد وثن خيالي إن لم يكن عامياً.

أكثر من سبعين نصاً، والسماء منظر به لم يسمح المتأخرون بنقله جيناً<sup>(١)</sup> وضعفاً بل قاله المتقدمون».

هذا الرجل كما قال الله تعالى: ﴿فَيَتِيمُونَ مَا كُتِبَتْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٧].

## فصل

قال: «والحادى والعشرون إتيان رب العرش ومجيئه<sup>(٢)</sup> من أين يأتي لا يأتي إلا

(١) وروى الحشوية في تفسيره الفاظاً وهي (معتلى به) و(منقلة به) و(منقلة به موقرة) و(يتط من ثقل الذات) وركبوا لها أسانيد فمن أثبت الله سبحانه نقلاً لم يدع ما لم يفه به في التجسيم، والناظم استنكر إمساك المتأخرين من ذلك حتى يباح بما في نفسه، ويحاول شيخه أن يجعل قول كعب الأحبار في ذلك مما يمكن أن يكون سمعه من الصحابة، فحاشاهم عن ذلك، وفي جزء المتبجي تلميذ الناظم في هذا الصدد مخاز، ومن علم الحالة العامة عند مبعث النبي ﷺ من هراقة البيئة في الوثنية ومنتاز الأمم المحدقة بها في التشبه والتجسيم كما أشرت إلى بعض ذلك في مقدمة تبیین كذب المفتري لا يصعب عليه معرفة وجه اندساس أعداء الدين بين الجمهور من عهد التابعين لبعث ما عندهم من صنوف الزيف بين أعراب الرواة وسطاه مواليتهم حتى وجدت تلك الأساطير من يذمها بين الأمة خلفاً عن سلف، قائلهم الله، ولولا قيام علماء أصول الدين في كل قرن بكشف الستار عن وجوه هؤلاء المخنوليين لاستفحل أمرهم وله الحمد في الآخرة والأولى، وهذا الناظم وشيخه قد جددا الكرة بسلاح جديد بتلبس معتقدتهما الزائغ بلباس النظر والفلسف تارة على طريقة صاحب المعتبر أبي البركات البغدادي اليهودي ويلباس الرواية والأثر تارة أخرى وأمرهما كما ترى مكشوف مقضوح في الحالتين بفضل الله وتوفيقه ولا غلر للمتخذين بهما بعدما سردناه في هذا الكتاب.

### نص أحمد في المجيء

(٢) قال ابن حزم: روي عن الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ رُكِّعَ﴾ [الفجر: ٢٢] إنما معناه وجاء أمر ربك كقولته تعالى: ﴿هَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّحَابَةُ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ﴾ [الشلح: ٣٢] والقرآن يفسر بعضه بعضاً. وهكذا نقله ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير، وقال البيهقي في مناقب أحمد أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني أحمد يقول: احتجوا علي يومئذ - يعني يوم نواظر في دار أمير المؤمنين - فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ رُكِّعَ﴾ [الفجر: ٢٢] إنما تأتي قدرته، وإنما القرآن أمثال ومواضع. قال البيهقي وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالاً من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجوز عليه المجيء والإتيان فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنما يجيء ثواب قرآنه التي يريد إظهارها يومئذ، فبتر عن إظهاره إياها بمجيئه اهـ.



من العلو».

ما كفاه إثبات الفوقية حتى أثبت الحركة في الإتيان.

### فصل

في الإشارة إلى ذلك من <sup>(١)</sup> السنة.

قال:

«لما قضى الله ربنا الخليقة كتبت يده كتاب ذي إحسان»

أين لفظ كتبت يده؟

قال:

«ولقد أشار نبينا في خطبة نحو السماء بأصبع وبنان»

وقال اليافعي بعد أن ساق ذلك: قال العلماء وقد يقتضي الحلف من التعظيم والتفخيم ما لا يقتضيه الذكر، وشواهد من الكتاب كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَعَلُوا الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقد أجمع المسلمون على تقدمه تعالى عن التأذي والضرر، أي يحاربون عباد الله وأوليائه، ويوضحه قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ بَيْنَهُمُ﴾ [التحل: ٢٦] ليس المراد الإتيان بلذاته بالاتفاق وإنما هو أمره ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَاهَا آتِينَهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤] اهـ. والناظم وشيخه يدعيان الانتماء إلى أحمد ولا يتابعانه في التنزيه كما رأيت نصوص أهل العلم عن أحمد فلا ينخدعن الموفق بشرئرتيها المفضوحة وتوهيها المصطنع وإنما ذلك وقاحة منهما فأتلهما الله، ما أجرهما على الله تعالى.

### معنى كتب ريكم على نفسه بيده

(١) قد أجمع أهل الحق على أنه لا يجوز إثبات صفة الله سبحانه بدون دليل يفيد العلم ولهم في ذلك أدلة ناصحة قال أبو سليمان الخطابي في (الناصحة) لا يجوز أن يعتمد في الصفات إلا على الأحاديث المشهورة التي قد ثبتت صحة أسانيدنا وعدالة ناقلها اهـ. ثم أقام التكير على قوم من أهل الحديث تعلقوا برواية المغاريد والشواذ في الصفات، وتكفي بهذه الإشارة هنا. ولم يقع كتبت يده في الصحيح عند ذكر حديث «سبقت رحمتي غضبي»، وأما ما في ابن ماجه فبطريق ابن عجلان وقد ضعفه البخاري ولم يكن مالك برضاه في الصفات فلا حجة في رواية مثله على أن لفظه «كتب ريكم على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق رحمتي سبقت غضبي» قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رِيكُم عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فكذب إذا تعدى بلفظ على يكون بمعنى أوجب، فيكون معنى الحديث أوجب على نفسه بلماته لا بإيجاب أحد سواه، واستعمال (بيده) بمعنى بذاته شائع كثير، والإيجاب على النفس بمعنى الوعد والوجوب عن الله لا الوجوب على الله. ليس هناك خطأ ولا مخطوط، ومن الدليل على ما قلنا أن الخط حادث مخلوق فكيف يتصور أن يكون قبل الخلق خلق فلا تغفل مع الغافلين.

تقدم جوابه .

قال : «ولقد أتى في رقية المرضى نص بأن الله فوق<sup>(١)</sup> سمائه وخبر رواه العباس أن الله فوق العرش<sup>(٢)</sup> .

وإذ ذكر حديث حصين<sup>(٣)</sup> بن المنذر الثقة الرضى أعني أبا عمران إذ قال : ربي في

(١) ولفظ الحديث «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك» يدور هذا اللفظ بين أن يكون بمعنى أنه تقدس اسمه في السماء لأن أهل السماء كلهم منزّهون بخلاف أهل الأرض وبين أن يكون بمعنى أنه في السماء واستحالة الثاني تعين الأول والناظم غير اللفظ وادعى أنه نص تحريفاً للكلم على أن في سننه زيادة ابن محمد وهو منكر الحديث والناظم يستدل بالمنكر في الصفات مع تغيير نص الرواية والحديث مخرج في سنن أبي داود .

(٢) في رواية عبد الرزاق (والله فوق ذلك) ولفظ فوق العرش وإنما وقع في بعض الروايات كما سبق على أن الحديث انفرد به سماك . وشيخه عبد الله بن عميرة لم يدرك الأحنف كما نص عليه البخاري فضلاً عن أن يدرك عباساً مع كونه مجهول الصفة، وتحسين الترمذي باعتبار أنه مروى عن سماك بطرق لا بمعنى أنه محتج به حيث قال حسن غريب ثم ذكر وقفه عن شريك عن سماك فتكون في رفعه حلة أيضاً، ويحيى بن العلاء في مسند عبد الرزاق متروك، هكذا تكون حجج الناظم في السنة لا يبالي أن يكون الحديث من المفاريد أو أن يكون فيه منكر أو مجهول أو انقطاع . دعنا من تخريج الضياء وقد عرف الناس مذهبه في الصفات وقال ابن العربي في العارضة عن حديث الأوهال هذا : وروى غير ذلك ولم يصح شيء منه وإنما هي أمور تلففت من أهل الكتاب ليس لها أصل في الصحة وقد روي أن النبي ﷺ أنشد قول أمية بن أبي الصلت :

رجل وثور تحمت رجل يمينه والنسر لالأخرى ولبت مرصد  
ولم يصح اهـ .

سخف عثمان بن سعيد في التمسك بحديث

حصين في الفوقية

(٣) غلط الناظم في اسم والد حصين كما يظهر من الكتب المؤلفة في الصحابة، وإسلام حصين صاحب القصة مختلف فيه ووصفه بالثقة الرضى مطلقاً مجازة وأقل ما يقال فيه إنه لم يكن ثقة ولا رضي حين المحادثة على تقدير ثبوت الخبر ولنا في صدد استقصاء جهالات الناظم ويورد بحديث حصين ما رواه أحمد بن منيع عن أبي معاوية عن شبيب بن شيبه عن الحسن عن عمران بن حصين قال : قال النبي ﷺ لأبي : «كم تعبد اليوم إلهاً؟ فقال : ستة في الأرض وواحد في السماء، قال : فأبهم تعبد لرغبتك ووهبتك؟ قال : الذي في السماء . قال : يا حصين، أما إنك لو أسلمت علمت كلمتين ينفعانك، فلما أسلم قال : يا رسول الله علمني الكلمتين، قال : «قل اللهم ألهمني رشدي وأعدني من شر نفسي» . وأخرجه عثمان بن سعيد السجزي الدارمي عن ابن منيع إلى «الذي في السماء» فقط في كتاب النقص محتجاً به على إثبات الحد والنهاية والمكان له تعالى حتى قال : فلم ينكر النبي ﷺ على الكافر إذ عرف أن إله =

السماء لرغبتي ولرهبتي أدعوه كل أوان، فأقره الهادي البشير ﷺ ولم يقل أنت المجسم قائل مكان واذكر شهادته لمن قال ربي في السماء<sup>(١)</sup> بالإيمان وشهادة المعطل له بالكفران، وحديث<sup>(٢)</sup> الأبيط، وحديث النزول<sup>(٣)</sup> وحديث<sup>(٤)</sup> ابن رواحة،

= العالمين في السماء فحسين الخزامي في كفره يومئذ كان أعلم بالله من المرسي وأصحابه... وقد انفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء وحلوه بذلك.. وكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية اهـ راجع معقول ابن تيمية في هامش منهاجه (٢ - ٣٠) تجده يتقل ذلك عنه بنصه وفصه بدون استنكار، والناظم أتبع له من ظله في كل صنير وكبير ﴿وَيَنْزِلُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ فِيكُمْ رَسُولًا﴾ [التور: ٤٠] وعثمان الدارمي هذا مجسم قبح كما ترى وهو إمام الناظم وشيخه وإسلام عمران بن حصين أيام خبير وهذه المحادثة وقعت قبل الهجرة وحصين مشرك ولا يكون من التفرير في شيء ما يشاهده النبي ﷺ في المشرك وصكت عليه، وكيف يتصور عاقل أنه أقره على ما يدعيه الناظم؟ إذ من المحال أن يقره على ستة في الأرض، على أن عرضة الإسلام يدل على استنكار ما قاله حسين وعلى أنه كان على شر وضلال فيما قال، وشيبي بن شيبه ضمهفه النسائي وغيره ويمثل هذا السند لا يستدل في الأعمال فضلاً عن الاستدلال به في المعتقد، وأما ما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد فيلفظ آخر زيد فيه كلمة إنقاداً للموقف لكن في سنده عمران بن خالد وحاله أسوأ من أن يقال: إنه ضعيف بل هو مكشوف الأمر والروايتان مختلفتان فلا تجمعان ولا تلفقان ولا ينقل هذا الموقف بمثل ذلك الترفيع، فليتنق الناظم رب العالمين من أن يسوق في صفات الله سبحانه أمثال تلك الروايات.

(١) وليس في رواية يحيى الليثي عن مالك لفظ «فإنها مؤمنة» في حديث الجارية وقد سبق بيان اضطراب هنا الحديث سنداً ومتناً وعدم صلاحية مثله للاحتجاج إلا في الأعمال دون المطالب الاعتقادية وقد حمل الشريف الجرجاني لفظ «أين» في الحديث على السؤال الاستكشافي، ومن أهل العلم من قال إن العامي الذي يعلو عن مداركه التنزيه عن المكان يرخد بالرفق ويعذر لهذا الحديث بخلاف من عنده بعض إمام بالعلم، وجعل ابن رشد الحفيد لصاحب البرهان شأناً غير شأن العامي في ذلك، وقد سبق بسط ذلك كله.

(٢) قال الذهبي في كتاب العلو: لفظ الأبيط لم يأت به نص ثابت اهـ. وقد ألف الحافظ أبو القاسم بن عساكر جزءاً سماه (بيان التخليط في حديث الأبيط) بين فيه وجوه التخليط في روايات الأبيط فلا حاجة لتكلف التأويل بعد ثبوت يطلان تلك الروايات.

(٣) وقد سبق بيان ما فيه كفاية في هذا الصدد فلا نعيد الكلام بدون موجب.

#### الشعر المنسوب إلى ابن رواحة

(٤) يشير به إلى ما ينسب إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه من أنه أشد:

شهدت بأن وعد الله حقاً وأن النار مشوى الكافرينا

وأن العرش فوق السماء طفاف وفوق العرش رب العالمينا

إيهاماً لامرأته أنه يتلو القرآن دفماً لما اتهمت به من نيله جارية له حتى قالت زوجته أنت بالله وكذبت عيني اهـ وهذه قصة تذكر في كتب المحاضرات والسامرات دون كتب الحديث =

والمعراج<sup>(١)</sup> وقريظة<sup>(٢)</sup>، وصعود الروح<sup>(٣)</sup> عند الموت، وسخط الله<sup>(٤)</sup> على المرأة

= المعتمدة ولم ترد في كتب أهل الحديث بسند متصل ولو من وجه واحد وأما ما وقع في الاستيعاب من قول ابن عبد البر (روناه من وجوه صحاح) فهو واضح من النسخ وأصل الكلام (من وجوه غير صحاح) فنقط لفظ (غير) فتأبعت النسخ على السهو إذ لم يجد أهل الاستقصاء سنداً واحداً يحتج بمثله في هذه القصة بل كل ما عندهم في هذا الصدد أخبار منقطعة وما يكون في عهد ابن عبد البر مروياً بطرق صحيحة كيف لا يكون مروياً عند من بعده ولو بطريق واحد صحيح؟ وهذا يعين ما قلناه من سقوط لفظ (غير) في الكتاب. ولم يتمكن اللغوي بعد بذل جهده من ذكر سند واحد غير منقطع في القصة وأفعال الصحابة كلها جد، وجل مقدار مثل هذا الصحابي من أن يوهم صحابة أنه يتلو القرآن بإنشاده الشعر لها. وإيهام كون الشعر من القرآن ليس مما يقر عليه النبي ﷺ فمن الخبر نفسه يدل على البطلان. على أن الحافظ ابن الجوزي ذكر في كتاب الأذكياء أنه قال:

وفينا رسول الله يتلوه كتابه  
كما انشق مرموق من الصبح ساطع  
أرانا الهدي بعد العمى فقلوبنا  
به موقنات أن ما قال واقع  
يبسيت يجافي جنبه عن فرائه  
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع  
وأين هذا الشعر من فاك الشعر والحكاية هي هي. ولا مجال لتعدد القصة لأن المرأة لا تتخذ بمثل فاك مرتين.

(١) نحيل الناظم في حديث المعراج الذي يريد أن يستدل به هنا على ما كتبه هو نفسه في زاد المعاد في الأرواح الواقعة في حديث شريك في المعراج وقد بسط أهل العلم أغلظه فيه.

#### حديث بني قريظة

(٢) يعني ما يروى عنه ﷺ أنه قال لسعد بن معاذ حين حكم في بني قريظة بأن يقتل مقاتلتهم ونسي ذراريهم: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» وفي سننه النسائي محمد بن صالح التمار ليس بقوي، قال أبو بكر بن العربي في القواصم: لم يصح اه على أن حكم الله يطلع عليه الملائكة باطلاعهم على اللوح المحفوظ فيكون معنى كون حكمه في السماء كون حكمه في اللوح المحفوظ الذي هو في السماء.

(٣) أخرجه أحمد وابن خزيمة وفيه لفظ «حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الرب». وليس السند إليهما كالسند إلى الأصول الستة، وقد عرض عن تخريجه أصحاب الأصول الستة وهذا اللفظ منكر والظاهر أنه من تغيير بعض الرواة وقد أجمع المسلمون على أن الله سبحانه لا تحويه السماء ولا الأرض وأنه منزّه عن المكان، قال الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: إذا روى الثقة المأمون خبراً متصل الإسناد ردّ بأمور أحدها أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا اه. وأما هذا فمخالف للكتاب والسنة والمعقول في آن واحد.

(٤) ولفظ مسلم «كان الذي في السماء ساخناً عليها» وليس في هذا اللفظ التصريح بما يرمي إليه الناظم، ومثل هذا الحديث من أخبار الآحاد يحمل على المحكمات وليس في الحديث. ذكر الرب سبحانه وحمله عليه نقول وعلى فرض حمله عليه ليس معنى كونه في السماء الاستقرار والتكهن فيها باتفاق بل معنى ذلك علو الشأن، كما سبق.

التي تهجر زوجها، وحديث جابر في أهل الجنة إذا بنور<sup>(١)</sup> ساطع فإذا هو الرحمن.

وحديث فضل<sup>(٢)</sup> يوم الجمعة، وأمين<sup>(٣)</sup> من في السماء، وأذكر حديث أبي رزين<sup>(٤)</sup> ويطوله ساقه ابن إمامنا والطبراني وأبو بكر بن زهير وأذكر كلام مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَيْرَ الْكَوْنِ﴾ [الإسراء: ٧٨]... في سبحان في ذكر تفسير المقام

### حديث جابر

- (١) أخرجه ابن ماجه بطريقين العباداني وهو منكر الحديث وفضل الرفاشي ممن لا يكتب حديثه وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وأقر الذهبي بكونه ضيف الإسناد ومثله يحتج الناظم .
- (٢) غير صالح للاحتجاج بالمرّة ولا سيما في مثل هذا المطلب ولاين عساكر الحافظ جزء سماه (القول في جملة الأسانيد الواردة في حديث يوم المزيد) ويبن فيه وجوه الوهي فيها وقال إن لهذا الحديث عن أنس عدة طرق في جميعها مقال . وفي بعض طرق الحديث ما يخيل إلى الناظر أنه في احتفاء بأحد وجات العرب تعالى الله عما اختلفه أهاده الدين وركبوا له أسانيد ما أنزل الله بها من سلطان .
- (٣) وهو أمين من في الأرض من المؤمنين وأمين سكان السموات كلهم فعماذا في هذا الحديث مما يرمي إليه الناظم .
- (٤) سبق الكلام في حديث أبي رزين، ونود أن نعلم هل كان الناظم يعتقد صحة جميع ما في كتاب السنة المنسوب إلى عبد الله بن أحمد، فإذا ذلك يسقط التابع والمتبوع وجل مقدار أحمد أن يصح عنه جميع ما في الكتاب المذكور ومن طالعه من أهل العلم لا يتردد أنه ليس بكتاب يحتج بجميع ما فيه ومن جملة ما فيه: رآه على كرسي من ذهب يحمله أربعة: ملك في صورة رجل، وملك في صورة أسد وملك في صورة ثور وملك في صورة نسر، في روضة خضراء دونه فراش من ذهب . ومنها: كلمه بصوت يشبه الرعد . ومنها: أوحى الله إلى الجبال إنني نازل على جبل منك، ومنها: أن الرحمن ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون حتى إذا قام المسبحون خفف عن حملة العرش ومنها ﴿أَلَسْتُمْ تُبْهَرُونَ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] منقل وممثل به . ومنها: أنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلا قيد أربع أصابع . ومنها فأصبح ريك يطوف في الأرض... إلى آخر ما تجده في النسخة المطبوعة من كتاب السنه . وقوله فأنزل على جبل منك، يذكرنا ما أخرجه أبو إسماعيل الهروي في الفاروق عن كعب: إن الله نظر إلى الأرض فقال إنني واطيء على بعضك فاستبقت له الجبال وتضعضت الصخرة فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه فقال هذا مقامي... اهـ . وهذا الهروي المخرف يروي في ذم الكلام عن بعض قاداته أنه لا تحل ذبائح الأشعرية لأنهم ليسوا بمسلمين ولا بأهل كتاب اهـ، والله يتقم منه . وأما الطبراني فمن المعروف عند أهل النقد أنه من الذين يروون الحديث الموضوع والضعيف بدون بيان كونه موضوعاً أو ضعيفاً بل ينسب إليه تصحيح حديث عكرمة في الرقية على صورة شاب مرد... فلا حب ولا كرامة .

لأحمد<sup>(١)</sup> إن كان تجسيمياً، فإن مجاهداً هو شيخهم بل شيخه الفوقاني ولقد أتى ذكر الجلوس به.

هذه الأحاديث كلها قد ذكرها الأئمة وذكروا تأويلاتها من قديم الزمان وإلى الآن.

## فصل

### بحث ممتع في التأويل

في جناية التأويل<sup>(٢)</sup> على ما جاء به الرسول.

(١) مروى عنه بطرق ضعيفة وتفسيره بالشفاعة متواتر معنى عن النبي ﷺ فأنى بناهضه قول تابعي على تقدير ثبوته عنه؟ ومن يقول إن الله سبحانه قد أدخل مكاناً للنبي ﷺ في عرشه فيقعد عليه في جنب ذاته فلا نشك في زيغه وضلاله واختلال عقله رغم تقول جماعة البرهمانية من الحشوية وكم آذوا ابن جرير حتى أدخل في تفسيره بعض شيء من ذلك مع أنه القائل:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

ولو ورد مثل ذلك بسند صحيح لردّ وعد أن هذا سند مركب فكيف وهو لم يرفع إلى النبي ﷺ أصلاً بل نسب إلى مجاهد بن جبر، نعم لا مانع من أن يكون الله سبحانه يقعد على عرش أهله لرسوله ﷺ في القيامة إظهاراً لمنزله لا أنه يقعد ويقعد في جنبه، تعالى الله عن ذلك. إذ هو محال يرد بمثله خبر الأحاد على تقدير وروده مرفوعاً فكيف ولم يرد ذلك في المرفوع حتى قال النهي: لم يثبت في قعود نبينا ﷺ على العرش نص بل في الباب حديث واه. وقال أيضاً: ويروي مرفوعاً وهو باطل. فما ذكره ابن عطية من التأويل وسابره الألويسي فليس في محله لأن أصحاب الاستقراء لم يجدوه مرفوعاً حتى نحتاج إلى محاولة التأويل بما يمجس الذوق ومن ظن أنه يوجد في مسند الفردوس ما يصح في ذلك لم يعرف الديلمي ولا مسنده وأرسل الكلام جزافاً. جرى الله الواحد خيراً حيث ردّ تلك الأخلوقة ردّاً مشبهاً وكذا ابن المعلم القرشي وأما ما يروي عن أبي داود أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا منهم. فيطريق النقاش صاحب شفاء الصدور وهو كذاب عند أهل النقد وقال ابن عبد البر إن لمجاهد قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما تأويل المقام المحمود بهذا الإجماع والثاني تأويل ﴿إِنَّ رَبَّكَ نَازِلٌ﴾ [القيامة: ٢٣] بانتظار الثواب. وقتة أبي محمد البرهاري بيخدا في الإقعاد وصمة عار بابي أهل الدين أن يميلوا إليها لاستحالة ذلك وتضافر الأدلة على تفسير المقام المحمود بالشفاعة وإنما هذه الأسطورة تسربت إلى معتقد الحشوية من قول بعض النصاري بأن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء وقعد في جنب أبيه، تعالى الله عن ذلك فحاولوا أن يجعلوا للنبي ﷺ مثل ما جعله النصاري لعيسى عليه السلام كسابقة لهم، تعالى الله عن ذلك، فعليك أن تهتم من يقول إنهم من ينفي حديث الإقعاد في جنب الله عز وجل.

(٢) من كلام العرب ما يفهم منه مراد المتكلم بمجرد سماعه بدون احتياج إلى التدبر ومنه ما لا يفهم المراد منه إلا بعد التأمل فيما يؤول إليه ذلك الكلام والتأويل تبين ما يؤول إليه الكلام =

بعد التدبر فمن نفى التأويل جملة وتفصيلاً فقد جهل الكتاب والسنة ومناحي كلام العرب في التخاطب. وأبو يعلى الحنبلي المسكين - من أئمة الناظم - ألف كتاباً سماه [إبطال التأويلات في أخبار الصفات] أتى فيه بكل طامة حتى قال عنه أبو محمد رزق الله التميمي الحنبلي: لقد بال أبو يعلى على الحنابلة بولة لا يغسلها ماء البحار. كما ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، ولفظ ابن الأثير في الكامل أفتقع وأما لفظ ابن الجوزي في دفع الشيع فرواية بالمعنى، وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في دفع شبه التشبيه كثيراً من مخازينه بل في تأسيس ابن تيمية نقول كثيرة من كتاب [إبطال التأويلات] منها إثبات الحد له تعالى من الجانب الأسفل، تعالى الله عن ذلك. ويأسف الإنسان كل الأسف أن يفضل مثل أبي يعلى هذا الضلال وما ذلك إلا من عدوى خلطاته، فلو كان والده الذي كان من أحص أصحاب أبي بكر الرازي الجصاص رأى ما آل إليه أمر ابنه اليتيم عنه لبكى بكاء مرأ وتبرأ منه ومن عقابته. ومما زاد في وهلات الكتاب اعتداده بكل خبر غير مميز بين المختلف وغيره. ولأبي يعلى هذا كتاب المعتمد في المعتمد وهو قريب إلى السنة ونرجو أن يكون هذا آخر مؤلفاته ليكون قاصياً على ما سلف منه وإلا فباللعار والنار من مسaire الأشرار، فمن أول في كل موضع فهو قرمطي كافر، ومن أبي التأويل في كل آية وحديث فهو حجري زائع كابن الفاعوس الحنبلي الذي لقب بالحجري حيث كان يقول إن الحجر الأسود يمين الله حقيقة قال أبو بكر بن العربي عن الظاهرية:

قالوا الظواهر أصل لا يجوز لنا عنها العدول إلى رأي ولا نظر

بينوا عن الخلق لسم منهم أبداً ما للائام ومعلوف من البقر

وقد قال ابن عقيل الحنبلي «هلك الإسلام بين طائفتين: الباطنية والظاهرية والمحق بين المتزئتين وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم بصرفنا عنه دليل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع» وللغزالي جزء لطيف سماه قانون التأويل وهو يقول فيه عند البحث فيما إذا كان بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر: «والخائفون فيه تحزبوا إلى مفرط يتجرى النظر إلى المنقول وإلى مفرط يتجرى النظر إلى المعقول وإلى متوسط طمع في الجمع والتلفيق والمتوسطون انقسموا إلى من جعل المعقول أصلاً والمنقول تابعاً وإلى من جعل المنقول أصلاً والمعقول تابعاً وإلى من جعل كل واحد أصلاً»: ثم شرح هؤلاء الأصفان الخمسة شرحاً جيداً لا يستغني عنه باحث، حفظنا الله سبحانه من الإنزاط والتفریط وسلك بنا سواء السبيل وفي الاطلاع على جزء الغزالي هذا فوائد في هذا الصد.

### قول ابن حجر في التأويل

وأما قول ابن حجر في فتح الباري «إنه لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة بطريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك - يعني المتشابهات - ولا النسخ من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه ربه وينزل عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبه إليه تعالى وما لا يجوز مع حثه على التبليغ عنه بقوله ﷺ: «يلبغ الشاهد الغائب» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرته فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراد الله تعالى منها ووجب تنزيهه عن =

= مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سيلهم وبالله التوفيق اهـ.

فليس مما يستطيع الحشوي أن يتخذ سنداً في ترويح مزاعم المشبهة - رغم محاولة بعضهم ذلك لأن في سياق كلامه ما يحتم التفويض مع التنزيه وهو مذهب جمهور السلف وليس أحد من أهل العلم يمنع من إجراء المتشابه في الكتاب والسنة المشهورة على اللسان بدون خوض في المعنى فمن خاض وحمل على ما يتأفي التنزيه فهو الذي خالف سيلهم، بل الصحابة كلهم أجمعوا على تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله ومن ضرورة ذلك صرف الألفاظ المستعملة في الخلق عن معانيها المتعرفة بينهم إلى معاني تتسامى عنها عند نسبة تلك الألفاظ إلى الله سبحانه على مقتضى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو تأويل إجمالي وأما تعيين تلك المعاني المتساوية تفصيلاً بقرائن قائمة فمما يختلف مبلغ انتباه أهل العلم إليه على اختلاف ما أتاهم الله من الفهم فمن بان له وجه الكلام كوضح الصحيح يسلك طريق التبيين بل يدخل هذا المتشابه في حقه في عداد المحكم - وذلك كالتفري بالنسبة إلى الحدسي وكم من نظري متصعب عند أناس يكون حدسياً مكشوفاً عند أناس آخرين - فأحدث النزول مثلاً إبعادها عن معان توجب التشبيه والنقلة موضع اتفاق بين أهل الحق سلفاً وخلفاً وحملها على المجاز في الطرف أو على الإسناد المجازي استعمال عربي صحيح وموافق للتنزيه وقد يرجع عند بعضهم الأول وعند بعضهم الثاني، ولكن الذي صحَّ عنده رواية الإنزال أو اطلع على صحة حديث أبي هريرة في سنن النسائي «إن الله عزَّ وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر سناداً يقول هل من داع فيستجاب له» يجزم بإعادة الإسناد المجازي في باقي الروايات فيخرج حديث النزول في نظره من عداد المتشابه ويدخل في عداد المحكم حيث رده إليه.

#### تحقيق ابن دقيق العيد

قال الإمام المجتهد ابن دقيق العيد: «إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف، أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفرعيين اهـ».

وهذا كلام نفيس جداً ينبىء عن علم جم، وصراحة في بيان الحق، وتوسط حكيم بخلاف كلام الذين يسعون في إرضاء الطوائف بكلام معقد مشابه يفتح باب التقول لمن بعدهم من الزائغين في المنشابهات، وأين هؤلاء من ابن دقيق العيد في الشروي والأمانة والصراحة والتحقيق والجمع بين الأصلين والفقه والحديث؟ وعن ابن دقيق العيد هذا يقول ابن المعلم: (كان مبارزاً لأهل البدع من الحشوية والصوتية والفاطليين بالجهة... منكرأ عليهم بيده ولسانه ولفظه وجتانه يغري ويؤلب عليهم ولا يدع لهم رأساً قائمة إلا اقتطعها ولا شجرة يخشى شرها إلا اقتلعها) فتبين من ذلك أن المسلم في سعة من التفويض والتأويل فالأول في حينه أسلم والثاني بشرطه أحكم فلا يتصور أن ينقل التصريح بوجود التأويل التفصيلي عن الصحابة لأنه لو نقل لوجب التأويل التفصيلي على العالم والجاهل على حد سواء وهذا مما يرا منه الشرع الحنيف.



## صنيع الصحابة في التأويل

وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يخوضون في المعضلات حرصاً منهم على معتقد الذين قرب عهدهم بالجاهلية وتدريباً لهم على الأعمال النافعة دون المماحكات الفارغة، لأن الخوض فيها يضر ولا ينفع في شخص دون شخص وفي رقت دون وقت - وعمل الفاروق رضي الله عنه في صبيح معروف - ولم يتقاعص الصحابة عن الإجابة عند حدوث ضرورة كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع نافع بن الأزرق فلا يكون المؤول بشرطه مخالفاً للصحابة رضي الله عنهم بل مقتدياً بهم، وقد سرد المحدث النظار الفخر بن المعلم القرشي الشافعي في (نجم المهتدي) في باب خاص منه نماذج كثيرة من التأويلات المروية عن الصحابة والتابعين وقد اكتظت كتب التفسير بالرواية بما روى عنهم في هذا الصدد، وكانت الصحابة يفهمون بلسنتهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ ولم يكن يصعب عليهم فهم ما يستعصي فهمه على كثير ممن تأخر زمنه عن زمن الوحي، ولم يقع في كلام أحد منهم شيء ينافي التنزيه أصلاً وأما ما وقع في بعض الروايات مما يوهم ذلك فمن تغيير أعراب الرواة وأعاجمهم والرواية بالمعنى من غير فقهاء الرواة في حاجة إلى التقيب والنظر وحيث كان غالب ألفاظ الروايات ألفاظ الرواة - على حسب فهمهم المعاني - لا يعول محققو علماء العربية في اللغة على ألفاظ الحديث الروي بالمعنى فكيف يتصور أن يتخذ علماء أصول الدين ألفاظ هؤلاء الرواة - على حسب أفهامهم - حجة في دين الله من غير نظر فيما إذا كان مخالفاً للتنزيه والبراهين القائمة؟ والحاصل أن التفويض مع التنزيه مذهب جمهور السلف لانتفاء الضرورة في عهدهم والتأويل مع التنزيه مذهب جمهور الخلف حيث عرّف لهم ضرورة التأويل لكثرة الساعين في الإضلال في زمنهم، وليس بين الفريقين خلاف حقيقي لأن كليهما منزّه ومن أهل العلم من توسط بين هؤلاء وهؤلاء كما أشرت إليه.

وأما المشبهة فتراهم يقولون: نحن لا نؤول بل نحمل آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها. وهم في قولهم هذا غير متبهيين إلى أن استعمال اللفظ في الله سبحانه بالمعنى المراد عند استعماله في الخلق تشبيه صريح وحمله على معنى سواه تأويل على أن الأخبار المحتج بها في الصفات إنما هي الصحاح المشاهير دون الوجدان والمفاريق والمناكير والمنقطعات والضعاف والموضوعات مع أنهم يسمون جميعها في ساق واحد في كتب يسمونها التوحيد أو الصفات أو السنة أو العلو أو نحوها.

## اضطراب الحشوية

ومن الأدلة القاطعة على رد مزاعم الحشوية في دعوى التمسك بالظاهر في اعتقاد الجلوس على العرش خاصة قوله تعالى: ﴿وَأِنَّا سَأَلْنَاكَ يَكْسَاؤِي عَنِّي فَأَبَى فَكُنْتُ لَكَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبَغِ مِنْ حَيْثُ أَرَادَ﴾ [ق: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَجِدُّ وَالْقُرْبَى﴾ [الملك: ١٩] وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِحَبْلِ جَهَنَّمَ﴾ [نفسلت: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَوَقُّوا مَعْرَكَةَ إِتْنِ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إلى غير ذلك مما لا يحصى في الكتاب والسنة المشهورة مما ينافي الجلوس على العرش وأهل السنة يرونها أدلة على تنزه الله سبحانه عن المكان كما هو الحق فلا يبقى =

للحشوية أن يعملوا شيئاً إزاء أمثال تلك النصوص غير محاولة تأويلها مجازفة أو العدول عن القول بالاستقرار المكاني فإين التمسك بالظاهر في هاتين الحالتين؟ وهكذا سائر مزاعمهم على أن من عرف أقسام النظم باعتبار الوضوح والخفاء وأقرّ بكون آيات الصفات وأخبارها من المتشابه كيف يتصور في هذا المقام ظاهراً يحمل المتشابه عليه؟ وإنما حقه أن يحمل المتشابه في الصفات على محكم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] بالتأويل الإجمالي ومن الحشوية من يزعم أن الآية المذكورة متشابهة لبنتكب الحمل المذكور، بل منهم من بلغ به الكفر إلى حد أن يقول (له ساق كسافي هذه والمراد بالآية نفي المماثلة في الإلهية لا في كل أمر) كما تجد ذلك في ترجمة العبدري الظاهري في تاريخ ابن عساكر. وهذا كفر بواح، فتلاوة المشبه الآية المذكورة لا تفيد بمجرد التزيه بالمعنى الذي يفهمه أهل الحق من الآية فلا تغفل ولا تنخدع فمن المضحك المبكي تمسكهم مرة في نفي العلم بالتأويل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ﴾ [آل عمران: ٧] باعتبار الوقف على الاسم الكريم مع دعوى الحمل على الظاهر، وزعمهم أخرى أن التأويل بمعنى التفسير مع الوقف على ﴿وَأَلْبِشُوا فِي آلِهَتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٧] مذهبهم أنهم يعلمون تأويل المتشابه باعتبار أنهم من الراسخين في العلم ومجتريين على النطق بكلمات في المتشابهات لا ينطق بمثلها من يخاف مقام ربه، وأما أهل الحق فلا يدعون معرفة جميع التأويل بل يفوضون علمه إلى الله ويردون المتشابه إلى المحكم جملة وتفصيلاً ولا يحملون لفظ التأويل في تلك الآية على خلاف معناه المعلوم من السياق بل يحمل بعض المحققين منهم النفي في الآية - بالوقف على لفظة ﴿الله﴾ كما هو المؤيد دراية ورواية - على سلب العموم دون عموم السلب بالنظر إلى أن التأويل مصدر مضاف فيكون من ألفاظ العموم فيانصباغ النفي على العموم يكون المعنى: ما يعلم غيره تعالى بنفسه جميع التأويل وهذا لا يمانع معرفة الرسول ﷺ جميع التأويل بتعليم الله سبحانه وحياً ولا يمنع أهل العلم من الأمة من السعي في معرفة ما دون الجميع من التأويل كما هو حكم رفع الإيجاب الكلي، ومنهج كثير من السلف الذين اختاروا الوقف على لفظة ﴿الله﴾ فضلاً عن الخلف وبهذا تعرف قيمة ما أطال به ابن تيمية الكلام في تفسير سورة الإخلاص مظاهراً بالمسايرة مع الخلف مخادعة منه في صدد توهين الرقف على لفظة ﴿الله﴾ مع إخراج التأويل عن معناه ليمكن من حمل المتشابهات على معتقد الحشوية، فإذا تدبرت كلامه الطويل هناك تحت نور هذا البيان تجده يضمحل ويذهب هباء ومن الطريف تأويل التأويل ممن يتكر التأويل ويدعي الأخذ بالظاهر.

ثم إنني أوصي الشحيح بدينه أن لا يلتفت إلى كلام مثل البرهان الكوراني (وله أمثال) ممن ضاع صوابه بين نزعات متضاربة من حشوية وتصوف وفلسفة وكلام حيث أطلق عنان الهذيان في التلفيق بينها من غير أن يستبحر في علم منها والكلام بعد الاستطراف المجرد موقع في التحريف ومصداق ذلك في (الأمم لإيقاظ الهمم) له في (ص ٢٣ - ٢٦) منه فما يرويه فيه عن كتب تنسب إلى الأشعري على خلاف ما هو مدون في كتب أصحابه وأصحاب أصحابه ليس بموضع تعويل لمنافاته لنقل الكافة وإبادة الحشوية لكتبه في قنن بغداد ولتصرفهم في البقية الباقية التي يذمونها بما يخالف نقل الكافة ولعدم روايتها سماعاً بطريق أهل السنة، كما بينت =

فذكر أن التأويل أصل كل بلية ثم قال: «والتأويل الصحيح هو تفسيره وظهور معناه كقول عائشة يتأول القرآن وحقيقة التأويل معناه الرجوع إلى الحقيقة لا خلف بين أئمة التفسير في هذا، تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر<sup>(١)</sup> ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان ولا نفي الحقيقة».

= ذلك في موضع آخر. وأما ما يرويه عن عبد الغني المقدسي بسنده عن الشافعي من الاعتقاد فيباطل موضوع وثي سنده العشاري وأبو العز بن كادش وسيأتي حالهما في أواخر الكتاب وعبد الغني نفسه ليس ممن يقبل قوله في الصفات، راجع ذيل الروضتين. فلا يعمل على مثل هذا السند إلا مثل الكوراني.

### التجلي في الصور

وقول الكوراني بالتجلي في الصور مجون في مجون وجنون ليس فوقه جنون، وقال أبو بكر ابن العربي في القواصم والمواصم (٢ - ٢٨) فيمن يحمل حديث «... فيأتيهم في صورة ثم يأتيهم في صورة أخرى... على التبدل والانتقال والتحول: إنه ليس من أهل القبلة بل حكم بخروجه أصلاً وفرعاً من السلة. وحمل الصورة على ظاهرها فضيحة ليس فوقها فضيحة - والله هو الهادي.

(١) وحمل التأويل على معنى التفسير في باب المتشابهات تحريف للكلم عن مواضعه وملاحظة ظاهر للمتشابه جهل بأباه كثير من العامة فضلاً عن الخاصة وقد رضي الناظم لنفسه بهذا الجهل وأنى يتصور ظاهر في متشابه؟ فالظاهر في اللفظ يقابل الخفي فلا يتصور حيث لا يكون المدلول عليه واضحاً فلا يعقل أن يلاحظ هذا المعنى في المتشابه الذي هو غاية في الخفاء، وأما في أصول الفقه فهو بمعنى الراجع من الاحتمالين بالوضع أو بالدليل وهو من أقسام الوضوح المقابل للخفاء الذي من أقسامه المتشابه فلا يتصور اجتماعهما في لفظ ويطلق الظاهر أيضاً على ما يدل على المراد بإحدى الدلالات المعتمدة عند أهل اللسان فيكون مقابلاً للباطن الذي ابتدعه القرامطة، ولا شأن لهذا المعنى في هذا البحث، وقد يطلق الظاهر بمعنى المستفيض المشهور وهو مراد من يقول من أهل السنة (بإجراء أخبار الصفات على ظاهرها) حيث يريد إجراء اللفظ المستفيض عن النبي ﷺ في صفات الله على اللسان كما ورد مع التوفيق أو التأويل على ما سبق، وهذا المعنى هو المراد في قول الفقهاء (هذا ظاهر الرواية) يعنون أنه المروي عن صاحب المذهب بطريق الاستباضة والشهرة. وفيما علفت على الاختلاف في اللفظ (ص: ٤٥): «أما ما يروى عن بعض السلف من إجراء أحاديث الصفات وإمرارها على ظاهرها فليس بمعنى الظاهر المصطلح في أصول الفقه الذي يبقى حين ترجح الاحتمال الآخر بالدليل كالنجم عند شروق الشمس ولا بمعنى ما يظهر للعامة من اللفظ بل بالمعنى المقابل للغريب الذي يتفرد بلفظه راو في إحدى الطبقات فيكون بمعنى تجويز إمرار اللفظ على اللسان وإجرائه عليه إذا كان اللفظ مروياً بطريق الظهور والشهرة في جميع الطبقات كما وقع إطلاق الظاهر بهذا المعنى في كلام الإمام مالك رضي الله عنه وغيره وقد يتخالط بعضهم في ذلك فيضل فلزم التنبيه على ذلك اهـ».

قال الله تعالى في المتشابه: ﴿آيَاتُهُ الْفُتْنَةُ وَالْآيَةُ تَأْوِيلُهَا﴾ [آل عمران: ٧] فكيف يكون تأويله تفسيره بالظاهر والمتشابه لا ظاهر له وقوله ما قال منهم أحد إن التأويل صرف عن الرجحان: كذب بل خلق قالوا ذلك وينطلق التأويل أيضاً على تدبر القرآن وتفهم معناه.

## فصل

قيما يلزم مدعى التأويل.

ثم قال: «دليل صارف واحتمال اللفظ وتعيين المقصود».

هذا كثرة كلام في أمر سهل مفروغ منه.

## فصل

«في طريقة ابن سينا<sup>(١)</sup> وذويه من الملاحدة في التأويل».

ذكر ابن سينا والملاحدة هنا للتفجير وإلا لما جاء بابن سينا والملاحدة معنا.

قال: «ويقول تأويلي كتأويل الفوقية والصفات والعلو تأويله أشد من تأويل القيامة وحدوث العالم».

ليس مقصود هذا الناظم إلا أن يفضح مقالات خصومه من الفقهاء وأهل العلم ويجعلها في قلوب العامة أقيح من مقالات الفلاسفة لتشتد نفرتهم عنها واندفع في مخارق وسفه ودعاوى لا حقيقة لها.

## تدبير الفلاسفة وإكفارهم

(١) ذكر الغزالي مخالفته لما عليه أهل الحق في نحو عشرين مسألة أكفره بثلاث منها وبدعه في الباقي في كتاب التهافت لقدم العالم وإنكار الحشر الجسماني ومسألة العلم بالجزئيات هي المكفرات عنده لكن الناظم وشيخه قاتلان بالقدم النوعي ولا يقولان بإعادة الأجزاء المعقدة بل ولا يجمع الأجزاء المفردة - راجع تفسير سورة الإخلاص لشيخه - وقولهما في العلم بالمتجددات معروف - راجع ما سنقله من مفردات ابن تيمية من ذخائر القصر - فهما من أوقع الناس في شبكة التفلسف عن جهل، على أن قول ابن رشد في تهافت التهافت ومناهج الأدلة وقول الرازي في المطالب العالية وقول اللدواني في شرح العضدية مما يثير اهتمام الباحث بتلك المسائل. وقد صرح ابن سينا في بعض كتبه بأن العقل لا يدرك غير الحشر الروحاني وأما البيعت الجسماني فطريق مُعرّفة وحي الرسل وليس في هذا إنكار للبعث الجسماني.

## فصل

قال: «هذا وثم بلية مستورة ورث المحرف من اليهود وأتى إلى حزب الهدى وأعطاهم شبه اليهود قال استوى استولى وذا من جهله عشرون<sup>(١)</sup> وجهاً تبطله أفردت بتصنف تصنيف حبر عالم رباني وشبه النون التي زادتها اليهود في حطة بلام تعطيل الجهمية». وهذا من الخرافات.

## فصل

قال: «ومن العجائب قولهم فرعون مذهبه العلو وفرعون قال إن موسى كاذب إذا ادعى فوقية الرحمن». أين ادعى موسى فوقية الرحمن؟

## فصل

قال: «تركيب استوى مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان». نص في العلو أما في الذات فلا، فقولك: استوى قيس على العراق. لا يستلزم أن يكون إذ ذاك في العراق بل ملكه فيها وعليها.

## فصل

كله دعاوى وقفايع فارغة.

## فصل

فيه إنكار المجردات<sup>(٢)</sup>.

(١) وقد سبق إبطال جميع تلك الوجوه، والمصنف ذكر فيما سبق وجه حسن استعمال استوى مجازاً عن استولى بحيث لا يلح لقاتل مقالاً، على أن الاستعارة التمثيلية في هذا المقام أقعد وأوقع فيكون المجاز على هذا التصدير في المركب دون أن يسري في مفرداته كما هو مدون في محله وقد أشرت إلى اختيار ذلك فيما علفته على الاختلاف في اللفظ لابن تيبة (ص ٤١).

## تجرد الروح

(٢) القول بتجرد الروح مما ذهب إليه إمام الهدى أبو منصور الماتريدي والحلي والراغب والغزالي والبيضاوي وغيرهم من كبار علماء السنة وه يزول كثير من الإشكالات، وإن خفيت أدلة ذلك على جمهور المتكلمين فضلاً عن مكسري الحشوية.

### فصل

سوى فيه بينهم وبين المتأين والقراطة وجعل المجسمة مقابل الجميع، وأن ما ثم إلا التجسيم أو التعطيل وقد تقدم مثله، وإنما زاد التكرير والتفطع ليزرع الرية في القلوب.

### فصل

قال: «الاستواء ونحوه والمشيئة ونحوها كلاهما من صفات الأجسام - وطلب الفرق بينهما - والله لو نشرت شيوذك كلها لم يقدروا أبداً على فرقان».

انظر هذا الجلف الجاري على ما لا يعلم، وكل عاقل يعلم أن الاستواء بمعنى القعود أقرب إلى صفات الأجسام من المشيئة والقدرة.

قال: «قال زعيمهم في الفرق هذه الصفات بالعقل والقرآن فيقال إن نفي العقل التجسيم فانفوها وانسلخوا من القرآن وإن أثبته فلم الفرار؟ وإن نفاه في وصف وأثبته في وصف فما الفرق؟».

انظر هل بعد هذا الكلام شيء في التجسيم<sup>(١)</sup>؟.

### فصل

كله سفاقة.

### فصل

حكى مذاهب خصومه بأقبح ما يكون ثم قال: «جريت هذا كله ووقعت في

#### نص من ابن تيمية في الحد والجسم

(١) وشيخه أصرح منه وأجهر صوتاً في ذلك حيث يقول فيما ردّ به على أساس التقديس: «ومن المعلوم بالأضطرار أن اسم الواحد في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات - يريد ما يشمل المجيء ونحوه - ولا سلب إدراكه بالحواس ولا نفي الحد والقدر ونحو ذلك من المعاني التي ابتدئ فيها الجهمية وأتباعهم، ولا يوجد نفيها في كتاب ولا سنة اه». وهذا صريح جداً لملك لا تحوجني إلى شرح ذلك، راجع الكواكب الدراري لابن زكنون الحنبلي المحفوظ بظاهرية دمشق في المجلد رقم ٢٤ و٢٥ و٢٦ منه رده على أساس التقديس وفيه فوق ما تقدم التصريح بأنه يمكنه التزام قدم بعض الأجسام يريد الباري سبحانه فهل يتصور أن يتنطق مبتدع مارق بأصرح من هذا في وسط المسلمين والناظم متقلد ملهبه بدون تفكير والله سبحانه ينتقم منهما بما أثارا من الفتن بين العوام.

تلك الشباك وكنت ذا طيران حتى أتاح لي الإله بفضلته من ليس تجزيه يدي ولساني  
حبر أتى من أرض حران فياً أهلاً بمن قد جاء من حران<sup>(١)</sup>.

(١) وكم أصل من خلطائه ولهم معه موقف يوم القيامة لا يخط عليه وهو الذي جاهر بقيام  
الحوادث بلداته تعالى - يعزو ذلك إلى أئمة أبرياء من مثل هذا الإلحاد - وبالفهم النووي،  
وبالجهة والحركة والنقل وتجزير الجسمية والاستقرار في جاتب الله سبحانه مع التناول على  
كثير من الأئمة والشذوذ عما عليه جمهور أهل العلم في كثير من المسائل الفرعية، والرد على  
كبير العلماء وصغيرهم حتى الصحابة وتلييس ذلك بمذهب السلف خيانة وكذباً، ومما يجب  
النتب إليه أن من وجوه تحيل الناظم وشبخته ومن على شاكلتهما من المتشبعين بما لم يعطوا  
تتبع ما دون ضد الأئمة المتبوعين من مواخلات في مسائل واتخاذ تلك المواخلات وسيلة  
للتهجم عليهم كلما شاؤوا لأجل أن يظهروا بمظهر أنهم من السعة في العلم بحيث تضيق علوم  
الأئمة عن علومهم ويجب هجر آراء هؤلاء إلى أهولتهم، هذا شأنهم في أئمة علوم الشرع  
وهكذا صنيعهم مع علماء باقي العلوم بدون تفرغ العلم، ولا شك أن كل عالم مهما علت  
منزلته في علمه لا بد وأن تقع منه هفوات تكون مدونة في كتاب لأحد نقاد هذا العلم  
المتفرخين للتمحيص فيه خاصة إذ لا عصمة لثبیر الأنبياء عليهم السلام، فمن تعود أن يجمع  
تلك المواخلات من مظانها كالباب الخاص في مصنف أبي شيبة في مخالفت أبي حنيفة  
لأحاديث صحيحة صريحة في نظر صاحب المصنف، وكتاب إبراهيم ابن علي في مالك وكتاب  
محمد بن عبد الحكم في حق الشافعي، وكتاب الكياهراسي في مفردات أحمد وكتاب  
الأهوازي في الأشعري ونحوها، وأخذ يتحامل على الأئمة بتوجيه تلك المواخلات إليهم  
منظاهراً بأنها من بنات أفكاره داساً في غضون كلامه ما شاء من الأباطيل يظن به من لا بصير له  
بالحقائق من العامة أن له من العلم ما يجعله فوق الأئمة فهدماً وتحقيقاً وإحاطة مع أنه لا يس  
ثوبي زور، وقد رد على غالب تلك المواخلات في كتب خاصة بحيث لا تقوم لها قائمة لكن  
الذي يجعل ذلك يتخدد بخزعخلاته ويقع في المهالك إذا تقاصر علماء أهل الحق عن البحث  
والتنقيب والرد على الشذاذ بمثل أسلحتهم كما يجب، والله سبحانه يتولى هدايتنا بمشيه وكرمه  
وأيقتنا جميعاً من رقتنا وألهمنا طريق حراسة مذاهب أهل الحق في الأصول والفروع وأشعرنا  
عظم المسؤولية في الآخرة ووقانا شر الساهل في ذلك إنه سميع مجيب.

قال الحافظ ابن طولون في «ذخائر القصر في تراجم نبل العصر» عند ذكره سبب انتقال الشيخ  
عبد النافع بن عراق من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشافعي بعد أن جعله والده حنبلياً:  
«قال الحافظ صلاح الدين العلائي (وقل من أفضله عليه من متأخري الشافعية في الجمع بين  
الفقه والحديث كما يجب) ذكر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية الناس في الأصول والفروع.  
فمنها ما خالف فيها الإجماع، ومنها ما خالف فيها الراجح في المذاهب: فمن ذلك يمين  
الطلاق قال بأنه لا يقع عند وقوع المحلوف عليه بل عليه فيها كفارة يمين، ولم يقل قبله  
بالكفارة فيها واحد من فقهاء المسلمين البتة ودام إفتاؤه بذلك زماناً طويلاً وعظم الخطب ووقع  
في تقليده جم غفير من العوام وهم البلاء، وأن طلاق الحائض لا يقع وكذلك الطلاق في طهر  
جامع فيه زوجته، وأن الطلاق الثلاث يرد إلى واحدة، وكان قبل ذلك قد تقل إجماع المسلمين  
في هذه المسألة على خلاف ذلك، وإن من خالفه فقد كفر، ثم إنه أتى بخلافه وأوقع خلقاً =

كثيراً من الناس فيه، وأن الصلاة إذا تركت عمداً لا يشرع فضاؤها، وأن الحائض تطوف في البيت من غير كفارة وهو مباح لها، وإن المكوس حلال لمن أقطعها، وإذا أخذت من التجار أجزائهم عن الزكاة وإن لم يكن باسم الزكاة ولا على رسمها، وأن المايعات لا تنجس بموت الفأرة ونحوها فيها، وأن الجنب يصلي تطوعه بالليل بالتيمم ولا يؤخره إلى أن يفتسل عند الفجر وإن كان بالبلد. وقد رأيت من يفعل ذلك ممن قلده فمنتعت منه، وسمعت حين مثل عن رجل قدم فرائشاً لأمبر فيجنب بالليل في السفر ويخاف إن اغتسل عند الفجر أن يتهمه أستاذه فأفتاه بصلاة الصبح بالتيمم وهو قادر على الغسل (وسأله أبي يوسف غير هذه)، وسئل عن شرط الواقف قال غير معتبر بالكلية بل الوقف على الشافعية يصرف إلى الحنفية وعلى الفقهاء إلى الصوفية وبالعكس، وكان يفعل هكذا في مدرسته فيعطي منها الجند والعمام ولا يحضر درساً على اصطلاح الفقهاء وشرط الواقف بل يحضر فيها ميعاداً يوم الثلاثاء ويحضره العمام ويستغني بذلك عن الدرس، وسئل عن جواز بيع أمهات الأولاد فرجحه وأفتى به.

ومن المسائل المنفرد بها في الأصول مسألة الحسن والقبح التي يقول بها المعتزلة (بل أرى عليهم بتحكيم العقل في الخلود راجع المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي في المسألة وكلام ابن تيمية فيها حتى تعلم مبلغ مجازفته وتهوره) فقال بها ونصرها وصنف فيها وجعلها دين الله بل ألزم كل ما يبنى عليه كالموازنة في الأعمال (فيا ليت حينما حكم العقل حكم العقل السليم ولم يحكم عقل نفسه الظاهر اختلاله جداً بما فاه به في ذات الله وصفاته، تعالى الله عما يقول الجاهلون).

وأما مقالاته في أصول الدين فعمنا أن الله سبحانه محل للحوادث، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً، وأنه مركب مفتقر إلى (اليد والعين والوجه والساق ونحوها) افتقار الكل إلى الجزء، وإن القرآن محدث في ذاته تعالى، وأن العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوق دائماً فجعله موجباً بالذات لا فاعلاً بالاختيار - سبحانه ما أحلمه - ومنها قوله بالجسمية والجهة والانتقال - وهو منزه عن ذلك - وصرح في بعض تصانيفه بأن الله بقدر العرش لا أكبر ولا أصغر تعالى الله عن ذلك، وصنف جزءاً في أن علم الله لا يتعلق بما لا يتناهى كنعيم أهل الجنة وأنه لا يحيط بغير المتناهي وهي التي زلق فيها الإمام - يعني ابن الجويني في البرهان - ومنها أن الأنبياء خير معصومين وأن نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ليس له جاه ولا يتوسل به أحد إلا وأن يكون مخطئاً، وصنف في ذلك عدة أوراق، وأن إنشاء السفر لزيارة نبينا ﷺ معصية لا تقصر فيها الصلاة وبالغ في ذلك، ولم يقل به أحد من المسلمين قبله، وإن عذاب أهل النار يقطع ولا يتأبد (وجز - التضي السبكي في الرد عليه مطبوع) ومن أفرادها أيضاً أن التوراة والإنجيل لم تبدل الفاظهما بل هي باقية على ما أنزلت وإنما وقع التحريف في تأويلهما وله في مصنف (هنا يخالف كتاب الله والتاريخ الصحيح، وما في البخاري عن ابن عباس من الكلام الطويل في ذلك بين صدره وعجزه كلام مدرج، ما أسنده أحد وفيه الإبهام فلا يصح أن يتمسك به أحد على خلاف كتاب الله وخلاف ما صحح عن ابن عباس نفسه في البخاري نفسه) آخر ما رأيت وأستغفر الله من كتابة مثل هذا فضلاً عن اعتقاده انتهى ما نقله ابن طولون عن الصلاح الملاكي. وصاحب هذه الطامات هو الذي يرحب به النظام ويتخله قدوة فتياً لهذا التابع وهذا =



## فصل

قال: «ومن العجائب قولهم حشوية<sup>(١)</sup> سمي به ابن عبيد» فيه سفه.

## فصل

قال: «كم ذا مجسمة، وإذا سببتم بالمحال فسنبا بأدلة وحجاج ذي برهان فحقيقة التجسيم إن يك عندكم وصف الإله بصفاته العليا فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا في كل مجتمع وكل مكان أنا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان».

نقول له: أنت أبديت لنا اعتقادك ووصفت بأمر يمتحن فيها كل عاقل منصف إذا عرضت على خال من الأغراض كلها من امرأة أو صبي أو أعجمي أو عربي عامي وعموم الناس هل يفهمون من الاستواء والقعود والنزول والمجيء والإتيان والوجه<sup>(٢)</sup>

= المتبوع. وما ذكره ابن رجب في مفرداته ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كماء الورد ونحوه، وجواز المسح على كل ما يحتاج في نزعها من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى، وعدم توقيت المسح على المنقن مع الحاجة، وجواز التيمم خشية فوت الوقت لغير المعذور وفوت الجمعة والميدين وأنه لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره ولا لسن الإياس، وأن قصر الصلاة يجوز في قصر السفر وطويله، وأن البكر لا تستبرئ ولو كانت كبيرة وأنه لا يشترط الوضوء لسجود التلاوة، وأنه يجوز المسابقة بلا محلل، واستبراء المختلعة بحيضة وكذا الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات وغيرها اه فكم له من شواذ نحو ما تقدم. وقد ذكر ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية كثيراً من شواذ ابن تيمية وقال عنه: «عبد خذله الله وأخزاه وأصمته وأعماه» وقد حاول الشيخ نعمان الأكوبي بإشارة صديق خان الذي كان له به صلة مادية مينة الرد عليه في (جلاء العينين) متوخياً تبرقة ساحة ابن تيمية من غالب تلك الشواذ لكن سقط في يده حيث فضحت هذه المرحلة من الدعاية لابن تيمية بطبع كتب له فيما بعد تصرح بما نفى هو عنه بل ربما طبع له كتب أخرى مثل (التأسيس في رد أساس التقيس) بالنظر إلى أن بعض صنائع الحشوية نقله حديثاً فيخربون بيوتهم بأيديهم وأيادي المسلمين وفيما ذكرناه كفاية في لفت النظر إلى نماذج من مفرداته والشيخ نعمان المذكور ناقض نفسه حيث يناقض كلامه في الكتاب المذكور ما سطره هو في (غالبية المواظ) لكن قاتل الله المادة ما دخلت في شيء إلا أنسدته وهو ليس بأمين على طبع تفسير والده ولو قابله أحدهم بالنسخة المحفوظة اليوم بمكتبة راعب باشا بإصطنبول - وهي النسخة التي كان المؤلف أهداها إلى السلطان عبد المجيد خان - لوجد ما يطمئن إليه. نسأل الله السلامة.

(١) فهل تلقيب عمرو بن عبيد لابن عمر رضي الله عنه بالحشوي إنكأ وزوراً على تقدير ثبوت ذلك عنه يمنع من تلقيب الحسن البصري لطوائف المجسمة حشوية حقاً وصدقاً، فاضحك ثم اضحك على هقل من يأبى هذا التلقيب وهو متلبس بهذه الوصمة الشيعة بشهادة نفسه.

(٢) ليس بخاف على علم باللغة العربية وبمناحي الكلام في اللسان العربي الميين أن لكل كلمة مع =

واليد والساق والقدم والجنب والعين والانتقال في الدرجات وغير ذلك مما قد ذكرته معنى الجسم ويرسم ذلك في نفسه أولاً فإن قال إنه لا يفهم منها إلا معنى الجسم فيكفيك إثمًا عند الله إضلال مثل هؤلاء وحملهم على اعتقاد التجسيم الذي تزعم أنت بلسانك أنك لا تقول به فالمحقق منك إضلال أكثر العالم، وأما أنت في نفسك فإن كذبت في إنكارك التجسيم فقد جمعت إلى فساد الاعتقاد الكذب، وإن صدقت في زعمك فقد لبست عليك نفسك وخيلت لك فرقاً أو كان عندك فرق الله أعلم به، هذا في الباطن الذي أمره إلى الله في الآخرة وأما في الدنيا فإن في قبول قولك عندنا نظراً فإن قبل أو لم يقبل - وإن كنا لم نقل بالتكفير ولا بالقتل - فلا أقل من القدر الذي ينكف به ضررك عن المسلمين. وهذه الأشياء التي ذكرناها هي عند أهل اللغة أجزاء لا أوصاف، فهي صريحة في التركيب والتركيب للأجسام، فذكرك لفظ الأوصاف تلبس وكل أهل اللغة لا يفهمون من الوجه والعين<sup>(١)</sup> والجنب والقدم إلا الأجزاء ولا

صاحبها شأنًا ليس لها مع كلمة أخرى، فمن جمع ما فرقه الله سبحانه في كتابه من الصفات العليا أو فرق ما جمعه فقد خان الله حيث جعل صفات الله سبحانه عرضة لتقولات المتقولين من أصحاب الأهواء وكذلك ما ورد في السنة من الصفات والأفعال. وكم بين المجمة من ألف فيما يسمونه التوحيد أو السنة أو الصفات أبواباً في اليد والعين والساعد والأصبع واليمين والذراع والكف والجنب والقدم والحقو والصدر ونحوها. جمعاً لما تفرقت في الروايات المختلفة لمختلف الرواة لهوى في نفوسهم، وليس تفریق المجموع جمع الفرق في هذا الباب من شأن من يخالفه سبحانه، وأنت علمت معاني تلك الصفات على مذهب أهل الحق.

### قول السلف في العين واليد

(١) ومن ذكر من السلف أن العين واليد صفتان تيراً بهذا اللفظ عن القول بالجراحة بل يكون قالاً بأن المراد بالعين معنى قائم بالله وكذلك اليد لكن لا أعين ذلك المعنى المراد بأن أقول إنه الروية أو الحفظ، والقدرة أو النعمة أو العناية الخاصة لكون تمييز المراد من بين المحتملات الموافقة للتزيه تحكماً على مراد الله وتسميته لهما صفتين تدل على أنه جازم بأنهما ليستا من قبيل أجزاء الذات تعالى الله عن ذلك، ومن قال وله يد بها يبطن وعين بها يرى جعلهما من قبيل الجوارح وخالف السلف الصالح. وقد قال الترمذي عند الكلام على حديث «يمين الرحمن ملأى سخاء...» وهذا حديث قد روت الأئمة تؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم، هكذا قال غير واحد من الأئمة منهم الثوري ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك أنه ترى هذه الأشياء ويؤمن بها فلا يقال كيف اهـ.

### خداع الناظم وشيخه

وأين هذا من عمل الناظم وشيخه؟ نعم قد يقع في كلامهما ذكر الوجه والعين واليد وغيرها بأنها صفات لكن السياق والسباق في كلامهما بتأديان أنهما أرادا بها أجزاء الذات لا المعاني =

يفهم من الاستواء بمعنى القعود إلا أنه هيئة وضع المتمكن في المكان ولا من المجيء والإتيان والنزول إلا الحركة الخاصة بالجسم، وأما المشيئة والعلم والقدر ونحوها فهي صفات ذات وهي فينا ذات أمرين أحدهما عرض قائم بالجسم، والله تعالى منزّه عنه، والثاني المعاني المتعلقة بالمراد والمعلوم والمقدور وهي الموصوف بها الرب سبحانه وتعالى وليست مختصة بالأجسام فظهر الفرق.

### فصل

قال: «يا وارد القلوط»<sup>(١)</sup>.

فأنتي بيضعة عشر بيتاً من هذا القبيل فهل سمع أحد بأن هذا كلام أهل العلم، وما دعائي إلى الوقوف على هذا الوسخ؟ ينبغي أن يأتي له (مجلى) مثله يتكلم معه زيتق المشاعلي أو غرير المرقد أو أهل جعفر أو عماد فكيف بابن حجاج؟.

### فصل

فيه أكثر من تسعين بيتاً... وقال في أواخره:

من قال بالتعطيل فهو مكذب	بجميع رسل الله والفرقان
إن المعطل لا إله له	سوى المنحوت في الأذهان
وكذا إله المشركين نحتتة الأيد	لدي ما في نحتهم بيان
لكن إله المرسلين هو الذي	فوق السماء مكون الأكوان

= القائمة بالله سبحانه كما يقول السلف، واصطلحنا في الصفة على معنى، يجامع الجزء على خلاف المعروف بين أهل العلم وإلا لما بقي وجه لشدهما ضد أهل الحق. وشيخ الناظم يقول في الأجرية المصرية: «إن الله يقبض السماوات والأرض باليدين اللتين هما اليدان» فإذا يجدي بعد هذا التصريح أن يسميها صفات؟ والله سبحانه هو الهادي.

#### معنى القبض عند الخلف

وأهل العلم من الخلف يحملون القبض على أنه مجاز عن إخراج السماوات من الإقلال والأرض من الإقلال وإيقافهما عن أن تكونا صالحتين لتنازل المتناسلين كما يشير إلى ذلك البيضاوي وهو القابض الباسط أي المرفق عن المسير متى شاء والمجرى للأمور كما يشاء. راجع المعارضة في شرح الأسماء الحسنى. والسلف يفوضون مع التنزيه، وأما حمل القبض على القبض الحسي فقول بالتجسيم والجارحة، تعالى الله عن ذلك.

(١) لفظة عامة لا ينطق بها من العوام إلا من هو بالغ الواقعة فضلاً عن أهل العلم فأنى شرح هذه الكلمة القلدة المتنة.

## المعطل في الأصل من ينفي الصانع

وهذا الرجل يسمي خصومه معطلة لأنهم نفوا الصانع الذي يقول هو به ويصفه بتلك الصفات بزعمه ويجعلهم يعبدون إلهاً آخر ويكفرهم كالمشركين العابدين للأصنام، فإخية المسلمين إن كان يكفر بعضهم بعضاً، ولم لا يقول هذا الجاهل إن الكل يقرون بالله ووحدانيته ويغلط بعضهم في وصفه ولا يخرجهم ذلك الغلط عن الإسلام؟ وإن كان ولا بد من الإخراج فمن أولى به؟ ومن أولى بعبادة ما نحته ذهنه؟ من ركب أجزاء مقصودة معقولة أو من قال أعبد إلهاً واحداً أنا عاجز عن معرفته وعن كنه ذاته فهو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصف به عباده، وعقلي يقصر عن سبحات وجهه وعلمي يضل في علمه ويتضاهل دون عظمته وملكوته سلطانه وقدرته وقهره لا شريك له سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] كل ما تصوره الذهن فالله بخلافه لو اجتمعت عقول العالمين كلها لم تبلغ معرفة حقيقة ذاته ولا كنه صفاته، وإنما علموا منها ما دلهم على التوحيد وأمر السيد العبيد وأنعم عليهم بالرسول أرشدهم إلى ما فيه صلاحهم وأنزل عليهم كتاباً كلفهم فيه بتكاليف إن عملوا بها وصلوا إلى دار السلام. فلا ينبغي لهم الاشتغال بغيرها - فاشتغالهم بغيرها فضول - وإن فكروا فكروا في آياته لا في ذاته، فإن هناك تضل العقول، وانظر إلى هذه الصفات التي يشبها هذا المبتدع لم تجيء قط في الغالب مقصودة وإنما في ضمن كلام يقصد منه أمر آخر وجاءت لتفريز ذلك الأمر، وقد فهمها الصحابة ولذلك لم يسألوا عنها النبي ﷺ لأنها كانت معقولة عندهم بوضوح اللسان وقرائن الأحوال وسباق الكلام وسبب النزول ومضت الأعصار الثلاثة التي هي خيار القرون على ذلك حتى حدثت البدع والأهواء فيجيء مثل هذا المتخلف يجمع كلمات وقعت في أثناء آيات أو أخبار فهم الموفقون معناها بانضمامها مع الكلام المقصود فجعلها هذا المتخلف في أمثاله مقصودة وبالغ فيها فأورث الريب في قلوب المهتدين، وانظر إلى أكثرها لا تجده مقصوداً بالكلام بل المقصود غيره إما بسباق قبله أو بسباق بعده، أو بأن يكون المحدث عنه معنى آخر والمحدث به ويكون ذلك المذكوراً على جهة الوصف المقوي لمعنى ما سبق الكلام لأجله، وما مثل المشتغلين بذلك وبالكلام إلا مثل سرية أنها كتاب السلطان يأمرهم بما يعتمدونه في الغزاة التي ندبهم لها ويوصيهم بأمر مهمة لما بين أيديهم وينهاهم عن أمور وينبهم على مكان لعدوهم وعدوه حتى يحترزوا عن غوائلها فأخذوا يتأملون في ذلك الكتاب ويفكرون فيمن كتبه وفي حروفه ومتى كتب وأين كان السلطان حين كتبه وعلم عليه، وهل كان

في القلعة أو في غيرها وربما كان فيهم من لم يرَ السلطان قط فصار يسأل عن صفته وشغلوا الزمان بذلك وسؤال حامل الكتاب عنه وبالفكرة فيه واشتغلوا به عما هم بصدده من الجهاد الذي أمرهم به وعن تلك الأمور التي وصاهم بها في الكتاب وأمرهم بها ونهاهم عنها وما كفاهم ذلك حتى أداهم اختلافهم في صفة السلطان وفي أين كان لما كتب ومن كتب الكتاب عنه إلى أن قال كل فريق منهم عن الآخر الذي وصفه بخلاف ما وصفه به رفيقه إنه أنكر السلطان وقال إنه لا سلطان له فهل يكون لهؤلاء عقل، اللهم إنا نسألك أن لا تضل عقولنا ولا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وتحفظ علينا ديننا يا مقلب القلوب يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

### فصل

أكثر من مائة بيت كلها إغراء بخصومه والله ينتقم لهم منه ثم إنه يناقض قوله فينكر على خصومه تكفيره فلم لا ينكر على نفسه تكفيرهم بعين ما كفروه به .

### فصل

مختصر في معناه .

### فصل

قريب منه .

### فصل

قال :

ن مكنوماً منذ زمان <sup>(١)</sup>	اسمع سراً عجيباً كما
مقرونة مع أحرف بوزان	جيم وجيم ثم جيم معها
تحلله تحلل ذروة العرفان	فيها لدى الأقوام طلسم متى
جيمات بالتثليث شر قران	فإذا رأيت الثور فيه تقارن الـ

(١) هذا من الدليل على أنه من ورثة علوم الصابنة عبدة الأجرام العلوية كاد أن يروح بما عنده من عزائم الكواكب كما فعل عبد السلام الجيلي، راجع ترجمته من طبقات ابن رجب وذيل الروضتين لأبي شامة الحافظ .

دلت على أن النحوس جميعها سه  
م الذي قد فاز بالخذلان  
جبر وارجاء وجيم تجهم  
فتأمل المجموع في الميزان  
فاحكم لطالعتها لمن حصلت له  
بخلاصه من رقة الإيمان

وأخذ يذكر مفاصد المذاهب الثلاثة «وقياذ الجبر»<sup>(١)</sup> إلى الكفر والبهتان والإرجاء كذلك بالجد في العصيان وشتم الرسل ومن أتوا من عنده والسجود للصنم، فإذا أضفت إلى الجيمين جيم تجهم أين الصفات والجهم أصلها جميعاً والوارثون له أصحابها لا شيعة الإيمان لكن نجا أهل الحديث المحض أتباع الرسول وتابعوا القرآن».

### فصل

قال: «وسل المعطل ماذا يقول لربه».

وساق ما يقولونه كله بقيق وأنهم يخاطبون به الله يوم القيامة، وعن طائفته ما يولونه ومخاطبتهم به وهاتان طائفتان من المسلمين يعرفون عظمة الله تعالى، وكل أحد قد بذل جهده وطاقته فيما اعتقده ويخاف ويفرق، ويوم القيامة يكون أشد خوفاً يوم لا يتكلم إلا الرسل ويود كل من دونهم أن ينجو كفافاً، فتصوير مخاطبة الله تعالى بذلك في ذلك الموقف العظيم إنما يصدر عن قلب فارغ.

### فصل

في تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدي عند رب العالمين.

قال: «يا أيها الباغي على أتباعه قد حملوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرحمن فاشهد عليهم إن سئلت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان فوق السماوات

(١) والجبر الذي يريده الناظم هو قول الأشعري إن العبد كاسب والرب سبحانه هو الخالق وحده، وأين الجبر في ذلك؟ نعم جهم بن صفوان كان يقول بالجبر، لكن ليس له من يتابعه بعده، وأما الإرجاء الذي يريده فهو القول بأن الإيمان هو الاعتقاد الجازم كما نص عليه الحديث الصحيح «الإيمان أن تؤمن بالله...» ومن جعل الأفعال من أركان الإيمان حفيقة فقد تابع الخوارج من حيث يعلم أو لا يعلم، وأما التجهم الذي يذكره فمراده به نفي حلول الحوادث في الله سبحانه وتنزيهه تعالى عن قيام الحوادث به سبحانه كما هو ملعب أهل الحق فظهر أنه ينز بتلك الألقاب السيئة جمهر أهل الحق الفراء منه عليهم وإلا فلا وجود للجبرية حقيقة ولا للإرجاء بالمعنى البدعي ولا للجهمية في عصر الناظم والله سبحانه يتنقم منه.

العلى حقاً على العرش استوى والأمر ينزل منه وإليه يصعد ما يشاء وإليه صعد الرسول ﷺ وعيسى ابن مريم والأملاك تصعد دائماً من هنا إليه وروح العبد بعد الموت وأنه متكلم بالقرآن سمع الأمين كلامه منه هو قول رب العالمين حقيقة لفظاً<sup>(١)</sup> ومعنى وأنهم وصفوا الإله بكل ما جاء في القرآن وأن قول الرسول ﷺ نص<sup>(٢)</sup> يفيد علم اليقين».

فمن ينازع في ذلك؟ وإن أراد الآحاد أو الذي جوزت اللغة احتمال لفظه فحكمه عليه بإفادة علم اليقين جهل منه.

قال: «وإنهم قابلوا التعطيل والتمثيل بالنكران أن المعطل والمثل ما هما متيقنين عبادة الرحمن ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبداً وهذا عابد الأوثان وأنهم يتأولون حقيقة التأويل وأن تأويلاتهم صرف عن المرجوح<sup>(٣)</sup> للرجحان وأنهم حملوا النصوص على

(١) قد سبق إبطال القول بالفوقية الحية والنزول الحسي والجلوس على العرش ونحوها مما هو معتقد المجسمة إبطالاً لا مزيد عليه، وقوله هنا في الكلام إعادة لزعمه الحرف والصوت في كلام الله وقد سبق إبطال ذلك أيضاً ومن الغريب أن يولف مثل المروق بن قدامة (الصرط المستقيم في إثبات الحرف القديم) وكفى ما سبق في إبطاله. وابن بطّة صاحب الإبانة فضح نفسه بأن يزيد في رواية حديث موسى عليه السلام «من ذا البراني الذي يكلمني من الشجرة؟» ليجعل كلام الله من قبيل كلام الخلق فجمع بين الاختلاق وسوء المعتد وابن بطّة هذا من أئمة الناظم ولست في صدد استقصاء أهل الكذب والزيف من أئمة وبين هذا المتأخر زمناً وعلماً كلمات جوفاء في تزويق مزاعم الحشوية في تلك المسائل، ومن ظنّ به أنه أتى بشيء جديد غير الجمع بين الحشوية والتصوف السالمي الهاذي بالتجلي في الصور فقد ولى فهمه وأدبر علمه وكم من مصاب في عقله ودينه يتكلم في هذه الأبحاث بدون علم ولا فهم ولا تقى، نسأل الله المعافاة.

(٢) قول الرسول القطعي الثبوت والقطعي الدلالة نص يفيد علم اليقين من غير خلاف، وأما ما هو ظني الدلالة منه فلا، كما تقر في الأصول ودعوى إفادة خبر الآحاد الملم من هواجس الظاهرية إلا إذا كان متحفاً بقرائن، وقد بيّنا الحق في ذلك في تعليقاتنا المهمة على شروط الأئمة فليراجع هناك. والحشوية يحشرون في كتبهم في المعتد المنقطعات والوحدات وروايات المجاهيل والضعفاء والرضاعين ويقولون عنها إنها قول الرسول ﷺ مع إنها مما لا يحتاج به في باب الاعتقاد أصلاً بل لا يتمسك بها في باب الأعمال أيضاً، وتوثيق مثل ابن حبان لرجل لا يخرج من الجهالة عند من يعرف مصطلح ابن حبان في التوثيق. وإنما الحجة في باب الاعتقاد هي الكتاب المنزل والصحاح المشاهير من الحديث.

(٣) صرف اللفظ عن الاحتمال المرجوح إلى الراجح مما لا معنى له لأن اللفظ منصرف بنفسه إلى الراجح من الاحتمالين، واللفظ ظاهر بالنسبة إلى الراجح مطلقاً سواء كان بالوضع أو بالدليل كما ذكره أبو الخطاب في التمهيد في أصول الحنابلة فما يرى مرجوحاً بالنظر إلى الوضع فقط =

الحقيقة لا على المجاز إلا إذا اضطروا للمجاز بحس أو برهان وأنهم لا يكفرونكم بما قلتم من الكفران إذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولي كفر ولا إيمان<sup>(١)</sup>.

فالبالغ المكلف الذي بلغته الدعوة إما كافر وإما مؤمن فكيف ينتفيان عنه والجهل ليس عذراً في ذلك.

قال: «لا تفرقون حقيقة الكفران بل لا تفرقون حقيقة الإيمان إلا إذا عاندم ورددم قول الرسول ﷺ لأجل قول فلان فهناك أنتم أكثر الثقلين وأشهد عليهم أنهم فاعلون حقيقة والجبر عندهم محال هكذا نفي القضاء».

قد أشهد على نفسه بالفوقية وباللفظ والله يعلم ما تصوره قلبه منهما وبمعنى التأويل وأين هذا من التابعين الذين قيل فيهم ما منهم إلا من يخاف النفاق على نفسه كانوا مع صحة الاعتقاد والاجتهاد في العمل يخافون النفاق، ونحن اليوم مع البعد - وستان ما بيننا وبينهم - بيننا من يتجاسر هذه الجسارة ويدل هذا الإدلال.

## فصل

### في عهد المثبتين مع الله رب العالمين

قال: «يا ناصر الإسلام اشرح لدينك صدر كل موحد وانصر به حزب الهدى فوحق نعمتك التي وليتني وأرثيتي البدع المضلة لأجاهد لك عداك ما أبقيتني ولأجعلن لحومهم ودماءهم في يوم نصرك أعظم القران».

هذا يقتضي أنه يعتقد كفرهم وسفك دمايتهم، وقد حملهم في الفصل الذي قبل هذا شهادة أنه لا يكفرهم فيناقض كلامه وقال هناك إنهم جهال لا كفار ولا مؤمنون فلعلة يرى أنهم كالبهائم لكنه صرح هنا بأنهم أعداء الله وغير الكافر ليس عدو الله.

= قد يكون راجحاً بالنظر إلى الدليل فيكون اللفظ حينذاك ظاهراً في احتمال قد ترجح بالدليل حيث لا يكون هذا الاحتمال مرجوحاً عند قيام الدليل على الرجحان فقولهم بالظهور في جانب الوضع إنما هو بالنظر إلى حالة عدم قيام دليل مرجح للاحتتمال المقابل. والحاصل أن الظاهر بالوضع هو ما لا يقارنه دليل يرجح الاحتمال الآخر فلا ظاهر بالوضع عند ترجح الاحتمال الثاني بالدليل، فإطلاق الظاهر على ما بالوضع عند قيام الدليل المرجح للاحتتمال الثاني ما هو إلا تسامح فليعرف ذلك.

(١) وهذا بظايره قول بالمنزلة بين المنزلتين كما هو معتقد المعتزلة الذين هم من أبغض خلق الله إليه. وإخراج أهل الحق من الإيمان محض هذيان.



## فصل

## افتراؤهم المثلث على الأشعرية

قال :

إنا تحمّلنا الشهادة بالذي      قلتُم نؤديها لدى الرحمن  
ما عندكم في الأرض<sup>(١)</sup> قرآن      كلام الله حقاً يا أولي العُدوان

كلا ولا فوق السماوات العلى رب<sup>(٢)</sup> مطاع ولا في القبر<sup>(٣)</sup> عندكم من يرسل  
فالروح عندكم عرض قائم بجسم الحي، وكذا صفات الحي قائمة به مشروطة بالحياة،  
فإذا انتفت الحياة انتفى شروطها ورسالة المبعوث مشروطة بها كصفاته بالعلم والإيمان  
فإذا انتفت تلك الحياة فكل مشروط بها عدم<sup>٤</sup>.

قوله ما في الأرض قرآن شهادة زور ونحن نطلق القرآن على ما في المصحف  
وهو إن كان لا يطلقه عليه لزمه ما ألزمتنا وإن كان يقول إنه في المصحف حقيقة فهو  
قد قال فيما تقدم إن الصوت من العبد مخلوق فالخط بطريق الأولى وعندنا أن القرآن  
مكتوب في المصاحف ولهذا يحرم على المحدث حمل المصحف وتلوه بالألسنة  
ومحفوظ في الصدور.

(١) تلك الثلاثة هي أفانيم اختلافهم على الأشعري وأصحابه، لهج بها أبو نصر الوائلي السجزي  
صاحب الإبانة وابن مت صاحب ذم الكلام ومن تابعهما في البهت على أئمة الدين. ومن قال  
إن القرآن القائم بالله في الأرض فهو حلولي زائف وهذا ظاهر جيداً.

(٢) نعم هم لا يمتنعون صنماً متمكناً بمكان وإنما يؤمنون بإله العالمين الذي ليس كمثل شيء، وله  
الأسماء الحسنى، تعالى الله عما يقول الجاهلون من الجاهلية بعد الإسلام.

(٣) وقال إمام الحرمين فيما ردّ به على السجزي، السابق ذكره في مقدمة المصنف: ما كنت أظن  
أن هذا الجاهل يبلغ حمقه وخرقه هذا المبلغ (وهو زعمه أن من مذعب الأشعرية أن النبوة  
عرض لا يبقى زمانين وإذا مات النبي زالت نبوته) وهذا الذي حكاها لم يقل به قائل ولم ينقله  
قبله ناقل ولو سئل هذا الأحقق عن النبوة وحقيقتها ومعناها لتبلد في غمه وتردد في غيه ولم  
يتمسك إلا بدهش الحيرة كما نسب إليها غيره فليست النبوة عرضاً من الأعراس بانفاق من  
المحققين وإطابق من المحصلين - ثم ذكر الدليل على أن النبوة ليست عرضاً ثم قال - فيطل  
المصير إلى أن النبوة عرض ووجب القضاء بأن النبوة هي حكم الله تعالى برسالة رسول وإخباره  
عن سفارته وأمره إياه بتبليغ الشرائع وشرع الأحكام وقد حكم الله تعالى بنبوة الأنبياء  
عليهم السلام في حياتهم وبعد مماتهم وكونهم مرسلين، وعلم ذلك منهم في السابقة والعاقبة  
فهذا مذعب أهل الحق ودينهم، فعلى من يصفهم بغير ذلك لعنة الله ولعنة الملائكة والناس  
أجمعين. انتهى ما ذكره إمام الحرمين وهو نص ما نقله اللبلي عنه.

## فصل في حياة الأنبياء

قال:

ولأجل هذا رام ناصر قو لكم ترقيعه يا كثره الخلقان

قال الرسول بغيره حي<sup>(١)</sup>.

(١) الناظم وشيخه يفيان التوسل بالنبي ﷺ باعتبار تفرقتهما بين حالته ﷺ حال حياته وحال وفاته وإخراجهما للحديث الصحيح في التوسل عن دلالة الصريحة بالرأي عن هوى، وقد أقام قاضي قضاة الشافعية العلامة علاء الدين القونوي الشافعي النكير على ابن تيمية بمعنى هذه المسألة في كتابه (شرح التحرف) وهو من محفوظات التيمورية، وعد ذلك مأخوفاً من اليهود مع أنه كان من الثنتين عليه قبل هذه الحادثة، وفي الاطلاع على شرح التحرف هنا تنوير للمسألة. وقد أضنانا عن بسط ذلك هنا ما نقله التقي الحمصني من في كتاب (دفع الشبه) وهو مطبوع. وفي كتاب الروح للناظم كثير مما يناقش ما ذكره هنا، والتاقت شأن من أصيب في عقله أو دينه، نسال الله السلامة والمعافة. وأما كلمة ابن حزم في الفصل فاعتراه منه بتقولات الرواة من الحشوية في حق الأشعري كما بينت ذلك فيما هلفته على تبين كذب المفتري لابن عساكر.

### فتيا الأئمة في إنكاره شد الرحل لزيارته ﷺ

وقد بلغ بالناظم وشيخه الغلو في هذا الصدد إلى حد تحريم شد الرحل لزيارة النبي ﷺ وعد السفر لأجل ذلك سفر ممصبة لا تقصر فيه الصلاة فأصدر الشاميون فتيا في ابن تيمية وكتب عليها البرهان ابن الفركاح الفزاري نحو أربعين سطراً بأشياء إلى أن قال بتكفيره وواقفه على ذلك الشهاب بن جهيل، وكتب تحت خطه كذلك المالكي، ثم عرضت الفتيا لقاضي قضاة الشافعية بمصر البلد بن جماعة فكتب على ظاهر الفتوى: الحمد لله، هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وأنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبي ﷺ فضيلة وستة مجمع عليها، وهذا المفتي المذكور - يعني ابن تيمية - ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الغريبة، ويحس إذا لم يتمتع من ذلك ويشهد أمره لبحفظ الناس من الاقتداء به.

وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وكذلك يقول محمد بن الجبري الأنصاري الحنفي لكن يحس الآن جزماً مطلقاً.

وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكي ويبلغ في زجره حسباً تندف تلك المفصلة وغيرها من المفاسد.

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي، راجع دفع الشبه (٤٥ - ٤٧) وهؤلاء الأربعة هم قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيام تلك الفتنة في سنة ٧٢٦ والنهي عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة في الحديث باعتبار أنه لا مضاعفة لثواب المصلي في غيرها ولا علاقة له أصلاً =

بمثل زيارة القبور، وهذا ظاهر جداً فمعنى الحديث النهي عن شد الرحل إلى مساجد غير المساجد الثلاثة التي يضاعف فيها الثواب حيث لا داعي إلى تجشم المشاق والاستثناء المفرغ بقدر فيه المستثنى منه بقدر أدنى ما يصحح الاستثناء لأن التقدير ضرورة فلا يزيد على القدر الضروري في تصحيح الكلام - وما زاد على ذلك ليس مما يعتبره أهل العلم كما لا يخفى على أن شد الرحل لأجل العلم أو الجهاد أو التجارة أو الاعتبار أو استعادة الصحة ونحو هذا لا يتصور أن يتناوله النهي في الحديث فلا يصح تقدير المستثنى منه من أهم ما يتناول المستثنى ومن تصور خلاف ذلك فقد غلط غلطاً فاحشاً واستعجم عليه الحديث.

والأحاديث في زيارته ﷺ في غاية من الكثرة وقد جمع طرفها الحافظ صلاح الدين العلائي في جزءه كما سبق وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شدَّ ابن تيمية عن جماعة المسلمين في ذلك، قال علي القاري في شرح الشفا: «وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريمهم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه... اهـ».

فسمحه في منح الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول ﷺ وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه ﷺ أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلواتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك. ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤونهم ويرشدونهم إلى السنة في الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعة في شيء ولم يعدوهم في يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقدهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استحابة أموال المسلمين ودماهم لحاجة في النفس ولم يخف ابن تيمية من الله في رواية عد السفر لزيارة النبي ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة عن الإمام أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي، وحاشاه عن ذلك - راجع كتاب التذكرة له نجد فيه مبلغ عنيته بزيارة المصطفى ﷺ والتوسل به كما هو مذهب الحنابلة - وإنما قوله بذلك في السفر إلى المشاهد المعروفة في العراق لما قارن ذلك من البدع في عهده وفي نظره.

### نص ابن عقيل الحنبلي في تذكرته

وإليك نص عبارته في التذكرة المحفوظة بظاهرية دمشق تحت رقم ٨٧ في الفقه الحنبلي.

«فصل: ويستحب له قدوم مدينة الرسول صلوات الله عليه فيأتي مسجده فيقول عند دخوله باسم الله اللهم صل على محمد وآل محمد واقتح لي أبواب رحمتك وكف عني أبواب عذابك، الحمد لله الذي بلغ بنا هذا المشهد وجعلنا لذلك أهلاً، الحمد لله رب العالمين. ثم تأتي حائط القبر فلا تمسه ولا تلتصق به صدرك، لأن ذلك عادة اليهود واجعل القبر تلقاء وجهك وقم ما يلي المنبر وقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... إلى آخر ما تقوله في التشهد الأخير، ثم تقول اللهم أعط محمداً الوسيلة والفضيلة =

وذكر أربعين نبيا في إنكار ذلك وقد صنف البيهقي<sup>(١)</sup> جزءا في حياة الأنبياء ولكن هذا المدبر بعيد عن التوفيق.

### فصل

قال: «فإن احتججتم بالشهيد».

وذكر غيره أشياء من حججنا.

### فصل

قال في الجواب: «إن الشهيد حياته منصوطة مع النهي عن أن ندعوه ميتاً، ونساؤه حل لنا من بعده وما له مقسوم وهو مع ذلك حي فارح قلتم فالرسل أولى».

فانظر إلى قلب الدليل عليهم ما قلب شيئا قلب الله قلبه.

قال: «ورؤيته موسى مصلياً في قبره في القلب منه حسيكة هل قاله؟ ولذلك

والدرجة الرقيقة والمقام المحمود الذي وعدته، اللهم صل على روحه في الأرواح وجسده في الأجساد كما بلغ رسالاتك وتلا آياتك وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين، اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك ﷺ ﴿وَأَوْرَثَهُم مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ فاستغفروا الله واستغفر لكم ربكم، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك بحق أن تغفر لي ذنوبي، اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين اللهم كما آمننا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرة وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً صافياً رويأ سائفاً هنيئاً لا نظماً بعده أبداً غير خزايا ولا ناكثين ولا مارقين ولا مفضوياً هلينا ولا ضالين واجعلنا من أهل شفاعة. ثم تقدم عن يمينك فقل السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا عمر الفاروق، اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيراً، اللهم ﴿أَعْمُرْنَا لَنَا وَلاَ تَمُوتُنَا أَلَدْبَرَةَ سَبْقُونَ﴾ [الخشع: ١٠] وتصلي بين القبر والمقبر في الروضة وإن أحييت نصح بالمعبر وبالحنانة وهو الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ فلما اعتزل عنه حن إليه كحنتين النافذة، وتأتي مسجد قباء فتصلي لأن النبي ﷺ كان يقصده فيصلي فيه، وإن أمكنك فأب قبور الشهداء وزرهم وأكثر من الدعاء في تلك المشاهد حتى كأنك تنظر إلى مواقفهم واصنع عند الخروج ما صنعت عند الدخول».

ويقال عن كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلي هذا إنه في ثمانمائة مجلد ويقول للهي عنه إنه لم يصف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب. ومن هو نظير ابن عقيل هذا بين الحنابلة في الجمع والتحقق؟ وأنت رأيت نص عبارته في المسألة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيمية.

(١) وجزء البيهقي في حياة الأنبياء مطبوع فاستغنيا به عن الكلام في ذلك.

أعرض البخاري عنه عمداً والدارقطني أعله ورأى أنه موقوف على أنس لكن تقلد مسلماً، لكن هذا ليس مختصاً به روى ابن حبان صلاة العصر في قبر الذي مات مؤمناً فتمثل الشمس التي قد كان يرعاها لأجل الصلاة عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين تدعاني حتى أصلي العصر قالوا ستفعل ذلك بعد الآن، هذا مع الموت المحقق لا الذي حكيت لنا بشوته القولان.

وثابت البتاني دعا أن لا يزال مصلياً في قبره وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح، وظاهر النكران ونحن نقول إنهم أحياء عند ربهم كالشهداء. يعني ونشكر حياتهم في قبورهم.

قال: «هذي نهايات لأقدام الورى في ذا المقام الضنك والحق فيه ليس نحمله عقول بني الزمان لغلظة الأذهان ولجهلهم بالروح هل في عقولهم أن الروح في أعلى الرفيق مقيمة بجنان، وترد أوقات السلام عليه وأجواف الطير الخضمر مسكنها لدى الجنات، من ليس يحمل عقله هذا فاعذره على النكران للروح شأن غير ذي الأكوان، وهو الذي حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد في الأزمان، هذا وأمر فوق ذا لو قلته بادرت بالإنكار والعدوان فلنفاك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت في الميدان، وقولي إنها مخلوقة وليست كما قال أهل الإفك لا داخلة فينا ولا خارجة عنا - والله - لا الرحمّن أثبتم ولا أرواحكم، عطلتم الأبدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمّن.

استشكال معرفة الروح صحيح لكنه ما أظنه يفهمه وإنما قاله تقليداً وإنكاره حياة الأنبياء ليس له عليه حامل صحيح<sup>(١)</sup>.

### حياة الأنبياء

(١) وعن أنس مرفوعاً «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» رواه أبو يعلى الموصلي والبخاري قال الهيثمي ورجال أبي يعلى ثقات. والحياة البرزخية الثابتة للأنبياء فوق الحياة الثابتة للشهداء ويعتينا عن الكلام في حياة الأنبياء جزء البيهقي المطبوع، نعم انقطعت حاجتهم إلى الأكل والشرب من مآكل هذه الدار ومشاربها، ولذلك صنع وصفهم بالموت ﴿إِنَّكَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قَائِمٌ﴾ [الزمر: ٣٠] وحامل الناظم على إنكار حياتهم البرزخية هو التنوع بذلك إلى تحريم التوسل بهم عن موسى وفي دفع الشبه للفتي الحصني ووفاء الوفاء للنور السمهودي وغيرهما أحاديث وأثار كثيرة في النذب إليه، وليس هذا موضع سرد لتلك الأحاديث وله موضع آخر وفي المطالب العالية للرازي وفي شرح المقاصد للشتازاتي وفيما علقه الشريف الجرجاني على شرح المطالع ما يمكن إليه صدور المقتدين بأئمة أصول الدين من البيان في هذه المسألة، وكنت بسطت -

المسألة قبل سنين متطاولة في (ارغام المرید) الذي كنت ألفته سنة ١٣٢٠ ولا بأس في أن أورد هنا بعض ما كنت نقلته فيه، مما قاله الفخر الرازي والسعد التفتازاني، والشريف الجرجاني في هذا الصدد فإنهم أئمة في أصول الدين يميزون بين الحق والباطل والتوحيد والإشراك حق التمييز، ولا يرميهم أحد من أهل الحق بتزعة تخالف مذهب أهل الحق في هذه المسألة ومن الغريب رمي أهل التجسيم لأهل الحق بالإشراك بوسيلة التوسل وفيما ننقله عن أئمة أصول الدين في هذا الصدد قمع من يرمي أهل الحق بداله وهم من أبعد الناس عن الإشراك بخلاف من يقول بالجهة والتحيز وسائر لوازم الجسمية تعالی الله عن ذلك.

### نصوص من المطالب العالية للفخر الرازي

قال الإمام فخر الدين الرازي بعد بسط مقدمات في الفصل الثامن عشر من كتابه المطالب العالية وهو من أمتع مؤلفاته في علم أصول الدين: «وإذا عرفت هذه المقدمات فنقول إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت أن لنفس الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرأتين صقيتين وضعتا بحيث يتعكس الشعاع من واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالی والرضى بقضاه الله، يتعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت وكل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرفة والآثار العلوية الكاملة فإنه يتعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور، فهذا هو السبب الأصلي في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق وأحق مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله اهـ».

وأما بقاء النفس مدركة لبعض الجزئيات فقد بينها الرازي في الفصل الخامس عشر من الكتاب المذكور. وقال الرازي أيضاً في تفسيره: «إن الأرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية، المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي، بعد خروجها من ظلمة الأجساد تنزع إلى عالم الملائكة ومنازل القدس، ويظهر منها آثار في أحوال هذا العالم فهي الملبرات أمراً، أليس الإنسان قد يرى أستاذة في المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده إليها اهـ».

وقال العلامة سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد عند إثبات إدراك بعض الجزئيات للميت رداً على الفلاسفة: «لما كان إدراك الجزئيات مشروطاً عند الفلاسفة بحصول الصورة في الآلات فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيات ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط وعندنا لما لم تكن الآلات شرطاً في إدراك الجزئيات إما لأنه ليس بحصول الصورة لا في النفس ولا في الحس وإما لأنه لا يتمتع ارتسام صورة الجزئي في النفس بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجددة جزئية وإطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء، ولا سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا، ولهذا

## فصل

قال: «ما معناه منجنيق المعطلة ما يدعونه من التركيب، وللتركيب ستة معان أحدها: التركيب من متباين كتركيب الحيوان من هذه الأعضاء وتركيب الأعضاء من الأركان الأربعة، الثاني: تركيب الجوار من اثنين يفترقان، الثالث: التركيب من متماثل يدعى الجواهر الفردة، الرابع: الجسم المركب من هبولى وصورة عند الفيلسوف والجواهر الفرد ليس ممكناً، الخامس: التركيب من ذات وأوصاف سموه تركيباً وليس بتركيب، السادس: التركيب من ماهية ووجودها، واختلفوا هل الذات الوجود أو غيره فيكون تركيباً محالاً أو يفرق بين الواجب والممكن حتى أتى من أرض آمد ثور كبير<sup>(١)</sup>، بل حقيير الشأن قال الصواب الوقف فقصاراه أن شك في الله».

جوابه أنه لم يشك في الله في الوجود هل هو زائد أو لا ولا يجوز أن يقال له

= ينتفع بزيارة القبور والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقاً بالبدن وبالترية التي دفنت فيها، فإذا زار الحي تلك الترية وتوجهت تلقاه نفس الميت حصل بين النفسين ملائمة وإفاداتها».

وقال العلامة الشريف الجرجاني في أوائل حاشية شرح المطالع معلقاً على ما ذكره شارح المطالع في صدد بيان الحكمة في التوصل والصلاة على النبي ﷺ: «فإن قيل هذا التوصل إنما يتصور إذا كانوا متعلقين بالأبدان وأما إذا تجردوا عنها فلا إذ لا جهة مقضية للمناسبة، قلنا يكفي أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فإن أثر ذلك باق فيهم ولذلك كانت زيارة مرادهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر اهـ. ورأيت بخط الحافظ الضياء المقدسي الحنبلي في كتابه - الحكايات المنثورة - المحفوظ تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق أنه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي يقول إنه خرج في عضده شيء يشبه الدمع فأعيتته مداراته، ثم مسح به تبر أحمد بن حنبل ليرىه ولم يعد إليه، وفي تاريخ الخطيب (١ - ١٢٣) بسنده إلى الشافعي رضي الله عنه قال: «إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره كل يوم - يعني زائراً - فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى اهـ».

فمن الذي يستطيع أن يعد هؤلاء قبورين يتعبدون الضرائح!؟

(١) سيف الدين الأمدى المعروف بين الفرق ببالغ الذكاء ذنبه عند الحشوية أنه نشأ حشوباً ثم هداه الله إلى مذهب الأشاعرة ولأجل ذلك يرى متشغو الحشوية من تمام ودعهم اختلاق حكايات في حقه ويسمى ابن تيمية جهده في مناقشته في معقوله، ويقوم الذهبي بحظه في الاختلاق عليه في ميزانه. وتأليفه الخالدة في أصول الدين وأصول الفقه والجدل هي آية كونه ثوراً كبيراً في نظر الناظم فليحتر.

نور ولا أنه حفير الشأن، وقد اعترف في التركيبين الأخيرين بالامتناع فيسأل من أهل اللغة هل القدم واليد والجنب أعضاء<sup>(١)</sup> أو صفات.

### فصل

قال: «ودلالة الأسماء مطابقة وتضمن والتزام فالمطابقة يفهم منها ذات الإله والوصف والتضمن دلالة على أحدهما واللازم دلالة على الصفة التي اشتق الاسم منها كالرحمن، فالذات والرحمة مدلولاه تضمننا ودلالتها على الحياة بالالتزام».

مقصوده بهذا المبالغة في القول بالتركيب في المعنى<sup>(٢)</sup> وإن أنكره باللفظ فيما تقدم، ومدلول الرحمن في اللغة ذو الرحمة وهو شيء واحد لا مركب وإن كان

(١) فإن اعترف بعد السؤال من أهل اللغة بأنها أعضاء يكون المركب منها من القسم الأول فيكون عابد جسم ذي أعضاء وإن لم يعترف بأنها أعضاء بل قال إنها مجازات عن صفات ثابتة له تعالى فقد ترك مذهبه وكان جهاده في غير عدو ولكن أتى يعترف بأنها مجازات مع الغلو المشهود في نحلته؟ ومن ألطف التكت الجارية مجرى الإلزامات الظاهرة على المجسمة ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره (٧ - ١٤٨) حيث قال: إن من قال إنه مركب من الأعضاء والأجزاء فإما أن يثبت الأعضاء التي ورد ذكرها في القرآن ولا يزيد عليها وإما أن يزيد عليها، فإن كان الأول لزمه إثبات صورة لا يمكن أن يزداد عليها في القبح لأنه يلزمه إثبات وجه بحيث لا يوجد منه إلا مجرد رقعة الوجه لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ مَّا كُنَّا إِلَّا وَجْهًا﴾ [القصص: ٨٨] ويلزمه أن يثبت في تلك الرقعة عيوناً كثيرة لقوله تعالى: ﴿قَبْرِي بِأَيْتِنَا﴾ [القنقن: ١٤] وأن يثبت له جنباً واحداً لقوله تعالى: ﴿بِكَبْرَتِكَ عَلَيَّ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنِّبِ أَلْوِي﴾ [الزمر: ٥٦] وأن يثبت على ذلك الجنب أيدي كثيرة لقوله تعالى: ﴿يَمِينًا عَمِلْتَ أَيْدِينَ﴾ [يس: ٧١] ويتقدير أن يكون له يداً فإنه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله ﷺ: «وكلتا يديه يمين» وأن يثبت له ساقاً واحداً لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكَنَّفُ مَنْ مَلَأَ﴾ [الفلم: ٤٢] فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقعة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب واحد ويكون عليه أيدي كثيرة وساق واحد ومعلوم أن هذه الصورة أقيح الصور ولو كان هذا عبداً لم يرغب أحد في شراؤه فكيف يقول العاقل إن رب العالمين موصوف بهذه الصورة؟! وإن كان الثاني وهو أن لا يقتصر على الأعضاء المذكورة في القرآن بل يزيد وينقص على وفق التأويلات فحينئذ يبتطل مذهب في الحمل على مجرد الظواهر ولا بد له من قبول دلائل العقل اهـ.

(٢) لأن كلام أهل العربية في الدلالات الثلاث (دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة وعلى جزئه تضمن وعلى الخارج اللازم التزام) والاجتراف على إجراء ذلك في الأسماء المقدسة مبالغة في القول بالتركيب في المعنى بإثبات الجزء في دلالتها كما قال المصنف على أن ابن حزم قطع على الحشوية سبيل القول بالعمرة بأن قال إن الأسماء الحسنى أسماء أعلام للذات العلية لا تدل على الصفات باعتبار أن الله سماها أسماء. فضاقتوا ذرعاً من كلامه هذا جداً وليس هذا موضع توسع لبيان ما له وما عليه، وكفى للبصير مجرد الإشارة إليه.



يقتضي أن له رحمة وكذا ضارب، مدلوله شيء له الضرب ولا نقول بأن الضرب بعض مدلوله وإن كان قاله بعض الأصوليين من جهة تركيب العقل ما دلّ عليه اللفظ لا من جهة أن الواضع وضعه لهما كما أشعر به كلام هذا القدم، واستعماله في الأسماء المقدسة جراً جراتها عقيدة سوء مبالغة إلى معنى التركيب.

### فصل

قال: «الملحدون ثلاثة: المشركون وإخوانهم الاتحادية، والثاني: المعطلة يقولون ما ثم غير الاسم عطل حرف ثم أول وافقها واقذف بتجسيم وبالكفران للمبشرين، فإن احتجوا عليك فقل مجاز فإن غلبت عن المجاز فقل الألفاظ لا تفيد اليقين فإن غلبت عن تقريره فقل العقل مقدم على النقل، والثالث: منكر الخالق الصانع لا يوحسبك غربة بين الورى قل لي متى سلم الرسول وصحبه وتظن أنك وارث لهم ولا جاهدت في الله حق جهاده».

هذا الرجل قال قبل ذلك إنه لم ينكر أحد الخالق وقد ناقض هنا وجعل القسم الثاني من الملحدة خصمائه ووصفهم بما قال، وهم هداة الأمة.

### فصل

في النوع الثاني من توحيد المرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين.

قال: «وهو أن لا تعبد غير الله، فالمشركون اتخذوا أنداداً يحبونهم كحب الله، ولقد رأينا من فريق يدعي الإسلام شركاً جعلوا له شركاء سووهم به في الحب بل زادوا لهم حباً - والله - ما غضبوا إذا انتهكت محارم ربهم حتى إذا ما قيل في الوثن الذي يدعونه ما فيه من نقصان فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن عدوان وضرب وتعزير وسب وتسجان، قالوا تنقصت الأكابر والأمر - والله العظيم - يزيد فوق الوصف، وإذا ذكرت الله توحيداً رأيت وجوههم مكسوفة الأكرام، وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم يستبشرون - والله - ما شئوا روائح دينه». انتهى تنازه على المسلمين قبحه الله.

### فصل

في صفة العسكريين وتقابل الصفيين واستدارة رحي الحرب العوان ونصاويل الأقران.

أبصر كيف يوقع الملعون العداوة بين المسلمين .

فذكر جماعة ثم قال: «وخيار عسكرهم فذاك الأشعري القدم» أو القرم «ذاك مقدم الفرسان» .

سواء أقال القدم أو القرم قد جعله من عسكر الملحدين .

قال: «لكنكم ما أنتم على إثباته صفوا الجيوش وعبثوها وابرزوا للحرب واقربوا من الفرسان فهم إلى لقيامكم بالشوق كي يوفوا بنذرهم من القرين، تبا لكم لو نستحون لكنتم خلف الخدور كأضعف النسوان، من أين أنتم والحديث وأهله ما عندكم إلا الدعاوى والشكاوى وشهادات على البهتان هذا الذي والله نلنا منكم قبح الإله مناصباً ومأكلاً قامت على البهتان والعدوان» .

يكون أقبح من هذا الإغراء .

### فصل

#### في الهدنة بين المعطلة والاتحادية حزب جنكسخان

قال: «يا قوم صالحتم نفاة الذات ولأجل ذا كتتم مخائناً لهم» .

ينبغي أن يعرض عن كلام هذا المتخلف .

### فصل

#### في مصارع المعطلة بأسنة الموحدين

قال: «وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل وترى وترى وترى فاقراً تصانيف الإمام حقيقة شيخ الوجود العالم الرباني أعني أبا العباس<sup>(١)</sup> وقرأ كتاب

#### كلمة صاحب الدرة المضية في ابن تيمية

(١) وعن هذا الشيخ الذي يطريه الناظم يقول صاحب الدرة المضية: «قد أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد، بعد أن كان متسترأ بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتراكيب في الذات المقدسة وبأن الانتقار إلى الجزء ليس بحال وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى وأن القرآن سجدت تكلم الله به بعد أن لم يكن وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم بالقول بأنه لا أول للمخلوقات، فقال =

العقل، والنقل، والمنهاج<sup>(١)</sup>، والتأسيس وغيرها وقرأت أكثرها عليه فزادني - والله - في علم وفي إيمان، هذا ولو حدثت أنه قبلي يموت لكان غير الشأن وله المقامات الشهيرة أبدى فضائهم<sup>(٢)</sup> وبين جهلهم وأصارهم تحت نعال أهل الحق، كانت نواصينا بأيديهم فصارت نواصيهم بأيدينا وغدت ملوكهم مماليكاً والقدم يوحشنا وليس هنا كم فحضوره ومغيبه سيان.

وهذا الفصل تسعون بيتاً ماذا تضمن من الكذب الذي يدل على أن قائله خرق جلباب الحياة.

## فصل

يزيد على مائة وعشرين بيتاً مما يهيج ويوقع العداوة وليس فيه قط إفادة.

بحوادث لا أول لها فأنبت الصفة القديمة حادثة والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ولا نحلة من النحل فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افتقرت عليها الأمة وكل ذلك وإن كان كثيراً شنيعاً مما تغل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع فإن مثلقي الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلون والداعي إليه من أصحابه هم الأذليون، وإذا حوققوا في ذلك أنكروه. وأما ما أحدثه في الفروع فأمر قد عمت به البلوى. وقد بث دعائه في أقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثة وأضل بذلك جماعة من العوام ومن العرب والفلاحين. . . وليس عليهم. . . اهـ.

والدرة المضية هذه مطبوعة ضمن المجموعة السبكية ونسخة مخطوطة منها موجودة في مكتبة أبيصوفيا في إسطنبول. ومثل هذا الضال المضل اتخذته الناظم قدوة في تثته عاملهما الله تعالى بعدله ولم يكن بغض علماء أهل الحق لهما إلا بغضاً في الله شأنهم مع كل زائف، ومن حمل ذلك على الحسد لم يعرف سيرة الرادين عليه ولا مبلغ زيغ الناظم وشيخه فمثل هذا القول ينسب من جهل قائله أو زينه.

(١) مطبوع في هامش منهاجه، وأما التأسيس في رد أساس التقديس فقد فضح ابن تيمية به نفسه وهو في ضمن الكواكب الدراري لابن زكنون الحنبلي في المجلدات (رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) بظاهرة دعش وقد سبق أن وصفت الكواكب فيما علقته على المصعد الأحمد لابن الجزري فلر قام بطبع التأسيس أحدهما لما بقي من أهل البسيطة أحد لم يعلم دخائل ابن تيمية. وقد نقلت منه نصوصاً كثيرة فيما علقته على هذا الكتاب كما سبق في مواضع على أن مبلغ زيفه ظاهر من الكتابين المذكورين لمن ألقى السمع وهو شهيد، ويتيجج بهما هذا الزائف كتبججه بالتأسيس، هكذا شأن مقلدة الزائفين يتنون على الزيف ويزدادون غواية. وقد أشرت إلى بعض ما في منهاجه ومعرفه في «الإشفاق على أحكام الطلاق» فليراجع هناك.

(٢) كلا بل فضح نفسه وأذناه وفادته وأصارهم تحت نعال أهل الحق بجهله وخرقه ولم يزل ينقل من محبس إلى محبس ومن هوان إلى هوان حتى أفضى إلى ما عمل وخلف شوائده وصمة الأبد، لكن قاتل الله الرقاعة تحاول قلب الحقائق.

## فصل

## في كسر الطاغوت الذي نفوا به الصفات

ثمانية وثمانون بيتاً كلها تهيج وإشلاء وسفاهة.

من جملتها:

فتعين الإلزام حينئذ على قو ل الرسول ومحكم القرآن  
وجعلتم أتباعه مانسترا خو فأمن التصريح بالكفران  
«والله - ما قلنا»<sup>(١)</sup> سوى ما قاله فجعلتمونا جنة والقصد مفهوم فنحن وقاية  
القرآن».

ما يحس أن يتخيل أحد في مسلم أنه يقصد الرد على القرآن والرسول.

ثم قال: «والله لو نشرت لكم أشياءكم عجزوا.

إن كنتم فحولاً فابرزوا ودعوا الشكاوى حيلة النسوان  
وإذا اشتكىتم فاجعلوا الشكوى إلى الوحيين<sup>(٢)</sup> لا القاضي ولا السلطان

## فصل

## في مبدأ العداوة بين الموحدين والمعطلين

قال: «يا قوم تدررون العداوة بيننا من أجل ماذا؟ إنا تحيزنا إلى القرآن والنقل

(١) اتقى الله لا تحلف به كذباً هذا الكلب المكشوف أين قال الله أو قال رسوله ﷺ إن الله متمكن على العرش تمكن استقرار أو إن الحوادث تقوم به؟ أو إن الحوادث لا أول لها وإن من لم يقل ذلك معطل ملحد وإنه في جهة العلو من رؤوس العباد أو إنه تكلم بحرف وصوت إلى آخر تلك المخازي أو أين قال الله أو قال رسوله ﷺ إن المنزهين لله من المادة والماديات والجسم والجسمانيات من حزب جنكزخان.

(٢) إن كان يريد بهما الكتاب والسنة فقد ظهر ظهوراً لا مزيد عليه بما بسطناه في هذا الكتاب من تحاكمنا إليهما أننا على الحق وخصومنا على الزيغ والضلال السبين، وإن كان يريد بهما وحي شياطين الجن ووحى شياطين الإنس على ما هو الظاهر من تلبساته فلنستحياكم معه إلى الطواغيت «وَيَسْتَعِزُّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قُلُوبِهِمْ بِأَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ» [الشُرَاه: ٢٢٧] ولا بأس أن أهمس في أذنه وأذان أشياعه أنه لم يبق في غالب البلاد سلطان لأحكام الشرع يخاف الفاتنون جانبه بسبب تلك الفتن الدامية التي كانت الحشوية يثرونها على طول القرون في أخطر أيام الإسلام حتى تركوا الشرع لا سلطان له إلا على قلوب المسلمين حقاً وأصبح الإسلام بالحالة التي نراها والله سبحانه وتعالى يتنقم من هؤلاء الفاتنين الدائبين على السعي في تفريق كلمة المسلمين وتوهين سلطان الدين وأعاد إلى الدين سلطانه، إنه قريب مجيب.

الصحيح والعقل الصريح فاشتد ذلك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتأصلت تلك العداوة من يوم أمر إبليس بالسجود فأتى التلاميذ الوقاح فانظر إلى ميراثهم ذا الشيخ هذا الذي ألقى العداوة بيننا».

## فصل

### في أن التعطيل أساس الزندقة

قال: «من قال إن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم<sup>(١)</sup> به وليس أمره قائماً به وليس فوق عبادته، فثلاثة لا تبقى من الإيمان حبة خردل وقد استراح من القرآن والرسول وشريعة الإسلام وتمام ذلك جحوده للصفات وتمامه الإرجاء وتمامه قوله في المعاد»<sup>(٢)</sup>.

## فصل

### في بهت أهل الشرك والتعطيل

قال: «قالوا تنقصتم رسول الله، وأعجباً، ونظيره قول النصارى إنا تنقصنا المسيح».

هذه الفصول كلها كما ترى.

(١) كم يكرر النظام قيام الفعل به تعالى وهو الذي دعاه وشيخه إلى القول بحوادث لا أول لها وهذا من الخطورة بمكان، قال الإمام أبو منصور عبد القاهر في أصول الدين: وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم بأن الله له حد ونهاية من جهة السفلى، ومنها يعاس عرشه ولقولهم بأن الله محل للحوادث وإنما يرى الشيء برؤية تحدث فيه ويدرك ما يسمعه بإدراك يحدث فيه ولولا حدوث الإدراك فيه لم يكن مدركاً لصوت ولا مدركاً لمرئي وقد أفسدوا بإجازة حلول الحوادث في ذات الله تعالى لأنفسهم دلالة الموحدين على حدوث الأجسام بحلول الحوادث اهـ. وأنت عرفت مذهب الناظم في تلك المسائل.

(٢) ثم قال:

وتمام هذا قولكم بفناء دار الخلد فالسداران فانيشان

مع أن الناظم يقول في كثير من كتبه بنفي الخلود للكفار في النار وبهذا حكم على نفسه بالكفر، انظر كلامه فيمن لا يرى قيام الحوادث بالله والفقوية المكابية له تعالى. وجعل العمل جزءاً من الإيمان حقيقة مؤد إلى تكفير مرتكبي الكبائر كما هو مذهب الخوارج. ونفي قيام الأفعال الحادثة به تعالى بعده نفي الصفات والله يتنعم منه.

## فصل

قال: «ولنا الحقيقة من كلام إلهنا ونصيبكم منه المجاز الثاني وخيامنا مضرورية بمشاعر الوحيين وخيامكم»<sup>(١)</sup> مضرورية في التيه فالمكان كل ملدد حيران، هذه شهادتهم على محصولهم عند الممات والله يشهد أنهم أيضاً كذا ولنا المسانيد والصحاح ولكم تصانيف الكلام وتقول: قال الله قال رسوله في كل تصنيف وكل مكان لكن تقولون: قال أرسطو وقال ابن الخطيب<sup>(٢)</sup> وقال ذو العرفان شيخ لكم يدعى ابن سينا، وخيار ما تأتون قال: الأشعري وتشهدون<sup>(٣)</sup> عليه بالبهتان، والكفر عندكم خلاف شيوخكم ووافقهم فحقيقة الإيمان».

انتهى، يكفيه أن ينسب القائلين عند موتهم بالعجز عن حقيقة الإدراك إلى الكفر وهي كلمة الصديق الأكبر (إن العجز عن حقيقة الإدراك إدراك).

(١) بل أهل السنة هم الذين جمعوا بين الكتاب والسنة وآثار السلف والبراهين العقلية التي هي من حجاج الله سبحانه، من غير إعمال شيء منها، مراعين مراتب الأدلة ووجوه الدلالة وإنما مذهب السلف عدم الخوض في الصفات مع التنزيه العام وهم من أبعد الناس عن حمل ما في كتاب الله وما صح في السنة على ما يوهم التشبيه فإذا تكلموا إنما يتكلمون بما يوافق التنزيه وهم الذين يقولون فيما صح لفظه: «أمروه كما جاء بدون تفسيره بل تفسيره فراهته بلا كيف ولا معنى» كما تواتر ذلك عن السلف ولا سيما عن أحمد وقد ذكرنا بعض نصوص لهم في ذلك، وأما أصحاب الناظم فهم الذين جمعوا بين الإسرائيليات والجاهليات وأنواع الخرافات والأخبار الموضوعات كما يظهر من كتبهم في العلو والسنة والتوحيد والنحل أين في الصحاح والسنن (ينزل بذاته) و(يسوي على العرش استواء استقواء وجلوس) و(يتحرك) و(يتكلم بصوت)؟ فلو وقفوا حيث وقف الكتاب والسنة والبرهان العقلي وأبوا الخوض في الصفات بمقولهم الضئيلة لكانوا على الهدى لكنهم حادوا وزادوا، قاتلهم الله ما أوقفهم وأشنع إنكهم على أهل الحق.

## عظم شأن الفخر الرازي في الرد على الحشوية

(٢) هو الإمام فخر الدين الرازي، سيف الله المسلول على المجسمة وهو من أبغض أهل العلم إليهم لأنه تمكن ببيانه الواضح وبرهانه الدامغ من إزالة شرور المجسمة من بلاد الشرق كما أجهز على المجسمة الذين أووا إلى الشام بكتابه (أساس التقديس) وهو كتاب يحق أن يكتب بماء الذهب وأن يجعل من كتب الدراسة في بلاد نشيع فيها مخازي المشبهة وهو كاف في فمهم، والله سبحانه يكافيه على ذلك، وتفسيره الكبير من أهم الكتب في الرد على الحشوية وفي ذلك ما يكون كفارة لما بدر منه من بعض أغلاط، سامحه الله وأعلى منزله في الجنة.

(٣) ومنذبه هو ما في كتب أصحابه وأصحاب أصحابه كأبي منصور عبد القاهر البغدادي والفشيربي وابن الجوزي ونحوهم وقد أنشئ الحشوية مؤلفات الإمام في فتن بغداد وتصرفوا فيما بالأيدي من كبه ودسوا ما شاوروا، قاتلهم الله.

## فصل

أنكر فيه على خصومه تكفيرهم إياه وقال: «اسمع إذن يا منصفاً حكميها وانظر إذن هل يستوي الحكمان، هم عندنا قسمان أهل جهالة ومعاند فالمعاند كافر والجاهل نوعان أحدهما متمكن من العلم فهو فاسق وفي كفره قولان، والوقف عندي فيهم لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الإيمان، والله أعلم بالبطانة منهم لكنهم مستوجبون عقابه قطعاً لأجل البغي والعدوان، النوع الثاني عاجز عن بلوغ الحق مع قصد وإيمان وهم ضريان أحدهما قوم دهاهم حسن ظنهم بشيوخهم فمعذورون إن لم يظلموا أو يكفروا والآخرين طالبون للحق لكن صدهم عن علمه شيطان أحدهما طلب الحقائق من سوى أبوابها فأولاء بين الذنب والأجرين فانظر إلى أحكامنا فيهم وأحكامهم فينا». انتهى كلامه، وهو كلام من يعتقد أن خصومه خارجون بتكفيره وخصومه يقولون لا تكفر أحداً من أهل القبلة.

## فصل

## في أذان أهل السنة بصريحها جهراً على رؤوس منابر الإسلام

قال: «شبهتم الرحمن بالأوثان»<sup>(١)</sup> في عدم الكلام هم أهل تعطيل وتشبيه معاً

## ناحت المجمل

(١) بل من قال إن كلام معبوده حرف وصوت قائمان به فهو الذي نحت عجللاً: «لا يحل لمسلم أن يمتد أن كلام الله صوت وحرف لا من طريق العقل ولا من طريق الشرع، فأما طريق العقل فلأنه الصوت والحرف مخلوقان محصوران، وكلام الله يجمل عن ذلك كله وأما من طريق الشرع فلأنه لم يرد في كلام الله صوت وحرف من طريق صحيحة ولهذا لم نجد طريقاً صحيحة لحديث ابن أنيس وابن مسعود اهـ».

وأنت تعلم مبلغ استحبار ابن العربي في الحديث وجزء الصوت للحافظ أبي الحسن المقدسي لا يدع أي متمك في الروايات في هذا الصدد لهؤلاء الزائغين ومن رأى نصوص فتاوى العز بن عبد السلام وابن الحاجب والجمال الحصري والعلم السخاوي ومن قبلهم ومن بعدهم من أهل الحق كما هو مدون في نجم المهتدي ودفع الشبه وغيرهما يعلم مبلغ الخطورة في دعوى أن كلام الله حرف وصوت قائمان به تعالى وقد سبق نقل بعض النصوص منها ولا تصح نسبة الصوت إلى الله إلا نسبة ملك وخلق لكن هؤلاء السخفاء رغم تضافر البراهين ضدهم ودثور الآثار التي يريدون البناء عليها يماندون الحق ويظنون أن كلام الله من قبيل كلام البئر الذي هو كيفية اهتزازية تحصل للهواء من ضغطه باللهة واللسان، تعالى الله عن ذلك، ويدور أمرهم بين التشبيه بالصنم أو التشبيه بابن آدم «أَوَلَيْكُمُ اللَّاتِحِيُّ بَلْ هُمُ الْمُتَلَبِّسُونَ» [الأعراف: ١٧٩].

بالجمادات تسعون وجهاً يبطل المعنى الذي قلتم هو النفس<sup>(١)</sup> للقرآن.

ولا وجه واحد. (وتسعون إلى آخره ساقطة من المطبوع).

قال: «والله قد عرج الرسول حقيقة».

### الكلام النفسي

(١) وقد صبح عن أحمد فيما جاوب به المتوكل وغيره كما هو مذكور في كتاب السنة وعيون التواريخ وغيرهما أنه كان يقول: القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق فالقرآن غير مخلوق وهذا دليل على أنه كان يريد بالقرآن ما هو قائم بالله، وتابعه ابن حزم في الفصل. فقوله تعالى: ﴿فَأَسْرَمًا يُولُفٌ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يُبَيِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتَهُ سُرٌّ مَكْنَانًا﴾ [يوسف: ٧٧] فقال: إما بدل من أسر أو استئناف بياني وعلى التقديرين تدل الآية على أن للنفس كلاماً لقوله في نفسه - كما حكى القرآن الكريم - ﴿أَنْتَهُ سُرٌّ مَكْنَانًا﴾ [يوسف: ٧٧] وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ لَنَا لَا تَسْمَعُ يَرِيضُهُمْ وَيَجْرِبُهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠] وفي الحديث السر ما أسرّه ابن آدم في نفسه وقوله تعالى: ﴿... يَتْلُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا نَجِدْنَا هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي يقولون في أنفسهم بدليل السياق وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ نَفْسَكَ فِي تَقِيَّتِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

كل ذلك من أدلة الكلام النفسي وحديث أم سلمة في الطبراني في رجل سأل النبي ﷺ قائلاً: إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لأجبت أجري، فقال ﷺ: «لا يلقي ذلك الكلام إلا مؤمن» وما في الحديث القدسي «إِن ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِي» من أدلة الكلام النفسي أيضاً وقد أقر اللغوي بحجية الأخير في ذلك في كتاب العلولة، ومن الدليل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨] فقوله تعالى ﴿يَتْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٤٦] و﴿يَتْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَيْسَ فِي تَوْبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] و﴿يَتْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] لم يجعل القول باللسان مجازاً حتى يظن المجازية في القول في النفس تمسكاً بلفظ ﴿يَتْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] كما توهم بعض أهل الأهواء وقول عمر الفاروق «زورت في نفسي كلاماً» أشهر من نار على علم، فمن رد أن يكون كلام في النفس رد على تلك الأدلة الصريحة والحامل لأهل الحق على القول بالكلام النفسي هو إجماع التابعين على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق فخرجوا إجماعهم هذا على هذا الوجه المعقول وإلا لما صبح قولهم. وتسفيه أحلام التابعين جميعاً لا يصدر إلا عن مجازف فالفرق بين ما هو قائم بالخلق والمعنى القائم بالله سبحانه هو المخلص الوحيد في هذه المسألة فاللفظي حديث والنفسى قديم كما أشار إلى هذا وإلى ذلك إمام الأئمة أبو حنيفة وتابعه أهل الحق. ويتضح بهذا البيان الواضح أن قول بعض زهاد الحشوية في هذا البحث: «نحن نستدل في الحرف والصوت بقوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ﴾ [مریم: ١] ونحوه وقول النبي ﷺ: «يجمع الله الخلائق يوم القيامة...» وخصوصاً يستدلون بقول الأخطل النصراني «إن البيان لفي التوابع» بتحريف البابين إلى الكلام» هوأ بعيد عن الحقيقة بعد الأرض عن السماء وهراء لا يصدر إلا من السفهاء ومثل هذا السفه حمل بعض الشافعية أن يشترط في مدرسة بناها بدمشق أن لا يطأ أرضها يهودي ولا نصراني ولا حشوي حنبلي كما في المدارس في تاريخ المدارس وقانا الله شر العلو.



جسداً له خوار يحمل أشياعه على تعبه، قال أبو بكر ابن العربي في العارضة:

أين في القرآن إليه؟

«قال والله أكبر من أشار رسوله حقاً إليه بأصبع وينان».

أين في الحديث إليه؟

«قال والله فوق العرش والكرسي».

أين في القرآن إن الله فوق العرش؟.

### فصل

#### في تلازم التعطيل والشرك

«قال: واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لا شك مصطحبان أبداً فكل

معطل هو مشرك».

سواء أراد بالتعطيل الإنكار للذات أو إنكار الصفات أو بعضها هو مباين للشرك.

قال: «والناس في ذا ثلاث طوائف: إحدى الطوائف مشرك بإلهه فإذا دعاه دعا

إلهاً ثاني، وثانيها: جاحد يدعو سوى الرحمن، هو جاحد للرب يدعو غيره شركاً

وتعطيلاً له قدامان».

هذا ما يستقيم يا هذا.

قال: «وثالث هذه الأقسام خير الخلق فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا ذو الشرك

فهو معطل الرحمن».

### فصل

قال:

لكن أخو التعطيل شر من أخي الإشراك بالمعقول والبرهان

والله لا معقول ولا برهان وأخذ بينه بما لا يصح وإن كان فيه شيء كثير من

الصحيح لا يحصل به مقصوده بل يلبس به.

ثم قال:

لكن أخو التعطيل ليس لذيء إلا النفي أين النفي من إيمان

## فصل في مثل المشرك والمعطل

قال:

أين الذين قد قال في ملك عظيم م لست فينا قط ذا سلطان  
فذكر ثمانية أبيات من هذا الخطاب الذي قد خرق حجاب الهيبة ثم قال: «هذا  
وثنان قال أنت مليكتنا إذ حزت أوصاف الكمال ولقد جلست على سرير الملك متصفاً  
بتدبير عظيم الشأن». هذا تصريح بالجلوس<sup>(١١)</sup>. (وفي المطبوع وقد استوتيت).

(١١) بحسب المصنف كيف يصرح الناظم بالجلوس. ولأحد تلامذته الأخصاء جزءه في إثبات العمارة  
رداً على من يزهو الله سبحانه عن ذلك وما يتطوي عليه هؤلاء أفتلع بكثير من فئات لسانهم فلو  
كانوا بين قوم على معتقدهم لكنت تراهم يصرحون بكل ما تكن صدورهم. قال ذلك التلميذ  
- أعني محمداً المنجي - صاحب الفرج بعد الشدة في الجزء المذكور: قال الخلال في كتاب  
السنة: حدثنا أحمد بن الحسين الرقي حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثني أي  
عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين قال: بينما أنا جالس في المسجد إذ جاني فتادة بن  
الضمان يحدث وثاب إليه الناس، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لما فرغ من  
خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجله على الأخرى وقال إنها لا تصلح  
لبشر». قال الحافظ الذهبي وغيره إسناده على شرط البخاري ومسلم اهـ.

ولعلك علمت بذلك قيمة كتاب السنة للخلال، وفي ذلك الجزء من المخازي ما يضاهي ما  
نقلناه آنفاً، ولابن بدران الدشتي جزءه في إثبات الحد والجلوس لله سبحانه ويسوق فيه الحديث  
المذكور بطرق كما ذكرت ذلك فيما علقت على ذبول طبقات الحفاظ قائلهم الله ما أجزاهم  
على الله. ولعلك علمت بذلك أيضاً قيمة تهويلهم بأنهم يتابعون السنة كما علمت قيمة  
تصحيحهم للروايات المطابقة لزيغهم.

تنبيه: اللعبي يعد عن رشد ويفقد صوابه إذا جاء دور الكلام على أحاديث في الصفات أو في  
فضائل النبي ﷺ أو أهل بيته عليهم السلام وكذلك حينما يترجم لشافعي من الأشاعرة أو حنفي  
مطلقاً رغم تظاهره بالإنصاف والبعد عن التعصب في كثير من المواضع على سعة علمه في  
الحديث ورجاله. فهل يتصور من عالم يعقل ما يقول أن يصحح مثل هذا الحديث الذي بطلانه  
أظهر من الشمس في ضحوة النهار؟ فطالب الحق لا يعبر سمعاً لأقواله فيما ذكرناه. وهو  
شافعي الفروع إلا أنه مجسم اعتقاداً رغم تزيه منه في كثير من المواضع وعنده نزعة خارجية  
وإن كان أهون شراً بكثير من الناظم وشيخه في ذلك كله، ومن لا يكون متساهلاً في أمر دينه،  
لا يثنى بكلام مثله فيما ذكرناه بعد أن عرف دخائله. والتاج ابن السبكي أطراه غاية الإطراء  
حينما ترجم له في طبقات الشافعية الكبرى أداه لحق التلمذة عليه لكن لم يعنعه ذلك من =

= الإشارة إلى ما ينطوي عليه من البدع والأهواء في مواضع من كتابه حيث قال في الكتاب المذكور (١ - ١٩٧): وأما تاريخ شيخنا الذهبي فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب المفرط، لا أخذته الله فلقد أكثر الرقيعة في أهل الدين - أعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق - واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ومال فأفرط على الأشاعرة ومدح فزاد في المجسمة اه حتى عده لا يعول على تراجمه لهؤلاء، وقال أيضاً في حقه (٢ - ٢٤٩) من الكتاب المذكور: وتأتي أنت تتسكع . في ظلم التجسيم الذي تدعي أنك بريء منه وأنت من أعظم الدعاة إليه وتزعم أنك تعرف هذا الفن - يعني علم أصول الدين - وأنت لا تفهم منه نقيراً ولا فطيراً اه.

### حال الذهبي - ما له وما عليه

وقال أيضاً في ترجمة ابن جرير ناقلاً عن المحافظ صلاح الدين العلامي أنه قال عن الذهبي ما نصه: «لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله عن الناس ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ومنافرة التأويل والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه وميلاً قوياً إلى أهل الإثبات فإذا ترجم واحداً منهم يطلب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ويبالغ في وصفه ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن، وإذا أذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالي ونحوهما لا يبالغ في وصفه ويكثر من قول من طعن فيه ويعيد ذلك ويبيده ويعتقده ديناً وهو لا يشعر ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها وإذا ظفر لأحد منهم بغلظة ذكرها وكنكك يفعل في أهل عصرنا إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته والله يصلحه... ونحو ذلك وسببه المخالفة في العقائد، انتهى».

قال التاج ابن السبكي عقب ما تقدم ما نصه: «والحال في شيخنا الذهبي أزيد مما وصف وهو شيخنا ومعلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه وأنا أخشى عليه يوم القيامة عند من لعل أذناه عنده أوجه منه فالله المسؤول أن يخفف عنه وأن يلهمهم العفو عنه وأن يشفعهم فيه، والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه، وأما قول العلامي عن دينه وورعه وتحريه فيما يقوله فقد كنت أعتقد ذلك وأقول عند هذه الأشياء ربما اعتقدها ديناً، ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كلب وأقطع بأنه لا يختلفها وأقطع بأنه يحب وضعها في كتبه لنشر وأقطع بأنه يحب أن يعتد سامعها صحتها بنصاً للمتحدث فيه وتغيباً للناس عنه مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ومع اعتقاده (أن ذلك) مما يوجب نصر العقيدة التي يعتقدها هو حقاً، ومع عدم ممارسته لعلوم الشريعة غير أنني لما أكثرت بعد موته النظر في كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه توقفت في تحريه فيما يقوله ولا أزيد على هذا غير الإحالة على كلامه... إلى آخر ما قاله فليراجع باقي كلامه من أراد المزيد على ما نقلنا.

وقال التاج أيضاً في طبقاته وهو يترجم لإمام الحرمين ما نصه: «وقد كان الذهبي لا يدري شرح البرهان، ولا هذه الصناعة، ولكنه يسمع خرافات من طلب الحنابلة فيعتقدها حقاً =

ويودعها تصانيفه، هذا قدر عقلية الذهبي وقدر تحزبه عند صاحب الطبقات، ولعل القاري يرى هذه العقلية من أسخف العقليات كيف لا وهي عقلية ترى الخرافات حقاً وتودع في المصنفات ويبنى عليها ما يتخذه عباد الله ديناً، ورجل هذا حاله أي قدر يكون قدره عند أولي النهي، الذين عرفوا دخائله.

ولسنا نطيل النقل للقاريء في شأن سقوط كلام هذا الرجل في علماء الحنفية والمالكية والشافعية وهم قادة الأمة وأدلاؤها إذا ادلهم ليل المشكلات وكفى القاريء في هذا الرجل قول ابن السبكي السابق (والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله) فإن هذا معناه القضاء على الرجل وإسقاطه من عداد العلماء الذين يحترم قولهم، ليأتمل القاريء طويلاً في قول التاج ابن السبكي السابق أيضاً (ولم يكن يستجري أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أن لا ينقل عنه ما يعاب عليه) فإن هذا معناه أن الرجل كان يعلم حق العلم أنه قال في تلك الكتب ما يوقن أنه ليس بحق، ولذلك كان يحرص على أن لا يطلع الناس عليه لتلا يفصح بأكاذيبه البعيدة عما عليه العلماء الذين يكتب عنهم، وأرجو وألح في الرجاء أن لا يغفل القاريء عن قول صاحب الطبقات السابق في هذا الرجل من أنه (كان قليل المعرفة بمدلولات الألفاظ) ومن من العقلاء يرضى أن يسقط نفسه فيعد من زمرة العلماء رجلاً يصل به الجهل إلى درجة قلة المعرفة بمدلولات الألفاظ؟ كما أرجو القاريء أيضاً وأشد في هذا الرجاء أن يلتفت لقول صاحب جمع الجوامع (إن الذهبي لم يمارس علوم الشريعة) ومن فقد رشده وضاع صوابه حتى يستطيع أن يعد من العلماء رجلاً لم يمارس الشريعة فليعلم حق العلم ليراعي حق الرواية. ولا ينسى القاريء أن ما تقدم شهادة تلميح هو إمام فهو أعرف بشيخه ولعل هذا يكفي في دفع ما ربما يقوله بعض المغرورين بالذهبي أو ينقله عن بعض المغرورين.

وقد أشرت إلى حاله في مواضع مما علفت به على ذيول طبقات الحفاظ وزغل العلم.

ومما يزيدك بصيرة في هذا الباب اجترأ الذهبي على حذف لفظ «إن صحت الحكاية عنه» من كلام البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٠٣) عندما نقل كلامه في كتاب العلو (ص ١٢٦) في صدد نسبة القول بأن الله في السماء، إلى أبي جنيفة ليخيل إلى السامع أن سند هذه الرواية لا مغمز فيه مع أن نوحاً الجامع ريب مقاتل بن سليمان المجسم، في السند هالك مثل زوج أمه، وكذلك نعيم بن حماد ريب نوح، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتاج به لملعبه؟ وليس بقليل ما ذكره الذهبي في حقهما في ميزان الاعتدال على أنه لو سبق النفاق نحو عشرة آلاف شخص حول بدعه امرأة أنت من ترمذ إلى الكوفة للدعوة إلى مذهب جهم لكان لهذا النبأ شأن عظيم في كتب الأنبياء والرواية ولما انفراد يمثل ذلك الخبر يحيى بن يعلى المجهول عن نعيم بن حماد المهالك عن نوح الجامع لكل شيء غير الصدق ولا كان انفراد أحمد بن جعفر بن نصر عن يحيى المذكور ولا أبو الشيخ بن حيان صاحب كتاب العظمة الذي يحوي كل هائف وقد ضعهه بلديه الحافظ الصال، وقد أشار البيهقي بقوله «إن صحت الحكاية» إلى ما في الرواية من وجوه الخلل. وعندما حذف الذهبي هذا اللفظ يظن من لا خيرة عنده بالرجال أن الإله في السماء قول فقيه الحلة إمام شطر هذه =

الامة بل ثلثيها في جميع القرون مع بطلان رواية ذلك عنه بالمره. ولأبي حنيفه كلمه في الفقه الأيسط روايه أبي مطيع عنه وهي «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض كفر» وعُتِل الأصحاب ذلك بأن هذا القائل جوز المكان في حقه تعالى وهو كفر؟ وما طبع في الهند باسم شرح الفقه الأكبر للماتريدي إنما هو شرح أبي الليث على الفقه الأيسط مع سقم النسخة الهندية، ويدار الكتب المصرية نسخة خطية جيدة من شرح أبي الليث. وقد زاد أبو إسماعيل الهروي في الفروق على تلك الكلمه ما شاء من كيه مما يوافق مذهبه في التجسيم كذباً وزوراً بسند مركب، ونقل الذهبي في كتاب العلو جمله ذلك بدون أن يذكر سند الهروي في روايته تحميه وترويجاً للباطل، وكذا فعل الناظم في عزه - راجع شرح أبي الليث وشرح البيهقي وإشارات المرام في عبارات الإمام للياضي، ودفع الشبه للثقي الحصني وشرح الفقه الأكبر لعلي الفاري، فيما نقله عن ابن عبد السلام ولم يراقب الله من زاد على الكلمه السابقه ما أشرنا إليه كما وقع في بعض نسخ الكتاب المذكور من عهد ذلك الهروي. وقد روى الذهبي في كتاب العلو أيضاً عن الدارقطني الأبيات المعروفة عند المجسمه بسند يقول فيه أنبأنا أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش أنبأنا ابن كادش أنشدنا أبو طالب العشاري أنشدنا الدارقطني: حديث الشفاعة في أحمد، إلى أحمد المصطفى بسنده الأبيات (وآخرها كما في بدائع الفوائد لابن القيم ٤ - ٣٩):

فلا ننكروا أنه قاسم ولا تجحدوا أنه يفسد

فأحمد بن سلامة الحنبلي شيخ الذهبي مات سنة ٦٧٨ والذهبي ابن خمس، ويحيى بن أسعد بن بوش الحنبلي الخباز المتوفى سنة ٥٩٣ وأحمد بن سلامة ابن أربع كان أمياً لا يكتب، وأبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله المترفي سنة ٥٢٦ من أصحاب العشاري اعترف بالوضع ويقال ثم تاب، راجع الميزان. وحكم مثله عند أهل التقه معروف، وأبو طالب محمد بن علي العشاري الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٢ مغفل يتقن ما يلقن، وقد راجت عليه العقيدة النسوية إلى الشافعي كذباً، وكل ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان وغيره، فهل يصح عزو تلك الأبيات إلى الدارقطني بمثل هذا السند؟ وقال الذهبي أيضاً في العبر في ترجمه أبي يعلى الحنبلي: (صاحب التصانيف وفقه العصر كان إماماً لا يدرك قراره ولا يشق عبارته وجميع الطائفة معترفون بفضلته ومخترفون من بحره). وأنت علمت حال أبي يعلى مما ذكره ابن الجوزي في دفع الشبه، ومما نقلناه عن كتبه في هذا الكتاب ومما ذكره ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٤٢٩، وترى للذهبي كثيراً ما يقول في رد ما أخرجه الحاكم في المستدرک في فضائله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام: أظنه باطلاً. بدون ذكر أي حجة، وقد ذكر ابن الوردی في تاريخه أنه آذى كثيراً من الأحياء بتدوين ما كان يسمعه من أحداث يجتمعون به.

وفيما ذكرنا كفاية في معرفة حال الذهبي نسال الله السلامة، ومع ذلك هو أهون شراً من الناظم وشيخه كما سبق، وله رساله إلى ابن تيمية ينصحه فيها ويمتنعه من المغالاة، وسبق نشرها مع زغل العلم له. وترى الذهبي مع ثنائه البالغ في حق ابن تيمية في كثير من كتبه يقول عنه: «وقد أوديت من الفريقين من أصحابه وأصداده وأنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية اه كما في الدرر الكامنة، ويقول عنه أيضاً: إنه اطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اه نقله ابن رجب عنه في طبقاته. ويقول عنه أيضاً في زغل العلم =

قال:

«إن المعطل بالعداوة معلن والمشركون أخف في الكفران»  
 ما لمن يعتقد في المسلمين هذا إلا السيف<sup>(١)</sup>.

## فصل

## في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

قال: «وروى ابن ماجه أن أولهم يصفحه<sup>(٢)</sup> إله العرش ذو الإحسان فاروق دين الله».

(ص ١٧) . . . وقد ثبت في وزنه وتفتيشه حتى ملئت في سنين متطاولة، فما وجدت الذي أخره بين أهل مصر والشام ومقتة نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكبر والمجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والأزهر والكبار، فانظر كيف وبال الدعوى ومحبة الظهور . . . وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن في ريب من ذلك اهـ.

ويقول عنه أيضاً في (ص ٢٣) من زغل العلم: « . . . وقد آيت ما أكل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق ويباطل فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منوراً مضيئاً على محياه سيما السلف ثم صار مظلماً مكسوفاً عليه قتمة عند خلاق من الناس، ودجالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه، ومبتدعاً مضلاً محققاً بارهاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الإسلام، وحامي حوزة الدين ومحبي السنة عند عموم عوام أصحابه اهـ. وهذه الكلمات نقلها السخاوي عنه أيضاً في (الإعلان بالتوبيخ) ومن الخطأ الفاحش عزوها إلى (قمع المعارض) للسيوطي اختراؤها بوضع رقم التعليق في (القول الجلي) غلطاً عند كلمة (قمع المعارض) مع تصحيف (زغل العلم) إلى (رجل العلم) بعد أسطر في الطبعيتين مع أن أصل التعليق كان على (زغل العلم) المصحف إلى (رجل العلم) كما نبهت على ذلك فيما علفته على الزغل المطبوع وإن لم ينفع تنبيهي عند أناس لا يوقظهم من سباتهم العميق غير نفخة الصور ولسبة (زغل العلم) إلى النهي ليست بموضع ريبة أصلاً، وهو من المخطوطات المحفوظة في التيمورية بدار الكتب المصرية وسأتي إن شاء الله تعالى في آخر الكتاب بصورة رسالة الذهبي التي بعث بها إلى ابن تيمية ينصحه في شواذه ويكفي ما ذكرناه هنا في تبين نظر الذهبي لابن تيمية مع أنه من أهل مذهبه المنخدمين به فنسجل للذهبي هذه الحسنات كتسجيلنا لسياته المذكورة مراعاة للعدل فيما له وفيما عليه وإيقاظاً للمقترين به، والله ولي الهداية.

(١) لأن ذلك زندقة مكشوفة ومروق ظاهر وإصرار على اعتقاد الإيمان كترأ بقبحه الله كيف يعتقد في المشركين أنهم أخف في الكفر من المؤمنين المنزهين والشيخ الإمام المصنف رضي الله عنه رجل معروف بالورع البالغ واللسان العفيف والقول النزيه لا تكاد نسمع منه في مصنفاته كلمة تشتم منها رائحة الشدة، ولينظر القاريء حاله هذا مع قوله في ابن القيم «ما له إلا السيف، إنه إن فكر في هذا قليلاً علم المعلم القاطع أن هذا الناظم بلغ في كفره مبلغاً لا يجوز السكوت عليه ولا يحسن لمؤمن أن يفضي عنه ولا أن يتساهل فيه.

(٢) قتاله الله، حديث موضوع يستدل به وشأن هذا الخبر في السقوط فوق أن يقال بين رجاله =

## فصل في عدد الجنات

قال: «سبحان من غرست يده»<sup>(١)</sup> جنة الفردوس ويده أيضاً أنقنت لبنائها، هي في الجنان كآدم لكننا الجهمي ليس لديه من ذا الفضل شيء فهو ذو نكران». إنما ينكر العضو والجراحة فإن كنت أنت تثبتها فاعرف.

قال: «ولد عقوق عتق والده ولم يثبت بذاً فضلاً عن الشيطان».

ما يستحي يكذب على الناس.

قال: «ولقد روى حقاً أبو الدرداء ذلك عويمر أثراً عظيم الشأن يهتز قلب العبد عند سماعه طرباً بقدر حلاوة الإيمان ما مثله أبداً يقال برأيه فيه النزول»<sup>(٢)</sup>. ثلاث ساعات: فأحدها ينظر في الكتاب، الثاني: يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة، والساعة الأخرى إلى عدن أهله هم صفوة الرحمين والساعة الأخرى إلى هذه السماء يقول هل من تائب ندمان».

الظاهر أنه ما ساق أبواباً في صفة الجنة إلا ليذكر هذا الحديث وأيضاً ليست الناس بسماع صفات الجنة فيقبلون على هذه القصيدة ويعكفون عليها فيفتنهم، أسأل الله العافية ويحق له اسم الحشوي لأن الباطل محشو في هذه القصيدة اللحناء.

قال: «وروى ابن ماجه مسنداً عن جابر بينا هم في عيشهم إذا بنور ساطع رفعوا رؤوسهم فرأوه نور الواحد وإذا برهم تعالى فوقهم»<sup>(٣)</sup> قد جاء للتسليم وقال السلام

= ضعيف بل بينهم ضعيف ومنكر الحديث وآخر قدرني خلا استحالة المتن وابن كثير أهون شراً من الناظم حيث أنكره جداً في جامع المسانيد (قال المنبجي الحنبلي في إثبات المماس): قال ابن تيمية والمعروف عند أئمة أهل السنة وعلماء أهل الحديث أنهم لا يمتنعون عن وصف الله أنه يسر ما شاء من خلقه بل يروون في ذلك الآثار ويردون على من نفاه. انتهى ذكره في الأجرية المصرية). فقلته الله، ما أجرأه على الله.

(١) خلق الله آدم بعناية خاصة وبدون سببية والد وأم هذا المعنى المجازي يعقله كل من عنده ذوق العربية وأما الخبر الذي يشير إليها الناظم ففي سننه ابن علي زيد بن جدعان لا يحتاج به.

(٢) هذا الخبر الموقوف ليس بثابت عن أبي الدرداء فضلاً عن ثبوت رفعه إليه ﷺ. وفي سننه زيادة بن محمد الأنصاري، قال البخاري: هو منكر الحديث وقال ابن حبان يروي المتأكبر عن المشاهير فاستحق الترك، نقله ابن الجوزي، ولملك علمت بذلك مبلغ قيمة ما يحتاج به هذا البجاجة النفاج.

(٣) قال الذهبي: إسناده ضعيف، وقال ابن الجوزي: موزع، وقال العقيلي: أبو عاصم العباداني - في سننه - منكر الحديث لا يتابع عليه. وأما فضل الرقاشي في السنن فممن لا يكتب حديثه ويمثل هذا الخبر يحتاج الناظم في تكييف الرؤية.

عليكم جهراً ومصدقه ﴿سَلَّمْتُمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّي تَرْجِيهِ﴾ [يس: ٥٨] من رد ذا فعلى رسول الله رده. الذي يحمله على محمل صحيح لا يرده والذي يحمله على صفات الأجسام هو الذي يرد ما يجب.

### فصل

#### في يوم المزيد<sup>(١)</sup>

قال: «فيرون ربهم تعالى جهرة ويحاضر الرحمن واحدهم محاضرة الحبيب يقول يا بن فلان، هل تذكر اليوم الذي قد كنت فيه مبارزاً بالذنب قالوا يحق لنا وقد كنا إذا جلساء رب العرش».

### فصل

كله فيما للبعد عند ربه في الآخرة ولو كان مفرداً بالتصنيف كان حسناً، ولكن إدخاله في قصيدة انتصب فيها للحكم بين الحشوي وخصومه وإسعار الحرب بينهم لأي معنى؟.

### فصل

رجع فيه إلى ما كان عليه مما في نفسه وذكر خصومه وفصول معه ذكر فيها فرق المعادين له.

### فصل

ختم به الكتاب في شيء يسير ولكن هذا آخر كلامنا في ذلك والله المستعان. قال المؤلف: شرعت في يوم السبت الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٤٩ وفرغت منه يوم السبت مستهل ربيع الأول من السنة<sup>(٢)</sup> والحمد لله وحده

(١) جمع طرقة أبو بكر بن أبي داود ذلك الكذاب الزائف وسبق بيان أن ابن عساكر ألف جزءاً في توهين طرقة فتذكر. ولفظ الجلساء لم يقع إلا في بعض الطرق الواهية لحديث يوم المزيد، راجع جزء ابن عساكر.

#### خاتمة السيف الصقيل

(٢) فيكون تأليف السبكي لهذا الكتاب قبل وفاة ابن القيم بنحو ستين. هذا وكنا وعدنا عند الكلام على الذهبي أن نأتي في آخر الكتاب بصورة رسالة بعث بها للهيبي إلى ابن تيمية يحذره فيها عواقب إصراره على الشلوذ عن جمهور العلماء في مسائل أصلية وفرعية وقد ظفرنا بها بخط =



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

تمّ السيف الصقيل

التقي ابن قاضي شهبة متقولاً عن خط البرهان ابن جماعة المتقول من خط الحافظ أبي سعيد الصلاح العلاتي المنسوخ من خط الشمس الذهبي نفسه، وخط التقي ابن قاضي شهبة معروف وتوجد كتب بخطه في دار الكتب المصرية والخزانة الظاهرية بدمشق منها قطعة من طبقات الشافعية بدار الكتب المصرية، ومنها ما انتقاء من التاريخ الكبير للذهبي مما يتعلق بتراجم الشافعية بالخزانة الظاهرية ففي إمكان الباحث الذي لا يعرف خط ابن قاضي شهبة أن يتأكد من خطه المقارنة بين الصورة الزنكوجرافية المنشورة هنا، المأخوذة عن الرسالة المذكورة المحفوظة بدار الكتب المصرية وبين خطه المحفوظ في الدار والخزانة المذكورتين وإلى تلك الرسالة أشار السخاوي حيث قال في الإعلان بالتوبيخ: «ورأيت له رسالة كتبها لابن تيمية هي في دفع نسبه لمزيد تمصبه مفيدة» وذلك في صدد الدفاع عن الذهبي رداً على من ينسبه لفرط التصعب كما ذكرت في صدر الرسالة عند نشرها مع الزغل قبل سنتين.

### مقدمة رسالة الذهبي إلى ابن تيمية

وقبل الرسالة لا بد من ذكر مقدمة هنا ليكون القارىء على بينة من أمر ابن تيمية وهي أن ابن تيمية هذا ولد بحران بيت علم من الحنابلة وقد أتى به والده الشيخ عبد الحلیم مع ذويه من هناك إلى الشام خوفاً من المغول، وكان أبوه رجلاً هادئاً أكرمه علماء الشام ورجال الحكومة حتى ولّوه عدة وظائف علمية مساعدة له، وبعد أن مات والده ولّوا ابن تيمية هذا وظائف والده بل حضروا دوسه تشجيعاً له على المضي في وظائف والده وأثنوا عليه خيراً كما هو شأنهم مع كل ناشئ حقيق بالرعاية. وعطفهم هذا كان ناشئاً من مهاجرة ذويه من وجه المغول يصحبه أحد بني العباس - وهو الذي تولى الخلافة بمصر فيما بعد - ومن وفاة والده بدون مال ولا تراث بحيث لو عيّن الآخرون في وظائفه للقى عياله البؤس والشقاء، وكان في جملة المثنين عليه الناج الفزاري المعروف بالفرکاح وابنه البرهان والجلال القزويني والكمال الزمكاني ومحمد بن الجريزي الأنصاري والعلا القزويني وغيرهم، لكن ثناء هؤلاء عزّ ابن تيمية - ولم ينته إلى الباعث على ثنائهم - فبدأ يذيع بدعاً بين حين وآخر وأهل العلم يتسامحون معه في الأوائل باعتبار أن تلك الكلمات ربما تكون فلتات لا ينطوي هو عليها، لكن خاب ظنهم وعلموا أنه فائن بالمعنى الصحيح فنخلوا عنه واحد إثر واحد على توالي فتنه، كما سبق. والذهبي كان من أشياعه ومتابعيه إلا في مسائل، لكنته لما وجد أن فتنه تأخذ كل مأخذ ولم يبتّ معه سوى مقلدة الحشوية والمتنخدين به وهم شباب بدأ يسعى في تهدئة الفتنة، مرة يكتب إلى أصداده لأجل أن يخفروا لهجتهم معه - كما فعل مع السبكي على رواية ابن رجب ولم نطلع على غير صدر الجواب على تقدير صحة ذلك الصدر - ومرة يكتب هذه الرسالة إلى ابن تيمية نفسه.



نص رسالة الإمام الذهبي  
إلى شيخ الإسلام ابن تيمية



## نص الرسالة

ولا تخلو قراءة هذا الخط من بعض صعوية على بعض القراء فإليك الرسالة بالحروف المعتادة مع عنوانها:

رسالة كتب<sup>(١)</sup> بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتبها<sup>(٢)</sup> من خط قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله وكتبها هو من خط الشيخ الحافظ أبي سعيد بن العلاء وهو كتبها من خط مرسلها الشيخ شمس الدين.

الحمد لله على ذلتي، يا رب ارحمني وأقلني عثرتي. واحفظ عليّ إيماني. وا حزنانه على قلة حزنتي، وا أسفاه على السنة وذهب أهلها. وا شوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء. وا حزنانه على فقد أناس كانوا مصاييح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات. آه على وجود درهم حلال وأخ مونس، طوى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. وتباً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القداة في عين أخيك وتسى الجذع في عينك! إلى كم تمدح نفسك وشقاشك وعبارتك وتذم العلماء وتبيح عورات الناس مع علمك بنهي الرسول ﷺ «لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» بلى أعرف أنك تقول لي لتتصر نفسك: إنما الوقعة في هؤلاء الذين ما شئوا والحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ وهو جهاد. بلى والله عرفوا خيراً كثيراً مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئاً كثيراً مما لا يعنيه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. يا رجل بالله عليك كف عنا فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام. إياكم والغلو طات في الدين كره نبيك ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» وكثرة

(١) بضمين (بعث).

(٢) والكا تب هو التي ابن قاضي شهبة وقد ذكر في طبقات الشافعية أنه اطلع على مجاميع وفوائد بخط البرهان ابن جماعة.

الكلام بغير زلل تقسي القلوب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونانية والفلاسفة وتلك الكفریات التي تعمي القلوب. والله قد صرنا ضحكة في الوجود فإلى كم تنبش دقائق الكفریات الفلسفية لئرد بمقولنا، يا رجل قد بلغت (سوم) الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات. وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن. وا شوقه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر وخشية بتذكر وصمت بتفكر. وأهأ لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. بلى عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة. كأن سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقتين فواختيهما بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب وجدوا في ذكر بدع كنا نعددها من أساس الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون. وتمد النصارى مثلنا، والله في القلوب شكرك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد. يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال لا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطولياً شهوانياً. لكنه يتفعل ويجاهد عندك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه فهل معظم أتباعك إلا قعيد مريوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوي المكر أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك. إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار. إلى كم تصادقها وتزدرى الأبرار. إلى كم تعظمها وتصغر العباد إلى متى تخاللتها وتمقت الزهاد. إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين. يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار. أما أن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل. بلى - والله - ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر الموت فما أظنك تقبل على قولني ولا تصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذنان الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقول: والبتة سكت. فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشقوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك وأعدائك - والله - فيهم صلحاء وعفلاء وفضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر. قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتتفع بمقالتني سرأ (فرحم الله امرأه أهدى إلي عيوبي) فإني كثير العيوب غزير الذنوب. الويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيتي من علام الغيوب ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وهنا انتهت صورة رسالة الذهبي إلى ابن تيمية وفيها عبر بالغة. وليكن هذا آخر تكلمة الرد على نونية ابن القيم وبها يكون إن شاء الله تعالى (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم).

### لماذا يقال للناظم ابن القيم

وقد عرف الناظم بابن القيم حيث كان أبوه قيم المدرسة الجوزية الحنبلية التي أنشأها محيي الدين ابن الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي بسوق القمح المعروفة اليوم بالبزورية بدمشق، والغالب أن يقال له ابن قيم الجوزية لئلا يلتبس بابن القيم الكبير المصري الراوي عن الفخر الفارسي فإنه معمر مقدم، وبذلك يعلم أن من يقول عنه (ابن القيم الجوزي) واهم وهماً قبيحاً وإنما هو (ابن قيم الجوزية) كما قلنا - ويجد القاريء الكريم في كتابنا هذا الرد على ابن تيمية كما يجد فيه الرد على ابن القيم باعتبار أن الثاني إنما يردد صدى الأول في أبحاثه كلها دون أن تكون له شخصية خاصة بل هو ظل الأول في كل آرائه وجميع أهوائه فانتظمهما الرد ولعل فيما رددنا به عليهما كفاية للمنصف وقطعاً لعدل كل متعسف. وأما من تعود أن يقول: (عززة وإن طارت).

### خاتمة تكلمة الرد

فلبس خطابي معه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] وكان فراغي من إعادة النظر في الكتاب بمنزلي في آخر العباسية بمصر القاهرة - حرسها الله تعالى - ضحوة يوم الخميس المصادف لليوم الثالث من رجب سنة ١٣٥٦ وأسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين وأن يجعله ذخراً لي يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه المجيب البر التواب الرحيم، وأنا الفقير إلى عفو الله ومسامحته «محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري» خادم العلم بدار السلطنة العثمانية سابقاً عفا الله عن سيئاته ورفع منزلته ومنازل ذويه في الآخرة وأغدق عليه وعلى قرابته ومشايخه سحب رحمته ورضوانه وغفر لهم ولسائر المسلمين أجمعين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





# العالم والمتعلم للإمام أبي حنيفة

تحقيقه  
الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسنة بن علي الكوثري  
المتوفى ١٣٧١ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### كلمة عن العالم والمتعلم ورسالة أبي حنيفة إلى البتي والفقه الأيسط ورواتها

الحمد لله، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد رسول الله، وآله وصحبه وكل من هدى هديه وتابع نور هدايه. أما بعد فإن (العالم والمتعلم) رواية أبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، والرسالة التي بعث بها أبو حنيفة إلى عالم البصرة عثمان بن مسلم البتي المتوفى سنة ١٤٣هـ رواية أبي يوسف عن أبي حنيفة، والفقه الأكبر رواية أبي مطيع عن أبي حنيفة المعروف عند أصحابنا بالفقه الأيسط، والفقه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه، والوصية في عقيدة أهل السنة رواية أبي يوسف عن أبي حنيفة فتلك الرسائل هي العمد عند أصحابنا في معرفة العقيدة الصحيحة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه الغر الميامين، ومن بعدهم من أهل السنة على توالي السنين.

وإمام الهدى أبو منصور الماتريدي رضي الله عنه وعن سائر الأئمة بني توضيح الدلائل، على مسائل تلك الرسائل، كما جرى على ذلك الإمام المجتهد أبو جعفر الطحاوي في كتابه «بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن» رضي الله عنهم المعروف بعقيدة الطحاوي، فيتبين من ذلك مبلغ أهمية تلك الرسائل عند الباحثين، وتوجد نسخ مخطوطة منها في مكتبة الفاتح بالآستانة ودار الكتب الملكية بالقاهرة، وسبق أن نشرت كلها في مجموعة بالآستانة قبل مدة أكثر من قرن كامل فأصبحت تلك الطبعة بنفاد نسخها في حكم ما لم يطبع، وطبعت الوصية مع شروحاتها مرات، وكذلك الفقه الأكبر رواية حماد وشروحه.

وسبق أن طبع (العالم والمتعلم) رواية أبي مقاتل في الهند قبل نحو عشر سنين بمعرفة إخواننا الأعزاء هناك لكنه خلو من السند مع بعض مخالفة لما عندنا من النسخ، وطبع في الهند وفي مصر شرح الفقه الأكبر رواية أبي مطيع - وهو المعروف بالفقه الأبسط تمييزاً له عن رواية حماد بن أبي حنيفة - لكن نسب الناشر هذا الشرح سهواً إلى الإمام أبي منصور الماتريدي مع ظهور أن الشرح ليس له، بما جرى من نقول عن كثير ممن تأخر زمنه عن زمنه، وهو توفي سنة ٣٣٢هـ في رواية قطب الدين الحلبي الحافظ.

والواقع أن هذا الشرح لأبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣هـ. والطابع لم يتحرر صحة الأصل، فلعل أحد الطابعين يتولى إعادة نشر الشرح من أصل وثيق فيعيد الحق إلى نصابه. وعدة نسخ مخطوطة من الشرح باسم أبي الليث موجودة في دار الكتب المصرية. راجع المجموعتين ٣٤٩، ٣٩٣ ورقم ١٩٥ في علم الكلام بدار الكتب المصرية ففيها التصريح بنسبه إلى أبي الليث السمرقندي.

وحيث مئت الحاجة إلى تحقيق ونشر الثلاثة الأول: العالم والمتعلم، ورسالة أبي حنيفة إلى النبي في الإرجاء، والفقهاء الأباط، تقديماً للأهم على المهم، فإني أتحدث أولاً عن أسانيد تلك الكتب عند أصحابنا فأقول:

أما كتاب العالم والمتعلم رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة فيرويه الموفق المكي في المناقب (١ - ٨٤ و ٩٧): كتابة عن أبي حفص عمر بن محمد النسفي عن أبي علي الحسن بن عبد الملك النسفي عن جعفر بن محمد المستغفري عن أبي عمرو محمد بن أحمد النسفي عن الإمام أبي محمد الحارثي البخاري عن محمد بن يزيد عن الحسن بن صالح عن ابن مقاتل عن أبي حنيفة (ح)<sup>(١)</sup> وعن أبي حامد محمد بن أبي الربيع المازني المقرئ. قراءة عن أبي العلاء حامد بن إدريس عن أبي المعين ميمون بن محمد النسفي، عن أبي طاهر المهدي بن محمد الحسيني، عن أبي يعقوب يوسف بن منصور اليساري، عن أبي الفضل أحمد بن علي السليمانبي البيكندي، عن أبي سعيد حاتم بن عقيل الجوهري، عن الفتح بن أبي علوان ومحمد بن يزيد قالاً أنبأنا الحسن بن صالح عن أبي مقاتل عن أبي حنيفة (ح) وبعلو عن أبي حفص

(١) علامة تحول السند إلى سند آخر.

النسفي عن أبي يعقوب السيارى بسنده . وفي نسخة دار الكتب المصرية برويه ابن قاضي العسكر أبو الحسن علي بن خليل الدمشقي عن أبي الحسن برهان الدين علي بن الحسن البلخي، عن أبي المعين النسفي، عن أبيه محمد النسفي، عن عبد الكريم بن موسى البزدوي النسفي، عن أبي منصور الماتريدي عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني عن أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني وعن محمد بن مقاتل الرازي وهما عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله وأبي عصمة عصام بن يوسف البلخيين وهما عن أبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عن الجميع .

وقد طالت السنة بعض النقلة على أبي مقاتل كطول لسانهم على أبي حنيفة وأصحابه متذرعين في ذلك برميهم إياه بالرأي والإرجاء والتجهم ونحو ذلك مما يعلو تحقيق الحق والباطل منه على مداركهم حتى تراهم يرمونه بالكذب من غير حجة، وكل من قال بخلاف رأيهم فهو كذاب لقوله بما هو خلاف الواقع في نظرهم على جلالة قدره عند أصحابنا رضي الله عنهم . لا أخذ الله المخلفين على هذا العدوان الصارخ، فإن كان لا بد من النقل عن غير أصحابنا في التعويل على المرء، فدونك كلام أبي يعلى الخليلي في (الإرشاد) في أبي مقاتل: (مشهور بالصدق غير مخرج في الصحيح وكان يفتي وله في الفقه محل وتعنى بجمع حديثه خلف بن يحيى قاضي الري)، عُمُر كثيراً وعاش إلى أن مات سنة ثمان ومائتين وما وقع في اللسان من سنة ٢٥٨هـ كتاريخ لوفاته فسبق قلم، وإقامة ل(٥) بدل الصفر.

وأما رسالة أبي حنيفة إلى الإمام عثمان البتي عالم البصرة فسندها في نسخة دار الكتب المصرية برواية الإمام حسام الدين حسين بن علي بن الحجاج السفناقي - شارح الهداية - عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري عن شمس الأئمة محمد ابن عبد السار الكردي عن برهان الدين المرغيناني - صاحب الهداية - عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر الدين اليرسوخى عن علاء الدين أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي - صاحب تحفة الفقهاء - عن أبي المعين النسفي عن أبي زكريا يحيى بن مطرف البلخي عن أبي صالح محمد بن الحسين السمرقندي عن أبي سعيد سعدان بن محمد بن بكر البستي عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي عن نصير بن يحيى البلخي عن محمد بن سماعة التميمي عن أبي يوسف عن الإمام الأعظم رضي الله عنهم .

وأما الفقه الأبيسط فسنده في نسخة دار الكتب المصرية<sup>(١)</sup> برواية أبي بكر الكاساني - صاحب البدائع عن العلاء السمرقندي - صاحب تحفة الفقهاء، عن أبي المعين النسفي - صاحب تبصرة الأدلة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي المعروف بالفضل - وله نحو مائة وعشرين مؤلفاً إلا أنه متكلم فيه، عن ابن مالك نصران بن نصر الختلي عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي عن نصير بن يحيى عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي عن الإمام الأعظم. وفي مشبه الذهبي رواية نصران الختلي عن علي بن الحسن الغزال. (ح) وروى أبو المعين أيضاً عن يحيى بن مطرف عن أبي صالح محمد بن الحسين عن أبي سعيد سعدان بن محمد بن بكر بن عبد الله البستي الجرمي عن علي بن أحمد الفارسي السابق ذكر سنده، رضي الله عن الجميع، وأبو مطيع: تكلموا فيه على عاداتهم ورموه بالتجهم والإرجاء والرأي قال الذهبي: كان ابن المبارك يعظمه ويجله لدينه وعلمه. تفقه به أهل تلك الديار. كان بصيراً بالرأي علامة كبير الشأن اهـ. قال ابن حجر: روى عنه محمد بن مقاتل وموسى بن نصر وكانا يبجلانه اهـ. وكانت وفاته سنة ١٩٩هـ عن ٨٤ سنة رحمه الله. واختلاف المذاهب يؤدي في بعض النفوس إلى اختلاف القول في المرء وهذا مما يؤسف له نسأل الله السلامة.

وأما الفقه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه فله شروح كثيرة. وقد طبع مرات في كثير من العواصم كما طبع كثير من شروحه، وأما سنده ففي النسخة الخطية المحفوظة ضمن المجموعة رقم (٢٢٦) بمكتبة شيخ الإسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة المنورة زادها الله تكريماً، ففي أولها شد الشيخ إبراهيم الكوراني في الكتاب إلى علي بن أحمد الفارسي عن نصير بن يحيى عن ابن مقاتل (محمد بن مقاتل الرازي) عن عصام بن يوسف عن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه رضي الله عن الجميع، وفي مكتبة شيخ الإسلام هذه نسختان من الفقه الأكبر رواية حماد قديمتان وصحیحتان فإلى بعض الطابعين قام بإعادة طبع الفقه الأكبر من هاتين النسختين مع المقابلة بنسخ دار الكتب المصرية.

(١) راجع المجموعتين ٦٤٥م و ٢١٥م بدار الكتب المصرية، وأما رواية عبد الله الأنصاري الهروي الفقه الأكبر هذا، في كتابه الفاروق ففيها تزيد وتحريف الكلمة للإمام الأعظم على هوى الحشوية ومخالفة لروايات الآخرين فستفضح دخيلة هذه الخيانة في موضعها إن شاء الله تعالى (ز).

ففي بعض تلك النسخ: وأبو النبي ﷺ ماتا على الفطرة، (والفطرة) سهلة التحريف إلى (الكفر) في الخط الكوفي، وفي أكثرها. (ما ماتا على الكفر)، كان الإمام الأعظم يريد به الرد على من يروي حديث (أبي وأبوك في النار) ويرى كونهما من أهل النار. لأن إنزال المرء في النار لا يكون إلا بدليل يقيني وهذا الموضوع ليس بموضوع عملي حتى يكفي فيه بالدليل الظني.

ويقول الحافظ محمد المرتضى الزبيدي شارح الإحياء والقاموس في رسالته (الانتصار لوالدي النبي المختار). وكنت رأيتها بخطه عند شيخنا أحمد بن مصطفى العمري الحلبي مفتي العسكر العالم المعمر. ما معناه: إن الناسخ لما رأى تكرر (ما) في (ما ماتا) ظن أن إحداهما زائدة فحذفها فذاعت نسخته الخاطئة، ومن الدليل على ذلك سياق الخبر لأن أبا طالب والأبوين لو كانوا جميعاً على حلة واحدة لجميع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة لا بجملتين مع عدم التخالف بينهم في الحكم. وهذا رأي وجيه من الحافظ الزبيدي إلا أنه لم يكن رأى النسخة التي فيها (ما ماتا) وإنما حكى ذلك عن رآها، وإنني بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) في نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين كما رأى بعض أصدقائي لفظي (ما ماتا) و(على الفطرة) في نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الإسلام المذكورة. وعلي القاري بنى شرحه على النسخة الخاطئة وأساء الأدب سامحه الله. وكتب الرجال شحيحة في ذكر بعض الوفيات، فعلي بن أحمد الفارسي توفي عن سن عالية سنة ٢٣٣٥هـ. ونصير بن يحيى البلخي من أصحاب أبي سليمان الجوزجاني وأبي مطيع توفي سنة ٢٦٨هـ. وقد ناهز التسعين، ومحمد بن مقاتل الرازي من أصحاب محمد بن الحسن توفي سنة ٢٤٨هـ. وعصام بن يوسف توفي سنة ٢١٠هـ. عن ٨٤ سنة، ووفيات بعض هؤلاء في نوازل أبي الليث السمرقندي، وقد وقع في بعض النسخ المطبوعة والمخطوطة وفي بعض ما طبع لي (أبو مقاتل) و(نصر) بدل (ابن مقاتل) و(نصير) غلطا فوجبت الإشارة إلى ذلك، وهذا ما عن لي ذكره قبل تلك الرسائل المروية عن فقيه الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه وعن أصحابه وسائر أئمة الفقه وعلماء هذه الأمة أجمعين.

محمد زاهد الكوثري





# العالم والمتعلم

رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة

رضي الله عنهما

بتحقيق

محمد زاهد الكوثري



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو الحسن علي<sup>(١)</sup> بن خليل الدمشقي المعروف بابن قاضي العسكر أنبأنا أبو الحسن برهان الدين علي بن الحسن البلخي عن أبي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي عن أبيه عن عبد الكريم بن موسى البزدوي عن أبي منصور محمد الماتريدي عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، عن أبي سليمان موسى الجوزجاني وعن محمد بن مقاتل الرازي كلاهما عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وعصام بن يوسف البلخي وهما عن أبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي عن الإمام أبي حنيفة فيما أجابه على أسأله أنه قال:



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى عباد الله الصالحين، أما بعد فأوصيك بتقوى الله وطاعته، وكفى بالله حسيباً وجزاءً. ورزقنا الله حياة طيبة ومتقبلاً كريماً، وقد أجبتك فيما سألت عنه ولولا كراهية التطويل وأن يكثر لك شرحت لك الأمور التي أجبتك بها. ثم لا ألوك ونفسي خيراً والله المستعان وعليه التكلان.

قال المتعلم - وهو أبو مقاتل -: أتيتك أيها العالم - وهو أبو حنيفة - لانتفع بمجالستك لما أتيت من فضلك، وأرجو أن ينفعني الله تعالى بك. فأفتني عافاك الله إن أنا سألتك، لتستحق بذلك الثواب من الله سبحانه إنني ابتليت بأصناف من الناس وسألوني عن أشياء لم أهتم لجوابها، ولم أترك الحق الذي بيدي. وإن عجزت عن

---

(١) روى عنه الحافظ الشريف المعياطي. وعنه الحافظ عبد القادر القرشي وأسانيد أصحاب الإثبات إليه معروفة (ز).

جوابهم، وعرفت أن للحق من يعبر عنه، وليس الحق بمنقوض والباطل مزهوق به، وكرهت أيضاً لنفسى الجهالة بأصل الدين وما انتحل من الحق وأن تكون منزلي في أصل ما أدعي كمنزلة الصبي المتعلم الذي لا علم له بأصل ما يتكلم به، أو كمنزلة المبرسم أو المجنون الذي يهذي بما ينقض على نفسه ويشين به نفسه، فأجبت أصلحك الله تعالى أن أكون عالماً بأصل ما انتحل من الحق وأتكلم به حتى إذا جاءني ماردٌ يتمرد علي، أو يريد أن يزيلني عن الحق لم يطق، وإن جاءني متعلماً أوضحت له وأكون على بصيرة من أمري.

وقال العالم: نعم ما رأيت في ابتحائك عما يفنيك، واعلم أن العمل تبع للعالم كما أن الأعضاء تبع للبصر، فالعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير، ومثل ذلك الزاد القليل الذي لا بد منه في المغازة مع الهداية بها أنفع من الجهل مع الزاد الكثير، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدْعُونَ لِلَّهِ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ١٩] ﴿وَإِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولَئِكَ﴾ [الزهد: ١٩].

قال المتعلم: لقد زدني في طلب العلم رغبة، فأما قول الأصناف فإني سأبدأ بأدناهم منزلة عندي إن شاء الله تعالى، فأخبرني بالحجج عليهم رأيت أقواماً يقولون لا تدخلن هذه المداخل فإن أصحاب نبي الله ﷺ لم يدخلوا في شيء من هذه الأمور وقد يسعك ما وسعهم. وأن هؤلاء زادوني غمًا، ووجدت مثلهم كمثل رجل في نهر عظيم كثير الماء كاد أن يغرق من قبل جهله بالمخاضة فيقول له آخر: اثبت مكانك ولا تطلبن المخاضة.

قال العالم رحمه الله: أراك قد ابصرت بعض عيوبهم والحجة عليهم، ولكن قل لهم إذا قالوا ألا يسعك ما وسع أصحاب النبي ﷺ: بلى يسعني ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم، وليس بحضرتي مثل الذي كان بحضرتهم، وقد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا، فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطيء منا والمصيب؟ وأن لا نذب عن أنفسنا وحرمانا. فمثل أصحاب النبي ﷺ كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكفون السلاح، ونحن قد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا، مع أن الرجل إذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف فيه الناس وقد سمع ذلك لم يطق أن يكف قلبه، لأنه لا بد للقلب من أن يكره أحد الأمرين أو الأمرين جميعاً. فأما إن يحبهما وهما مختلفان فهذا لا يكون، فإذا مال القلب إلى الجور أحب أهله. وإذا أحب القوم كان منهم، وإذا مال القلب إلى الحق وأهله كان لهم ولياً، وذلك بأن تحقيق الأعمال والكلام لا يكون إلا من قيل القلب، وذلك أن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لم يكن عند الله مؤمناً. ومن آمن بقلبه ولم يتكلم بلسانه كان عند الله مؤمناً.

قال المتعلم: هو كما قلت ولكن بين لي هل يضرني إذا لم أعرف المخطيء من المصيب؟.

قال العالم رحمه الله: لا يضرك في خصلة، ويضرك بعد في خصال غير واحدة فأما الخصلة التي لا تضرك فإنها أنك لا تؤاخذ بعمل المخطيء، وأما الخصال التي تضرك فواحدة منها اسم الجهالة يقع عليك لأنك لا تعرف الخطأ من الصواب، والثانية عسى أن ينزل بك من الشبهة ما نزل بغيرك ولا تدري ما المخرج منها لأنك لا تدري أمصيب أنت أم مخطيء فلا تنزع عنها، والثالثة لا تدري من تحب في الله ومن تبغض فيه لأنك لا تدري المخطيء من المصيب.

قال المتعلم: لقد كشفت عني الغطاء وجعلت أرى البرة في مذاكرتك: ولكن أرايت إن كان رجل يصف عدلاً، ولا يعرف جور من يخالف ولا عدله أيسمه ذلك وأن يقال إنه عارف بالحق أو هو من أهله؟.

قال العالم رحمه الله: إذا وصف عدلاً، ولا يعرف جور من يخالفه فإنه جاهل بالجور والعدل. واعلم يا أخي أن أجهل الأصناف كلها وأرداهم منزلة عندي لهؤلاء، لأن مثلهم كمثل أربعة نفر يؤتون بثوب أبيض فيسألون جميعاً عن لون ذلك الثوب فيقول واحد من هؤلاء الأربعة: هذا ثوب أحمر، ويقول الآخر هذا ثوب أصفر، ويقول الثالث ثوب أسود، ويقول الرابع ثوب أبيض فيقال له ما تقول في هؤلاء الثلاثة أصابوا أم أخطؤوا؟ فيقول: أما أنا فقد أعلم أن الثوب أبيض وعسى أن يكون هؤلاء قد صدقوا، وكذلك هذا الصنف من الناس يقولون إنا نعلم أن الزاني ليس بكافر. وعسى أن يكون الذين يرون أن الزاني إذا زنى نزع منه الإيمان كما ينزع السريال كان صادقاً ولا تكذبه. ويقولون إن من مات ولم يحج فقد أطاق الحج فنحن نسبه مؤمناً ونصلي عليه ونستغفر له ونقضي عنه حجه ولا تكذب من يقول: مات يهودياً أو نصرانياً، ينكرون قول الشيعة ويقولون قولهم، وينكرون قول الخوارج ويقولون قولهم. وينكرون قول المرجئة ويقولون قولهم ويررون تحقيق ذلك وتزييف أقوال هؤلاء الأصناف الثلاثة، ويروون في ذلك روايات يزعمون أن نبي الله ﷺ قالها. وقد علمنا أن الله عز وجل إنما بعث رسوله رحمة ليجمع به الفرقة، وليزيد الألفة. ولم يعنه ليفرق الكلمة، يحرش المسلمين بعضهم على بعض. ويزعمون أنه إنما جاء الاختلاف بهذه الروايات لأن منها ناسخاً ومنسوخاً فنحن نروي كما سمعناه. فويح لهم ما أقل اهتمامهم بأمر عاقبتهم حيث يتصبون للناس فيحدثونهم بما قد علموا أن بعضه منسوخ، والعمل بالمنسوخ اليوم ضلالة. فيأخذ به الناس فيضلون. وقد نعلم أن

رسول الله ﷺ لم يكن ليفسر الآية الواحدة على نوعين فما كان من القرآن ناسخاً فسرهُ لجميع الناس ناسخاً، وكذلك المنسوخ فسرهُ لجميع الناس منسوخاً. وأما الأخبار والصفات التي قد كانت فإنه ليس في شيء منها منسوخ، وإنما دخل الناسخ والمنسوخ في الأمر والنهي.

قال المتعلم: جزاك الله عني الجنة، فنعم المعلم أنت إنك فتحت لي باباً من العلم لم اهتد له. وقد بينت لي من أقاويل هؤلاء القوم ما لا أبالي أن لا أزداد بصيرة في ضعف قولهم وعجز رأيهم. ولكن أخبرني بالرد على الصنف الثاني في قولهم إن دين الله كثير، وهو العمل بجميع ما افترض الله والكف عن جميع ما حرم الله.

قال العالم رضي الله عنه: ألتست نعلم أن رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لم يكونوا على أديان مختلفة لم يكن كل رسول منهم يأمر قومه بترك دين الرسول الذي كان قبله لأن دينهم كان واحداً. وكان كل رسول يدعو إلى شريعة نفسه وينهى عن شريعة الرسول الذي قبله لأن شرائعهم كثيرة مختلفة. ولذلك قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا مَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨]. وأوصاهم جميعاً بإقامة الدين وهو التوحيد وأن لا يتفرقوا لأنه جعل دينهم واحداً فقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ<sup>(١)</sup> وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَتْ إِلَيْهِ آيَاتُنَا لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال جلّ وعلا: ﴿لَا يَدْبُرُ لِيْخْلُقِ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَيْبُتَ الْقَيْئُورَ﴾ [الرؤم: ٣٠]. أي لا تبدل لدينه. فالدين لم يبدل ولم يحول ولم يغير، والشرائع قد غيرت وبدلت لأنه رب شيء قد كان حلالاً لأناس قد حرمه الله عز وجل على آخرين. ورب أمر أمر الله به أناساً ونهى عنه آخرين. فالشرائع كثيرة مختلفة. والشرائع هي الفرائض مع أنه لو كان العمل بجميع ما أمر الله به والكف عن جميع ما نهى الله عنه دينه لكان كل من ترك شيئاً مما أمر الله تعالى به أو ركب شيئاً مما نهى الله عنه تاركاً لدينه ولكان كافراً. وإذا صار كافراً ذهب الذي بينه وبين المسلمين من

(١) وللدين إطلاق يشمل الأحكام العملية كقوله تعالى: ﴿لِيَقْتَفُوهُمُ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] وقوله عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً فغفّه في الدين» فالدين الاستسلام لحكم الدليل القاطم. فالدليل الاعتقاد قائم دائماً فيستسلم له دائماً ودليل الأحكام العملية قابل للتسخن فما لم يقم دليل للتسخن فهو قائم الحكم وكذا الناسخ (ز).

المتاكحة والموارثة واتباع الجنائز وأكل الذبائح وأشباه هذا لأن الله تعالى أوجب ذلك كله بين المؤمنين من أجل الإيمان الذي به حرم الله تعالى دماءهم وأموالهم إلا يحدث. وإنما أمر الله تعالى المؤمنين بالفرائض بعدما أقروا بالدين فقال سبحانه: ﴿قُلْ لِمَا دَرَى الَّذِينَ مَاتُوا يُعِيرُوا الْمَسْئِلَةَ﴾ [إبراهيم: ٣١]. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٤١] وأشباه هذا. فلو كانت هذه الفرائض هي الإيمان لم يسمهم مؤمنين حتى يعملوا بها وقد فصل الله تعالى الإيمان من العمل فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] أي مع إيمانه. وقال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩] فجعل الإيمان غير العمل. فالمؤمنون من قبل إيمانهم بالله يصلون ويزكون ويصومون ويحججون ويذكرون الله وليس من قبل صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجهم بالله يؤمنون. وذلك بأنهم آمنوا ثم عملوا فكان عملهم بالفرائض من قبل إيمانهم بالله. ولم يكن إيمانهم من قبل عملهم بالفرائض. ومثل ذلك أن الرجل إذا كان عليه الدين وهو يقر بالدين ثم يؤدي. وليس يؤدي ثم يقر بالدين. وليس إقراره من قبل أدائه ولكن أدائه من قبل إقراره. والعبيد من قبل إقرارهم لمواليهم بالعبودية يعملون لهم. وليس من قبل عملهم يقرون لهم بالعبودية. وذلك أنه كم من إنسان يعمل لآخر. ولا يكون بذلك مقراً له بالعبودية. ولا يقع عليه اسم الإقرار بالعبودية. وآخر قد يكون مقراً بالعبودية ولا يعمل فلا يذهب عنه اسم إقراره بالعبودية.

قال المتعلم: لحسن ما فسرت ولكن أخبرني ما الإيمان؟

قال العالم رضي الله عنه: الإيمان هو التصديق والمعرفة واليقين والإقرار والإسلام، والناس في التصديق على ثلاثة منازل، فمنهم من يصدق بالله وبما جاء منه بقلبه ولسانه ومنهم من يصدق بلسانه ويكذب بقلبه ومنهم من يصدق بقلبه ويكذب بلسانه.

قال المتعلم: لقد فتحت لي مسألة لم أهد إليها فأخبروني عن أهل هذه المنازل أهم عند الله مؤمنون؟

قال العالم رحمه الله: من صدق بالله وبما جاء من عند الله بقلبه ولسانه فهو عند الله وعند الناس مؤمن. ومن صدق بلسانه وكذب بقلبه كان عند الله كافراً وعند الناس مؤمناً، لأن الناس لا يعلمون ما في قلبه. وعليهم أن يسموه مؤمناً بما ظهر لهم من

الإقرار بهذه الشهادة وليس لهم أن يتكلفوا علم ما في القلوب. ومنهم من يكون عند الله مؤمناً وعند الناس كافراً وذلك بأن الرجل يكون مؤمناً بالله ويظهر الكفر في حالة التقية بلسانه فيسميه من لا يعرف أنه يتقي كافراً وهو عند الله مؤمن.

قال المتعلم: لقد وضحت عدلاً. ولكن أراك قد كثرت الإيمان في قولك إن الإيمان هو التصديق والمعرفة والإقرار والإسلام واليقين.

قال العالم رحمه الله: أصلحك الله لا تكونن منك العجلة، وثبتت في الفتيا وإن أنكرت شيئاً مما أذكره لك فسل عن تفسيره إن كنت مناصحاً. فرب كلمة يسمعها الإنسان فيكرهها فإذا أخبر بتفسيرها رضي بها. ولا تكونن كالذي يسمع الكلمة فيكرهها ثم يتفوه بها إرادة الشين فيذيعها بين الناس. ولا يقول عسى أن يكون لهذه الكلمة تفسير ووجه هو عدل ولا أعلمه أفلا أسأل صاحبي عن تفسيرها أو لعلها كلمة جرت على لسانه ولم يتعمد لها فينبغي لي أن أثبت ولا أفصح صاحبي ولا أشينه حتى أعلم ما وجه كلامه.

قال المتعلم: ثبتك الله ووفقك وأدام لك صالح الذي أعطاك قد عرفت الذي قلت: فلا تؤاخذني بما كان مني إني متعلم ولكن أخبرني عما وصفت من التصديق والمعرفة والإقرار والإسلام واليقين ما منزلتهن وتفسيرهن عنك؟.

قال العالم رحمه الله: إن هذه أسماء مختلفة ومعناها واحد هو الإيمان وحده وذلك بأن يقر بأن الله ربه ويصدق بأن الله ربه ويتيقن بأن الله ربه ويعرف بأن الله ربه فهذه أسماء مختلفة ومعناها واحد كالرجل يقال له يا إنسان يا رجل يا فلان وإنما يعني القائل بها واحداً وقد دعاه بأسماء مختلفة.

قال المتعلم: رحمك الله لولا ما أعرف من نفسي من قلة العلم وعجز الرأي لم أقصد إليك. فإن رأيت مني ما تكره ودخلت عليك مؤونة فلا تلمني. فإن مؤونة معالجة مرض المريض على الطبيب ومؤونة عسى الأعمى على البصير كذلك ينبغي للعالم أن يتحمل مؤونة الجاهل. وقد عرفت أن من الكلام كلاماً يفرغ منه الجاهل إذا سمعه فإذا فسر له اطمان. ولحسن ما فسرت الإيمان والتصديق واليقين والإخلاص ولكن أخبرني من أين ينبغي لنا أن نقول: إن إيماننا مثل إيمان الملائكة والرسول. وقد نعلم أنهم كانوا أطوع لله عز وجل منا.

قال العالم رضي الله عنه: قد علمت أنهم كانوا أطوع لله منا وقد حدثتك أن الإيمان غير العمل فإيماننا مثل إيمانهم لأن صدقتنا من وحدانية الرب وربوبته وقدرته



وبما جاء من عنده بمثل ما أقرت به الملائكة وصدقت به الأنبياء والرسل فمن هاهنا زعمنا أن إيماننا مثل إيمان الملائكة لأننا آمنّا بكل شيء آمنت به الملائكة مما عاينته الملائكة من عجائب آيات الله ولم نعاينه نحن .

قال المتعلم: جعلك الله من الفائزين ما أحسن ما وصفت وقد عرفت الآن أن إيماننا مثل إيمان الملائكة وتصديقنا مثل تصديقهم وبقيننا مثل بقينهم ولكن أخبرني من أين هم أشد خوفاً وأطوع لله منا؟ ومن أين قالت الجهال إذا رأوا من إنسان زلة أو جزءاً عند مصيبة أو جبناً من عدو أو حرصاً على الهوى هذا من ضعف اليقين .

قال العالم رحمه الله: أما قول الجهال هذا من ضعف اليقين فإنما قالوا ذلك لجهالتهم بتفسير اليقين . واليقين بالشيء هو العلم بالشيء حتى لا يشك فيه فليس أحد من أهل الشهادة يشك في الله وكتبه ورسله، وإن ركب ما ركب وإنما نقيس أمر الناس بأمر أنفسهم . لأنه ربما كانت منا الزلة أو الجزع عند المصيبة أو جبن من عدو فلا يدخل علينا شك في الله ولا في شيء مما جاء من عند الله فغيرنا عندنا بمنزلة أنفسنا . وأما قولك من أين هم أشد خوفاً أو أطوع لله منا فذلك لخصال فواحدة منها أنهم كما فضلوا بالتوبة والرسالة فضلوا كذلك بالخوف والرعدة وجميع مكارم الأخلاق على من سواهم، والخصلة الأخرى أنهم عاينوا من الملائكة والعجائب ما لم نعاين، والخصلة الثالثة أنهم كانوا لا يجزعون عند المصيبة، والرابعة أنهم كانوا يعاينون ما ينزل بغيرهم من العقوبة على المعصية وكان ذلك أيضاً مما يحجزهم عن المعاصي .

قال المتعلم: لقد وقفت على ما وصفت فلم تزل تصف عدلاً وتقول عرفاً ولكن أحب أن تأتيني بقياس فيما وصفت من يقيننا وبقينهم وخوفنا وخوفهم وجرأتنا وجرأتهم كيف ذلك؟ فإن الجاهل إذا كان مهتماً بأمر عاقبه ويريد أن يتعلم ووصفت له أمراً لم يظن له فأثبتته لقياس كان أجدر أن يظن له .

قال العالم رحمه الله: نعم ما رأيت في طلب القياس، وهكذا يصنع من أراد أن ينتفع بالمذاكرة فيما بينه وبين صاحبه إذا لم يعرف ما قيل له التمس القياس، واعلم أن القياس الصواب يحقق لطالب الحق حقه، ومثل القياس مثل الشهوة العدول لصاحب الحق على ما يدعي من الحق ولولا إنكار الجهال للحق لم يتكلف العلماء القياس والمقايسة . فإما ما طلبت من القياس في أن يقيننا وبقين الملائكة واحد وخوفهم أشد من خوفنا بأنه كيف يكون ذلك؟ فأخبرك أن القياس في ذلك كرجلين عالمين بالسباحة لا يفوق أحدهما صاحبه في شيء من الأمور فانتها إلى نهر كثير

الماء شديد الجرية فأحدهما على دخوله أجراً والآخر أجبن أو كرجلين بهما مرض واحد وأتيا بدواء واحد شديد المرارة فأحدهما على شربة أجراً والآخر أجبن .

قال المتعلم: لحسن ما فسرت لكن أخبرني إن كان إيماننا مثل إيمان الرسل ليس ثواب إيماننا مثل ثواب إيمانهم، فإن كان ثواب إيماننا مثل ثواب إيمانهم فما فضلهم علينا؟ وقد استوتنا في الدنيا بالإيمان واستوتنا في الآخرة في ثواب الإيمان فإن كان ثواب إيماننا دون ثواب إيمانهم أليس هذا ظلماً، إذ كان إيماننا مثل إيمانهم ولم يجعل لنا من الثواب ما جعل لهم .

قال العالم رضي الله عنه: لقد أعظمت المسألة، ولكن ثبت في الفتيا ألت تعلم أن إيماننا مثل إيمانهم، لأننا آمننا بكل شيء آمنت به الرسل؟ ولهم بعد علينا الفضل في الثواب على الإيمان وجميع العبادة. لأن الله تعالى كما فضلهم بالنبوة على الناس كذلك فضل كلامهم وصلاتهم وبيوتهم ومساكنهم وجميع أمورهم على غيرها من الأشياء، ولم يظلمنا رينا إذ لم يجعل ثوابنا مثل ثوابهم وذلك أنه كان إنما يكون الظلم لو نقصنا حقنا فأسخطنا. فاما إذا زاد أولئك ولم ينقصنا حقنا وأعطانا حتى أرضينا، فإن ذلك ليس بظلم، والأنبياء والرسل لهم الفضل في الدنيا على جميع الناس. لأنهم هم القادة، وهم أمناء الرحمن. ولا يدانيهم أحد من الناس. في عبادتهم وخوفهم وخشوعهم وتحملهم المؤنات في ذات الله تعالى وكذلك إنما أدرك الناس بإذن الله الفضل بهم. فلهم مثل أجور من يدخل الجنة بدعائهم .

قال المتعلم: لقد وصفت العدل فأوضحت فجزاك الله الجنة ولكن أخبرني هل تعلم من المعاصي شيئاً يعذب الله عليه (البينة) غير الشرك أو تزعم أنها كلها مغفورة فإن زعمت أن بعضها مغفور فما المغفور منها؟ .

قال العالم رضي الله عنه: ما أعلم شيئاً من المعاصي يعذب الله عليه غير الشرك وما أستطيع الشهادة على أحد من أهل المعاصي من أهل القبلة أن الله يعذبه البينة عليها غير الإشراك بالله. وقد علمت أن بعضها مغفور، ولا أعرفها لقول الله تعالى: ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَابًا مَا نُهَوِّنُ عَنْهُ نُكْفِيرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] فلست أعرف جميع الكبائر ولا السيئات التي تغفر والتي لا تغفر لأنني لا أدري لعل الله يفر ما دون الشرك من المعاصي كلها لأنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فلست أدري لمن يشاء المغفرة منهم ولمن لا يشاء .

قال المتعلم: ألسنت تدري أنه لعل الله يغفر للقاتل ويعذب صاحب النظرة أليس عندك بمنزلة واحدة في الرجاء لهما؟.

قال العالم رحمه الله: قد أعلم أنه إن كان الله يغفر للقاتل فإن صاحب النظرة أجدر أن يغفر له، وإن عذب على النظرة فهو على القتل أجدر أن يُعذب، لأنه تعالى قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ [الحجرات: ١٣] وصاحب النظرة إذا لم يقتل كان أتقى من القاتل، وأما ما ذكرت من الرجاء لهما فإنهما لا يستويان عندي لأنني لصاحب الذنب الصغير أرجى مني لصاحب الذنب الكبير، والقياس في ذلك رجلان ركب أحدهما البحر والآخر ركب نهراً صغيراً، وأنا أتخوف عليهما الغرق، وأرجو لهما النجاة جميعاً غير أنني على صاحب البحر أخوف أن يغرق مني على صاحب النهر الصغير، وأنا لصاحب النهر الصغير أرجى بالنجاة مني لصاحب البحر، وكذلك أنا على صاحب الذنب الكبير أخوف مني لصاحب الذنب الصغير، وأنا لصاحب الذنب الصغير أرجى مني لصاحب الذنب الكبير وأنا في ذلك أرجو لهما وأخاف عليهما على قدر أعمالهما.

قال المتعلم: ما أحسن ما تقيس ولكن أخبرني عن الاستغفار لصاحب الكبيرة أفضل أو الدعاء عليه أو أنت بالخيار فيما بين الدعاء عليه باللعة والاستغفار فبين لي هذا كله.

قال العالم رضي الله عنه: الذنب على منزلتين غير الإشراك بالله تعالى فأبي الذنبيين ركب هذا العبد فإن الدعاء له بالاستغفار أفضل وإن دعوت عليه باللعة لم تأثم، وذلك بأنه إذا ركب ذنباً منك وعفوت عنه ولم تدع عليه كان أفضل وإن ركب ذنباً فيما بينه وبين خالقه بعد أن كان لم يشرك بالله فرحمته ودعوت له بالمغفرة لحرمة الشهادة كان هذا أفضل وإن دعوت عليه بالهلاك لم تأثم. وذلك بأنك تقول يا رب خذ بذنبي، وإنما تكون آتماً إذا أنت قلت يا رب خذ بغير ذنب، فالاستغفار أفضل لخصلتين أما إحداهما فلأنه مؤمن، والأخرى لأنك لا تستيقن أن الله معذبه، ولو استيقنت أن الله معذبه لكان حراماً عليك الاستغفار له، وقد نهى الله عز وجل أن يستغفر لمن أوجب له النار، والذي يستغفر الله لمن قال الله أنه يعذبه فيسأل ربه أن يخلف قوله كالذي يقول: يا رب لا تمتني واحدة، وقد قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ كَلْبَتِهَا﴾ [آل عمران: ١٨٥] فالدعاء لأهل هذه الشهادة بالمغفرة أفضل لحرمة هذه الشهادة والإقرار بها، لأنه ليس بشيء يطاع الله فيه أفضل من الإقرار بهذه الشهادة، وجميع ما أمر الله تعالى به من فرائضه في جنب الإقرار بهذه الشهادة أصغر من البيضة

في جنب السماوات السبع والأرضين السبع وما بينهما. فكما أن ذنب الإشراك أعظم كذلك أجر الشهادة أعظم، وقد ذكر الله عز وجل في تعظيم ذنب الإشراك ما لم يذكره في تعظيم شيء من الأعمال السيئة، فإنه قال: ﴿إِنَّ أَثْمَرَ الْكُفْرِ أَظْهَرُ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. ولم يقل مثل ذلك في شيء من الأعمال السيئة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَلَطُ بِهِ الطِّبْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾ [الحج: ٢١] وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ عَنْهُ وَأَنْتَسُقُ الْأَرْضُ وَنَحْوُهَا هَذَا﴾ [مریم: ٩٠، ٩١] ولم يقل شيئاً من هذه الآيات في القتل وما هو دونه.

قال المتعلم: ما تزيدني إلا رغبة في مذكركت فجزاك الله عن جميع المؤمنين خيراً ما أحسن قولك ورأيك وسيرتك في محسنهم ومسيئهم! وأعرفك بفضلهم وأرحمك بهم! ولكن أخبرني هل يفضل أهل العدل بعضهم بعضاً في قولهم في أهل القبلة؟

قال العالم رضي الله عنه: أما أهل العدل فقولهم في تعظيم حرمان الله واحد غير أن بعضهم أفضل من بعض في العلم والحجج في تعظيم حرمان الله تعالى والدعاء إليه وتحمل المؤنات فيه وشدة الاهتمام بفساد الأمة والبحث عن تعظيم حرمانهم والذب عنهم كمثلي عسكر بحضرة العدو، وقد اجتمعت كلمتهم وأيديهم على عدوهم غير أن بعضهم يفوق بعضاً في العلم بالقتال والحروب والمكايدة وبذل السلاح والمال والتحريض للأصحاب على القتال.

قال المتعلم: لعمري ما أعرف من القياس (أوضح من هذا) ولكن أخبرني هل يكون المؤمن إذا ارتكب الكبائر لله عدواً؟ .

قال العالم رضي الله عنه: إن المؤمن لا يكون لله عدواً وإن ركب جميع الذنوب بعد أن لا يدع التوحيد. وذلك بأن العدو يبغض عدوه ويتناول عدوه بالمنقصة والمؤمن قد يرتكب العظيم من الذنوب. والله مع ذلك أحب إليه مما سواه وذلك أنه لو خير بين أن يحرق بالنار أو يفترى على الله من قلبه لكان الإحراق بالنار أحب إليه من ذلك.

قال المتعلم: إن كان الله أحب إليه مما سواه فلم يعصيه؟ وهل يكون أحد يحب أحداً فيعصيه فيما يأمره؟ .

قال العالم رحمه الله: نعم قد يحب الولد والده وربما عصاه، وهذا المؤمن: الله أحب إليه مما سواه وإن عصاه، وإنما يعصيه لأن الشهوة ظاهرة غالبية، وإنما تغلب عليه الشهوات فإنه ربما كان الرجل عاملاً لسلطان فيتزع عن عمله فيعذب بأنواع من العذاب ثم إذا ترك رجوع إلى عمله إن قدر عليه، والمرأة تلقى ما تلقى في نفسها ثم إذا قامت طلبت الولد.

قال المتعلم: قلت ما يعرف من غلبة الشهوة لأنه كم من عابد صرعه الشهوة وآدم وداود عليهما السلام منهم<sup>(١)</sup> ولكن أخبرني عن هذا المؤمن أيركب المعصية وهو يعلم أنه يعذب عليها؟

قال العالم رحمه الله: ما يركبها وهو يعلم أنه يعذب عليها لكنه يركبها لخصائين أما إحداهما فإنه يرجو المغفرة، وأما الأخرى فإنه يأمل التوبة قبل المرض والموت.

قال المتعلم: أو يقدم الرجل على ما يخاف أن يعذب عليه؟

قال العالم رحمه الله: نعم ربما يقدم الرجل على ما يخاف أن يضره من طعام أو شراب أو قتال أو ركوب بحر، ولولا ما يرجوه من النجاة من الغرق إذا ركب البحر، والظفر إذا قاتل ما أقدم على القتال ولا ركب البحر.

قال المتعلم: قد صدقت لأنني أعرف من نفسي أنني ربما أكلت الطعام يؤذيني فإذا فرغت ندمت ووطنت نفسي على أن لا أعود إليه. فإذا رأيت لم أصبر عنه، ولكن أخبرني عن الكفر، فإن الكفر له اسم وله تفسير.

قال العالم رحمه الله: إن الكفر له اسم وله تفسير وتفسيره الإنكار والمجحود والتكذيب. وذلك أن الكفر بالعربية، والعرب وضعوا اسم الكفر على الإنكار، والله تعالى إنما أنزل الكتاب بلسان عربي، ومثل ذلك أنه إذا كان للرجل على آخر دراهم وقد حلت فتقاضها فإن أقر بالحق ولم يقضه قال صاحبه ماطلني ولا يقول كافرني، وإن هو أنكرها وجحدتها قال كافرني ولم يقل ماطلني، وكذلك المؤمن إذا ترك فريضة من غير أن يكفر بها سمي مسيئاً؛ وإن تركها كفرةً بها سمي كافراً جاحداً بفرائض الله تعالى.

قال المتعلم رحمه الله: هذا عدل معروف أن يسمى الرجل جاحداً بما يجحد ومصداقاً بما يصدق، ومسيئاً بما يسيء، ومحسناً بما يحسن. ولكن أخبرني عن من يصف التوحيد غير أنه يقول أنا كافرٌ بمحمد ﷺ.

(١) هكذا في الأصل ولو كان المتعلم أرعى للأدب لكان أنسب (ز).

قال العالم رضي الله عنه: هذا لا يكون<sup>(١)</sup> وإن كان سمياً كافرأ بالله كاذباً بما يقول أنه يعرف الله تعالى ويستدل على كفره بالله بكفره بمحمد لأن من كفر بالله كفر بمحمد. وليس من قبل كفره بمحمد كفره بالله كما أن النصراني من كفرهم بالواحد الذي ليس له ولد زعموا أن الله تعالى ثالث ثلاثة. وكذلك اليهود من كفرهم بالغني الذي لا يفتقر والجنود الذي لا يبخل والرب الذي ليس له ولد والملك الذي ليس له شبيه زعموا أن الله فقير ويد الله مغلولة وعزير ابن الله والله تعالى على مثال صورة ابن آدم؛ وكذلك الذين اتخلدوا النيران وسجدوا للشمس والقمر. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا إِلَّا الْكَيْفَرُونَ﴾ [المنكسوت: ٤٧] وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فمن زعم أنه يعرف الله ويكفر بمحمد ﷺ استدللنا على إنكاره للرب بكفره بمحمد. ومثل ذلك لو أن رجلاً زعم أنه يطيق أن يحمل عشرين قميصاً. ونحن نراه يعجز عن حمل القميصين عرفنا أنه إذا عجز عن حمل القميصين فهو في العشرين أعجز ومثل هذا لو أن رجلاً قال: إني أعرف أن الله تعالى حق غير أنني لا أقر بأن هذا الإنسان مخلوقه لعرفنا أنه كاذب فيما يزعم لأنه لو كان يعرف الله لعرف أن كل شيءٍ سواه مخلوقه. ومثل ذلك رجلٌ بحضرة السراج ونار ضخمة وهما عنده بمنزلة واحدة في الدنو فزعم أنه يبصر السراج ولا يبصر النار المشتعلة في الحطب الضخم لعرفت أنه كاذب لأنه لو كان يبصر السراج لكان لتلك النار الضخمة أبصر.

قال المتعلم رحمه الله: قد فرجت عني ولكن أخبرني عمن يزعم لرسول الله أنا أعرف أنك رسول الله ولكن أشتهي أن أقتلك.

قال العالم رضي الله عنه: هذه من مسائل المعتنين. وهذا محال لو كان يعرف أنه رسول الله لم يشته قتله ولا موته ولا أذاه. ومثل ذلك كالرجل الذي يزعم لآخر أنك أحب إلي من جميع الناس. ولكن أشتهي أن أقتلك بيدي وأكل لحمك. وليس أحد من الناس يزعم أنه يوحد الله تعالى ويؤمن بمحمد ويتناول رسول الله بمنقصة كأن يزعم أنه كان أعرابياً وكان فقيراً يريد به عيبه وانتقاصه فلو كان يعرف الله ويعرف أن محمداً رسوله لكان الله ورسوله أجل في عينيه من أن يتناول رسوله بذكر شيءٍ يريد به عيبه وانتقاصه. وقد قال الله عز وجل في تعظيم منزلة الرسول: ﴿مَنْ يُطِيعِ

(١) يعني هذا لا يقع، وإن وقع سمياً كافرأ (ز).

أَرْسُولٌ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴿ [النساء: ٨٠] لأنه جعل الرسول قائداً لجميع خلقه من الجن والإنس. وأميناً على فرائضه وسننه. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الخشر: ٧].

قال المتعلم رحمه الله: لقد أتيتني بالنور فنور الله طريقك يوم القيامة ولكن أخبرني عن يزعم أنه يعرف الله ويقول أنا أشتهي أن أزعم أن الله ولدأ.

قال العالم رضي الله عنه: سبحان الله فهل كان هذا وذا إلا واحداً. هذا رأساً ما سألت من قبل من مسائل المتعتنين. ولكن كيف تقول في ميت إنه يحتلم فكم لا يكون ميت يحتلم. فكذلك لا يكون موحد يشتهي أن يقول لله ولد.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لعمرى كما قلت إنه من مسائل المتعتنين. وهذا محال من الكلام. ولكن أخبرني عن النفاق اليوم. اليس هو النفاق الأول والكفر اليوم هو الكفر الأول. وكيف النفاق الأول؟

قال العالم رضي الله عنه: نعم النفاق اليوم هو النفاق الأول والكفر اليوم هو الكفر الأول. كما أن الإسلام اليوم هو الإسلام الأول. فأخبرك عن ذلك النفاق الأول إنما كان التكذيب والجحود بالقلب وإظهار التصديق والإقرار باللسان. وكذلك هو اليوم فيمن كان وقد نعمتهم عز وجل في كتابه فقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] فقال الله عز وجل ردأ عليهم وتكذيباً لهم: ﴿وَأَلَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] وليس تكذيبهم بأن ما قالوا كذب. ولكن إنما كذبهم بأنهم ليسوا في الإقرار والتصديق كما يظهرهم بالاستههم.

وفيهم قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِنَّا خَلَوْنَا إِلَىٰ سَيِّطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] أي بمحمد وأصحابه بما نطهر لهم بالستنا من الإقرار والتصديق.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لعمرى عدلٌ معروف ولكن أخبرني من أين سمى الله الناس مؤمنين وكفاراً. ومن أين نحن نسميهم مؤمنين وكفاراً؟

قال العالم رضي الله عنه: سماهم مؤمنين وكفاراً بما في القلوب لأنه تعالى يعلم ما في القلوب، ونحن نسميهم مؤمنين وكفاراً بما يظهر لنا من ألتتهم من التصديق والتكذيب والزي والعبادة، وذلك بأننا لو انتهينا إلى قوم لا نعرفهم غير أنهم في المساجد، مستقبليين إلى القبلة يصلون سميناهم مؤمنين، وسلمنا عليهم وعسى أن

يكونوا يهوداً أو نصارى، وكذلك كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ كان المسلمون يسمونهم مؤمنين بما يظهرون لهم من الإقرار، وهم عند الله كفاراً بما في القلوب من التكذيب، فمن هاهنا أنا نسعي أناساً مؤمنين بما يظهر لنا منهم، وعسى أن يكونوا عند الله كفاراً، وآخرين نسميهم كفاراً بما يظهرون لنا من زي الكفار من غير أن يكون فيهم شيء من زي المؤمنين وعسى أن يكونوا عند الله تعالى مؤمنين من قبل إيمانهم بالله، ويصلون من غير أن نعلم ذلك منهم. فلا يؤاخذنا الله سبحانه وتعالى بذلك؛ لأنه لم يكلفنا علم القلوب والسرائر، وإنما كلفنا ربنا أن نسعي الناس مؤمنين ونحبهم ونبغضهم على ما يظهر لنا منهم، والله أعلم بالسرائر، وهكذا أمر الكرام الكاتبين أن يكتبوا ما يظهر لهم من الناس، وليسوا من القلوب بسبيل لأن ما في القلوب لا يعلمه أحد إلا الله أو رسول يوحى إليه فمن ادعى علم ما في القلوب بغير وحي فقد ادعى علم رب العالمين، ومن زعم أنه يعلم بما في القلوب وغير القلوب ما يعلم رب العالمين فقد أتى بعظيمة واستوجب النار والكفر.

قال المتعلم رحمه الله: قد وصفت العدل. ولكن أخبرني من أين جاء أصل الإرجاء وما تفسيره ومن الذي يؤخر ويرجأ أمره؟.

قال العالم رضي الله عنه: جاء أصل الإرجاء من قبل الملائكة حيث عرض الله عليهم الأسماء ثم قال لهم: ﴿أَلَيْسَ بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١] فخافت الملائكة الخطأ إن تكلموا بغير علم تعسفاً فوقت وقالت: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢] ولم يتدعوا. كالرجل الذي يسأل عن الأمر الذي هو به جاهل، فيتكلم فيه ولا يبالي، فإن لم يصب فهو مخطيء، وإن أصاب فهو غير محمود، لأنه قال تعسفاً بغير علم. ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. أي لا تقل ما لم تعلمه يقيناً وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مُخَوَّلِكِ﴾ [الإسراء: ٣٦]. فلم يرخص لرسوله أن يتكلم أو يعادي أو يقذف إنساناً بالبهتان بالظن من غير يقين. فكيف يصنع أناس يعادون ويعيبون آخرين، بالظن من غير يقين، وتفسير الوقوف أنه إذا سئلت عن أمر لا تعلمه من حرام أو حلال أو أنباء من كان قبلنا قلت: الله أعلم به. إذا جاء ثلاثة نفر بحديث لا تعلمه ولا تطيق علم ذلك بالتجارب والمقاييس ترد علم ذلك إلى الله تعالى وتقف. ومن تفسير الإرجاء أنه إذا كنت في قوم على أمر حسن جميل وفارتهم على ذلك ثم بلغك أنهم صاروا فريقين يقاتل بعضهم بعضاً فانتهيت إليهم، وهم على الأصل الذي فارتهم عليه وقتل بعضهم بعضاً فسألهم فيقول كل واحد من الفريقين إنه هو المظلوم، وليس



عليهم ولا لهم شهود من غيرهم، وقد ترى القتل بينهم وليس المظلوم والظالم منهم يبين، وهما خصمان لا تجوز شهادة بعضهم على بعض فينبغي لك أن تعلم أنهما ليسا كلاهما بمصبيين، وقد قتل بعضهم بعضاً، فإما أن يكونا مخطئين أو أحدهما مخطئاً والآخر مصيب، ومن الإرجاء أن ترجىء أهل الذنوب ولا تقول إنهم من أهل النار أو من أهل الجنة فإنَّ الناس عندنا على ثلاثة منازل: الأنبياء من أهل الجنة ومن قالت الأنبياء إنه من أهل الجنة فهو من أهل الجنة، والمنزلة الأخرى للمشركين نشهد عليهم أنهم من أهل النار، والمنزلة الثالثة للموحدين نقف عليهم فلا نشهد أنهم من أهل النار ولا من أهل الجنة، ولكننا نرجو لهم ونخاف عليهم ونقول كما قال الله تعالى: ﴿خَلَطُوا مِمَّا صَوَّلَا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الثوبة: ١٠٢] فارجو لهم لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُمِرُّ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُفَرِّقُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ونخاف عليهم بذنوبهم وخطاياهم.

قال المتعلم رحمه الله: ما أعدل هذا القول وأبينه وأقره من الحق ولكن أخبرني هل أحد من الناس توجب له الجنة إن رأته صواماً قواماً غير الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم ومن قالت له الأنبياء؟.

قال العالم رضي الله عنه: لا أوجب الجنة إلا لمن أوجب النص، وكذلك النار.

قال المتعلم رحمه الله: فما قولك في أناس رروا: (إن المؤمن إذا زنى خلع الإيمان من رأسه كما يخلع القميص ثم إذا تاب أعيد إليه إيمانه<sup>(١)</sup>) أنشك في قولهم أو تصدقهم. فإن صدقت قولهم دخلت في قول الخوارج وإن شككت في قولهم شككت

(١) أخرجه الحاكم بلفظ قريب من هذا لكن في سننه عبد الله بن الوليد النجبي وقد ضعفه الدارقطني وقال لا يعتبر بحديثه، ولينه ابن حجر، ولم يدرك ابن حجرية الكبير فيه انقطاع، ولم يشر إلى ذلك الذهبي، وليس النجبي ولا ابن حجرية الصخبر بشاميين كما توهم الحاكم على أن حديث أبي ذر من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وحديث عبادة في المبايعه. وآخره . . . ومن فعل شيئاً من ذلك - أي الزنى والسرقه - فعوقب به في الدنيا فهو كفارة ومن لم يعاقب فهو إلى الله إن شاء عفا وإن شاء علبه) في غاية الصحة فلا يناهضها حديث الحاكم وأما حديث «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» من أبي هريرة لمؤول عند الجمهور لمخالفة ظاهر معناه للإجماع والكتاب والسنة على ما في فتح الباري (١٢ - ٤٧) على أن في سننه يحيى بن عبد الله بن بكير وهو ممن لا يحتج به أبو حاتم وقد ضعفه النسائي فلا يناهض ما سبق بل أنكر بعض أهل العلم من السلف أن يكون ﷺ قاله كما حكى ابن حجر رواية عن ابن جرير الطبري. وأما حديث عكرمة فحديث خارجي، فلا يقبل فيما يؤيد به مذهبه (ز).

في أمر الخوارج، ورجعت عن العدل الذي وصفت وإن كذبت قولهم قالوا أنت تكذب بقول نبي الله عليه الصلاة والسلام فإنهم رووا ذلك عن رجال حتى ينتهي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قال العالم رضي الله عنه: أكذب هؤلاء ولا يكون تكذبي لهؤلاء ردي عليهم تكذيباً للنبي ﷺ، إنما يكون التكذيب لقول النبي عليه السلام أن يقول الرجل أنا مكذب لقول نبي الله ﷺ فأما إذا قال الرجل: أنا مؤمن بكل شيء تكلم به النبي عليه الصلاة والسلام غير أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يتكلم بالجور ولم يخالف القرآن، فإن هذا القول منه هو التصديق بالنبي وبالقرآن وتنزيهه له من الخلاف على القرآن، ولو خالف النبي القرآن، وتقول على الله غير الحق لم يدعه الله حتى يأخذه باليمين، ويقطع منه الوتين، كما قال الله عز وجل في القرآن: ﴿وَلَوْ لَوَّكْنَا عَلَىٰ مَنَّا مِنَ الْأَقَابِيلِ ۖ لَنُخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۗ ثُمَّ لَقَضَيْنَا بِهِ الْوَيْتَيْنِ ۗ فَمَا يُنْكِرُ لِمَن لَّمْ يَعْهَدْ حَرِيصِينَ ۗ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧] ونبي الله لا يخالف كتاب الله تعالى، ومخالف كتاب الله لا يكون نبي الله.

وهذا الذي رووه خلاف القرآن<sup>(١)</sup> لأنه قال الله تعالى في القرآن: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ﴾ [النور: ٢] ولم ينف عنهم اسم الإيمان. وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيكُمُ الْبَغْيَ﴾ [النساء: ١٦]. فقوله منكم لم يعين به اليهود ولا النصارى وإنما عني به المسلمين. فرد كل رجل يحدث عن النبي ﷺ بخلاف القرآن ليس رداً على النبي ﷺ ولا تكذيباً له. ولكن رد على من يحدث عن النبي ﷺ بالباطل. والتهمة دخلت عليه ليس على نبي الله عليه السلام وكذلك كل شيء تكلم به نبي الله عليه الصلاة والسلام سمعناه أو لم نسمعه فعلى الرأس والعينين. قد آمننا به ونشهد أنه كما قال نبي الله. ونشهد أيضاً على النبي ﷺ أنه لم يأمر بشيء نهى الله عنه، ولم يقطع شيئاً وصله الله. ولا وصف أمراً وصف الله ذلك الأمر بغير ما وصف به النبي. ونشهد أنه كان موافقاً لله في جميع الأمور. لم يبتدع ولم يتقول على الله غير ما قال تعالى ولا كان من المتكلفين. ولذا قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

(١) قال الخطيب في (الفتاوى والمتفقه): إذا روى الثقة المأمون خيراً متصل الإسناد رد بأمور. أحدها أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول وأما خلاف العقول فلا. والثاني أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ والثالث... (ز).

قال المتعلم رحمه الله: لحسن ما فسرت. ولكن أخبرني عن يزعم أن شارب الخمر لا يقبل منه صلاة أربعين ليلة أو أربعين يوماً. وبين لي ما هذا الذي يبطل الحسنات ويهدمها؟

قال العالم رضي الله عنه: إنني لست أدري تفسير الذي يقولون إن الله لا يقبل من شارب الخمر صلاة أربعين ليلة أو يوماً، فلست أكذبهم ما داموا لا يفسرونه تفسيراً لا نعرفه مخالفاً للعدل. لأننا قد نعرف أن من عدل الله أن يأخذ العبد بما ركب من الذنب أو يعفو عنه. ولا يأخذه بما لم يرتكب من الذنب، وأن يحسب له ما أدى إليه من الغرائض ويكتب عليه ذنبه. ومثل ذلك لو أن رجلاً أدى من زكاة ماله خمسين درهماً. وقد كان عليه أكثر من ذلك فلانما يؤاخذ الله بما لم يؤد ويحسب له ما قد أدى. وكذلك إذا صام وصلى وحج وقاتل فإنه يحسب له حسناته ويكتب عليه سيئاته ولذلك قال الله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] يعني من الخير ﴿وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يعني من الشر. وقال: ﴿إِنِّي لَأَ أَوْسَعُ حَمَلٍ عَنِيَلٍ يَنْكُم مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي﴾ [آل عمران: ١٩٥] وقال: ﴿إِنَّا لَأَ نُفِيعُ لَبَرٍ مِّنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] وقال: ﴿وَلَا تُحْزِنُونَكَ إِلَّا مَا كَسَبْتُمْ تَمَلُونُ﴾ [يس: ٥٤] وقال: ﴿إِنَّمَا تُحْزِنُوكَ مَا كَسَبْتُمْ تَمَلُونُ﴾ [الطور: ١٦] وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ يَشْكَالَ دَرَّةً حَبِيرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ يَشْكَالَ دَرَّةً شَرًّا يَرَهُ ۗ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وقال: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَنْطَرٌ ۗ﴾ [القدر: ٥٣]. فهو تبارك وتعالى يكتب الصغير من الحسنات والسيئات، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَنْ كُنَّا عَمَلًا خَبِيرًا مِّنْ حَرْدَلٍ أَوْ تِينًا يَهُأُ وَكَفَىٰ بِرَأْيِ الْحَسِيْبِ ۗ﴾ [الانبيا: ٤٧]. فمن قال لا، بهذا القول فإنه يصف الله تبارك وتعالى بالجور وقد أمن الله الناس من الظلم حيث قال: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الانبيا: ٤٧] ﴿وَلَا تُحْزِنُونَكَ إِلَّا مَا كَسَبْتُمْ تَمَلُونُ﴾ [يس: ٥٤] وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ يَشْكَالَ دَرَّةً حَبِيرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ يَشْكَالَ دَرَّةً شَرًّا يَرَهُ ۗ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقد سمي نفسه شكوراً لأنه يشكر الحسنة. وهو أرحم الراحمين. وأما الحسنات فإنه لا يهدمها شيء غير ثلاث خصال. أما الواحد فالشرك بالله لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِبْرَاهِيمَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] والأخرى أن يعمل الإنسان فيعتق نسماً أو يصل رحماً أو يتصدق بمال يريد بهذا كله وجه الله. ثم إذا غضب أو قال في غير الغضب امتناناً على صاحبه الذي كان المعروف منه إليه: ألم أعتق رقتك؟ أو يقول لمن وصله: ألم أصلك؟ وفي أشباه هذا يضرب به على رأسه. ولذلك قال الله عز وجل: ﴿لَا تَبُولُوا مَدْفَنِيكُمْ يَأْتِيَنَّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] والثالثة ما

كان من عمل يراني به الناس فإن ذلك العمل الصالح الذي رآى به لا يتقبله الله منه فما كان سوى هذا من السيئات فإنه لا يهدم الحسنات.

قال المتعلم رحمه الله: لقد وصفت الذي هو العدل ولكن أخبرني عمن يشهد عليك بالكفر ما شهادتك عليه؟

فقال العالم رضي الله عنه: شهادتي عليه أنه كاذب: ولا أسميه بذلك كافراً؛ ولكن أسميه كاذباً؛ لأن الحرمة حرمتان حرمة تنتهك من الله تعالى؛ وحرمة تنتهك من عبيد الله سبحانه: فالحرمة التي تنتهك من الله عز وجل هي الإشراف بالله والتكذيب والكفر؛ والحرمة التي تنتهك من عبيد الله؛ فذلك ما يكون بينهم من المظالم. ولا ينبغي أن يكون الذي يكذب على الله وعلى رسوله كالذي يكذب عليّ لأن الذي يكذب على الله وعلى رسوله ذنبه أعظم من أن لو كذب على جميع الناس، فالذي شهد علي بالكفر، فهو عندي كاذب، ولا يحل لي أن أكذب عليه لكذبه علي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَسْأَلُوْا عَدُوْلَهُمْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] قال لا يحملنكم عداوة قوم أن تركوا العدل فيهم.

قال المتعلم رحمه الله: هذه صفة معروفة ولكن كيف نقول في رجل يشهد على نفسه بالكفر؟

قال العالم رضي الله عنه: إني أقول ليس ينبغي لي أن أحقق كذبه على نفسه وذلك لأنه لو قال لنفسه إنه حمار لا ينبغي لي أن أقول صدق غير أنه إن قال: إنه بريء من الله أو قال: لا أؤمن بالله ولا برسوله سميته كافراً وإن سئى نفسه مؤمناً. وكذلك إذا وحد الله وآمن بما جاء من عند الله سميته مؤمناً وإن سئى نفسه كافراً.

قال المتعلم رحمه الله: أراك فيه أحسن قولاً منه في نفسه. وأنت أحق بذلك ولكن أخبرني أرايت إن قال لي: إني بريء من دينك أو مما تعبد؟

قال العالم رضي الله عنه: إن قال لي هذا لم أعجل ولكني أسأله عند ذلك أتبرأ من دين الله؟ أو تبرأ من الله فأى القولين قاله سميته كافراً مشركاً. فإن قال: لا أبرأ من الله ولا أبرأ من دين الله ولكن أبرأ من دينك لأن دينك هو الكفر بالله وأبرأ مما تعبد لأنك تعبد الشيطان. فإني لا أسميه كافراً. لأنه إنما يكذب علي.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لحمري هو قول أهل الورع والثبت. ولكن أخبرني أليس من أطاع الشيطان وطلب مرضاته فهو كافراً وعابد الشيطان؟

قال العالم رضي الله عنه: أوعلمت ما أردت بهذه المسألة أن المؤمن إذا عصى الله تعالى ليس يكون بمعصيته تلك مطيعاً للشيطان طالباً لمرضاته يتعمد ذلك وإن وافق عمله للشيطان طاعة ورضا.

قال المتعلم رحمه الله: أخبرني عن العبادة ما تفسرها؟

قال العالم رضي الله عنه: اسم العبادة اسم جامع يجتمع فيه الطاعة والرغبة والإقرار بالربوبية. وذلك أنه إذا أطاع الله العبد في الإيمان به دخل عليه الرجاء والخوف من الله فإذا دخل عليه هذه الخصال الثلاث فقد عبده ولا يكون مؤمناً بغير رجاء ولا خوف ولكنه رُب مؤمن يكون خوفه من الله أشد وآخر يكون خوفه أقل. وكذلك من أطاع أحداً رجاء ثوابه أو مخافة عقابه من دون الله فقد عبده. ولو كان العمل بالطاعة وحدها في كل شيء عبادة لكان كل من أطاع غير الله تعالى فقد عبده.

قال المتعلم رحمه الله: ما أحسن ما قلت ولكن أخبرني رأيت من خاف شيئاً أو رجا منفعة شيء هل يدخل عليه الكفر؟

قال العالم رضي الله عنه: الخوف والرجاء على منزلتين وإحدى المنزلتين من كان يرجو أحداً أو يخافه يرى أنه يملك له من دون الله ضرراً أو نفعاً فهو كافر. والمنزلة الأخرى من كان يرجو أحداً أو يخافه لرجائه الخير أو مخافة البلاء من الله تعالى عسى الله أن ينزل به على يدي آخر أو من سبب شيء فإن هذا لا يكون كافراً لأن الوالد يرجو ولده أن ينفعه ويرجو الرجل دابته أن تحمل له. ويرجو جاره أن يحسن إليه ويرجو السلطان أن يدفع عنه، فلا يدخل عليه الكفر. لأنه إنما رجاؤه من الله عسى أن يرزقه من ولده أو من جاره ويشرب الدواء عسى الله أن ينفعه به فلا يكون كافراً، وقد يخاف الشر ويفر منه مخافة أن يبتليه الله به. والقياس في ذلك موسى عليه الصلاة والسلام الذي اصطفاه الله تعالى برسالاته وخصه بكلامه إياه حيث لم يجعل بينه وبين موسى رسولاً قال: ﴿فَلَمَّا أَنْ يَشْفُوهُ﴾ [الشعراء: ١٤] وسيدنا محمد ﷺ حيث فرّ إلى الغار فلم يدخل عليهم الكفر. وكذلك أيضاً يخاف الرجل من السبع أو الحية أو العقرب أو هدم بيت أو سيل أو أذى طعام يأكله، أو شراب يشربه، فلا يدخل عليه الكفر ولا الشك ولكن إنما يدخل الجين.

قال المتعلم رحمه الله: لقد قلت ما نعرف، ولكن أخبرني عن المؤمن ما شأنه يهاب هذا المخلوق ما لا يهاب الله؟

قال العالم رضي الله عنه: ليس شيء أهيب إلى المؤمن من الله، وذلك لأنه ينزل به المرض الشديد في جسمه أو تنزل به المصيبة الموجهة من الله تعالى، فلا يقول في سر وعلاية بش ما صنعت يا رب، ولا يحدث نفسه بذلك ولا يزداد له إلا ذكراً، ولو نزل عشر عشر ذلك، من بعض ملوك الدنيا لتناوله وجوره بقلبه ولسانه عند أهل ثقته، حيث لا يسمع ذلك الملك كلامه، فالمؤمن يراقب الله تعالى في السر والعلاية وفي الحر والبرد، وملوك الدنيا لا يراقبون في السر والعلاية، ولا في الكره والرضا، ولأنه ربما أصابته الجنابة في ليلة باردة فهو يقوم على كره منه حيث لا يعلم أحد ما نزل به غير الله تعالى فيغتسل مخافة من الله أو يصوم في الحر الشديد وقد أصابه الجهد الشديد من العطش وليس بحضرتة أحد فهو يراقب الله تعالى ويتصبر ولا يجزع لمخالفته، والرجل إنما يهاب الملك ما دام بحضرتة، فإذا توارى عنه لم يهبه فمن هاهنا عرفنا بأنه ليس شيء بأهيب إلى المؤمن من الله تعالى.

قال المتعلم رحمه الله: قلت لعمرى هذا ما نعرفه من أنفسنا. ولكن أخبرني عن جهل الإيمان والكفر ما هو؟.

قال العالم رضي الله عنه: إن الناس إنما يكونون مؤمنين بمعرفتهم وتصديقهم بالرب جلّ وعلا. ويكونون كفاراً بإنكارهم بالرب تعالى. فأما إذا أقروا للرب بالعبودية وصدقوا بوحديته وبما جاء منه ولم يعلموا ما اسم الإيمان واسم الكفر لا يكونون بهذا كفاراً بعد أن علموا أن الإيمان خير، والكفر شر، كالرجل الذي يؤتى بالعسل والصبر. فيذوق منهما ويعلم أن العسل حلو. والصبر مر من غير أن يعلم ما اسم العسل؟ وما اسم الصبر؟ ولا يقال له جاهل بالحلاوة والمرارة. ولكن يقال له جاهل باسمهما. كذلك الذي لا يعلم ما اسم الإيمان والكفر. غير أنه يعلم أن الإيمان خير والكفر شر. فلا يقال له: إنه جاهل بالله ولكن يقال له: إنه جاهل باسم الإيمان والكفر.

قال المتعلم رحمه الله: أخبرني عن المؤمن إن عُدّب هل ينفعه إيمانه؟ وهل يُعُدّب بعد إيمانه وفيه الإيمان؟.

قال العالم رضي الله عنه: سألت عن مسائل لم تسأل مثلهن في مسألتك. وأنا أفتيك فيهن إن شاء الله. أما قولك إن عُدّب المؤمن فهل ينفعه إيمانه وفيه الإيمان إن عُدّب؟ نعم ينفعه إيمانه لأنه يرفع عنه أشد العذاب. وأشد العذاب إنما يكون على الكافر. لأنه لا ذنب أعظم من الكفر. وهذا المؤمن لم يكفر بالله ولكن عصاه في

بعض ما أمر به فيُعَذَّب إن عُدَّب على ما عمل. ولا يُعَذَّب على ما لم يعمل كالرجل الذي قتل ولم يسرق إنما يؤاخذ بالقتل. ولا يؤاخذ بالسرقة. وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجْرَمُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]. والمريض ما كان مرضه أقل كان أهون عليه. والذي يُعَذَّب في الدنيا ويرفع عنه أشد العذاب ويُعَذَّب بلون واحد فهو أهون عليه من أن يُعَذَّب بلونين. وكذلك المؤمن إن عُدَّب على ذنب واحد فهو أهون من أن يُعَذَّب على ذنبين.

قال المتعلم رحمه الله: هذا لعمرى ما نعرف من العدل ولكن أخبرني من أين صار كفر الكفار واحداً وعبادتهم كثيرة مختلفة من حيث صار إيمان أهل السماء ومن آمن من أهل الأرض إيماناً واحداً وفرائضهم كثيرة مختلفة.

قال العالم رضي الله عنه: وذلك لأن فرائض الملائكة غير فرائضنا. وفرائضهم وفرائض الأولين غير فرائضنا. وإيمان أهل السماء وإيمان الأولين وإيماننا واحد لأننا آمننا وعبدنا الرب عز وجل وحده وصدقنا جميعاً، فكذلك الكفار كفرهم وإنكارهم واحد وعبادتهم مختلفة، وذلك لأنك لو سألت اليهودي من تعبد؟ يقول الله أعبد وإذا سألته عن الله قال هو الذي عزير ولده وهو الذي على مثال البشر، ومن كان بهذه الصفة لم يكن مؤمناً بالله. وإذا سألت النصراني من تعبد؟ قال الله الله أعبد. وإذا سألته عن الله قال هو الذي في جسد عيسى وفي بطن مريم. يجتن في شيء ويحيط به شيء، ويلج في شيء، ومن كان بهذه الصفة لم يكن مؤمناً بالله. وإذا سألت المجوسي من تعبد؟ يقول الله أعبد فإذا سألته عن الله؟ قال هو الذي له الشريك والولد والصاحبة ومن كان بهذه الصفة لم يكن مؤمناً بالله فجهاالة هؤلاء كلهم بالرب جل وعز وإنكارهم واحد. ونعوتهم وصفاتهم وعبادتهم كثيرة مختلفة. كمثل ثلاثة نفر قال أحدهم: إن عندي لؤلؤة بيضاء ليس في العالم مثلاً، فأخرج حبة من عنب سوداء فحلف أنها لؤلؤة. وخاصم الناس في ذلك. وقال آخر: عندي اللؤلؤة المرتفعة التي ليس في العالم مثلاً، فأخرج سفرجلة فحلف على ذلك وخاصم الناس أنها لؤلؤة. وقال الثالث: اللؤلؤة اليتيمة هي التي عندي، وأخرج قطعة من مدر فجعل يحلف على ذلك، وخاصم الناس عليها أنها لؤلؤة، وكل هؤلاء اجتمع جهالتهم باللؤلؤة لأنه ليس أحد منهم يعرف اللؤلؤة، وصفاتهم كثيرة مختلفة، فتعرف بذلك أنك لا تعبد موصوفهم ولا معبودهم لأنهم يصفون الثلاثة والاثنيين وإنما يعبدون الذي يصفونه، وأنت تصف الواحد فمعبودك غير معبودهم، ومعبودهم غير معبودك ولذلك قال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَكْفُرُونَ الْكُفْرَانَ ۚ لَا آعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۗ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا آعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١ - ٣].

قال المتعلم رحمه الله: لقد عرفت الذي وصفت أنه كما وصفت ولكن أخبرني من أين يكون هؤلاء جهالاً بالرب لا يعرفونه وهم يقولون الله ربنا؟.

قال العالم رضي الله عنه: قد أعرف الذي يقولون، إنهم يقولون إن الله ربنا وهم في ذلك لا يعرفونه لقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥] يقول تعالى: أكثرهم يقول هذا القول بغير علم كالصبي الذي ولدته أمه أعمى فيذكر الليل والنهار والصفرة والحمرة من غير أن يعرف شيئاً من ذلك. وكذلك الكفار قد سمعوا اسم الله تعالى من المؤمنين وهم يقولون ما سمعوا من غير أن يعرفوه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ بَلْ لَا يَزِيدُكُمُ إِلَّا الْآخِرَةَ قُلُوبُهُمْ شُكْرًا وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢].

قال المتعلم رحمه الله: هو كما وصفت لكن أخبرني عن الرسول أمن قبل الله تعالى عرفته. أو تعرف الله من قبل الرسول. فإن زعمت أنك إنما تعرف الرسول من قبل الله فكيف يكون ذلك؟ والرسول هو الذي يدعوك إلى الله تعالى.

قال العالم رضي الله عنه: نعم نعرف الرسول من الله تعالى لأن الرسول وإن كان يدعو إلى الله تعالى، ولم يكن أحد يعلم بأن الذي يقول الرسول حق يقذف الله في قلبه التصديق والعلم بالرسول، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ولو كانت معرفة الله من قبل الرسول لكانت المنة على الناس في معرفة الله من قبل الرسول لا من قبل الله ولكن المنة من الله على الرسول في معرفة الرب عز وجل والمنة لله على الناس بما عرفهم الله من التصديق بالرسول بل ينبغي أن نقول إن العبد لا يعرف شيئاً من الخير إلا من قبل الله.

قال المتعلم رحمه الله: قد فرجت عني ولكن أخبرني عن تفسير الولاية والبراءة هل يجتمعان في إنسان واحد.

قال العالم رضي الله عنه: الولاية هي الرضا بالعمل الحسن، والبراءة هي الكراهية على العمل السيء، وربما اجتمعا في إنسان واحد، وربما لم يجتمعا فيه فهو المؤمن الذي يعمل صالحاً وسيئاً، وأنت تجامعه وتوافقه على العمل الصالح وتجه عليه وتخالفه وتفارقه على ما يعمل من السيء وتكره له ذلك، فهذا ما سألت عن الولاية والبراءة يجتمعان في إنسان واحد. والذي فيه الكفر ليس فيه شيء من الصالحات، وأنت تبغضه وتفارقه في جميع ذلك والذي تحبه ولا تكره منه شيئاً فهو الرجل المؤمن الذي قد عمل بجميع الصالحات واجتنب القبيح فأنت تحب كل شيء منه، ولا تكره منه شيئاً.



قال المتعلم رحمه الله: ما أحسن ما قلت. ولكن أخبرني عن كفر النعم ما هو.  
 قال العالم رضي الله عنه: كفر النعم أن ينكر الرجل أن تكون النعم من الله، فإن  
 أنكر شيئاً من النعم فزعم أنها ليست من الله فهو كافر بالله، لأن من كفر بالله كفر  
 بالنعم، قال الله تعالى: ﴿يَمْرُؤُنَ يَقَعَتْ آلَهُ نُورٌ يُكْرِمُهَا﴾ [التحل: ٨٣] يقول إن  
 الكفار يعرفون أن الليل ليل، والنهار نهار، ويعرفون الصحة والغنى، وجميع ما  
 يتقلبون فيه من السعة والراحة أنها نعمة غير أنهم ينسبون ذلك إلى معبودهم الذي  
 يعبدونه، ولا ينسبونه إلى الله الذي منه النعم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَمْرُؤُنَ يَقَعَتْ  
 آلَهُ نُورٌ يُكْرِمُهَا﴾ [التحل: ٨٣] أي ينكرون أن تكون من الله الواحد الذي ليس كمثل  
 شيء.

والله المتعان وحبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
 وصحبه وسلم.

تمّ العالم والمتعلم والله الحمد



# الفقه الأيسر للإمام أبي حنيفة

تحقيقه  
الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسنة بن علي الكورني  
المتوفى ١٣٧١ هـ



## رواية أبي مطيع عن أبي حنيفة رضي الله عنهما

هو الفقه الأكبر رواية أبي مطيع عرف بالفقه الأيسر تمييزاً له عن الفقه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه، ورواه أبو مطيع هو الحكم بن عبد الله البلخي صاحب أبي حنيفة حدث عن ابن عون وهشام بن حسان وعنه أحمد بن منيع وخالد بن سالم الصغار وجماعة تفقه به أهل تلك الديار، قال الذهبي: كان بصيراً بالرأي علامة كبير الشأن ولكنه واه في ضبط الأثر وكان ابن المبارك يعظمه ويجله لدينه وعلمه اهـ.

وطال كلام النقلة فيه يرمونه بالإرجاء والتجهيم والرأي راجع الميزان.

توفي سنة ١٩٩ هـ عن أربع وثمانين سنة تغمده الله برضوانه (ز).



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. روى الإمام أبو بكر محمد بن محمد الكاساني. عن أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي. قال: أخبرنا أبو المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي الكاشغري الملقب بالفضل. قال: أخبرنا أبو مالك نصران بن نصر الخثلي عن علي بن الحسن بن محمد الغزالي عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي حدثنا نصير بن يحيى الفقيه. قال: سمعت أبا مطيع الحكم بن عبد الله البلخي يقول:

سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه وعنهم عن الفقه الأكبر<sup>(١)</sup> فقال: أن لا تكفر أحداً من أهل القبلة بئنب. ولا تنفي أحداً من الإيمان. وأن تأمر بالمعروف. وتنهى عن المنكر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك. ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا توالي أحداً دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله تعالى.

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير.

قال أبو مطيع: قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه. قال أبو حنيفة: أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأمة واتفاقها. قال: فأخبرني عن الإيمان. فقال<sup>(٢)</sup>: حدثني علقمة بن مرثد عن يحيى بن يعمر قال: قلت

(١) يريد به العلم المتعلق بتصحيح الاعتقاد. وهو أفضل الفقه عنده، والفقه على إطلاقه يشمل ما يقوم الاعتقاد والعمل والخلق عند أبي حنيفة، ولنا يعرف الفقه بأنه معرفة النفس ما لها وما عليها (ز).

(٢) ولأبي حنيفة أسانيد في هذا الحديث منها روايته عن حماد عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود (ز).

لابن عمر رضي الله عنهما أخبرني عن الدين ما هو؟ قال: عليك بالإيمان فتعلمه. قلت: فأخبرني عن الإيمان ما هو؟ قال: فأخذ بيدي فانطلق بي إلى شيخ فأقعدني إلى جنبه فقال: إن هذا يسألني عن الإيمان كيف هو؟ فقال: والشيخ كان ممن شهد بداراً مع رسول الله ﷺ. قال ابن عمر: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ وهذا الشيخ معي إذ دخل علينا رجل حسن اللمة متعمماً نحسبه من رجال البادية فتخطى رقاب الناس فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتؤمن بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى. فقال: صدقت، فتعجبنا من تصديقه رسول الله ﷺ مع جهل أهل البادية. فقال: يا رسول الله، ما شرائع الإسلام؟ فقال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً والاعتسال من الجنابة. فقال: صدقت. فتعجبنا لقوله بتصديقه رسول الله ﷺ كأنه يعلمه. فقال: يا رسول الله وما الإحسان؟ قال: أن تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فقال: صدقت. فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. ثم مضى فلما توسط الناس لم نره.

فقال النبي ﷺ: «إن هذا جبريل أتاكم ليعلمكم معالم دينكم»<sup>(١)</sup>.

قال أبو مطيع: قلت لأبي حنيفة رحمه الله: فإذا استيقن بهذا وأقر به فهو مؤمن؟ قال: نعم إذا أقر بهذا فقد أقرّ بجملته الإسلام وهو مؤمن. فقلت: إذا أنكروا بشيء من خلقه فقال: لا أدري من خالق هذا؟ قال: فإنه كفر لقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. لكانه قال: له خالق غير الله، وكذلك لو قال: لا أعلم أن الله فرض علي الصلاة والصيام والزكاة فإنه قد كفر. لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ولقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ولقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنَ اللَّهُ لِيِنَّ تَسْوِكَ رِيِنَّ تَصِيْحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْعَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِيْبًا رِيِنَّ تَطْهَرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الرؤم: ١٧، ١٨] فإن قال: أؤمن بهذه الآية، ولا أعلم تأويلها ولا أعلم تفسيرها فإنه لا يكفر، لأنه مؤمن بالتنزيل ومخطيء في التفسير. قلت له: لو أقرّ بجملته الإسلام في أرض الشرك ولا يعلم شيئاً من الفرائض والشرائع ولا يقر بالكتاب ولا يشيء من شرائع الإسلام إلا أنه مقر بالله تعالى

(١) ورد حديث جبريل على ألفاظ مختلفة متقاربة في المعنى وليس هذا.



وبالإيمان ولا يقر بشيء من شرائع الإيمان فمات أهو مؤمن؟ قال: نعم<sup>(١)</sup> قلت له: ولو لم يعلم شيئاً ولم يعمل به إلا أنه مقر بالإيمان فمات. قال: هو مؤمن. قلت لأبي حنيفة: أخبرني عن الإيمان. قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتشهد بملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وقيامته وخيره وشره وتشهد أنه لم يفوض الأعمال إلى أحد.

والناس صائرون إلى ما خلقوا له، وإلى ما جرت به المقادير فقلت له: رأيت إن أقر بهذا كله ولكنه قال: المشيئة إلى أن شئت أنت وإن شئت لم أومن لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. فقال: كذب في زعمه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كَذَّابًا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ [مَنْ شَاءَ دَعَا رَبَّهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٤ - ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] هذا وعبد، وبهذا لم يكفر، لأنه لم يرد الآية، وإنما أخطأ في تأويلها ولم يرد به تنزيلها قلت له إن قال إن أصابتنى مصيبة (فستلت) أي مما ابتلاني الله بها أو هي مما اكتسبت (أجبت قاتلاً) ليست هي مما ابتلاني الله بها أيكفر؟ قال: لا، قلت: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسْرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ نَسِيَةٍ مِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]. أي بذنبك وأنا قدرته عليك. وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] - أي بذنوبكم - وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، قال: إلا أنه أخطأ في التأويل، ومعنى قوله: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] أي بين المؤمن والكافر، وبين الكافر والإيمان.

(١) يعني حيث لم يبلغه الشرع في دار الشرك، وأما الإيمان بالله فدلليل العقل كاف في وجوبه عنده قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ أُمَّةً عَنْ دِينِهَا إِذَا يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ولم يبق ذلك بزمان ولا مكان، وأما الأحكام فلا يعذب بها إلا بعد تبليغها (ز).

(٢) ومن مقتضى حكمة الحكيم الخبير خلق العبد شيئاً مختاراً في أفعاله التكليفية، وشمول المشيئة الأزلية لتلك الأفعال لا يخرجها عن كونها اختيارية لتعبر انقلاب الحقائق وقد دلت النصوص على اختيار العبد وشمول المشيئة الأزلية. قال الله تعالى: ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَمَنْهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وهذا هو الجمع بين النصوص، وقد سأل أبو حنيفة زيد بن علي الشهيد أقرر الله المعاصي؟ فقال: أيمصى قهراً؟! والتقدير والمشيئة والعلم متواردة عليها، والتقدير والمشيئة على وفق العلم (ز).

قال أبو حنيفة رحمه الله: إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية هي بعينها تصلح لأن يعمل بها الطاعة وهو معاقب في صرف<sup>(١)</sup> الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه وأمره أن يستعملها في الطاعة دون المعصية.

قلت: فإن قال: الله تعالى لِمَ يجبر عباده على ذنب ثم يعذبهم عليه فمأذا نقول له؟ قال: قل له: هل يطيق العبد لنفسه ضراً ونفعاً؟ فإن قال: لا لأنهم مجبورون في الضر والنفع ما خلا الطاعة والمعصية. فقل له: هل خلق الله الشر؟ فإن قال: نعم. خرج من قوله وإن قال: لا، كفر لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّيَ الْفَلَكِيِّ ﴿١﴾ مِنْ سَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق: ١، ٢]. أخبر أن الله تعالى خلق الشر. قلت: فإن قال: أستم تقولون إن الله شاء الكفر وشاء الإيمان. فإن قلنا نعم، يقول: أليس الله تعالى يقول: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّفْسِ وَأَهْلُ النَّفْسِ﴾ [المذثر: ٥٦] نقول: نعم، فيقول: أهو أهل الكفر؟ فما نقول له؟ قال: نقول: هو أهل لمن يشاء الطاعة وليس بأهل لمن يشاء المعصية. فإن قال: إن الله تعالى لم يشأ أن يقال عليه الكذب. فقل له: الفرية على الله من الكلام والمنطق أم لا؟ فإن قال: نعم، فقل: من علم آدم الأسماء كلها؟ فإن قال: الله، فقل: الكفر من الكلام أم لا؟ فإن قال: نعم، فقل: من أنطق الكافر؟ فإن قال: الله. خصموا أنفسهم، لأن الشرك من النطق، ولو شاء الله لما أنطقهم به. قلت: فإن قال: إن الرجل إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، وإن شاء شرب وإن شاء لم يشرب. قال: فقل له: هل حكم الله على بني إسرائيل أن يعبروا البحر وقدر على فرعون الغرق؟ فإن قال: نعم، قل له: فهل يقع من فرعون أن لا يسير في طلب موسى وأن لا يفرق هو وأصحابه؟ فإن قال: نعم فقد كفر، وإن قال: لا، نقض قوله السابق.

(١) وصرف الاستطاعة هو مناز التكليف وقد جعله الله بيد العبد المكلف فلا جبر عنده (ز).

## باب في القدر

قال: حدثنا علي<sup>(١)</sup> بن أحمد عن نصير بن يحيى قال: سمعت أبا مطيع يقول: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: حدثنا حماد عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم علقه مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً يكتب عليه رزقه وأجله وشقي أم سعيد، والذي لا إله غيره إن الرجل ليعمل عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيموت فيدخلها».

قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج على الجماعة هل ترى ذلك؟ قال: لا. قلت: ولم وقد أمر الله تعالى ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا فريضة واجبة؟ فقال: هو كذلك لكن ما يفسدون من ذلك يكون أكثر مما يصلحون، من سفك الدماء واستحلال المحارم وانتهاك الأموال. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا فِي بَيْنِهِمَا إِنَّهُمَا عَلَى الْقَتْلِ أَعْيُنٌ فَأَغْوَى لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجْرٌ أَتَىٰ﴾ [السجرات: ٩] قلت: فتقاتل الفئة الباغية بالسيف؟ قال: نعم. تأمر وتنهى فإن قبل وإلا قاتله، فتكون مع الفئة العادلة وإن كان الإمام جائراً.

لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل، لكم أجركم وعليه وزره»<sup>(٢)</sup>. قلت له: ما تقول في الخوارج المحكمة؟ قال: هم أخيب الخوارج، قلت له: أنكفرهم؟ قال: لا. ولكن نقاتهم على ما قاتلهم الأئمة من أهل الخير: علي وعمر بن عبد العزيز. قلت: فإن الخوارج يكبرون ويصلون ويتلون القرآن أما تذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه حين دخل مسجد دمشق فإذا

(١) هو الفارسي شيخ شيخ الختلي في السند (ز).

(٢) وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة لكن هذا اللفظ لم أجده فلعله رواية بالمعنى (ز).

فيه رؤوس ناس من الخوارج فقال لأبي غالب الحمصي: يا أبا غالب هؤلاء ناس من أهل أرضك فأحببت أن أعرفك من هؤلاء، هؤلاء كلاب أهل النار هؤلاء كلاب أهل النار وهم شر قتلى تحت أديم السماء - وأبو أمانة في ذلك يبكي - فقال أبو غالب: يا أبا أمانة ما يبكيك؟ إنهم كانوا مسلمين وأنت تقول لهم ما أسمع قال: أولاء، يقول الله تعالى فيهم: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧] قال له: أشيء تقوله برأيك أم سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إني لو لم أسمعته منه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات إلى سبع مرات لما حدثتكموه. فكفر الخوارج كفر النعم، كفر بما أنعم الله تعالى عليهم. قلت: الخوارج إذا خرجوا وحاربوا وأغاروا ثم صالحوا هل يتبعون بما فعلوا؟ قال: لا غرامة عليهم بعد سكون الحرب، ولا حد عليهم، والدم كذلك لا قصاص فيه. قلت: ولم ذلك؟ قال: للحديث الذي جاء أنه لما وقعت الفتنة بين الناس في قتل عثمان رضي الله عنه فاجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على أن من أصاب دماً بتأويل فلا قود عليه.

ومن أصاب فرجاً حراماً بتأويل فلا حد عليه. ومن أصاب مالا بتأويل فلا تبعة عليه إلا أن يوجد المال بعينه فيرد إلى صاحبه. قلت: قال قائل: لا أعرف الكافر كافراً. قال: هو مثله. قلت: فإن قال: لا أدري أين مصير الكافر؟ قال: هو جاحد لكتاب الله تعالى وهو كافر. قلت له: فما تقول لو أن رجلاً قيل له: مؤمن أنت؟ قال: الله أعلم، قال: هو شاك في إيمانه، قلت: فهل بين الكفر والإيمان منزلة إلا النفاق وهو أحد الثلاثة، إما مؤمن أو كافر أو منافق، قال: لا، ليس بمنافق من يشك في إيمانه، قلت: لم؟ قال: لحديث صاحب لمعاذ بن جبل وابن مسعود: حدثني حماد عن حارث بن مالك - وكان من أصحاب معاذ بن جبل الأنصاري - فلما حضره الموت بكى. قال معاذ: ما يبكيك يا حارث؟ قال: ما يبكيني موتك، قد علمت أن الآخرة خير لك من الأولى، لكن من المعلم بعدك؟ ويروي من العالم بعدك؟ قال: مهلاً وعلبك بعبد الله بن مسعود فقال له: أوصني، فأوصاه بما شاء الله ثم قال: احذر زنة العالم، قال: فمات معاذ وقدم الحارث الكوفة إلى أصحاب عبد الله بن مسعود فنودي بالصلاة فقال الحارث: قوموا إلى هذه الدعوة، حق لكل مؤمن من سمعه أن يجيبه فنظروا إليه وقالوا: إنك لمؤمن، قال: نعم إني لمؤمن، فتغامزوا به، فلما خرج عبد الله قيل له ذلك، فقال للحارث مثل قولهم فنكس الحارث رأسه وبكى

وقال: رحم الله معاذاً فأخبر به ابن مسعود، فقال له: إنك لمؤمن، قال: نعم، قال: فتقول إنك من أهل الجنة، قال: رحم الله معاذاً فإنه أوصاني أن أحذر زلة العالم والأخذ بحكم المنافق، قال: فهل من زلة رأيت؟ قال: نشدتك بالله اليس النبي ﷺ كان والناس يومئذ على ثلاث فرق مؤمن في السر والعلانية، وكافر في السر والعلانية ومنافق في السر ومؤمن في العلانية فمن أي الثلاث أنت؟ قال: أما أنا فإذا ناشدتي بالله فإني مؤمن في السر والعلانية. قال: فلم لمتني حيث قلت: إني لمؤمن؟ قال: أجل هذه زلتني فادفنها علي فرحم الله معاذاً. قلت لأبي حنيفة رحمه الله: فمن قال إني من أهل الجنة؟ قال: كذب. لا علم له به. قال: والمؤمن من يدخل الجنة بالإيمان فيعذب في النار بالأحداث. قلت فإنه قال: إنه من أهل النار؟ قال: كذب لا علم له به قد أيس من رحمة الله تعالى، قال أبو حنيفة رحمه الله: ينبغي أن يقول: أنا مؤمن حقاً، لأنه لا يشك في إيمانه قلت: أيكون إيمانه كإيمان الملائكة؟ قال: نعم<sup>(١)</sup> قلت وإن قصر عمله فإنه مؤمن حقاً قال: فحدثني حديث حارثة أن النبي ﷺ قال له: «كيف أصبحت؟» قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: «انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» فقال: عزفت نفسي عن الدنيا حتى أطمأت نهاري وأسهرت ليلي. فكانني أنظر إلى عرش ربي، وكانني أنظر إلى أهل الجنة يتزارون فيها، وكانني أنظر إلى أهل النار حين يتضاغون فيها، فقال رسول الله ﷺ: «أصبحت فالزم، أصبت فالزم» ثم قال: «من سره أن ينظر إلى رجل نور الله تعالى قلبه فليتنظر إلى حارثة» ثم قال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له بها فاستشهد قلت: فما بال أقوام يقولون لا يدخل المؤمن النار؟ قال: «لا يدخل النار إلا كل مؤمن» قلت: والكافر؟ قال: «هم يؤمنون يومئذ» قلت: وكيف ذلك؟ قال: «لقلوه تعالى: ﴿قَلَمًا رَأَوْنَا بِأَسْمَاءَ قَالُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَسَكَرْنَا يَمَّا كُنَّا بِهِ، مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فَلَرَّ بِكَ يَنْفَعُهُمْ إِيْتَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْنَا بِأَسْمَاءَ﴾ [عافر: ٨٤، ٨٥].»

قال أبو حنيفة رحمه الله: من قتل نفساً بغير حق أو سرق أو قطع الطريق أو فجر أو فسق أو زنى أو شرب الخمر أو سكر فهو مؤمن فاسق، وليس بكافر، وإنما يعذبهم بالأحداث في النار ويخرجهم منها بالإيمان، قال أبو حنيفة رحمه الله: من آمن

(١) مهما كان الإيمان هو المقدم الجازم لا يمكن فيه احتمال للتبعض أصلاً فيكون إيمان المؤمنين على حد سواء فالفاضل بينهم بالأعمال التي هي من كمال الإيمان وأما جعل العمل ركناً من الإيمان فلا يمكن التملص مما وقع فيه الخواارج أو المعتزلة نعوذ بالله من سوء المتقلب (ز).

بجميع ما يؤمن به إلا أنه قال: لا أعرف موسى وعيسى أمرسلان هما أم غير مرسلين فهو كافر، ومن قال لا أدري الكافر أهو في الجنة أو في النار فهو كافر، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَاتُهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البُرُوج: ١٠] وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦]. قال أبو حنيفة رحمه الله: بلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: من لم ينزل الكفار منزلهم من النار فهو مثلهم. قلت: فأخبرني عن من يؤمن ولا يصلي ولا يصوم ولا يعمل شيئاً من هذه الأعمال هل يغني إيمانه شيئاً؟ قال: هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه. وقال: من لم يجحد شيئاً من كتابه فهو مؤمن. قال أبو حنيفة: حدثني بعض أهل العلم أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قدم مدينة حمص اجتمعوا إليه وسأله شاب فقال: ما تقول فيمن يصلي ويصوم ويحج البيت ويجاهد في سبيل الله تعالى ويعتق ويؤدي زكاته غير أنه يشك في الله ورسوله؟ قال: هذا له النار، قال: فما تقول فيمن لا يصلي ولا يصوم ولا يحج البيت ولا يؤدي زكاته غير أنه مؤمن بالله ورسوله؟ قال: أرجو له وأخاف عليه. فقال الفتى: يا أبا عبد الرحمن كما أنه لا ينفع<sup>(١)</sup> مع الشك عمل. فكذلك لا يضر<sup>(٢)</sup> مع الإيمان شيء. ثم مضى الفتى، فقال معاذ: ليس في هذا الوادي أحد أفقه من هذا الفتى<sup>(٣)</sup>.

قال أبو حنيفة: فقاتل أهل البغي بالبغي لا بالكفر. وكن مع الفئة العادلة والسلطان الجائر. ولا تكن مع أهل البغي. فإن كان في أهل الجماعة فاسدون

(١) والمنفي النفع الخاص هنا وهو النفع الذي ينقل من الخلود في النار بدليل السياق فلا ينتفع الشاك في الله ورسوله بعمل من الأعمال في إنقاذه من الخلود في النار. ولذا ثبت في الشاك أنه في النار. والشك اللاحق يهدم الطاعة السابقة (ز).

(٢) وكذا المراد من الضرر المنفي هنا هو الضرر الخاص. وهو الضرر المزبل للرجاء بدليل السياق أيضاً فلا يكون المؤمن فاقد الرجاء يائساً من العفو بما اقترف من ذنب ما دام مؤمناً وهو المراد بقول معاذ: (أرجو له وأخاف عليه) حيث لم يبت بدخوله في النار مرجحاً أمره إلى الله ولو لم يكن مراد الفتى هذا لما أتى عليه معاذ رضي الله عنه، وإلا كان كلامه متناقضاً فحاشاه من ذلك، وتقييد المطلق بقرائن السياق والسياق في غاية الكثرة في اللسان العربي المبين وأما الإيمان اللاحق فيجب المعصيان السابق (ز).

(٣) وفي هذا المعنى ما أخرجه الحارثي عن أبي حنيفة عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي مسلم الخولاني، عن معاذ رضي الله عنه، راجع مسند الحارثي في مكتبة الأزهر في الحديث (رقم ١٩٣٠) في أواخر الكتاب في مرويات أبي حنيفة عن الحارث بن عبد الرحمن عن شيوخه ومثله في أوائل مختصر مسند الحصكفي لمحمد عابد السندي وهو مطبوع (ز).

ظالمون. فإن فيهم أيضاً صالحين يعينونك عليهم، وإن كانت الجماعة باغية فاعتزلهم واخرج إلى غيرهم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَرَبِّمَةً فَهَاتِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] وقال أيضاً: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَرَبِّمَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [التنكبوت: ٥٦].

قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم: قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت المعاصي في أرض قلم تطق أن تغيرها فتحول عنها إلى غيرها فاعبد بها ربك». وقال: حدثني بعض أهل العلم<sup>(١)</sup> عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: «من تحول من أرض يخاف الفتنة فيها إلى أرض لا يخافها فيها كتب الله له أجر سبعين صديقاً».

قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر<sup>(٢)</sup> وكذا من قال إنه على العرش. ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض<sup>(٣)</sup>

(١) فهو مجهول كما أن الصحابي مجهول فليحذر (ز).

(٢) ولم يذكر في المتن وجه كفره فينته الشارح أبو الليث السمرقندي بقوله: (لأنه بهذا القول يومه أن يكون له تعالى مكان فكان مشركاً). ويدل على ذلك ما سيجيء في المتن: (قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى؟ يقال له: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء يعني فلا يتصور الأينية إلا في العادة. ومما يدل على ذلك أيضاً قول الطحاوي في كتابه: (بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله): (ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه. فإن رينا جلّ وعلا موصوف بصفات الوجودانية منعت بتعمت الفردانية. وليس في معناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات اه) وهذا جلي واضح مستثنى عن الإيضاح وسط القول في ذلك في كتاب (إشارات المرام من عبارات الإمام) للعلامة كمال الدين البياضي المطبوع حديثاً. وهو من أحسن ما نُشر إلى الآن في اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أئمتنا رضي الله عنهم (ز).

(٣) وهذا لفظ نسخة العلامة البياضي. وأما لفظ نسخة أبي الليث فهو (قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ عَلَى آسْرَةٍ مِّنْ رَبِّكَ﴾ [طه: ٥] فإن قال أقول بهذه الآية ولكن لا أدري أين العرش في السماء أم في الأرض فقد كفر أيضاً). ولم يذكر في المتن هنا أيضاً وجه كفر هذا القائل في النسختين فينته البياضي في (ص ٢٠٠) من إشارات المرام، ويئنه أبو الليث بقوله: (وهذا يرجع إلى المعنى الأول في الحقيقة لأنه إذا قال لا أدري أن العرش في السماء أم في الأرض فكأنه قال لا أدري أن الله في السماء أم في الأرض) فلا يكون منزهاً لله عن المكان مع وجوب تنزيهه عنه. ثم أفاض أبو الليث في الرد على الكرامية وسائر المشبهة القائلين بإثبات المكان له تعالى، وأبو الليث هنا تخرج على أبي جعفر الهنلاوي عن أبي القاسم الصفاق عن نصير بن يحيى البليخي راوية هذا الكتاب بسنده المعروف بين أهل العلم سلفاً وخلفاً. وأبو الليث هنا توفي =

= سنة ٣٧٣هـ. وبعد مائة سنة من هذا التاريخ نرى ينجم بين الحشوية شخص جريه بلقبه شركازة في الضلال بشيخ الإسلام. ويؤلف لهم كتاباً سماه «الفاروق» وكتاباً سماه «ذم الكلام» وغيرهما. يضمنهما وروايات طامة. وآراء سخيفة للغاية بقتن بها كثيراً من الجهال. وهو الذي لا يتحاشى أن يروي عن كعب (أن الله سبحانه قال للجبال إني واطيء على جبل فتطاولت الجبال فتراضع الطور فهبط عليه). وكذا «أطيط العرش من ثقل الذات عليه» والحد ونحو ذلك ومما يقول في ذم الكلام: «أن الأشعرية لا تحل ذبانهم ولا تناكحتهم لأنهم ليسوا بمسلمين ولا أهل كتاب» باعتبار أنهم لا يقولون إن الله يسكن السماء. وهذا الأفاك تناول في «الفاروق» لفظ أبي حنيفة السابق. وتزيد فيه ما شاء تزيداً شائناً منافياً لنفي الأبنية المنصوص عليه في المتن الأصلي السابق ذكره المتداول بين أصحابنا على التوالي الطبقات فذاع بعض النسخ من الفقه الأكبر على هذا التزيد والإفك الميين فانخدع به بعض الأغرار ممن لم يؤنوا بصيرة فنسال الله الصون. وفي نسخة في رجال سندها الكوراني المذكور حاله في أواخر حسن التقاضي ما عبارته: (قال أبو حنيفة: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله تعالى قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه: ٥﴾ فإن قال: إنه تعالى على العرش استوى. ولكنه يقول: لا أحوي العرش في السماء أم في الأرض. قال هو كافر لأنه أنكر كون العرش في السماء لأن العرش في أعلى عليين) ولا وجود لهذين التعليلين في رواية أبي الليث وغيرهما من أصحابنا كما سبق، على أنه ليس فيهما إثبات مكان له تعالى وإنما فيهما إثبات استوائه تعالى على العرش استواء يليق بجلاله كما هو معتقد أهل الحق، وأنى ذلك من إثبات الاستقرار المكاني له تعالى على العرش؟ وذلك القائل جوز إثبات المكان له تعالى فأخذ يتحرى مكاناً له في السماء والأرض. وهذا جهل بالله وكفر به عند أبي حنيفة، لأن التجوز في حكم التنجيز في باب المعتقد، ومن أثبت له مكاناً حياً فما زال عابداً للنصم تعالى الله عن جهالات الجاهلين - راجع الجزء الثاني من العراصم عن القواصم لأبي بكر بن العربي، وهنا بسط القول في العرش والاستواء عليه عند أهل الحق، وهذا هو الموافق لنفي الأبن والمكان عنه - تعالى كما سيأتي في متن هذا الكتاب وللنص المسوق في الوصية لأبي حنيفة وتجد ذلك كله مجموراً في صعيد واحد في (إشارات المرام)، ولفظ اللحيبي في العلو في التعليل الأول (وعرشه فوق سماواته) وفي التعليل الثاني (إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر) نقلاً عن فاروق الهروي بإقامة الضمير مقام الظاهر تمهيداً لصرفه إلى معتقد الحشوية. ولفظ ابن القيم في اجتماع الجيوش في التعليل الثاني: (لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين) نقلاً عن الهروي بواسطة شيخه فانظروا إلى هذا التصرف المعيب والبهت الغريب، فرأس المصيبة هو الهروي وزاده الشيخان ما شاء من غير ورع، وأين في الكتاب والسنة تعيين مكان له تعالى في أعلى عليين؟ (ز).

(٥) يناقض نفسه في التزيد مرة يكفر من لا يقول: إنه على العرش فوق السماوات ومرة يكفر من لا يقول إنه في السماء. وأحدهما يناقض الآخر وأبو حنيفة براه من الاثنتين (ز).



الله تعالى من أعلى لا من أسفل<sup>(١)</sup> لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء. وعليه ما روي في الحديث أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال: وجب علي عتق رقبة مؤمنة، أفتجزىء هذه؟ فقال لها النبي ﷺ: «أؤمنه أنت؟» فقالت: نعم.

فقال: «أين الله»<sup>(٢)</sup> فأشارت إلى السماء، فقال: «اعتقها فإنها مؤمنة». قال أبو حنيفة: من قال لا أعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة لأنه أنكر قوله تعالى: ﴿سَمِعْتَهُمْ مَرْتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١] - يعني عذاب القبر - وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] - يعني في القبر - فإن قال: أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها، قال: هو كافر لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله. فإن جحد بها فقد كفر، قال أبو حنيفة رحمه الله: حدثني رجل عن المنهال بن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي يقولون إنا في الجنة دون النار».

وحدثت عن أبي طيبان قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للمتألمين»<sup>(٣)</sup> من أمتي قيل: يا رسول الله وما المتألمون؟ قال: «الذين يقولون فلان في الجنة وفلان في النار». وحدثت عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا أمتي في الجنة ولا في النار دعوهم حتى يكون الله يحكم بينهم يوم القيامة». قال: وحدثني أبان عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: لا تنزلوا عبادي جنة ولا ناراً حتى أكون أنا الذي أحكم فيهم يوم القيامة وأنزلهم منازلهم». قلت: فأخبرني عن القاتل والصلاة خلفه؟ فقال: «الصلاة خلف كل بر وفاجر جائزة، فلك أجرك

(١) يشير إلى أن السماء قبلة الدعاة لا أنها مسكن رب العالمين تعالى شأنه فكيف وسمعت الرأس مما يتبدل كل آن، وقد بسطنا ذلك فيما علقناه على السيف الصقيل والأسماء والصفات (ز).

(٢) سؤال استكشاف فلا يفيد إثبات المكان له تعالى كما في شرح المواقف، واستعمال أين للسؤال عن المكانة معروفة كقول عمرو بن العاص فأين الثريا وأين الثريز أين معاوية من علي.

والاحتلاء على السماء قد يراد به مجرد علو الشأن بدون ملاحظة أي مكان. قال الشاعر:

علونا السماء مجدنا وجعدونا وإننا لتبغني فوق ذلك مظهرها

وبسط القول في حديث الجارية فيما علقته على الأسماء والصفات لليهفي. راجع «ص ٤٢٢» منه (ز).

(٣) أخرجه البخاري في تاريخه. والثالثي على الله هو الحالف المتحكم في أنه يدخل فلاناً الجنة وفلاناً النار (ز).

وعليه وزره» قلت: أخبرني عن هؤلاء الذين يخرجون على الناس بسيفهم فيقاتلون وينالون منهم. قال: هم أصناف شتى وكلهم في النار.

قال: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افتترقت بنو إسرائيل اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمي ثلاثاً وسبعين فرقة كلهم في النار إلا السواد الأعظم» قال: وحدثني حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث حدثاً في الإسلام فقد هلك ومن ابتدع بدعة فقد ضلّ ومن ضلّ ففي النار». حدثنا ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني، قال: «فاذهب فتعلم القرآن» ثلاثاً. ثم قال له في الرابعة: «اقبل الحق ممن جاءك به حياً كان أو بغيضاً وتعلم القرآن ومل معه حيث مال».

قال: وحدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وقال الله تعالى: ﴿قَالَمَّا جُورَها وَتَوَلَّيَها﴾ [الشمس: ٨] وقال الله تعالى لموسى على سيدنا ونبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِنَّا قَدَفَتْنَا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَنْزَلْنَا السَّيْرِي﴾ [طه: ٨٥].

\* \* \*

### باب المشيئة

قلت: هل أمر الله تعالى بشيء ولم يشأ خلقه وشاء شيئاً ولم يأمر به وخلقه؟ قال: نعم. قلت: فما ذاك؟ قال: أمر الكافر بالإسلام ولم يشأ خلقه، وشاء الكفر للكافر ولم يأمر به وخلقه. قلت: هل رضي الله شيئاً ولم يأمر به؟ قال: نعم. كالعبادات النافلة. قلت: هل أمر الله تعالى بشيء ولم يرخص به؟ قال: لا. قلت: لم؟ قال: لأن كل شيء أمر به فقد رضي به. قلت: يعذب الله العباد على ما يرضى أو على ما لا يرضى؟ قال: يعذبهم الله على ما لا يرضى لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي ولا يرضى بها. قلت: فيعذبهم على ما يشاء أو على ما لا يشاء؟ قال: بل يعذبهم على ما يشاء لهم، لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي وشاء للكافر وللمعاصي المعصية. قلت: هل أمرهم بالإسلام ثم شاء لهم الكفر؟ قال: نعم. قلت: سبقت مشيئته أمره أو سبق أمره مشيئته؟ قال: سبقت مشيئته أمره، قلت: فمشيئة الله رضا له أم لا؟ قال: هو الله رضا ممن عمل بمشيئته وبرضاه وطاعته فيما أمر به ومن عمل خلاف ما أمر به فقد عمل بمشيئته ولم يعمل برضاه لكن عمل بمعصيته، ومعصيته غير

رضاه. قلت: يعذب العباد على ما يرضى؟ قال: يعذبهم على ما لا يرضى من الكفر ولكن يرضى أن يعذبهم ويتقم منهم بتركهم الطاعة وأخذهم بالمعصية. قلت: شاء الله للمؤمنين الكفر؟ قال: لا. ولكن شاء للمؤمنين الإيمان، كما شاء للكافرين الكفر وكما شاء لأصحاب الزنى الزنى وكما شاء لأصحاب السرقة السرقة وكما شاء لأصحاب العلم العلم وكما شاء لأصحاب الخير الخير، لأن الله تعالى شاء للكفار قبل أن يخلقهم أن يكونوا كفاراً ضالاً<sup>(١)</sup>. قلت: يعذب الله الكفار على ما يرضى أن يخلق أم على ما لا يرضى أن يخلق؟ قال: بل يعذبهم على ما يرضى أن يخلق. قلت: لم؟ قال: لأنه يعذبهم على الكفر ورضي أن يخلق الكفر، ولم يرض الكفر بعينه. قلت: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِيُبَادِيَ الْكُفْرُ﴾ [الزمر: ٧] فكيف يرضى أن يخلق الكفر؟ قال: يشاء لهم ولا يرضى به. قلت: لم؟ قال: لأنه خلق إبليس فرضي أن يخلق إبليس ولم يرض نفس إبليس، وكذلك الخمر والخنازير فرضي أن يخلقهن ولم يرض أنفسهن. قلت: لم؟ قال: لأنه لو رضي الخمر بعينها لكان من شربها قد شرب ما رضي الله، ولكنه لا يرضى الخمر ولا الكفر ولا إبليس ولا أفعاله ولكنه رضي محمداً ﷺ. قلت: رأيت اليهود حيث قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَفْلُوءَةٌ فَكَيْفَ آيَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] أرضي الله لهم أن يقولوا ذلك؟ قال: لا.

\* \* \*

### باب آخر في المشيئة

إذا قيل له: رأيت لو شاء الله أن يخلق الخلق كلهم مطيعين مثل الملائكة هل كان قادراً؟ فإن قال لا فقد وصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَائِرُ قَرَقَرًا عِبَادُ﴾ [الأنعام: ١٨] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْقَائِرُ عَلَّ أَنْ يَمَّتْ عَلَيْكُمْ حَدَابَا يَنْ تَوَقَّكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. فإن قال: هو قادر، فقل رأيت لو شاء الله أن يكون إبليس مثل جبريل في الطاعة أما كان قادراً؟ فإن قال: لا، فقد ترك قوله ووصف الله تعالى بغير صفته، فإن قال: لو أنه زنى أو شرب أو قذف أليس هو بمشيئة الله؟ قيل: نعم. فإن قال: فلم تجري عليه الحدود؟ قيل: لا يترك ما أمر الله به لأنه لو قطع غلامه كان بمشيئة الله وذمه الناس، ولو أعتقه حمدوه عليه، وكلاهما وجدا

(١) ومشيئة الله في الأزل خلق الكفر والضلال لهم في المستقبل إنما هي من جهة أن العبد يختار ذلك فيخلق الخالق على جاري عاداته الحكيمة، فليس في الأمر شمة الجبر. (ز).

بمشيئة الله تعالى، وقد عمل بمشيئة الله تعالى لكن من عمل بمشيئة المعصية فإنه ليس بها رضا ولا عدل في فعله<sup>(١)</sup>، وقوله: فلم تجري عليه الحدود؟ سؤال فاسد على أصلهم، لأنهم لا يشنون مشيئة الله تعالى في كثير من المعاصي فلا تلزمه الحدود إلا على فعله مثل شرب الخمر، وقد فعلها جميعاً بمشيئة الله تعالى.

\* \* \*

### باب الرد على من يكفر بالذنب

قلت: رأيت لو أن رجلاً قال: من أذنب ذنباً فهو كافر. ما التقص عليه؟ فقال: يقال له: قال الله تعالى: ﴿وَدَا أَلْتُونِ إِذْ ذَهَبَ مُتَّخِضِينَ فَنَقَلْنَا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكُنْ فِي أَلْفَلَمِيذٍ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فهو ظالم مؤمن وليس بكافر ولا منافق. وإخوة يوسف قالوا: ﴿يَتَأْتِيَكَ أَنْتَ فَرِحْنَا لَنَا دُونَنَا إِنَّا كُنَّا خَطِيئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧] وكانوا مدنيين لا كافرين وقال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام: ﴿يَقْرِ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ولم يقل من كفر. وموسى حين قتل الرجل كان في قتله مذنباً لا كافراً. قال: وإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى يقال له: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَصُلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يُتَابِعُونَ الَّذِينَ آمَنُوا صَلَواتٌ مَأْتُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِمْ وَسَيَمُرُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فإن كنت مؤمناً فصل عليه وإن كنت غير مؤمن فلا تصل عليه. وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّالِّينَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] الآية. قال معاذ رضي الله عنه: من شك في الله فإن ذلك يبطل جميع حسنه ومن آمن وتعاطى المعاصي يرجى له المغفرة ويخاف عليه العقوبة. قال السائل لمعاذ رضي الله عنه: إذا كان الشك يهدم الحسنات فإن الإيمان أهدم وأهدم للسينات<sup>(٢)</sup>.

قال معاذ رضي الله عنه: والله ما رأيت رجلاً أعجب من هذا الرجل يسأل أمسلم أنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: قولك لا أدري أعدل أم جور؟ فإن قال

(١) لأن تعلق مشيئة الخالق بخلق معصية العبد عند إرادة العبد فعلها باختياره، فلا يبريء ذلك التعلق العبد من المسؤولية، وقد جرت حكمة الحكيم الخبير على خلق ما اختاره العبد من الأفعال التي تحت استطاعته تحقيقاً لمسؤوليته فمن أراد الهداية واستهداه يهديه، وفي الحديث القدسي: «كلكم ضال إلا من هدته فاستهدوني أهدكم». (ز).

(٢) يعني ما سبق من السينات لأن الإسلام يجب ما قبله، واجع حديث معاذ السابق (ز).

عدل فقل: أ رأيت ما كان في الدنيا عدلاً أليس في الآخرة عدلاً؟ فإن قال: نعم، فقل: أتؤمن بعدذاب القبر ومنكر ونكير وبالقدر خيره وشره من الله تعالى؟ فإن قال: نعم، فقل له: أؤمن أنت؟ فإن قال: لا أدري. فقل له: لا دريت ولا فهمت ولا أفلمحت. قلت: ومن قال: إن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين. فقل له: هما شيء أو لستا بشيء. وقد قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ كَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [المسمر: ٤٩] وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُرْمِضُونَ عَلَيْهَا حُدُودًا وَعَيْبًا﴾ [غافر: ٤٦]. فإن قال: إنهما تفتيان. فقل له: وصف الله نعيمها بقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣] ومن قال: هما تفتيان بعد دخول أهلها فقل: فهما فقد كفر بالله تعالى لأنه أنكر الخلود فيهما.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد حي قيوم قادر سميع بصير عالم. يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه وليست بجارحة، وهو خالق الأيدي، ووجهه ليس كوجوه خلقه. وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليس كنفس خلقه، وهو خالق النفوس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] قلت: رأيت لو قيل: أين الله تعالى؟ فقال: يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء. فإن قيل: بأي شيء شاء الشائي المشيء؟ فقل بالصفة، وهو قادر يقدر بالقدرة وعالم يعلم بالعلم ومالك يملك بالملك. فإن قيل: أشاء بالمشيئة، وقدر بالمشيئة وشاء بالعلم؟ فقل: نعم<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

### باب في الإيمان

فإن قيل: أين مستقر الإيمان؟ يقال معدنه ومستقره القلب، وفرعه في الجسد، فإن قيل: هو في أصبعك؟ فقيل: نعم. فإن قيل: فإن قطعت أين يذهب الإيمان

(١) فتكون المشيئة تابعة للمعلم والمعلم تابع للمعلوم فلا يكون العبد مجبوراً في فعله الاختياري (ز).

منها؟ قال: فقل إلى القلب، فإن قال: هل يطلب الله من العباد شيئاً؟ فقل: لا. إنما هم يطلبون منه، فإن قال: ما حق الله تعالى عليهم؟ فقل: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فإذا فعلوا ذلك فحقهم عليه<sup>(١)</sup> أن يغفر لهم وينيهم عليه، فإن الله تعالى يرضى عن المؤمنين لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ويسخط عن إبليس، ومعنى قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [أضلت: ٤٠] فهو وعيد منه، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَمَا هِيَ بِإِسْرَابٍ قَالُوا فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [أضلت: ١٧] أي بصرناهم وبيننا لهم. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُزِمْنَا وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] فهو وعيد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَا﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحدوني، ولكن كلها بتقدير الله تعالى خيرها وشرها وحلوما ومرها وضرها ونفعها.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كَإِنَّمَا فَتَاتَ تَكْوِينُ النَّاسِ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا لَأَنبَأَهُمُ الْمَلَكُوعَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَلَوُكُ وَحَمَّرْنَا عُلُقَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَرْشُدُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الانعام: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَعَ النَّاسَ أَهْمَهُمْ وَجَعَلَهُمْ رَجْدَةً وَلَا يَرْجُونَ عَذَابِيَّ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوعَ فَيُنْفِخُ مِنْ مَدَىٰ اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [الشحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] - أي بقدر<sup>(٢)</sup> الله سبحانه - وقال شعيب صلوات الله على نبينا وعليه: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي بِلَادِكُمْ بِمَدِّ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهَ رَبَّنَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيمَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ حَلَمًا عَلَىٰ أَهْوَىٰ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْتَهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقال نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ شَيْءٌ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْفُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَصَوَّفَ عَنَّا الشُّعُورَ وَالْمَحْسَنَاتُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

(١) أي وجوباً منه على مقتضى وعده الكريم لا وجوباً عليه وإنما تابع في العبارة الأفعال (ز).

(٢) بعد ذلك المد شائياً مختأً بقدر الله السان، وهو الحكم الخد (ز).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَاسًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: ٣٤] والله أعلم<sup>(١)</sup>.

### تم الفقه الأبيسط لأبي حنيفة رحمه الله

(١) هنا انتهى الكتاب في الأصول التي اطلعنا عليها، وشذت النسخة السعيدية بالهند على ما نقله مولانا العلامة المحقق أبو الوفاء رئيس جمعية إحياء المعارف النعمانية في حيدرآباد الدكن، وفيها زيادة: (قال أبو مطيع رحمه الله: سألت أبا حنيفة رحمه الله عليه أليس الله تعالى عدلاً حكيماً في أفعاله بخلقه؟ فقال: بلى، قلت: قد خلق واحداً أعمى، وآخر مقعداً، وآخر غنياً، وآخر فقيراً، وآخر أحمق، وآخر عاقلاً، وآخر أخرس. قال: هلنا يفضل منه لبعضهم دون بعض. لأنه لم يجب عليه ذلك، فأعطى بعضاً، ومنع بعضاً، فهو كمن له عيب، فأعطى واحداً ومنع آخر)، ولا نطمئن إلى هذه الزيادة لعلها مما وجد لأبي مطيع في كتاب له آخر فزادها هنا من زاد، على أن ذلك خوض في سر القدر. وهذا ما لا يباح لأحد من البشر. وبعد ذلك زيادة أخرى وهي: (حدثنا علي بن أحمد قال: حدثنا إبراهيم بن حمدويه. قال: حدثنا يوسف بن أيان عن ليث بن خزيمة عن قتادة عن عمر رضي الله عنه قال: أما رجل لا يتلى في جسده أربعين يوماً فليس فيه لله حاجة. وقال مقاتل بن سليمان من أصل الإيمان الذي جاء في القرآن قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي صدق بشركه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَهِمْ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي ذلك كله حق. وهي مما زاد مالك النسخة على الأصل كفاية من عنده، والسند لأصله لا بأبي مطيع ولا بأبي حنيفة، وفيه رجال مجاهيل، وكتادة لم يدرك أحداً من الراشدين، ومقاتل ممن لا يروي عنه في مثل هذا الكتاب، فالزيد ينادي أنه مدرج لا صلة له بالكتاب والاعتماد على سائر الأصول. وسند شيخ الإسلام مصطفى عاشر المتوفى سنة ١٢١٩هـ في الفقه الأبيسط عن الحسين بن محمد بن الحسن الميمى البصري عن أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكوراني عن أبيه عن خير الدين الرملي عن محمد بن السراج عمر الحانوتي عن أبيه عن المحب محمد بن جرباش عن أبي الخير محمد بن محمد الرومي عن أبي الفتح محمد بن محمد الحريري عن أبيه القوام الأتقاني عن الحسين السنفاقي عن محمد بن محمد بن نصر البخاري عن شمس الأئمة الكردي عن صاحب الهداية عن الضياء البيروسي عن العلاء السمرقندي عن أبي المعين النسفي عن الحسين بن علي الكاشغري عن نصران بن نصر الختلي عن علي بن الحسن بن محمد الغزال عن علي بن أحمد الفارسي عن نصير بن يحيى عن أبي مطيع عن أبي حنيفة رضي الله عنهم أجمعين. والاعتماد على رواية أصحابنا كما سبق. وسند شيخ الإسلام المذكور في للعالم والمتعلم إلى أبي المعين بن محمد النسفي بهذا السند عن أبيه عن عبد الكريم بن موسى البردوي عن أبي منصور الحاتريدي عن أحمد بن إسحاق الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني وعن محمد بن مقاتل الرازي كلاهما عن أبي مطيع وعصام بن يوسف كلاهما عن أبي مقاتل عن أبي حنيفة رضي الله عنهم. وسند في الفقه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة بالسند إلى نصير بن يحيى عن محمد بن مقاتل عن عصام بن يوسف عن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه رضي الله عنهم.

- راجع (٢٢٦) من مكتبة شيخ الإسلام في المدينة المنورة زادها الله تشريفاً (ز).





# الفقيه الأكبر للإمام أبي حنيفة

تحقيقه  
الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسنة بن علي الكوثري  
المتوفى ١٣٧١ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه: يجب أن يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى، والحساب والميزان والجنة والنار حق كله.

والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَكَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية. أما الذاتية: فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة. وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل.

لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة، لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدوته، والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه، والكلام صفة في الأزل، وخالق بتخليقه، والتخليق صفة في الأزل، وفاعلاً بفعله. والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله تعالى، والفعل صفة في الأزل، والمفعول مخلوق، وفعل الله تعالى غير مخلوق. وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، فمن قال إنها مخلوقة أو محدثة، أو وقف أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى. والقرآن كلام الله تعالى، في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.

وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كله كلام الله تعالى، إخباراً عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم.

وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْوِيماً﴾ [النساء: ١٦٤]. وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام، وقد كان الله تعالى خالقاً في الأزل ولم يخلق الخلق، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا.

ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق.

وهو شيء لا كالأشياء، ومعنى الشيء إثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض، ولا حد له ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له.

وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف.

ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفة بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف.

خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالماً في الأزل بالأشياء قبل كونها، وهو الذي قدر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ، ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم.

والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوماً، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجوداً، ويعلم أنه كيف يكون فناؤه، ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائماً وإذا قعد علمه قاعداً في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم، ولكن التغير والاختلاف يحدث في المخلوقين.

خلق الله تعالى الخلق سليماً من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له.

وأخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر فجعلهم عقلاء، فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر، فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيماناً، فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر بعد ذلك فقد بذل وغيره، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم.

ولم يجبر أحداً من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولا خلقهم مؤمناً ولا كافرأً، ولكن خلقهم أشخاصاً. والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرأً. فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته.

وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره.

والطاعة كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبه وبرضائه وعلمه ومشيتته وقضائه وتقديره والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيتته، لا بمحبه ولا برضائه ولا بأمره.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزّهون عن الصفات والكبائر والكفر والقبائح، وقد كانت منهم زلات وخطايا. ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبد ورسوله ونبيه وصفيه ونقيه، ولم يعبد الصنم، ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط.

وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب الفاروق، ثم عثمان بن عفان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، عابدين ثابتين على الحق ومع الحق كما كانوا تتولاهم جميعاً.

ولا نذكر أحداً من أصحاب رسول الله إلا بخير.

ولا تكفر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة، إذا لم يستحلها، ولا نزيل عنه اسم الإيمان، ونسميه مؤمناً حقيقة، ويجوز أن يموت مؤمناً فاسقاً غير كافر، والمسح على الخفين ستة، والتراويح في ليالي شهر رمضان ستة.

والصلاة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة.

ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب، ولا نقول إنه لا يدخل النار، ولا نقول إنه يخلد فيها وإن كان فاسقاً، بعد أن يخرج من الدنيا مؤمناً.

ولا نقول إن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة، ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفصلة والمعاني المبطللة ولم يبطلها بالكفر والردة حتى خرج من الدنيا مؤمناً، فإن الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويشبه عليها.

وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه في مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه بالنار، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً.

والرباء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره، وكذلك العجب.

والآيات ثابتة للأنبياء، والكرامات للأولياء حق. وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدجال مما روي في الأخبار، أنه كان ويكون لهم، لا نسميها آيات ولا كرامات، ولكن نسميها قضاء حاجات لهم. وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجاً لهم وعقوبة لهم، فيخترون به ويزدادون طغياناً وكفراً، وذلك كله جائز وممكن.

وكان الله تعالى خالقاً قبل أن يخلق ورازقاً قبل أن يرزق.

والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم، بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة.

والإيمان هو الإقرار والتصديق.

وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق.

والمؤمنون مسترون في الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال.

والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام، ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا يوجد إسلام بلا إيمان، وهما كالظهر مع البطن.

والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها.

نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه في كتابه بجميع صفاته، وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له، ولكنه يعبد بأمره كما أمر بكتابه وسنة رسوله. ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والخوف والرجاء والإيمان، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله.

والله تعالى متفضل على عباده، عادل، قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد تفضلاً منه، وقد يعاقب على الذنب عدلاً منه، وقد يعفو فضلاً منه.

وشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق، وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت.

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق، والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز.

والجنة والنار مخلوقتان اليوم، لا تفتيان أبداً، ولا تموت الحور العين أبداً، ولا يفتى عقاب الله تعالى وثوابه سرمداً.

والله تعالى يهدي من يشاء فضلاً منه، ويضل من يشاء عدلاً منه، وإضلاله خذلانه، وتفسير الخذلان: أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه منه، وهو عدل منه، وكذا عقوبة المخذول على المعصية.

ولا يجوز أن نقول إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهراً وجبراً ولكن نقول العبد يدع الإيمان فيحسده يسلبه منه الشيطان.

وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى جسد العبد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين.

وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به. سوى اليد بالفارسية. ويجوز أن يقال «بروى خدای» عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية.

وليس قرب الله تعالى ولا بُعد من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة والهوان.

والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد عنه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي.

وكذلك جواره في الجنة والوقوف بين يديه بلا كيفية.

والقرآن منزل على رسول الله ﷺ وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة والعظمة إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور، مثل آية الكرسي لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته،

فاجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور، ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينهما.

وقاسم وظاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ، وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعاً بنات رسول الله ﷺ ورضي عنهن.

وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد فإنه ينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالماً فيسأله، ولا يسعه تأخير الطلب ولا يعذر بالوقف فيه ويكفر إن وقف.

وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع ضال، وخروج الدجال ومأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.





# رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البيهقي

تحقيقه  
الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسنة بن علي الكوثري  
المتوفى ١٣٧١ هـ



## في التبري مما يرمى به من الإرجاء كذباً وزوراً من جهلة أغرار

قال ابن قتيبة في المعارف: عثمان البتي - بفتح فتشديد - هو: عثمان بن سليمان بن جرموز، وكان من أهل الكوفة فانتقل إلى البصرة، وهو مولى لبني زهرة وكان يبيع البتوت فنسب إليها اه. وهي الثياب الغليظة. وقال الذهبي في الميزان: عثمان البتي الفقيه هو ابن مسلم ثقة إمام وقيل اسم أبيه أسلم وقيل سليمان اه. وفي المشته: فقيه البصرة. زمن أبي حنيفة اه. توفي بالبصرة قبل وفاة أبي حنيفة بسبع سنوات، وبينهما مكاتبات لم يحفظ لنا التاريخ شيئاً منها غير هذه الرسالة، وكان من عظماء مجتهدي هذه الأمة، ومن انقضت مذاهبيهم، وله انفرادات في الفقه ذكرها الطحاوي في (اختلاف العلماء) وأبو بكر الرازي في مختصره وابن المنذر في الأشراف لكن أهملها ابن جرير في اختلاف الفقهاء له، رضي الله عنه وعن سائر الأئمة ونفعنا ببركات علومهم (ز).





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه  
أجمعين، روى الإمام حسام الدين الحسين بن علي الحجاج السنفاقي، عن  
حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري، عن شمس الأئمة محمد بن عبد السنان  
الكردي، عن برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني  
عن ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر اليرسوخى، عن علاء الدين أبي بكر  
محمد بن أحمد السمرقندي، عن أبي المعين ميمون بن محمد المكحولى النسفي،  
عن أبي زكريا يحيى بن مطرف البلخي، عن أبي صالح محمد بن الحسين السمرقندي  
عن أبي سعيد محمد بن أبي بكر البستي، عن أبي الحسن علي بن أحمد الفارسي عن  
نصير بن يحيى الفقيه، عن أبي عبد الله محمد بن سماعة التميمي، عن الإمام أبي  
يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه  
وعنه أنه قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أبي حنيفة إلى عثمان النبي: سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله  
إلا هو، أما بعد فإنني أوصيك بتقوى الله وطاعته وكفى بالله حسيباً وجازياً بلغني  
كتابك، وفهمت الذي فيه من نصيحتك، وقد كتب أنه دعاك إلى الكتاب بما كتبت  
حرصك على الخير والنصيحة، وعلى ذلك كان موضعه عندنا، كتبت تذكر أنه بلغك  
أنني من المرجثة<sup>(١)</sup> وأني أقول: مؤمن ضال. وأن ذلك يشق عليك ولعمري ما في  
شيء باعد عن الله تعالى عذر لأهله، ولا فيما أحدث الناس وابتدعوا أمر يهتدى به،

(١) وقد عذّ المقيلي من غلطات الخواص جعل المرجيء اسماً لمن قال: إن صاحب الكبيرة إذا لم  
يتب تحت المشيئة، وصرف أحاديث ذم المرجثة إلى ذلك وإنما هم من قال: لا وعيد لأهل  
الصلاة فأخرجهم عن الوعيد رأساً، وأما الدخول تحت المشيئة فصريح الكتاب والسنة لفظاً  
ومعولماً تواتراً. ذكر ذلك في (الأبحاث) فيكون إرجاء أبي حنيفة محض السنة، ونيزه به على  
المعنى البديعي.

ولا الأمر إلا ما جاء به القرآن ودعا إليه محمد ﷺ وكان عليه أصحابه حتى تفرق الناس، وأما ما سوى ذلك فمبتدع ومحدث، فافهم كتابي إليك، فاحذر رأيك على نفسك، وتخوَّف أن يدخل الشيطان عليك عصمنا الله وإياك بطاعته، ونسأله التوفيق لنا ولك برحمته، ثم أخبرك أن الناس كانوا أهل شرك قبل أن يبعث الله تعالى محمداً ﷺ، فبعث محمداً يدعوهم إلى الإسلام، فدعاهم إلى أن يشهدوا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والإقرار بما جاء به من الله تعالى، وكان الداخل في الإسلام مؤمناً بريئاً من الشرك، حراماً ماله ودمه، له حق المسلمین وحرمتهم، وكان التارك لذلك حين دعا إليه كافراً بريئاً من الإيمان، حلالاً ماله ودمه، لا يقبل منه إلا الدخول في الإسلام أو القتل. إلا ما ذكر الله سبحانه وتعالى في أهل الكتاب من إعطاء الجزية، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك على أهل التصديق.

فكان الأخذ بها عملاً مع الإيمان ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥] وقال: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَسْلَمْ سِلْمًا﴾ [التقآن: ٩] وأشباه ذلك من القرآن. فلم يكن المضيق للعمل مضيقاً للتصديق، وقد أصاب التصديق بغير عمل. ولو كان المضيق للعمل مضيقاً للتصديق لانتقل من اسم الإيمان وحرمة بتضييعه العمل كما أن الناس لو ضيعوا التصديق لانتقلوا بتضييعه من اسم الإيمان وحرمة وحقه، ورجعوا إلى حالهم التي كانوا عليها من الشرك. ومما يعرف به اختلافهما أن الناس لا يختلفون في التصديق. ولا يتفاضلون فيه. وقد يتفاضلون في العمل. وتختلف فرائضهم. ودين أهل السماء ودين الرسول واحد. فلذلك يقول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبُوا الَّذِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. واعلم أن الهدى في التصديق بالله ورسوله ليس كالهدى فيما افترض من الأعمال. ومن أين يشكل ذلك عليك؟ وأنت تسميه مؤمناً بتصديقه كما سماه الله تعالى في كتابه وتسميه جاهلاً بما لا يعلم من الفرائض. وهو إنما يتعلم ما يجهل. فهل يكون الضال عن معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله. كالضال عن معرفة ما يتعلمه الناس وهم مؤمنون؟! وقد قال الله تعالى في تعليمه الفرائض: ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا وَاللَّهُ يَكْفِي شَيْئًا عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦] وقال: ﴿أَنْ تَقُولُوا لَكُمْ مَا تَدْعُونَ فَلْيَكْفُرُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿قَمَلْتُمْ إِيَّاهُ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] يعني من الجاهلين، والحجة من كتاب الله تعالى والسنة على تصديق ذلك آيين وأوضح من أن تشكل على مثلك. أو لست تقول: مؤمن ظالم، ومؤمن مذنب، ومؤمن مخطيء ومؤمن عاص، ومؤمن جائر؟ هل يكون فيما ظلم وأخطأ مهتدياً فيه مع هداه في الإيمان، أو يكون ضالاً عن الحق الذي أخطأه؟ وقول بني يعقوب على نبينا وعليهم السلام لأبيهم إنك لفي ضلالك القديم، أنتظن أنهم عنوا أنك لفي كفرك القديم؟ حاشا

لله أن تفهم هذا، وأنت بالقرآن عالم. واعلم أن الأمر لو كان كما كتبت به إلينا أن الناس كانوا أهل تصديق قبل الفرائض ثم جاءت الفرائض، لكان ينبغي لأهل التصديق أن يستحقوا (اسم) التصديق بالعمل حين كلفوا به، ولم تفسر لي ما هم وما دينهم وما مستقرهم عندك (قبل ذلك)؟ إذا هم لم يستحقوا الاسم إلا بالعمل حين كلفوا فإن زعمت أنهم مؤمنون تجري عليهم أحكام المسلمين وحرمتهم صدقت. وكان صواباً. لما كتبت به إليك. وإن زعمت أنهم كفار فقد ابتدعت وخالفت النبي والقرآن. وإن قلت بقول من تعنت من أهل البدع وزعمت أنه ليس بكافر ولا مؤمن فاعلم أن هذا القول بدعة وخلاف للنبي ﷺ وأصحابه. وقد سمي علي رضي الله عنه أمير المؤمنين وعمر رضي الله عنه أمير المؤمنين. أو أمير المطيعين في الفرائض كلها يعنون؟ وقد سمي علي أهل حربه من أهل الشام مؤمنين في كتاب القضية. أو كانوا مهتدين وهو يقتلهم؟ وقد اقتتل أصحاب رسول الله ﷺ، ولم تكن الفئتان مهتدين جميعاً، فما اسم الباغية عندك؟ فوالله ما أعلم من ذنوب أهل القبلة ذنباً أعظم من القتل ثم دماء أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام خاصة. فما اسم الفريقين عندك؟ وليسا مهتدين جميعاً فإن زعمت أنهما مهتديان جميعاً ابتدعت. وإن زعمت أنهما ضالان جميعاً ابتدعت وإن قلت أن أحدهما مهتد فما الآخر؟ فإن قلت الله أعلم أصبت. تفهم هذا الذي كتبت به إليك.

واعلم أنني أقول: أهل القبلة مؤمنون لست أخرجهم من الإيمان بتضييع شيء من الفرائض. فمن أطاع الله تعالى في الفرائض كلها مع الإيمان كان من أهل الجنة عندنا، ومن ترك الإيمان والعمل كان كافراً من أهل النار، ومن أصاب الإيمان وضيع شيئاً من الفرائض كان مؤمناً مذنباً، وكان لله تعالى فيه المشيئة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فإن عذبه على تضييعه شيئاً فعلى ذنب يعذبه، وإن غفر له فذنباً يغفر. وإني أقول فيما مضى من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان بينهم، الله أعلم. ولا أظن هذا إلا رأيت في أهل القبلة لأنه أمر أصحاب رسول الله ﷺ وأمر (حملة) السنة والفقه. زعم<sup>(١)</sup> أخوك عطاء بن أبي رباح ونحن نصف له هذا: أن هذا أمر أصحاب رسول الله ﷺ. وزعم أخوك نافع هذا وأنه فارق (ابن عمر) على هذا. وزعم سالم عن سعيد بن جبير، هذا أمر أصحاب محمد ﷺ. وزعم أخوك نافع أن هذا أمر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وزعم ذلك أيضاً عبد الكريم عن طائوس عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذا أمره. وقد بلغني عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حين كتب القضية أنه يسمي

(١) والزعم هنا بمعنى القول الحق بقريته المقام. وهو من الأضداد فيعين المقام المراد. فكل هؤلاء لا يرون نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة (ز).

الطائفتين مؤمنين جميعاً. وزعم ذلك أيضاً عمر بن عبد العزيز كما رواه من لقيني من إخوانك فيما بلغني عنك. ثم قال: ضعوا لي في هذا كتاباً ثم أنشأ يعلمه ولده. ويأمرهم بتعليمه. علمه جلساؤك رحمك الله تعالى.

فكان بإمكان من المسلمين. واعلم أن أفضل ما علمتم وما تعلمون الناس السنة وأنت ينبغي لك أن تعرف أهلها الذين ينبغي أن يتعلموها.

وأما ما ذكرت من اسم المرجئة<sup>(١)</sup> فما ذنب قوم تكلموا بعدل وسماهم أهل البدع بهذا الاسم؟ ولكنهم أهل العدل وأهل السنة، وإنما هذا اسم سماهم به أهل شتان، ولعمري ما يهجن عدلاً لو دعوت إليه الناس فوافقوك عليه أن سميتهم أهل شتان البتة، فلو فعلوا ذلك كان هذا الاسم بدعة، فهل يهجن ذلك ما أخذت به من أهل العدل، ثم إنه لولا كراهية التطويل وأن يكثر التفسير لشرحت لك الأمور التي أجبتك بها فيما كتبت به، ثم إن أشكل عليك شيء أو أدخل عليك أهل البدع شيئاً فأعلمني أجبتك فيه إن شاء الله تعالى، ثم لا ألوك ونفسي خيراً والله المستعان. لا تدع الكتاب إلا بسلامك وحاجتك، رزقنا الله منقلباً كريماً وحياء طيبة، وسلام الله عليك ورحمة الله وبركاته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تَمَّ

(١) وعد من جعل مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء هدبه بها من أهل الضلال لا يكون إلا من المعتزلة أو الخوارج أو ممن ساء سيرهم وهو غير شاعر وقد روى ابن أبي العمراء المحافظ عن إبراهيم بن أحمد بن سهل الترمذي عن القاسم بن غسان المروزي القاضي عن أبيه عن محمد بن يعلى زنيور عن أبي حنيفة (ج) قال إبراهيم ثنا عبد الواحد بن أحمد الرازي بمكة ثنا موسى بن سهل الرازي أنبأنا بشار بن قيراط عن أبي حنيفة، دخلت أنا وعلقمة بن مرثد على عطاء بن أبي رباح فقلنا له يا أبا محمد إن بلادنا قوماً يكرهون أن يقولوا إنا مؤمنون ثم قالوا: قال عطاء: ولم ذلك؟ قال: يقولون إن قلنا نحن مؤمنون قلنا نحن من أهل الجنة فقال عطاء فليقولوا نحن مؤمنون ولا يقولون نحن من أهل الجنة فإنه ليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا والله عز وجل عليه الحجة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ثم قال عطاء: يا علقمة إن أصحابك كانوا يسمون أهل الجماعة حتى كان نافع بن الأزرق فهو الذي سماهم المرجئة. قال القاسم: قال أبي: وإنما سماهم المرجئة فيما بلغنا أنه كلم رجلاً من أهل السنة فقال له: أين تُنزل الكفار في الآخرة؟ قال: النار. قال: فأين تُنزل المؤمنين؟ قال: المؤمنون على ضربين: مؤمن برقي فهو في الجنة. ومؤمن فاجر وديء فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه بذنوبه وإن شاء غفر له بإيمانه. قال: فأين تنزله؟ قال: لا أنزله ولكني أرجىء أمره إلى الله عز وجل. فقال: فأنت مرجيء اهـ. فمن سمي أهل السنة بالمرجئة فقد تابع نافع بن الأزرق الخارجي الذي يرى تخليد مرتكب الكبيرة في النار (ز).







# وَصِيَّةُ الْأَئِمَّةِ أَبِي حَسَنِ فِي التَّوْحِيدِ

تحقيقه  
الإمام العلامة الشيخ محمد زاهد بن حسن بن علي الكوثري  
المتوفى ١٣٧١ هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان والإقرار وحده لا يكون إيماناً لأنه لو كان إيماناً لكان المنافقون كلهم مؤمنين وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيماناً لأنها لو كانت إيماناً لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين. قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَنفِرُونَ لِكُفْرِهِمْ﴾ [المنافقون: ١] وقال الله تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿الَّذِينَ آمَنَّا مِنْهُمْ وَلَمْ يَمُوتُوا﴾ [البقرة: ١٤٦] والإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه لا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر ولا يتصور زيادته إلا بنقصان الكفر وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمناً وكافراً والمؤمن مؤمن حقاً والكافر كافر حقاً وليس في الإيمان شك كما أنه ليس في الكفر شك لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] و﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١] والعاصون من أمة محمد ﷺ كلهم مؤمنون حقاً وليسوا بكافرين.

العمل غير الإيمان والإيمان غير العمل بدليل أن كثيراً من الأوقات يرتفع العمل عن المؤمن ولا يجوز أن يقال ارتفع عنه الإيمان فإن العائض يرفع الله تعالى عنها الصلاة ولا يجوز أن يقال رفع عنها الإيمان أو أمرها بترك الإيمان وقد قال الشارع دعي الصوم ثم اقصيه ولا يجوز أن يقال دعي الإيمان ثم اقصيه ويجوز أن يقال ليس على الفقير الزكاة ولا يجوز أن يقال ليس على الفقير الإيمان.

وتقدير الخير والشر كله من الله تعالى لأنه لو زعم أحد أن تقدير الخير والشر من غيره لصار كافراً بالله تعالى وبطل توحده.

ونفر بأن الأعمال ثلاثة: فريضة وفضيلة ومعصية. فالفريضة بأمر الله تعالى ومشيتته ومحبه ورضاه وقضائه وقدرته وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه وكتابه في اللوح المحفوظ والفضيلة ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيتته ومحبه ورضاه وقضائه وقدره وحكمه وعلمه وتوفيقه وكتابه في اللوح المحفوظ والفضيلة ليست بأمر الله تعالى وإلا كانت فريضة لكنها بمشيتته ومحبه ورضاه وقضائه وحكمه وعلمه وتوفيقه بإعطاء سلامة الأسباب والاستطاعة المقارنة وتخليقه أي تكوينه لأن الله خالق

أفعال العباد كما سيجيء البحث في ذلك وكتابه في اللوح المحفوظ والمعصية ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيئته لا بمحبته ويقضائه لا برضاه ويتقديره لا بتوقيفه وبخلافه وعلمه وكتابه في اللوح المحفوظ.

ونقر بأن الله سبحانه تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقر عليه وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدييره كالمخلوقين ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار قبل خلق العرش أين كان الله؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتنزيله لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء، بالألسنة محفوظ في الصدور غير حال فيها. والحبر والكاغد والكتابة كلها مخلوقة لأنها أفعال العباد وكلام الله تعالى غير مخلوق لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن لحاجة العباد إليها وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم. والله تعالى معبود لا يزال عما كان وكلامه مقروء ومكتوب ومحفوظ من غير مزيلة عنه.

ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين، لقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ الْوَسْوَءَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمَفْرُوقُونَ ﴿١٧﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٢] وكل من كان أسبق فهو أفضل ويحبهم كل مؤمن تقي ويفضهم كل منافق شقي.

ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق فلما كان الفاعل مخلوقاً فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة وأن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة لأنهم ضعفاء عاجزون والله تعالى خالقهم ورازقهم لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُبْسِكُمْ ثُمَّ يُجِيحُكُمْ﴾ [الزوم: ٤٠] والكسب حلال وجمع المال من الحلال حلال وجمع المال من الحرام حرام.

والناس على ثلاثة أصناف: المؤمن المخلص في إيمانه، والكافر الجاحد في كفره، والمنافق المداهن في نفاقه، والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الإيمان وعلى المنافق الإخلاص لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَكَعًا﴾ [النساء: ١] يعني يا أيها المؤمنون أطيعوا، ويا أيها الكافرون آمنوا، ويا أيها المنافقون أخلصوا.

والاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنياً عن الله تعالى وقت الحاجة وهذا خلاف حكم النص لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

الْقِيَوْمِ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ﴿﴾ [محمد: ٣٨] ولو كان بعد الفعل لكان من المحال لأنه يلزم حصول الفعل بلا استطاعة ولا طاقة.

ونفر بأن المسح على الخفين واجب للمقيم يوماً وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها لأن الحديث ورد هكذا فمن أنكره فإنه يخشى عليه الكفر لأنه قريب من الخير المتواتر والقصر<sup>(١)</sup> والإفطار في السفر رخصة بنص الكتاب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنَسِبَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١] وفي الإفطار قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ونفر بأن الله تعالى أمر القلم بأن يكتب فقال القلم ماذا أكتب يا رب فقال الله تعالى اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ قَسُودٌ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ رَبِّكَ فَكَيِّرُ وَيَسْخَرُ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

ونفر بأن عذاب القبر كائن لا محالة وسؤال منكر ونكير حق لورود الأحاديث، والجنة والنار حق وهما مخلوقتان لأهلها لقوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أُجِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وفي حق الكفرة: ﴿أُجِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] خلقهما الله للثواب والعقاب، والميزان حق لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقراءة الكتب حق لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

ونفر بأن الله تعالى يحيي هذه النفوس بعد الموت ويعيهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة للجزاء والثواب وأداء الحقوق لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِعَمَلِكُمْ لَاقِبٌ﴾ [الأنبياء: ٧] ولقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة. وشفاعتنا نبينا محمد ﷺ حق لكل من هو مؤمن من أهل الجنة وإن كان صاحب الكبيرة. وعائشة بعد خديجة الكبرى أفضل نساء العالمين وأم المؤمنين ومطهرة من الزنى بريئة عما قالت الروافض فيها فمن شهد عليها الزنى فهو ولد الزنى<sup>(٢)</sup>. وأهل الجنة في الجنة خالدون وأهل النار في النار خالدون لقوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] وفي حق الكفار: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

## تَمِّم

(١) أي قصر الصلاة الرابعة إلى اثنين.

(٢) بل من قال ذلك في عائشة بعد نزول القرآن ببراءتها فهو كافر خارج عن الملة بلا شك وليس ولد زنى فقط.





## فهرس المحتويات

٥	..... الإمام الكوثري: بقلم الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة
١٠	..... ترجمة الإمام الكوثري
١٥	..... نظرة هابرة في مزامم من ينكر نزول عيسى قبل الأخرى
	فتوى الشيخ محمود شلتوت في وفاة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام،
١٧	..... ورفع نزوله منقولة عن كتابه «الفتاوى» ص ٥٢ - ٧٥
١٧	..... رفع عيسى عليه السلام
٢٢	..... مناقشة
٣٥	..... مجمل ما تضمنته فتوى الشيخ محمود شلتوت من آراء
٣٩	..... تقديم
٤١	..... أما ستموا من النزول؟! ١١
٤٩	..... العقيدة الدينية وطريق ثبوتها
٥٦	..... آيات في الرفع والنزول
٦٥	..... الة وثبوت العقيدة
٧٨	..... الإجماع وثبوت العقيدة
٨٩	..... الإنصاف
٩١	..... تقديم
١٣٣	..... فصل: وجوب الكف عن ذكر ما جرى بين الصحابة
١٤٥	..... فصل في الأخبار الواردة عن الفرق بين التلاوة والتملو والقراءة والمقروه ...
	فصل في بيان الأدلة الدالة على أن الحروف والأصوات هي من صفات
١٤٨	..... قراءة الفاريء لا أنها من كلام الباري
	فصل: قراءة القرآن تارة توصف بالصحة والحسن وتارة توصف بالفساد
١٦٠	..... والقبيح، لأنها من أفعال العباد

- ١٦٨ ..... فصل في بيان أن الفعل يضاف إلى الأمر به وإن لم يفعله
- ١٦٨ ..... فصل في بيان أن الله تعالى قد فصل بين القراءة والمقروء
- فصل في بيان أنه إذا قرأ القاريء القرآن وحصل له الثواب، أحصل له  
 ١٧٠ ..... الثواب على فعله أو على غير فعله
- اختلاف المفسرين في تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور على ثمانية  
 ١٧٢ ..... أقوال وبيان تلك الأقوال
- فصل في إبطال حجج من قال بإثبات قدم الحروف ..... ١٧٦
- فصل في الرد على من قال إن الله تعالى متكلم بحروف ..... ١٧٨
- فصل في الرد على من احتج في إثبات الصوت لكلام الله تعالى ..... ١٧٨
- معنى قوله ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن» وقوله: «لو جعل هذا القرآن في  
 ١٨٤ ..... إهاب»
- تفسير قوله ﷺ: «من حفظ القرآن اختلط بدمه ولحمه» ..... ١٨٧
- فصل في الرد على من قال إذا كان القديم لا يحل في المصحف فما معنى  
 ١٨٨ ..... تعظيمه وتوقيره
- فصل فيما يتعلق بمسائل ثلاثة وفروعها: الخلق والإرادة والشفاعة والرؤية .. ١٨٩
- قول أهل السنة والجماعة إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وحده ..... ١٩٠
- الرد على من احتج على خلق الأفعال بالآيات القرآنية ..... ١٩٤
- وجوب العلم بأنه لا يجري في العالم إلا ما يريد الله تعالى ..... ٢٠٠
- الرد على من يقول بأن شرك المشرك ليس بمشينة الله ..... ٢٠٤
- فصل في الشفاعة - افتراق المعتزلة في الشفاعة إلى فرقتين - ..... ٢٠٩
- فصل في شبه يراد بها دفع الأخبار الصحاح المجمع على صحتها ..... ٢١٠
- قول أهل السنة والجماعة بجواز رؤية الله تعالى - اختلاف الصحابة في رؤية  
 ٢١٥ ..... رسول الله ﷺ لربه ليلة المعراج
- دفع شبهة التشبيه ..... ٢٢٩
- باب ما جاء في القرآن العظيم من ذلك ..... ٢٣١
- باب ذكر الأحاديث التي سموها أخبار الصفات ..... ٢٤١
- دفع شبه من شبه وتمرد ..... ٢٧٧
- ترجمة الإمام الحصني مؤلف هذا الكتاب ..... ٢٧٩

٢٨١	..... سبب تأليف هذا الكتاب
٢٨٣	..... تقديم
٣٢١	..... كلام ابن تيمية في الاستواء ووثوب الناس عليه
٣٣٨	..... مبحث الرد على ابن تيمية في قوله بفناء النار
٣٣٩	..... مبحث الرد عليه في القول بقدم العالم
٣٥٥	..... قصة الراهبين مع أبي عبد الله
٤٠٥	..... السيف الصقيل
٤٠٧	..... تقديم
٤٠٧	..... ترجمة السبكي
٤٠٩	..... التعريف بكتاب «السيف الصقيل»
٤١٥	..... التقديم للكتاب
٤١٥	..... انتقاش ظلمات الجاهلية بمبعثه ﷺ
٤١٥	..... تحيين الأعداء الفرص للكيد بالمسلمين
٤١٦	..... انخداع سذج الرواة
٤١٧	..... فضل علماء أصول الدين في حراسة الدين
٤١٧	..... محاولة ابن تيمية بعث الحشوية من مرقدها
٤١٨	..... مسامرة ابن القيم لابن تيمية في فتنه
٤١٩	..... نماذج من أقوال أصحاب ابن القيم وأصداده والمتحايدين
٤٢٠	..... أحق الناس بالرتاء
٤٢١	..... أخطر ما يطغى من صنوف الاستغناء
٤٢١	..... ردود السبكي على ابن تيمية والكلام في رده على نونية ابن القيم
٤٢٣	..... مقدمة الكتاب للمؤلف
٤٢٥	..... الأشعرية أعدل الفرق
٤٢٨	..... مجامع الزيف في نونية ابن القيم
٤٢٩	..... تأسى السبكي بإمام الحرمين في الرد على بعض جهلة أهل الحديث
٤٣٠	..... فصل مناظرة خيالية بين المشبه والمتزه... إلخ
٤٣٢	..... فصل أمثال مضروبة للمعطل والمشبه والموحد
٤٣٢	..... فصل من قصيدته النونية

- ٤٣٣ ..... فصل تخيل الناظم في أفعال العباد.. الخ
- ٤٣٦ ..... فصل استنكار الناظم إعادة المعدوم.. الخ
- ٤٣٧ ..... فصل زعم الناظم قيام الله بالحوادث .....
- ٤٤٠ ..... فصل عقد مجلس خيالي.. كلامه في وحدة الوجود .....
- ٤٤٣ ..... فصل الفوقية الحسية... الخ .....
- ٤٤٤ ..... تسمية الناظم أهل الحق بحزب جنكز خان .....
- ٤٥٥ ..... تصوير الناظم أهل الحق أسوأ تصوير .....
- ٤٥٦ ..... كذب الناظم على الله ورسوله ﷺ .....
- ٤٥٨ ..... فصل في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن .....
- ٤٦٠ ..... عدم تمييز الناظم بين اللازم والملزوم .....
- ٤٦٠ ..... تخبط الناظم في الصوت .....
- ٤٦٢ ..... كلام واف في أحاديث الصوت .....
- ٤٦٣ ..... فصل: قوله: إنه يلزم من نفي صفة الكلام نفي الرسالة .....
- ٤٦٥ ..... فصل وقية الناظم وشيخه في ابن حزم .....
- ٤٦٦ ..... الكلام اللفظي .....
- ٤٦٦ ..... فصل في مقالة الفلاسفة والقرامطة .....
- ٤٦٧ ..... فصل في الاتحادية .....
- ٤٧٠ ..... فصل القول في تجويز التسلسل في الماضي .....
- ٤٧٢ ..... فصل في الرد على الجهمية المعطلة .....
- ٤٧٥ ..... فصل نصوص عن ابن تيمية في الفوقية الحية .....
- ٤٧٧ ..... قول أبي حيان في ابن تيمية .....
- ٤٨١ ..... فصل كلمة ابن تيمية في العلو والفوقية والرد عليه .....
- ٤٨٢ ..... فصل حديث النزول .....
- ٤٨٣ ..... فصل الإشارة إلى رفع الأيدي إلى السماء .....
- ٤٨٤ ..... فصل دعوى الناظم في الرؤية بدون مقابلة .....
- ٤٨٥ ..... فصل بسط الكلام في السؤال بـ «أين» في حديث الجارية .....
- ٤٨٧ ..... توهين سند حديث أبي رزين .....
- ٤٨٩ ..... تفنيد زعم الإجماع على الفوقية الحسية .....

- ٤٩٠ ..... بسط الكلام في رد القول بالجهة
- ٤٩٢ ..... تناقض ابن تيمية في الجهة وكذبه
- ٤٩٣ ..... مخالفات ابن تيمية
- ٤٩٨ ..... رد المصنف على الناظم في الفوقية
- ٤٩٨ ..... روايات الضراب عن مالك في التزول
- ٥٠٠ ..... قول الياقفي في الحشوية
- ٥٠١ ..... أحد المراسيم الصادرة في حق ابن تيمية
- ٥٠٤ ..... نص الإمام أحمد في المجيء
- ٥٠٥ ..... معنى كتب ربكم على نفسه بيده
- ٥٠٦ ..... سخف عثمان بن سعيد في التمسك بحديث حصين في الفوقية
- ٥٠٧ ..... الشعر المنسوب إلى ابن رواحة رضي الله عنه
- ٥٠٨ ..... حديث بني قريظة
- ٥٠٩ ..... حديث جابر رضي الله عنه
- ٥١٠ ..... فصل: بحث ممتع في التأويل
- ٥١١ ..... قول ابن حجر في التأويل
- ٥١٢ ..... تحقيق ابن دقيق العيد
- ٥١٣ ..... صنيع الصحابة في التأويل
- ٥١٣ ..... اضطراب الحشوية
- ٥١٥ ..... القول بالتجلي في الصور
- ٥١٦ ..... تبديع الفلاسفة وإكفارهم
- ٥١٧ ..... القول بتجرد الروح
- ٥١٨ ..... نص من ابن تيمية في الحد والجسم
- ٥٢٢ ..... قول السلف في العين واليد
- ٥٢٢ ..... خداع الناظم وشيخه
- ٥٢٣ ..... معنى القبضة عند الخلف
- ٥٢٤ ..... المعطل في الأصل من ينفي الصانع
- ٥٢٨ ..... فصل: في عهود المثبتين مع الله رب العالمين
- ٥٢٩ ..... فصل: افتراءهم المثلث على الأشعرية
- ٥٣٠ ..... فصل: في حياة الأنبياء

٥٣٠	.....	فتيا الأئمة في إنكاره شد الرحل لزيارته ﷺ
٥٣١	.....	نص ابن عقيل الحنبلي في تذكرته
٥٣٤	.....	نصوص من المطالب العالية للفخر الرازي
٥٣٨	.....	فصل في الهدنة بين المعطلة والاتحادية حزب جنكسخان
٥٣٨	.....	فصل في مصارع المعطلة بأسة الموحدين
٥٤٠	.....	فصل في كسر الطاغوت الذي تفوا به الصفات
٥٤٠	.....	فصل في مبدأ العداوة بين الموحدين والمعطلين
٥٤١	.....	فصل في أن التعطيل أساس الزندقة
٥٤١	.....	فصل في بهت أهل الشرك والتعطيل
٥٤٣	.....	فصل في أذان أهل السنة بصريحتها جهراً على رؤوس منابر الإسلام
٥٤٥	.....	فصل في تلازم التعطيل والشرك
٥٤٦	.....	فصل في مثل المشرك والمعطل
٥٥٠	.....	فصل في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة
٥٥١	.....	فصل في عدد الجنات
٥٥٢	.....	فصل في يوم المزيد
٥٥٥	.....	نص رسالة الإمام الذهبي إلى شيخ الإسلام ابن تيمية
٥٥٧	.....	نص الرسالة
٥٥٩	.....	لماذا يقال للناظم ابن القيم
٥٥٩	.....	خاتمة نكملة الرد
٥٦١	.....	العالم والمتعلم، الفقه الأيسر - الفقه الأكبر، رسالة أبي حنيفة - الوصية ...
٥٦٣	.....	كلمة عن العالم والمتعلم ورسالة أبي حنيفة إلى النبي والفقه الأيسر ورواياتها
٥٦٩	.....	العالم والمتعلم رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة رضي الله عنهما
٥٧١	.....	تقديم
٥٩٧	.....	رواية أبي مطيع عن أبي حنيفة رضي الله عنهما
٥٩٩	.....	تقديم
٦٠٣	.....	باب في القدر
٦١٠	.....	باب المشيئة
٦١١	.....	باب آخر في المشيئة

٦١٢	..... باب الرد على من يكفر بالذنب
٦١٣	..... باب في الإيمان
٦١٧	..... الفقه الأكبر
٦١٩	..... تقديم
	رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي عالم أهل البصرة رضي الله عنهما في
٦٢٧	..... التبري مما يرمى به من الإرجاء كذباً وزوراً من جهلة أضرار
٦٢٩	..... تقديم
	كتاب وصية الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه في
٦٣٣	..... التوحيد
٦٣٥	..... تقديم
٦٣٩	..... فهرس المحتويات

